المركز القومى للترجمة

من الذى دفع للزمَّار؟

الحرب الباردة الثقافية

المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب

الطبعة الرابعة

تأليف: ف. س. سوندرز

ترجمة: طلعت الشايب

مراجعة: عاصم الدسوقى

4/279

المشروع القومى للترجمة

من الذى دفع للزمّار؟

الحرب الباردة الثقافية

المخابرات المركزية الأمريكية

وعالم الفنون والآداب

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٢٧٩/ ٤
- من الذى دفع للزمّار؟ الحرب الباردة الثقافية
  المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب
- فرانسيس ستونر سوندرز
- طلعت الشايب
- عاصم الدسوقى
- الطبعة الرابعة ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب:

Who Paid the Piper?

CIA and the Cultural Cold war

by: Frances Stonor Saunders

Copyright ©1999 Frances Stonor Saunders

First published in Great Britain by

Granta Books 1999

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

من الذى دفع للزمّار؟

الحرب الباردة الثقافية

المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب

تأليـــف: فرانسيس ستونر سوندرز
ترجمـــة: طلعـــت الشـــايـــب
تقديـــم: عـاصـــم الدســـوقى

٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠١٠٨ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 6 - 241 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

أى حظ أو قدر يسوقك
هنا فى أسفل قبل اليوم الأخير ؟

ومن هذا الذى يدلك على الطريق ؟ "

وأجبته : هناك فى الحياة الهادئة ، فوقنا

فى العالم الأعلى ...

ضللت فى واد قبل أن تكتمل منى السن "

جحيم "دانتى "

النشيد الخامس عشر.

(ترجمة حسن عثمان)

أعرف أن ذلك سر ...

لأنهم يتهامسون به فى كل مكان !

وليم كونجريف

"الحب للحب "

الفهرست

– تقديم د. عاصم الدسوقى ١١
– شكر وعرفان ١٩
– مقدمة ٢٣
– جثة هامدة ٢٩
– اختيار القدر ٥٥
– ماركسيون فى فندق "والدورف" ٦٩
– الإعلام الديمقراطى ٨١
– الفكرة تتحول إلى حملة ٩٩
– عملية "المنظمة" ١١١
– مجرد "بونبون"! ١٣١
– ذلك المهرجان الأمريكى ١٣٩
– الكونسورتيوم (الاتحاد الكبير) ١٥٥
– حملة الحقيقة ١٧٣
– إجماع جديد ١٨٥
– المجلة X ١٩٣
– الرعب المقدس ٢١٧
– الموسيقى والحقيقة ٢٣٩
– صبية " رانسوم" ٢٦١
– شخبطة اليانكى ٢٧٩
– الوصاية على الأخلاق والقيم ٣٠٧
– عندما تتعلم الأسماك أن تصفر ٣٣١
– كعب "أخيل" ٣٤٣
– "ناتو" ثقافى ٣٥٥
– قيصر الأرجنتين ٣٧٣
– أصدقاء القلم ٣٨٩
– خليج الخنازير .. الأدبى ٣٩٩
– المنظر من " رامپارتس" ٤١١
– ذلك الشعور بالكرب والاكتئاب ٤٢١
– صفقة خاسرة ٤٣٧
– الخاتمة ٤٤٧
– الهوامش والمصادر ....
– ببليوجرافيا مختارة ....

تقديم

الولايات المتحدة الأمريكية وتسييس الثقافة

د. عاصم الدسوقى

في أعقاب ضرب الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور باليابان ١٩٤١ بعد حوالي عامين من اندلاع الحرب العالمية الثانية، شعرت الحكومة الأمريكية بالخطر الذي يحدق بمصالحها الأساسية فبادرت بإنشاء «مكتب الخدمات الاستراتيجية» الذي يضم عناصر ذات مهارات تدريبية عالية تم اختيارها من أبناء الأرستقراطية التي تمثل الصفوة الحاكمة، ومهمتها اكتشاف الخطر قبل وقوعه والتخلص من مصدره بوسيلة أو بأخرى حسب مقتضى الحال وفي إطار براجماتية الغاية تبرر الوسيلة، وكان كل عضو من أعضاء هذا المكتب يحمل حقيبة صغيرة بها بندقية قصيرة وعدد من القنابل اليدوية وبعض العملات الذهبية وحبة دواء قاتلة لتنفيذ عمليات قذرة. وبعد انتهاء الحرب ألغى «ترومان» هذا المكتب (سبتمبر ١٩٤٥) قائلا: إنه لا يريد في وقت السلم شيئا يشبه الجستابو الألماني.

ولكن سرعان ما تغيرت نظرة «ترومان» لمثل هذه الأفكار والأعمال، ذلك أن هزيمة الفاشية لم تكن تعني نهاية الصراع العالمي، بل كانت تعني تخلص المعسكرين العالميين (الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي) من نقيض ثالث كان يمثل خطرا حقيقيا على كل منهما ألا وهو الفاشية- النازية.

وهكذا والعالم مشغول بمداواة جرحى الحرب وجمع أشلاء القتلى والمرور من تحت أقواس النصر والوقوف حدادا على الشهداء، كانت الحكومتان السوفيتية والأمريكية تعيدان النظر في ترتيب أوراق الصراع والبحث في كيفية الهيمنة على العالم عن طريق زيادة مساحة الأنظمة التابعة أو المؤيدة أو المتعاطفة.

وأسرع الاتحاد السوفيتي بضم دول شرق أوروبا التي حررها من الاحتلال النازي إلى جانبه، وشرع في تدعيم الأحزاب الشيوعية في العالم لمجابهة الإمبريالية العالمية. أما الولايات المتحدة فقد عملت على استعادة الحالة الطبيعية بينها وبين أوروبا بأسرع ما يمكن فخففت وجودها العسكري هناك، وعقدت معاهدات صلح مع الدول التي تحالفت مع ألمانيا (إيطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر)، وشرعت في احتواء كل أوروبا، وبدأت تخطط لاستعادة شرق أوروبا من دائرة النفوذ السوفيتي. ومن هنا

كان مبدأ ترومان فى مارس ١٩٤٧ ومشروع مارشال الذى يتلخص فى تقديم مساعدات اقتصادية لأوروبا الغربية وخاصة للدول المهددة بأزمة اقتصادية حتى لا تسقط فى يد الأحزاب الشيوعية (كانت اليونان وتركيا أول من حصل على المساعدة الأمريكية). وهنا أعرب الاتحاد السوڤيتى عن استيائه من هذا التوجه الأمريكى ووصفه «باستعمار الدولار»، وأعلن فى خريف ١٩٤٧ عن تأسيس «الكومينفورم» وهى منظمة للمبادئ الشيوعية حلت محل الكومينتيرن.

ثم خطت الحكومة الأمريكية خطوة أكبر عندما أعلن «ترومان» برنامج النقطة الرابعة (٢٠ يناير ١٩٤٩) لتأييد السلام العالمى وفق محاور أربعة: التأييد المطلق للأمم المتحدة، وكسب الشعوب بالعمل على الإصلاح الاقتصادى، وتقوية الأمم التى تعادى الكتلة الشيوعية، وتقديم المعونات لتحسين أحوال مختلف بلاد العالم، وكل هذا فى حماية حلف الأطلنطى. ومن يتأمل هذه المحاور الأربعة يجد أن صياغتها جاءت لتضمن للحكومة الأمريكية تنفيذ خططها تحت مبادئ عامة يصعب الاختلاف بشأنها تبدو وكأنها إنسانية لصالح البشرية جمعاء فضلا عن أن هذه المبادئ ما تزال تحكم التوجهات الأمريكية إزاء كل الأزمات العالمية، فهى تعمل على تحويل اقتصاديات مختلف الدول إلى الاقتصاد الحر تحت شعار الإصلاح الاقتصادى، وتستخدم الأمم المتحدة لتدوير الزوايا الحادة التى تبرز فى السياسات الدولية حتى لا يتهدد توازن القوى الذى صنعته، وتعمل على تأديب الذين يخرجون عن سيطرتها بوسيلة أو بأخرى. وفى مقابل هذه التوجهات الأمريكية كون الاتحاد السوڤيتى حلف وارسو وأقام منظمة الكوميكون (سوق اقتصادية اشتراكية). وهذا الجدل المتبادل بين المعسكرين هو ما كان يعرف بالحرب الباردة التى يؤرخ لبدايتها بعام ١٩٤٧ حين أخذ كل من المعسكرين يطارد بعضهما بعضا فى العالم الثالث حيث الانقلابات والحروب الإقليمية، وفى أروقة الأمم المتحدة حيث يعمل كل منهما على تعطيل مشروعات الآخر باستخدام حق الڤيتو.

على أن الحكومة الأمريكية أدركت مبكرا أن مشروع مارشال والنقطة الرابعة لا يكفيان وحدهما لإزالة الشيوعية من طريق الرأسمالية، إذ لم يكن مضمونا أن الدول التى تتلقى مساعدات اقتصادية أمريكية يمكن أن تتخلى تلقائيا عن الاشتراكية. ومن هنا اتجهت السياسة الأمريكية إلى تصويب ضرباتها على جبهة الثقافة العريضة بما تشمله من أفكار وفنون وآداب وعلوم وكل ما يتعلق بالكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية فى محاولة متواصلة لتغيير أذهان الشعوب وتشجيعها على كراهية الشيوعى بتقديم النموذج الرأسمالى الأمريكى ثقافيا بأبعاده فى الحرية

الفردية، والعمل على استزراعه فى مختلف البيئات، وبمعنى آخر: يد تقدم الخبز ويد تقدم ثقافة دولة الخبز فيحدث التحول التدريجى من الثقافة الشيوعية إلى الثقافة الرأسمالية.

وفى يولية ١٩٤٧ أنشأت الحكومة الأمريكية جهاز المخابرات المعروف اصطلاحا بالـ C.I.A ليتولى الجانب الثقافى فى الحرب الباردة. وقد تكون الجهاز فى الأساس من بعض أعضاء «مكتب الخدمات الاستراتيچية » الذى قام «ترومان» بحله كما سبقت الإشارة فى سبتمبر ١٩٤٥ وأبرزهم آلان دالاس الذى كان قد كون فى نيويورك- بعد تصفية المكتب- مركزا للخدمات الخاصة ومعه كيرميت روزفلت وهما من أبرز أسماء جهاز المخابرات.

وكان أول أعمال هذا الجهاز تكوين واجهة ثقافية يعمل من خلالها «لتحصين العالم ضد وباء الشيوعية وتمهيد الطريق أمام مصالح السياسة الأمريكية فى الخارج» فكان «الكونسورتيوم» الذى يضم مجموعة من الراديكاليين ممن تحطم إيمانهم بالشيوعية وأصابهم الاحباط بسبب سياسات «ستالين» القمعية. وتتلخص الخطة فى أن يقوم هؤلاء أنفسهم بنقد الشيوعية من خلال مختلف الوسائط: كتابة مقال أو إلقاء محاضرة عامة أو كتابة رواية أدبية أو عمل مسرحى، على أن يدور خطابهم حول ما الذى جعلهم يعتنقون الشيوعية؟ وما الذى جعلهم يتوبون عنها؟. والمعنى من وراء ذلك: أن تتم محاربة الشيوعية بواسطة شيوعيين انشقوا على الشيوعية حتى يكون خطابهم أكثر إقناعا من خطاب عناصر رأسمالية عادية سوف يفهم حديثهم على أنه دعاية مضادة للشيوعية.

وعندما افتتح السوڤييت بيتا للثقافة فى برلين لبناء ثقافة شيوعية هناك أسرع الأمريكيون بافتتاح المراكز الثقافية فى مختلف بلاد العالم لتقديم الثقافة الأمريكية من خلال عروض السينما وحفلات الموسيقى والمعارض الفنية والمحاضرات العامة وإرسال فرق موسيقية من زنوج أمريكا لتغيير المفهوم الشائع عن العنصرية الأمريكية. وأعطيت لجهاز المخابرات صلاحيات هائلة ومطلقة ليفعل ما يشاء من أجل حماية الصورة image الأمريكية التى ترسمها وسائل الدعاية والإعلام فى خيال الآخرين. ثم تقرر (فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٧) أن يستخدم الجهاز الأنشطة النفسية السرية لدعم السياسة الأمريكية بما فى ذلك التخريب والتدمير بالانقلاب والاغتيالات ومساعدة حركات المقاومة السرية والمعارضة السياسية فى الدول المعادية للولايات المتحدة بشكل متقن لا تظهر معه أى مسئولية للحكومة الأمريكية. ثم حصل الجهاز (١٩٤٩) على حق إنفاق الأموال اللازمة لتمويل نشاطه دون تقديم بيانات عن أوجه الصرف حتى لا يُترك مستند يدل على دور للحكومة.

وقد عمل جهاز المخابرات على تجنيد عناصر له فى مختلف الأجهزة الأمريكية السيادية منها والعامة ابتداء من البنتاجون وانتهاء بالشركات الخاصة ومرورا بالكونجرس ومجلس الشيوخ والدبلوماسيين والمحامين ومراكز البحوث بالجامعات وخارجها واتحادات الطلاب والخطوط الجوية ومحطات الإذاعة والتليفزيون والصحف.

وكانت باكورة الأعمال الثقافية المنظمة للجهاز كشف الشيوعيين الأمريكيين أولا وتعريتهم أمام مجتمعهم. وجاءت الفرصة عندما قرر الكومينفورم السوفيتى (٢٥ مارس ١٩٤٩) تنظيم مؤتمر فى فندق والدورف أستوريا بنيويورك بجهود الشيوعيين الأمريكيين بغية التلاعب بالرأى العام الأمريكى فى عقر داره. والتقطت المخابرات الأمريكية الفرصة وتغلغلت فى المؤتمر ولعبت به بمشاركة الشيوعيين «التائبين» ومن ثم رصدت بسهولة الشيوعيين الأمريكيين وأكثرهم شهرة آنذاك الممثل شارلى شابلن ومارلون براندو.

وفى المقابل أعدت المخابرات الأمريكية قوافل من الموسيقيين فى جولة حول العالم لتقديم الذوق الأمريكى، وإعادة عرض التراث الموسيقى العالمى بوجهة نظر أمريكية، فمثلا أوبرا ريجوليتو يعاد إعدادها بصياغة معادية للفاشية على المسرح الألمانى، ويمنع عرض مسرحية «يوليوس قيصر» لأنها تمجد الديكتاتورية، وكذا مسرحية تولستوى «الجثة الحية» لأنها نقد اجتماعى يخدم أهدافا غير رأسمالية، ويتكون أوركسترا برلين الفلهارمونى ليكون حصنا واقيا ضد «الشمولية» السوفيتية بما يقدمه من معزوفات خارج القوالب الموسيقية الشائعة وفى ذلك معانى الحرية والتحرر إلى غير ذلك من الوسائل والواجهات للتخلص من كل أثر للنازية.

وفى مايو ١٩٤٩ شكلت المخابرات «اللجنة القومية من أجل أوربا الحرة» لاستخدام المهارات المتنوعة لليهود الشرقيين فى المنفى من أجل تطوير برامج تتصدى بنشاط للسيطرة السوفيتية، وكان من أعضائها شخصيات بارزة فى مجلات متنوعة منها على سبيل المثال المخرج السينمائى سيسيل دى ميل وداريل زانوك، والممثل رونالد ريجان (الرئيس الأمريكى فيما بعد) والعسكرى أيزنهاور (الرئيس الأمريكى فيما بعد).

ولإحكام الحصار على الشيوعية والشيوعيين فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وفى العالم قامت المخابرات الأمريكية فى ١٩٥٠ بتأسيس منظمة ثقافية جديدة باسم «منظمة الحرية الثقافية» تحولت فى عام ١٩٦٧ إلى «الاتحاد الدولى للحرية الثقافية». وقامت هذه المنظمة بإنشاء فروع لها فى خمس وثلاثين دولة تم اختيارها

بعناية أصدرت أكثر من عشرين مجلة ذات تأثير كبير، وقامت بتنظيم المعارض الفنية والحفلات الموسيقية بهدف تكسير الوعي بالشيوعية عند المثقفين لكي يتواصل الجميع مع الأسلوب الأمريكي فى الحياة.

ومن خلال «منظمة الحرية الثقافية» هذه تعددت أنشطة جهاز المخابرات الأمريكية إذ نجح فى إقامة مختلف الواجهات الفكرية والإعلامية والفنية والتجارية لخدمة أغراض مواجهة الشيوعية والعمل على اجتثاث جذورها وفرض النموذج الأمريكى فى الحياة. ومن ذلك تكوين قسم المنظمات الدولية داخل المنظمة بهدف توحيد المثقفين السوفيت ضد ما كان يقدم فى بلادهم من كتابة وفن وموسيقى موجهة، وتشجيعهم على حرية التعبير فينمو بذلك التيار المعادى للدولة الشيوعية من داخلها.

وفى هذا الإطار صدرت فى ١٩٥٢ مجلات: كومنترى، ونيوليدر، وپارتيزان ريڤيو، وفى ١٩٥٣ صدرت مجلة العلم والحرية ومجلة إنكاونتر استكتب فيها أسماء لامعة ومشهورة مثل المؤرخ أرنولد توينبى والفيلسوف برتراند راسل وهربرت سپنسر وكلها مجلات ضد الشيوعية. وخارج أمريكا كانت المخابرات وراء إصدار عدة مجلات ثقافية ترمى جميعها بأسلوب غير مباشر لتشويه الشيوعية وشهد عام ١٩٥٥ إصدار مجلات : سوڤيت سيرڤى يرأسها وولتر لاكير، وتيمپو برزنت بإيطاليا، وكوادرات فى أستراليا وكويست Quest فى الهند وجييو Jiyu فى اليابان وهكذا. وتم الاستعانة بمؤسسة فورد لتنفيذ مشروعات مشتركة بواسطة الجامعيين وكذا مؤسسة روكفلر التى كان هنرى كيسنجر أحد خبرائها.

ولقد بلغت سيطرة المخابرات الأمريكية على مجمل الحياة الثقافية درجة مخيفة عندما نجح السيناتور مكارثى فى تكوين لجنة داخل الكونجرس خاصة بالنشاط المعادى لأمريكا تمكنت من تمرير مشروع قانون بالرقابة على الثقافة (١٠ يولية ١٩٥٢) مما أوجد جوا مشابها لأجواء الثورة الفرنسية حين كان الفرنسيون يؤخذون بالشبهات إلى المقصلة، ولكن فى حالة الولايات المتحدة فإن المشتبه فى شيوعيته بأى درجة من الدرجات ينتهى أمره بتدمير حياته ومستقبله وربما تدفعه للانتحار عندما تضيق أمامه سبل الرزق. وعلى سبيل المثال كان الروائى الشهير إرنست هيمنجواى يخضع لمتابعة إدارة التحقيقات الأمريكية F.B.I لدرجة أنه أصيب بالاكتئاب وعندما ذهب لعيادة نفسية فى مينوسوتا قبيل انتحاره طلب أن يسجل نفسه تحت اسم آخر لكن الطبيب اتصل بإدارة التحقيقات ليأخذ تصريحا بذلك (راجع هنا كتاب: أصول اليسار الأمريكى لمؤلفه تيودور دريبر ومن ترجمتنا).

كما نجحت لجنة النشاط المعادى لأمريكا بالكونجرس (١٤ يونية ١٩٥٤) فى أن تضيف لقسم الولاء لأمريكا عبارة «أمة واحدة تحت راية الرب..» فى إطار توظيف الإيمان فى مواجهة الشيوعية.

وكانت «منظمة الحرية الثقافية» وراء عدم فوز شاعر شيلى الشهير نيرودا بجائزة نوبل لعام ١٩٦٤ ولم يفز بها إلا فى عام ١٩٧١ حين كان سفيرا فى فرنسا لحكومة سلقادور الليندى «الموالية» للديموقراطية، ومع هذا قتلته المخابرات الأمريكية بعد فوزه بعامين.

وفى منتصف الستينيات من القرن العشرين والحرب الباردة فى عنفوانها كان لنادى القلم الدولى PEN ٧٦ فرعا فى ٥٥ دولة وبذلت المخابرات الأمريكية كل ما تستطيع من جهد لتحويله إلى منبر لخدمة المصالح الأمريكية. وأكثر من هذا فان متحف الفن الحديث فى نيويورك خضع للمخابرات حيث كان يعرض أعمالا متحررة من القواعد الفنية المتعارف عليها باعتبار أن التحرر من القوالب والوقوف إلى جانب التعبير التجريدى يعد رمزا للديموقراطية.

إن ما فعلته المخابرات الأمريكية فى عالم الفن والأدب لإعادة بناء البنية الثقافية فى العالم بما يؤدى إلى كراهية الشيوعية والسعى وراء النموذج الأمريكى يؤكد سرعة الثقافة فى التأثير على الوعى وعلى الوجدان من خلال الرواية الأدبية والدراما فى السينما والتليفزيون والمعارض الفنية والحفلات الموسيقية، بحيث يتم تدريجيا التخلى عن نمط قديم واكتساب نمط آخر خاصة إذا كان هذا الآخر يركز على الحريات المطلقة دون ضوابط مقابل القيود القائمة فى الشرق الشيوعى. وهكذا عندما سقط حكم الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الشرقية وكذا فى الاتحاد السوڤيتى لم يجد هذا السقوط مقاومة من الجماهير التى كانت تتشرب على مدى أكثر من أربعين عاما وبالتدريج ثقافة معادية للشيوعية تداعب غرائز التملك والتفرد والتفوق والأنانية فأثبت هذا فى النهاية أن تغيير نمط فى السلوك والفكر أقوى تأثيرا من تغيير نمط الإنتاج الذى تعول عليه الماركسية.

والحق أن التغير فى الثقافة هو ما يراهن عليه النظام العالمى الجديد المعروف بالجلوبالية globalism، الذى أعلنه الرئيس الأمريكى «بوش» الأب أثناء حرب الخليج الثانية ١٩٩١ وأداته الرئيسية منظمة التجارة العالمية W.T.O التى أنشئت فى يناير ١٩٩٥ ولا تقتصر مهمتها على مبدأ حرية التجارة كما كانت مهمة اتفاقية الجات من قبل، وإنما أضيف لبرنامجها مبدأ الحرية الثقافية أى حرية الإنسان فى أى مكان فى تعاطى ما يريده وما يرغبه من ألوان الثقافة دون حظر رقابى من حكومته. والهدف

تحويل العالم كله إلى النموذج الأمريكى دون إحساس بالدونية. وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تتحفظ على هذا الجانب فى منظمة التجارة العالمية حفاظا على ثقافتها من التحلل والذوبان فى النمط الأمريكى.

وأذكر فى هذا الخصوص أن «بونابرت» ذلك المستشرق الفرنسى ورجل الحرب كان منتبها لأهمية الثقافة فى تغيير السلوك، إذ نراه بعد أن يغادر مصر فى العام التالى للحملة يرسل إلى خليفته «كليبير »يطلب منه انتقاء حوالى خمسمائة من الصفوة الاجتماعية فى مصر وإرسالهم إلى باريس للبقاء فترة يتعرفون خلالها على الحياة الثقافية فى فرنسا يعودون بعدها محملين بهذه الثقافة ويعملون على نشرها فكرا وسلوكا فيتم الاستيعاب والتوحد وتزول مشاعر الغربة والاغتراب.

إن كتاب «الحرب الباردة الثقافية» عن دور المخابرات الأمريكية فى عالم الفنون والآداب لمؤلفته «فرانسيس ستونر سوندرز» جدير بالقراءة، لأنه يكشف ستر مواقف وتحولات فى عالم الثقافة كان مثقف الستينيات الملتزم فى مصر يرقبها فاغرا فاه دون أن يدرى أسبابها، وحسنا فعل المجلس الأعلى للثقافة بترجمته التى جاءت سلسة يسيرة على يد طلعت الشايب.

شكر وعرفان

كانت كتابة هذا العمل بالنسبة لى رحلة تشرد طويلة ، وأنا أجر ورائى متاعى الكئيب من الصناديق والملفات من مكان إلى آخر. ويطيب لى أن أتوجه بالشكر إلى كل من: "اليزابيث كارت رايت – هيجنت Elizabeth Cartwright - Higgnettt" و"فرانك دبل – Frank Dabell" و"نيك هيور – Nick Hewer" و"ايرثا كيت – Ertha kitt" و"هيرميون لابرون– چونسون – Hermione Labron Johnson" وكلوديا ومارسيللو سالوم – Claudia and Marcello Salom" الذين شملونى بمودتهم، وتحملونى بهذه الغنيمة من المادة الأرشيفية، وهيأوا لى الفرصة لكى أعمل دونما إزعاج. كما أود أن أعبر عن امتنانى الشديد لكل من آن "پاسترناك سلاتر – Ann Pasternak Slater" و"كريچ راينى Craig Raine" لدعمهما المستمر، وثقتهما الغالية، بفضلهما التقيت بـ "بن سوننبيرج Ben Sonnenberg" فى نيويورك والذى أدين له بصداقته الرحبة، وقد ساعدتنى "آن پاسترناك سلاتر –Ann Pasternak Slater" بأن مهدت لى الطريق بكتابة رسالة توصية أعانتنى كثيرا. كما ساعدتنى "كارمن كاليل –Carmen Callil" فيما بعد– على كتابة هذا العمل، وكانت عوناً ملهما لى بفضل ثقتها الغالية، فى وقت كنت قد فقدت فيه تقريبا كل ثقة فى نفسى. أما "چاى ويسبيرج – Jay Weissberg" فقد قدم لى من العون ما أعجز عن تقديره، وقل ان ألتقى نظيره كمؤرخ سينمائى، ولا فى سعة علمه ومعارفه، كما أقدم المزيد من الشكر والعرفان لأولئك الذين أصبحوا شركاء لى فى مشروع اكتنفته بعض المصاعب لكنهم واصلوا معى تلك الرحلة الصعبة دون أن يفقدوا روحهم المرحة. وأخص بالذكر محرر أعمالى "نيل بلتون --Neil Belton" ووكيلة أعمالى "فيليسيتى روبنشتاين– Felicity Rubinstein" وجميع العاملين فى دار نشر "جرانتا"، ومحررة المسودة "چين روبرتسون Jane Robertson"، و"چيرمى بجلر – Jeremy Bugler" و"تونى كاش Tony cash" و"تونى كاريو – Tony Carew" و"لورانس سيما نوفيتش Lawrence Simanowitz" و"أندريه شيفرن – Andre Schiffrin" من "نيوپرس" و"ميلفن والف – Melvin Wulf" من "بلدوك"، "ليفاين وهوفمان" كما أننى مدينة بأكبر مما تعبر عنه الكلمات لكل من: "مادونا بنيامين – Ma-donna Benjamin" و"زوى هيلر – Zoe Heller" و"كونراد رويبر – Conrad Roeber" و"دوميتللا رافو – Domitilla Ruffo" و"روچر ثورنهام – Roger Thornham" و"مايكل

وايلد – Michael Wilde" ولولا أمى "چوليا ستونر – Julia Stonor" وأخى "الكساندر ستونر سوندرز – A. exander Stonor Saunders" لمضت حياتى خارج هذا الكتاب فى طريق مسدودة، *لهم جميعا فائق شكرى وعظيم امتنانى، وإليهم أهدى هذا العمل:* لتشجيعهم المتواصل ومساندتهم المستمرة.

عندما بدأت بحثى فى موضوع الحرب الباردة الثقافية كانت لدى آمال كبار للإفادة من الإعلان الأمريكى لحرية الحصول على المعلومات، والمؤكد أنه فى ظل هذا الإعلان نفسه كان ما يعتبر وثائق حكومية قد أصبح متاحا للباحثين لكى يطلعوا عليه، الأمر الذى أثرى الدراسات الحديثة الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالى – FBI ولكن الحصول على معلومات من المخابرات المركزية الأمريكية - CIA قصة أخرى.

الطلب الأول الذى قدمته إليهم فى عام ١٩٩٢ لم يردوا عليه. ثم تقدمت بطلب آخر بالرغم من تحذيرى من أن التكلفة التى كان على أن أتحملها لقاء تزويدى بالسجلات التى طلبتها ستصل إلى ثلاثين ألف دولار، وبالرغم من أن منسق مكتب المعلومات السرية فى وكالة المخابرات راح يشرح لى أن فرص نجاح الطلب الذى تقدمت به كانت صفر تقريبا، إلا أننى لم أقلق كثيرا. إعلان حرية الحصول على المعلومات هو ما يباهى به كثيرا المؤرخون البريطانيون، الذين يواجهون فى الحقيقة تحديات أكبر فى أبحاثهم المتعلقة بهذا الموضوع، أما تطبيقه على الأقل فيما يتعلق بالمخابرات المركزية الأمريكية فهو أمر مؤسف. بيد أن ما يعوض ذلك هو وفرة الوثائق الموجودة فى حوزة أشخاص. من الناحية التاريخية، كانت الإدارات الأمريكية المتوالية موزعة فى القطاع الخاص، وفى مرحلة الحرب الباردة – بخاصة – كانت السياسة الخارجية الأمريكية شراكة بين الإدارات الحكومية وما يشبه اتحاداً من الأشخاص والهيئات شبه الحكومية، الذين كانوا يعملون لحساب أنفسهم، هذه التجزئة حتى فى العمليات السرية أو الغامضة هى التى أكدت – على العكس – أن تلك العمليات بالإمكان تفحصها وتدقيقها. فالقصة بكاملها موجودة هناك، وهى أمام كل من لديه الاستعداد لأن ينزل بصنارته للصيد فى بحار الأوراق الخاصة الممتدة عبر الأرشيف الأمريكى.

إن أى عمل يعتمد بقوة على هذه المادة الأرشيفية، لابد من أن يكون مدينا بالفضل للعاملين فى ذلك الأرشيف وفى المكتبات، أولئك الذين يقودون خطى الباحثين ويرشدونهم بمهارة فى دهاليز الوثائق، أولئك الناس يقدمون لنا الدعائم الأساسية التى يرتفع عليها بيت التاريخ. أقول ذلك وإن كنت أسارع لكى أضيف أن مسئولية أى عيب معمارى أو نقص فى البناء، إنما تقع على عاتق المؤرخ. كما أقدم خالص شكرى

لهيئة العاملين فى مكتبة "تاميمنت – Tamiment"فى نيويورك، ومكتبة "چوزيف ريچنشتاين – Joseph Regenstein" فى "شيكاغو"، ومكتبة "دوايت د. ايزنهاور – Dwight D.Isenhower" فى "أبيلين"، والأرشيف القومى فى "واشنطن"، ومكتبة "بتلر – Butler" فى جامعة كولومبيا، ومركز "چورج مينى – George Meany" فى واشنطن، ومركز "هارى رانسوم – Harry Ransom" لبحوث الإنسانيات، ومكتبة "ليندون باينس چونسون – Lyndon Baines Johnson" فى "أوستن" – "تكساس"، ومكتبة "چون. اف. كينيدى – John F. Kennedy" فى "بوسطن"، ومكتبة "هارى. اس. ترومان – Harry S. Truman" فى "إنديندنس" كما أود أن أشكر العاملين فى أرشيف مكتب السجلات العامة فى "لندن"، ومكتبة جامعة "ريدنج" ، والعاملين فى مكتبة "لندن".

لقد وافق كثيرون على إجراء مقابلات معهم من أجل هذا الكتاب، وتحملوا عبء زياراتى المتكررة لهم واتصالاتى التليفونية بهم، ورسائلى العديدة إليهم سواء بالفاكس أم بالبريد... تحملوها جميعا بمودة بالغة وصبر جميل. شكرى وامتنانى لهم جميعا، كما أخص بالذكر "ديانا چوسلسون – Diana Josselson" التى لم تبخل علىّ بوقتها، والتى أضفت على هذا الكتاب قيمة إضافية بفضل ذاكرتها الحية، ودعمها الكبير، والصور الكثيرة التى قدمتها لى من مجموعتها الخاصة.

مقدمة

" أفضل طريقة لعمل دعاية ناجحة ،
هى ألا يظهر عليك
أبدا أنك تعمل شيئا ... "
ريتشارد كروسمان

بينما كانت الحرب الباردة فى أوجها، كرست حكومة الولايات المتحدة الأمريكية موارد واسعة من أجل برنامج سرى للدعاية الثقافية فى أوروبا الغربية. كان أحد الملامح الأساسية لهذا البرنامج هو الحرص الشديد على أن يبدو كأن لا وجود له، أما الذى يديره فكانت ذراع التجسس السرية لأمريكا، أو وكالة المخابرات المركزية – CIA هذه الحملة السرية كان ركيزتها هى منظمة الحرية الثقافية– Congress For Cultural Freedom، التى كان يديرها رجل المخابرات الأمريكية "مايكل جوسلسون" – Michael Josselson" فى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٧ وفى قمة ازدهارها، كان لمنظمة الحرية الثقافية مكاتب فى ٣٥ دولة، ويعمل بها عشرات الموظفين، وتصدر أكثر من ٢٠ مجلة ذات نفوذ، وتنظم المعارض الفنية وتمتلك مؤسسات إعلامية، وتعقد مؤتمرات دولية تحضرها شخصيات بارزة، وتكافئ الفنانين والموسيقيين بالجوائز، وترعى معارضهم وحفلاتهم. كانت مهمتها الرئيسية هى أن تنبيه المثقفين فى أوروبا الشرقية لكى تفيقوا من بقايا افتتانهم الكسول بالماركسية والشيوعية، وتوجيههم نحو رؤية أكثر توافقا مع "الأسلوب الأمريكى".

معتمدة على شبكة واسعة وشديدة التأثير من رجال المخابرات وخبراء الاستراتيجية السياسية، والمؤسسات الرسمية والروابط الدراسية القديمة فى الجامعات، بالاعتماد على ذلك كله بدأت وكالة المخابرات المركزية الرعناء منذ عام ١٩٤٧ فى بناء كونسورتيوم (اتحاد) Consortium له واجب مزدوج: تحصين العالم ضد وباء الشيوعية، وتمهيد الطريق أمام مصالح السياسة الخارجية الأمريكية فى الخارج. وكان من نتيجة ذلك، أن تكونت شبكة محكمة من البشر الذين يعملون بالتوازى مع الوكالة للترويج لفكرة مؤداها أن العالم فى حاجة إلى "سلام أمريكى pax Americana وإلى عصر تنوير جديد، وأن ذلك سوف يسمى بـ "القرن الأمريكى".

"الكونسورتيوم" الذى بنته المخابرات المركزية – CIA، والذى كان مكونا حسب وصف "هنرى كيسنجر – Henry Kissingr" من "أرستقراطية مكرسة لخدمة هذه الأمة وبشكل أكبر من مجرد المناصرة"، وكان ذلك "الكونسورتيوم" هو السلاح السرى فى الصراع الأمريكى أثناء الحرب الباردة، وهو سلاح له نتائج واسعة فى ميدان الثقافة. وسواء أكان يروق لهم أم لا يروق، وسواء أكانوا على علم به أم لا، فإن قلة فقط من الكتاب والشعراء والفنانين والمؤرخين والعلماء والنقاد فى أوروبا بعد الحرب، هم الذين لم تكن أسماؤهم مرتبطة على نحو أو آخر بتلك المؤسسة السرية. مؤسسة التجسس الأمريكية هذه، ظلت تعمل دون أن يُكتشَفَ أمرها ودون منافسة على مدى ما يزيد من عشرين عاما، وظلت تدير جبهة ثقافية معقدة، مدعومة على نحو كبير، جبهة فى الغرب ومن أجل الغرب باسم حرية التعبير. وبتعريفها للحرب الباردة بأنها "معركة من أجل الاستيلاء على عقول البشر"، قامت تلك الجبهة بتكريس ترسانة من الأسلحة الثقافية: صحف، كتب، مؤتمرات، ندوات، معارض، حفلات موسيقية، جوائز.. إلخ.

كانت عضوية ذلك "الكونسورتيوم" تضم مجموعة من الراديكاليين السابقين ومثقفى اليسار الذين تحطم إيمانهم بالماركسية والشيوعية بعد أن أسفرت الشمولية الستالينية عن وجهها. كان تحررهم من الوهم الذى خرج من عقد الثلاثينيات الوردى، والذى نعاه "آرثر كويستلر – Arthur Koestler" كثورة مجهضة للروح ، ونهضة مخفقة وفجر تاريخ زائف"(١)، كان ذلك التحرر يصاحبه استعداد للانضمام إلى إجماع جديد، لتثبيت نظام جديد بديل عن قوى الماضى الضائعة. أما تقليد "المنشق الثورى" الذى يقوم فيه المثقفون بسبر أغوار الأساطير ومساءلة الامتيازات المؤسسية، وإزعاج رضا السلطة الذاتى.. كل ذلك تأجل لصالح دعم "الطرح الأمريكى – The Americn Proposition". هذه المجموعة غير الشيوعية ممولة ومدعومة من مؤسسات قوية أصبحت أشبه باتحاد أو تكتل فى الحياة الثقافية للغرب، مثلما كانت الشيوعية تماما قبل سنوات قليلة. (كانت المجموعة تضم عددا كبيرا من نفس الأشخاص).

يقول "شارلى سيترين – Charlie Citrine" الراوى فى "موهبة همبولت" رواية الكاتب الأمريكى "صول بيلو – Saul Bellow": ثم جاء وقت كانت تبدو فيه الحياة وكأنها قد فقدت قدرتها على تنظيم نفسها. كان لابد من أن تنظم. واعتبر المثقفون أن ذلك واجبهم. قل مثلا منذ "ماكياڤيللى" إلى وقتنا هذا. وهذا التنظيم هو المشروع الرائع والمراوغ والمضلل ومسبب الكوارث. رجل مثل "همبولت"... ملهم وداهية وغريب الأطوار، كان يتيه باكتشافه أن المؤسسة الإنسانية الواسعة والمتنوعة، هذه المؤسسة كان لابد الآن من أن يديرها أشخاص استثنائيون. وكان هو شخصا استثنائيا. من

هنا كان مرشحا مؤهلا للسلطة بجدارة. حسن ! ولم لا؟"(٢)، ومثل كثيرين من الذين يشبهون "همبولت"، فإن أولئك المثقفين الذين خذلهم إله الشيوعية الزائف وجدوا أنفسهم آنذاك وجها لوجه أمام إمكانية "قيمر" جديدة ، "قيمر أمريكية"، وإذا كانت الحكومة – وذراعها السرية المخابرات المركزية – CIA على استعداد للمساعدة في هذا المشروع... فلم لا؟

أولئك اليساريون السابقون كان لابد من تجميعهم ودمجهم معا فى هذه المؤسسة نفسها مع وكالة المخابرات المركزية – CIA، وهو أمر قد يبدو غير قابل للتصديق، كانت هناك مصلحة مشتركة حقيقية، وكان هناك اقتناع بين الوكالة وأولئك المثقفين الذين استؤجروا لكى يخوضوا الحرب الثقافية.. حتى وإن لم يعرفوا ذلك. كتب المؤرخ الأمريكى البارز "آرثر شليزنجر – Schlesinger Arthur": لم يكن نفوذ المخابرات المركزية" "CIA" دائما أو عادة شريرا أو رجعيا"(٣). و"أقول من واقع تجربتى إن قيادتها كانت مستنيرة سياسيا، وشديدة الذكاء"(٤). هذه النظرة إلى المخابرات الأمريكية – CIA كمرفأ لليبرالية ساعدت كثيرا كعامل إغراء على التعاون معها، وربما ساعدت أيضا على قبول فكرة أن الوكالة كانت حسنة الدوافع. بيد أن هذا المفهوم يتعارض مع سمعة الوكالة كجهاز تد خل أحمق، وأداة غير مسئولة فى قوة الحرب الباردة الأمريكية. فقد كانت هى المنظمة التى دبرت قلب حكومة "مصدق" فى إيران فى عام ١٩٥٣، وإسقاط حكومة "آربنز" في جواتيمالا فى عام ١٩٥٤، وعملية "خليج الخنازير" التى سببت كوارث فى عام ١٩٦١، وبرنامج "فوينكس" سيىء الذكر فى فيتنام. لقد تجسست على عشرات الألوف من الأمريكيين، وأزعجت الزعماء المنتخبين ديمقراطيا فى الخارج، ودبرت الاغتيالات، وتبرأت من ذلك كله أمام "الكونجرس"... وأثناء ذلك كله حملت فن الكذب والخداع إلى آفاق بعيدة. فبأى كيمياء غريبة إذن استطاعت المخابرات المركزية" "CIA" أن تقدم نفسها لمثقفين كبار بحجم "آرثر شليزنجر – Arthur Schlesinger" باعتبارها وعاءً ذهبيا لليبرالية المأمولة؟

المدى الذى وصلت إليه مؤسسة التجسس الأمريكية فى تدخلها فى الشئون الثقافية لحلفائها الغربيين، وقيامها كعامل مجهول بتسهيل سلسلة عريضة من النشاط الإبداعى، ووضعها المثقفين وأعمالهم مثل قطع الشطرنج فى اللعبة الكبرى... هذا المدى يظل واحدا من أكثر آثار الحرب الباردة استفزازا. والدفاع الذى يقدمه القيمون على المرحلة – والذى يستند إلى الادعاء بأن الاستثمار المالى الضخم للمخابرات المركزية "CIA" لم يكن له أية صلة مباشرة بسياستها، هذا الدفاع لابد من أن يكون محل ارتياب شديد، ولابد من وضعه موضع المساءلة. هناك استعداد في دوائر المثقفين

فى كل من أمريكا وأوروبا الغربية لتقبل وتصديق فكرة أن المخابرات المركزية الأمريكية "CIA" كانت مهتمة – ليس إلا – بتوسيع الإمكانيات من أجل تعبير ثقافى حر وديمقراطى. إن خط دفاع "الشيك على بياض" هذا، يقول: "لم نفعل سوى أننا ساعدنا الناس لكى يقولوا ما كان يمكن أن يقولوه على أى نحو آخر". وتستمر المحاجة بأنه إذا كان المستفيدون من مساعدات المخابرات المركزية "CIA" يجهلون تلك الحقيقة، وإذا كان سلوكهم بالتالى لم يُعَدَّل فإن استقلالهم كمفكرين بارزين ما كان ليتأثر.

بيد أن الوثائق الرسمية الخاصة بالحرب الباردة الثقافية تقوض هذه الأكذوبة من أساسها، أكذوبة الغيرية. فالأفراد والمؤسسات المُمَولون من المخابرات المركزية – CIA كان المتوقع أن يقوموا بأدوارهم كجزء من حملة إقناع ضخمة فى حرب دعاية، كانت الدعاية فيها تعرف بأنها: "أى جهد أو تحرك منظم لنشر معلومات أو أفكار خاصة عن طريق الأخبار أو طرح قضايا بعينها ثم التخطيط لها وتصميمها بقصد التأثير على فكر وسلوك جماعة معينة.(٥) كانت "الحرب النفسية" أحد المقومات الأساسية فى هذا الجهد، وكانت تعرف بأنها: "الاستخدام المخطط من قبل الدولة للدعاية ولأنشطة أخرى غير القتال؛ بغرض توصيل أفكار ومعلومات تؤثر على آراء وتوجهات وعواطف وسلوك جماعات أخرى، وعلى النحو الذى يدعم تحقيق الأهداف القومية". كما كان يتم تعريف الدعاية الأكثر تأثيرا بأنها تلك التى "يتحرك فيها الشخص المستهدف فى الاتجاه الذى تريد لأسباب يعتقد أنها أسبابه"(٦). والخلاف حول هذه التعريفات لا طائل من ورائه؛ حيث إنها كلها موجودة فى ثنايا وثائق الحكومة الرسمية، الخاصة بالدبلوماسية الأمريكية الثقافية بعد الحرب.

والواضح أن المخابرات المركزية "CIA" بتمويلها وتغطيتها على هذا الاستثمار، كانت تفترض أن ذلك التملق أو المداهنة كان سيقابل بالرفض لو أنه قدم صراحة. فأى نوع من الحرية يمكن أن يسفر عنه هذا الخداع؟ والمؤكد أنه لم يكن هناك أى نوع من الحرية على أجندة الاتحاد السوفيتى أيضا، حيث كان المفكرون والكتاب الذين لم يرسلوا إلى معسكرات "الجولاج"، يتم اصطيادهم لخدمة مصالح الدولة. كان من الصواب بالطبع معارضة هذه "اللاحرية" ... ولكن بأية وسيلة ؟ هل كان هناك أى مبرر حقيقى لافتراض أن مبادئ الديمقراطية الغربية لا يمكن إحياؤها فى أوروبا بعد الحرب طبقا لبعض الآليات الداخلية ؟ أو لعدم افتراض أن الديمقراطية يمكن أن تكون أكثر تعقيدا مما يعنيه تمجيد الليبرالية الأمريكية؟ إلى أى مدى كان مسموحا لدولة أخرى بأن تتدخل سرا فى عمليات التطور الثقافى العضوية الأساسية .. فى

التعبير الحر وحرية تدفق المعلومات؟ ألا ينطوى ذلك علي المجازفة بإنتاج نوع من الحرية التابعة بدلا من الحرية الحقيقية، حيث يعتقد الناس أنهم يتصرفون بحرية بينما هم فى الواقع مكبلون بقوى لا سيطرة لهم عليها؟

إن تورط المخابرات المركزية "CIA" في الحرب الباردة الثقافية يثير أسئلة مزعجة أخرى: هل شوه الدعم المادى عملية تطوير المثقفين وأفكارهم؟ هل كان يتم اختيار الناس بناء على مواقعهم أكثر مما هو بناء على قيمتهم الفكرية؟ وماذا كان "آرثر كويستلر- Arthur Koestler"يعني بهجائه القاسى لـ "شبكة الدعارة الأكاديمية الدولية" بمؤتمراتها الثقافية وندواتها الفكرية؟ هل كان يتم إنقاذ أو تحسين سمعة أولئك المثقفين بعضويتهم فى ذلك التجمع الثقافى برعاية المخابرات المركزية "CIA"؟ وكم من أولئك الكتاب والمفكرين كان من الدرجة الثانية أو من خبراء الدعاية الهامشيين الذين انتهى الأمر بأعمالهم إلى محلات الكتب "المستعملة"؟

في عام ١٩٦٦ نشرت "نيويورك تيمز – New York Times" سلسلة من المقالات التى تكشف العمل السرى الذى قام به أفراد تلك الجماعة المرتبطة بالمخابرات المركزية "CIA"، ومع تدفق التقارير الصحفية والأخبار عن المحاولات الإنقلابية والاغتيالات السياسية – التى فشل معظمها – على الصفحات الأولى، أصبحت المخابرات المركزية "CIA" توصف بأنها الفيل الهائج الذى يدمر ساحة السياسة العالمية المعشبة، فيل هائج لا يردعه أى شعور بالمسئولية. ووسط هذه العمليات الدرامية الفاضحة لسياسة العباءة والخنجر ظهرت تفاصيل كثيرة عن اهتمام الحكومة الأمريكية بكبار مثقفى الغرب لكى تعطى عملياتها ثقلا ثقافيا.

أما الإيحاء بأن الكثير من المثقفين كانت تحركهم إملاءات صانعى السياسة الأمريكية، أكثر مما تحركهم معايير مستقلة خاصة بهم فكان إيحاء يثير الكثير من الاستياء. كانت السلطة المعنوية للمثقفين والحرب الباردة على أشدها، قد أصبحت قليلة الأهمية ومحل سخرية شديدة، كان الإجماع يتداعى والمركز يفقد تماسكه، وهكذا أصبحت القصة كلها مجزأة أو معدلة على أيدى قوى اليمين واليسار، كل منهما يحاول أن يلوى الحقائق لخدمة أهدافه. والمفارقة الساخرة أن تكون الظروف التى مكنت من كشف القصة، هى نفسها التى ساعدت على أن تبدو القصة غامضة. وعندما كانت الحملة الأمريكية المحمومة المعادية للشيوعية فى ڤيتنام تقترب من حافة الانهيار الاجتماعى، ومع الفضائح المتوالية التى كشفتها أوراق "البنتاجون" و"ووتر جيت" كان من الصعب الإبقاء على الاهتمام بالصراع الثقافى والذى كان يبدو شيئا تافها. أو حتى ازدراؤه.

كَتَبَ "أرشيبالد ماكليش Archibald Macleish" يقول: "التاريخ نفسه يشبه قاعة "للكونشرتو" سيئة البناء والتجهيز يوجد بها مواضع "ميتة".. لا يمكن أن تسمع فيها الموسيقى."(٧) وهذا الكتاب يحاول أن يحدد تلك المواضع "الميته". فهو يحاول أن يبحث عن حالة سماع جديدة.. عن نغم غير ذلك الذى يقدمه عازفو المرحلة الرسميون. إنه تاريخ سرى بقدر ما يؤمن بوثاقة الصلة بين الموضوع وقوة العلاقات الشخصية، بين الروابط الخاصة والتواطؤ، وبين دبلوماسية الصالونات والتآمر السياسى. إنه يتحدى ما كان يصفه "جور ڤيدال – Gore Vidal"بأنه "تلك الحكايات الرسمية المتفق عليها من أطراف عدة معنية، لكل منها ألف يوم خاصة يبنى فيها أهرامه ويرفع مسلاته المضللة التى تدعى حساب الوقت بالشمس". إن أى تاريخ يشرع فى مساءلة هذه الحقائق المتفق عليها لابد من أن يصبح – بكلمات "تزفيتان تودوروف Tzvetan Todo-rov" تاريخا عن المجتمعات وتصرفات البشر العاديين، وليس مساهمة فى عبادة الأبطال والقديسين، إنه اقتراب من الحقيقة بقدر المستطاع، وهو إسهام فى ما كان يسميه "ماكس ڤيبر – Max Weber" تحرير العالم من الوهم"، وهو يقف فى الطرف الآخر من منظور الإعجاب. وهو عن استعادة الـ قيقة لوجه الحقيقة، وليس استعادة صور تعتبر مفيدة للحاضر"(٨).

(١)

جثة هامدة

استيقظت أوروبا بعد الحرب على فجر شديد البرودة لدرجة التجمد، كان شتاء ١٩٤٧ هو الأسوأ فى تاريخها. ابتداء من يناير وحتى نهاية مارس فتح الفصل القاسى جبهة عبر ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وزحف دون رحمة. تساقطت الثلوج فى "سان تروپيز" وانتشرت تذروها الرياح العاصفة، وسد طوق من الجليد مجرى "التيمز". القطارات المحملة بالمواد التموينية تجمدت مع القضبان والبوارج الحاملة الفحم إلى "پاريس" توقفت وسط بحار الجليد. وهناك وجد الفيلسوف "أشعيا برلين Isaiah Berlin" نفسه فى حالة رعب" بسبب برودة المدينة"، كان فارغا، مجوفا، ميتا مثل جثة أصبحت جيفة".

وفى أوروبا كلها انهارت خدمات المياه والصرف الصحى وغيرها من المرافق الحيوية، وتضاءلت الإمدادات التموينية وهبطت احتياطيات الفحم إلى أقل معدل لها حيث أصبح عمال المناجم يواجهون صعوبة بالغة فى تشغيل آلات الرفع بعد أن تجمدت أسلاكها. أما الذوبان البسيط الذى حدث للثلوج فقد تبعه تجمد جديد سد القنوات والطرق وغطاها بطبقة سميكة من الجليد. فى بريطانيا ارتفع عدد العاطلين عن العمل بمعدل مليون شخص فى ظرف شهـ ـن، وتعثرت الإدارة والصناعة وسط الثلج والجليد.

وفى "برلين" كان "ڤيلى برانت، Willy Brandt" (المستشار فيما بعد)، يرى رعبا جديدا يحكم قبضته على المدينة ويرمز إلى انهيار أوروبا. كان برد المدينة يهاجم الناس مثل وحش ضار، يدفعهم للعودة إلى منازلهم حيث لا سبيل للراحة، فالنوافذ بلا زجاج ولا يغطيها سوى ألواح من الخشب أو الجص، والجدران والأسقف مليئة بالشقوق والشروخ التى يسدها الناس بالورق ومزق القماش. كانوا يدفئون غرفهم بمقاعد خلعوها من الحدائق العامة، أما كبار السن والمرضى فكانوا يموتون فى الفراش بالمئات. وكإجراء طارئ، كان يخصص لكل أسرة ألمانية شجرة للتدفئة. وفى أوائل عام ١٩٤٦ كانت حديقة "تيرجارتن "Tiergarten" قد تحولت إلى ساحة من جذوع الأشجار المقطوعة، بينما كانت التماثيل منتصبة فى برية من الطين المتجمد. وبحلول شتاء ١٩٤٧ كانت الغابات فى منطقة "جرونيڤالد- Grunewald"الشهيرة قد

كشطت تماما. العواصف الثلجية التى دفنت تحتها أنقاض المدينة المدمرة، لم تستطع أن تخفى الميراث المدمر لحلم "هتلر – Hitler" الكاذب من أجل ألمانيا، أما "برلين" فكانت مثل "قرطاج" المدمرة.... مكانا بائسا باردا موحشا، كانت مهزومة ومقهورة ومحتلة.

فرض الطقس الردىء نفسه بقسوة على واقع الحرب الباردة التى كانت تشق طريقها على طوبوغرافية أوروبا بعد "يالتا": حيث شُوِّهَت الحدود الوطنية، وتمزقت مكوناتها السكانية: وكانت حكومات الاحتلال المتحالفة فى كل من فرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا تحاول جاهدة أن تحل مشكلات ثلاثين مليونا من البشر، خرجوا من ديارهم وشردوا وسرحوا من الخدمة. أما الأعداد الهائلة من قوات الحلفاء الذين جاءوا إلى المناطق المحتلة فقد زادوا الطين بلة والمشكلة تعقيدا، حيث تم طرد المزيد من السكان من بيوتهم لينضموا إلى أولئك الذين كانوا ينامون فى أروقة المبانى العامة والسلالم والسراديب والأماكن التى دمرتها القنابل. "كلاريسا تشرشل، Clarissa Churchil" التى كانت ضيفة على لجنة المراقبة البريطانية فى "برلين" وجدت نفسها محمية جغرافيا وماديا من الآثار الكاملة للفوضى والبؤس الموجودة بالمدينة، ساهرة فى غرفة نوم دافئة كانت لأحد النازيين السابقين، أتحسس الأغطية اللاسية وأتفحص مكتبته. حتى هذه التجربة كانت تحدث فى نفسى مسحة من الهذيان الذى يشعر به المنتصر، كانت تمشية صغيرة فى الشارع أو زيارة لشقة ألمانية لا يوجد بها تدفئة تبددها على الفور"(٢).

كانت أياما شديدة العنف والقسوة بالنسبة للمنتصرين. فى عام ١٩٤٧ كان "صندوق" السجائر الأمريكية الذى يبلغ ثمنه ٥٠ سنتا فى قاعدة أمريكية، يباع فى السوق السوداء بألف وثمانمائة مارك ألمانى أو ما قيمته ١٨٠ دولاراً، بسعر التحويل الرسمى وبثمن أربعة كان بالإمكان استئجار أوركسترا ألمانى لمساء كامل. كان ثمن ٢٤ صندوقا يكفى لشراء سيارة مرسيدس موديل ١٩٣٩، أما الشهادات التى كانت تبرئ حاملها من أية صلة بالنازية، والتى كانت تسمى بشهادات البنسلين والبنسلسين (أبيض من البياض)، فقد وصلت إلى أعلى سعر. وفى ظل هذا البؤس الاقتصادى كان جنود الطبقة العاملة من "إيداهو" بإمكانهم أن يعيشوا مثل القياصرة المحدثين.

وفى باريس، كان الكولونيل "فيكتور روتشليد – Victor Rotcshiled" أول عسكرى بريطانى يصل فى يوم التحرير كخبير فى إزالة القنابل يسترد منزل عائلته فى "شارع مارينى" والذى كان النازيون قد صادروه. وهناك احتفى بضابط المخابرات

الشاب "مالكولم ماجردج- Malcolm Muggeridge" بتقديم زجاجة من الشمبانيا المعتقة. خادم العائلة الذى عمل فى هذا المنزل مع الألمان، ألمح إلى أن لاشىء قد تغير تقريبا. "فندق ريتز" الذى استولى عليه ضابط المخابرات المليونير "چون هاى ويتنى John Hay Whitney" استقبل "ديفيد بروس - David Bruce" وهو صديق من "برنستون" لـ "ف. سكوت، فيتزجيرالد- F.Scott Fitzgerald" الذى ظهر مع "آرنست هيمنجواى- Ernest Hemingway" وجيش خاص من جنود التحرير وطلب من المدير خمسين كأسا من "كوكتيل المارتينى"، أما "هيمنجواى - Hemingway" الذى شارك فى صفوف المخابرات الأمريكية فى وقت الحرب فى "مكتب الخدمات الاستراتيجية(*) OSS مثل "ديفيد بروس - David Bruce" فاستقبل وسط دوار الكحول "إريك بلير Eric Blair" "چورچ أورويل - George Orwell" القلق و"سيمون دو بوفوار - Simone de Beauvoir" "الأكثر صراحة، مع عشيقها "چان پول سارترJean Paul Sartre" (الذى شرب فى ذلك المساء بإفراط ليسجل أسوأ سكرة فى حياته).

كان منظر الفيلسوف وضابط المخابرات ايه. جى "فريدى آير- A.J. Freddie Ayer" مؤلف كتاب "اللغة والحقيقة والمنطق "مألوفا فى پاريس، وهو جالس فى سيارة "بوجاتى" كبيرة مسرعة يقودها سائق، مزودة بجهاز لاسلكى عسكرى وكذلك "آرثر كويستلر - Arthur Koestler"وعشيقته "ماماين پاجيه - Mamaine Paget" ثملين - يتناولان العشاء مع "أندريه مالرو - André Malraux" مع الڤودكا والكاڤيار وأطايب الطعام. فى پاريس أيضا كانت "سوزان مارى ألسوب - Susan Mary Al- sop" زوجة دبلوماسى أمريكى شاب، تستضيف سلسلة من الاحتفالات فى منزلها الأنيق المفروش بالسجاد الأوبيسون والمزود بالصابون الأمريكى الممتاز، ولكنها عندما خرجت "وجدت كل الوجوه كالحة ومجهدة، وتبدو عليها المعاناة". لم يكن هناك طعام بالفعل سوى لمن يستطيعون تحمل أسعار السوق السوداء، ولم يكن هناك الكثير منه، محلات الفطائر جرداء، وفى واجهات مقاه مثل "رامپلماير" كان يمكن أن ترى نموذجاً لكعكة من الورق المقوى وعلبة شوكولاته فارغة ولافتة صغيرة كتب عليها "موديل" ولا شىء أكثر من ذلك. وفى واجهات العرض فى محلات ضاحية "سان أونور" يمكن أن تشاهد زوجا واحداً من الأحذية مكتوباً عليه "جلد طبيعى" أو موديلا تحيط به أشياء قبيحة مصنوعة من القش، وخارج فندق "ريتز" ألقيت عقب سيجارة فهرع رجل عجوز يرتدى ثيابا لا بأس بها لكى يلتقطه(٢).

(*) Office of Strategic Services

في نفس الوقت تقريبا، كان الموسيقى الشاب "نيكولاس نابوكوف – Nicholas Nabokov"، ابن عم الروائى "ڤلاديمير – Vladimir" يلقى بعقب سيجارة هو الآخر فى القطاع السوڤيتى من "برلين": "... وعندما استدرت قفز شخص من الظلام ليلتقط العقب الذى ألقيته"(٤). وبينما كان الجنس السامى يفتش عن أعقاب السجائر أو عن خشب للتدفئة أو عن طعام، كانت بقايا مخبأ "الفوهرر" مهجورة لا يهتم بها أحد من سكان "برلين". لكن فى أيام السبت، كان الأمريكيون الذين يخدمون مع سلطة الاحتلال الأمريكى يذهبون بالكشافات للتفتيش فى أقبية وسراديب مستشارية الرايخ المدمرة، ويستولون على ما يجدونه من أشياء غريبة.. مسدسات رومانية، ورزم سمينة من أوراق النقد المحترقة، صلبان معدنية وأوسمة ونياشين، واكتشف أحدهم غرفة إيداع القبعات والمعاطف الخاصة بالسيدات واستولى على عدد من أزرار المعاطف النحاسية المنقوش عليه النسر النازى وعبارة "مستشارية الرايخ "Reichskanzlei مصور مجلة "ڤوج" لى ميلر– Lee Miller ظهر فى صورة وهو بكامل ملابسه يقف فى حوض الاستحمام الخاص فى مخبأ "هتلر – Hitler".

لكن سرعان ما انتهى المزاح، إذ بعد تقسيم برلين إلى أربعة قطاعات وظهورها مثل عش غراب فى منطقة تحت الرقابة والسيادة الروسية، أصبحت هى التعبير الرمزى الصارم عن الحرب الباردة"(٥). وبزعم العمل معا فى القيادة المشتركة لتطهير ألمانيا من النازية وإعادة توجيهها، فإن القوات الأربع راحت تصارع ضد الرياح الأيديولوجية القوية التى كانت تكشف عن وضع عالمى كئيب، كتب "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" وهو ضابط أمريكى من أصل استونى – روسى يقول: "لم يكن لدى أى شعور بالعداء أو الحقد ضد السوڤيت فلم أكن مهتما بالسياسة فى ذلك الوقت، الأمر الذى جعل من السهل علىَّ أن أقيم علاقات شخصية ممتازة مع معظم الضباط السوفيت الذين عرفتهم(٦). لكن مع فرض حكومات "صديقة" فى المنطقة الخاضعة لنفوذ الاتحاد السوڤيتى، والمحاكم العلنية الاستعراضية، وزيادة عدد المعتقلات فى روسيا نفسها، أصبحت تلك الروح التعاونية عرضة لاختبار صعب. وبحلول شتاء عام ١٩٤٧، أى بعد أقل من عامين من عناق الجنود الروس والأمريكيين على ضفاف نهر "البى" كان ذلك العناق قد تحول إلى زمجرة وإلى غضب مكبوت. وهنا يسجل "چوسلسون – Josselson" بعد أن أصبحت السياسية السوڤيتية عدوانية بشكل واضح وبعد أن أصبحت قصة الأعمال الوحشية التى ترتكب فى المنطقة التى يمتلكها الروس تترى بشكل يومى .. وعندما أصبحت الدعاية السوڤيتية معادية للغرب بشكل فج ... حينذاك فقط استيقظ ضميرى السياسى".

كانت المراكز الرئيسية لمكتب سلطة الاحتلال الأمريكى العسكرى -Office of Mil itary Government- US تعـرف باسم "OMGUS" وهـى الكملة التى أخـذها الألمان مقابل bus بالإنجليزية، لأنها كانت مكتوبة على جانبى الحافلات ذات الطابقين التى صـادرها الأمـريكيـون، وكـان ضـبـاط الـ "OMGUS" عندمـا لا يكونون مـشـغـولين بالتجسس على القوى الثلاث الأخرى يجدون أنفسهم خلف مكاتب مكدسة بطلبات التوظيف "Fragebogen" التى كان على كل ألمانى يبحث عن عمل أن يستوفيها، مجيبا عن أسئلة تتعلق بالجنسية والدين وسجله الجنائى وتعليمه ومؤهلاته المهنية وعمله وخدمته العسكرية وكتاباته وأحاديثه ودخله وممتلكاته وسفره إلى الخارج ... وبالطبع عن انتماءاته وعلاقاته السياسية. وكانت عملية غربلة الشعب الألمانى للبحث عن أى أثر ولو ضئيل للنازية أو العسكرية عملا بيروقراطيا مهلكا ومحبطا دائما. وبينما كان يمكن أن يوضع اسم بواب أو خادم على القائمة السوداء لأنه كان قد كنس ذات يوم ممرات مستشارية الرايخ، كان الكثير من رجال الصناعة والعلماء ورجال الإدارة فى عهد "هتلر".. وحتى كبار الضباط، كان يتم إعادتهم إلى أماكنهم بهدوء بواسطة قوات الحلفاء، فى محاولة يائسة للحفاظ على ألمانيا من الانهيار.

وبالنسبة لضابط مخابرات لم يكن استيفاء طلبات التوظيف مجرد وسيلة لتناول التركة المعقدة للنظام النازى، أما "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" فقد تبنى اتجاها آخر. يقول الفيلسوف "ستيوارت هامپشاير – Stuart Hampshire" الذى كان يعمل أنذاك لحساب "MI6" فى لندن: لم أكن قد عرفت "چوسلسون– Josselson" فى ذلك الوقت، ولكن شهرته كانت واسعة عبر شبكة المخابرات فى أوروبا كلها، كان هو حلال العقد، الرجل الذى يستطيع أن يقوم بكل شىء.. وأى شىء... حتى لو كنت تريد أن تعبر الحدود السوفيتية– وكان ذلك أمراً بالغ الصعوبة– فهو يمكن أن يرتب الأمر، إذا كنت تريد أن تستأجر أوركسترا سيمفونى، "چوسلسون – Josselson" يمكنه أن يدبر المسألة (٨).

ولأنه كان يتكلم أربع لغات بطلاقة ودون لكنة، كان "مايكل چوسلسون Michael Josselson" يعتبر ثروة لا تقدر فى صفوف ضباط الاحتلال الأمريكيين، وبالإضافة إلى ذلك فإنه كان يعرف "برلين" كما يعرف كف يده. "چوسلسون – Josselson" من مواليد تارتو "استونيا" عام ١٩٠٨، ابن تاجر أخشاب يهودى، جاء إلى "برلين" لأول مرة فى أوائل العشرينيات مع الشتات الأول الذى كنس من البلطيق بعد ثورة ١٩١٧، وبعد مقتل معظم أفراد أسرته على يد البلشفيك كان من المستحيل أن يعود إلى "تارتو" فأصبح عضوا فى ذلك الجيل من الذين أشار إليهم، "كويستلر Koestler"

بـ"غـثـاء الأرض" أو الـ "déracinés"، الناس الذين دمـرت حـيـاتـهم بحلول القـرن العشرين، حيث تقطعت الصلة بين هويتهم ووطنهم الأم. درس "چوسلسون -- Jos-selson" في جامعة "برلين" لكنه تركها قبل أن يحصل على درجة علمية والتحق بعمل لدى "محلات جيمبلز ساكس" مندوبا للمشتريات لهم في "باريس"، وفي عام ١٩٣٦ هاجر إلى الولايات المتحدة وأصبح مواطنا أمريكيا بعد وقت قصير.

وعندما دخل الجيش في عام ١٩٤٣ كانت خلفيته الأوروبية ترشحه للعمل إما في المخابرات أو في الحرب النفسية، وفي الوقت المناسب عين في قسم المخابرات في إدارة الحرب النفسية(*) PWD في ألمانيا، حيث ألحق بفريق استجواب خاص مكون من سبعة أفراد باسم مجموعة "روزنبرج للمقاومة -Kampfgruppe Rosenberg" على اسم رئيسه الكابتن "البرت. چي. روزنبرج -- Albert G. Rosenberg" كانت مهمة هذا الفريق هي استجواب مئات المساجين الألمان كل أسبوع بغرض سرعة فرز النازيين من غير النازيين، والأكاذيب من الإجابات الصحيحة، وهواة الثرثرة من الكتومين(٩).. وبعد تسريحه في عام ١٩٤٦ بقي "چوسلسون -- Josselson" في "برلين" مع سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكي كضابط شئون ثقافية، وبعدها مع وزارة الخارجية "State Department" والمفوضية الأمريكية العليا كضابط علاقات عامة، وبصفته تلك كان مسئولا عن "غربلة الأفراد" في الصحافة الألمانية والإذاعة ووسائل الإعلام الترفيهية الألمانية والتي كانت كلها معطلة مؤقتا إلى أن يتم القضاء على النازية.

كما عين في الإدارة نفسها "نيكولاس نابوكوف- Nicholas Nabokov" - وهو مهاجر روسي أبيض كان يعيش في "برلين" قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٣٣، كان "نابوكوف Nabokov" طويل القامة وسيما، صريحا لدرجة التهور، يستطيع أن يعقد الصداقات (والزيجات) بسهولة وجاذبية، وفي خلال العشرينيات كانت شقته ملتقى فكريا للكتاب والباحثين والفنانين والسياسيين والصحفيين. كان "مايكل چوسلسون -- Michael Josselson" في وسط هذا التجمع الكوزموبوليتاني من المنفيين في منتصف الثلاثينيات. ذهب "نابوكوف Nabokov" إلى أمريكا حيث كتب ما كان يصفه بتواضع، بأنه أول باليه أمريكي "يونيون باسيفيك"، مع "أرشيبالد ماكليش -- Archibald Macleish". شارك "هنرى كارتيير بريسون -- Henri Cartier Bresson" السكن في ستوديو صغير في "نيويورك" لفترة قصيرة وكان كلاهما مفلسا، فيما بعد كتب "نابوكوف - Nabokov" كانت الحركة الشيوعية في نظر

(*) Psychological Warefare Division

"كارتيير بريسون- Cartier Bresson" هى الحاملة لرسالة التاريخ ومستقبل البشرية.. كنت أشاركه الكثير من أفكاره، لكن بالرغم من شوقى الجارف لأرض الأجداد الروسية إلا أننى لم أستطع أن أقبل أو أن أناصر التوجه المحبذ للشيوعية لدى كثير من المثقفين فى أوروبا الغربية وأمريكا. كانوا يستجيبون للمد الفاشى الذى يجتاح أوروبا على أثر الكساد، وكنت أشعر- إلى حد ما بأن التوجه أو الميل للشيوعية فى منتصف الثلاثينيات كان مجرد نزوة عابرة تبنتها جيدا أكذوبة عن الثورة البلشفية الروسية نسجتها أجهزة الدعاية السوفيتية"(١٠).

وفى عام ١٩٤٥ التحق "نابوكوف Nabokov" مع كل من "دبليو اتش، أودن W.H. Auden" و"چى ك . جالبريث – J.K. Galbraith" بقسم الشئون المعنوية Morale Division، فى الوحدة الخاصة بمسح مناطق القصف الاستراتيچى فى ألمانيا والتابعة للولايات المتحدة إلى جانب صديقه "مايكل چوسلسون – Michael Jossel-son" وبصفته موسيقيا عين "نابوكوف Nabokov" فى القسم الموسيقى حيث كان من المنتظر منه أن يبتكر أسلحة نفسية وثقافية جيدة يدمر بها النازية وينمى رغبة حقيقية من أجل ألمانيا ديمقراطية(١١) كانت مهمته الأولى هى استئصال النازيين من الحياة الموسيقية الألمانية والتصريح للموسيقيين الألمان من الذين كنا نرى أنهم ألمان أنقياء (بمنحهم الحق فى مزاولة المهنة)، ومراقبة برامج الفرق الموسيقية الألمانية للتأكد من أنها لن تتحول إلى تظاهرات قومية. وعندما قدم أحد الجنرالات الأمريكيين "نابوكوف Nabokov" - فى حفل كبير، قدمه قائلا: إنه رجل عليم بالموسيقى "يستطيع أن يعلم أكلة الكرنب المحمر كيف يمارسونها؟"(١٢).

وأصبح "چوسلسون Josselson" و"نابوكوف Nabokov" ثنائيا متجانسا وإن كانا مختلفين، كان "نابوكوف Nabokov " مفراطاً فى عواطفه، استعراضيا فى مظهره الجسمانى، دائم التأخير، بينما كان "چوسلسون Josselson" متحفظا، نبيل المشاعر، كثير الشك لدرجة الوسوسة. لكنهما تشاركا لغة المنفى نفسها والارتباط بالعالم الجديد أو أمريكا والذى كانا يعتقدان أنه المكان الوحيد الذى يمكن أن يصان فيه مستقبل العالم.. كان فى دراما ومكائد "برلين" بعد الحرب، شىء يروق لهما ويمنحهما الفرصة لممارسة مواهبهما فى العمل والابتكار. كتب "نابوكوف Nabokov" فيما بعد يقول إنهما معاً أنجزا الكثير من العمليات لاصطياد النازيين، وإنهما جمدا عددا من قادة الأوركسترا والعازفين والمغنيين (كان بعضهم يستحق ذلك وبعضهم كان ينبغى أن يكون موجودا الآن)(١٣). كان "چوسلسون – Josselson"، و"نابوكوف Nabokov" يتميزان برؤية براجماتية بخصوص تصفية النازية، وعلى العكس من الميل القطرى

للتفكير الرسمي، رفضا أن تعامل إبداعات الفنانين الألمان في ظل ماضي ألمانيا النازي كظاهرة فذة. وكما شرح أحد زملائه فيما بعد فإن "چوسلسون - Josselson" كان يؤمن عن ثقة بأن دور المثقفين في موقف صعب لا ينبغي أن يتقرر في لحظة، كان يفهم أن النازية في ألمانيا كلها مفارقة مضحكة على نحو بشع، وبشكل عام لم يكن لدى الأمريكيين فكرة، فقد كانوا يخوضون في الوحل ويشيرون إلى الأمر فقط"(١٤).

في عام ١٩٤٧ كان قائد الأوركسترا "وليم فور تڤانجلر -Wilhelm Furtwan" gler عرضة لعملية تحقير وازدراء خاص. إذ بالرغم من أنه تحدى صراحة وصف "پول هندميث Paul Hindemith" له بأنه منحط ومنحل إلا أن مصلحته التقت مع النظام النازي في نهاية الأمر، "فورتڤانجلر - Furtwangler" الذي عين مستشاراً للدولة في "بروسيا" إلى جانب مناصب أخرى منحه إياها النازيون، استمر في قيادة "أوركسترا برلين الفيلهارموني" و "أوپرا برلين" على مدى سنوات الرايخ الثالث، وبحلول شهر ديسمبر ١٩٤٦، أي بعد عام ونصف العام من الاهتمام بقضيته من قبل لجنة المراقبة المشتركة "Allied Control Commission" كان على الفنان أن يقف أمام محكمة الفنانين المنعقدة في "برلين"، نظرت القضية على يومين. كانت نتيجتها غامضة. عكفت المحكمة على ملفه عدة أشهر ثم على نحو غير متوقع علم "فورتڤانجلر- Furtwangler" أن القيادة المشتركة قد برأت ساحته وكان بإمكانه أن يقود "أوركسترا برلين الفيلهار موني" يوم ٢٥ مايو ١٩٤٧ في "تيتانيا پالاست" الذي كان الأمريكيون قد استولوا عليه. وهناك بين الأوراق التي تركها "چوسلسون Josselson" مذكرة تشير إلى دوره فيما كان المطلعون على بواطن الأمور يصفونه بصعود "فورتڤانجلر - Furtwangler" المفاجئ. كتب "چوسلسون - Josselson" لقد لعبت دورا رئيسيا في إنقاذ المايسترو الألماني الكبير "ولهلم فورتڤانجلر– Wilhelm Furtwangler" من مهانة مروره بعملية التطهير من النازية بالرغم من أنه لم يكن عضوا في الحزب النازي ذات يوم"(١٥)، وقد تحققت هذه المناورة بمساعدة "نابوكوف Nabokov" بالرغم من أنهما ظلا على مدى سنوات بعدها غير ملمين بتفاصيل الموضوع. وفي عام ١٩٧٧ كان "نابوكوف –Nabo –kov" يسأل "چوسلسون - Josselson " لا أعرف إن كنت تتذكرعلى وجه التقريب متى جاء "فورتڤانجلر - Furtwangler" إلى "برلين الشرقية" حيث عقد مؤتمرا صحفيا وهدد بالذهاب إلى موسكو إذا لم نبرئه على الفور. كما أتذكر تقريبا أنه كان لك دور في إخراجه من القطاع السوڤيتي (أليس كذلك؟) والمجيء إلى مسكني، كما أتذكر ثورة الچنرال "ماكلور – Mcclure" رئيس قسم رقابة المعلومات الهادئة على سلوك "فورتڤانجلر - Furtwangler" آنذاك(١٦).

ولكن مسئولا أمريكيا واحدا هو الذى غضب لاكتشاف أنه كانت هناك عملية غسيل تتم لشخصيات مثل "فورتڤانجلر - Furtwangler"، ففى شهر إبريل ١٩٤٧طلب رئيس قسم المسرح والموسيقى فى سلطة الاحتلال الأمريكى فى "فورتمبرج بادن"، طلب– غاضبا تفسيرا لسبب ترك عدد كبير من النازيين البارزين يعملون فى مجال الموسيقى وبالإضافة إلى "فورتڤانجلر -Furtwangler"، برأت اللجنة المشتركة كلا من "هربرت فون كاراجان - Herbert von Karajan" و"اليزابيث شوارسكوف - Elizabeth Schwarzkopf" بالرغم من سجلاتهم السوداء. فى حالة "ڤون كارچان - von Karajan لم يكن هناك خلاف. كان عضوا فى الحزب منذ عام ١٩٣٣، ولم يتردد قط فى افتتاح حفلاته بعزف أغنيته "هورست ڤايسل ليد– Horst Wessel Lied" النازية المفضلة، وكان أعداؤه يشيرون إليه بـ "ڤون كارچان كولونيل الـ "SS" ، ولكنه بالرغم من انحيازه للعهد النازى إلا أنه سرعان ما أعيد إلى مكانه ملكا لا ينازع على"أوركسترا برلين الفيلهار مونى" الذى أنشئ كحصن واقٍ ضد الشمولية السوڤيتية(١٧).

أما "اليزابيث شوارسكوف - Elizabeth Schwarzkopf" فكانت قد قدمت حفلات أمام قوات الـ SS فى "دافن" على الجبهة الشرقية، وظهرت فى أفلام "جوبلز – Goebbels" وكانت ضمن قائمة وضعها للفنانين "الذين باركهم الرب". كان رقم عضويتها فى الحزب الاشتراكى القومى (٧٥٤٨٩٦٠) وكان الموسيقار نصف اليهودى "پيتر جلهورن – Peter Gelhorn" الذى يصاحبها فى العزف يتساءل هل ينبغى أن يتوقف الخباز عن الخبيز إذا كان لا يحب الحكومة؟ "پيترجلهورن - Peter Gelhorn" نفسه اضطر للهرب من ألمانيا في الثلاثينيات. وبالطبع ما كان ينبغى للخباز أن يتوقف عن الخبيز. برأت لجنة المراقبة المشتركة ساحة "شوارسكوف – Schwarzkopf" وسطع نجمها، فيما بعد منحت لقب "سيدة الإمبراطورية البريطانية".

أما مسألة اعتبار الفنانين متورطين أو غير متورطين فى السياسة فى زمنهم بسبب الأعمال التى يقدمونها فهى مسألة فى غاية الصعوبة، ولا يمكن الفصل فيها بناءٍ على برنامج عشوائى للتطهير من النازية. وقد كان كل من "چوسلسون Jossel-son" و"نابوكوف - Nabokov" على وعى تام بقصور برنامج كذلك، وبأن دافعهم للقفز على أساليبه يمكن أن يعتبر أمرا إنسانيا وربما شجاعا. من جانب أخر فإنهما كانا ضحايا ارتباك معنوى: فالحاجة إلى صنع نقاط رمزية معادية للشيوعية من أجل التجمع حولها خلقت دافعا سياسيا ملحاً وخفياً لتبرئة ساحة أولئك المتهمين بالحنين إلى النظام النازى، وأدى ذلك إلى تسامح مع الاشتباه فى التقارب مع الفاشية إذا كان بالإمكان الاستفادة من ذلك ضد الشيوعية. كان المطلوب أن يكون هناك شخص

ما يجيد استخدام العصى ببراعة ضد السوفيت. وتكشف رسالة "نابوكوف Nabo-kov-"إلى "چوسلسون – Josselson" فى عام ١٩٧٧ عن أنه كان عليهما بالفعل أن يخلصا "فورتڤانجلر- Furtwangler من السوفيت (الذين كانوا قد عرضوا على المايسترو أن يتولى مسئولية "أوبرا أونتر دن ليندن – Staatsoper Unterden Linden "Furtwangler" نفسه يتلاعب بالطرفين ضد كل منهما الآخر، كما أن ظهوره فى "تيتانيا بلاست" فى مايو ١٩٤٧ قد أشار بوضوح إلى أن الحلفاء لن يهزموا أمام السوفيت فى معركة الأوركسترا. وبحلول عام ١٩٤٩ كان اسم "فورتڤانجلر - Furtwangler" على قائمة الفنانين الألمان الذين يتنقلون بين الدول الأجنبية ضمن برامج ثقافية برعاية أمريكية. فى عام ١٩٥١ قاد الأوركسترا فى إعادة افتتاح مهرجان "بايريث" الذى كان قد أعيد إلى عائلة "ڤاجنر - Wagner" بالرغم من الحظر الرسمى على "رتشارد ڤاجنر -Richard Wagner" بتهمة القومية).

وقد صرح "وليم دونوڤان - William Donovan" رئيس المخابرات الأمريكية أثناء الحرب ذات مرة بعبارة شهيرة تقول: "كان بالإمكان أن أضع اسم "ستالين Stalin "على كشف المكافآت لو تصورت أن ذلك قد يساعدنا على هزيمة "هتلر– Hitler (١٨)، وفى تحول سهل، كان من الواضح جدا آنذاك أن الألمان سيصبحون أصدقاءنا الجدد وأن الروس المخلصين سيصبحون الأعداء. أما بالنسبة لـ "آرثر ميلر– Arthur "Miller فإن ذلك فى نظره كان "شيئا حقيرا، فقد كان يبدو لى فى السنوات التالية أن ذلك التحول الفاجع وهو نزع علامات الخير أو الشر عن دولة ووضعها على الأخرى قد ساعد على تدمير عالم أخلاقى، ولو على المستوى النظرى. فإذا كان أصدقاء الماضى القريب يمكن أن يصبحوا هكذا بسرعة أعداء اليوم، فأية درجة من الصدق يمكن أن تكون هناك للخير والشر؟ العدمية؟ وربما ما هو أسوأ، الحيرة البالغة تجاه مفهوم الدافع الأخلاقى الذى يمكن أن يصبح سمة مميزة للثقافة العالمية، هذه العدمية تولدت فى تلك السنوات الثمانى أو العشر، سنوات إعادة التنظيم بعد موت "هتلر– Hitler"(١٩)

كانت هناك بالطبع أسباب وجيهة لمعارضة السوفيت الذين كانوا يتحركون بسرعة خلف جبهة الطقس البارد. وصل الشيوعيون إلى السلطة فى پولندا فى يناير، وفى إيطاليا وفرنسا كانت هناك شائعات عن انقلابات شيوعية، وخبراء الاستراتيجية السوفيت سارعوا للسيطرة على احتمالات عدم الاستقرار المنتشر فى أوروبا بعد الحرب وبكل الطاقة وسعة الحيلة التى تؤكد أن نظام "ستالين – Stalin" وبالرغم من

كل شيء، قد استطاع أن يبارى الحكومات الغربية، تمكن الاتحاد السوفيتي من نشر شبكة من الأسلحة غير التقليدية لكى يفرض نفسه على الوعى الأوروبى ويكسب الرأى العام إلى جواره. كما تم إنشاء شبكة واسعة من الجبهات كان بعضها جديدا والبعض الآخر تم إحياؤه من حالة السبات منذ موت "ڤيلي مانزنبيرج Willie Munzen-berg"، العقل المدبر لحملة الإقناع السرية للكرملين قبل الحرب. كان كل شيء مستهدفا: اتحادات العمال، الحركات النسائية، التجمعات الشبابية، المؤسسات الثقافية، الصحافة، النشر... إلخ.

وكخبراء فى استخدام الثقافة كوسيلة للإقناع السياسى صنع الروس الكثير فى تلك السنوات الأولى من الحرب الباردة لكى يجعلوا نموذجها الرئيسى نموذجا ثقافيا. ولأنه لم يكن لديهم القوة الاقتصادية مثل الولايات المتحدة ولا القدرة النووية مثلها وهو الأهم، كان نظام "ستالين – Stalin" مصمما على كسب معركة الصراع على عقول البشر. وبالرغم من التنظيم الجيد والرعاية الواسعة للفنون فى مرحلة الخطة الاقتصادية الجديدة The New Deal إلا أن أمريكا كانت لا تزال حديثة العهد قليلة الخبرة فى ميدان الصراع الثقافى Kulturkamf الدولى. وكان أحد ضباط المخابرات الأمريكية قد توقع فى عام ١٩٤٥ تلك الأساليب غير التقليدية التى أصبح الروس يستخدمونها: "إن اختراع القنبلة الذرية سوف يحدث تحولا فى الميزان بين الوسائل السلمية والقتالية من أجل ممارسة الضغط العالمى"، كان ذلك ما كتبه فى تقريره للجنرال "دونوڤان – Donovan" رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية(*) "OSS" ولابد لنا من أن نتوقع زيادة ملحوظة فى أهمية الوسائل السلمية، إن أعداءنا سيصبحون أكثر حرية منهم فى أى وقت مضى لكى يقوموا بأعمال الدعاية والتخريب والتدمير ولكى يمارسوا ضغوطا علينا.. نحن أنفسنا سنصبح أكثر استعداداً لتحمل تلك الإهانات وأن نغرق فى مثل تلك الوسائل وذلك لرغبتنا الشديدة فى تجنب مأساة الحرب المكشوفة، ومناورات ما بعد الحرب" (٢٠).

هذا التقرير يكشف عن بصيرة استثنائية، إذ أنه يقدم لنا تعريفا للحرب الباردة كصراع نفسى من أجل القبول بالوسائل السلمية واستخدام الدعاية لإضعاف المواقف المعادية– وكما أظهرت الانطلاقات الأولى فى "برلين" بوضوح كان لابد من أن يكون السلاح العملى هو الثقافة.... "لقدت بدأت الحرب الثقافية".

وهكذا وسط الانحلال والتفسخ كانت قوات الاحتلال تساعد حياة ثقافية مجهدة لكى تقف على قدميها، وهى تصارع بعضها البعض لكى تسجل انتصارات دعائية

(*) Office of Strategic Services

لحسابها. ومع بدايات عام ١٩٤٥، وبينما كانت الرائحة النتنة للجثث البشرية المتحللة ما زالت تتصاعد من تحت الأنقاض، قام الروس بافتتاح مبهر باذخ لأوبرا الدولة بعرض "أورفيوس"، لـ "جلوك – Gluck" فى "آدميرالزبالاست" وهى قاعة جيدة الإضاءة ورائعة التأثيث. كان الضباط الروس قصيرو القامة ممتلئو الأجسام والمتأنقون يبتسمون من تحت الضرس للعسكريين الأمريكيين وهم يشاهدون عروض "يفجينى أونيجين" أو "ريجوليتو" التى تم إعدادها بصياغة معادية للفاشية، ووسط ذلك الجو كان رنين الأوسمه والميداليات يتقاطع مع صوت الموسيقى(٢١).

كانت إحدى المهام الأولى لـ "جوسلسون – Josselson" هى استعادة الآلاف من قطع الملابس الخاصة بأوبرا ألمانيا الرسمية السابقة The Deutsches Opernhaus Co.وكانت هى المنافس الجاد الوحيد لأوبرا الدولة الروسية) والتى كان النازيون قد خبئوها فى قاع منجم للفحم خارج "برلين" فى المنطقة التى يحتلها الأمريكيون. وفى يوم كئيب مطير ذهب " جوسلسون - Josselson" مع "نابوكوف – Nabokov" لإحضار الملابس، وفى طريق عودتهما إلى "برلين" اصطدمت سيارة "جوسلسون -Josselson" الجيب التى كانت أمام سيارة "نابوكوف - Nabokov" المرسيدس المصادرة، اصطدمت ببعض الموانع الصخرية الروسية على الطريق بينما كانت تسير بأقصى سرعة، وعلى الفور نقل "جوسلسون - Josselson" إلى مستشفى عسكرى روسى حيث أسعفه عدد من الطبيبات الروس، وعندما أفاق أعيد إلى مسكنه فى المنطقة الأمريكية والذى كان يشاركه فيه ممثل طموح اسمه "بيترڤان إيك - Peter Van Eyck" ولولا رعاية واهتمام الطبيبات الروس لما أنقذت حياة "جوسلسون - Josselson" ليصبح العقل المدبر لحملة الدعاية الثقافية الأمريكية المضادة للسوفيت فيما بعد، فقد أنقذ الروس الرجل الذى سيقوم على مدى العقدين التاليين بأكبر جهد لإفساد محاولاتهم للسيطرة الثقافية.

وفى عام ١٩٤٧ أطلق الروس دفعة أخرى من القنابل الدعائية المدوية عندما افتتحوا بيتا للثقافة فى "أونتردن ليندن - Unter den Linden"، هذه المبادرة زغللت عينى أحد ضباط الشئون الثقافية البريطانية، الذى سرعان ما كتب تقريرا وهو يشعر بالغيرة، يقول.. إن تلك "المؤسسة تفوق أى شىء آخر قام به الحلفاء الآخرون، وتجعل كل ما بذلناه من جهد يتوارى فى الظل خجلا ... فهى جيدة التجهيز، الأثاث فاخر ومعظمه تحف فنية، جميع الغرف مفروشة بالسجاد، الإضاءة مبهرة، التدفئة جيدة، وكل شىء قد تم طلاؤه من جديد. الروس صادروا كل ما يريدون. يوجد بار وغرفة خاصة للتدخين... تبدو شديدة السحر والجاذبية بما فيها من سجاد وثريات، وهى

مؤسسة رفيعة المستوى ستصل إلى الجماهير العريضة وتصنع الكثير لمقاومة الفكرة السائدة هنا وهى أن الروس غير متحضرين، أما تلك المؤسسة الحديثة التابعة لنا فهى محبطة، وإسهامنا قليل جدا، إذ أنها ليست أكثر من مركز للمعلومات، وعدد محدود من قاعات القراءة التى اضطررنا لإغلاقها بسبب نقص فحم التدفئة. لابد من أن نتحرك مدفوعين بدخول الروس إلى ساحة الصراع الثقافى، ولابد من الرد بمشروع على نفس المستوى لكى نبرز الإنجازات البريطانية هنا فى "برلين"(٢٢).

وبينما كان البريطانيون لا يملكون الفحم لتدفئة قاعات القراءة، كان الأمريكيون لديهم الجرأة على أن يردوا الصفعة للروس بإفتتاح البيوت الأمريكية- America Haüser "تلك المؤسسة بأفرعها المتعددة والتى أنشئت كقواعد أمامية للثقافة الأمريكية" وَفَّرَتْ فرصة للراحة من عناء الطقس القاسى بما فيها من قاعات وثيرة، كما قدمت العروض السينمائية والحفلات الموسيقية والمحاضرات والمعارض الفنية ... وكانت تلك الأنشطة تركز على" كل ما هو أمريكى". وفى حديث بعنوان "من بين الأنقاض"، كان مدير العلاقات التربوية والثقافية يؤكد للعاملين فى مراكز بيت أمريكا الطبيعة البطولية للعمل الذى يقومون به. "قليلون هم الذين يتميزون بالقدرة على أن يكونوا جزءا من رسالة أكثر أهمية وجسارة أو رسالة تنطوى على كثير من المخاطر، من تلك التى تضطلعون بها لإعادة التوجيه الفكرى والمعنوى والروحانى والثقافى لألمانيا المهزومة والمقهورة والمحتلة"، لكنه أشار إلى أنه بالرغم من الإسهام الكبير الذى قامت به أمريكا فى الميدان الثقافى، إلا أنه ليس ملموسا بشكل عام فى ألمانيا أو فى بقية العالم. إنهم ينظرون إلى ثقافتنا كثقافة مادية، وعادة ما نسمع تعليقا يقول نحن لدينا المهارة والعقول وأنتم لديكم المال"(٢٣).

وبفضل الدعاية السوفيتية فى المقام الأول، كانت النظرة إلى أمريكا دائما تعتبرها صحراء ثقافية، دولة مصانع اللبان وقيادة السيارات المتهورة والعنف، وقد قام "بيت أمريكا" بدور كبير لتغير هذه الصورة السلبية. كتب أحد مدراء "البيوت الأميركية": "هناك شىء واحد مؤكد، المواد المطبوعة التى جاءت من الولايات المتحدة إلى هنا... تترك أثراً عميقا على تلك الدوائر فى ألمانيا، الدوائر التى باتت ترى على امتداد أجيال أن أمريكا متخلفة ثقافيا، والتى أدانت كل شىء بسبب أخطاء جزئية". الأفكار القديمة القائمة على افتراض تاريخى مسبق عن تخلف أمريكا الثقافى، هذه الأفكار تم التقليل من أهميتها بواسطة برنامج الكتب الجيدة، والدوائر نفسها التى كانت تتبنى تلك الأفكار أصبح لديها انطباع إيجابى كما كانت التقارير تقول"(٢٤).

إلا أن بعض الأفكار كان من الصعب تبديدها، عندما قدم أحد المحاضرين في فرع من فروع "بيت أمريكا" رؤية عن وضع زنوج أمريكا اليوم "وجوبه بعدد من الأسئلة التى لم يكن بعضها "حسن النية"، وقد تعامل المحاضر بعنف مع أصحاب الأسئلة الذين ربما كانوا من الشيوعيين أو لم يكونوا كذلك، ولحسن حظ منظمي اللقاء أن كان هناك عرض فني لخماسي من الملونين بعد حديثه. واصل الزنوج الغناء بعد الوقت المخصص للعرض ... وسادت المناسبة روح طيبة لدرجة أنه تقرر دعوة نفس المجموعة الملونة لتقديم عرض آخر(٢٥). كانت الدعاية السوفيتية تركز كثيرا على مشكلة العرق في أمريكا، مما جعل كثيراً من الأوروبيين يشكون في قدرة الولايات المتحدة على ممارسة الديمقراطية التى تزعم أنها تقدمها للعالم، ولذلك كان هناك مبرر لتصدير الأمريكيين الزنوج لتقديم عروضهم في أوروبا للقضاء على تلك التصورات المدمرة. وهناك تقرير لسلطة الاحتلال العسكرى الأمريكي في شهر مارس ١٩٤٧ يكشف عن خطط لإرسال مغنين من السود على أعلى مستوى لتقديم حفلات في ألمانيا... سيكون ظهور "ماريان أندرسون – Marian Anderson" أو "دوروثي ماينور– Dorothy Maynor" أمام الجمهور الألماني أمرا بالغ الأهمية" (٢٦)، وكانت الدعاية والترويج للفنانين السود قد أصبحت أولوية ملحة أمام المسئولين الأمريكيين عن الحرب الباردة الثقافية.

بدأ الرد الأمريكي على الهجوم الثقافي السوفيتي يقوى، وتم شحن ترسانة كاملة من الإنجازات الأمريكية الحديثة إلى أوروبا وعرضها في "برلين". تم استيراد مواهب الأوبرا من أرقى الأكاديميات الأمريكية. كانت سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكي تسيطر على ١٨ أوركسترا سيمفوني ألماني وعلى عدد كبير من شركات الأوبرا، ومع حظر عمل المؤلفين الموسيقيين الألمان كانت السوق مفتوحة أمام الأمريكيين الذين وجدوها فرصة للعمل. "صمويل باربر " "Samuel Barber" وليونارد بيرنشتاين - Leonard Bernstien" و"إليوت كارتر - Elliot Carter" و"آرنولد كوبلاند – Arnold Kopland"، و"جورج جيرشوين - George Gershwin" و"جيان كارلومينوتي– Jian Carlo Menotti". و"فرجيل طومسون – Virgil Thomson"، هؤلاء وغيرهم من المؤلفين الموسيقيين الأمريكيين قدموا عروضهم الأولى في أوروبا تحت رعاية سلطة الاحتلال، وبالتشاور مع الأكاديميين وكتاب المسرح والمخرجين الأمريكيين تم البدء في تنفيذ برنامج مسرحي ضخم، حيث قدمت أعمال لكتاب مثل "ليليان هيلمان – Lillian Hellman" و"إيوجين أونيل – Eugene Oneil" و"ثورنتون ويلدر - Thornton Wilder" و"تينسي وليمز – Tennessee Williams" و"وليم ساروبان - Williams Saroyan

و"كليفورد أوديتس– Clifford Odets" و"چون شتاينبك – John Steinbeck" لجمهور متعطش كان يحتشد فى المسارح شديدة البرودة، بينما كتل الجليد تتدلى من الأسقف. وعملا بمبدأ "شيللر – Schiller" الذى يرى أن المسرح: مؤسسة أخلاقية:

"Moralische Anstalte" حيث يمكن أن يرى الناس المبادئ الإنسانية للحياة مقدمة لهم، قام المسئولون الأمريكيون بوضع قائمة بالدروس الأخلاقية المستهدفة. وهكذا تحت شعار "الحرية والديمقراطية" جاءت مسرحيات "بيرجنت" لـ "إبسن – Ibsen" و"تلميذ الشيطان" لـ "برنارد شو– Bernard Shaw" و"آبى لنكولن فى ألينوى" لـ"روبرت شيروود– Robert Sherwood" أما "قوة الإيمان" فتم التعبير عنها فى دراما "فاوست" و"جوته – Goethe" و"سترندبيرج – Strindberg" و"شو – Shaw" و"المساواة بين البشر" كانت هى الرسالة التى يمكن استخلاصها من مسرحية "مكسيم جوركى – Maxim Gorki" الأعماق السحيقة ومسرحية "فرانز جريلپارزر – Franz Grillparzer" "ميديا"، وتحت عنوان "الحرب السلام" جاءت مسرحية "أريستوفان – Aristophanes" "لسستراتا" ومسرحية "آر. سى. شيريف - R.C. Sherriff" نهاية رحلة ومسرحية "ثورنتون ويلدر - Thornton Wilder" قشرة أسناننا ومسرحية "چون هيرسى – John hersey" جرس لأدانو. أما الفساد والعدالة فكانت تعتبر هى مادة مسرحيات مثل "هملت" لـ "شيكسبير – Shakespeare" ومسرحية "المراجع" لـ "جوجول – Gogol" و"زواج فيجارو" لـ "بومارشيه – Beaumarchais"، ومعظم أعمال "إبسن – Ibsen"وهكذا مرورا بـ "الجريمة لا تفيد" و"الأخلاق والذوق والسلوك" والبحث عن السعادة "تم فضح النازية، أما جميع المسرحيات التى تقبل السيطرة العمياء للقدر والتى لا بد من أن تؤدى إلى الخراب والدمار الذاتى مثل الكلاسيكيات الإغريقية فكانت تعتبر غير ملائمة " للحالة الذهنية والنفسية للألمان فى الوقت الراهن". كما وضعت على القائمة السوداء مسرحيات مثل "يوليوس قيصر"، و"كوريولانوس" (على اعتبار أنها تمجد الدكتاتورية) و"برنز فون هومبارج" و"كليست" (على اعتبار أنها شوفينية) و"الجثة الحية" لـ "تولستوى - Tolstoy"على اعتبار أنها نقد اجتماعى يخدم أهدافا غير اجتماعية وجميع مسرحيات "هامسون – Hamsun" باعتبارها أيديولوچية نازية واضحة) بالإضافة إلى مسرحيات أى كاتب آخر من الذين تحولوا طواعية لخدمة النازية(٢٧).

وعملا بنصيحة "دزرائيلى – Disraeli" بأن الكتّاب يمكن أن يكون شيئا عظيما مثل المعركة، تم البدء فى برنامج ضخم للنشر كان هدفه الأساسى تقديم الصورة

الأمريكية للقارئ الألماني بأكثر الوسائل تأثيرا. وإغراء للناشرين التجاريين، كفلت سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكي تدفق سيل من "الكتب العامة" التى كانت تعتبر أكثر قبولا من المطبوعات التى تدعمها الدولة لأنها خالية من أية شبهة دعاية(٢٨). والحقيقة أن الهدف منها كان هو الدعاية فى المقام الأول. أما الترجمات التى قامت بها إدارة الحرب النفسية فى سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكي وحدها، فكانت تضم مئات العناوين التى تتنوع بين: "المواطن توم پابنى"، "لـ" "هوارد فاست – Howard Fast"، "الخطة الاقتصادية الجديدة الجديدة فى التطبيق" "لـ" "آرثر م شليزنجر الابن Arthur M.Schlesinger Jr" و"بنى فى الولايات المتحدة" لمتحف الفن الحديث: كما كانت هناك طبعات ألمانية من كتب" مناسبة للأطفال فى مثل تلك السن سريعة التأثر"، "مثل الحكايات العجيبة" لـ"ناثانيل هاوثورن – Nathaniel Hawthorn" وأمريكى من كونيكتكت فى بلاط الملك آرثر لـ "مارك توين – Mark Twain" و"مدينة صغيرة فى البرارى" لـ "لورا إنجال – Laura Ingall"

وبفضل هذا البرنامج المكثف للنشر ، تـ ـسنت كثيرا صورة الأمريكيين فى ألمانيا بعد الحرب (وفى غيرها من المناطق المحتلة) كما انتشر وتألق الطابع الثقافى الأمريكى بتوزيع أعمال "لويزا ماى الكوت - Louisa May Alcott" و"بيرل باك – Pearl Buck" و"چاك بارزون – Jacques Barzun" و"چيمس بيرنهام – James Burnham" و"ويلا كاثر – Willa Cather" و"نورمان كوزنز – Norman Cousins" و"وليم فوكنر – William Faulkner" و"إلين جلاسجو – Ellen Glasgow" و"إرنست هيمنجواى – Er-nest Hemingway" و"اف. أو. ماتيسن – F.O.Matthisen" و"رينولد نيبور – Rein-hold Niebuhr" و"كارل ساندبيرج - Carl Sandburg" و"چيمس ثربر James Thurber، و"اديث وارتون - Edith Wharton"، و"توماس وولف – Thomas Wolfe".

كما تم الترويج كذلك لكتاب أوروبيين كجزء من برنامج "واضح" شديد العداء للشيوعية. كانت الأعمال أو النصوص المناسبة هى "أى نقد للسياسية الخارجية السوڤيتية وللشيوعية كنظام حكم، نرى أنه موضوعي ومكتوب بشكل مقنع ويجيء فى الوقت المناسب"(٢٩). ومن الأعمال التى انطبقت ـ يها تلك المعايير كتاب "العودة من الاتحاد السوفيتى" لـ: "أندريه جيد – André Gide" وهو عن تجربته فى روسيا والتى حررته من الوهم وكتاب "الظلام فى وقت الظهيرة" لـ "كويستلر -Koestler" و"لاعب اليوجا" و"القوميسار" و"خبز ونبيذ" لـ "اجنازيو سيلونى – Ignazio Silone" كان ذلك هو الظهور الأول بالنسبة لـ "كويستلر -Koestler" و"سليونى – Silone"، وتكرر

ظهورهما بعد ذلك تحت جناح سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى، كما. كانت هناك كتب أخرى لم تحصل على تصريح بالنشر من بينها "روسيا وأمريكا جيران الپاسيفيكى" تأليف "چون فوستر دالاس – John Foster Dulles" الذى كان ينطوى آنذاك على مفارقة تاريخية.

وفى مجال الفنون ظهرت السيدة "موهولى ناجى – Moholy Nagy" أمام الجمهور الألمانى لتتحدث عن أعمال زوجها الراحل "لاسالو – Laszalo" وعن التوجه الجديد والمثير للبوهاوس الجديد – New Bauhaus فى "شيكاغو"، وكانت محاضرتها كما كتب أحد الصحفيين- "إسهاما أضاف الكثير من المعلومات لفهمنا الناقص عن الثقافة والأدب الأمريكيين"(٣٠). وقد تعزز هذا المفهوم بعد ذلك عن طريق معرض للرسوم التجريدية من متحف "ججنهايم – Guggenheim Museum"، وكان ذلك هو أول ظهور لـ "مدرسة نيويورك" برعاية الحكومة ، وهى ما يسمى بـ " التعبيرية التجريدية "Abstract Expressionism". ولكى لا يكون الجديد صادما للجمهور كان يتم التمهيد له بمحاضرات عن: الأفكار الأساسية للفن الحديث، والتى كانت تستخدم فيها رسوم من العصور الوسطى لتقديم "الإمكانيات التجريدية للتعبير الفنى".

ولما كانت ذكرى معارض الفن المنحط "Entartekunst" وما تلاها من نزوح جماعى لكثير من الفنانين الأمريكيين لا تزال مؤلمة كان الانطباع آنذاك عن ثقافة أوروبية دمرها المد الفاشى وألقى بها على شواطئ أمريكا البيزنطية الجديدة الجماهير التى عرفت التجمعات الحاشدة فى "نورمبرج" أذهلها ما جاء فى محاضرة لأحدهم عندما "حكى لهم عن الحفلات الموسيقية الضخمة التى تقام فى الهواء الطلق ليلا، ويحضرها جمهور كبير مثل ذلك الذى يحضر المناسبات الرياضية فى الملاعب الكبرى عندنا"(٣١).

لم تكن كل الجهود بمثل هذا الحجم الضخم. إصدار الطبعة الألمانية من مجلة "اليرى كوين - Ellery Queen"، مجلة القصص البوليسية- جعل أشخاصا- مثل "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" غير متحمسين. ولم يكن الجميع مقتنعين بأن "جوقة ييل – Yale Glee Club" هى الوسيلة المثلى لإثبات الأهمية الكبرى للفنون فى مناهج الجامعات كترياق ضد الجماعية(*)- (٣٢) . Collectivism حتى مدرسة "دارمشتات - Darmstadt School" بدأت بداية مهتزة. المبادرة الجادة لسلطة الاحتلال الأمريكى العسكرى وهى دورات الموسيقى، الجديدة فى "دار مشتات" أثناء الإجازات

(*) الجماعية: collectivism. المبدأ الاشتراكى: القائل بسيطرة الدولة على جميع وسائل الإنتاج والنشاط الإقتصادى.

"انتهت تقريبا بعمليات شغب بعد الفشل فى اتفاق على الموسيقى الراديكالية الجديدة والذى تحول إلى عداء واضح. ويعقب أحد التقارير الرسمية على ذلك بالقول: كان هناك اتفاق بشكل عام على أن تلك الموسيقى معظمها عديم القيمة ومن الأفضل ألا تقدم فى الحفلات. أما التأكيد المبالغ فيه على موسيقى الإثنى عشر تون" فقد كان أمرا مؤسفا. ووصف أحد النقاد الحفلات الموسيقية بأنها "انتصار لحب الفنون .. ظل الطلبة الفرنسيون متباعدين عن الآخرين، وكانوا يتصرفون بعنجهية وتنفج، وكانوا مثل أستاذهم "ليبوفتش – Leibowitz" الذى يقول: إن المنوقى الراديكالية هى الموسيقى الحقيقية، ويحتقر كل ما عداها. كان تلاميذه يقلدونه فى هذا التوجه، كما كان هناك شعور عام بأن الدراسة فى العام التالى لابد من أن تتبع نهجا أكثر تحررا(٣٣). وفى ظرف سنوات قليلة ستصبح "دارمشتات – Darmstadt" بالطبع هى قلعة التجريب المستمر فى الموسيقى.

ولكن جميع فرق الأوركسترا السيمفونى، وجميع المسرحيات والمعارض لم تستطع أن تغطى على ذلك الواقع الواضح لشد . عام ١٩٤٧ الطويل شديد القسوة: كانت أوروبا مفلسة تماما. السوق السوداء والقلق الاجتماعى وسلسلة الإضرابات التى تصيب المجتمع بالشلل (وكان معظمها من تدبير وتنفيذ اتحادات العمال الشيوعية) .. كل ذلك أدى إلى حالة من العوز ومستوى من الحرمان، مثلما كان الوضع فى أسوأ أيام الحرب فى ألمانيا. فقدت النقود قيمتها، وكان من المستحيل الحصول على الدواء والكساء. كانت أسر بكاملها تعيش تحت الأرض فى ملاجئ بلا ماء أو كهرباء، وكانت البنات والصبية الصغار يعرضون أنفسهم على الجنود الأمريكيين لممارسة الجنس مقابل قطعة شوكولاته.

وفى الخامس من يونيو عام ١٩٤٧ أعلن الجنرال "جورج كاتلت مارشال – George Catlet Marshall -" رئيس أركان الجيش الأمريكى فى الحرب والذى أصبح وزير خارجية "ترومان – Truman" مشروعا للتعامل مع الأزمة الكبرى. أما خطابه الذى استغرق عشر دقائق، وألقاه فى افتتاح الموسم الدراسى لجامعة هارفارد " فى السادس والعشرين من يونيو، فكان لحظة فارقة ولحظة تحول فى مصير أوروبا بعد الحرب. كان من بين الحاضرين أثناء إلقاء كلمته "روبرت أوبنهايمر– Robert Oppenheimer" عالم الفيزياء، والجنرال "عمر برادلى – Omar Bradley" القائد العام يوم بدء العمليات، و"تى إس اليوت: T.S.Eliot" كانوا موجودين لاستلام درجات فخرية مثل "مارشال Marhall" حذر "مارشال – Marshall" منبها إلى أن العالم كله [و] أسلوب الحياة الذى عرفناه قد أصبحا فى الميزان بالمعنى الكامل للكلمة. ودعا العالم الجديد لكى يهب

من أجل رأب الصدع وتحمل العبء الأكبر ببرنامج عاجل للإقراض المالى والمساعدات المادية على نطاق واسع لكى يمنع الانهيار الكامل للعالم القديم. هناك عدم استقرار واسع وهناك جهود منظمة لتغيير وجه أوروبا بالكامل كما نعرف وبشكل يتناقض مع مصالح العالم الحر والحضارة الحرة. هكذا أعلن "مارشال – **Marshall**" إننا إذا تركناهم يعتمدون على مواردهم فلن يكون هناك مفر من أزمة اقتصادية واسعة واضطرابات اجتماعية عنيفة وارتباك سياسى شديد لدرجة أن الأساس التاريخى للحضارة الغربية -الذى يعتبر- بالمعتقد والتراث- جزءا لا يتجزأ منه، هذا الأساس سيأخذ شكلا جديدا في صورة الاستبداد الذى حاربنا للقضاء عليه فى ألمانيا"(٣٤).

وبينما "الجنرال مارشال – **Marshall**" يلقى هذه العبارات، كان يتطلع إلى وجه الطلبة المتجمعين تحت أشعة شمس الربيع الساطعة، ورأى مثل "جون كرو رانسوم –**John Crowe Ransom**" أمامه شباب هارفارد مثل المصابيح، "يندفعون لكى ينتشروا مثل الجمر ثم يخمدون" (٣٥). لم تكن مصادفة أن يقرر أن يلقى خطابه هنا، و ليس من فوق أى منبر حكومى رسمى كان أولئك هم الرجال المنوط بهم تحقيق قَدَر أمريكا الجلى، النخبة التى تواجه تحدياً لتنظيم العالم حول قيم كان الظلام الشيوعى – بهدوء – يقوم بطمسها، وكما أصبح معروفاً فإن تحقيق مشروع "مارشال – **Marshall Plan**" كان هو إرثهم.

خطاب "مارشال – **Marshall**" كان مقصده هو تغذية ودعم دعوة "ترومان – **Truman**" الأيديولوجية للسلاح قبل أشهر قليلة، والتى تم تبنيها والالتفاف حولها فى الحال باسم "مبدأ ترومان **Truman Doctrine**" وفى خطابه أمام "الكونجرس" فى مايو ١٩٤٧ بخصوص الوضع فى اليونان والذى كان ينذر بانقلاب شيوعى، كان "ترومان – **Truman**" يدعو بلغة رؤيوية غامضة لعصر جديد للتدخل الأمريكى: "فى هذه اللحظة من تاريخ العالم، فإن على كل دولة تقريبا أن تختار بين أساليب بديلة للحياة"، هكذا تكلم "ترومان – **Truman**" و"الاختيار ليس حرا دائما؛ أحد أساليب الحياة يقوم على إرادة الأغلبية، الثانى يقوم على إرادة أقلية مفروضة على الأغلبية بالقوة. يعتمد على الإرهاب والظلم، صحافة وإذاعة تحت الرقابة، انتخابات وهمية وقمع للحريات الشخصية. وأعتقد أنه لابد من أن تكون سياسة الولايات المتحدة هى أن تدعم الشعوب الحرة التى تقاوم الخضوع الذى تحاول أن تفرضه عليها قلة مسلحة، أو عن طريق الضغط الخارجى، وأعتقد أننا لابد من أن نساعد الشعوب الحرة على أن تقرر مصيرها بنفسها" (٣٦).

وبعد حديث "ترومان – "Truman أخبر "دين أتشسون – "Dean Acheson أعضاء "الكونجرس": لقد وصلنا إلى وضع لا مثيل له منذ القدم. لم يحدث أن كان هناك استقطاب للقوى منذ "روما" و "قرطاج" على هذه الأرض بالإضافة إلى أن القوتين العظميين توجد بينهما فجوة لا يمكن تجسيرها"(٣٧)، كان "چوزيف چونز - Joseph Jones" مسئول وزارة الخارجية، والذى كتب مسودة دعوة "ترومان – Tru-man" للكونجرس، كان يدرك الأثر العميق لكلمات الرئيس فقال: "لقد أزيلت كل معوقات العمل الجرىء الواضح، وأصبح هناك شعور بين صانعى السياسة بأن فصلا جديدا فى تاريخ العالم قد بدأ، وأنهم كانوا بشرا متميزين يشاركون فى دراما نادراً ما يحدث مثلها فى الحياة الطويلة لأمة عظيمة"(٣٨).

الشعور الزائد بالأبعاد الطبقية لدور أمريكا بعد الحرب، والذى أثاره حديث "ترومان – Truman" هو الذى أعطى المضمون البلاغى لحديث الچنرال "مارشال – Marshall" بعد ذلك، والذى كان أقل عداء للشيوعية. مضمون الخطابين معا، أو صفقة المساعدات الاقتصادية التى يصحبها واقع سياسى، كان يقدم رسالة واضحة لا لبس فيها: وهى أن مستقبل أوروبا الغربية – إن كان لها مستقبل – لابد من أن يرتبط بـ "سلام أمريكى pax Americana" وفى ١٧ يونيو، هاجمت جريدة "پراڤدا" اليومية السوڤيتية مقترحات "مارشال – Marshall" واعتبرتها امتداداً لخطط "ترومان – Truman" للضغط السياسى بالدولارات، وبأنها "برنامج للتدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى"(٣٩). وبالرغم من أن السوڤيت كانوا مدعوين من قبل "مارشال Mar-shall" للمساهمة فى مشروعه الشامل لإنقاذ أوروبا إلا أن العرض كان "مخادعا" كما قال "چورچ كينان – George Kennan" كما أنه "قدم بطريقة لابد من أن تجعله مرفوضا(٤٠). فكما كان متوقعا رفض السوڤيت أن يكونوا جزءا من المشروع، ربما كان رفضهم مبالغا فيه، ولكنهم كانوا محقين فى الأساس فى الربط بين الدوافع الإنسانية للمشروع وأچندة سياسية أقل وضوحا. وبعيداً عن تصور المشروع للتعاون مع الاتحاد السوڤيتى، فإنه كان مصمما فى إطار أجواء وروح حرب باردة تهدف إلى دق إسفين بين موسكو والأنظمة التابعة لها.(٤١). وفيما بعد كتب "دينيس فيتزجيرالد– Dennis Fitzge rald" الذى خطط لمشروع "مارشال Marshall Plan" يقول: "كان المفهوم ضمنا هو أهمية ألا يعطى السوڤيت الفرصة لكى يضربوا بمجدافهم فى تلك الأماكن، وكانت هناك دائما محاجة ترى أننا إذا فشلنا فى تقدير مطالب (x) ، (y) ، (Z) فإن السوڤيت سوف يستغلون هذا الموقف لتعزيز مصالحهم(٤٢). هذه النظرة دعمها "ريتشارد بيسل – Rich ard Bissell" المدير العام للمشروع بقوله: "حتى قبل نشوب الحرب الكورية، كان من

المفهوم جيدا أن مشروع "مارشال – Marshall" لم يكن المقصود أن يكون أمرا يخلو من الأنانية تماما. كان الأمل هو أنه بتقوية اقتصاد دول أوروبا الغربية سوف تزداد أهميتها كأعضاء فى تحالف الـ "ناتو NATO" ويكون من نتائج ذلك أن يصبحوا قادرين على تحمل مسئولية دفاعية تدعم جهود الحرب الباردة" (٤٣). كما كان المتوقع أن تضطلع تلك الدول سرا بمسئوليات أخرى " دعما لجهود الحرب الباردة. وبهذا الهدف سرعان ما بدأ ضخ المعونات المالية؛ لتدعيم الصراع الثقافى فى الغرب.

وفى الخامس من أكتوبر ١٩٤٧ عقد مكتب الإعلام الشيوعى (الكومينفورم)(*) مؤتمره الأول فى "بلجراد". كان هذا المكتب الذى تأسس فى "موسكو" فى الصيف السابق بمثابة قاعدة عمليات جديدة لـ "ستالين – Stalin" فى حربه السياسية؛ لكى يحل محل "الكومينتيرن" الميت، وقد استغل مؤتمر "بلجراد" لتوجيه تحد مكشوف لمبدأ "ترومان – Truman Doctrine" ولمشروع "مارشال – Marshall Plan" وشجبهما باعتبارهما حيلاً عدوانية تهدف إلى تحقيق مطامح الأمريكيين من أجل السيطرة على العالم(٤٤)، وكان "أندريه جدانوف – Andrei Zhdanov" مهندس سياسة "ستالين Sta-lin" الثقافية المندفعة يقول لشيوعيى أوروبا الغربية إنهم إذا كانوا مستعدين لامتلاك زمام كل القوى التى تعمل من أجل الدفاع عن قضية الشرف الوطنى والاستقلال وفى النضال ضد محاولات إخضاع بلادهم اقتصاديا وسياسيا، إذا كانوا مستعدين لذلك فإن أى مشروع لإخضاع أوروبا لن ينجح (٤٥). ومثلما اختار "مارشال – Marshall" تماما أن يخاطب الأرضية الثقافية فى أمريكا دعا "جدانوف – Zhdanov" مثقفى العالم لكى يسنوا أقلامهم لتقعقع تحت راية الشيوعية، ويرشقوا بأحبارهم السيادة الأمريكية. إن الأحزاب الشيوعية – الأوربية قد حققت نجاحات كبيرة فى العمل وسط المثقفين، والدليل على ذلك هو أن أفضل العلماء والفنانين والأدباء ينتمون إلى الحزب الشيوعى، ويقودون حركة النضال التقدمى بين المثقفين، وبفضل هذا النضال الخلاق الذى لا يهدأ، فإنهم يكسبون المزيد والمزيد من المثقفين إلى جانب القضية الشيوعية"(٤٦).

وفى نهاية الشهر نفسه اجتمعت قوات العاصفة الأيديولوجية للكومينفورم فى "مؤتمر كتاب برلين الشرقية " وذلك فى" مسرح "كامسبيل – Kammespile Theatre"، وبعد أن انتهى الحوار – الذى لم يكن حوارا بالطبع – اقتحم المنصة شاب أمريكى ذو لحية مدببة تشبه لحية "لينين – Lenin" ، وانتزع الميكروفون وراح يتكلم بالمانية سليمة لمدة خمس وثلاثين دقيقة ليمتدح أولئك الكتاب الذين كانت لديهم الشجاعة لأن يتكلموا

(*) Communist Information Bureau- Cominform

ضد "هتلر – Hitler" ، ويفضحون أوجه الشبه بين النظام النازى والدولة الشيوعية البوليسية الجديدة. كانت تلك لحظات خطرة، وكان تعطيل إجراءات الجلسة وإخماد الصوت العالى للدعاية الشيوعية إما أنه عمل مجنون .. أو شجاع .. أو كلاهما ... لقد وصل "ميلفن لاسكى – Melvin Lasky".

كان "ميلفن چوناه لاسكى – Melvin Jonah Lasky" من مواليد "برونكس" فى عام ١٩٢٠، نشأ فى كنف جده الذى كان يتكلم بلغة "اليديش"،كان مثقفا، كث اللحية، يغذى "لاسكى – Lasky" الصغير بنصوص من أساطير اليهود. وكواحد من أفضل وأذكى خريجى "نيويورك سيتى كولدچ" خرج "لاسكى – Lasky" من ذلك النقاش الأيديولوجى المضطرم معادياً صلبا لـ "الستالينية – Stalinism" مع ميل للمواجهة الفكرية والجسدية أحيانا – ،التحق بالخدمة المدنية وعمل مرشدا سياحيا عند تمثال الحرية قبل أن ينضم إلى فريق العاملين فى مجلة " نيوليدر – NewLeader" المعادية للشيوعية، والتى كان يصدرها "صول ليڤيتاس – Sol Levitas" وبعد انتظامه فى الجيش أصبح مؤرخا عسكريا مع الجيش السابع للولايات المتحدة فى فرنسا وألمانيا، ثم سرح بعد ذلك فى "برلين" حيث عمل مراسلا من ألمانيا لكل من "نيوليدر – New Leader" و"پارتيزان ريڤيو – Partisan Review" كان "لاسكى – Lasky" قصير القامة ممتلىء الجسم فكان يدفع بعظام كتفيه إلى الخلف وبصدره إلى الأمام، وكأنه دائما على أهبة القتال. مستغلا عينيه الشرقيتين لتوجيه نظرات مخيفة، اكتسب "لاسكى – Lasky" من جو "سيتى كولدچ" الخشن سوء خلق، نادرا ما كان يتخلى عنه، وكان فى عدائه الشديد للشيوعية يستخدم صفة ينعت بها أى شخص آخر فيقول: "إنه راسخ مثل جبل طارق. ولضراوته مثل الذئاب، وعناده وتصميمه أصبح "لاسكى – Lasky" قوة يعمل لها حساب وهو يشق طريقه بعنف فى حملات الحرب الباردة الثقافية. أما احتجاجه العاصف فى مؤتمر كتاب ألمانيا الشرقية فقد جعله يحصل على لقب "أب الحرب الباردة فى برلين". كان سلوكه مزعجا حتى بالنسبة للسلطات الأمريكية التى هددته بالطرد أكثر من مرة. وعندما روعه جبن رؤسائه كان يشبه "برلين" "بما كان ينبغى أن تكون عليه أية مدينة حدودية فى الولايات المتحدة فى منتصف القرن التاسع عشر – هنود فى الأفق، وما عليك سوى أن تكون بندقيتك قريبة منك دائما حتى لا يضيع رأسك.. إن لم يكن قد ضاع بالفعل. لكن المدن الحدودية فى تلك الأيام كانت ملأى بالمقاتلين الهنود .. هنا قليل من الناس الشجعان، وإن فعلوا فإنهم عادة لا يعرفون فى أى اتجاه يصوبون بنادقهم" (٤٧).

لكن "لاسكى - Lasky" كان يعرف العمدة "أو الشريف" وبدلا من إبعاده من المدينة أصبح تحت جناح الحاكم العسكرى الجنرال "لوسيوس كلاى - Lucius Clay" ذهب "لاسكى - Lasky" محتجا لأن الكذبة السوفيتية تسافر حول العالم بسرعة البرق بينما الحقيقة لم تلبس نعليها بعد! وشرح فكرته فى وثيقة مقنعة سلمها فى ٧ ديسمبر ١٩٤٧ فى مكتب "كلاى - Clay" تدعو لهزة جذرية فى الدعاية الأمريكية، هذه الوثيقة التى تعرف بـ اقتراح "ميلفن لاسكى - Melvin Lasky" تمثل برنامج العمل الشخصى أو خطة "لاسكى" الشخصية لشن الحرب الباردة الثقافية. كتب يقول: "إن أحلام السلام والوحدة الدولية قد أعمتنا عن حقيقة أن هناك حربا سياسية منظمة يجرى إعدادها وتنفيذها بشراسة، وأين؟! فى ألمانيا. الصيغ القديمة ذاتها المعادية للديمقراطية ولأمريكا(...) والتى تغذت عليها أجيال أوروبية كثيرة، والتى أوصلتها آلة الدعاية النازية إلى قمتها تحت قيادة "جوبلز - Gobbels"، هذه الصيغ ذاتها يعاد استخدامها الآن بمعنى الأنانية الاقتصادية المزعومة للولايات المتحدة (تصوير الأمريكى على أنه "شيلوك") رجعيتها السياسية المزعومة (صحافة رأسمالية مرتزقة ... إلخ)، انحرافها الثقافى المزعوم (حمى الرقص وموسيقى الجاز) إعلانات الراديو، تفاهات هوليود، النفاق الأخلاقى المزعوم (قضية السود وعمال الزراعة... إلخ)(٤٨).

وبلغة غير عادية راح "لاسكى - Lasky" يُعرِّف هذا التحدى: "إن صيغة الولايات المتحدة التى تتمتع بقداسة منذ القدم صيغة أشعل الضوء وسيجد الناس طريقهم الخاصة". هذه الصيغة تبالغ فى إمكانيات "ألمانيا" و"أوروبا" بسبب تحول سهل.. حيث إنه من الحماقة أن نتوقع أن نفطم شخصا بدائيا ونصرفه عن اقتناعه بأعشاب الغابة بمجرد توزيع المعلومات الطبية العلمية ... لقد فشلنا فى مقاومة العوامل المختلفة: السياسية والنفسية والثقافية، التى تعمل ضد السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وبخاصة ضد نجاح مشروع "مارشال - "Marshall فى أوروبا. ثم يواصل "لاسكى - Lasky" لاهثا ودون توقف: "إن ما نحتاج إليه الآن هو حقيقة "نشطة"، حقيقة لديها الجسارة الكافية لأن تدخل ساحة الصراع، وليست حقيقة تتصرف مثل المتفرج فى الأوليمبياد"، ونبه محذرا إلى أن مادة الحرب الباردة ثقافية. وهنا بالتحديد فإن أعداء السياسة الخارجية الأمريكية قد استغلوا الثغرة فى البرنامج الأمريكى .. وهى ثغرة حقيقية وخطيرة"(٤٩).

الثغرة الحقيقية والخطيرة التى أشار إليها "لاسكى - Lasky" كانت هى الفشل فى اكتساب الطبقات المتعلمة والمثقفة، والتى تقدم على المدى الطويل - القيادات

الأخلاقية والسياسية للمجتمع وللقضية الأمريكية، وهذا النقص كما يقول كان يمكن علاجه جزئيا بإصدار صحيفة جديدة ، صحيفة تكون إضافة بنَّاءة للفكر الألمانى الأوروبى، وتبين فى الوقت نفسه أن وراء الممثلين الرسميين للديمقراطية الأمريكية توجد ثقافة عظيمة وتقدمية، ولها إنجازات ثرية فى الفنون والآداب والفلسفة وفى كل مجالات الثقافة تضم التقاليد الحرة فى كل من أوروبا وأمريكا"(٥٠).

وبعد يومين "قدم لاسكى – Lasky" نشرة أولية مقترحة لصحيفة "أميركان ريڤيو – AmericanReview"، والتى يمكن أن يكون هدفها هو دعم الأهداف العامة لسياسة الولايات المتحدة فى ألمانيا وأوروبا بتصوير أرضية الأفكار والنشاط الروحى والإنجاز الأدبى والفنى الذى تستلهمه الديمقراطية الأمريكية، كما كان يقول: "إن المطبوعة سوف توضح كيف حققت أمريكا والأمريكيون انتصارات كبيرة فى كل مجالات الروح الإنسانية المعروفة للعالمين القديم والجديد، ومن هنا فإنها تعتبر بالفعل أول جهد حقيقى وجاد لاكتساب قطاعات واسعة من المثقفين الألمان واجتذابهم بعيدا عن التأثير الشيوعى (٥١).

وأثمر ذلك عن مجلة "ديرمونات – Der Monat" الشهرية التى كرست لبناء جسر أيديولوچى بين المثقفين الألمان والأمريكيين – وكما أوضح "لاسكى – Lasky" صراحة من قبل: لتمهيد الطريق أمام مصالح السياسة الخارجية الأمريكية عن طريق تدعيم الأهداف العامة لسياسة الولايات المتحدة فى ألمانيا وأوروبا. صدرت المجلة فى الأول من أكتوبر عام ١٩٤٨ بدعم من الجنرال "كلاى – Caly" وبرئاسة تحرير لاسكى "Lasky –" وكانت تطبع فى البداية فى "ميونخ" وتنقل جواً إلى "برلين" فى طائرات الشحن التابعة للحلفاء، والتى كانت المدينة تعتمد عليها أثناء الحصار. على مر السنوات، كانت "ديرمونات – Der Monat" تُمَوَّلُ عن طريق الإعانات السرية من مشروع "مارشال – Marshall" ثم عن طريق صناديق المخابرات المركزية الأمريكية - CIA، ثم عن طريق أموال "مؤسسة فورد– Ford Foundation"، ثم مرة أخرى من دولارات المخابرات المركزية CIA وبسبب هذا التمويل وحده كانت المجلة نتاجا، ونموذجا، لاستراتيچيات الحرب الباردة الأمريكية فى الميدان الثقافى.

كانت "دير مونات – Der Monat" بمثابة المعبد لعقيدة ترى أن النخبة المثقفة يمكنها أن توجه عالم ما بعد الحرب، وأن تنقذه من الهلاك، هذا إلى جانب صلاتهم بسلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى والذى جمع بين "لاسكى – Lasky" و"چوسلسون – Josselson" و"نابوكوف Nabokov"، مثل "چان كوكتو jean Coc-teau" الذى كان يحذر بعد ذلك أمريكا من أن "السلاح لن ينقذك، ولا المال، ولكن

بواسطة قلة مفكرة، لأن العالم ينهار ولم يعد "يفكر".. بل ينفق وليس أكثر [٥٢] فقد أدركوا أن دولارات "مشروع مارشال – Marshall Plan" لن تكون كافية: المساعدات المالية لابد من أن تلحق ببرنامج مكثف للحرب الثقافية. هذا الثالوث العجيب "لاسكى – Lasky" المقاتل السياسي، "وجوسلسون – Josselson" مسئول المشتروات السابق فى أحد المحلات الكبرى و"نابوكوف - Nabokov " المؤلف الموسيقى.. كانوا الآن يقفون على الحافة الحادة لما سوف يصبح تحت إشرافهم إحدى العمليات السرية الأكثر طموحا فى الحرب الباردة وهو: كسب النخبة الثقافية الغربية لحساب الطرح الأمريكى".

(٢)

اختيار القدر

لا شيء مثل البراءة، البراءة المشوبة بالذنب هي أيضا صفقة جيدة يمكن أن تحصل عليها.

"مايك هامر"

في رواية "ميكي سبيلان" : "قبلني بقوة"

كان الطرح الأمريكي قد تم توضيحه في "مبدأ ترومان - Truman Doctrine" و"مشروع مارشال - Marshall Plan"، والآن بدأت مرحلة جديدة في الحرب الباردة مع إنشاء وكالة المخابرات المركزية - CIA، أول مؤسسة استخبارات أمريكية في وقت السلم. أنشئت الوكالة بقرار الأمن القومي الصادر في يوليو ١٩٤٧، وكان الهدف الأصلي منها هو التنسيق بين المخابرات العسكرية والدبلوماسية. بشكل حاسم، ولغة شديدة الغموض كان من المسموح لها تنفيذ: "خدمات ذات أهمية مشتركة" غير محددة "وغيرها من المهام والواجبات الأخرى" مثل "مجلس الأمن القومي" (الذي أنشئ بموجب نفس القرار). وفيما بعد كان تقرير حكومي يقول: إن قرار ١٩٤٧ لم ينص في أي جانب منه علي أن الوكالة المركزية كان من حقها جمع معلومات سرية أو التدخل سرا في شئون الدول الأخرى". ولكن الجمل المطاطية مثل "وغيرها من الواجبات الأخرى" كان يتم استخدامها من قبل الرؤساء المتوالين لتحريك الوكالة في اتجاه التجسس والعمل السري والعمليات البرلمانية وجمع المعلومات الفنية[١].

كان إنشاء الوكالة - CIA بمثابة تغيير شامل في النماذج التقليدية للسياسة الأمريكية؛ فالشروط التي أنشأتها أدخلت إلى المؤسسة مفاهيم "الكذب الضروري" و"الإنكار المقبول"، وجعلت منها استراتيجيات شرعية في وقت السلم، وأنتجت على المدى الطويل طبقة حكم خفية قادرة على الابتزاز وإساءة استخدام السلطة في الداخل والخارج دون أدنى شعور بالمسئولية.

هذه الخبرة في النفوذ غير المحدود يعبر عنها بطل رواية "شبح هارلوت" للكاتب "نورمان مايلر - Norman Mailer" يقول " هارلوت": نحن نتدخل في كل شيء إذا كان المحصول الجيد أداة من أدوات السياسة الخارجية، يكون علينا أن نعرف طقس العام القادم، نفس الاحتياج يأتينا أينما نظرنا: المال والإعلام وعلاقات العمل والإنتاج

الإقتصادى وأثر التلفزيون، أين تنتهى اهتماماتنا الشرعية؟ لا أحد يعرف عدد قنوات اتصالنا للحصول على المعلومات من الأماكن المهمة،كم عدد رجالنا المهمين فى "البنتاجون" و "قيادة البحرية" و "الكونجرس" و "مراكز البحوث"و "خبراء تآكل التربة"، "قيادات الطلبة"، "الدبلوماسيون"، "المحامين"، كلهم يزودننا بالمعلومات"[٢].

وحيث إن المخابرات المركزية – CIA كانت تمتلك خطوطا جوية، ومحطات إذاعة، وصحفا، وشركات تأمين، وعقارات، فإن وجودها قد برز فى الشئون العالمية بشكل مذهل على مدى سنوات لدرجة أن الناس بدأوا يشكون فى أنها هناك وراء كل شيء... وأى شيء. وكما كان يشكو أحد رجال الوكالة فيما بعد: "مثل دوروثى پاركر – Dorothy Parker" والأشياء التى قالتها: فإن وكالة المخابرات المركزية تحصل على التقدير أو اللوم بسبب ما تقوم به، وبسبب أشياء كثيرة لم تفكر حتى فى القيام بها"[٣] العمليات المصحوبة بكوارث مثل عملية "خليج الخنازير" لم تحسن كثيرا الصورة العامة للوكالة، وظهرت صورة سلبية عن وكالة تضم أمريكيين قبحاء مدبرين للمكائد، تشوه رؤيتهم للعالم ساحة من المرايا.

وبالطبع فإن التاريخ يواصل تثبيت هذه الصورة، "مبدأ ترومان – Truman Doctrine" وقرارات الأمن القومى التى جاء بها صدقت على العدوانية والتدخل فى الخارج، ولكن مدى مغامرتها الإمپريالية يميل لحجب بعض الحقائق الأقل فجيعة عن المخابرات المركزية. في البداية كان ضباطها يدفعهم شعور بأنهم يقومون برسالة: "إنقاذ الحرية الغربية من الظلام الشيوعى". رسالة كان يشبهها أحد الضباط بـ "جو طبقة فرسان الهيكل"[٤](*) كان النفوذ الباكر المسيطر هو أرستقراطية الساحل الغربى وخريجو الجامعات العريقة، والمثقفون المحبون للإنجليز والذين وجدوا مبررا قويا لأفعالهم فى تراث التنوير والمبادئ المتضمنة فى إعلان الاستقلال.

وبهذا كانت الوكالة المركزية تأخذ طابعها من سلفها فى وقت الحرب: مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS)(**) الذى كان قد أنشئ فى عام ١٩٤١ فى أعقاب "پيرل هاربور" وألغاه الرئيس "ترومان – Truman" فى سبتمبر ١٩٤٥ عندما قال آنذاك إنه لا يريد شيئا يشبه "الجستابو" فى وقت السلم، هذا الخوف الأولى لم

(*) أعضاء منظمة دينية عسكرية أنشئت فى القدس عام ١١١٨ لحماية الحجاج والقبر المقدس.

(**) OSS هى الأحرف الأولى من اسم مكتب الخدمات الاستراتيجية: Office of Strategic Services، وقد اعتبرها البعض – من باب الاستظراف – الأحرف الأولى من عبارة : ! - Oh!So Social ياه ! كم هو اجتماعى! (المترجم).

يعكس سوى القليل عن حقيقة مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS" الذى كان يشار إليه بـ"ياه! كم هو اجتماعى! بسبب جوه الطلابى!".

كان كل عضو من أعضاء مكتب الخدمات الاستراتيجية يحمل حقيبة بها بندقية قصيرة وعدد من القنابل اليدوية وبعض العملات الذهبية وحبة دواء قاتلة"، كما يقول "توم برادن- Tom Braden الذى كان يعمل بشكل مباشر مع "وليم دونوڤان - William Donovan أو "بيل المتوحش"، هو اسم الشهرة الذى عرف به بسبب ما فعله بـ"پانكو ڤيلا - Pancho Villa". ويقول "توم برادن - Tom Braden" إن "دونوڤان - Donovan" نسى ذات مرة حبة الدواء القاتلة فى درج طاولة فى فندق "دورشيستر" فطلب من "ديڤيد بروس - David Bruce" أن يرسل برقية من فرنسا يطلب من الخادمة هناك أن ترسلها إليه. كان "بيل دونوڤان - "Bill Donovan شخصية غريبة الأطوار وأسطورة فى زمنه، قال لى ذات مرة :"إذا وقعت فى مأزق أو ورطة فما عليك سوى أن تتناول مديتك وتغمدها مباشرة فى عين ذلك الشخص"(٦).

ولأن التشريع الذى كان يحكمهم كان يحظر القليل ويسمح تقريبا بأى شىء، فإن العاملين فى مكتب الخدمات الاستراتيجية وجدوا أنفسهم: يجولون فى أوروبا فى وقت الحرب مثل الحكام العسكريين، وخاصة فى المقاطعات الألمانية القديمة، أول فرد يصل من مكتب الخدمات الاستراتيجية إلى "بوخارست" بعد انسحاب الألمان فى خريف ١٩٤٤ أصبح ضيفا دائما على اجتماعات الحكومة الرومانية، وكان يتباهى أمام زملائه بقوله" قبل أن يصوتوا على أى شىء يطلبون رأيى .. ويمررون كل ما أقوله بالإجماع، لم أكن أتصور قط أن إدارة دولة يمكن أن تكون بمثل هذه السهولة"(٧). ولكن إدارة الدولة كانت هى بالتحديد ما تم تدريب أعضاء الـ"OSS" عليه. وبتجنيد أفراد من قلب المؤسسة الأمريكية: السياسية والأكاديمية والثقافية استطاع "دونوڤان - Donovan" أن يجمع فيلقا من النخبة التى جاءته من أقوى العائلات والمؤسسات الأمريكية. شغل أبناء عائلة "ميلون - Mellon" مناصب التجسس فى "مدريد" ولندن " وجنيف " "وباريس". و"پول ميلون - Paul Mellon" عمل لحساب مسئول العمليات الخاصة فى لندن :أخته "إيلسا Ailsa" (وكان يقال ذات يوم إنها أغنى امرأة فى العالم) تزوجت رئيسه "ديڤيد بروس - David Bruce" رئيس مكتب الـ "OSS" فى "لندن" (كان ديڤيد بروس - David Bruce) ابن سيناتور أمريكى كان مليونيرا فى الأصل) كما كان ابنا "ج. پ. مورجان - J. P. Morgan من بين العاملين فى مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS" عائلات "ڤاندر

بلت – "Vander Bilt" و"دى بو – "Du Pont" و"آرشبولد – Archbold(ستاندارد أويل) و"ريان – "Ryan" (إكويتابل للتأمين) و"قيل – "Weil" (محلات مكاى) و"ويتنى "Whitney".. كلهم كانوا ممثلين فى صفوف جيش "دونوڤان "Donovan" السرى.

ومن بين الذين تم تجنيدهم للعمل فى الـ "OSS" كان هناك "أيوچين فورد – "Eugene Ford" ناشر "دليل السفر"، والصحفى"مارسيللو جيورسى – Marcello Gior-si" من "نيويورك" والذى أصبح – فيما بعد– مخرجا لأفلام إيطالية و أمريكية لمعت فيها "صوفيا لورين – "Sophia Loren"، و"إليا تولستوى – "Ilia Tolstoy" حفيد مهاجر للروائى الشهير، وكان عضوا فى مهمة تابعة للـ "OSS" سافرت إلى "لاسا" و"چوليا ماكويليمز تشايلد – "Julia Mcwilliams Child" الذى أصبح– فيما بعد– رئيس طهاة مشهورا، وكان هو الذى يحتفظ بالملفات السرية للـ "OSS" فى "تشنج كنج"، و"ريموند جست – "Raymond Guest" الشخصية الاجتماعية البارزة ولاعب البولو وقريب "ونستون تشرشل – "Winston Churchil" و"أنطوان دو سان اكزوبرى – "Antoine De Saint Exupery" الذى كان صديقا حميما ومتعاونا مع "دونوڤان – "Donovan"، وكذلك "إرنست هيمنجواى – "Ernest Hemingway" الذى كان ابنه "چون – "John" ضمن العاملين فى الـ"OSS".

وبالرغم من شكوى أحد النقاد من وجود عدد كبير من الشباب المستهتر والذين كان الـ "OSS" بالنسبة لهم" مهربا من الخدمة العسكرية الروتينية، وفرصة للهو"(٨)، بالرغم من ذلك كان هناك افتراض بأن كل عضو فى الصفوف العليا من بين العاملين مع "دونوڤان – "Donovan" قد غامر بوضعه المستقبلى فى أن يكون رئيسا لبنك أو مؤسسة كبرى أو أن يكون سياسيا بارزا، لأن اسمه ارتبط بشىء غير شرعى وغير قويم(٩). وبإلغاء مكتب الخدمات الاستراتيچية "OSS" عاد أولئك الرجال إلى الحياة المدنية، "آلان دالاس – "Allen Dulles" النائب الذكى لـ "دونوڤان – "Donovan" والذى كان مسئولا عن عمليات الـ "OSS" فى أوروبا عاد إلى عمله فى مجال القانون فى "نيويورك" حيث أدار مركزا لكادر غير رسمى من جماعة فى خدمة المخابرات الأمريكية بشكل دائم، هذه الجماعة التى كانت تعرف باسم "كاوبوى پارك اڤنيو– Park "Avenue Cowboys" كانت تضم "كيرميت (كيم) روزڤلت – Roosevlet Kermit "Kim" حفيد "تيودور "Theodore" و"تريسى بارنز – "Tracy Barnes" الذى ساعد "آلان دالاس – "Allen Dulles" لكى يستعيد مذكرات "شيانو" الشهيرة من الكونتيسة شيانو – Ciano و"ريتشارد هلمز – "Richars Helms" و"فرانك ويزنر – Frank Wis-ner" اللذين كانا يجمعان تقارير المخابرات العسكرية فى ألمانيا المحتلة، و"رويال تيلر

– Royall Tyler" الذى سيصبح بعد وقت قصير رئيسا لمكتب البنك الدولى فى" باريس".

ويصرف النظر عن تعريض "أوضاعهم المستقبلية للخطر"، إلا أن الفترة التى أمضوها فى الـ "OSS" عززت سمعتهم و دمت شبكة جديدة تنضم إلى رابطة الدراسة القديمة التى جمعتهم جميعا فى المقام الأول،هذا بالإضافة إلى بدء حياتهم باللاشرعية وارتباطهم- من البداية- بأساليب العمل غير القويمة، ذلك كله ساعد على أن يقدم لوكالة المخابرات المركزية "CIA" مصدرا مهما وثريا. هذه النخبة التاريخية "رابطة الجامعيين" هى التى بسطت نفوذها وتأثيرها فى قاعات مجالس الإدارات والمؤسسات الأكاديمية والصحف الرئيسية والإعلام والشركات القانونية ومؤسسات الدولة، هذه النخبة هى التى تقدمت لكى تملأ صفوف الوكالة الوليدة. كثيرون منهم جاءوا من تمركز سكانى فى "واشنطن" قوامه نحو مائة عائلة من العائلات الغنية كانوا يعرفون بسكان الكهوف، يقفون إلى جانب الحفاظ على القيم الأسقفية البروتستانتية والكهنوتية التى كانت سببا فى هداية أسلافهم، ولأنهم تعلموا ونشأوا على القيم المسيحية الوطيدة والتفكير العميق والجسارة الرياضية والتهذيب الأخلاقى فقد كانوا يتخذون مثلهم العليا من رجال مثل الكاهن "انديكوت پيبودى – Re-verned Endicot Peabody" والذى كانت مدرسته "جروتون سكول – Groton School" بأفرعها فى "إيتون" وهارو" و"وينشستر" هى المدرسة الأم بالنسبة لعدد من القادة الوطنيين. ولأنهم تربوا على الفضائل المسيحية وواجبات الامتياز شبوا مؤمنين بالديمقراطية، لكن حذرين متوجسين من المساواتية "Egalitarianism" المطلقة عاكسين عبارة "ڤيلى برانت – Willy Brandt" الشهيرة "نحن المختارين من الشعب ولسنا الصفوة" كان أولئك هم الصفوة التى لم تنتخب.

الذين لم يخدموا منهم فى مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS" أمضوا فترة الحرب يتقدمون الصفوف فى وزارتى الداخلية والخارجية، وكانوا يدورون حول شخصيات مثل "تشارلز بوهلن – Charles Bohlen" الشهير بـ "شيپ "Chip" والذى سيصبح سفيرا لدى فرنسا- فيما بعد- فى أوائل الأربعينيات، كان بيته فى "دمبارتون أڤينيو" فى "چورچ تاون" مكانا للتخمر الثقافى يتوسطه "چورچ كينان – George Kennan" و"أشعيا برلين – Isaiah Berlin" الذى كان يشار إليه بوقار فى دوائر واشنطن بـ "النبى"، وقد وصف أحد المراقبين "كينان – Kennan" و"بوهلن – Bohlen" و"أشعيا برلين- – Isaiah Berlin" بالثلاثى المتجانس المتناغم. كان "بوهلن – " Bohlen أحد مؤسسى فرع جديد فى الدراسات الحديثة يعرف

بـ"الكرملينولوچـى(*) Kremlinology"، كـان قـد عـاش فى روسـيـا وعـرف زعـمـاءها وقادتها ودرس أدبياتها الأيديولوچـيـة، ويستطيع أن يقتبس من الأعمال الكلاسيكية من الذاكرة، وكان قد شهد حملات التطهير والمحاكمات فى أواخر الثلاثينيات والأثر التام لسياسة "جدانوف Zhdanov" الثقافية. هناك عبارتان أخيرتان كان "بوهلن- Bohlen" مـغـرمـاً دائمـاً بتـرديدهمـا. إحداهمـا: "الشـراب ليس له أى تأثيـر علىّ" و"الثانية: "أنا أفهم الروس، ومن أجل فهم أفضل اتجه إلى "أشعيا برلين – Isaiah Berlin" و"نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" الذى كـان يعمل آنذاك فى وزارة العدل. كـان "بوهلن – Bohlen" يشير إلى نابوكوف Nabokov" بأنه "ثروة نفيسة " وكـان نابوكـوف Nabokov يرد على هذه المجـاملة بوصف "بوهلن – Bohlen" بأنه "مثالى، وهو "مصدرى للاستشارة والنصح".

فيما بعد كتب "نابوكوف: Nabokov" هؤلاء الأصدقاء الجدد كانت لديهم أوهام بسيطة عن "العم چو – Uncle Joe"، هذا إذا كـانت لديهم أية أوهام أصـلا، كـانوا مجموعة تنطوى على مفارقة تاريخية على أكثر من نحو فى "واشنطن" تلك السنوات وربما فى أمـريكا كلـها. كـانت أمريكا فى حالة شعور بالنشاط والخفة والإعجاب بالسوڤيت، ولكن أحداً فى البيت الموجود فى "دمبارتون أڤينيو: لم يكن يشعر بشىء من ذلك، كان الجزء الرئيسى من الرأى العام الأمريكى قد تغير مرتين فى ظرف ثلاث سنوات بالنسبة لمشاعره تجاه الروس. فى المرة الأولى كان ضدهم بعد تقسيم پولندا"، والحرب الپولندية الشيطانية، وكان "ستالين – Stalin" يظهر فى رسوم الكاريكاتير فى الصحافة بملامح كريهة، هى خليط من ملامح الذئب والدب معا، ثم فجأة، أصبح الرأى العام مع روسيا: بعد الغزو النازى لها فى عام ١٩٤١. فجأة، أصبح "ستالين – Stalin" جميلا فى الصحف ويظهر فى الرسوم فارسا يمتطى درعه؛ دفاعا عن الكرملين ضد قطيع من "التيوتون" الألمان – أو يعاد نشر صور له من مجموعة "مارجريت بورك وايت – Margaret Bourke White" التى يبدو فيها وسيما أنيقا. ثم ارتفع الشعور المؤيد لروسيا فى عام ١٩٤٣ بسبب "ستالينجراد". كان الأمريكيون المفعمون بالثقة يقولون: "سترون، لن تعود الشيوعية إلى روسيا كما كانت، ستصبح دولة أخرى بعد الحرب، ألم يُعِد "ستالين – Stalin" البطريرك من المنفى؟ والشعراء والكتاب؟ ألم يعد "ستالين – Stalin" رتب الضباط والاعتبار للأبطال القوميين؟ وحتى لبعض القياصرة مثل "الكساندر نيڤسكى – Alexander Nevesky" و"بطرس الأكبر – Peter The Great"؟ ولكن المتشككين فى "دمبارتوم أڤينيو" لم يكونوا مع هذا

(*) دراسة كل ما يتعلق بالكرملين حيث القيادة والقرار السوڤيتى (المترجم).

الرأى، كانوا يعرفون أنه "لا رجعة عن الستالينية"(١٠)، كما قال "كينان – Kennan" ذات يوم.

وانضم إلى المتشككين فى "دمبارتوم أفينيو: كل من "ديفيد بروس – David Bruce " و"أفريل هاريمان – Averell Harriman" و"چون ماكلوى – "John McCloy" و"چوزيف وستيوارت ألسوپ – " "Joseph and Stewart Alsop رتشارد بيسل – "Richard Bissell" و"التر ليپمان – "Walter Lippman"والأخوين "بندى – Bundy". وبعد نقاش طويل متبادل كان يزيد من حميته الحماس الفكرى والكحول، بدأت تتشكل رؤيتهم لنظام عالمى جديد. هؤلاء الناس المؤمنون بالدولية، المتميزون بالوضوح الحاد والتنافسية، كان لديهم إيمان لا يتزعزع بنظامهم القيمى وبواجبهم فى تقديمه للآخرين. كانوا هم نبلاء العصر الحديث، نصراء الديمقراطية. ولم يروا أى تناقض بين هذا وذاك كانت تلك هى النخبة التى أدارت سياسة أمريكا الخارجية، وشكلت التشريع فى الداخل، وعبر جماعات الخبرة إلى المؤسسات والإدارات، إلى عضوية الأندية. كان أولئك المثقفون الكبار يتواشجون مع العاملين فى المؤسسات. ومع اعتقاد مشترك بتفوقهم كانت مهمتهم هى إقامة "سلام أمريكى – pax Americana" تم تبريره بعد الحرب. وكانوا مؤيدين شديدى الدعم لوكالة المخابرات المركزية"CIA" التى كان يتم شغل وظائفها على وجه السرعة بأصدقائهم من أيام الدراسة وزملائهم فى الأعمال التجارية أو فى المشروع القديم: مكتب الخدمات الاستراتيچية "OSS".

كان "چورچ كينان – Geroge Kennan" هو المعبر الأول عن القناعات المشتركة للنخبة الأمريكية، فهو أحد آباء وكالة المخابرات المركزية كدبلوماسى مثقف، ومهندس مشروع "مارشال – Marshall" ومدير مجموعة تخطيط سياسة وزارة الخارجية. فى سنة ١٩٤٧ دافع عن التدخل العسكرى المباشر فى إيطاليا بسبب ما كان يراه سقوطها الوشيك فى حرب أهلية يدعمها الشيوعيون، "هذا لا بد من أن يؤدى إلى مزيد من العنف، وربما إلى تقسيم عسكرى لإيطاليا". كان ذلك تقريره لوزارة الخارجية، "لكنه قد يكون أفضل من انتصار انتخابى أبيض "بدون دماء" لانعارضه، ولكنه يمكن أن يعطى الشيوعيين شبه الجزيرة كلها بضربة واحدة موفقة، ويبث موجات الذعر فى كل المناطق المحيطة"(١١). ولحسن الحظ لم يوافق "ترومان – Truman" على هذا الاقتراح المفاجئ ولكنه سمح بتدخل سرى فى الانتخابات الإيطالية بدلا من ذلك. وفى يوليو ١٩٤٧ كان "كينان – Kennan" قد عدل أفكاره – ليس بخصوص طبيعة الخطر السوفيتى وإنما بخصوص طريقة التعامل معه – فى مقاله الشهير (فى مجلة "الشئون الخارجية" عندما أطلق فرضيته التى كانت سائدة

فى السنوات الأولى للحرب الباردة، زاعما أن الكرملين: "كان ينوى- بإصرار- أن يسيطر على كل ركن وزاوية فى مجال القوة العالمية بأيديولوچيته المتعصبة، "واقترح "كينان - Kennan" سياسة قوة مضادة ثابتة واحتواء راسخ ويقظ"، وكجزء من هذه السياسة كان من أنصار تطوير أساليب الدعاية والحرب السياسية إلى أقصى درجة(١٢). وبصفته مديرا لمجموعة تخطيط سياسة وزارة الخارجية كان هو المسئول عن تطبيق ذلك (كانت مهمة مجموعة تخطيط سياسة وزارة الخارجية هى الإشراف على الاحتواء الأيديولوچى السياسى لأوروبا، بعد ذلك كتب يصف هذا المكتب بقوله: "كان العالم هو محارتنا".

وفى حديث أمام "كلية الحرب الوطنية" فى ديسمبر ١٩٤٧ كان "كينان - Kan-nan" هو الذى يقدم مفهوم "الكذب الضرورى" كمكون أساسى من مكونات الدبلوماسية الأمريكية بعد الحرب. قال: "لقد فاز الشيوعيون بوضع قوى فى أوروبا.. يفوق وضعنا بدرجة كبيرة.. وذلك عن طريق الاستخدام الوقح والذكى للكذب لقد حاربونا باللا حقيقة واللا منطق فهل بإمكاننا أن نحارب هذه اللاحقيقة بالمنطق وننجح؟ هل يمكن أن نحاربها بالصدق والمساعدات الاقتصادية الأمينة حسنة النية؟"(١٣). كان ذلك هو السؤال الذى طرحة "كينان - Kennan" لا! لقد كانت أمريكا فى حاجة إلى أن تدخل مرحلة جديدة من الحرب السرية لكى تدفع بأهدافها الديمقراطية ضد الخداع السوڤيتى.

وفى ١٩ ديسمبر ١٩٤٧ حصلت فلسفة "كينان - Kennan" السياسية على تصريح رسمى بموجب توجيه إدارى أصدره مجلس الأمن القومى للرئيس "ترومان - Truman (ملحق 4 - NSC) يعطى تعليمات لمدير المخابرات المركزية بأن يشرع فى استخدام "الأنشطة النفسية السرية لدعم السياسة الأمريكية المضادة للشيوعية"، هذا الملحق الغامض الذى لا يوضح الأساليب التى سوف تتبع لتنسيق هذه الأنشطة أو الموافقة عليها، كان هو أول تصريح رسمى بالعمليات السرية بعد الحرب. وفى شهر يونيو ١٩٤٨ حل محله توجيه إدارى آخر - أكثر وضوحا - أعد مسودته "چورچ كينان - "George Kennan" (NSC - 10/2). كانت تلك هى الوثائق التى ستوجه المخابرات الأمريكية فى المياه المضطربة للحرب السياسية السرية على مدى عقود تالية.

هذه التوجيهات أعدت بسرية تامة لأنها كانت تتبنى مفهوما صريحا لمتطلبات الأمن الأمريكى لكى يطوق عالماً يجرى تعديله على النمط الأمريكى"(١٤). وانطلاقا من فكرة أن الاتحاد السوڤيتى والدول التابعة له كانوا عاكفين على برنامج أنشطة سرية

"شريرة " يهدف إلى دحض وهزيمة أهداف وأنشطة الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى، أعطى التوجيه الإدارى (NSC - 10/2) أعطى تفويضاً للحكومة للقيام بأقصى عمليات سرية: "الدعاية، الحرب الاقتصادية، الأعمال الوقائية المباشرة بما في ذلك التخريب، والتخريب المضاد، إجراءات الهدم والإخلاء والتدمير ضد الدول المعادية بما في ذلك مساعدة حركات المقاومة السرية والعصابات وجماعات التحرير اللاجئة[١٥]، وينص عبارات التوجيه الإدارى (NSC - 10/2) لابد من أن تكون جميع هذه الأنشطة" مخططة ومنفذة جيدا بحيث لا تظهر أية مسئولية للولايات المتحدة لأى من الأشخاص غير المصرح لهم، وبحيث يمكن لحكومة الولايات المتحدة أن تتنصل بشكل مقنع من أية منها فى حال اكتشافه[١٦].

كما أقر التوجيه (NSC - 10/2) تكوين مجموعة خاصة للعمليات السرية داخل وكالة المخابرات المركزية– "CIA" لكن سياستها وأفرادها يكونون تحت إدارة مجموعة تخطيط سياسة وزارة الخارجية (وبمعنى آخر: تحت سيطرة "كينان – Kennan) هذه المجموعة أخذت فى النهاية اسم مكتب تنسيق السياسات "OPC"(*)، وهو مسمى لا يبدو فيه أى ضرر، تم وضعه بشكل يؤكد معقوليته بينما لا يكشف عمليا أيا من أهدافه[١٧]. وكان العمل السرى يعرف بأنه "أى نشاط سرى يهدف إلى التأثير على الحكومات الأجنبية أو الأحداث أو المنظمات أو الأفراد لمساعدة سياسة الولايات المتحدة الخارجية، ويتم بطريقة لا تظهر تورط حكومة الولايات المتحدة"[١٨] وكان مكتب تنسيق السياسات "OPC" بحجم نشاطه غير المحدود ودرجة سريته أول سابقة من نوعها فى أمريكا فى وقت السلم. هنا كانت "إدارة الأعمال القذرة" التى كان "الن دالاس – "Allen Dulles وكاويوى "بارك أفينيو" يعدون لها. ومن بين صفوفها برز "فرانك ويزنر – "Frank Wisner ليقود هذه العمليات الجديدة، وكان قد تم اختياره من قائمة مرشحين قدمها "جورج كينان "George Kennan.

كان "فرانك ويزنر – "Frank Wisner محاميا من "وول ستريت" يتكلم بخنة تميز أبناء المسيسيبى، وبطلا فى سباق الحواجز فى جامعة "فرچينيا"، كما كان متمرسا قديما فى عمليات مكتب الخدمات الاستراتيچية "OSS" فى أوروبا كلها، ورئيسا لفرع المخابرات السرية به بعد الحرب. ظل يعمل فى المخابرات العسكرية، وكان مسئول الاتصال بمنظمة "جهلين "Gehlen وهى وحدة المخابرات فى الجيش الألمانى التى أبقى عليها الأمريكيون للتجسس على روسيا، لم يكن "ويزنر – "Wisner بالشخص الذى يمكن أن يثنيه أى نقاش أخلاقى عما يريد، وكما يقول "هارى

(*) Office of Policy Coordination

روسيتزكى - "Harry Rositzke" الذى كان زميلا مقربا فى الـ "OSS" وفيما بعد فى المخابرات المركزية "CIA" كان شيئاً لا يمت للمنطق أو العقل بأية صلة أن يُستَخْدَمَ أى شخص حقير ما دام كان معاديا للشيوعية"(١٩). أما تعليق "آلان دالاس - Allen Dulles" على علاقة "ويزنر - Wisner" بالجنرال "رينارد جهلين - Reinhard Gehlen من قوات الـ "OSS" فهو: لم يكن هناك حاجة لأن يدعوه أحد لمصاحبته"(٢٠).

كان "ويزنر - Wisner" قد استقال غاضبا من المخابرات العسكرية عندما انتقد رؤساؤه -بسخرية- طلبه للمزيد من الدراجات لضباطه. وبعد ذلك التحق بوزارة الخارجية، ومن هناك واصل إدارة ما كان بالفعل جماعة المخابرات الخاصة به والمكونة من خلايا منتشرة مثل مأرب تربية الأرانب داخل البيروقراطية الحكومية، كانت هذه الجماعة هى التى أُدْمِجَت فى وكالة المخابرات المركزية "CIA" تحت اسم مكتب تنسيق السياسات "OPC". ولكن أسلوب "ويزنر - Wisner" فى تجنيد واستئجار النازيين لم يتوقف عندما تولى رئاسة الـ "OPC"، وكما كتب زميل له فى الـ "CIA" فيما بعد، فإن "ويزنر - Wisner" جلب جماعة كاملة من الفاشست بعد الحرب، كان بعضهم بالفعل من أشد الناس رداءة وحقارة، استطاع أن يفعل ذلك "لأنه كان قويا"(٢١). "كان هو مفتاح أشياء كثيرة جداً، رجل ذكى، لا يقاوم، شديد الجاذبية والخيال والإقناع لدرجة أن أى شيء .. أى شيء بالفعل يمكن تحقيقه كان بإمكانه أن يقوم به"(٢٢).

تحت إدارة "ويزنر - Wisner" أصبح مكتب تنسيق السياسات "OPC" أسرع أقسام الـ "CIA" نموا، وكما يقول "إدجار أبلوايت - Edgar Applewhite" نائب المفتش العام فى الـ "CIA" فإن أعضاء المكتب منحوا أنفسهم سلطة كاملة لم يسبق لها مثيل. كانوا يستطيعون عمل أى شيء يريدونه ما دامت "السلطة العليا" -كما كنا نسمى الرئيس - لم تحظر ذلك. كانوا شديدى الارستقراطية فى ادعاءاتهم، ضيقى الأفق بخصوص الحياة بين الرجال والنساء، شديدى الرومانسية ومتغطرسين. كان لديهم التزام مقدس، وفرصة لا يعرف بها أحد.. وقد أضاعوها"(٢٣).

ولتسهيل عمليات مكتب تنسيق السياسات- "OPC" أصدر "الكونجرس" قرار وكالة المخابرات المركزية فى عام ١٩٤٩ والذى أعطى مدير الـ "CIA" صلاحية إنفاق أموال دون تقديم كشوف حساب عنها. وخلال السنوات القليلة التالية نمت أنشطة الـ"OPC" مجال عملياته وعدد العاملين وميزانيته، وأصبحت مثل الأفعوان أو الأخطبوط. زادت قوة العمل من ٣٠٢ فى عام ١٩٤٩ إلى ٢٨١٢ موظفاً فى عام ١٩٥٢ إلى جانب ٣١٤٢ من المتعاقد معهم عبر البحار، وفى الفترة نفسها زادت

الميزانية من ٤,٧ مليون دولار إلى ٨٢ مليونا. كان أحد العوامل التى ساعدت على هذا التوسع إجراء تنظيمى استدعى الحاجة إلى القيام بمشروعات، لم تكن أنشطة الـ "OPC" مبرمجة حول نظام مالى، وإنما حول مشروعات. وكان لذلك آثار داخلية مهمة أصبحت فى النهاية ضارة: "كان أى فرد فى الـ "OPC" يقوم أداءه الخاص، كما كان الآخرون يقومونه على قدر أهمية وعدد المشروعات التى بدأها وأدارها، ونتيجة لذلك كانت هناك منافسة شديدة بين الأفراد وبعض أقسام الـ "OPC" بغرض استحداث أكبر عدد ممكن من المشروعات"(٢٤).

فى البداية كان المركز الرئيسى لـ "CIA" عبارة عن مجموعة من المبانى الكئيبة يشبه كل منها السقيفة أو أماكن الإيواء المؤقت، كانت مبعثرة حول الكابيتول "والواشنطن مول". هناك فى الممرات المتربة كان الموظفون الجدد مفتونين "بجو الحرب والحاح متطلبات التعبئة. كانت القاعات مكتظة بالرجال والنساء وهم يتحركون ويصدرون التعليمات الصارمة لمساعديهم الذين يحاولون مجاراتهم فى سرعة تحركهم. أناس جدد ممتلئون بالحماس اختلطوا بمتمرسى مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS"، زملاء جدبيرج – Jedburgh" بنخبة مرحلة ما بعد الحرب، جاءوا كلهم مفعمين بالنشاط من الحرم الجامعى، بستراتهم "التويد" يدخنون الغليون، ممتلئين بالأفكار الجسورة الخلاقة "تدفقوا على الوكالة باعتبارها أكثر الأماكن تأثيرا بالنسبة لشخص غير شيوعى لكى يقاتل ضد الخطر الشيوعى"(٢٥).

لم يكن خط المواجهة فى هذه المعركة بالطبع مرسوما فى "واشنطن". وبعد أن أنشأوا مكتبا فى قاعدة "تمبلهوف" الجوية – على بعد نصف ساعة من "برلين"، بدأ مكتب تنسيق السياسات "OPC" يدفع بأعداد كبيرة من ضباطه إلى ألمانيا، وإلى جانب أقسام وكالة المخابرات المركزية "CIA" الأخرى، كان هناك ١٤٠٠ من العاملين الملحقين بالمحطة الألمانية فى ذلك الوقت.

كان مايكل "جوسلسون – Michael Josselson" واحداً من أوائل الذين تم تجنيدهم فى الـ"OPC". فى ملاحظاته التى كان يدونها تمهيدا لكتابة مذكراته (لم يكملها) كتب: "كانت دورتى فى الخدمة سوف تنتهى فى عام ١٩٤٨، لكن عودتى إلى الحياة المدنية والتى كانت بالنسبة لى تعنى العودة إلى عالم المشتريات للمحلات الكبرى فى الولايات المتحدة، كانت تملؤنى باليأس. فهو عمل لا أجد فيه متعة. فى ذلك الوقت قدمنى صديق أمريكى كان يعمل فى المخابرات إلى أحد قادة الجماعة (فى ألمانيا). بعد ذلك أجريت لى مقابلتان شخصيتان أو ثلاث، فى "واشنطن" .. بعدها ملأت بطاقة استبيان طويلة، ثم انتظار طويل، حيث كان مكتب التحقيقات

الفيدرالى "FBI" يحاول بأساليبه الخرقاء التأكد مما إذا كان فى حياتى أى شىء مشين أم لا. وفى خريف ١٩٤٨ جاءت صحيفتى الجنائية نظيفة فالتحقت بـ "الجماعة" كرئيس لمحطتها المسئولة عن العمل السرى "CA -Covert Action".

وباستثناء الجانب "السرى"، الذى كان فى حقيقة الأمر استمرارا للحرب النفسية التى كانت موجهة فى ذلك الوقت ضد السوفيت والشيوعيين فى ألمانيا الشرقية، كان ذلك تحركا دفاعيا حيث إن الروس كانوا قد بدأو الحرب الباردة النفسية منذ وقت بعيد(٢٦).

كان "لورانس دو نيفى – Lawrence de Neufville" هو الذى جند "چوسلسون – Josselson" وكان أحد ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS" الذين جاءوا إلى ألمانيا مع الموجة الأولى من القوات الأمريكية فى ١٩٤٤ وحتى أوائل عام ١٩٤٨ كان يعمل فى وظيفة مستشار مع الإدارة المدنية فى "برلين". حينذاك اتصل به "چون بيكر – John Baker" أحد ضباط الـ "CIA" الأوائل فى ألمانيا، والذى اعتبره السوفيت بعد ذلك شخصا غير مرغوب فيه " لخرقه قواعد السلوك الدبلوماسى بشكل مستمر (أى التجسس) عندما كان "سكرتيرا ثانيا" فى سفارة الولايات المتحدة فى "موسكو"، بعد ذلك قال "دو نيفى – de Neufville"، "لم أقدم أى طلب أو شيئا من هذا القبيل للالتحاق بوكالة المخابرات المركزية "CIA"، كنت سعيدا حيث أنا، أعمل فى كتابة الدستور وأساعد فى إقامة حكومة "أديناور – Adenauer"، وكان ذلك أمرا مثيرا، لكن حدث أن جاء "چون بيكر – John Baker" ذات يوم إلى مكتبى وسألنى إن كنت أود الالتحاق بالوكالة أم لا(٢٧). قبل "دو نيفى – de Neufville" العرض وعين كغطاء – فى مكتب المندوب السامى الأمريكى "چون ماكلوى – John McCloy"، كان أول عمل له هو أن يجند "چوسلسون – Josselson" الذى صنع من عمله فى "برلين" أسطورة فى عالم المخابرات.

هل كان "نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" فى ذلك الوقت على علم بالعمل الجديد لصديقه؟ كان "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" شخصا شديد الكتمان والسرية، شخصية نموذجية لعالم المخابرات. عندما استطاع بعض أقاربه الذين كانوا يعيشون فى "برلين" الشرقية أن يعرفوا مكانه فى أوائل عام ١٩٤٩ طردهم بأسلوب فظ، وطلب ألا يتصل به أحد منهم بعد ذلك. وعندما شعروا بالإهانة سلموا بأن قريبهم "المتأمرك" كان يشعر آنذاك أنهم أقل منه، والحقيقة هى أنه كان يخشى على حياتهم؛ فأى مواطن من "برلين" الشرقية يكون له قريب فى المخابرات الأمريكية لابد من أن تكون حياته فى خطر. لكن، ربما كانت لدى "نابوكوف Nabok

"ov فكرة جيدة عن اتجاه "جوسلسون – Josselson" الجديد. فى ذلك الوقت كان عدد الجواسيس فى "برلين" يفوق عدد الدراجات المستخدمة، وكان "نابوكوف-Nabo-kov" يعمل جنبا إلى جنب مع كثيرين منهم.

ويبدو فى الواقع أن تكون اتصالات قد تمت مع "نابوكوف Nabokov" أيضا لكى يلتحق بالمخابرات الأمريكية "CIA"، ففى عام ١٩٤٨ كان قد تقدم بطلب للعمل فى الحكومة. ولأنه لم يكن بيروقراطيا بطبعه فمن غير المحتمل أن يكون راغبا فى الالتحاق بوزارة الخارجية (التى كان كثيرون من أفراد الـ "CIA" يحتقرونها لأنها سياسة فى سياسة.. دون حركة أو اندفاع). وحيث إن "آلان دالاس – Allen Dulles" كان مهتما بطلبه، يصبح من المعقول الحدس بأنه كان يريد الحصول على عمل فى المخابرات لكن طلبه واجه صعوبات وفشل فى الحصول على صحيفة سوابق نظيفة كمسوغ لتوظيفه. كتب إليه كفيله " جورج كينان – George Kennan" وهو يشعر بحرج شديد ينصحه بسحب طلبه: " أنا أنصحك بذلك (الأمر الذى يحزننى كثيرا ويقلقنى غاية القلق) لأننى لم أستطع أن أوضح هذا الأمر بالشكل الذى يرضينى، ولا أستطيع أن أؤكد لك أنك لن تواجه متاعب جديدة إذا واصلت فكرة العمل فى الحكومة مرة أخرى.. أستطيع فقط أن أقول: إننى أرى أن إجراء الحكومة فى هذا الموضوع برمته كان سيىء الفهم، قصير النظر، ظالما، وغير متسق مع أية رغبة فى استغلال خدمات الأذكياء والمفيدين من الناس .. وأعتقد أن الحكومة قد صادرت أى حق فى استخدام مشورتك، ولو أننى مكانك لنسيت الأمر كله فى الوقت الحالى"(٢٨). هكذا وجد "نابوكوف Nabokov" نفسه وحيداً مهملاً.. على الأقل مؤقتا.

ولكن ماذا عن "ميلفن لاسكى – Melvin Lasky"؟ ألم يكن مرشحا مثاليا للانضمام إلى القوات المتضخمة فى صفوف وكالة المخابرات المركزية "CIA"؟ فيما بعد سيصبح من الممكن الزعم بأن " لاسكى – Lasky" كان عميلا، ولكنه نفى ذلك بشكل قاطع. وكما هو الحال بالنسبة لـ "ثاكستر – Thaxter" فى "موهبة همبولت" فإن الشائعة أضافت الكثير من الغموض إلى "لاسكى – Lasky". وجوده الدائم فى الجبهة الأمامية للحرب الباردة الثقافية للمخابرات المركزية "CIA" على مدى العقدين التاليين، لا يمكن أن يمر هكذا دون التوقف عنده.

(٣)

ماركسيون فى "فندق والدورف"

وهكذا أقول : فاشية .. أو شيوعية .. أنا حيث يوجد الحب، وأضحك على أفكار الرجال

أنايس نين

"نيويورك" فى الخامس والعشرين من مارس ١٩٤٩ أربعاء شديد الرطوبة كثيف الثلج، سياج صغير من الأفراد معظمهم يرتدى سترة من الجبردين، يقفون على شكل نصف دائرة خارج فندق " والدورف استوريا "فى پارك أڤينيو" "وشارع ٥٠"، أما فى داخل الفندق فكانت الحركة سريعة محمومة، وعلى غير العادة فى مثل هذا الوقت من العام، كان الفندق ممتلئاً بالنزلاء ومن الصعب أن تجد به غرفة واحدة خالية.

كانت الأوامر تصدر صارمة ومتلاحقة طوال اليوم من جناح الأعراس الفاخر رقم ١٠٤٢، طلب تليفونات إضافية، يتبعه سيل من البرقيات التلغرافية تملى على غرفة الاتصالات بالفندق، المزيد من الأباچورات.. ومن كل شيء، الطلبات تنهمر على قسم خدمة الغرف سريعة مثل طلقات الرصاص المتواصلة - همبرجر... سلاطة... ستيك... أطعمة ثانوية... نبيذ فرنسى... بيرة... المزيد من الثلج... بسرعة من فضلك، لم يكونوا نزلاء عاديين من الذين يقضون شهر العسل.

عندما دخل أفراد الخدمة الجناح وجدوا أنفسهم أمام مشهد غريب أسلاك التليفونات فى الغرفة تشبه شبكة العنكبوت وكل واحد منكفىء باهتمام وجدية على السماعة، أى مكان أو سطح يشغله شخص ما أو أكداس من الورق، دخان السجائر يملأ المكان، سكرتيران يكتبان ما يملى عليهما ومساعد عاكف على آلة نسخ تم تركيبها فى الحمام الذى تغطى أرضيته كمية كبيرة من الأوراق الملطخة بالحبر، زائرون يتدفقون دخولا وخروجا على المكان الذى يضج بالحركة والأصوات.

ووسط هذا الصخب والضوضاء، كان بعض أعضاء هذا الحفل ينظرون بتوتر للخدم الذين يضعون الصوانى على حافة السرير، ويتلكأون فى انتظار البقشيش، من الذى سيدفع؟ "سيدنى هوك - Sidney Hook" الفليسوف الذى يعمل فى "جامعة

نيويورك" والذى حجز الجناح لم يكن يبدو عليه أى قلق بسبب التكلفة المتزايدة، كان معه فى جناح الأعراس هذا الكاتبة "مارى مكارثى - Mary McCarthy" وزوجها الثالث، والصحفى "باودن برودووتر - Bowden Broadwater" والروائية "اليزابيث هاردويك - Elizabeth Hardwick" وزوجها الشاعر روبرت لويل - Robert Lowell" والصحفى والناقد "دوايت ماكدونالد - Dwight Macdonald" والصحفى الإيطالى وحليف "مانزنبيرج Munzenberg" نيكولا شياورمونتى - Nicola Chiaromonte" و"آرثر شليزنجر - Arthur Schlesinger" ومحررو "پارتيزان ريڤيو Partisan Re-view وليم فيليپس Willian Phillips" و"فيليب راڤ Philip Rahv" و"أرنولد بيكمان Arnold Beichman" وهو محرر عمالى صديق لزعماء الاتحادات العمالية المعادية للشيوعية "وميل بيتزل - Mel Pitzele" وهو خبير عمالى أيضاً و "ديڤيد دابنسكى - David Dubinsky رئيس اتحاد عمال ملابس السيدات، وبالرغم من تخصص "دابنسكى - Dubinsky" إلا أنه لم يكن يبدو نشأزًا فى ذلك البرلمان الفكرى الصغير المشوش.

وفى الدور السفلى فى قاعة الرقص الخاصة بالفندق كان العاملون فى الفندق بعد زيادة عددهم يضعون اللمسات النهائية لإعداد القاعة لعقد المؤتمر، الزهور تم تنسيقها حول منصة على شكل هلال فى أقصى القاعة، الميكروفونات يجرى اختبارها.. واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان..، وعلى امتداد الحائط خلف منصة المتحدثين لافتة كتب عليها بحروف كبيرة "المؤتمر الثقافى العلمى للسلام العالمى"، وكان بعض المندوبين مازالوا يتوافدون لحضور حفل الاستقبال الذى أقيم بمناسبة بدء المؤتمر.

أما فى خارج الفندق فكان المتظاهرون يجمعون حول الضيوف ويحاصرونهم بالأسئلة حول الأبواب الدوارة فى ردهة الفندق، كانوا يهتفون: مغفلون!" عندما وصل كل من "ليليان هيلمان Lillian Helman" و"كليفورد أوديتس - Clifford Odets" و"ليونارد برنشتاين - "Leonard Bernstein" و"داشيل هاميت - Dashiell Ham-mett"، أما الاحتقار الخاص فكان فى انتظار "كورليس لامونت - "Corliss Lamont" الجامعى المليونير الذى كان راعى المؤتمر. "لامونت Lamont" هو ابن رئيس مجلس إدارة بنك جى. بى. مورجان وشركاه "الاستثمارى"، درس فى "فيليپس أكاديمى"و"هارڤارد" واستطاع أن يحتفظ بهدوئه وأن يتجاهل الإهانات التى أمطره بها الغاضبون خارج الفندق.

كان ذلك الاحتجاج قد نظمه تحالف يمينى مكون من الرابطة الأمريكية ومجموعة من الجمعيات الكاثوليكية والوطنية.. كانت شكواهم هى أن المؤتمر الذى

يرعاه المجلس القومى للعلوم والفنون والمهن، لم يكن سوى واجهة للسوفيت: وأن الشيوعيين هنا، ليس كما يزعمون لمصلحة حسن النوايا والتبادل الثقافى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وإنما للدعاية لأم بكا، وبالفعل، كانوا محقين فى ذلك، كان المؤتمر مبادرة من قبل "الكومينفورم" -مكتب الإعلام الشيوعى - وكانت حيلة جسورة للتلاعب بالرأى العام الأمريكى فى عقر داره، كان الفريق السوفيتى بزعامة "ايه.. ايه فاديف A.A. Fadyev" رئيس اتحاد الكتاب السوفيت، كان يضم أيضا الموسيقار "ديمترى شوستاكوفتش – Dimitri Shostakovich" فخر الوفد- وكان الفريق ينزل أيضا فى "فندق والدورف" وكان بإمكان أفراد جهاز الـ "KGB" وعملاء الحزب السريين أن يهنئوا أنفسهم لأنهم استطاعوا أن يقلبوا المسرح". كان من رأى المتظاهرين خارج الفندق أن الحمر لم يكونوا تحت الأسِرَّةِ فقط، وإنما كانوا يشغلونها أيضاً.

كتب "آرثر ميلر – Arthur Miller" الذى قبل الدعوة لترؤس إحدى جلسات المؤتمر:" كان خبرا رئيسيا فى الصحف أن كل مدخلْ من مداخل" والدورف استوريا" يسده صف من الراهبات اللائى كن يصلين من أجل المشاركين الذين شوش المس الشيطانى أذهانهم، وصباح المؤتمر كان عَلَىَّ أن أمر بين راهبتين راكعتين فى الممر وأنا متجه نحو باب الفندق، حتى فى ذلك الوقت كان من المحير أن يتأمل المرء هذا العالم.. عالم الإيماءات والتعبيرات الرمزية"(١).

وبالرغم من أنهم فصلوا أنفسهم عن المتظاهرين فى الخارج "فإن أخطر ما كان يمكن أن نفعله هو أن نترك مهمة كشف الواجهات الشيوعية للرجعيين"، ومن أجل ذلك كان "سيدنى هوك – Sidney Hook" والمجموعة المقيمة فى جناح الأعراس موجودين هنا، كانوا ماركسيين وتروتسكيين سابقين من الذين داروا فى المدار الشيوعى نفسه، مثل المثقفين والفنانين الأمريكيين الذين كانوا يتوافدون فى تلك اللحظة على الفندق لحضور المؤتمر السوفيتى، وبالفعل، كانت "نيويورك" توصف فى وقت ما فى الثلاثينيات بأنها أهم جزء من الاتحاد السوفيتى، لكن معاهدة عدم الاعتداء الألمانية – الروسية فى ١٩٣٩ أحدثت صدمة "نبهت مدينة نيويورك لكى تعود ممرورة ومحبطة.. تعود من الاتحاد السوفيتى إلى أمريكا"(٢).

وبينما كان هوك – Hook" وأصدقاؤه جزءا من هذه الحركة المبتعدة عن الراديكالية الماركسية ومتجهة نحو الوسط أو اليمين السياسى، كان آخرون مازالوا على تعاطفهم مع الشيوعية. فيما بعد، كتب المحرر والناقد "چاسون إيپشتاين – Jason Epstein" يقول "كان الشيوعيون مازالوا عصبة قوية، كانوا فى ذلك الوقت بمثابة

الجماعة التى تمثل الصواب السياسي. وبالتالى كان هناك ما يدعو لمساءلة حق الستالينين فى الثقافة"(٣). الظهور المثير لرفاق المسيرة فى "والدورف" بدا مبررا لخوف كثير من المفكرين الأمريكيين من أن تكون نوبة الانبهار المغوية بالشيوعية لم تنكسر، وأن يكون الحلم الشيوعى ما زال يلوح فى الأفق بالرغم من تجاوزات "ستالين - Stalin" الزائدة.

فيما بعد كتب "آرثر ميللر - Arthur Miller": كان المؤتمر على أية حال بالنسبة لى جهدا لمواصلة تقليد جيد يتعرض للخطر فى ذلك الوقت"، "وللتأكيد" فإن سنوات تحالفنا العسكرى الأربع ضد قوات المحور والتى بدأت فى عام ١٩١٧ مع الثورة نفسها واستؤنفت فقط عندما تحطمت جيوش "هتلر - Hitler"، ولكن لم يكن هناك شك فى أنه لولا المقاومة السوفيتية لتمكنت النازية من إخضاع أوروبا كلها بالإضافة إلى بريطانيا، ولربما كانت الولايات المتحدة قد أُجْبِرَت على العزلة أو على ما هو أسوأ، صفقة غريبة تصبح فى النهاية مريحة مع النازية، هكذا كنت أعتقد. وهكذا فإن التحول الحاد ضد الاتحاد السوفيتى بعد الحرب لصالح ألمانيا غير نظيفة من النازيين، هذا التحول لم يبدُ شديد الرداءة فقط، بل إنه كان يهدد بحرب أخرى يمكن أن تدمر روسيا بالفعل وتطيح بديمقراطيتنا كذلك"(٤).

فى الطابق العلوى كانت النفوس قد بدأت تُستثار فى الجناح المترف. منذ اتخاذ القرار قبل ثلاثة أسابيع بتعطيل المؤتمر، كانت تلك المجموعة الأولية تعمل دون كلل من أجل إنشاء "جهاز دعاية" خاص بها. كان يتم رصد أنشطة العدو التحضيرية. كما تم تقسيم مهمة إحباطها بين أعضاء تلك اللجنة الوليدة التى تكونت لهذا الغرض. ثم تعيين لجنة دولية مضادة كانت تضم "بنديتو كروتشى - Benedetto Croce" وتى. اس. اليوت - T.S. Eliot" و"وكارل ياسبرز - Carl Jaspers" و "أندريه مالرو - André Malraux" و"جاك ماريتان - Jacques Maritain" و"برتراند راسل - Bertrand Russell" و"إيجور ستراڤنسكى -Igor Stravinsky". حتى اسم دكتور "ألبرت شڤيتزر- Dr. Albert Schweitzer" الحاصل على جائزة نوبل كان من بين أعضاء اللجنة دون أن يزعجه على ما يبدو أن اسمه كان قد ظهر فى معسكر الأعداء كواحد من رعاة مؤتمر "والدورف". مستفيدين من وضعهم - الذى كان يشبه حصان طروادة فى "والدورف"، كانت المجموعة تقوم بمراقبة البريد القادم لمنظمى المؤتمر، كما قامت بتخريب محاولاتهم للسيطرة على الصحافة بتزييف وتحريف البيانات والتصريحات الرسمية، كما أطلقوا وابلا من التصريحات الصحفية وتحدوا المتحدثين فى المؤتمر وراعيه أن "يعرفوا أنفسهم كأعضاء فى الحزب الشيوعى أو رفاق مسيرة مستمرين

فى تعاطفهم معه"، وسارع "هوك - Hook" وجماعته بأن كشفوا عن "الصلات الحقيقية لقادة اجتماع "والدورف"، وهكذا كُشفَ النقاب عن عضوية "إف. أو. ماتيسن - F.O.Matthiessen" فى مجموعة من منظمات الجبهة الشيوعية (والتى كان من بينها لجنة دفاع البحيرة - Sleepy Lagoon Defense Committee"، وسجل "هووارد فاست - Howard fast" كمؤلف روايات دعائية، وافتضح أمر "كليفورد أوديتس - Clifford Odets (بأسلوب غير علمى) كعضو آخر فى الحزب الشيوعى حسب شهادة عضو سابق من العاملين من جريدة "ديلى ووركر - Daily Worker".

وباقتراب مراسم افتتاح المؤتمر تباين الآراء حول أفضل وسيلة لتخريب الجلسات (كما حدث فيما بعد). هوك - Hook" الذى عين نفسه مارشالا "للجناح الصغير المعادى للشيوعية شرح "لرفاق الخرب" كيفية مقاومة الطرد من القاعة بالقوة. سيدق كل منهم الأرض بالمظلة التى ستكون فى يده للفت الانتباه، ثم يقيدون أنفسهم فى مقاعدهم، وبثباتهم هكذا، كل فى موقعه، سوف تتأخر عملية طردهم من القاعة. وإذا منعوهم من إلقاء كلماتهم يقوم مساعدا "هوك Hook" وهما: "بيكمان - Beich-mann و"بيتزل - Pitzele" بتوزيع نسخ مطبوعة من الكلمات على الصحفيين.

وكما حدث، فإن تلك الأساليب الاستراتيجية لم تستخدم (بالرغم من أنهم دقوا الأرض بشمسياتهم) فلدهشتهم أُعْطِىَ جميع محاولى التخريب دقيقتين للكلام بالرغم من أنه كان عليهم أن ينتظروا حتى ينتهى المتحدث الأول من خطبته الطويلة، كان ذلك المتحدث أسقفا متقاعدا من "يوتا". احتفظت مارى مكارثى-Mary McCarthy" بسؤالها لأستاذ "هارفارد" الشهير "إف. أو. ماتيسن- F.O.Matthiessen" مؤلف كتاب "النهضة الأمريكية" والذى وصف "رالف والدو إمرسون - Ralph Waldo Emerson" بأنه الجد الأعلى للشيوعية الأمريكية - هل كان "ماتيسن- Matthiessen" يعتقد أنه يمكن السماح لـ "إمرسون - Emerson" بالحياة وبالكتابة فى الاتحاد السوفيتى؟" كان ذلك هو سؤال مارى مكارثى - Mary "McCarthy أذعن "ماتيسن - Matthiessen" قائلا: إنه لم يكن ليسمح له ثم أضاف - وهو ما اعتبر الاستنتاج غير المنطقى لذلك العام - أن "لينين Lenin" كذلك ما كان ليسمح له بالعيش فى الولايات المتحدة، وعندما وجه "دوايت ماكدونالد - Dwight Macdonald" سؤالا إلى "فادييف Fadeyev"عن سبب قبوله "المقترحات" النقدية للمكتب السياسى، وكتب رواية "الحارس الصغير" قال "فادييف Fadeyev" لقد أفادنى جدا نقد المكتب السياسى فى عملى".

"نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" قرر أن يحضر حلقة نقاشية كان

شوستاكوفتش – Shostakovich" أحد المتحدثين فيها. كان من بين الجالسين على المنصة بعض معارف " نابوكوف Nabokov" وربما أصدقاؤه، كان يلوح لهم وكانوا يردون تحيته بابتسامة متوترة. بعد جلسة مملة لا جديد فيها كما توقع الجميع، أعطيت الكلمة لـ "نابوكوف Nabokov" بتاريخ كذا، وفى العدد رقم كذا من جريدة "برافدا" ظهر مقال بدون توقيع له كل ملامح مة المحرر، كان المقال يتناول ثلاثة موسيقيين غربيين هم: "بول هندميث – Paul Hindmith" و"أرنولد شوينبيرج – Arnold Schoenberg" وإيجور ستراڤنسكى – Igor Stravinsky" ووصم ثلاثتهم فى المقال بأنهم "ظلاميون" و "شكلانيون رجعيون متفسخون" و "متزلفون للرأسمالية الإمپريالية، وهكذا فإنه ينبغى تحريم موسيقاهم فى الاتحاد السوفيتى، فهل يوافق السيد "شوستاكوڤيتش – Shostakovich" شخصيا على هذه الرؤية الرسمية كما ظهرت فى "البراڤدا"(٥).

وهنا صاح العلماء الروس "هذا استفزاز ..! تحريض!"بينما كانت ممرضة" "شوستاكوڤيتش – Shostakovich" (ضابط فى ال" ك. ج. ب") تهمس فى أذنه بتعليمات. وقف الموسيقار، أعطوه الميكروفون، وراح يغمغم بالروسية ووجهه الشاحب فى الأرض، وكأنه يعد ألواح الخشب: "أنا متفق تماما مع كل ما جاء فى "البراڤدا".

كان مشهداً مرعبا، ووصلت شائعات إلى ذلك التجمع فى "نيويورك" تقول: إن "ستالين – Stalin" شخصيا هو الذى أمر "ش ستاكوڤيتش Shostakovich" بأن يحضر المؤتمر. كان هو كبش الفداء. وظهر كما قال المراقبون: "شاحبا، ضئيلا، خجولا، مقوس الظهر متوترا منسحبا، متجهماً، كان شبحاً مأساويا يمزق القلب"، ووصفه "آرثر ميللر – Arthur Miller" قائلا: "كان ضئيلا، ضعيفا، زائغ البصر "يقف" منتصبا متخشبا مثل الدمية". كانت أية علامة على وجهه يمكن أن يبدو منها أنه مستقل، هى مسألة حياة أو موت بالنسبة له. من جانب آخر كان "نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" روسيا أبيض من المهاجرين، وأصبح مواطنا أمريكيا فى عام ١٩٣٩، كان يشعر بالأمان،كان "نابوكوف Nabokov" يسدد لكماته لرجل ذراعاه مقيدتان وراء ظهره. آرثر ميللر – Arthur Miller" الذى كان رئيسا لحلقة الفنون تلك، والتى شهدت المواجهة، كان يشعر بالرعب، "عندما أتذكر ذلك اليوم، وأتذكر منظر"شوستاكوڤتيش – Shostakovich" يصاب عقلى بالشلل، كأننا كنا فى حفل تنكرى! يعلم الله ماذا كان يدور بعقله فى تلك القاعة، أية تشققات أصابت روحه؟ أية رغبة فى البكاء؟ وأية قدرة على التحكم فى النفس لكى يكبت صرخته، حتى لا يكون ذلك لصالح أمريكا وعدائها لوطنه... وطنه الذى ...ن يحول حياته إلى جحيم"(٦).

بعد ثلاثين عاما، ظهرت مذكرات "شوستاكوفيتش – Shostakovich" فى الغرب حيث وصف فيها ما حدث فى "والدورف": "مازلت أذكر، وكلى رعب، رحلتى الأولى إلى الولايات المتحدة، ما كان بودى أن أذهب مطلقا لولا ضغوط شديدة من المسئولين من كل المستويات والألوان، بدءا من "ستالين Stalin"، يقول البعض أحيانا: لابد من أنها كانت رحلة مثيرة ومسلية، انظر إلى ابتسامتى فى الصور، كانت تلك ابتسامة رجل محكوم عليه. كنت أشعر بأننى ميت، أجبت عن جميع الأسئلة الحمقاء دائخا، وكنت أتصور أن الأمر سيكون قد انتهى بالنسبة لى عندما أعود، كان "ستالين – Stalin" يحب أن يقتاد الأمريكيين من أنوفهم بتلك الطريقة، سوف يريهم رجلاً وها هو ذا حى، وفى صحة جيدة، ثم يتخلص منه، حسن! لكن لماذا أقول يقتادهم من أنوفهم؟ هذا تعبير عنيف! كان يخدع فقط من يريدون أن ينخدعوا! الأمريكيون لا يكترثون بنا على الإطلاق، ولكى يعيشوا وينامو بعمق... سوف يصدقون أى شىء(٧).

استمر المؤتمر عدة أيام، أرسل "تى. إس. إليوت – T.S. Eliot" برقية يعارض فيها المؤتمر، ووصلت برقية أخرى من "جون دوس پاسوس John Dos Passos" الذى كان يحث الليبراليين الأمريكيين لكى يفضحوا الاستبداد السوفيتى حتى يختفى الاستبداد نتيجة ذلك الفضح. و"توماس مان – Thomas Mann" الذى قال ذات يوم إن معادلة الشيوعية هى غباء القرن العشرين الأساسى: أرسل برقية تأييد للمؤتمر. كان النقاش كله روتينيا ومملا، لم يسخنه سوى تدخل شاب اسمه "نورمان مايلر– Norman Mailer" (الذى يصفه أحد الكتاب المعاصرين بأنه "فرانك سيناترا – Frank Sinatra صغير) والذى فاجأ الجانبين عندما اتهم كلا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بانتهاج سياسة خارجية عدوانية تقلل من فرص التعايش السلمى، "ما دامت هناك رأسمالية، ستكون هناك حرب، ولن يكون هناك سلام إلا بعد أن تكون هناك اشتراكية مساواة". هكذا تكلم قبل أن ينهى حديثه قائلا: إن" كل ما يستطيع الكاتب أن يفعله هو أن يقول الحقيقة كما يراها، وأن يواصل الكتابة"(٨). كان لحديث "مايلر Mailer" فعل السحر فى توحيد الخصوم فى صيحة استهجان مشتركة.

فى ذلك الوقت كان عدد المتجمعين خارج الفندق قد وصل إلى ما يزيد عن ألف شخص... مزودين باللافتات. ويستغرب أحد المراقبين كيف كان ذلك العدد الكبير من القبحاء الصاخبين رهن إشارة اليمين المتطرف؟". أما هوك – Hook" فكان من الذكاء لكى يلاحظ أن الشيوعيين فى داخل و"الدورف"، والمعادين للشيوعية خارجه على الطرق الجانبية، كانوا كلهم يغذون بعضهم الآخر. حملة العلاقات العامة العدوانية التى أدارها له "ميل پيتزل– Mel Pitzele" بدأت يصبح لها أسنان. قطب الصحافة

"وليم راندولف هيرست - William Randolf Hearst" المصاب بجنون العظمة والشديد العداء للشيوعية أصدر أوامره لجميع محرريه بأن يدعموا توجهات "هوك - Hook" وبأن يستنكروا المؤتمر الشيوعى ويندوا به، وكذلك بأعوانه ومؤيديه من الأمريكيين.

فى شهر إبريل أشرف "هنرى لوس- Henry Luce" محرر وصاحب إمبراطورية "تايم - لايف: Time - Life"، أشرف على صفحتين فى مجلة "Life" تهاجمان "أعمال الكرملين الحقيرة، وأتباعه من الأمريكيين المغفلين"، وبنشر خمسين صورة فوتوغرافية كان الموضوع هجوما فيه الكثير من التحامل الذى استبق القائمة السوداء غير الرسمية للسيناتور "مكارثى - McCarthy"، "نورمان مايلر - Norman Mailer" و"ليونارد بيرنشتاين - Lenonard Bernstein" وليليان هيلمان "Lillian Hellman" و"آرون كوبلاند - Aaron Copland" و"لانجستون هيوز - Langston Hughes" وكليفورد أوديتس - Clifford Odets" و"آرثر ميللر - Arthur Miller" و"ألبرت أينشتاين - Albert Einstein" و"تشارلى شابلن- Charlie Chaplin" و"فرانك لويد رايت - Frank Lloyd Wright" و"مارلون براندو- Marlon Brando" و"هنرى والاس - Henry Wallace" كل أولئك اتهموا بأنهم ذوى ميول شيوعية، وكانت تلك هى مجلة "لايف" التى خصصت عددا بكامله للاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤٣ ووضعت صورة "ستالين - Stalin" على الغلاف وكالت المديح للشعب الروسى وللجيش الأحمر.

وكما يتذكر "آرثر ميلر - Arthur Miller": كان من الخطورة المشاركة فى تلك المحاولة المشئومة لإنقاذ التحالف الذى تم أثناء الحرب مع الاتحاد السوفيتى فى وجه الضغوط المتزايدة للحرب الباردة، وكنا نعرف ذلك آنذاك". كان جو العداء يزداد حدة، ولم يكن أحد يستطيع أن ينكر احتمال معاقبة المشاركين فى المؤتمر مع اقتراب يوم الافتتاح.. وقد حدث، مع مرور الأشهر أصبح أى مؤيد لمؤتمر "والدورف" "أو مشارك فيه.. متهما بالخيانة.. وكانت ظاهرة جديدة تماما فى عالم ما بعد الحرب أن يثير اجتماع للكتاب والفنانين كل ذلك القدر من الشك والغضب العام"(٩).

كان أمراً خطيرا بكل تأكيد. الآن أصبح الذين انكشف أمرهم فى "والدورف" موضوع اهتمام "چى إدجار هوفر - J. Edgar Hoover" مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى "FBI". أرسل المكتب عملاءه لتغطية المؤتمر، ولكى يكتبوا تقاريرهم عن الوفود والمندوبين، وفى مقر الـ "FBI" فتحوا ملف الشاب "نورمان مايلر - Norman Mailer، كما فُتحت فى الثلاثينيات ملفات كل من "لانجستون هيوز - Langston Hughes" و"آرثر ميلر - Arthur Miller" و"إف. أو. ماتيسن- F.O.Matthiessen" و"ليليان هيلمان - Lillian Hellman" و"داشيل هاميت - Dashiell Hammett" و"دورثى

پـاركر- Dorothy Parker" التى سجلت تحت عناوين مختلفة (شيوعية سرية، شيوعية علنية، شيوعية مهادنة) وفى تلك الملفات تم تسجيل انحرافهم عن طريق الشيوعية أيضـا.

وفى بعض الحـالات كان مكتب التحقيقات الفيدرالى يقوم بما هو أكثر من مجرد مراقبة شيوعيي "والدورف". بعد المؤتمر بوقت قصير ذهب أحد عملاء الـ"FBI" إلى "مؤسسة ليتل براون - Little Brown" للنشر ليبلغهم بأن " جي. ادجار هوفر - J. Edgar Hoover " لا يريد أن يرى رواية "هووارد فاست - Howard Fast"الجديدة - وهى سپارتاكوس- فى الأسواق"(١٠). أعادت دار النشر للمؤلف مخطوطة روايته... التى رفضتها كذلك سبع دور نشر أخرى. الناشر "الفريد نوف - Alfred Knopf مثلا أعاد المخطوطة دون أن يفتح المغلف قائلا إنه لن ينظر حتى إلى عمل من تأليف خائن. لم يظهر الكتاب إلا فى عام ١٩٥٠ عندما نشره "هووارد فاست - Howard Fast" نفسه. كان حق الستالينين فى الثقافة واقعا تحت هجوم شديد.

ونتيجة للتغطية التى قامت بها مجلة "لايف -Life" أصبحت الرقصة الثنائية الغريبة بين الشيوعيين والشيوعيين السابقين فى "والدورف" موضوعا عاما للسخرية، كان "هوك - Hook" يهنئ نفسه لأنه نجح في وضع ألحان جميع المشاهد! لقد أحبطنا واحداً من أكثر مشروعات "الكرملين" طموحاً!.

كان "سيدنى هوك - Sidney Hook " من مواليد ديسمبر ١٩٠٢ فى نيويورك- فى وليم سبيرج.. أحد أحياء بروكلين الحقيرة، يث فقر تلك السنوات الذى لم يسبق له مثيل، وكانت تلك تربة خصبة للشيوعية التى كان هوك - Hook" من المشايعين لها فى شبابه. بقامته القصيرة ووجهه الصغير الذى تؤطره نظارة طبية مستديرة، كان "هوك - Hook" يشبه حكماء القرى، لكنه كان شديد الذكاء حاضر الذهن، على أهبة الاستعداد دائما لكى يدخل إلى ساحة الصراع. جذبه عنف شيوعية "نيويورك"، فكان يتنقل بسرعة بين فصائلها المختلفة: من الستالينية إلى التروتسكية إلى البوخارينية. ساعد فى إعداد الترجمة الأولى لكتاب "لينين - Lenin" "المادية والنقد التجريبى" لحساب الحزب الشيوعى الأمريكى. عمل لفترة قصيرة فى معهد "ماركس - انجلز" "فى موسكو" ونشر سلسلة مقالات عن الماركسية كان أشهرها "لماذا أنا شيوعى؟" التى أثارت ضده حملة بقيادة "هيرست - Hearst" لطرده من "جامعة نيويورك". ومثل كثيرين غيره من مثقفى "نيويورك" بدأ "إيمان "هوك - Hook" بالشيوعية يضعف بعد عدد من الأحداث المتوالية التى خذلته، محاكمة "ليون تروتسكى - Leon Trotsky" متهما بالخيانة العظمى فى ١٩٣٦ - ١٩٣٧، معاهدة عدم الاعتداء النازية -

السوفيتية فى ١٩٣٩ وسلسلة من أخطاء "ستالين - Stalin" القاتلة فى الحكم والنظرية والسياسة. وكعدو بارز للحزب الشيوعى نددوا به كواحد من "الزواحف المعادين للشيوعية" مع نبذ مؤيديه بوصفهم Hookworms"(*) أو "ديدان الإنكلستوما"!! فى عام ١٩٤٢ كان "هوك - Hook" يقوم بإبلاغ الـ "FBI" عن المحرر "مالكولم كولى - Malcolm Cowley"، "هوك - Hook" الثائر القادم من "وليمسبرج أصبح "هوك - Hook" حبيب المحافظين(١١).

بعد ظهيرة السابع والعشرين من مارس ١٩٤٩ كانت الشرطة تحاصر إحدى بنايات شارع ٤٠ "بين الجادتين ٥، ٦ ومن شرفة منزل كان يسمى "بيت الحرية" كان "هوك - Hook" وجماعته الخاصة يلوحون مبتهجين للزحام الكثيف الذى تجمع فى ميدان "بريانت" أسفل المبنى، "كان فريق المروجين التابع له قد قام بعمل رائع من أعمال الدعاية" كما كان يقول "نابوكوف Nabokov" الذى كان شخصية ملائمة للبروز إلى عالم الأضواء. استغل "نابوكوف Nabokov" انتهاء المؤتمر لكى يلقى خطابا عن "مأزق الموسيقيين فى الاتحاد السوفيتى واستبداد أجهزة الحرب الثقافية" عبر "نابوكوف Nabokov" عن أسفه الشديد وإدانته للطريقة التى استخدم بها "ديمترى شوستاكوفيتش - Dimitri Shostakovich" فى "مؤتمر السلام"، تصفيق حاد، ثم رأى "نابوكوف وجها مألوفا ينهض من الصف الأخير فى القاعة ويتقدم نحوى، كان أحد معارفى من "برلين"، وكان مثلى قد عمل لحساب مكتب سلطة الاحتلال الأمريكى- OMGUS (**)، هنأنى بحرارة قائلا : عمل رائع ذلك الذى قمت بتنظيمه أنت وأصدقاؤك، لابد من أن يحدث شىء مثله فى "برلين"(١٢).

كان ذلك الصديق الذى برز من الصف الأخير هو "مايكل چوسلسون- Mi-chael Josselson" وكما يقول "نابوكوف Nabokov" فإن حضوره مؤتمر "والدورف استوريا" وبعده فى "بيت الحرية" لم يكن محض مصادفة بريئة، كان "چوسلسون - Josselson" هناك بتعليمات من رئيسة "فرانك ويزنر - Frank "Wisner" ساحر" العمل السرى فى وكالة المخابرات المركزية "CIA". ذلك "العمل الرائع" الذى تم، كان مدعوما من جماعة "ويزنر - Wisner" السرية وكان "چوسلسون - Josselson" هناك لكى يراقب هذا الاستثمار. وبفضل التعارف الوثيق لـ "ديفيد دابنسكى -David

(*) لاحظ التلاعب اللفظى باسم " هوك - Hook" لوصف مؤيديه بأنهم Hookworms ومعناها ديدان الإنكلستوما (المترجم).

(**) Office Of Military Government, US.

"Dubinsky"، الذى كان حضوره فى جناح الأعراس شيئا غامضاً، استطاعت المخابرات المركزية أن تدبر ذلك الحصن لـ "هوك- Hook" فى و"الدورف" (هدد دابنسكى- "Dubinsky" بأنه سوف يجعل الاتحادات العمالية تغلق الفندق إذا لم توافق الإدارة على نزول أصدقائه المثقفين به) وأن تدفع الفواتير (تسلم نابوكوف- Nabokov كمية ضخمة من دولارات المخابرات المركزية من دابنسكى - "Dubinsky" ليعود بها إلى الجناح) وأمنت تغطية صحيفة واسعة لحسابها.

ومن "برلين" جاء أيضا "ميلفن لاسكى Melvin Lasky" ليرى كيف كانت أنشطة "هوك - Hook" الدعائية تسير (وكانت العلاقة بينهما قد نشأت فى العام السابق، عندما كان "هوك - Hook" يعمل فى المنطقة التى يحتلها الأمريكيون كمستشار تربوى) كان "لاسكى Lasky" سعيدا بطبيعة المواجهة التى تمت فى مؤتمر "والدورف" كما كان يكن احتقارا خاصا لـ "شوستاكوفيتش - Shostakovich"، وبعد ذلك كان يقول: إن "جبنه فاق الحد"، لم يكن يريد أن يؤيد أى شىء لكن يوجد من يقولون: هناك أشياء أكبر منك يا "شوستاكوفيتش - Shostakovich" أكبر حتى من موسيقاك وعليك أن تدفع رسم الدخول سواء كنت تحبها أم لا، وذلك باسم هدف أسمى(١٣).

كان "هوك - Hook" وأصدقاؤه فى "والدورف" يشعرون بأنهم قد دفعوا رسم الدخول، لكن معظمهم لم يكونوا طرفا فى الترتيبات التى جعلت فعلهم المضاد ممكنا. كان "نيكولا شيارومونتى - Nicola Chiaromonte" مستريبا فى مصادر "هوك Hook" وعلاقاته. حذر "مارى مكارثى - Mary McCarthy" وإن كان على نحو سرى، ونبهها إلى أن ترفض الإذعان لـ "هوك- Hook" والذين معه، ومن الذين كانت تصريحاتهم الصحفية فى ذلك الأسبوع القلق تتضمن عبارات تؤيد وتدعم السياسة الخارجية للولايات المتحدة بوضوح: "فى التحليل الأخير فإن ما يقوم به "الأولاد" و"هوك - Hook" لا يعنى أنهم سعداء بوزارة الخارجية، بل يدل على أنهم مستعدون فى النهاية للاستسلام للمصلحة العامة الأمريكية كما هم ضد الروس"، وكان ذلك- كما يواصل "شيارومونتى - Chiaromonte" سلوكا حتميا يدل على الامتثال كما أنه غير بنَّاء من وجهة النظر الديمقراطية على وجه التحديد"(١٤).

هذه الحساسية الباكرة ذات دلالة كاشفة، وهى جديرة برجل كان لعمله ممثلا سياسيا لمؤسسة "مانزنبيرج - Munzenberg" أثره الكبير فى صقل بصيرته، ولأن شياروموتنى - "Chiaromonte" وبالرغم من أنه لم يكن قد عرف ذلك بعد قد اقترب جدا من الحقيقية، ولو أنه كان اقترب أكثر قليلا لاكتشف أن وزارة الخارجية لم تكن هى فقط المهتمة بـ "هوك - Hook" وإنما مؤسسة التجسس الأمريكية كلها.

كان "آرثر ميللر – Arthur Miller" قد توقع ببديهته أن مؤتمر و"الدورف" سيصبح منعطفا حادا في مسيرة التاريخ، وبعد أربعين عاما كتب: "إلى الآن؛ هناك شيء مظلم ومخيف يلقي بظلاله على ذكرى ذلك الاجتماع... حيث كان الناس يجلسون كأنهم في لوحات "صول شتاينبيرج – Saul Steinberg" وفوق رأس كل منهم بالون مليء بأفكار (خربشات) غير مفهومة، هكذا كنا. قاعة مليئة ببشر موهوبين، وقلة من العباقرة. ويتأمل ما حدث أجد أن أيا من الطرفين لم يكن على صواب تماما، لا المدافعين عن السوفيت ولا الغاضبين الكارهين للحمر. وببساطة أقول: إن السياسة خيارات، ونادرا ما تكون هناك فرصة لذلك.. إن رقعة الشطرنج لا تسمح بأية مساحة للحركة"(١٥).

ولكن بالنسبة لوكالة المخابرات المركزية "CIA" فإن مؤتمر "والدورف" كان يمثل فرصة لبعض النقلات الجديدة في اللعبة الكبرى، كان "حدثا حافزا" كما قال "دونالد جيمسون – Donald Jameson" رجل الوكالة. "كان إشارة على أن هناك حملة واسعة النطاق انطلقت في الغرب على أساس أيديولوجي وعلى مستوى سياسي"، "وأوصلت رسالة قوية لأولئك المسئولين في الحكم الذين يفهمون أن الطبيعة الملحة للتضليل الشيوعي لا يمكن تبديدها بالطرق التقليدية"، "حينذاك فهمنا أنه من الضروري أن نفعل شيئا حيالها، ليس عن طريق قمع أولئك الناس – وكان كثيرون منهم ممتازين – وإنما بالأحرى كجزء من برنامج عام، يتطلع في النهاية إلى ما يمكن أن نسميه نهاية الحرب الباردة"(١٦).

(٤)

الإعلام الديمقراطى

كلما كنت فارسا بارزا
أقبض على درعى بثبات،
ثم أنظر حولى متطلعا إلى هجمات
وعمليات إنقاذ من وجار التنين
وأصارع كل تنين هناك.
أ.أ: ميلنى
الفارس المدرع)

كان مؤتمر "والدورف" استوريا محبطا ومهينا لمناصريه ومؤيديه من الشيوعيين، وكما قال أحد المراقبين فإنه كان "كابوسا دعائيا، وفشلا ذريعا لفكرة إمكانية تطعيم التقاليد التقدمية الأمريكية بالمصالح الأيديولوجية لروسيا الستالينية[١]. كان الحزب الشيوعى الأمريكى آنذاك فى تراجع، وانخفض عدد أعضائه بشكل لم يسبق له مثيل، وتلطخت سمعته بشكل يصعب تغييره، وفى الوقت الذى بدأت فيه المزاعم بوجود مؤامرة شيوعية تقوى، بدأ خبراء الاستراتيجية والتخطيط لدى "ستالين - Stalin" يديرون ظهورهم لأمريكا، ويركزون بدلا من ذلك على بسط نفوذهم وتحييد الأعداء فى أوروبا.

حملة "الكومينفورم" التى كانت تهدف إلى إقناع الناس فى أوروبا بأن أقصى ما يسعى إليه الاتحاد السوفيتى هو "السلام"، هذه الحملة أضعفها إلى حد بعيد حدثان مهمان فى عام ١٩٤٩: كانت هناك أولا معاملة "ستالين - Stalin" السيئة والقاسية للزعيم اليوغوسلافى الماريشال "تيتو - Tito" الذى أدى رفضه للتضحية بالمصالح القومية من أجل تقوية السيطرة السوفيتية فى البلقان إلى جدل عنيف وهجوم متبادل بين "موسكو" و"بلجراد". كان "ستالين - Stalin" قد سحب المستشارين الاقتصاديين والعسكريين من يوغوسلافيا كجزء من حرب استنزاف لإضعاف تلك الوقفة المستقلة، وفى المقابل، بدأ "تيتو - Tito" مفاوضات مع الغرب لتلقى قروض ومعونات "مشروع مارشال - Marshall Plan" لإنعاش اقتصاده المصاب بالشلل. ترجمة "ستالين - Stalin" الوحشية لمعنى "الشيوعية الدولية" أخمدت حماس رفاق المسيرة الأوروبيين الذين هرعوا للدفاع عن "تيتو - Tito"، وثانيا فإن دعوة

السوفيت للتعايش السلمى كَذَّبها تفجير روسيا للقنبلة الذرية فى شهر أغسطس عام ١٩٤٩.

وأخيرا بدأ الرد البريطانى على مزاعم الدعاية السوفيتية الزائفة يتشكل، كانت إدارة البحث الإعلامى"IRD" (*) التى أنشأتها حكومة "كليمنت أتلى - Clement Attlee" لمكافحة الشيوعية فى فبراير ١٩٤٨ هـ. أسرع أقسام وزارة الخارجية نموا واتساعا، وكما شرح "إرنست بيڤن - Ernest Bevin" وزير الخارجية ومهندس الـ"IRD" لا يمكننا أن نأمل فى القضاء على الشيوعية بدحضها على أسس مادية فقط، إذ لابد لنا من أن نضيف الميل الإيجابى للمبادئ الديمقراطية والمسيحية، وألا ننسى قوة المشاعر المسيحية فى أوروبا. لابد من أن نقدم أيديولوچية منافسة للشيوعية"(٢).

كان ذلك بالفعل هو التحدى: فالحكومات الغربية لا يمكن أن تعتمد فقط على تشويه سمعة التجربة السوفيتية، بل كان من واجبها أن تقدم مستقبلا بديلا من داخل النظام الديمقراطى- الرأسمالى الذى كان التباهى به يفوق إنجازاته بمراحل، وكان الدبلوماسى الجاسوسى "روبرت بروس لوكهارت - Robert Bruce Lockhart" يقول: "الشىء الخطأ فى العالم ليس هو قوة الشيوعية التى استطاع "ستالين - Stalin" وشركاؤه أن ينحرفوا بها ويحولوها إلى أداة للتوسع السلافى بطريقة كان يمكن أن تصدم "لينين - Lenin"، وإنما الخطأ هو الضعف الأخلاقى والروحى للعالم غير الشيوعى"(٣).

وإغفال دور الحكومة البريطانية فى صنع صورة جيدة لـ "ستالين - Stalin" فى فترة التحالف أثناء الحرب، هو إغفال لإحدى الحقائق الأساسية فى الحرب الباردة؛ لأن التحالف بين العالم الحر وروسيا ضد النازية كان هو اللحظة الفارقة التى بدأ فيها التاريخ نفسه يتواطؤ فى وهم أن الشيوعية كانت جيدة من الناحية السياسية، وكانت المشكلة التى تواجه الحكومة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية هى كيف تبدأ فى تعرية الأكاذيب التى نسجتها بأسلوب منظم، أو كانت تدافع عنها فى السنوات السابقة.

وكما يقول "آدم واطسون - Adam Watson" (وهو دبلوماسى ثانوى جُنِّدَ ليكون نائبا لرئيس الـ IRD): لقد صنعنا هذا الرجل أثناء الحرب بالرغم من أننا كنا نعلم أنه فظيع، وذلك لأنه كان حليفا. والآن أصبح السؤال هو: كيف يمكننا التخلص

(*) Information Research Department.

من أسطورة "العم جو"(*)، العجوز الطيب، التى صنعناها أثناء الحرب؟(٤) كان كثير من الكتاب والمفكرين البريطانيين قد عملوا لحساب الحكومة فى إدارات وأقسام الدعاية أثناء الحرب: والآن أصبح مطلوبا منهم أن يحرروا الجمهور البريطانى من تلك الأكاذيب التى صاغوها وعملوا ببراعة لكى يحافظوا عليها.

وبالرغم من اسمها العادى الذى لا يحمل أية شبهة إلا أن إدارة البحث الإعلامى "IRD" كانت بمثابة وزارة سرية للحرب الباردة، كانت ميزانيتها سرية (حتى تتفادى مناقشة أنشطتها التى ربما تكون سرية أو شبه سرية) وكان هدفها هو "إنتاج وتوزيع ونشر دعاية لا يمكن أن تنسب إليها" حسب وصف "كريستوفر وودهاوس - Christopher Woodhouse" الشهير بـ "مونتى - Monty"، الجاسوس الذى عين بالإدارة فى عام ١٩٥٣، وعملا بنظرية " قطرة قطرة" كانت الـ "IRD" تقوم بإعداد تقارير "حقيقية" عن كافة الموضوعات لتوزيعها على أعضاء أجهزة المخابرات البريطانية الذين سيعيدون استخدامها فى عملهم. كان أحد الملامح الرئيسية والمميزة لهذا الأسلوب هو أن يكون ذلك العمل من المستحيل نسبته إلى الوزارة حتى يمكن تحقيق أمرين متناقضين: تحقيق أوسع انتشار ممكن للمادة التى تقدمها الـ"IRD"، وفى الوقت نفسه حماية وجود حملة دعاية مضادة للشيوعية مصدق عليها رسميا ومدعومة سرا ولا يعرف عنها الجمهور شيئا. وكما كتب "رالف موراى - Ralph Murray" أول رئيس لـ"IRD" من المهم ألا نثير انطباعا عاما فى المملكة المتحدة أو فى الخارج بأن وزارة الخارجية تنظم حملة معادية للشيوعية، إن ذلك من شأنه أن يغضب أو يحرج عددا من الأفراد الذين لديهم استعداد لتقديم عون مفيد لنا، إذا نحن عرضناهم للاتهام بأنهم يتلقون معلومات معادية للشيوعية عن طريق كيان شرير فى وزارة الخارجية يقوم بفبركة دعاية موجهة ضد الاتحاد السوفيتى"(٥).

وفيما بعد شرح "آدم واطسون - Adam Watson" ذلك بقوله: "عندما تؤسس عملك على تقديم حقائق يكون من الصعب دحضها، ولكن الأمر يختلف إذا كنت تقدم مجرد دعاية"، "وذلك بخصوص كشف تلك الجوانب من الحقيقة، الجوانب الأكثر فائدة بالنسبة لك"(٦). كان ذلك فى الممارسة العملية معناه: بالرغم من أن الهدف من الـ "IRD" هو الهجوم على كل من "مبادئ وممارسات الشيوعية، وكذلك عدم الكفاءة والظلم والضعف الأخلاقى للرأسمالية الجامحة"، إلا أنه لم يكن مسموحا لها (الـ IRD) بأن تهاجم، أو بأن تبدو كأنها تهاجم أية دولة عضو فى "الكومنولث"... ولا الولايات المتحدة"(٧).

(*) والمقصود هو جوزيف ستالين (المترجم).

فكرة إخضاع الحقيقة لمثل تلك المقتضيات كانت تسلية لـ "نويل كووارد – Noël Coward"، والذى كان فى فترة عمله القصيرة كضابط مخابرات يضع على الوثائق التى تحمل ختم "سرى جداً"... عبارة " صادق جداً"!.

كان الكاتب "آرثر كويستلر – Arthur Koestler" المجرى المولد، واحداً من أهم المستشارين الأوائل لـ "IRD" بتوجيهاته وتحت إشرافه أدركت الإدارة فائدة إيواء أولئك الناس والمؤسسات الذين كانوا يرون أنهم بحكم السياسة اليسارية كانوا فى موقع المعارضة بالنسبة لمركز السلطة، كان الهدف من ذلك الإيواء له شقان: الأول هو تحقيق تقارب من الجماعات "التقدمية" للتمكين من مراقبة أنشطتها، والثانى: إضعاف تأثير تلك الجماعات وذلك عن طريق السيطرة عليها من الداخل أو بجر أعضائها إلى منبر مواز وأقل ثورية. قبل مرور وقت طويل كان "كويستلر – Koestler" نفسه قد بدأ يفيد من حملات الدعاية. كتابه "الظلام وقت الظهيرة" والذى كان تصويره للفظائع السوفيتية بمثابة أوراق اعتماده عدوا للشيوعية، هذا الكتاب كان يوزع فى ألمانيا تحت رعاية الـ "IRD" وبصفقه تم عقدها مع "هاميش هاميلتون – Hamish Hamilton"مدير دار النشر التى تحمل نفس الاسم (وكان هو نفسه وثيق الصلة بأجهزة المخابرات)، اشترت وزارة الخارجية خمسين ألف نسخة من كتاب "كويستلر – Koestler" وقامت بتوزيعها عام ١٩٤٨، والمثير للسخرية أن الحزب الشيوعى الفرنسى كان لدية فى الوقت نفسه أوامر بشراء أية نسخة (من الكتاب) على الفور، وكان يتم شراؤها كلها، ولم يكن هناك أى سبب لإيقاف طباعته، وهكذا كان "كويستلر – Koestler" يثرى بشكل غير مباشر نتيجة دعم الحزب الشيوعى الفرنسى"(٨).

لم يكن "كويستلر – Koestler" مستشاراً فقط لحملة دعاية وزارة الخارجية. فى شهر فبراير ١٩٤٨ انطلق إلى الولايات المتحدة فى جولة لإلقاء محاضرات، وفى شهر مارس التقى و "وليم دونوڤان – William Donovan" الشهير بـ"بيل" الشرس) فى منزل الجنرال فى "نيويورك" – ساتون بليس–. "دونوڤان Donovan" الذى كان مديرا لجهاز المخابرات الأمريكى أثناء الحرب، ثم أصبح واحداً من أهم مهندسى ومخططى وكالة المخابرات المركزية "CIA" التى أنشئت حديثا، كان عضوا أساسيا فى نخبة المخابرات والسياسة الخارجية الأمريكية، كان على مدى حياته معاديا للشيوعية، وظل يقظا لذلك حتى لحظة وفاته. فى عام ١٩٥٩ عندما أبلغ عن اكتشافه وجود قوات روسية تسير فى "مانهاتن" عبر جسر "شارع ٥٩"، بينما كان يطل من نافذة منزله، أما "كويستلر – Koestler" والذى كان قبل ذلك أحد العقول التى تقف خلف شبكة المؤسسات العلنية التى كانت تعمل كواجهة لشبكة الاتحاد السوڤيتى قبل الحرب

(كانت تعرف بـ اتحاد شركات "منزنبيرج – Munzenberg" على اسم مديرها) كان "كويستلر – Koestler" يعرف أكثر من الجميع كيف كانت آلة الدعاية السوفيتية تعمل من الداخل، قبل مغادرته إلى الولايات المتحدة بوقت قصير كان "كويستلر – Koestler" قد التقى و"أندريه مالرو – André Malraux" لمناقشة أفضل السبل لمواجهة هجوم "السلام" الذى يقوم به "الكومينفورم – Cominform"، وبالمصادفة كان "كويستلر – Koestler" قد التقى على سفينة وهو فى طريقه إلى أمريكا، "جون فوستر دالاس – John Foster Dulles" شقيق "آلان دالاس – Allen Dulles" الذى سيصبح وزيرا للخارجية فيما بعد. ناقش الاثنان معا المشكلة ذاتها. والآن، كان "كويستلر – Koestler" يجلس مع "وليم دونوفان – William Donovan" ليناقشا كيفية مواجهة الدعاية السوفيتية. دوَّنَ "كويستلر – Koestler" فى مفكرته : "ناقشنا الحاجة إلى حرب نفسية " ثم أضاف إن دونوفان "Donovan" كان يتمتع "بعقلية من الطراز الأول" ذلك اللقاء بينهما لا ينبغى التقليل من أهميته.

كان "آرثر كويستلر – Arthur Koestler" ابنا لطبقة متوسطة من "بودابست" حيث ولد عام ١٩٠٥، وبعد تحول دينى انضم إلى الحزب الشيوعى فى أوائل الثلاثينيات، كتب فيما بعد يقول إن قراءته لـ"ماركس وانجلز" كان لها "الأثر المسكر للتحرر المباشر". فى سنة ١٩٣٢ ذهب إلى روسيا وألف كتاب دعاية بتمويل من الدولية الشيوعية "Communist International" بعنوان "ليالى بيضاء وأيام حمراء"، وهناك وقع– بجنون فى حب موظفة اسمها "ناديجدا سميرنوفا – "Nadeshda Smirnova، أمضى معها أسبوعا أو أسبوعين ثم وشى بها للشرطة السرية بسبب أمر تافه.. فلم يسمع أحد عنها شيئا بعد ذلك، وبعد انتصار "هتلر – Hitler" فى ألمانيا لحق "كويستلر – Koestler" باللاجئين الألمان فى "باريس" حيث عمل مع "ڤيلى منزنبيرج – Willie Munzenberg"، وفى عام ١٩٣٦ ذهب إلى إسبانيا ربما من أجل التجسس لحساب "منزنبيرج– Munzenberg".

اعتقل كسجين سياسى ولكنه أنقذ عندما تدخلت الحكومة البريطانية بعد جهود مكثفة من زوجته الأولى "دوروثى آشر – Dorothy Ascher"، وبحلول عام ١٩٣٨ كان قد استقال من الحزب الشيوعى بعد استيائه الشديد من عمليات القبض الجماعى والمحاكمات الصورية التى قام بها "ستالين – Stalin" لكنه كان لا يزال على إيمانه باليوتوپيا البلشفية. وعندما ارتفع الصليب المعقوف فى مطار موسكو تحية لوصول "ريبنتروب – Ribbentrop" للتوقيع على معاهدة "هتلر – ستالين"، وعندما عزفت فرقة موسيقى الجيش الأحمر "نشيد هورست ڤايسل لايد – Horst Wessel Lied" تخلى

عن ذلك تماما. أثناء اعتقاله فى فرنسا وقت الحرب كتب "الظلام وقت الظهيرة"، وهو عرض تسجيلى للمظالم والتعسفات التى ارتكبت باسم الأيديولوجية، وسرعان ما أصبح الكتاب واحدا من أكثر الكتب تأثيرا على المرحلة، بعد إطلاق سراحه اتجه إلى إنجلترا (عن طريق الجيش الفرنسى الخارجى) وهناك التحق بالفيلق الريادى، وذلك بعد فترة اعتقال أخرى. بعد ذلك التحق بوزارة الإعلام ليعمل فى الدعاية المضادة للنازية، وهى الوظيفة التى ساعدته فى الحصول على الجنسية البريطانية.

كان الهدف من جولة المحاضرات الأمريكية فى عام ١٩٤٨ هو تحرير المتعلقين أو "المفتونين باليسار"(٩) من أوهامهم ومن مغالطاتهم التى كانت لاتزال مسيطرة على أفكارهم، كان يحض المثقفين الأمريكيين على نبذ ثوريتهم الصبيانية، وأن يندمجوا فى تعاون مع بنية السلطة: "إن واجب المثقفين التقدميين فى بلادكم هو مساعدة بقية الأمة على مواجهة مسئولياتها الجسام، لقد مضى زمن الخلافات والصراعات الطائفية فى عالم الراديكالية المجردة التى تنتمى للماضى،وحان وقت نمو الثورى الأمريكى"(١٠). وهكذا كان "كويستلر – Koestler" يدعو إلى مرحلة جديدة للعمل يكون واجب المثقفين فيها هو تبرير الجهد الوطنى وتجنب الانعزال أو الابتعاد الذى كان ينطوى على مفارقة تاريخية، بعد ذلك كان "چان پول سارتر – Jean-Paul Sartre" يعلن: "حيث إن الكاتب لا يمكنه أن يهرب، فنحن نريده أن يقبض على زمنه بثبات، إنها فرصته الوحيدة، خُلقت له وهو لها". و"هدفنا هو العمل معا لإحداث تغيرات معينة فى المجتمع الذى يحيط بنا"(١١). لم تكن طبيعة الالتزام هى الفرق الوحيد بين "سارتر" و "كويستلر – Koestler" وإنما موضوعه. إذ بينما ظل "سارتر" معارضا تماما، وبشدة، للمؤسسات الحكومية كوسطاء للحقيقة أو العقل كان "كويستلر –Koestler" يحض رفاقه على مساعدة نخبة السلطة من أجل القيام بوظيفتها فى الحكم.

بعد لقائه بـ "دونوڤان – Donovan" فى "نيويورك" بوقت قصير سافر "كويستلر – Koestler" إلى "واشنطن" حيث حضر عددا من المؤتمرات الصحفية وحفلات الاستقبال والغداء والعشاء، وعن طريق "چيمس بيرنهام – James Burnham" وهو مثقف أمريكى انتقل من الراديكالية إلى مؤسسات السلطة بسرعة مدهشة– تم تقديم "كويستلر – Koestler" إلى العشرات من المسئولين فى مؤسسات الدولة ومساعدى الرئاسة والصحفيين والنقابات والاتحادات العمالية كانت وكالة (المخابرات الأمريكية "CIA" على نحو خاص مهتمة بـ "كويستلر – Koestler". كان أمامهم شخص لديه ما يقوله لهم.

كانت الوكالة منذ فترة تستهويها فكرة ما: هل هناك من هو أفضل من

الشيوعيين السابقين لمكافحة الشيوعية؟ وبالتشاور مع "كويستلر – Koestler" بدأت تلك الفكرة تتجسد، كان من رأيه أن تدمير الأساطير والخرافات الشيوعية يمكن أن يتحقق فقط عن طريق تعبئة أولئك اليساريين من غير الشيوعيين فى حملة واسعة للإقناع، كان الذين يقصدهم "كويستلر Koestler" من جماعة اليسار غير الشيوعى – يعملون بالفعل فى وزارة الخارجية ودوائر المخابرات، وعن طريق ما يصفه "آرثر شليزنجر – Arthur Schlesinger" بـ"الثورة الهادئة" أصبحت العناصر الحكومية تفهم وتؤيد أفكار أولئك المثقفين الذين ضللتهم الشيوعية وإن كانوا لا يزالون مؤمنين بمبادئ الاشتراكية.

وبالفعل سوف تصبح استراتيجية تقوية "اليسار غير الشيوعى" هى "الأساس النظرى للعمليات السياسية لوكالة المخابرات المركزية "CIA" ضد الشيوعية على مدى العقدين التاليين"(١٢). أما الأساس المنطقى لهذه الاستراتيجية التى حققت فيها الوكالة تقاربا– وربما تطابقا– مع المثقفين اليساريين، هذا الأساس المنطقى يقدمه "شليزنجر – Schlesinger" فى كتابه "الوسيط الحيوى"، وهو أحد ثلاثة كتب كانت تشتمل على بذور التطورات المستقبلية ظهرت فى عام ١٩٤٩ (الكتابان الآخران هما: "الإله الذى فشل" ورواية "١٩٨٤" لـ " چورچ أورويل – George Orwell"، أوضح "شليزنجر – Schlesinger" مسار اضمحلال اليسار وشلله الأخلاقى الخطير فى أعقاب ثورة ١٩١٧ الفاسدة، وتتبع تطور "اليسار غير الشيوعى" لكى يكون الراية التى تتجمع خلفها الجماعات التى تناضل من أجل الحصول على مساحة للحرية.

فى إطار هذه الجماعة كان المطلوب أن يتحقق "استعادة العصب الراديكالى" بحيث لا يبقى أى مصباح فى نافذة الشيوعيين"، وكان "شليزنجر – Schlesinger" يقول: إن حركة المقاومة الجديدة تلك كانت فى حاجة إلى "قاعدة مستقلة تعمل منها، وهى تتطلب سرية وتمويلا ووقتا ومطبوعات صحفية وجازولين وحرية تعبير وحرية اجتماع، وتحررا من الخوف"(١٣).

أما الافتراض النظرى الذى شجع ودفع كل هذه التعبئة لليسار غير الشيوعى، فكان مدعوما بشدة من "شيب بوهلن – Chip Bohlen" و"أشعيا برلين – Isaiah Berlin" و"نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" و"أڤريل هاريمان– Averell Harriman " و"چورچ كينان– George Kennan" كما ذكر "شليزنجر– Schlesinger" فيما بعد: "كنا نشعر جميعا بأن الاشتراكية الديمقراطية هى الحصن المنيع" ضد الشمولية، وأصبح ذلك تيارا تحتيا – وربما سريا – فى السياسة الخارجية الأمريكية أثناء تلك المرحلة"(١٤). هكذا أصبح الاسم المختصر " Non - Communist Left NCL (اليسار غير الشيوعى) مسمى شائعا فى لغة الدواوين الحكومية فى "واشنطن" بل إنه– كما

ذكر أحد المؤرخين- "كان رمزا لجماعة تحمل بطاقة تعريف معينة"(١٥).

هذه الجماعة التى تحمل بطاقة التعريف المعينة اجتمعت لأول مرة تحت غطاء"الإله الذى فشل"، وهى مجموعة مقالات تشهد على سقوط الفكرة الشيوعية، كان "آرثر كويستلر- Arthur Koestler" هو الروح الباعثة وراء الكتاب بعد أن عاد إلى "لندن" فى حالة من النشاط والاستثارة على أثر مناقشاته مع "وليم دونوفان - William Donovan" وغيره من واضعى استراتيجية المخابرات الأمريكية. والتاريخ اللاحق لنشره يعتبر علامة على التعاقد بين اليسار غير الشيوعى و"الممول الخفى" فى الحكومة الأمريكية. وبحلول صيف ١٩٤٨ كان "كويستلر - Koestler" قد ناقش الفكرة مع "ريتشارد كروسمان - Richard Crossman" رئيس القسم الألمانى فى هيئة الحرب النفسية أثناء الحرب، وكان "كروسمان Crossman" هذا يوصف ذات يوم بأنه "بلا مبادئ وشديد الطموح" وبأنه شخص يمكن أن "يتسلق جثة أمه لكى يصعد درجة "(١٧). فى كتابه: " أفلاطون اليوم "١٩٣٧ - يتساءل الراوى ما إذا كانت الديمقراطية البرلمانية فى جوهرها ليست سوى "كذبة كبرى "أم لا، ولوحة ذات طلاء جذاب تختفى وراءها الحكومة وآلة الدولة ". والشىء نفسه يمكن أن نقوله عن كتاب "الإله الذى فشل".

فى السابع والعشرين من أغسطس ١٩٤٨ "قام كروسمان Crossman بتوريط متمرس آخر من خبراء الحرب النفسية وهو الأمريكى "سى.دى. چاكسون- C.D.Jackson " فى المشروع، "أكتب إليك لكى استشيرك. "كاس كانفيلد - Cass Canfield" من شركة "هاربرز" و"هاميش هاميلتون - Hamish Hamilton" ناشران هنا- يقترحان علىّ نشر كتاب فى الربيع القادم بعنوان "الأوهام الضائعة". وقد أخذت على عاتقى مسئولية تحريره، سيكون عبارة عن سلسلة أجزاء من السيرة الذاتية يكتبها مثقفون بارزون، يصفون فيها كيف أصبحوا شيوعيين أو عاطفين على برنامج الحزب، وماذا جعلهم يشعرون بأن الشيوعية كانت هى حلم العالم.. وماذا ضللهم"(١٨). وكانت نصيحة "سى.دى. چاكسون- C.D. Jackson" هى دعوة الكاتب "لويس فيشر - Louis Fischer" وهو شيوعى ، 'بق- ليكون ممثلا للأوهام الأمريكية الضائعة.

بعد ذلك تحدث "كروسمان - Crossman" فى الأمر مع "ميلڤن لاسكى - Melvin Lasky" الذى كان قد أصبح فى ذلك الوقت المسئول الحقيقى - غير الرسمى - للدعاية الثقافية الأمريكية فى ألمانيا، وأحد المؤيدين الأوائل للمقاومة الفكرية المنظمة ضد الشيوعية. وبمجرد أن كان "كروسمان - Crossman" يتلقى إسهامات الكتاب،

كان يقوم بإرسالها فورا إلى "لاسكى – Lasky" الذى يطلب ترجمتها فى مكتب "ديرمونات – Der Monat". وطبقا لأحد تقارير الأداء الخاصة باللجنة الأمريكية العليا فى ١٩٥٠ فإن "جميع المقالات المنشورة فى" "الإله الذى فشل" باستثناء مقال واحد كانت مساهمات أصلية فى "ديرمونات – Der Monat" أو مقالات كانت المجلة هى صاحبة الحق فيها. وبصدور العدد رقم "٢٥" كانت "ديرمونات – Der Monat" قد انتهت من نشر جميع المقالات"(١٩). قام "كروسمان – Crossman" بتحرير الطبعة الإنجليزية التى أصدرها "هاميش هاميلتون – Hamish Hamilton" ناشر "كويستلر – Koestler" فى عام ١٩٥٠، أما صديق "كروسمان – Crossman" الحميم فى "مكتب الإعلام الحربى" – "كاس كانفيلد – Cass Canfield" والذى أصبح ناشر "آلان دالاس – Allen Dulles" فيما بعد، فكان هو المسئول عن الطبعة الأمريكية، بهذه الخلفية كان كتاب "الإله الذى فشل" نتاج عمل المخابرات مثلما كان عملا من إنتاج المثقفين.

كان المشاركون فيه هم: أجنازيو سيلونى – "Ignazio Silone" و"أندريه جيد – André Gide" و"ريتشارد رايت – Richard Wright" و"آرثر كويستلر – Arthur Koestler" و"لويس فيشر – Louis Fischer" وستيفن سبندر – "stephen spender". كتب "كروسمان – Crossman" فى تقديمه للكتاب: "ليس لدينا أدنى اهتمام بتضخيم فيضان الدعاية المضادة للشيوعية، ولا بتقديم فرصة لدفاع شخصى عن المعتقدات"(٢٠). إلا أن الكتاب حقق تلك الأهداف التى تم التنصل منها فى المقدمة، فبالرغم من أن المقالات كانت – بشكل عام – شهادات عن فشل اليوتوبيا الماركسية، إلا أنها كانت أيضاً روايات شخصية وكتابات أفراد تحركوا للتعبير عن تحررهم من الوهم ومن الشعور بالخديعة، كان الكتاب بمثابة فعل اعتراف جماعى وبيان تمرد ورفض للستالينية، فى وقت كان كثيرون مازالوا يعتبرون ذلك هرطقة وانشقاقا، كما كان رؤية جديدة كاشفة لمرحلة ما بعد الحرب، وكان الظهور فيه بمثابة جواز سفر إلى عالم الثقافة الرسمية للسنوات العشرين التالية.

ثلاثة من المشاركين الستة فى كتاب "الإله الذى فشل" كانوا قد عملوا لحساب "ڤيلى مانزنبيرج – Willie Munzenberg"، "كويستلر – Koestler" الذى كان يقول ذات يوم: إن الإيمان شىء رائع، لا يقدر فقط على زحزحة الجبال "بل على جعل المرء يصدق أن سمكة الرنجة فرس رهان"... "كويستلر – Koestler" هذا كان واحداً من أشد تلاميذ "مانزنبيرج – Munzenberg" حماسا. فى الثلاثينيات، عندما كان مشهورا فى أمريكا كما ستصبح "إد مارو – Ed Murrow" فى الخمسينيات كان الصحفى "لويس فيشر – Louis Fischer" رجلا تأثر عمله– إلى حد كبير– بتجربته

كشيوعى يعمل لحساب "مانزنبيرج – Munzenberg". أما "إجنازيو سيلونى – Igna-zio Silone" فكان قد انضم إلى الحزب الشيوعى الإيطالى عام ١٩٢١ كان تحوله حقيقيا مثل "كويستلر – Koestler" (أصبح الحزب أسرة ومدرسة وكنيسة وثكنة) ودفع به على سلم الدولية الشيوعية وإلى أحضان "مانزنبيرج – Munzenberg"، ومع إحجامه التدريجى عن نشاط الحزب بعد عام ١٩٢٧، ظل "سيلونى – Silone" محتفظا بـ "الذوق الشاحب لشاب ضائع". القطيعة الأخيرة جاءت فى عام ١٩٣١ عندما طلب منه الحزب الشيوعى أن يدلى بتصريح علنى يدين "تروتسكى – Trot-sky"، رفض، وطرده الحزب واعتبروه "حالة مرضية"، وعندما كان يتحدث أمام مجموعة من الشيوعيين الألمان السابقين، الذين كانوا يعيشون مثله فى منفى مرهق فى سويسرا أثناء الحرب، قال "سيلونى – Silone" لا ينبغى أن يكون الماضى بما فيه من جراح بقيت معنا، مصدر إضعاف لنا "لا يجب أن نترك أنفسنا للأخطاء فتضعف من معنوياتنا، ولا للإهمال، ولا للأشياء السخيفة التى تقال أو تكتب، المطلوب منا الآن هو أن يكون لدينا إرادة نقية لكى تولد قوة جديدة من أسوأ مافينا : "Etiam Pecca-ta"(٢١).

تحت أغطية "الإله الذى فشل" تم تدوير أولئك الذين كانوا يقومون بالدعاية للسوفيت سابقا، وتم غسيلهم من بقع الشيوعية واحتضانهم من قبل مخططى الحكومة الذين وجدوا فى تحولهم فرصة لا تقاوم لتحطيم آلة الدعاية السوفيتية التى كانوا يزودونها بالزيت ذات يوم، والآن أصبحت عصابة "الإله الذى فشل" ماركة مسجلة تستخدمها وكالة المخابرات المركزية "CIA" وترمز إلى ما كان يطلق عليه أحد الضباط: "جماعة المثقفين الذين تحرروا من الوهم، والذين يمكن أن يتحرروا منه، أو الذين لم يتخذوا موقفا بعد، والذين يمكن أن يؤثر أقرانهم بدرجة ما على خياراتهم"(٢٢).

كان كتاب "الإله الذى فشل" يوزع بواسطة أجهزة الحكومة الأمريكية فى كل أنحاء أوروبا، وكانت الدعاية له مكثفة فى ألمانيا بشكل خاص، وقد ساندت كذلك وبقوة إدارة البحث الإعلامى "IRD". كان "كويستلر- Koestler" سعيدا؛ لأن خططه من أجل رد استراتيجى منظم على الخطر السوفيتى كانت تقوى وتلتئم؛ وبينما كان الكتاب تعاد طباعته وينفد من الأسواق التقى بـ"ميلفن لاسكى – Melvin Lasky" ليبحثا معا شيئا أكثر طموحا وأكثر دواما.

وإذا كان كتاب "الإله الذى فشل" قد أثبت أن هناك ترحيبا حارا بمن يرغب فى التحول إلا أنه من الصحيح كذلك أن كان هناك من هم ليسوا على استعداد لأن

يلعبوا دور متناول العشاء الرباني على مذبح الحركة المنظمة لمكافحة الشيوعية. وهرع "الكومينفورم" لاستغلال هذا التحفظ بعد الخروج الكارثي في "والدورف استوريا" أصبح "الكومينفورم" أكثر يقظة في تحضيراته للاجتماع التالي: "مؤتمر السلام العالمي– World Congress for Peace" الذي تحدد له إبريل١٩٤٩ لكي يعقد في "باريس". وكما توقعت رسالة مشفرة لـ "IRD" في شهر مارس من نفس العام تحمل خاتم "سري للغاية" فإن "الأسلوب المقرر وتنظيم المؤتمر يدلان على أنه سوف يتم استخدامه بكافة الوسائل ليكون بمثابة "كليشيه" للموافقة على أي شيء يريده الاتحاد السوفيتي"(٢٣). كان من الواضح أن فكرة "الكومينفورم" ستكون أن "الولايات المتحدة والديمقراطيات الغربية هم مثيرو الحرب، وأ . الفاشست والكرملين وعملاءه هم الديمقراطيات المحبة للسلام" كان مطلوبا من جميع المراكز والمواقع الدبلوماسية أن " تستكشف كل ما يمكن عمله بغرض إفساد القيمة الدعائية لهذا المؤتمر"(٢٤).

لكن "أبناء العم" في المخابرات المركزية "CIA" كانوا في طريقهم إلى الاجتماع الباريسي، في اليوم التالي لمؤتمر"والدورف" سأل "فرانك ويزنر– Frank Wisner" الصديق الحميم لـ"كارمل أوفي– Carmel Offie" وزارة الخارجية عما تنوي عمله بخصوص مؤتمر السلام في باريس ، كان "أوفي – Offie" المساعد الشخصي لـ "ويزنر – Wisner" لشئون العمل والمهاجرين، ويشرف شخصيا على اللجنة القومية لأوروبا الحرة– إحدى الواجهات المهمة لمكتب تنسيق السياسات "OPC" بالإضافة إلى عمليات أخرى تتناول المنظمات المعادية للشيوعية في أوروبا، كان "أوفي– Offie" يتعامل كثيرا مع "إيرفنج براون– – Irving Brown" الممثل الأوروبي في اتحاد العمال الأمريكي، الذي كان يخفي اسمه المتواضع دورا سياسيا بالغ الأهمية في أوروبا بعد الحرب، وعن طريق "براون– Brown" كانت مبالغ طائلة من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين، ومن مشروع "مارشال– Ma.shall Plan" يتم ضخها لحساب العمليات السرية.

كان"أوفي– Offie" موظف الخارجية شخصا فاسدا وشريرا بكل المقاييس، كان قبيح المنظر، من عادته أن يوبخ الآخرين في الاجتماعات بشذوذه الجنسي، إذ كان يقرصهم من حلمات صدورهم (!). ألقي القبض عليه ذات مرة لتسكعه بالقرب من الحمامات العامة في حديقة "لافاييت"، وهو الحدث الذي جعل اسمه السري في الـ "CIA" وهو "Monk" أو "الراهب" يبدو اسما على غير مسمى، لكنه كان لديه أصدقاء أقوياء. كان "شيب بوهلن – Chip Bohlen" وجورج كينان – George Kennan يعرفانه من أيام السفارة في "موسكو"، وكان "بوهلن– Bohlen" هو الذي أقنع

"ويزنر Wisner" بتجنيده، وعندما كان يعمل فى مكتب تنسيق السياسات "OPC" كان يقال إنه آخر من يرى أية ورقة قبل أن تذهب إلى "ويزنر- Wisner"، كما كان آخر من رأى مبلغ ٢ مليون دولار قبل اختفائها(٢٥).

والآن بدأ "أوفى - Offie" و"يزنر- Wisner" التخطيط للقيام برد جيد التنظيم على مؤتمر "پاريس" الذى كانت وزارة الخارجية قد توقعت- بتشاؤم- أن "يغرى السذج باتباع خط "الكرملين" فيقبلوا "حركة السلام الزائف تلك"(٢٦). أبرق "ويزنر- Wisner" إلى "أڤريل هاريمان - Avril Harriman" فى إدارة التعاون الاقتصادى (مجموعة مدراء مشروع مارشال) يطلب خمسة ملايين فرنك (ما يعادل ١٦٠٠٠ دولار تقريبا) لتمويل مظاهرة مضادة. كان "هاريمان - Harriman" وهو واحد من الأوائل فى النخبة السياسية الأمريكية الذين أدركوا أن روسيا قد أعلنت حربا أيديولوچية على الغرب، كان يفكر فى وسائل التصدى لتيار المفاسد القوى المندفع من روسيا"(٢٧). وكان فى غاية السعادة أن يقدم دعما من "مشروع مارشال" للعمليات السرية، وهو الدعم الذى كان يشير إليه "ويزنر" بأنه مجرد شىء بسيط .. أو "مجرد بونبونى" بنص كلماته"، وعن طريق "إيرڤنج بروان - Irving Brown" أجرى مكتب تنسيق السياسات "OPC" اتصالات بالاشتراكى الفرنسى "ديڤيد روسيت - David Rousset" مؤلف عدة كتب عن معسكرات الاعتقال (أيام موتنا - Les Jours De Notre Mort) و"عالم المعتقلات L'univers Concentrationnaire" وحلفائه فى الجريدة السياسية المستقلة "فرانك تيرير - Franc - Tireur" ووافق "ديفيد روسيت - David Rousset" على أن تعلن "فرانك تيرير - Franc Tireur" أنها الراعى الرسمى ليوم المقاومة الذى أوحت به وكالة المخابرات المركزية "CIA".

فى الجانب السوڤيتى كان هناك "إيليا اهرنبرج - Elya Ehrenburg" و"ألكساندر فادييف - Alexander Fadeyev" اللذان ظهرا فى الاجتماع الرئيسى - كان عملا من أعمال مكتب الإعلام الشيوعى من البداية إلى النهاية- إلى جانب "پول روبسون - Paul Robesan" و"هوارد فاست Howard Fast" و"هيوليت چونسون - Hewlett Johnsan" و"فردريك چوليوت كورى - Frederic Joliot - Curie" مفوض الطاقة الذرية الفرنسى والكاتب الدانمركى "مارتن أندرسون نيكسو Martin Andersen - Nexo" والاشتراكى الإيطالى "پيترو نينى - Piettro Nenni"، وأرسل "شارلى شاپلن - Charlie Chaplain" رسالة تأييد، كما بارك قس روسى أرثوذكسى المؤتمر. وغنى "پول روبسون - Paul Robeson" وأطلق "پيكاسو" حمامة السلام الشهيرة والتى سوف تستخدم على مدى عقود تالية رمزا مهيبا لحركة السلام الشيوعية. أحد

منظمى المؤتمر الشاعر والشيوعى المتشدد" لوى أراجون - "Louis Aragon كان قد وجد حفرا لحمامة فى حافظة أوراق تضم رسوما حديثة فى الاستوديو الخاص بـ"پيكاسو". كانت الحمامة لها ريش حول مخالبها يشبه الواقى الأبيض الذى يلبس فوق الحذاء، وبإذن من "پيكاسو" أصبحت هى "حمامة السلام الشهيرة". وسرعان ما أصبحت موضوعا للرسوم الساخرة بواسطة حركة "السلم والحرية - "Paix et Liberte على أنها "الحمامة التى تحدث انفجارا "La Colombe qui fait Boum" فى كاريكاتير كان يطبع ويوزع فى جميع أنحاء العالم بواسطة مؤسسات الحكومة الأمريكية فى كتيبات ومنشورات وملصقات.

مؤتمر "روسيت - "Rousset المضاد: "اليوم العالمى لمقاومة الدكتاتورية والحرب" عقد فى الثلاثين من إبريل عام ١٩٤٩ ودعمته رسائل تأييد من "إليانور روزفلت - "Elianor Roosevelt" و"أپتون سنكير - "Upton Sinclair" و"چون دوس باسوس - "John Dos Passos" الذى كان فى طريقه لأن يصبح جمهوريا متشددا، والذى كان بحسب تعبير "دوايت مكدونالد - "Dwight Macdonald" يخاف لدرجة عصبية من روسيا والشيوعية" و"چوليان هكسلى- "Julian Huxley" و"ريتشارد كروسمان"، أما الموفودون الذين جاءوا على نفقة الـ "OPC" (مكتب تنسيق السياسات) فكان من بينهم "اجنازيو سيلونى - "Ignazio Silone" و"كارلو ليڤى -"Carlo Levi" و"سيدنى هوك -"Sidney Hook" الموجود فى كل مكان، و"چيمس ت. فاريل - "James T. Farrell مؤلف كتاب "Studs Lonigan"، و"فرانز بوركينو - "Franz Borkenau" و"فينر بروكواى - "Fenner Brockway" ولكن بالرغم من التخطيط الحذر إلا أن اليوم فشل. كتب "سيدنى هوك - "Sidney Hook" فى تقريره: "منذ أن كنت صبيا قبل ثلاثين عاما أستمع إلى الخطباء الذين يقفون على صناديق الصابون فى ميدان "ماديسون" لم أستمع إلى بذاءات وجعجعة فارغة كما سمعت هنا"(٢٨). فى اجتماع المساء استولى جماعة من الفوضويين على الميكرفون وشجبوا المؤتمر وهاجموه، الأمر الذى جعل "هوك - "Hook" يستنتج أنهم لابد من أن يكونوا قد أطلقوا سراح المجانين من المصحة العقلية، وتولى الجلسة "الجناح المضطرب العقل من اليسار".

جلب المؤتمر كذلك أول كارثة لأمريكا فى مجال الصراع الثقافى فى شخص "ريتشارد رايت - "Richard Wright"، الذى كان بتعبير "هوك - "Hook" قد أشبع غروره استخدام "سارتر - "Sartre" له كهراوة ضد الثقافة الأمريكية، والذى يشبه استخدام الشيوعيين لنموذج "روبسون - "Robeson" (٢٩) وبالرغم من أن "رايت - "Wright" كان قد شارك فى كتاب "الإله الذى فشل"، إلا أن "اللوبى" المعادى للشيوعية

كان ينظر إليه فى ذلك الوقت بارتياب؛ لأن قطيعته مع الستالينية كانت على "أساس شخصى أكثر منه سياسى"، ولم يبد "أى فهم لطبيعتها الحقيقية"(٢٠). كان رايت – Wright هو العضو الوحيد من مجموعة "الإله الذى فشل" الذى فقد عضوية جماعة "الحواريين" تلك، وعلى مدى العقد التالى كانت حياته ونشاطه فى "باريس" تحت رقابة المخابرات المركزية الأمريكية "CIA" ومكتب التحقيقات الفيدرالى "FBI" إلى أن مات فى ظروف غامضة فى ١٩٦٠.

كان فشل مؤتمر باريس المضاد مخيبا لآمال "ويزنر – Wisner" وحلفائه فى وزارة الخارجية، وبالرغم من أنه جذب عددا من معارضى الستالينية البارزين ، وأثار هجوما عنيفا عليه من قبل الحزب الشيوعى الفرنسى، إلا أن طابعه كان "راديكاليا إلى حد بعيد... ومحايدا"(٢١). والأسوأ من ذلك أنه كانت هناك روح معادية لكل ما هو أمريكى فى أجوائه. كتب "هوك – Hook " يقول: "الجمهور الفرنسى بوجه عام جاهل تماما بالحياة وبالثقافة الأمريكية"، صورته عن أمريكا خليط من الانطباعات المستمدة من قراءة وروايات الاحتجاج الاجتماعى والتمرد (رواية شتاينبك – Steinbeck عناقيد الغضب" نموذج دال) ورايات الانحلال الأمريكى (فوكنر – Faulkner) والتفاهة (سنكلير لويس – Sinclair Lewis) ومن مشاهدة السينما الأمريكية ومن التعرض لسيل الدعاية الشيوعية الذى يتسرب إلى الصحافة غير الشيوعية. إن إعادة التوجيه الإعلامى للجمهور الفرنسى تبدو لى المهمة الأساسية والأكثر إلحاحا لسياسة أمريكا الديمقراطية فى فرنسا، وهو الأمر الذى لم يتم أ- شىء مؤثر حتى الآن لتحقيقه(٢٢).

فكرة هوك – Hook بأن التوجيه المعادى لأمريكا يمكن إزالته بتنظيف العقول الأوروبية من الآراء الزائفة فى روايات كتاب أمريكا المشاهير تبدو فكرة غريبة وغير عادية. والحقيقة أن ما كان يدافع عنه هو تطهير ما يعبر عن الحياة الأمريكية، والذى كان يراه فى صراع مع سياسة أمريكا الديمقراطية فى الخارج. كان ذلك تشويها كبيرا لمبادئ حرية التعبير ذاتها ويتناقض مع دعاوى الحرية الليبرالية التى كانت تقدم تحت رعايتها.

ولكن "هوك – Hook" كان محقا فى أمر واحد : "تفتيت إنسان حسن النية Homme De Bonne Volonte" فى "باريس سارتر" سيكون صراعا عسيرا، ومثل "برخت – Brecht" الذى كان يكيل المديح لـ "ستالين – Stalin" وهو ينعم بالامتيازات والحياة الهادئة فى ألمانيا الشرقية يمدحه كقاتل للشعب لديه مبرراته، كان مثقفو الضفة اليسرى قد فشلوا فى أن يفهموا أنهم لم يعودوا "باحثين عن الحقيقة وإنما مدافعين عن عقيدة محاصرة ومحطمة"(٢٣). واصل "سارتر – Sartre" تمجيده لروسيا

كحارسة للحرية، وفي الوقت نفسه كان قديسه "چان جينيه – Jean Genet" ينكر وجود معتقلات "الجولاج– Gulags". كان ذلك كما قال "كويستلر – Koestler" هو رأس المال العالمي لرفاق الطريق وللأذكياء من المهنيين ذوي المواهب المتواضعة مثل "بيكاسو – Picasso" و"كامو – Camus" و"أنوي – Anouilh" الذين كانوا محل إعجاب ورهبة كثير من المثقفين الأوروبيين "المصابين بالانفلونزا الفرنسية"... بتعبير "كويستلر – Koestler". ومن "باريس" أطلق "كويستلر – Koestler" ملاحظته الساخرة وهي أن الحزب الشيوعي كان يمكنه الاستيلاء على "باريس" بمكالمة تليفونية واحدة.

كان واضحا لـ "ويزنر – Wisner" أنه لم يجد بعد المجموعة المناسبة لتكون رأس الحربة في حملة مكافحة الشيوعية في فرنسا، وبكلمات توضح أنه كان يفكر بالفعل في قاعدة دائمة لهذه الحملة، راح يعبر عن قلقه "لأن هذا النوع من القيادة لمنظمة دائمة يمكن أن يؤدي إلى انحلال الفكرة كلها (فكرة أن يكون هناك مكتب صغير للإعلام الديمقراطي) إلى مجموعة من احمقي – الماعز والحمير – يشوهون بسلوكهم الغريب أعمال وتصريحات الليبراليين الجادين والمسئولين. لابد من أن تكون لدينا شكوكنا في دعم عرض كهذا"(٣٤). وبسبب فزعهم لمناعة درع الدعاية السوڤيتية كما كان يبدو لهم، جلست مجموعة من المثقفين الألمان – أعضاء سابقون في "مؤسسة مانزنبيرج – Munzenberg" لتدبير خطة، وفي لقاء مع "ميلفن لاسكي – Melvin La-sky" في غرفة في أحد فنادق "فرانكفورت" في أغسطس ١٩٤٩، بدأت "روث فيشر – Ruth Fischer" و"فرانز بوركينو – Franz Borkenau" (والذي كان المؤرخ الرسمي للكومنتيرن ذات يوم) لبلورة فكرتهم من أجل بنية دائمة مكرسة للمقاومة الثقافية المنظمة. كانت "فيشر – Fischer" هي شقيقة "جيرهارت إيسلر – Gerhart Eisler" شرطي سوڤيتي سري كان يعرف في ١٩٤٦ بأنه الشيوعي رقم واحد في الولايات المتحدة وسجن في العام التالي لتزويره طلب تأشيرة دخول، كان "جيرهارت – Ge-rhart" منذ ذلك الحين قد رقي ليدير مكتب الدعاية في ألمانيا الشرقية، ومن هنا سيكون مسئولا عن تنظيم الرد السوڤيتي على خطة "روث – Ruth".

"روث – Ruth" نفسها كانت زعيمة الحزب الشيوعي الألماني قبل أن يطرد فصيلها المنشق بأوامر من "موسكو" مما أدى إلى قطيعة مع "ستالين – Stalin" (ومع شقيقها) والآن ها هي ذي تكتب إلى أحد الدبلوماسيين الأمريكيين: "أعتقد أننا تحدثنا عن هذه الخطة أثناء إقامتي الأخيرة في "باريس"، ولكن لدي الآن أفكار أكثر تحديدا بشأنها، أقصد بالطبع فكرة تنظيم مؤتمر كبير معارض لمؤتمر "والدورف

استوريا" فى "برلين" نفسها، يجب أن يكون تجمعا لكل الشيوعيين السابقين، بالإضافة إلى مجموعة جيدة تمثل الأمريكيين المعارضين لـ "ستالين – Stalin" ومثقفين إنجليز وأوروبيين، ويعلن تعاطفه مع "تيتو – Tito" ويوغوسلافيا والمعارضة الصامتة فى روسيا والدول التابعة، ونصنع بذلك للمكتب السياسى جحيما على بوابة جحيمهم الخاص مباشرة، كل أصدقائى يجمعون على أن ذلك سيكون له تأثير كبير، وأنه سيصل إلى "موسكو" إذا تم تنظيمه على نحو جيد"(٣٥).

هل حضر "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" اجتماع "فرانكفورت"؟. المؤكد أنه كان من أوائل الذين استمعوا إلى الفكرة التى كان عليه أن يناقشها على وجه السرعة مع "لورانس دو نيڤى – Lawrence De Neufville" الذى أرسل فكرة الاقتراح بالحقيبة إلى "كارمل أوفى – Carmel Offie" فى منتصف سبتمبر، وكما قال "دو نيڤى – de Neufville" و"چوسلسون – Josselson" و"كويستلر – Koestler" وكان على أن أحصل على الدعم المطلوب لها من "واشنطن" أبلغت "فرانك ليندساى – Frank Lindsay" نائب "ويزنر – Wisner" بها، وأعتقد أنه لابد من أن يكون قد أبلغ "ويزنر – Wisner"، كان علينا أن نطلب الموافقة، كان مشروع "مارشال – Marshall" فى ذلك الوقت هو مال الرشى(*) الذى تستخدمه وكالة المخابرات المركزية "CIA" فى كل مكان، ولذلك لم تكن هناك مشكلة بالنسبة للتمويل، الجهد الوحيد الذى كان مطلوبا هو الحصول على الموافقة"(٣٦).

وصل ما أصبح يعرف بـ "اقتراح "چوسلسون" إلى مكتب "ويزنر Wisner" فى شهر إبريل ١٩٥٠، أما "لاسكى – Lasky" الذى كان قلقا ويريد الحصول على الموافقة بسرعة فلم يصبر، وإنما اندفع بالخطة وضم إليها "إرنست رويتر – Ernst Reuter" عمدة "برلين" الغربية وعددا كبيراً من الأكاديميين الألمان البارزين، الذين باركوا الفكرة، ووعدوا بتأييدها، وشكلوا جميعاً لجنة دائمة، وبدأوا فى إرسال الدعوات للمثقفين من العالم الحر، لكى يحضروا إلى "برلين" لدعم ذلك. إلا أن كتابات "لاسكى – Lasky" ككاتب مستقل لم تكن من أجل الصالح العام تماما، "فهو كموظف فى مكتب سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى، كان قد لفت بنشاطه وجهده من أجل المؤتمر أنظار كثير من المراقبين، واعتبروه دليلا على أن حكومة الولايات المتحدة هى التى تقف وراء ذلك"(٣٧).

ضباط مكتب تنسيق السياسات "OPC" دفعوا خطة "چوسلسون– -Jossel

(*) The Slush Fund المال المستخدم لرشوة المسئولين . (المترجم).

"son" ووضـعـوا تخطيطاً أوليـا للمشـروع بميزانيـة خمسين ألف دولار، ووافق عليـه "ويزنر– Wisner" فى ٧ إبريل، لكنه أضاف شر ١٠ واحداً: لابد من أن يختفى "لاسكى – Lasky"، و"جيـمس بيـرنهـام – James Burnham" عن الأنظار حـتى لا يعطى وجودهما مبررا لهجوم النقاد الشيوعيين، كان لدى "لاسكى – Lasky"، و"بيرنـهام – Burnham" مـا يوصف بأنه اهتمام مهنى بالخطة. وقد دافع "چوسلسون – Jossel-son" عن "لاسكى – Lasky" عندما أبلغ بتحفظات "ويزير – Wisner" وأبرق إليه: "لا أحد آخر هنا، وبالتأكيد لا يوجد أى ألمانى كان يمكن أن يحقق مثل هذا النجاح(٣٨) فى هذه المرحلة، كان "لاسكى – Lasky" قد مضى بعيدا بحيث لا يمكن كبح جماحه، كان قد أعلن نفسه سكرتيرا عاماً للمؤتمر القادم الذى سوف يسمى "مؤتمر الحرية الثقافية – The Congress For Cultural Freedon" وكانت الدعوات تصدر باسمه وباسم "رويتر – Reuter" عمدة "برلين الغربية"، وكذلك كانت توضع البرامج. وفى العلاقات العامة انضم "أرنولد بيكمان – Arnold Beichman" إلى "لاسكى – " Lasky وكان "بيكمان Beichman" قد ظهر فى التوقيت المناسب فى "والدورف".

وفى أمريكا كان "چيمس بيرنهام – James Burnham" و"سيدنى هوك – Sid-ney Hook مشغولين بوضع ترتيبات الوفد الأ ـيكى، كلاهما كان على علم بتورط مكتب تنسيق السياسات "OPC" (بالرغم من أن "هوك – Hook" لم يذكر ذلك فى مذكراته، وربما كان لا يراه مهما) تذاكر سفر المشاركين الأمريكيين قام بشرائها الـ "OPC" والذى استخدم لذلك عددا من المنظمات الوسيطة كوكلاء سفريات، وزارة الخارجية كانت أيضا من بين المشاركين فى الإعداد، وزير الخارجية المساعد للشئون العامة "چيسى ماكنايت – Jesse Macknight" كان سعيداً بالعملية كلها لدرجة أنه طلب أن ترعى وكالة المخابرات المركزية "CIA" المؤتمر بشكل دائم حتى من قبل عقد الاجتماع السرى فى "برلين"(٣٩). وللمرة الأولى لم يكن التفاؤل فى غير موضعه.

(٥)

الفكرة تتحول إلى حملة

أخبرتنى أشباحى بشىء جديد ، أنا فى الطريق إلى كوريا، لا أستطيع أن أقول لك ماذا سأصنع، المشاركة فى الفكرة..

"روبرت لويل - ١٩٥٢ "

فى وقت متأخر من ليلة الثالث والعشرين من يونيو ١٩٥٢ وصل "آرثر كويستلر Arthur Koestler وزجته "مامين - Mamaine" إلى محطة الشرق فى" پاريس" ليستقلا قطار الليل إلى "فرانكفورت" ومنها إلى "برلين". وبينما هما يبحثان عن عربتهما التقيا مصادفة و "چان پول سارتر- Jean-Paul Sartre" الذى كان مسافرا على نفس القطار إلا أنه كان متجها إلى مؤتمر آخر. كان "سارتر - Sartre"على غير العادة- بمفرده؛ فشعر "كويستلر - Koestler" وزوجته بالارتياح لأن "سيمون دو بوڤوار - Simone de Beauvoir" التى كانا يدعوانها بـ "القندس") لم تكن موجودة، تناولوا عشاءهم جميعاً، وشاركهم حارس شخصى كان الأمن الفرنسى قد عينه لـ "كويستلر- Koestler" بعد تلقيه تهديدات بالقتل من الشيوعيين (وصلت إلى حد قيام جريدة "لومانيتيه L'Humanite" الشيوعية بنشر خريطة تحدد موقع "ڤير ريڤ - Verte Rive وهى الڤيللا التى كان يعيش فيها كويستلر - Koestler فى "فونتان لوپورت Fontaine Le Port" بالقرب من پاريس) وبالرغم من أن صداقتهما كانت قد مرت بتوترات فى السنوات الأخيرة إلا أن أولئك الخصوم السياسيين كانوا لا يزالون يشعرون بمودة نحو بعضهم البعض، وكانوا يتبادلون المزاح والقطار يمضى بهم فى تلك الليلة الحارة من ليالى الصيف. كان "سارتر - Sartre" و"البير كامو - Albert Camus" قد تنصلا من مؤتمر "كويستلر -Koestler" علنا، ورفضا الحضور، لكن الأخير شعر بالرثاء لـ "سارتر - Sartre" الذى اعترف فى تلك الليلة فى القطار بأن صداقاته كانت تتبخر بفعل حرارة سياسته هو و"سيمون دو بوڤوار - Simone de Beauvoir".

وبينما كان "كويستلر -Koestler" بالقطار، كان أعضاء الوفد الأمريكى يقطعون رحلاتهم الجوية عبر الأطلنطى والتى قد تمتد إلى أربع وعشرين ساعة؛ لكى

تحملهم إلى ألمانيا. وبالرغم من أن الحصار السوفيتي على "برلين" كان قد تم رفعه مؤخرا إلا أن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى القطاع الغربي كانت هي الطائرات الحربية، وكان معنى ذلك أن أعضاء الوفد لابد من أن يستقلوا طائرات (C-47) من "فرانكفورت" في المرحلة الأخيرة التي سوف يشير إليها "كويستلر- Koestler" فيما بعد- بـ "الرحلة الجوية الثقافية". كان من بينهم "جيمس ت. فاريل - James T.Farrell" و"تينسي وليمز - Tennessee Williams" والممثل "روبرت مونتجمري - Robert Montgomery" و"ديفيد ليلنتال - David Liliental" رئيس لجنة الطاقة الذرية الأمريكية، و"جورج شويلر- George Schuyler" رئيس التحرير الأسود لجريدة "بتسبورج كورير - Pittsburg Courier" والصحفي الأسود "ماكس يرجان- Max Yergan"، أما عالم الوراثة "هيرمان موللر- Herman Muller" الحاصل على جائزة نوبل فقد أحضر معه حمولة غريبة: خمسة آلاف ذبابة فاكهة "Drosophila" هدية للعلماء الألمان الذين كانوا قد فقدوا ما لديهم من سلالات أثناء الحرب.

"آرثر شليزنجر الأبن- Arthur Schlesinger Jr."، و"سيدني هوك - Sidney Hook" سافرا معا من "بوسطن"، وكما يتذكر "شليزنجر - Schlesinger" فإن "هوك - Hook" كانت تسيطر عليه فكرة خطورة الـ ـفر إلى "برلين"، كان يتصور أن الشيوعيين سوف يهجمون عليه من كل اتجاه"، كان كل شيء مثيراً ومقلقا بالنسبة له، وأعتقد أن كثيرين كان لديهم نفس الشعور، كانوا يعتقدون أنهم ذاهبون إلى حيث كانت المعارك - خاصة أولئك الذين لم يكونوا في الحرب(١). وبعد أول تذوق لطعم الدم في "والدورف استوريا" كان "هوك - Hook" متشوقا لحملة واسعة النطاق،كان يطلب متوسلا: "أعطني مليون دولار وألفا من الرجال المخلصين وأنا أضمن لك إثارة موجة من القلق الديمقراطي بين الجماهير- نعم !.. حتى بين الجنود في إمبراطورية "ستالين - Stalin" نفسها بحيث تصبح كل مشاكله داخلية لزمن طويل قادم، أنا أستطيع أن أدبر أولئك الرجال"(٢). والآن وهو طائر إلى مدينة محاطة بالشيوعيين من كل جانب، كان "هوك - Hook" يتصور أن أولئك الشيوعيين سيدخلون المدينة حيث يمكن أن يصبح أي مشارك في المؤتمر أسيرا (في يد الشرطة العسكرية لألمانيا الشرقية) في ظرف ساعات قليلة(٣).

"نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov "وصل إلى "برلين" في شهر مايو للمساعدة في التخطيط للمؤتمر مع زوجته "پاتريشيا بليك - "Patricia Blake جاءا بطائرة "مستأجرة" عن طريق شركة اسمها "يوث آرجوزي- "Youth Argosy، وهي إحدى الوسائط التي كانت تستخدمها وكالة المخابرات المركزية "CIA".

كان "شيب بوهلن ـ Chip Bohlen" قد حث "نابوكوف Nabokov" على المجيء مبكرا بقدر المستطاع لإزالة العقبات نيابة عن الفنانين الذين كانوا "دائماً كباش الفداء لكل من السوفيت والنازية"(٤). "چيمس بيرنهام – James Burnham"، وصل بعد "نابوكوف Nabokov" بوقت قصير وانضما معا إلى "چوسلسون – Josselson"، و"لاسكى – Lasky" و"كويستلر – Koestler" و"براون – Brown" و"سيلونى – Si-lone" ليكونوا جهاز السيطرة على المؤتمر، متخذين من منزل "لاسكى – Lasky" مركز قيادة. وفى أحد اجتماعات المجموعة روى لهم " سيلونى– Silone" على العشاء كيف كان يقوم بإنهاء خدمة أى فرد فى حركة المقاومة تحت قيادته أثناء الحرب ممن كان يكتشف أنهم عملاء للمخابرات البريطانية أو الأمريكية؛ لأنه كان يريد أن يحارب "Maguerreamoi" بضمير نظيف(٥). ولك أن تتخ ' كيف استطاع كل من "چوسلسون – Josselson" و"بيرنهام– Burnham"، و"لاسكى – Lasky" أن يبتلع هذا التصريح. كانوا يعرفون ما لم يكن من المفترض أن يعرفه "سيلونى – Silone"وهو أنه كان الآن جزءا من حرب يديرها شخص أخر.

كان وضع "سيلونى– Silone"يغلف المفارقات الساخرة المؤلمة لعصر يدهس المثل العليا النقية، فى العشرينيات كان "سيلونى – Silone" يدير شبكة سرية لحساب السوفيت ثم ندم على ذلك، ومن ١٩٢٨ إلى ١٩٣٠ تعاون مع الـ "OVRA" جهاز مخابرات "موسولينى – Mussolini" وهناك ظروف أليمة وراء تلك العلاقة: حيث كان قد ألقى القبض على شقيقه من قبل الفاشست، ومات فى أحد السجون الإيطالية). وعندما كتب فى إبريل ١٩٣٠ ليقطع صلته بالـ "OVRA" أوضح قائلاً: لابد من أن أمحو من حياتى كل ما هو زائف ومنافق ومتردد وملتبس(٦). وكتب فى عام ١٩٤٢: "إن أهم واجباتنا الأخلاقية اليوم يتلخص فى تحرير أرواحنا من قصف النيران ومن مسار قذائف حرب الدعاية وهراء الصحف بوجه عام"(٧). وفى منفاه فى سويسرا أثناء الحرب كان "سيلونى – Silone" هو مصدر المعلومات الخاصة بـ "آلان دالاس – Allen Dulles"، ثم رئيسا لعمليات التجسس الأمريكية فى أوروبا، وفى شهر أكتوبر ١٩٤٤ أرسل "سيرافينو رومولدى – Serafino Romualdi" عميل الـ "OSS" إلى الحدود الفرنسية السويسرية بزعم تسليم حمولة طائرتين من الأسلحة والذخائر للمقاومة الفرنسية. كانت مهمته الحقيقية التى خطط لها خارج القنوات العادية: هى تهريب "سيلونى – Silone" إلى إيطاليا. والآن فى ١٩٥٠ كان "سيلونى – Silone" قد تم جره مرة أخرى إلى عالم العمل السرى. يقول المدافعون عنه إنه لم يكن يعرف الرعاة السريين لمؤتمر الحرية الثقافية، لكن أرملته "دارينا – Darina" تذكر أنه كان فى البداية مترددا بخصوص حضور المؤتمر، حيث كانت لديه شكوك بأنه "عملية من

عمليات وزارة الخارجية الأمريكية"، وبعد أيام قليلة فى المؤتمر كان "كويستلر- Koes-tler" الذى لم يكن يحب "سيلونى - Silone" قط يقول لأحد الأصدقاء إنه دائما، كان يتساءل بينه وبين نفسه "ما إذا كان "سيلونى - Silone" أمينا أم لا؟ والآنَ أعرف أنه ليس كذلك"(٨).

ومن بين الذين تلقوا معونات سرية كان هناك أيضا أعضاء الوفد الإنجليزى: "هيو تريڤور - روبر - Hugh Trevor-Roper"، و"چوليان أميرى - Julian Amery" و"آيه. چيه. آير - A.J. Ayer" وهيربرت ريد - Herbert Read"، و"هارولد ديفيز - Harold Davis"، و"كريستوفر هوليس - Christopher Hollis" وبيتردى مندلسون - Peter de Mendelssohn" الذين كان وجودهم فى "برلين" ممولا من وزارة الخارجية عن طريق إدارة البحث الإعلامى "IRD"، ومن فرنسا جاء "ريمون آرون - Raymand Aron" و"ديڤيد روسيت - David Rousset" و"ريمى رور - Remy Roure" و"أندريه فيليب - André Philip" و"كلود مورياك- Claudi Mauriac" و"أندريه مالرو- André Malraux" و"چولز رومان - Jules Romains" و"چورچ ألتمان - George Altman"، ومن إيطاليا كان هناك "إجنازيو سليونى - Ignazio Silone" و"موزيو مازوشى - Muzzio Mazzochi" و"بوناڤنتورا تيشى- Bonaventura Tecchi"، وبحلول مساء الخامس والعشرين من يونيو كانوا ومعظم المائتى موفد الآخرين قد وصلوا. خصصت لهم أماكن إقامة فى بعض الفنادق فى المنطقة الأمريكية، ومعظمهم نام مبكرا فى تلك الليلة بسبب إرهاق السفر.

وفى الصباح التالى استيقظوا على خبر عبور قوات كوريا الشمالية المدعومة من الشيوعيين خط عرض ٣٨ واجتياح كوريا الجنوبية. وعندما تجمعوا فى مساء يوم الاثنين السادس والعشرين من يونيو فى "تيتانيا بالاست - Titania Palast" فى حفل افتتاح مؤتمر الحرية الثقافية عزف لهم "أوركسترا برلين الفليهارمونى" افتتاحية "إجمونت - Egmont" القاتمة والتى كانت اختياراً مناسبا (وبعناية) لجمهور كان يرى نفسه مساهما فى دراما ملحمية غامضة.

أما عمدة برلين "إرنست رويتر - Ernst Reuter" (وكان شيوعيا سابقا، عمل مع " لينين - Lenin" وكان قريبا منه) فطلب من المندوبين ومن جمهور قوامه أربعة آلاف شخص الوقوف دقيقة صمت، إجلالا لذكرى الذين ماتوا دفاعا عن الحرية، أو مازالو يعانون فى السجون والمعتقلات، وفى كلمته الافتتاحية أكد على أهمية ومغزى ما يحدث فى "برلين": "إن كلمة "حرية" التى يبدو أنها قد فقدت قوتها، لها معنى فريد بالنسبة للشخص الذى يدرك قيمتها، الشخص الذى فقدها ذات يوم"(٩).

وعلى مدى الأيام الأربعة التالية كان أعضاء الوفود والمندوبون يتنقلون من حلقة مناقشة إلى أخرى، وبين جولات إلى بوابة "براندنبيرج و "پو ست دامر پلاتس" والخط الذى يفصل بين برلين الشرقية والغربية، ثم إلى المؤتمرات الصحفية وحفلات الكوكتيل، وحفلات الموسيقى التى نظمت خصيصا للمناسبة. كانت محاور النقاش الخمس الرئيسية تدور حول: "العالم و الشمولية والفن والفنانين والحرية"، و"المواطن فى مجتمع حر" و"الدفاع عن السلام والحرية"، و"ثقافة حرة فى عالم حر". وسرعان ما برز التفكير فى أفضل الوسائل لمعارضة الشيوعيين بشكل متضمن فى كلمتى "آرثر كويستلر"، و"إجنازيو سيلونى"، "دعا كويستلر – Koestler" إلى تحويل المثقفين الغربيين إلى Kampfgruppe" أو فرقة قتالية تتعهد بشكل واضح، لا لبس فيه بإسقاط الشيوعية، ويتذكر "لورانس دونيڤى – Lawrence de Neufville" الذى كان يراقب ويرصد الأحداث لحساب وكالة المخابرات المركزية "CIA": كان "شليزنجر – Schle-singer" موجودا، وألقى كلمة باردة جافة لا د' م لها، بعد ذلك جاء دور "كويستلر Koestler" الذى كان يتكلم من صميم قلبه وهز مشاعر الكثيرين، كانت حملة عنيفة – لقد غير "كويستلر – Koestler" اللهجة"(١٠).

اللهجة العدائية للحرب الباردة لخصها "چيمس بيرنهام James Burnham" فى تمييزه بين القنابل الذرية المفيدة "والمؤذية"، وهى أطروحة كان قد جربها على "كويستلر – Koestler" وزوجته قبل شهر، فى تلك المناسبة شرح لهم " بيرنهام–Burnham" كيف أن الولايات المتحدة بإمكانها شل حركة روسيا فى يوم واحد بإلقاء القنبلة على كافة المدن الروسية الرئيسية، تقول "مامين كويستلر —Mamaine Koes-tler" وكان يبدو مسروراً لتلك الفكرة، (كما ذكرت أيضا أن "بيرنهام "Burnham" كان يبدو لطيفا.. لكن أقل تشككا فى الوسائل من K – كويستلر – كما قال أيضا إنه ليس بالضرورة ضد التعذيب فى ظروف معينة)(١١). مستخدما اللغة التى جسدت الواقع، والتى كانت أحد العوامل المساعدة على الحرب الباردة (فى كلا الجانبين) أعلن "بيرنهام – Burnham" أنه كان ضد تلك القنابل المخزنة الآن أو التى سوف يتم تخزينها– فيما بعد– فى سيبيريا أو "القوقاز" : لمخصصة لتدمير "پاريس" و"لندن" "وروما".. و"بروكسل"، و"استوكهولم" و"نيويورك" و"شيكاغو"، و"برلين"... والحضارة الغربية بوجه عام ...... لكننى مع تلك القنابل التى تصنع فى "لوس أنجلوس" وهانفورد" و"أوك ريدچ"، والموجودة فى الصحارى والجبال الأمريكية وتحمى على مدى خمس سنوات حريات أوروبا الغربية"(١٢). وكان رد "أندريه فيليپ – "André Philip على ذلك هو أن القنابل الذرية عندما تسقط" لا تميز بين عدو وصديق، بين عدو للحرية ومدافع عنها".

ووجه كل من "بيرنهام Burnham" وهوك- Hook" نيرانهما صوب الذين استخدموا الأسلوب الأخلاقى المتكافئ للشك فى إدانة أمريكا للاتحاد السوفيتى، وصرخ "هوك – Hook" متذمرا: "إن "سارتر – Sartre"، "وميرلوبونتى – Merleau Ponty" اللذين رفضا حضور المؤتمر حتى للدفاع عن وجة نظرهما هناك كانا على علم تام بمظالم الأمريكيين للزنوج عندما كانا يدعمان المقاومة ضد "هتلر – "Hitler، لكنهما لا يريان أية عدالة فى دفاع الغرب ضد العدوان الشيوعى لأن الزنوج لم يحصلوا بعد على المساواة فى المعاملة"(١٣). لم تكن تلك المساواة بعيدة كما قال "چورچ شويلر– George Schuyler" الذى قام بتوزيع تقرير على الوفود حاشدا بالإحصائيات التى توضح أن وضع السود فى أمريكا كان قد تحسن بشكل متواصل، وذلك بفضل قدرة النظام الرأسمالى المستمر على مواكبة التغيير. ودعم الصحفى الأسود "ماكس ييرجان – Max Yergan" تقرير "شويلر – Schuyler" بدرس فى التاريخ عن التقدم الذى حدث للأمريكيين الأفارقة منذ عهد "روزفلت –Roosevelt".

"بيرنهام – Burnham" الذى قفز فى مسيرته من الاشتراكية إلى اليمين بكل بساطة من فوق الوسط المعتدل لم يكن لديه الوقت لرجل اليسار الضعيف، "لقد تركنا أنفسنا نسقط فى فخ وفى أسر كلماتنا – ذلك الطعم اليسارى الذى اتضح أنه سم لنا، لقد سلَبنَا الشيوعيون ترسانتنا البلاغية وقيدونا بشعاراتنا، الشخص التقدمى "من اليسار غير الشيوعى" فى حالة رجفة مستمرة، رجفة شعور بالذنب أمام الشيوعية الحقيقية، والشيوعى الذى يتلاعب بالخطاب نفسه ولكنه يتصرف بثبات وجسارة، يظهر أمام اليسارى غير الشيوعى ر ' ـام نفسه شجاعا"(١٤). وبينما كان "بيرنهام – Burnham" يقف هناك يهاجم اليسار غير الشيوعى بضراوة كان بعض أعضاء الوفود يتساءلون بينهم وبين أنفسهم ما إذا كان تقسيم العالم إلى "أسود وأبيض" يهدد الديمقراطية الليبرالية كما يهددها اليسار المتطرف أم لا؟.

"هيو تريڤور روپر – Hugh Trevor Roper" روّعته تلك النغمة التحريضية التى بدأها "كويستلر – Koestler" وواصلها بقية المتحدثين، يتذكر: "لم يكن هناك سوى أقل القليل من المناقشات الجادة، وفى رأيى أنه لم يكن أمرا ثقافيا فى الحقيقة، أدركت أنه كان ردا بنفس الأسلوب (على مؤتمر السلام السوفيتى) وبنفس اللغة، كنت أنتظر وأتمنى أن أستمع إلى عرض لوجهة النظر الغربية والدفاع عنها على أساس أنها بديل أفضل وأكثر رسوخا، ولكن الشجب والاستنكار كان كل ما هنالك، شعرت بانطباع سلبى وكأننا لم يكن لدينا ما نقوله سوى "اضربوهم"! ألقى "فرانز بوركينو Franz Borkenau" كلمة شديدة العنف لدرجة الهيستريا، كان يتكلم بالألمانية،

ويؤسفنى أن أقول إننى عندما كنت أستمع إلى الأصوات النابحة بالاستحسان الصادرة عن الجماهير العريضة، كنت أشعر بأنهم نفس الناس الذين ربما كانوا ينبحون بنفس الطريقة قبل سبع سنوات، استحسانا للتنديد الألمانى بالشيوعية، والذى كان يصدر عن "دكتور جوبلز – Dr. Goebbles" فى "سبورتس بالاست". وتساءلت: مع أى من أولئك الناس نحن؟ كانت تلك أكبر صدمة لى، وفى لحظة ما من المؤتمر شعرت بأننا مدعوون لاستحضار الشيطان الأكبر من أجل هزيمة "ابليس"(١٥).

سارع "سيدنى هوك – Sidney Hook" للدفاع عن "كويستلر– Koestler"، لكنه اضطر لأن يسلم بأن صديقه يستطيع أن "يتلو حقائق جدول الضرب بطريقة تجعل البعض ضجرا منه. كان من عادته المزعجة أيضا أن يبتسم مثل "القطط الخرافية" كلما سجل نقطة بلاغية. أما "سيلونى – Silone" فكان أكثر مرونة ليقول إن روح الإصلاح الاجتماعى والسياسى المسيحية فى الغرب نفسها سوف تسرق النار من إله الشيوعية. "أندريه فيليب – Andre Philip" أيضا كان يمثل وجهة النظر المعتدلة، فراح يتأرجح فى وسط الطريق بين روسيا وأمريكا، "أوروبا اليوم ضعيفة بعد مرض طويل مؤلم. الأمريكيون يرسلون إلينا البنسلين لعلاج هذا المرض، والسوفيت يرسلون إلينا الميكروبات، ولا شك أن أى طبيب يفضل مزيجا من الإثنين، لكن واجبنا كأوروبيين هو أننا لابد من أن نتعامل مع الميكروبات بأسرع ما نستطيع لكى نصبح فى غنى عن الدواء"(١٦).

وبالنسبة للمتشددين، كان تبنى هذه النظرة المتساوية ليس أكثر من هرطقة، فأعلن "ميلفن لاسكى – Melvin Lasky" أن السوفيت يتبنون الحياد كفكرة وكحركة، ثم تابع صيحة "روبرت مونتجمرى – Robert Montgomery" وهى أنه "لا يوجد ركن محايد فى غرفة الحرية". أما الوفد البريطانى الذى كان مترددا فى المشاركة فى هذه الحملة الخطابية، فقد سارع إلى نصيحة "تاليران – Talleyrand" التحذيرية: "Surtout" وكان تعقيب "هيو تريفور – روبر – Hugh Trevor Roper" لا أرى سببا لإشعال العالم بغرض التكفير عن الذنوب الشخصية لأناس مثل "بوركينو – Borke-nau" و"كويستلر – Koestler".

وأصبحت صلاحية المتحولين(*) السياسيين لهداية العالم قضية رئيسية فى مؤتمر "برلين". وكما كتب "سيدنى هوك – Sidney Hook" فى تقريره: "ثم قام شخص يدعى "الهر جريم – Herr Grimme" كان كاهنا من النوع الردىء، وبصوت

(*) Converts الذين تحولوا (أو اهتدوا) إلى مذاهب جديدة. (المترجم)

مثل صوت البوق المبحوح راح يقول "إن كل تلك الأمور دينية فى الأساس"، كان كلامه فارغا وشديد العمومية، ولم يلجأ إلى التحديد إلا فى النهاية عندما تناول أشخاصا، وألح باختصار إلى "كويستلر - Koestler" المتحول السياسى" الذى يعارض الآن بضراوة ليثبت أنه لم يتخل قط عن ماديته الجدلية"(١٩).

كان "كويستلر - Koestler" قد اكتشف امتعاض الذين لم يكونوا شيوعيين فى الماضى من المتحولين السياسيين مثله، وكتب يكرر محاجته: "الشيوعيون السابقون ليسوا فقط أنبياء شؤم مضجرين مثل "كاساندرا(*)- Cassandra"، ومثلما كان اللاجئون المعارضون للنازية، إنهم أيضا ملائكة ساقطون، لديهم من قلة الذوق ما يجعلهم يذيعون أن السماء ليست المكان المفترض أن تكونه، إن العالم يحترم المتحول الكاثوليكى أو الشيوعى لكنه يمقت الكهنة المجردين من أى إيمان، هذا التوجه يتم تبريره بأنه كراهية للمرتدّين، بيد أن المتحول مرتد أيضا عن إيمانه السابق أو عن عدم إيمانه، وهو على أتم الاستعداد لأن يضطهد أولئك المتمسكين بهما، ومع ذلك فإنه يستحق العفو لأنه قد "تبنى" إيمانا، بينما الشيوعى السابق أو الكاهن الذى تجرد من إيمانه، قد "فقد" إيمانه، ومن هنا أصبح يشكل خطرا على الوهم وتذكيرا بالعقم المقيت الذى يهددنا(٢٠).

كانت مشكلة "أنبياء الشؤم" مزعجة كذلك للدوائر الرسمية، كان "إدوارد باريت - Edward Barrett" وزير الخارجية المساعد للإعلام الدولى مضطرا لكى يتأكد من الحكمة فى "الميول المتداولة فى الاحتفاء .. بالشيوعيين السابقين، والنظر إليهم كأشخاص كاملى الصفات، ووضعهم على منابر يحاضرون منها كل من لديهم وعى كاف لكيلا يصبحوا شيوعيين فى المقام الأول، بعضنا قد يخامره الشك بأن الشيوعى السابق النموذجى له قيمة كبيرة كمخبر وبائع معلومات سرية، وليس له أية قيمة بالمرة لكى يقدم لنا حقائق خالدة"(٢١). وبشكل متزايد، أصبح من الواضح أن احتضان حكومة الولايات المتحدة لليسار غير الشيوعى، لابد من أن يظل سرا على بعض صانعى سياستها الرئيسيين.

اختفى "جوسلسون - Josselson" عن الأنظار بالرغم من أنه كان يتابع كل ما يحدث، كان يراقب رد فعل "هيو تريفور - روبر- Hugh Trevor Roper" على نعمة الحملة العنيفة بانزعاج متزايد. وكان "تريفور روبر - Trevor Roper" وبقية أعضاء

(*) ابنة "بريام" ملك طروادة والتى اشتهرت بأنها نبية الشر، والاسم يستخدم لوصف الشخص الذى ينبئ بسوء الحظ أو بكارثة. (المترجم)

الجانب البريطانى يعبرون عن معارضتهم بوضوح كلما وجدوا الفرصة لذلك. ولكن الأمر أصبح أكثر صعوبة عندما كان "المدراء"(وفى مقدمتهم لاسكى – Lasky) القابعون على المنصة أثناء الجلسات يتجنبون – بحذر – إعطاء الكلمة "للمشاغبين"، كان "لاسكى – Lasky" موجودا فى كل مكان، ينظم، يداهن، يكتب مسودات البيانات الصحفية، يقدم للجمهور "تيودور پليڤييه – Theodor Plievier" بطريقة مسرحية عند دخوله (پليڤييه هو المؤلف الألمانى لكتاب "ستالينجراد" وشيوعى سابق كان مختفيا فى شتوتجارت)، كان " پليڤييه – Plievier" قد قام بتسجيل رسالة للمؤتمر، ولكن عند سماعه لأنباء غزو "كوريا" طار إلى "برلين" متحديا خطر أن يقوم السوفيت أو الألمان الشرقيون باختطافه أثناء وجوده فى "برلين" (بالرغم من تضاؤل هذا الاحتمال بعد توفير الأمريكيين حماية أمنية له على مدار الساعة).

مهارات "لاسكى – Lasky" وكفاءته أحنقت "ويزنر – Wisner" فى مكتب تنسيق السياسات "OPC". كانت هناك أسباب كافية لتجعله يشعر بالقلق، فى الرابع والعشرين من يونيو،– ليلة المؤتمر–، أصدر مكتب "جيرهارد إيسلر – Gerhart Eis-ler" رئيس الدعاية فى حكومة ألمانيا الشرقية بيانا بخصوص حريق نشب فى بيت الثقافة الشيوعى "Communist House of Culture" فى "برلين الشرقية" ونسبه لزمرة "ميلڤن لاسكى – Melvin Lasky" جاسوس الشـ طة الأمريكية"، بيان "إيسلر – Eis-ler" الذى تناقلته الصحف الأمريكية قال: "إن محاولة إحراق النادى الشيوعى كانت مقصودة كمقدمة لافتتاح "مؤتمر الحرية الثقافية" (الذى وصفه "إيسلر – Eisler" بأنه سباق دراجات ثقافى إمبريالى على مدى ستة أيام). ولكن خطة الإحراق فشلت، وتم إخماد النيران بسرعة. وعندما سُئِلَ "لاسكى – Lasky" عن الحدث أجاب بسخريته المعتادة" نعم: هذا صحيح لقد حاولنا إحراق البيت بإسقاط "ذباب نارى – Fireflies" على شكل حشرات من البطاطس من طائرة هليوكوبتر[٢٢]. لكن "ويزنر –Wisner" لم يندهش، فأرسل تعليماته فى برقية إلى "برلين"، وهى إبعاد "لاسكى – Lasky" عن أى عمل ظاهر للعيان فى المؤتمر.

ولكن القضاء على الشائعات التى أحاطت بالمؤتمر، كان يتطلب ما هو أكثر من إزاحة "لاسكى – Lasky"، بعض الوفود بدأوا يتساءلون عمن سيدفع الفاتورة، فالمستوى الباذخ الذى انطلق به المؤتمر فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا مفلسة، بدا وكأنه يؤكد الشائعات التى كانت تقول إنه ليس مجرد مناسبة "مستقلة" عادية كما كان يدَّعى منظموه. كانت لدى "لورانس دونيڤى – Lawrence de Neufvi..è" مبالغ مالية ضخمة لا يعرف ماذا يفعل بها: "لم أكن أعرف من أين تأتى الأموال؟ لم يكن هناك

شـيكات أو شـيء من هذا القـبـيل، كـانت الأمـوال تأتينا نقـداً وبالمارك، وكلنا كنا هكذا"(٢٣). لم يغب ذلك عن مـلاحظة "تريفـور روبـر - Trevor - Roper" الذى "بدأ الفـأر يلعب فى عبـه". "عندمـا جئت وجدت أن كل شيء كـان منظمـا بطريقـة جيـدة والأدوار مـوزعة ، وكل شيء على أعلى مسـتوى لدرجـة أننى أيقنت أنـه.. لابد من أن يكون مُمَوَّلا من قبَل منظمة حكومـيـة قوية، ولذلك سلمت بأن الحكومة الأمريكيـة هى التى قامت بتنظيمه بشكل أو بآخر، كان ذلك واضحاً بالنسبة لى من البداية"(٢٤). بعد سنوات كان "توم برادن - Tom Braden" رجل وكالة المخابرات المركزية " CIA"يقول: إنه "كان من السـهل أن يعرف المرء بالبديهة: من الذى يقف وراء المؤتمر، أصبح لزاما علينا أن نتذكر أن أوروبا كـانت مـفلسـة تمامـاً عندمـا نتكلم عن تلك السنوات، وأنه إذا كان هناك أى قدر ضـئيل من المال فى أى مكان، كان لابد من أن يكون لدى المنظمات الإجـرامـيـة فقط، لم تكن هنـاك أية أمـوال، ولذلك كـان من الطبـيـعى أن يتطلعـوا إلى الولايات المتحدة من أجل ذلك"(٢٥).

أنهى المؤتمر أعمـاله فى التاسع والعشـرين من يونيـو بكلمة مـثـيـرة من "آرثر كويسـتلر - Arthur Koestler" الذى كـان يصـرخ منتصـرا أمـام جمع من خمسـة عشـر ألف شـخص تحت الشـمس المحـرقـة فى "فـونكتـورم سـپـورت هول Funkturm Spor-thalle": أيها الأصـدقاء، لقد امتلكت الحرية زمـام الهجوم"، ثم قرأ "مـانيفسـتو الحرية" وهو إعـلان من أربع عشـرة نقطة قدمه كدسـتور جديد للحريـة الثقـافـيـة. "المانيفسـتو" الذى وضـع مسودته "كويسـتلر - Koestler" بعد جلسـة استمرت طوال الليل فى قاعدة "لاسكى - Lasky" فى فندق "أم شـتـاين بلاتز - am Steinplatz" فى: شـارلتـون بيـرج"، هذا "المانيفسـتو" "دفع به وروج له "كويسـتلر - Koestler" نفسـه "وبيـرنهـام - Burnham" و"براون - Brown" و"هوك - Hook" و"لاسكى - Lasky" مسـتـخـدمين أساليب وتكتيكات هجـومية قوية حتى لا يلقى معـارضـة ، كما تقول "مـامين كويسـتلر- Mamaine Koestler"(٢٦). لكن الفريق البريطانى اعترض بشـدة على مادة واحـدة فى الإعـلان وهى التى تعبـر عن عدم التـسـامح مـع لأفكار الماركسـيـة، وطلب الوفـد أن تحذف، وفى الأسـاس كان البريطانيون يعترضون على الافتراض الذى كان يسترشد به المتشـددون من مـعـارضـى الشـيـوعية فى المؤتمـر - كـمـا كـان بالنسـبـة لكثـيرين من صـانعى السـيـاسـة الخـارجـيـة الأمريكيـة - وهو أن "كـتـابات مـاركس" "ولينين" كـفلسـفة سياسـية هـى أقل من أن تكون دليلا ميدانيا للاستراتيـجـيـة السوڤيتية.

وبعد إجـراء التعـديلات البريطانيـة تم تبنى "المانيفسـتو" كـأسـاس فلسفـى لمنظمة الحرية الثقافية، مخاطبا "كل من يصرون على استعادة تلك الحريات التى فقدوها، وأن

يحافظوا ويوسعوا مجال ما يتمتعون به"، نصت الوثيقة: "نحن نرى أنه من البديهى أن تكون الحرية الثقافية هى أحد الحقوق الثابتة للإنسان .. هذه الحرية تعرف أولا وأخيرا بحقه فى التمسك بآرائه وحقه فى التعبير عنها، وخاصة تلك الآراء التى تختلف عن آراء حكامه. إن الإنسان حين يحرم من حقه فى أن يقول "لا" يصبح عبدا"(٢٧). كما أعلن "المانيفستو" أن الحرية والسلام "لا ينفصلان"، ونبه إلى أن السلام يمكن أن يتحقق فقط إذا خضعت كل. حكومة لمراقبة وفحص أدائها من قبل الشعب الذى تحكمه"، كما أكدت نقاط أخرى على أن المتطلبات الأساسية للحرية هى التسامح مع الآراء المختلفة واحترامها. مبدأ التسامح لا يسمح- منطقيا- بممارسة اللاتسامح، وليس هناك جنس أو دولة أو طبقة أو دين يمكن أن يدعى لنفسه حق تمثيل فكرة الحرية، ولا الحق فى إنكار حق الحرية على الجماعات أو العقائد الأخرى باسم أى مفهوم فكرى أو هدف سامٍ مهما كان، كما نؤمن بأن الإسهام التاريخى لأى مجتمع يجب الحكم عليه بحجم ونوعية الحرية التى يتمتع بها أفراده بالفعل". ومضى "المانيفستو" يندد بالقيود المفروضة على الحرية من قبل الدول الشمولية التى "تفوق أساليب القسر فيها كل أساليب الاستبداد السابقة فى تاريخ البشرية"، ويواصل: "اللامبالاة أو الحياد إزاء تحد كهذا يصل إلى مرتبة خيانة الجنس البشرى والتخلى عن العقل الحر". كما عبر عن التزام "بالدفاع عن الحريات القائمة واستعادة "الحريات المفقودة"(ونزولا عن إصرار "تريفور - روبر - Trevor - Roper" وخلق حريات جديدة.. وحلول جديدة وبناءة لمشكلات زماننا"(٢٨).

كان ذلك بالفعل "مانيفستو" يمكن قراءته من خلف الحواجز والمتاريس، "كويستلر - Koestler" الذى كان "روبسبيير - Robespierre" حديثا (بالرغم من أن حارسيه الشخصيين كانا يحومان بالقرب منه) كان سعيدا بالمناسبة، كان ذلك إطار عمل للحكم على التزام الأفراد والمؤسسات بحرية التعبير الكاملة، ولتدفق الأفكار والآراء وانتقالها دون عوائق. كانت الوثيقة بمثابة اختبار عباد الشمس للحرية. وبناء عليه سيصمد "مؤتمر الحرية الثقافية" نفسه أو يسقط.

بعد انتهاء المؤتمر بدأ رعاته الأمريكيون الاحتفال. قدم "ويزنر - Wisner" أصدق تهانيه القلبية" لكل المعنيين بالأمر، كما تلقى هو أيضا التهانى من رعاته السياسيين: الجنرال "جون ماجرودر- John Magruder" ممثل وزارة الدفاع أثنى على المؤتمر: "كعملية سرية بارعة تم تنفيذها على أعلى مستوى فكرى.. حرب غير تقليدية فى أروع صورة" كما قالت التقارير إن الرئيس "ترومان - Truman" نفسه كان "سعيداً جدا". المسئولون فى مكتب سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى فى ألمانيا

كانوا يشعرون بأنه أعطى "دفعة ملموسة لمعنويات "برلين الغربية"، ولكنهم كانوا يعتقدون أن تأثيره الأهم سوف يشعر به فى النهاية المثقفون الغربيون، الذين كانوا بعيدين عن السياسية منذ عام ١٩٤٥، كما قال أحد التقارير: "إن "مؤتمر الحرية الثقافية "قد دفع بالفعل عدداً من القيادات الثقافية البارزة لكى يتخلوا عن عزلتهم التأملية لصالح وقفة حاسمة ضد الشمولية"(٢٩).

ربما كان هذا الاستنتاج مبالغا فيه بعض الشيء، ويستهدف "بيع" المؤتمر لكبار المفكرين الاستراتيچيين فى الحكومة، ومن المؤكد أن "هيو تريڤور - روپر - Hugh Trevor Roper" والفريق البريطانى لم يكونوا قد اقتنعوا بعد، بعد عودته - تريڤور - إلى إنجلترا مباشرة، وصلته أخبار بأن المسئولين فى وزارة الخارجية الأمريكية قد شكوا إلى نظرائهم فى الخارجية البريطانية: "لقد أفسد رجلكم مؤتمرنا"، كان ذلك يكفى لتأكيد شكوك "تريڤور - روپر Trevor-Roper" عن دور للحكومة الأمريكية فى "عملية برلين"، لكنه كشف أيضا عن ضيق رسمى بسلوك "تريڤور - Trevor"، لقد فهم "چوسلسون - Josselson" وقيادته فى المخابرات المركزية"CIA" أنه لابد من بذل جهود جديدة لكسب المثقفين البريطانيين إلى صف مشروعهم.

(٦)

عملية "المنظمة"

* لابد من أن نجعل أنفسنا مسموعين فى العالم عن طريق حملة ضخمة من أجل الحقيقة، وهذا الواجب ليس منْبَتّ الصلة بغيره من عناصر سياستنا الخارجية.

الرئيس هارى ترومان

١٩٥٠

بالرغم من تمرد بعض أعضاء الوفد البريطانى إلا أن "ويزنر - Wisner" كان يشعر بالرضا؛ لأن عائد "مؤتمر برلين" كان أكبر مما استثمر فيه، وبالرغم من أن مستقبله لم يكن قد اتضح بعد إلا أنه قد أصبح إضافة إلى قائمة مخزون الدعاية "الخاص بوكالة المخابرات المركزية "CIA" وقائمة رسمية بقنوات التوصيل المتزايدة، وبالأفراد الذين يمكن أن تعتمد عليهم الوكالة، أما الاسم غير الرسمى أو اسم الشهرة وهو "Wisner's Wurlitzer" ڤورلتزر ويزنر" فيوضح تصور الوكالة لأداء هذا المخزون كما كانت تتوقعه: "بضغطة زر، يمكن لـ "ويزنر - Wisner" أن يستمع إلى اللحن الذى يريده.

وعاد "ويزنر - Wisner" إلى مشكلة "ميلڤن لاسكى- Melvin Lasky" الذى أغاظه خيلاؤه وإعجابه بنفسه أثناء انعقاد المؤتمر. وعندما وجد تجاهلا وقحاً لأمره السابق بإبعاد "لاسكى - Lasky" عن مركز الصدارة، كتب "ويزنر - Wisner" مذكرة داخلية بعنوان: مؤتمر برلين للحرية الثقافية: نشاط "ميلڤن لاسكى - Lasky Melvin" أوضح فيها أن ظهور "لاسكى- Lasky" كان خطأ فادحا، وكان ذلك أيضا رأى أصدقائنا فى وزارة الخارجية.. فهو يكشف عن ميل- ربما أعمق مما توقعت، لإغواء الاستسهال فى العمل دون مراعاة لاحتياطات الأمن، ولغيرها من الاعتبارات الفنية شديدة الأهمية"[١]. كان "ويزنر - Wisner" حاسما: إذا لم تتم إزاحة "لاسكى - Lasky الجامح من مؤتمر الحرية الثقافية فإن وكالة المخابرات المركزية "CIA" لن تستمر فى دعمها للمنظمة.

وأرسلت مذكرة "ويزنر – Wisner" إلى ألمانيا، "انفجر مسئول "مكتب تنسيق السياسات "OPC" الذى تلقاها، وأبرق باحتجاج شكلى ردا عليها، ولكنه لم يتخذ أى قرار، كان لابد من أن يذهب "لاسكى – Lasky"، وراح الـ "OPC" يخطط لإبعاده عن المشروع[٢]. هناك تفسيران محتملان لذلك، إما أن "لاسكى – Lasky" كانت تربطه علاقة ما بمكتب تنسيق السياسات وكانت تلك مخاطرة أمنية لأنه رفض أن ينصاع، أو ربما كان شخصا مستقلا كما كان يدعى دائما بحيث تكون إزاحته بمثابة أول أساليب الذراع القوية من جانب وكالة المخابرات. كان مسئول "مكتب تنسيق السياسات" المسئول عن إزاحة "لاسكى – Lasky" هو "مايكل چوسلسون – Jossel-son Michael" الذى سوف تكلفه سرعة استثارته– غاليا– فى المستقبل، كان "لاسكى Lasky" و"چوسلسون Josselson" قد كونا علاقة قوية اكتشف المراقبون – فيما بعد– أنها لا يمكن أن تنفصم. هذه العلاقة من الصعب فهم سيكلوچيتها: تأثير "لاسكى – Lasky" على "چوسلسون – Josselson" الذى كان رئيسه كان تأثيرا لا مثيل له، كان "چوسلسون – Josselson" يزعجه صمم "لاسكى – Lasky" "المتعمد"– كما يقول أحد العاملين المطلعين على الأمور فى المؤتمر: "كان يغضب ويسخط أحيانا لفشل "لاسكى – Lasky" فى أن يتخيل عواقب كلماته أو تصرفاته، ولكنه كان ينظر إليه فى الوقت نفسه بإعجاب شديد، وربما بدهشة بالغة"[٣]. وفى نظر البعض كانت قبضة "لاسكى – Lasky" على "چوسلسون – Josselson" لها "زاوية أوروبية" فقد كان "چوسلسون – Josselson" معجبا بـ "لاسكى – Lasky" وكأنه ابن له ليس من صلبه، ويدافع عنه دائما"، كما تقول "ناتاشا سپندر– Natasha Spend-er". إلا أن "لاسكى – Lasky" كان يعترض على هذا التوصيف ويفضل أن يعبر عن تلك العلاقة بأنها "علاقة أخوية"[٥]. وأياً كان الأمر، فإن "چوسلسون – Josselson" سرعان ما أدرك أن دفاعه المسرحى عن "لاسكى – Lasky" كان استراتيچية سيئة، ولذلك استجاب لطلب "ويزنر – Wisner" بإبعاده رسميا عن المشروع، لكن "لاسكى – Lasky" سيظل بشكل غير رسمى، أقرب مستشارى "چوسلسون – Josselson" على مدى تاريخ المؤتمر.. وسوف يتبع ذلك مكافآت أخرى.

وعندما أصبح "لاسكى – Lasky " فى الظاهر بعيداً عن المجال تحرك "ويزنر– Wisner" لتأسيس "منظمة الحرية الثقافية"(*) ككيان دائم، ووافقت على الاستمرارية لجنة لمراجعة المشروع، شكلها مكتب تنسيق السياسات " OPC" فى أوائل الخمسينيات، وأخذت العملية الاسم الكودى "QKOPERA"[٦]، وكان أحد القرارت

(*) The Congress for Cultural Freedom

الأولى التى اتخذها "ويزنر – Wisner" هو نقل قاعدة عمليات المنظمة من "برلين" إلى "باريس". كانت هناك أسباب رمزية قوية لترك الفريق (الجماعة) فى "برلين"، لكن ذلك كان يعتبر مخاطرة أمنية، ويجعلها عرضة للاختراق من قبل الجانب الآخر.

عرض "ويزنر – Wisner" على "جوسلسون – Josselson" مهمة إدارة المنظمة لحساب وكالة المخابرات المركزية "CIA" تحت رئاسة " لورانس دو نيفى – Lawrence de Neufville" الذى سيشرف عليها من مكتب الوكالة فى"باريس"، قَبِلَ كلا الرجلين العرض واستقالا من وظائفهما الشكلية مع مكتب سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى فى ألمانيا، لكنهما انتقلا باسميهما السريين وهما "جوناثان اف. سابا – Jonathan F. Saba" (جوسلسون) و"جوناثان جيرنج – Jonathan Gearing (دونيفى). بعد ذلك قام "ويزنر– Wisner" بتثبيت "إيرفنج براون – Irving Brown" فى المؤتمر بتعيينه عضوا رئيسيا فى لجنة التسيير التى شكلت بعد مؤتمر "برلين" بوقت قصير، "براون – Brown" الذى كان يوصف ذات يوم بأنه مثل شخصية خرجت من إحدى روايات "إى فيليپس أوپنهايم – E. Phillips Oppenheim" كان يعتبر أكثر نفعا من "كويستلر – Koestler" و"سيلونى – Silone"، كان يعمل لحساب "چى. لفستون – Jay Lovestone" عضو "الكومينتيرن" السابق والذى كان يرأس الآن عمليات الاتصال السرية الخاصة بـ الـ "CIA" مع الحركة العمالية الأمريكية. كان "براون – Brown" داهية فى متابعة الأهداف وتنفيذها بالوسائل والطرق السرية، وكان " چورچ كينان – George Kennan" قد رشحه بين أسماء قليلة فى عام ١٩٤٨ لرئاسة مكتب "تنسيق السياسات "OPC"، وهو المنصب الذى آل فى النهاية إلى "فرانك ويزنر – Frank Wisner". يقول "توم برادن – Tom Braden"الذى تولى أمر الـ "QKOPERA" قبل مرور وقت طويل: "لا أعتقد أننى قد رأيت "إيرفنج براون – Irving Brown" مرة واحدة فى حياتى كلها ومعه "تكلة"، ليست من أموال الـ"CIA"، سيقول لك إنها من اتحاد العمال، وكان ذلك غطاءً جيداً، كان "براون– Brown" هو الصراف لكنه كان يجد متعة فى التخطيط للعمليات، كان شابا ذكيا ذا معارف واسعة"(٨).

كما عين أيضا "چيمس بيرنهام– Burnham James" فى لجنة التسيير، وبوجوده المتواصل فى دوائر رسم السياسة وأعمال المخابرات، كان لا يمكن الاستغناء عنه لنجاح المنظمة، كما كان هو وسيلة الاتصال الجيدة بين المثقفين ومكتب "ويزنر – Wisner"، وكما كتب "هووارد هنت – Howard Hunt"أحد خبراء الأعمال القذرة فى الـ "CIA" والذى ظهر– فيما بعد– بين المتورطين فى قضية "ووترجيت –

"Watergate"، كتب يقول: إن " بيرنهام Burnham" كان مستشاراً لمكتب تنسيق السياسات "OPC" في كل ما يهم المؤسسة، كانت له اتصالات واسعة في أوروبا، وبفضل خلفيته التروتسكية كان يعتبر حجة في شئون الأحزاب الشيوعية المحلية والأجنبية، وكذلك في شئون التنظيمات الأخرى(٩).

ومع ذلك لم تكن خلفية "بيرنهام – Burnham" التروتسكية محل رضا من الجميع، وكما يقول "ميلز كوبلاند – Miles Copeland" أحد كبار المسئولين في الـ "CIA" إنه كان هناك من البداية بعض اللغط بخصوص مغازلة "بيرنهام – Burn-ham" لليسار المتطرف، (ألم يكن عضوا في خلية ما تضم "سيدني هوك – Hook Sidney" و"إيرفينج كرستول – Irving Kristol" و"دانيل بل Daniel Bell"؟) ولكن كل شيء كان على ما يرام، عندما يتذكر المرء أنه إذا كان "جيم – JIM" شيوعيا "جادا" لكان قد انضم للحزب، ولم يكن مجرد "تروتسكيا، "بالإضافة إلى أنه كان في أقصى اليسار ثم تحول إلى أقصى اليمين، وكان على علاقة طيبة بعدد من مستشاري الـ"CIA" الموجودين دائما تحت الطلب"، وعندما يقول لـ "ميلز كوبلاند– Miles Cope-land" في وصفه لـ "بيرنهام – Burnham" بأنه كان رأسماليا مائة في المائة، ويثق بالـ "Mom" وفطيرة التفاح والبيسبول ومحل المشروبات الكحولية في ركن الشارع و... الديمقراطية الأمريكية، يضيف أيضا أنه تعلم منه المبدأ التالي: "الواجب الأول لأي جماعة في الحكم هو أن تحتفظ لنفسها دائما بزمام القوة"(١٠). كما وصفه أحد أقطاب الحرب الباردة بأنه: "كان الأكثر تعبيراً عن نشاط قسم العمليات القذرة"(١١). في أوائل عام ١٩٥٢ سيقوم "بيرنهام – Burnham" بدور مهم في عملية الـ"CIA" المعروفة بـ "AJAX" والتي أطاحت بـ "مصدق" في طهران وأعادت الشاه، كان "ويزنر – Wisner" يرى أن العملية لم تكن متقنة، رأنها كانت في حاجة إلى لمسة ماكياڤيللية"، وكان يقصد بذلك درس التاريخ من "بيرنهام – Burnham"، وفي كتابة: الماكياڤيلليون (الذي أصبح دليل عمل لاستراتيجيات الـ "CIA" استخدم "بيرنهام – Burnham" إلى جانب ماكياڤيللي – أفكار أبرز المفكرين الأوروبيين الجدد: "موسكا– Mosca" و"باريتو – Pareto" و"مايكلز – Michels" و"سوريل – Sorel" لكي يتحدى نظرية المساواة السياسية ويظهر إلحاح وحتمية حكم النخبة، حتى في عصر المساواة"، وتقول إحدى معارفه القدامى: إن المرة الوحيدة التي رأته فيها وهو يعبر عن حماس ثقافي حقيقي، "كانت عندما تكلم عن الماكياڤيللية"(١٢).

وإلى جانب كل من "ايرڤنج براون – Irving Brown" و"دو نيڤي– de Neuf-ville" و"لاسكي – Lasky" الذي لم يرتدع بطرده السابق– عمل "بيرنهام – Burn-

"ham" الكثير لإعطاء "منظمة الحرية الثقافية" أرضية مستقرة ودائمة، اجتمعت لجنة التسيير فى أواخر نوفمبر ١٩٥٠ فى "بروكسل"، ووضعت هيكلا لعمل المنظمة على ضوء وثيقة كان "لاسكى – "Lasky قد أعدها فى شهر يوليو، كان من بين الحضور "إجنازيو سيلونى – "Ignazio Silone و"كارلو سميث – "Carlo Smith زعيم الاشتراكيين فى البرلمان الألمانى) وعالم الاجتماع اليهودى: "أيوچين كوجون – Eu-gene Kogon، و"هاكون لاى – "Haakon Lie (زعيم حزب العمال النرويجى)، و"چوليان أميرى – "Julian Amery (البرلمانى البريطانى) ، و"چوزيف زاپسكى – Joseph Zapski (كاتب وفنان پولندى) و"ديڤيد روسيت – "David Rousset و"إيرڤنج براون – Irving Brown"، و"نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" .

كان هيكل عمل المنظمة الذى رسمه "لاسكى – "Lasky هو الشكل الذى تم تبنيه فى الأساس: تعيين لجنة دولية من خمسة وعشرين عضوا وخمسة رؤساء فخريين، كما يقوم بتوجيه الأنشطة لجنة تنفيذية من خمسة أعضاء: مدير تنفيذى، مدير تحرير، مدير بحوث، مدير مكتب پاريس، مدير مكتب برلين، وتظل هذه اللجنة بدورها تحت إشراف السكرتير العام، وفى تخطيط "لاسكى – "Lasky كان ذلك الهيكل التنظيمى يشبه صورة مرآة لجهاز "الكومينفورم"، وكما لاحظ أحد المؤرخين "كانت لهم أسماء مثل الحزب الشيوعى: "لقد أنشأت وكالة المخابرات المركزية "CIA" هذه المؤسسات الثقافية كمنظمات ظل للحرب الشيوعى، تعمل على أساس من السرية، كانوا فى حقيقة الأمر يكلمون أنفسهم"(١٣)، وذات مرة أشار "نيكولاس نابوكوف "Nicolas Nabokov مازحا – إلى أعضاء هيئة المنظمة بأنهم "أولادنا فى المكتب السياسى".

وفى اجتماع نوفمبر تمت أيضا مناقشة تقرير مقدم من "آرثر كويستلر– Ar-thur Koestler" بعنوان "المهام العاجلة للمرحلة الانتقالية" وهنا كان "كويستلر – Koestler" يوضح المهام الفنية "المطلوب إنجازها كمتابعة لمؤتمر "برلين"، وتحت عنوان "حملة سياسية فى الغرب" كتب "كويستلر– Koestler" الذى لقى كثيرا من الزجر على أيدى المحايدين فى مؤتمر "برلين"، كتب يقول: "إن هدفنا هو اجتذاب أولئك الذين مازالوا مترددين إلى جانبنا، أن نكسر نفوذ وتأثير "چوليوت كيورى" من ناحية، والمحايدين ثقافيا مثل "الأزمنة الحديثة" من ناحية أخرى"(١٤). كان تحدى الأساس الثقافى للحيادية هو أحد الأهداف الرئيسية لسياسة الحرب الباردة الأمريكية، وكان ذلك قد أصبح الآن "خطأ" رئيسيا للمنظمة، وكما شرح رجل المخابرات الأمريكية "CIA" دونالد چيمسون – "Donald Jameson كان هناك قلق خاص بشأن أولئك

الذين كانوا يقولون: حسن! الشرق شرق والغرب غرب، وإلى الجحيم بكما معا، (لقد حاولنا) أن نزحزحهم ولو قليلا ناحية الجانب الغربى للأشياء، كان هناك كثيرون ممن يشعرون بأن الحيادية... كانت موقفاً يمكن المساومة عليه. وكان ذلك توجها يتمنى المرء أن يتقلص، ولكن من ناحية أخرى أعتقد أنه كان هناك اعتراف عام بأنك لا تريد أن تقفز على حياد شخص ما، وتقول: وأنت أيضا لست جيدا، فأنت مثل الشيوعيين بالضبط"، لأن ذلك كان من شأنه أن يدفعهم نحو اليسار، الأمر الذى لم يكن مرغوبا فيه، لكن المحايدين كانوا هدفا بكل تأكيد"(١٥).

كان "كويستلر- Koestler" أيضا قد أصبح مستهدفا، ناقشت لجنة التسيير وثيقته فى غيابه، لم يكن حتى عضوا بها، عدم تسامحه مع الرأى الآخر وغضبه اللاعقلانى وتأكيده المتغطرس بشكل دائم على عبقريته كل ذلك أقنع "واشنطن" بأنه كان شيئا مؤقتا فى يدهم أكثر منه قيمة ثابتة فى مخزونهم يمكنهم الاعتماد عليها. منذ مؤتمر يونيو كان "كويستلر - Koestler" يعْقد اجتماعات فى منزله فى "ڤير ريڤ "Verte Rive - بشكل منتظم مع "بيرنهام "Burnham و"براون- "Brown و"ريمون آرون - "Raymand Aron و"لاسكى - "Lasky وغيرهم من دائرة صنع القرار، وكما قالت "مامين - "Mamaine فإن "المنظمة أصبحت هاجسا لديه، وأصبح لا ينام". لم تكن الاجتماعات بعيدة عن المراقبة. فى أغسطس ١٩٥٠ توصلت "لاكسيون - "L'action الأسبوعية الفرنسية الشيوعية إلى استنتاج خيالى وهو أن "كويستلر- "Koestler كان يخطط لميليشيا إرهابية من بيته مع "بيرنهام - "Burnham و"براون- Brown".

فى ذلك الوقت كان "چوسلسون - "Josselson قد أصبح مقتنعا بضرورة أن تكون اللهجة معتدلة لكى تتمكن منظمة الحرية الثقافية من تحقيق إحدى مهامها الرئيسية: وهى اكتساب المتأرجحين بين التيارين إلى صفوفه وكان رد القيادة الرئيسية هو التصريح بإزاحة "كويستلر - "Koestler عن موقعه المركزى فى المنظمة، وهكذا تم التخلص من الرجل الذى وضع "مَانيفستو" الحرية الثقافية، كانت الفقرة الثالثة من "المانيفستو" تنص على أن "السلام لا يمكن أن يتحقق إلا إذا خضعت كل حكومة لمراقبة وفحص أعمالها من قبل الشعب الذى تحكمه"(١٦). وبتهميش دور "كويستلر- "Koestler، وبسيطرتها الخفية على ما سوف يصبح أكبر تجمع للمثقفين والمفكرين الأحرار "كانت وكالة المخابرات المركزية "CIA" تتصرف ضد إعلان الحقوق التى دفعت من أجلها، ولكى تتبنى حرية التعبير، كان على الوكالة أن تشترى هذه الحرية أولا ثم تقيدها بعد ذلك، لم تكن سوق الأفكار حرة كما كانت تبدو، وبالنسبة لـ

"كويستلر – Koestler" كانت تعبير عملية خيانة مدمرة، أصيب بانهيار عصبى وطار إلى الولايات المتحدة، وكان يرقب الموقف بأسى ومرارة، بينما كانت منظمة الحرية الثقافية تبتعد عن أفكاره.

كان "آرثر شليزنجر– Arthur Schlesinger" مصدر معلومات واتصال مهم آخر بالنسبة للمنظمة، كان جزءا مما كان يطلق عليه "ستيوارت ميشاير– Stewart Hampshire" و"أشعيا برلين – Isaiah Berlin" و"ستيفن سبندر– Stephen Spend-er" مسمى "الجهاز– المجموعة الحاكمة"، كتب "شليزنجر– Schlesinger"إلى "إيرفنج براون– Irving Brown" مهنئا بعد اجتماع "برلين" يقول له بحماس شديد: "فى ظنى أنه لدينا هنا آلة شديدة القوة للحرب السياسية والفكرية"(١٧). كان "شليزنجر – Schlesinger" يعرف بعض الأشياء نتيجة عمله فى فترة الحرب فى مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS" حيث كان مسئولا عن إدارة "البحث والتحليل"، والتى كانت تعرف بـ "الحرم الجامعى" بسبب جو ملابس "التويد" المميزة.

كان "شليزنجر– Schlesinger" على علاقة وثيقة بـ "نادى" أقطاب مكتب الخدمات الاستراتيجية المقصور عليهم، وكان كثيرون – وهو منهم– قد انضموا إليه ليصبحوا من رجال الدولة البارزين أو مستشارين للرئاسة، كان يعرف "آلان دالاس – Allen Dulles" الذى دعاه فى عام ١٩٥٠ ليشارك فى اللجنة التنفيذية لإذاعة أوروبا الحرة "Free Europe" التى كانت المخابرات المركزية "CIA" قد أنشأتها فى نفس العام (وكانت مشاركة المخابرات المركزية قد حجبت عن الأنظار عن طريق واجهة علنية تسمى اللجنة القومية من أجل أوروبا الحرة..) كما كان " شليزنجر– "Schlesinger قد شارك أيضا فى بعض العمليات السرية عندما كان يعمل مساعدا لـ "أفريل هاريمان – Averell Harriman" رئيس "مشروع مارشال" فى أوروبا. وكما قال "شليزنجر– Schlesingr": كان هناك شعور عام بأن الاتحاد السوفيتى ينفق أموالاً طائلة لتنظيم مثقفى أوروبا، وكان لابد من أن نفعل شيئا نرد به على ذلك"(١٨). وتحت رئاسة "هاريمان– Harriman" أصبح مسئولا عن توزيع أموال الدعم والإعانات الموازية على اتحادات العمال فى أوروبا، وكان تعامله عادة مع "ايرفنج براون – Ir-ving Brown".

فى ذلك الوقت كانت العلاقة بين "شليزنجر– Schlesinger" و"براون –Brown" قد أصبحت متينة بسبب السر المشترك بينهما، حيث كان "شليزنجر– Schlesinger" واحداً من المجموعة القليلة من خارج وكالة المخابرات "CIA" الذين كانوا يعرفون منذ البداية الأصول الحقيقية لمنظمة الحرية الثقافية، وقد اعترف– فيما بعد– قائلا: "كنت

أعرف.. عن طريق علاقاتى الثقافية أن الاجتماع الأصلى للمنظمة فى "برلين" كان على نفقة المخابرات المركزية "CIA". لم تكن مساعدة من يقفون جميعا أمرا غير منطقى، ومن بين كل إنفاق المخابرات المركزية "CIA" فإن "منظمة الحرية الثقافية" كانت هى الأكثر جدارة بذلك.. والأكثر نجاحا"(١٩).

كان أحد المهام الأولى أمام "شليزنجر- Schlesingor" هو إقناع "برتراند راسل- Bertrand Russell" أحد رؤساء شرف المنظمة بألاّ يستقيل، وكان الفيلسوف (راسل) قد هدد بذلك بعد أن قرأ تقارير "هيو تريڤور- روپر: Hugh Trevor-Roper" الرديئة والمزعجة فى "مانشستر جارديان - Manchester Guardian" التى وصفت ما حدث فى "برلين" بأنه كان شيئا يشبه- وبدرجة مزعجة- التجمعات التى كانت تحشدها النازية لإثارة الحماسة. عندما قام "شليزنجر- Schlesinger" ومعه "كويستلر - Koestler" بزيارة "رسل - Russell" فى لندن فى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٠ أخبرهما الفيلسوف بانزعاجه الشديد لتقرير "تريڤور روپر - Trevor - Roper" (الذى أيده ايه چيه آير - A.J.Ayer)، وبقراره اللاحق بالانسحاب من المنظمة، كان شعور "راسل Russell" يبدو باردا باتجاه "كويستلر - Koestler" (كان الفيلسوف قد أغوى: مامين كويستلر- Mamaine Koestler ذات مرة وكانت الغيرة الجنسية بين الرجلين عقبة فى طريق الصداقة بينهما) ولكنه اقتنع فى النهاية بما سمعه منهما.

كان الفيلسوف وعالم الرياضيات الشهير برتراند راسل - Bertrand Russel" شخصية ذات نفوذ فى عام ١٩٥٠ وهو العام الذى حصل فيه على وسام الاستحقاق البريطانى وجائزة نوبل، "راسل - Russell" كان قد التقى و"لينين - Lenin" ولم يحبه، "قهقهته عند ذكر الذين ذبحهم جعلت الدم يتجمد فى عروقى.. كل ما أذكره عنه هو التعصب الأعمى والقسوة المغولية الفظيعة"، "راسل - Russell" روع المعجبين به بحديث فى عام ١٩٤٨ فى القاعة الرئيسية المدمرة فى "مدرسة وستمنستر" عندما اقترح تهديد "ستالين - Stalin" بالقنبلة الذرية"(٢٠). فى ذلك الوقت كان "معاديا عنيفا للشيوعية و أصر على أن القوة العسكرية وإعادة التسليح لابد من أن تكون لهما الأولوية على أى شىء آخر بالنسبة لنا"(٢١). كما كوفئ "راسل - Russell" أيضا من قبل إدارة البحث الإعلامى "IRD" التى كان يسعده أن يتلقى منها "هدايا بسيطة من وقت لآخر"، ولكن "راسل- Russill" الذى كان "صقرا" فى ذلك الوقت، كان فى منتصف الخمسينيات يدعو إلى نزع السلاح النووى(٢٢). كانت سياسته تتغير مع الرياح، وسبب للمنظمة ولرعاتها الأمريكيين كثيرا من الألم والمتاعب على مدى سنوات رئاسته الشرفية، وإلى أن استقال فى نهاية عام ١٩٥٦، لكن اسمه كان يضيف

حينذاك بريقا، ويشبع ما كان يراه البعض ضعفا من "چوسلسون– Josselson" أمام الشهرة.

رؤساء الشرف، أو الرؤساء الفخريين للمنظمة كانوا كلهم مثل "راسل – Rus-sell" فلاسفة، ويمثلون الذهنية الأوروبية الأمريكية الوليدة"(٢٣). كان "بينيديتو كروتشى – Benedetto Croce" من المحافظين سياسيا ومن المناصرين للنظم الملكية الذين لم يكن لديهم الوقت للاشتراكية ولا لدين منظم (كانت كتبه على قائمة المؤلفات المحظورة من الفاتيكان). فى ذلك الوقت كان فى الثمانين من عمره، وكان له تقديره واحترامه فى إيطاليا ويعتبرونه الأب الأكثر تعبيرا عن معارضة الفاشية، والرجل الذى عارض استبداد "موسولينى – Mussolini" علنا، وكانوا يعتبرونه الزعيم الروحى للمقاومة. كان "كروتشى – Croce" مصدر معلومات واتصال مع "وليم دونوڤان Wil-liam Donovan" عشية إنزال قوات الحلفاء فى إيطاليا، مات "كروتشى – Croce" فى عام ١٩٥٢ وحل محله "دون سلڤادور دو مادارياچا – Salvador de Madariage" الذى كانت له صلات قوية أيضا بـ"دونوڤان Donovan" من خلال التحرك الأوروبى"، أما "چون ديوى– John Dewey" الذى رأس لجنة الدفاع عن "ليون تروتسكى – Leon Trotsky" فكان يمثل الليبرالية الأمريكية البراجماتية. "كارل ياسبرز– Karl Jaspers" الفيلسوف الوجودى الألمانى كان ناقدا صارما للرايخ الثالث، وكمسيحى، كان قد تحدى " چان پول سارتر – Jean - Paul Sartre" علنا أن يقول إن كان يقبل "بـ الوصايا العشر" أو لا، "چاك ماريتان – Jacques Maritain" عالم الإنسانيات الكاثوليكى الليبرالى، كان من أبطال المقاومة الفرنسية وكان صديقا مقرباً لـ"نيكولاس نابوكوف Nicolas Mabokov" وتم الاتصال بـ "أشعيا برلين – Isaiah "Berlin لينضم إلى تلك السلسلة من الرؤساء الفلاسفة، لكنه رفض انطلاقا من أن التأييد العلنى لأى تحرك مناهض للشيوعية قد يضع أقاربه فى الشرق فى خطر، ومع ذلك وعد بدعم المؤتمر بأية وسيلة متواضعة تكون فى استطاعته، أما "لورانس دونيڤى – Lawrence de Neufville" فيتذكر أن "برلين – Berlin" فعل ذلك لأنه كان يعرف أن المنظمة ممولة سرا من المخابرات المركزية "CIA"، قال "دونيڤى – de Neufville" لقد كان على علم بتورطنا، لا أعرف من الذى أخبره بذلك، وإن كنت أظن أنه أحد أصدقائه فى واشنطن"(٢٤).

وكما هو الأمر بالنسبة لكافة المنظمات المهنية كانت الأيام الأولى حافلة بتغيرات كثيرة فى صفوف الأفراد، حيث تدافع كثيرون من أجل العمل. "دينيس دو روچمو Denis de Rougemont" الذى لم يكن شيوعيا فى يوم من الأيام، والذى جاء

من سويسرا المحايدة عين رئيسا للجنة التنفيذية. "دو روجمو – de Rougemont" مؤلف "الحب والغرب– L'Amour et L'occident" جاء من اليسار غير الماركسى الذى كان معاديا للفاشية، بعد الحرب عمل مذيعا فى "صوت أمريكا" وكان يعمل مع "فرانسوا بوندى – Francois Bondy" فى الاتحاد الأوربى الفيدرالى، الذى سيواصل متابعة أهدافه بمساعدة سرية من الـ "CIA" (بعد ذلك قال إنه لم يكن يعرف) من المركز الأوروبى للثقافة: "Centre Europeen de La Culture" (وهو موجود إلى اليوم).

أما بالنسبة لمنصب السكرتير العام، فقد حاول "جوسلسون – Josselson" جاهدا أن يكون من نصيب مرشحه المفضل "نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" الذى قام بتجربة أداء للقيام بدور قيادى– حتى وإن لم يكن يعلم – عندما تكلم بطريقة خطابية فى مؤتمر برلين قائلا: "لابد من أن نخرج من هذا المؤتمر بمنظمة من أجل الحرب، لابد من أن تكون هناك لجنة دائمة، لابد من مراعاة أنها تتطلب من كل الشخصيات، كل المنظمات المقاتلة، كل وسائل الصراع أن تتحرك، وإذا لم نفعل ذلك فإننا سوف نُشنق عاجلا أو آجلا، لقد دقت الساعة الثانية عشرة"(٢٥). وتم انتخاب "نابوكوف Nabokov" للمنصب.

كان لدى "نابوكوف Nabokov" كفلاء ورعاة أقوياء إلى جانب صديقه القديم جوسلسون – Josselson". كان هناك "شيب بوهلن – Chip Bohlen"، ذلك "الأمريكى القح" الذى جعل أمريكا "وطنا حقيقيا" لـ "نابوكوف Nabokov" فى أوائل الأربعينيات والذى سيبقى كما قال "نابوكوف Nabokov": مثلى الأعلى ومصدر مشورتى.. وعزائى غالبا..". وكان هناك "چورچ كينان "George Kennan" الذى ساءه كثيرا قبل ذلك رفض طلب "نابوكوف Nabokov" للعمل فى الحكومة، وكان اسم "نابوكوف Nabokov" قد ظهر أيضا ضمن قائمة "سرى للغاية" والتى كانت تضم أسماء مرشحة تم تزكيتها للعمل فى مناصب حساسة، ووزعت على "مكتب سكرتير الجيش" فى عام ١٩٥٠(٢٦). هذا التجمع من الرعاة السياسيين الأقوياء ضمن ألا تتعطل "الصحيفة الأمنية" لـ"نابوكوف Nabokov" كما حدث قبل سنوات.

عرض "إيرڤنج براون – Irving Brown" على "نابوكوف Nabokov" ستة آلاف دولار – لكن الرجل الذى كان لديه طفلان صغيران يتعلمان فى المدرسة، والذى كان يتقاضى راتبا يصل إلى ثمانية آلاف دولار من التدريس فى "كونسرڤتوار بيبودى" وكلية "سارا لورانس" طلب مبلغا أكبر: "ولا تنس أن هذا المنصب سيتطلب بدل تمثيل. صحيح أننى لا أنوى أن أقيم حفلات، لكننى سأكون فى حاجة للالتقاء بأشخاص كثيرين، وأن أجاملهم.. وأن أدعوهم إلى العشاء.. إلخ.. إلخ.."(٢٧) وبالفعل، كان

"نابوكوف Nabokov" مغرما بالحفلات، وسوف يقيم الكثير من تلك الأمسيات السخية على نفقة المخابرات المركزية "CIA" على مدى السنوات الستة عشر التالية. على أية حال فأن مسألة راتب "نابوكوف Nabokov" لم تحسم فى ذلك الوقت، فقد كان لدى "إيرفنج براون – Irving Brown" (الذى كان تحت إمرته مبالغ طائلة للرشوة) قضبان أخرى لإذكاء النار وبينما كان مؤيدا متحمسا للمنظمة، إلا أن ميله الطبيعى كان لإنفاق الأموال المتوفرة لتمويل القوة العمالية "Force Ouvriere" المدعومة من الـ"CIA" فى محاولاتها لتشتيت شمل اتحادات أحواض السفن فى "مرسيليا" وإضعافها، حيث تخضع مؤن وشحنات الأسلحة الأمريكية لحصار يومى. وحسمت المسألة عندما برز "چيمس بيرنهام – James Burnham" فى يناير ١٩٥١ بوعد لمضاعفة راتب "نابوكوف - Nabokov" ستكون هناك ترتيبات أخرى هنا لتعويضى عن خسارتى الكبيرة فى الدخل، ولن تظهر فى دفاتر العمليات فى أوروبا" كما قال "نابوكوف – Nabokov لـ "براون– Brown"، وكان يثق – كما يبدو – بأسلوب "بيرنهام – Burn-ham" فى المحاسبة. وعلى مدار العام تقريبا، كان "بيرنهام – Burnham" هو الذى يدير "نابوكوف "Nabokov بمعنى الكلمة.

تقرر أن يبقى "لاسكى– Lasky" فى"برلين" لتحرير "ديرمونات Der Monat" التى أصبح مكتبها المركز الرئيسى للجنة الفرعية للمنظمة. أما "چوسلسون – Jos-selson" و"دونيڤى – de Neufville" فسوف ينتقلان إلى "باريس" ليديرا المكتب الرئيسى هناك، ويكونان على اتصال بـ"إيرڤنج. راون – Irving Brown" الذى كانت لديه تعليمات بأن يستأجر ويجهز مقرا مناسبا. وبينما هما يستعدان لمغادرة ألمانيا إذ علم "چوسلسون Josselson" و"دونيڤى de Neufville" بتطورات جديدة ومثيرة حدثت فى المركز الرئيسى للمخابرات المركزية "CIA" فى "واشنطن" وهى أن "آلان دالاس – Allen Dulles" قد التحق بالوكالة وجاء معه بمساعد يدعى "توم برادن – Tom Braden" وسوف تتغير أشياء كثيرة.

التحق "آلان دالاس – Allen Dulles" بالـ "CIA" فى شهر ديسمبر ١٩٥٠ نائبا لمدير العمليات، كان ذلك منصبا واسع المجال يعطى "دالاس – Dulles" مسئولية جمع المعلومات السرية والإشراف على إدارة " فرانك ويزنر – Frank Wisner" المعروفة بمكتب تنسيق السياسات "OPC"، كان أحد القرارات الأولى هو تجنيد "توم برادن – Tom Braden" أحد أجرأ ضباط الـ"OSS" مكتب الخدمات الاستراتيجية – والرجل الذى استطاع أن يقيم علاقات واتصالات بمصادر ثقافية على أعلى مستوى منذ عودته إلى الحياة المدنية. بشعره الأصفر الذى يشبه السلك، وملامحه الصخرية الأنيقة، كان "توم براون Tom Braden" يبدو "تشكيلة مركبة" من "چون وين – John

"Wayne" و"جــاري كـوبـر– "Gary Cooper" و"فــرانك ســيناترا – "Frank Sinatra".

"برادن – "Braden" من مواليد ١٩١٨ في "دوبوك – أيوا" كان والده وكيلا لشركة تأمين، وكانت أمه تكتب الروايات الرومانسية، علمته حب أعمال "رنج لاردنر– Ring Lardner"، و"روبرت فروست – Robert frost" و"إرنست هيمنجواي– Ernest "Hem-ingway، تخرج في "دارموث "عام ١٩٤٠ متخصصا في العلوم السياسية والتحق بالجيش البريطاني مع نشوب الحرب. عين في الفرقة السابعة المدرعة بالجيش الثامن (فرقة فئران الصحراء الشهيرة) حيث أصبح صديقا حميما لـ "ستيوارت ألسوب – Stewart Alsop"، ثم التحق كلاهما بالـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيجية – ليهبطا بالمظلات في فرنسا المحتلة ويحاربا في الغابات مع المقاومة الفرنسية التي كان يسيطر عليها الشيوعيون، بعد الحرب اشترك "برادن – Braden" و"ألسوب – Alsop" في تأليف كتاب بعنوان "مكتب الخدمات الاستراتيجية والتجسس الأمريكي" وصفا فيه كيف كانت قوات الـ "OSS" تقدم لرجالها فرصا لأكثر المغامرات إدهاشا في أي حرب منذ حروب الملك "آرثر".

وبعد عودته للحياة المدنية سيمضي "برادن – Braden" السنوات القليلة التالية في السعي للعمل في المخابرات بشكل دائم، وفي أواخر عام ١٩٥٠ هاتفه "آلان دالاس – Allen Dulles" وطلب منه أن يكون مساعدا له في وكالة المخابرات المركزية "CIA"أخذ اسم "هومر. دي. هوسكنز – Homer D. Hoskins"، وكان في البداية بدون مسئولية محددة وتم تعيينه – شكلا– في "مكتب تنسيق السياسات" التابع لـ "ويزنر – Dulles" بشكل مباشر، وفي خلال أشهر قليلة كان قد أصبح لديه معرفة واسعة بحرب الدعاية السوفيتية، وتقديراً محدوداً للرد الأمريكي على ذلك، "كنت أشعر بالاستغراب وأنا أرقب هذه التطورات؛ فالشيوعيون الذين يخشون الالتحاق بأي شيء سوى الحزب الشيوعي يمكنهم الحصول على حلفاء كثيرين عن طريق حرب المنظمات، بينما نحن الأمريكيين، الذين نلتحق بكل شيء، جالسون هنا معقودي اللسان"(٢٩).

كان "وليم كولبي – William Colby" الذي سيصبح مديرا للمخابرات المركزية – CIAفيما بعد – قد وصل إلى النتيجة نفسها: "لم يخف الشيوعيون إيمانهم بما كانوا يطلقون عليه "السلاح التنظيمي": نظم الحزب كقوة قيادة رئيسية، ثم نظم كافة الجبهات الأخرى – التجمعات النسائية والتجمعات الثقافية واتحادات العمال والتجمعات الفلاحية والتعاونيات – درع كاملة من المنظمات بحيث تستطيع أن تشرك أكبر عدد من الناس في البلاد في تلك التجمعات، ومن ثم تحت قيادة شيوعية وانضباط شيوعي"(٣٠).

كان "برادن – Braden" على اقتناع بأنه "إذا كان الجانب الآخر يمكنه استخدام الأفكار المموهة لكي تبدو محلية أكثر منها مدعومة من السوفيت، أو موحى

بها منهم، فينبغى أن نكون نحن أيضا قادرين على استخدام الأفكار المموهة لكى تبدو محلية"(٣١). وبنظرة عامة على "مكتب تنسيق السياسات" الذى كان يديره "ويزنر – Wisner"، بات "برادن – Braden" مقتنعا بأن المكتب كان مثقلا بالمشروعات التى تحتاج إلى بؤرة مركزية، وكان أحد المسئولين الكبار فى الـ "CIA" قد وصفه بأنه "كومة عمليات خردة". وكما يتذكر "برادن – Braden" فإنه "كان هناك فرع للعمليات الدولية لكنه كان خليطا من أعمال صغيرة للوكالة كما كان عديم الأهمية، "ذهبت إلى "آل – Al" آلان دالاس – (Allen Dulles) وقلت له "لماذا لا ندمج كل هذه الأشياء فى إدارة واحدة ؟ "ربما كان "آل Al" يتمنى أن أقترح عليه شيئا من هذا القبيل!"(٣٢).

وبينما كان "دالاس – "Dulles متحمسا للفكرة إلا أن المسئولين عن إمداد الـ "CIA" بالكوادر استقبلوا اقتراح "برادن – Braden" بتوجس، فقد كانوا يعتقدون أن العمليات السرية تعنى تنظيم عمليات الإطاحة بالقيادات الأجنبية غير الصديقة مثل "جاكوب أربنز – Jacob Arbenz" وإذا كانت تلك الوكالة الناشئة تعتبر نصف كلية (كانت تعرف بالحرم الجامعى) فقد كانت تشبه أيضا جماعة: "عسكر وحرامية". إلى جانب خريجى "بيل " الذين يدخنون الغليون، كان هناك نوع آخر من الناس – كما يقول "برادن – Braden" لا يفهمون أن الحرب كانت قد انتهت، كان هناك عدد من البشر شديدى الجموح والعناد الفكرى مثل الجنرال "ماك آثر – Mac Arther"الذى كان يريد أن يوسع مجال الحرب الكورية بقصف "منشوريا"، أو وزير البحرية الذى كان يحض العالم فى عام ١٩٥٠ على الاستعداد لحريق كونى آخر. كان "برادن – Braden" يقول: "كنت أكثر اهتماما بالأفكار التى كانت تحت قصف الشيوعيين، أكثر مما كنت بقصف جواتيمالا "، "كنت مفكرا أكثر منه مرددا للهتافات والشعارات الحماسية"(٣٣).

لكن رئيس القسم الذى كان يعمل فيه "برادن – Braden" وقف فى وجه الاقتراح باعتباره "يتخطى حدود القسم"، وكانت مناورة بيروقراطية حقيرة، ونشب صراع خسره "برادن – Braden". فذهب من فوره إلى مكتب "دالاس – Dulles" وقدم استقالته. وفى ثورة غضب، رفع "دالاس – Dulles" سماعة الهاتف وطلب "فرانك ويزنر – Frank Wisner" ماذا يدور بحق الجحيم؟ "وكما يتذكر "برادن – Braden" كان "دالاس – Dulles" شديد العنف مع "ويزنر – Wisner"، كان إلى جانبى تماما، وهكذا حدث أن أنشأ "قسم المنظمات الدولية "IOD"(*) تحت إشراف نائب المدير

(*) International Orgznigations Division

للمشروعات "DDP"(*) والذى لم يكن سوى "ويزنر – Wisner". لكننى لم أكن أوليه اهتماما كبيرا، وكنت أتخطاه و أتعامل مع "دالاس – Dulles" مباشرة، إلا أننى كنت أفعل ذلك بحذر وعناية حيث إنه من المفترض أن "فرانك Frank" كان هو رئيسى المباشر".

تصادف إنشاء هذا القسم الجديد "IOD" مع الأمر الإدارى الجديد رقم (٦٨ – أمن قومى) الذى أقر ما يقوم به من نشاط، هذا الأمر الإدارى الذى أعده المدير الجديد لمجموعة تخطيط السياسات "بول نيتز – Paul Nitze" (الذى خلف كينان – kennan)، أصبح هو الوثيقة الرمزية الرئيسية للحرب الباردة"، وكان مؤسسا على افتراض وجود هيكل شيوعى تسكن روحه الكرملين(٢٥). وينتهى الأمر الإدارى إلى أن "الاعتبارات العملية والأيديولوجية... كلاهما يدفعنا إلى استنتاج أنه ليس أمامنا من خيار سوى أن نبرهن على تفوق فكرة الديمقراطية عن طريق تطبيقها البناء"، وكان الفيلسوف "كارل ياسبرز– Karl Jaspers" قد أعلن – منذ وقت قريب – أن "الحقيقة أيضا فى حاجة إلى دعاية"، وهكذا كان التفويض الرسمى الذى أذن لمقاتلى الحرب الباردة الأمريكية بأن يتخذوا إجراءات "بناءة" لضمان انتصار الحقيقة على الخداع، أما مخصصات الميزانية التى أقرها الأمر الإدارى (٦٨–أمن قومى) فتكشف عن مدى الأهمية التى أعطيت لهذه المهمة: فى العامين التاليين سوف يتضاعف مبلغ الأربعة وثلاثين مليون دولار (الذى أنفق على الحرب النفسية فى عام ١٩٥٠) أربع مرات.

وأعلن وزير الخارجية "إدوارد باريت – Edward Barrett" أن "الحقيقة يمكن أن تكون هى السلاح الأمريكى فى الصراع من أجل الاستيلاء على عقول البشر"، "لا يمكن أن يكون سلاحا مستقلا؛ لأن الدعاية من أجل الحقيقة تصبح قوية فقط عندما تكون مرتبطة بأعمال وسياسات محددة... إن حملة ذكية وقوية من أجل الحقيقة لا يمكن الاستغناء عنها... تماما مثل القوة الجوية"(٢٦). "والحقيقية مثل هذا القرن، كان يجب أن تكون من نصيب أمريكا"، وإذا كانت هناك حاجة لاستخدام الخداع من أجل نشر الحقيقة فلا بأس بذلك. كان ذلك ما وصفه "كويستلر – Koestler" بقوله: "الحرب ضد كذبة كاملة باسم نصف الحقيقة".

وكما قال "برادن – Braden" فإن هدف "IOD" (قسم المنظمات الدولية) كان هو توحيد المثقفين ضد ما كان يقدم فى الاتحاد السوفيتى. كانت فكرة إخضاع العالم لمفهوم "فاشستى" أو "ستالينى" فى الفن والأدب والموسيقى، تمثل احتمالا

(*) Deputy Director Of Plans

مرعبا. "كنا نريد أن نوحد كل الفنانين، كل الكتاب، كل الموسيقيين، وكل الناس الذين يتبعونهم: لنثبت أن الغرب والولايات المتحدة كانوا مخلصين لحرية التعبير، وللإنجاز الفكرى دون أية قيود علي ما يجب أن تكتب، وما يجب أن تقول، وما يجب أن تفعل، وما يجب أن ترسم (هكذا يؤكد "برادن – Braden" كما كان يحدث فى الاتحاد السوفيتى، وأعتقد أننا فعلنا ذلك على نحو جيد جدا"(٣٧).

كان الـ "IOD" يعمل على هدى نفس المبادئ التى اتبعها "ويزنر –Wisner" فى تنظيمه لليسار غير الشيوعي، لم يكن الهدف من دعم اليساريين هو تدميرهم أو حتى السيطرة عليهم، وإنما تحقيق تقارب غير ظاهر معهم ورصد تفكير تلك التجمعات وتقديم وسيلة يفرغون بها ما بداخلهم، وأقصى ما يمكن عمله بالنسبة لهم هو ممارسة "ڤيتو" على دعايتهم وربما على أعمالهم عندما يتمادون فى راديكاليتهم. أصدر "برادن – Braden" تعليمات واضحة للمراكز التى أنشئت لـ "IOD" فى أوروبا. "يجب أن يكون الدعم المالى محدودا بحيث يبدو الإنفاق معقولا بالنسبة للمنظمات الخاصة، يجب ألا يظهر الاهتمام بمصالح الولايات المتحدة، حافظوا على درجة من استقلالية المنظمات بألا تطلبوا منها تأييد كل جانب من جوانب السياسة الأمريكية الرسمية"(٣٨).

كان القسم الجديد التابع لـ "برادن – Braden" قد أنشئ لتوفير قاعدة مؤسسية لكيانات مثل "منظمة الحرية الثقافية"، والتى كان مدراؤها مسئولين الآن أمامه. تم توضيح أهداف المنظمة الحقيقية. لن تكون مركزا للإثارة والتهييج وإنما رأس جسر فى أوروبا الغربية يمكن أن يستخدم لإيقاف زحف الأفكار الشيوعية. كان عليها أن تقوم بحملة واسعة ومتقنة للضغط ولإقناع المثقفين بأن يفكوا ارتباطهم بالجبهات الشيوعية أو بالمنظمات المتعاطفة معها. كان عليها أن تشجع المثقفين على تقديم نظريات وأفكار لا تستهدف الجماهير العريضة وإنما موجهة فى المقام الأول لمجموعات نخبوية صغيرة من الجماعات الضاغطة ورجال الدولة الذين يقررون سياسة الحكومة. لم تكن المنظمة مصدرا لجمع المعلومات السرية، وكان هناك تحذير لعملاء المخابرات المركزية "CIA" فى الإدارات الأخرى بألا يتم استخدامهم لهذا الغرض. كان المطلوب أن تقدم دعما "مستقلا" لأهداف السياسة الخارجية الأمريكية التى كانت تتطلع إلى أوروبا موحدة (عن طريق عضوية "حلف شمال الأطلنطى – "NATO و"التحرك الأوروبى – European Movement"، وكان الأخير مدعوما من الـ "CIA") التى تضم أيضا ألمانيا موحدة مرة أخرى. كان على المنظمة أن تكون بمثابة مبعوث أو رسول لإنجازات الثقافة الأمريكية، وتعمل على التقليل من شأن الصور النمطية

السلبية السائدة عنها فى أوروبا بعامة، وفى فرنسا بخاصة، وهى أن أمريكا "صحراء ثقافية جرداء". كما كان عليها أن ترد على النقد السلبى الموجه إلى جوانب أخرى من الديمقراطية الأمريكية بما فى ذلك سجل حقوق الإنسان.

جميع من اختارتهم لجنة التسيير لتنشيط المنظمة الذى تمت تقويتها، كانوا عرضة لفحص سجلاتهم الأمنية، كما كان الأمر بالنسبة لكل من عملوا مع "جهاز السيطرة وكافة من سيعملون معه فى المستقبل. من الـ"CIA"، كان هناك "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" و"لورانس دو نيفى – Lawrence de Neufville" وعين لهما ضابط مراقبة خاص، سيظل على مدى ثلاث سنوات على اتصال بنظير له على نفس المستوى فى "واشنطن"، وكان هو الآخر مسئولا أمام رئيس فرع الـ"IOD". أما رئيس الفرع رقم ٣ فكان هو المسئول عن المنظمة. كان يتبع نائب رئيس الـ"IOD" ورئيسه "برادن – Braden"، وبنمو حجم المنظمة تم تعيين أفراد آخرين من الوكالة للشئون المالية والأنشطة. وعلى عكس ما كان "كويستلر – Koestler" قد تصوره بداية "عملية صغيرة برأسمال صغير وعدد قليل من الأفراد"(٣٩). كانت المنظمة قد أصبحت من الأصول الثابتة المهمة فى أحد أقسام الـ "CIA" وأسرعها نموا(٤٠).

والتزاما بالتقاليد المتبعة، قرر "برادن – Braden" أن يدير عملية ""QKOPERA" بعيداً عن الخطوط الرسمية، ولذلك أصدر تعليماته لـ "دونيفى – de Neufville" بألا يخبر "روبرت ثاير – Robert Thayer" (رجل ويزنر Wisner) الذى كان يدير المكتب الفرنسى بأى شىء عن نشاطه، أما "آلان دالاس – Allen Dulles" فطلب من "دونيفى – de Neufville" سرا، ومن وراء ظهر "برادن – Braden" أن "يتواصل مع "إيرفنج براون – Irving Brown" ويعرف ما يقوم به"، بالرغم من أن "دونيفى – de Neufville" سيكتب تقريرا لـ "دالاس – Dulles" فيما بعد – بأن ذلك مستحيل، لأنه كان يدير العملية وكأنها عمليته الخاصة، وأنه لا يتكلم كثيرا – مطلقا – عما يقوم به"(٤١). وليس من الغريب ألا يحظى "دالاس – Dulles" أو "ويزنر – Wisner" أو "برادن – Braden" بسمعة طيبة كمدراء.

كان على "چوسلسون – Josselson" و"دونيفى – de Neufville" أن يؤسسا مكتب "باريس" بسرعة، ويحددا المهام المطلوب إنجازها وكافة الترتيبات المتعلقة بالأنشطة التى سوف تستخدم كواجهة، وبينما هما مشغولان بأعمال التجهيزات والتركيبات، وصل "نابوكوف Nabokov" ليتولى منصبه كسكرتير عام، جاء من "نيويورك" مع "پاتريشيا بليك – Patricia Blake" ليقيم فى شقة صغيرة فى "شارع داساس – Rue D' Assas" تطل على حدائق "اللوكسمبورج". كتب يقول عن المنظمة

التى كان يمثلها: "لم يكن هناك مثلها من قبل، لم يكن هناك نموذج لها فى العالم الغربى"، "لم يسبق أن حاول أحد تعبئة المثقفين والفنانين على مستوى العالم للقيام بحرب أيديولوچية ضد قامعى الأفكار، أو للدفاع عما كان يسمى بالمصطلح المبتذل "موروثنا الثقافى". هذا النوع من الحروب الأيديولوچية كان حتى ذلك الوقت من لوازم الستالينيين والنازيين. أما القيام بحرب عقلانية، باردة، ثقافية، ضد الستالينية دون الوقوع فى فخ إدعاء الدوافع الأخلاقية، فقد كان يبدو شيئا أساسيا بالنسبة لى وخاصة فى وقت كانت تلك الحرب فى الولايات المتحدة قد أخذت شكلا مسرحيا هيستيريا وشديد الارتياب فى الآخرين"(٤٢).

وبكل الطاقة والحماسة اللتين نادرا ما كانتا تتخليان عنه، ألقى "نابوكوف - Nabokov" بنفسه فى خضم عمله الجديد كمدير للحرب الباردة الثقافية، فى شهر مايو قدمت المنظمة مفاجأة فى مؤتمر صحفى فى پاريس، قدمت مثقفا منشقا هو الملحق الثقافى الشاب "شيسلاف ميلوش – Czeslaw Milosz" الذى كان يعمل فى السفارة البولندية، ومترجم قصيدة "إليوت – Eliot" الشهيرة: "الأرض الخراب"، كان "ميلوش – Milosz" عضوا فى الوفد اليولندى فى مؤتمر "والدورف استوريا" فى عام ١٩٤٩، وهناك "بعد أول ظهوره أمام اليسار الديمقراطى، وقع فى هوانا"، كما تقول: "مارى مكارثى – Mary McCarthy"، كان ظهور "ميلوش – Milosz" إلى جانب رعاة المؤتمر، والذى أداره "نابوكوف Nabokov" بشكل مسرحى شديد الذكاء، كان "ضربة موفقة" باكرة بالنسبة للمؤتمر.

وبعد ذلك بوقت قصير، ذهب "نابوكوف Nabokov" بصحبة "دينيس دو روچمو – Denis de Rougemont" إلى "بروكسل" ليتحدث أمام حفل عشاء أقامته مجلة "سينثيسز – Synthesis"، ثم عاد مسرعا لكى يدعم عملا لأصدقاء الحرية – "Amisde la Liberté" أحد أذرع المنظمة، والذى يشبه أندية "الروتارى"، كان ينظم مؤتمرات للجماعات الطلابية الفرنسية فى أنحاء البلاد وفى: Maison de Jeunesses des Amis de La Liberté "بيت شباب أصدقاء الحرية" – فى "پاريس"، وفى منتصف شهر يونيو كان "نابوكوف Nabokov" على الطريق ثانية. كان فى هذه المرة متجها إلى "برلين" ليلقى محاضرة عن "الفن فى ظل النظام الشمولى"، كتب إلى "چيمس بيرنهام – James Burnham" ليست هذه "رحلة من أجل محاضرة" بالنسبة لى طبعا، إنها أول "عملية اتصال – Pris de Contact" بميدان العمليات الألمانى"(٤٣). كانت تلك أولى الرحلات الاستكشافية التى يقوم بها كبار المسئولين فى المنظمة، والتى تمخضت عن إنشاء أفرع لها.، وليس فى أوروبا فقط (كانت هناك مكاتب فى ألمانيا

الغربية وبريطانيا العظمى والسويد والدانمرك وأيسلندة) بل وفى قارات أخرى، فى اليابان والهند والأرجنتين وشيلى واستراليا ولبنان والمكسيك وبيرو وكولومبيا والبرازيل والباكستان.

بعد عودته إلى "باريس" لعب "نابوكوف Nabokov" دورا رئيسيا فى إطلاق أول مجلة للمنظمة وهى "بريف – Preuves" (البرهان أو الدليل)، فكرة إنشاء مجلة ثقافية سياسية على طريقة المجلات الفرنسية الشهيـ ـة نوقشت أول ما نوقشت فى شهر فبراير ١٩٥١ فى اجتماع اللجنة التنفيذية فى "فرساى"، كان المطلوب هو صحيفة يمكن أن تنافس "الأزمنة الحديثة – Les Temps Modernes" وتشجع الانفلات من معقل "سارتر – Sartre" الحصين. وفيما بعد كان أحد المؤرخين يتساءل: "من كان الخصم الحقيقى؟ لم يكن الاتحاد السوفيتى ولا موسكو. كان الهاجس الذى يتملكهم هو "سارتر – Sartre" و"سيمون دو بوفوار – Simone de Beauvoir". كان ذلك هو "الجانب الآخر"(٤٤). وكما أكد أحد العالمين ببواطن الأمور فى المنظمة: "كان المستهدف هم مثقفو الضفة اليسرى"، "أو لعلهم الذين كانوا يستمعون إليهم"(٤٥). بيد أنه كان من الصعب الحصول على محرر ذى مكانة رفيعة، يغرى رفاق الطريق أولئك فى منطقة أكثر مركزية.

وبحلول شهر يونيو ١٩٥١ كان اليأس قد أصاب "نابوكوف Nabokov" فكتب إلى "بيرنهام: Burnham" إن موضوع المجلة الفرنسية يؤرقنى، من الصعب أن نجد شخصا بمكانة "آرون – Aron" أو "كامو – Camus" مستعدا لتولى مسئولية التحرير، والصعوبة هنا هى أن الناس بالرغم من كثرة كلامهم عن الالتزام، إلا أن أحداً منهم لا يريد أن يلزم نفسه. "هناك درجة من التراخى والفتور... أو لعله التعب، فى الجو الذى على المرء أن يصارع فيه يوميا"(٤٦).

وبعد أن فشلت اللجنة التنفيذية فى أن تجتذب محررا فرنسيا، قررت أن تعطى الوظيفة لـ "فرانسوا بوندى – Francois Bondy"، وهو كاتب سويسرى يتكلم الألمانية، كان أحد نشطاء الحزب الشيوعى حتى توقيع معاهدة "هتلر – ستالين" فى عام ١٩٣٠، وبتعيينه فى سكرتارية المنظمة فى ١٩٥٠ (مديرا للمطبوعات) اشترك "بوندى – Bondy" فى تحرير "دير مونات – Der Monat" مع "ميلفن لاسكى – Melvin Lasky" الذى كان يدعوه "مستشار التحرير فى زماننا بامتياز"، وبرئاسة تحرير "بوندى – Bondy" صدر العدد الأول من "بريف Preuves" فى شهر أكتوبر ١٩٥١، كان "بريف Preuves" تهدف إلى ترسيخ إجماع أطلنطى غير محايد، وموالٍ لأمريكا، وكانت بالفعل هى المطبوعة المعبرة عن المنظمة بالإضافة إلى الإعلان عن أنشطتها

وبرامجها. ولذلك واجهت فى الحال "ما كان يدعوه "مان سبيربر Manes Sperber: "une hostilité presquetotale" عداء شبه كامل"، لكن "بوندى – "Bondy" وقف بحزم فى وجه الهجوم الضارى من كلا اليمين واليسار(٤٧).

فى تلك الأيام الباكرة، استُقْبِلت المنظمة بارتياب شديد. كان النشطاء الذين دعموها يحاولون إقناع أنفسهم بأن تلك الشكوك كانت مجرد آثار هامشية للدعاية المعادية لأمريكا، والتى كانت رائجة فى تلك الأيام. أما الذين لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك فكانوا يستغلون أية فرصة ليتساءلوا عن شرعيتها كمنظمة "حرة" و "مستقلة". أما قدرتها على الصمود أمام تلك التحديات، فهى دليل على الإصرار والمثابرة العنيدة من المؤمنين بهدفها (سواء من داخلها أو من خارجها). عندما أرسلَ "چورچ ألتمان – "George Altman" رئيس تحرير "فرانك تيرييـر – "Franc - Tireur" و"فرانسوا بوندى – "Francois Bondy" إلى روما فى أواخر ١٩٥٠ لتدبير دعم مؤسسة إيطالية تابعة، كانوا يُواجَهُون بأسئلة من قبيل: "ومن الذى يتحمل تكلفة ذلك كله؟" و "هل تقصدون الرأسمالية الأمريكية عندما تتكلمون عن الحرية؟". وقالا "إنه كان هناك مراقبون شيوعيون فى معظم الاجتماعات، وإن كثيرين من المثقفين الإيطاليين كانوا معرضين – كما بدا لهم – للإغراء الشمولى". بينما كان آخرون مثل "ألبرتو موراڤيا – "Alberto Moravia" كما قالت التقارير – قلقين بسبب الفاشية الجديدة والشيوعية. وفى التقرير الذى قدماه إلى "چوسلسون – "Josselson"، أكد "بوندى – Bondy" و"ألتمان – "Altman" على الإقليمية، وعلى معاداة التوجه الأمريكى لدى المثقفين الإيطاليين. كانت هناك "إمكانيات كبيرة" للمنظمة فى إيطاليا، ولكن تلك الإمكانيات لا يمكن أن تنضج إلا بعد "عمل بطىء، وغير مباشر، ومتنوع، وشديد السرية"(٤٨).

أنشئ "الاتحاد الإيطالى للحرية الثقافية" فى أواخر ١٩٥١ برئاسة "إجنازيو سيلونى – "Ignazio Silone" وأصبح مركزا لفيدرالية تضم حوالى مائة تجمع ثقافى مستقل، كان الاتحاد يزودها بالمتحدثين والكتب والنشرات والأفلام ... وبروح أممية. وأصدر نشرة "حرية الثقافة – Liberté Della Cultura" وبعدها "Tempo Presente" وكان يحررهما " سيلونى – "Silone"، و"نيكولا شياورومونتى – Nicola Chiaromonte". وما كاد يتشكل الفرع الإيطالى التابع، حتى بدأ فى التفكك. أرسلَ "نابوكوف-Nabo-kov" إلى "روما" فى محاولة لدفع مصالح المنظمة، لكنه – مثل "بوندى – "Bondy" و"ألتمان – "Altman" من قبله – وجد المثقفين الإيطاليين غير متحمسين، بل وجدهم مستعدين للاستماع "للشائعات الغريبة عنها. وقال وهو يشكو لـ "إيرڤنج براون –

"Irving Brown" من "اللامبالاة السيلونية (نسبة إلى سيلونى – Silone) لدى جماعتنا الإيطالية" إن تنشيط "الجهاز" الإيطالى كان يتطلب إجراءات جذرية. كان "نابوكوف Nabokov" يشكو مر الشكوى: "سيلونى – Silone" يجلس على عرشه متعاليا ويمنع الأولاد فى المكتب من القيام بعملهم. كتبت له رسالتين. أبرقت له بأن يعود من إجازته الصيفية ليوم واحد لكى يقابلنى فى "روما".. لم يرد علىّ بأى شىء. أقابل العشرات يوميا. معظمهم لديه الاستعداد للانضمام والعمل والمساعدة "بمن فيهم موراڤيا – Moravia"، ولكنهم جميعا يقولون: مادام "سيلونى – Silone" هو كل شىء هنا، فلن يتم إنجاز أى شىء. وبسبب انزعاجه من موقف الفرع الإيطالى "الدونكيشوتى"، "المولع بالقتال" و "المتغطرس" تجاه الكنيسة، كتب "نابوكوف Nabokov" أيضا إلى "چاك ماريتان – Jacques Maritan" وحثه على كتابة رسالة مطولة إلى المسئولين فى "الڤاتيكان" يشرح لهم فيها كيف أن "منظمة الحرية الثقافية" والاتحاد الإيطالى ينتهجان سياسة مختلفة"(٥٠).

كما سافر "نابوكوف Nabokov" إلى لندن من أجل دعم الفرع البريطانى: "الجمعية البريطانية للحرية الثقافية" – British Society for Cultural Freedom التى أسست فى يناير ١٩٥١ فى جمعية المؤلفين فى "وايت هول كورت"، وبعد أن اجتمع مع "ت.اس. إليوت – T.S.Eliot" و"أشعيا برلين Isaiah Berlin" و"لورد ديڤيد سيسيل – Lord David Cecil" ورؤساء المجلس البريطانى British Council والبرنامج الثالث فى الـ "BBC"، و"ريتشارد كروسمان – Richard Crossman (وكان فى ذلك الوقت سكرتير عام حزب العمال)، وبعد الاجتماع بكل هؤلاء، كان بإمكان "نابوكوف Nabo-kov" أن يكتب تقريره ليخبر "پاريس" بأن المنظمة قد أصبح لها حلفاء أقوياء فى إنجلترا. ولكنه أخبر "بيرنهام – Burnham" على انفراد بأن "كثيرين منهم – أى من المثقفين البريطانيين – يعتقدون أنها منظمة أمريكية شبه سرية، وأنك أنت الذى تسيطر عليها... وأعتقد أن جهدنا المتواصل لابد من أن يوجه لكى نثبت لهم أن منظمة الحرية الثقافية ليست وكالة أمريكية سرية(٥١).

وباستخدام اللغة المفضلة عادة بواسطة المتعاونين "العارفين" بأجهزة المخابرات، طلب "نابوكوف Nabokov" من "بيرنهام – Burnham" أن ينقل إلى "أصدقائنا فى أمريكا"، "التناقض الرئيسى فى الموقف الماثل هنا: ربما يكون الوقت المتبقى لدينا قصيرا، لكننا ينبغى أن نعمل وكأن لدينا كل الوقت، إن تحويل "عملية المنظمة" إلى جبهة عريضة قوية معارضة للشمولية سوف يحتاج لوقت طويل وأعتقد أن ذلك سوف يحتاج أيضا إلى أموال كثيرة"(٥٢).

(٧)

مجرد "بونبون!"

"كان ذلك أكثر من قدرتنا على الإنفاق، أذكر أننا التقينا ذات مرة و"ويزنر"ومراقب الحسابات، صرخت: "ياإلهي! كيف لنا أن ننفق ذلك كله؟" لم يكن هناك حدود، ولم يحاسب أحد أحداً.. كان أمرا مذهلا!"

"جلبرت جرينواى"

أحد رجال الـ"CIA"

كان الحصول على موقع مناسب فى سـ ـوق الحرب الباردة الثقافية يتطلب استثمارا ضخما. فى البداية حدث أن كان "ايرفنج براون – Irving Brown" هو الذى يقوم بدور قناة توصيل الأموال لبرامج الـ "CIA" الثقافية. ويتذكر "توم برادن – Tom Braden" كنت أعطى أحيانا لـ "براون Brown – " ١٥٠٠٠ دولارا أو ١٠٠٠٠ أو ٥٠٠٠ فى المرة الواحدة خارج الميزانية، ولم أعرف قط ماذا كان يفعل بها(١). ولكن تلك المبالغ كانت "فكة صغيرة" مقارنة بالاعتمادات المالية التى كانت موضوعة تحت تصرفه. بعد ذلك كشف "لورانس دونيفى – Lawrence de Neufville" عن أن "مفتاح ذلك كله كان المبالغ المالية أو الاعتمادات الأخرى النظيرة. لم يكن أحد فى الكونجرس الأمريكى يستطيع أن يقف ليقول: "انظر ماذا يفعلون بأموال دافعى الضرائب!"، فهى لم تكن أموالنا كانت منتجا فرعيا من منتجات "مشروع مارشال"(٢). فى خطوة مبتكرة فى السنوات الأولى من "مشروع مارشال" كان هناك اقتراح بأن تقوم كل دولة من الدول التى تتلقى المعونة بإيداع مبلغ يعادل المبلغ الممنوح لها من الولايات المتحدة فى بنكها المركزى كان الهدف من ذلك هو أن يؤدى الدعم المالى دورا مزدوجا بعد ذلك يسمح اتفاق مشترك بين الدولة المتلقية للمنحة والولايات المتحدة باستخدام تلك الاعتمادات معا. الجزء الأكبر من الاعتمادات (٩٥٪) يظل ملكية قانونية لحكومة الدولة، بينما تكون (٥٪) من الوديعة ملكا لحكومة الولايات المتحدة هذه "الاعتمادات النظيرة " – وكانت تقدر بمائتى مليون دولار فى السنة – كانت تحت تصرف الـ"CIA" كخزانة حرب.

فى شهر ديسمبر ١٩٥٠ كان "ريتشارد بيسل – Richard Bissell" أستاذ الاقتصاد فى جامعة "ييل" فى الثلاثينيات نائبا لمدير "مشروع مارشال" وذات يوم قام

"ويزنر – Wisner" بزيارة له فى مكتبه فى واشنطن. "بيسل – Bissell" الذى كان يعرف "ويزنر – Wisner" على المستوى الاجتماعى عن طريق مجموعة "چورچتاون" كان يصفه بأنه جزء مهم من دائرة اتخاذ القرار، وهم موظفون مدنيون كبار على أعلى مستوى فى كثير من المؤسسات الحكومية التى لنا علاقة بها". ويذكر "بيسل – Bissell" أن "ويزنر – Wisner" قال له إنه كان يريد أموالا "وطلب أن أساعده فى تمويل العمليات السرية لمكتب تنسيق السياسات "OPC" بتخصيص مبلغ بسيط من الـ "٥٪" فى حساب الاعتمادات النظيرة... ومن الصعب القول إن أحدا كان يلاحظ أن تلك الأموال كانت تساعد عمليات سرية. كانت تلك مساحة غامضة وأنا نفسى كنت مرتبكا لطلبه حيث لم يكن لدى أية معلومات، ولم يبلغنى أحد بأية عمليات سرية. كان لدى "ويزنر– Wisner" وقت لكى يزيل مخاوفى ويبدد بعض قلقى بتأكيده لى على أن "هاريمان– Harriman" قد وافق على ذلك. وعندما بدأت أضغط عليه لمعرفة وجه الإنفاق قال: إنه لا يمكن أن يخبرنى ... كنا فى "مشروع مارشال" نتعامل بشكل مباشر أو غير مباشر مع عدد كبير من المستفيدين من برنامج العمليات السرية الباكرة للـ"CIA"(٣).

كانت أموال الاعتمادات النظيرة قد استخدمت من قِبَل إدارة "هاريمان – Harriman" لمشروع مارشال بغرض تمويل التحرك المضاد لمكتب تنسيق السياسات "OPC" فى "اليوم العالمى لمقاومة الدكتاتورية والحرب" فى شهر إبريل عام ١٩٤٩، كما لعبت دورا حاسما فى الانتخابات الإيطالية فى عام ١٩٤٨. والآن كان "إيرڤينج براون – Irving Brown" يستطيع أن يضاعف أموال الرشوة الخاصة بالـ "CIA" بواسطة "بونبون" مشروع مارشال! ومن بين المشروعات السرية الكثيرة التى تم تمويلها عن طريق "براون – Brown" كانت هناك "منظمة الحرية الثقافية" فى ١٩٥١ الذى خصص لنفقاتها الإدارية ما يقرب من مائتى ألف دولار (ما يعادل مليونا ونصف المليون دولار بحساب عام ١٩٩٩) من هذا المبلغ دفعت رواتب كل من "فرانسوا بوندى –" Francois Bondy و"دينيس دو روچمو –Denis de Rougemont" و"پيير بولومى – Pierre Bolomey" (من أتباع "دو روچمو" الذى عينه صرافاً) وعدد من الموظفين الإداريين والسكرتارية. كان "بوندى – Bondy" و"دو روچمو– de Rougemont" يتسلمان راتبيهما بالدولار بتحويل من "براون – Brown" عن طريق "أميركان إكسبرس "على حساب فى Societe de Banque Suisse فى "لوزان". أما الآخرون فكانوا يتسلمون رواتبهم بالفرنك السويسرى. كان الإنفاق الشهرى على السكرتارية فقط فى ذلك الوقت حوالى خمسة د.يين فرنك، كما كان "برادن – Braden" يمول "أصدقاء الحرية – Amis de La Liberté" بمبلغ مماثل تقريبا. وكان قد

أودع مبلغ أربعين ألف مارك ألمانى فى حساب خاص فى ألمانيا لصالح مكتب المنظمة هناك لتغطية رواتب الموظفين ومصروفات المكتب. أما المكتب الإيطالى فكان يتلقى حفنة دولارات شهريا عن طريق حساب "كوديجنولا تريستا – Codignola Trista محرر جريدة "نوڤا إيطاليا – Nuova Italia" كما كان "مايكل جودوين – Michael Goodwin سكرتير الجمعية البريطانية للحرية الثقافية يحصل على إعانة قدرها ٧٠٠ دولار شهريا تودع فى حسابه فى "بنك ويستمنستر – Westminister Bank فى ضاحية "سان چيمس پارك".

وقبل أن يوفر "براون – Brown" مقرا دائما للمنظمة فى "بوليڤار هاوسمان" كان جناحه فى "فندق بالتيمور" فى "اڤينيو كليبر" بمثابة المقر الرئيسى المؤقت للمنظمة. وذات مساء ذهبت إلى هناك – دون موعد – سيدة أمريكية شابة كانت موظفة فى قسم العمال فى "مشروع مارشال" لكى تتناول مشروبا معه . اكتشفت السيدة أثناء زيارتها قائمة أسماء ومبالغ نقدية من الدولارات بجوار تليفون "براون Bron". كان "براون – Brown" قد قام ليعد الشراب لضيفته التى جاءت دون توقع. كما لاحظت أن هناك شخصا آخر غير "براون– Brown" فى الجناح. وفى النهاية، وبعد أن عجز عن إخفاء نفسه أكثر من ذلك خرج "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" من الحَمَّام، وهو يتراجع بسرعة لكى لايراه أحد. كانت "ديانا چورچ – Diana george" التى ستكون زوجة "چوسلسون – Josselson" بعد عامين ترى المنظر مضحكا... أما "چوسلسون – Josselson" فشعر بكثير من الحرج والارتباك.

هذا المنظر فى "فندق بالتيمور" كان يكشف عن الطبيعة الارتجالية لمنظمة الحرية الثقافية فى أيامها الأولى . يقول "دونيڤى – de Neufville": فى البداية كانت هناك دوافع قوية، وكنا نعمل جميعا بالطريقة التى نراها أفضل"(٤). وبالتدريج، بدأت الأمور تتناسق بعد أن وضعت الـ "CIA" آلية إدا_ية لاحتواء مثل تلك العمليات وتقدم لها التوجيه اللازم. "كانت تعقد اجتماعات كثيرة بين بعض كبار المسئولين فى المنظمة بمن فيهم "لاسكى Lasky" وآخرين، وبين المسئولين فى الـ "CIA" عن أنشطتها"(٥). كما يقول "دونالد چيمسون– Donald Jameson" خبير الشئون الروسية فى الـ"CIA"، والذى كان له علاقة بمشروع الـ"QKOPEA" فى معظم الأوقات كان هناك دائما ما بين عشرة وخمسة عشر شخصاً فى غرفة الاجتماعات، وكان يجلس ليتكلم عما ينبغى عمله ومكانه، وكان هناك دائما تبادل للآراء، ذلك هو جو العمل الذى كان يحرص عليه من كانوا ضمن فريق الـ "CIA" وأعتقد أنه كان شئيا معقولا، والحقيقة أنهم لو لم يفعلوا ذلك لانصرف الآخرون على الجانب الأخر (العاملون فى المنظمة) أو معظمهم

على الأقل، لم يكونوا حريصين على البقاء مع الوكالة لمجرد احتياجهم لأموالها"(٦).

الآخرون الجالسون على الجانب الآخر من الطاولة والذين يشير إليهم "چوسلسون – Josselson" كانوا هم "چوسلسون – Josselson"، و"نابوكوف Nab-okov" و"لاسكى– Lasky" و"بوندى – Bondy" وأحياناً "مالكولم ماچردچ – Malcolm Muggeridge" الذى كان يمد لهم خط اتصال مع الـ"IRD" (إدارة البحث الإعلامى البريطانى). كان ذلك هو الجهاز أو مجموعة العمل التى اختيرت لتلقى توجيهات إرشادات الـ "CIA" التى بالرغم من الطبيعة المتواضعة لتأثيرها إلا إنها كانت معنية بالفعل بوضع الخط السياسى التى كانت "واشنطن" تتوقع أن تتبعه المنظمة. وكما شرح "چيمسون – Jameson": كانت هناك عملية تبادل، الـ"CIA" تمرر أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وبدورهم يستمعون بانتباه إلى جماعة ذات اتصال وثيق بالتيارات الفكرية والثقافية فى أوروبا الغربية، وهذا من شأنه أن يسهل أو يعدل الوسائل والأساليب اللازمة لتحقيق تلك الأهداف.

أما "چوسلسون – Josselson" فبالرغم من كونه – وبشكل واضح – جزءا من التسلسل القيادى فى الـ "CIA" إلا أنه كان يأخذ عمله فى تمثيل مصلحة المنظمة بكل جدية. كان ذلك وضعا من الصعب أن يحتفظ به... وبدرجة جديرة بالثقة، كان "چوسلسون – Josselson" يتبع "دونيڤى – de Neufvi..." من الناحية الفنية، لكن "دونيڤى – de Neufville" لم يحاول قط أن يفرض سلطاته عليه. يقول "دونيڤى – de Neufville": كنت ألتقى و"چوسلسون – Josselson" يوميا، وإن لم يكن كل يوم فكل أسبوع، وكنت أذهب إلى "واشنطن" بأى شىء يريد تنفيذه. إذا وافقت عليه، كنت أنفذه، كنت أحاول وأقدم المساعدة اللازمة، وكنت أرى أن واجبى هو محاولة تسهيل وتطوير عمل المنظمة بالاستماع إلى أشخاص مثل "چوسلسون – Josselson" أشخاص يعرفون أكثر منى. لقد قام بعمل رائع"(٧).

وفيما بعد كان "توم برادن – Tom Braden" يقول عن "چوسلسون – Josselson" إنه "واحد من أبطال العالم المجهولين. كان يقوم بكل ذلك العمل المثير مع جميع مفكرى أوروبا الذين لم يكونوا يوافقون على شىء أكثر من إيمانهم بالحرية، وكان يجرى متنقلا من اجتماع لآخر ومن شخص لآخر ومن تجمع لآخر، يجمعهم جميعا، لكى يصنعوا كلهم شيئا ما. إنه جدير بمكان لائق فى التاريخ"(٨). وبالمثل يقول "آرثر شليزنجر Arthur Schlesinger" عن "چوسلسون – Josselson" إنه "كان شخصا غير عادى، وكان يستطيع أن يعزف على أية آلة فى الأوركسترا، بيد أنه كان هناك جانب معتم فى نزعة "چوسلسون – Josselson" البطولية. موهبته العظيمة فى

الاستماع دون أن يتكلم كان يرهقها دائما موهبة الآخرين في الكلام دون أن يستمعوا". وكما يتذكر أحد الزملاء: "كان "چوسلسون – Josselson" يضيق أحيانا بكل ذلك اللغو، وأحيانا كان يشعر بأن أولئك الناس مراؤون وتلموديون. حينذاك، كان يضع يديه على أذنيه ويقول: كفى لا أستطيع أن أستمع إلى المزيد من ذلك. فلننته منه!" "كان فظا سريع الغضب(٩). كما كان عضو آخر قريب من دائرة صنع القرار في المنظمة يرى أن"چوسلسون – "Josselson" دائما على حافة الهياج والانفجار"(١٠). "چوسلسون – Josselson" الذى كشف ذات مرة عن أن أمه كان من عادتها أن "تفتعل العواطف"، كان يبذل قصارى جهده لكى يسيطر على انفعالاته. لكنه كان يخلق "جواً ثقيلا جداً" بتجنبه للمواجهة فيصبح مشحونا بغضب صامت لا يتخلله سوى نظرات ثاقبة من عينيه السوداوين العميقتين. بعد أربعين عاما، كان "بن سوننبيرج – Ben Sonnenberg" وهو كاتب كان له علاقة قصيرة بالـ "CIA" في الخمسينيات مازال يرتعد عندما يتذكر سواد قلب "چوسلسون – Josselson" كان يقول: "مجرد ذكر اسم "مايكل چوسلسون – Michael Josselson" يرعبنى"(١١).

لم يكن "چوسلسون – Josselson" يتحمل التردد الفكرى لأنه كان يتناول العمل الذى يقوم به باهتمام شديد. ولذلك عندما أخبره "إيرڤنج براون – Irving Brown" بأن الجمعية البريطانية للحرية الثقافية كانت بلا فاعلية في مواجهة الشقاق والشجار الوحشى، وأنها لم تكن جيدة سوى في تنظيم حفلات الاستقبال، قرر "چوسلسون – Josselson" أن يفرض سلطانه على الفرع البريطانى. (كان أحد الأعضاء قد قال: إن نشاطها الرئيسى هو دعوة المثقفين البارزين على الغداء في مطاعم "سوهو" الفاخرة) وكان الفرع البريطانى الذى أنشئ في يناير ١٩٥١ قد بدأ بداية ضعيفة. تشاجر رئيسة "ستيفن سپندر – Stephen Spender" مع السكرتير الفخرى "مايكل جودوين – Michael Goodwin" وبنهاية عام ١٩٥١ كانت اللجنة التنفيذية قد أصبحت في حالة تفكك. "جودوين – Goodwin" الذى كان رئيسا لتحرير مجلة "القرن العشرون" الشهرية الشهيرة، والتى بدأ صدورها في عام ١٨٧٧ باسم "القرن التاسع عشر وما بعده"، "جودوين – Goodwin" هذا كان مصدر معلومات واتصالات حيوى بالنسبة لمكتب "باريس"، وكان المكتب قد أنقذ مجلته من التوقف في بداية عام ١٩٥١ بأن دفع ديونه لمالك المقر، ودفع تكلفة الانتقال إلى مكتب جديد في شارع " هنريتا"، وهو المكان الذى أصبح مقرا رئيسيا للجمعية البريطانية كذلك. وتبع ذلك تقديم إعانة طوارئ مرتين لمجلة القرن العشرون" كانتا في المرة الأولى ٢٠٠٠ دولار وفى الثانية ٧٠٠ دولار، لتسديد فواتير الطباعة والورق في شهر أغسطس

١٩٥١، بالإضافة إلى إعانة شهرية مقدارها ١٥٠ دولاراً لتغطية عجز المجلة الشهرى". "جودوين – Goodwin" الذى سيصبح فيما بعد- مديرا للبرامج الخاصة والدراما فى الـ "BBC" قدم إلى "چوسلسون - Josselson" منبرا فى انجلترا هو مجلته "القرن العشرون" "ليس هذا فقط، بل وكان وسيلة اتصال مفيدة له بعمليات الدعاية السرية البريطانية: كان يعمل موظفا متعاقدا مع الـ "IRD".

كان دعم "چوسلسون – Josselson" لمجلة "جودوين – Goodwin" على أساس محدد، وهو أن "القرن العشرون" سوف تكون منبرا للرد على مجلتى "نيوستيتسمان – Newstatesman"، و"نيشن – Nation". وقد أكد "جودوين – Goodwin" فى رسالة فى يناير ١٩٥٢ أن الحملة كانت تتقدم بقوة، وأن "القرن العشرون" تواصل سيلا من التعليقات النارية على موضوعات مختلفة (فى نيو ستيتسمان) تعتبر تدميرا نقديا منظماً لموقفهم، وأضاف أنه كان يستعد للهجوم على المجلة الفصلية " دراسات سوفيتية – Soviet Studies" التى تعتبر المصدر الرئيسى للحجج الستالينية فى هذا البلد(١٢).

لكن "چوسلسون – Josselson" لم يكن راضيا قط عما تفعله "القرن العشرون". وبعد ذلك قالت زوجته "ديانا – Diana" عن المجلة إنها "لم تكن المنبر المناسب، لم تكن حيوية بما يكفى"(١٣). هجوم "جودوين – Goodwin" على "نيوستيتسمان" كان هجوما جيدا ومفيدا، لكن مجلته لم تقم بما يكفى حيال المشكلات التى كان "نابوكوف Nabokov" قد أشار إليها فى خطابه بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٥١، والذى نقل فيه الاستياء الواسع للجنة التنفيذية الدولية. كتب " نابوكوف Nabokov " بحدة: "سوف يقترح عليك مستر "سپندر – Spender" وعلى مجلس تحريرك تغيرات ملحة ومهمة يتبناها ويؤكدها "إيرفنج براون Irving Brown"، و"دو روچمو – De Rougemont" وأنا تماما"(١٤). وأضاف أن تلك التغيرات لابد من أن تتم فورا وإلا سيتوقف دعم المنظمة للمجلة. وقد رد "جودوين – Goodwin" على ذلك بحدة أيضا فى ٣١ ديسمبر "لن يتحقق صالح أحد إلا إذا بقيت المجلة، وأن تبقى مستقلة.. لابد من أن يسمح لها بالاستمرار "دون أية قيود"(١٥).

وسارت الأمور من سيئ إلى أسوأ بالنسبة لـ "جودوين – Goodwin". فى يناير ١٩٥٢ كان "سپندر – Spender" فى خضم ما يبدو أنه انقلاب ليحل محل "جودوين – Goodwin" كسكرتير للجمعية البريطانية. وأرسل إليه خطابا مقتضبا يبلغه بالاستغناء عن خدماته. كان "سپندر – Spender" نفسه قد استقال احتجاجا واستياء قبل ذلك بأسابيع قليلة هو و "وودرو ويات – Woodrow Wyatt" و"چوليان

أميرى- Julian Amery، وأبلغ نابوكوف Nabokov" أنه قادم إلى "باريس" لشرح أسباب ذلك. وهناك استطاع أن يقنع المسئولين فى المنظمة بأن الفرع البريطانى لن يمكنه أن يعمل بكفاءة تحت إدارة "جودوين – Goodwin"، وحصل على خطاب الاستغناء عنه وهو الخطاب الذى أرسله إليه. كان "جودوين – Goodwin" بدوره يلوم "سبندر – Spender" على استقالة "ويات – Wyatt" وكان يحث "نابوكوف Nabokov" على أن يجعل "سبندر – Spender" يلزم حدوده" لكن "جودوين – Goodwin" كان لا يزال مجبرا على الاستقالة. عاد "سبندر – Spender" إلى اللجنة التنفيذية التى كانت قد أصبحت منذ ذلك الوقت تحت سيطرة "مالكولم ما جردج – Malcolm Muggeridge" و"فردريك واربورج – Fredric Warburg" مع "توسكوفيڤل – Tosco Fyvel" فى ذيلهما. أبدى "سبندر – Spender"، كشخص ردىء تصميما عنيدا على الاستفادة من هذا الموقف(١٦). كان "دبليو. اتش. أودن – W.H.Auden" يصفه بأنه أحد بلهاء "دوستويڤكسى – Dostoevsky" وبأنه محاكاة ساخرة لـ "پارسيفال – Parsifal"، كما كان "إيشروود – Isherwood" يراه شخصية هزلية جداً، يعبر عن الجد من خلال الهزل، بينما كان يجده آخرون شخصية محيرة "لا يوجد فى عقله شىء محدد" بتعبير "ڤرچينيا وولف – Virginia Woolf"، وفى حياة مليئة بالتناقض والغموض، أصبح "سبندر – Spender" موهوبا فى الانسحاب والتخفى وراء تلك الهالات المريبة.

كانت استقالة "جودوين – Goodwin" ضربة لـ "چوسلسون – Josselson" حيث فقد بذلك وسيلة اتصال مباشر مع الـ "IRD" إدارة البحث الإعلامى" لكن الـ"IRD" عوضت ذلك النقص بزرع رجلهم "چون كلوز – John Clews" فى الجمعية البريطانية لكى يكون سكرتيرها العام. وسرعان ما أصبح "كلوز – Clews" يستخدم موقعه كنقطة توزيع لمواد الـ"IRD"، وكتب إلى "نبوكوف Nabokov" فى يونيو ١٩٥٢ يخبره قائلا: "قد تكلمت طويلا مع "هانا آرنت – Hannah Arendt" وقدمتها إلى واحد أو اثنين من خبراء مكتب الشئون الخارجية، وعلى ضوء ذلك أقوم بإمدادها بمواد كثيرة تحتاجها من أجل كتابها القادم .. إذا كان لديك علم عن أشخاص آخرين سيأتون إلى هنا ويرغبون فى إجراء اتصالات مماثلة لتلك التى أجرتها "هانا آرنت Hannah Arendt" .. أرجو أن تخبرنى وسوف أقوم بترتيب ذلك"(١٧). كان "كلوز – Clews" يرسل مادة لـ "چوسلسون – Josselson" كذلك يذكره (كما لو كان فى حاجة لذلك) بأن الوثائق يمكن أن تستخدم دون قيود، "لكن دون الإفصاح عن مصدرها".

وبتعيين "كلوز – Clews" كان يبدو أن مشاكل الجمعية البريطانية قد حُلَّت مؤقتًا. "توسكوفيڤل – Tosco Fyvel" رئيس تحرير "تريبيون – Tribune"، وأحد الأعضاء المهمين فى لجنة التسيير الخاصة بالمنظمة، وافق على أن "يكتب تقرير مراقبة مختصر عن الترتيبات فى لندن"، لكن "چوسلسون – Josselson" كان لا يزال غير راضٍ تماما. كانت الانتقادات العلنية للمنظمة والتى أطلقها "هيو تريڤور – روپر – Hugh Trevor - Roper" بعد إعلانها فى "برلين" قد تركت ظلالا من الشك، وكان كثيرون من المثقفين البريطانيين مترددين فى أن ترتبط أسماؤهم بمنظمة يُعتَقد أن أصولها غامضة. المشكلة هى أن كثيرين كانوا يرون يد الحكومة الأمريكية وهى "تمتد إلى فطيرتهم". يقول أحد موظفى الجمعية البريطانية للحرية الثقافية : " كنا نمزح ونحن نتكلم عن ذلك. نأخذ أصدقاءنا للغداء وعندما يحاولون أن يدفعوا الحساب نقول لا ...لا ...لا! دافعو الضرائب الأمريكيون سيدفعون!"(١٨) إلا أن كثيرين كان لابد من أن يقتنعوا بأن مثل تلك المداهنات... أمر مرغوب فيه.

(٨)

ذلك المهرجان الأمريكى

يا لهذا الإنفاق المسرف من إيزنهاور!!

"اليزابيث بيشوب"

فى أوائل عام ١٩٥١، أرسل "نابوكوف Nabok" مذكرة سرية إلى "إيرفنج براون – Irving Brown" وبها خطة موجزة لمهرجان فنى كبير وبأسلوب ركيك، (لم يكن "نابوكوف Nabokov" يستطيع أن يكتب إنجليزية جميلة أو صحيحة مثل "جوسلسون – Josselson") شرح له أن الهدف هو تحقيق: "أول تعاون وثيق بين المؤسسات الفنية الأمريكية الرفيعة فى أوروبا والمؤسسات الأوروبية، وكذلك مؤسسات الإنتاج الأمريكية والمؤسسات الأوروبية، وأن يكون التعاون على نفس المستوى." من هنا سيكون لها أثر مفيد على الحياة الثقافية فى العالم الحر، بإبراز التضامن الثقافى والتعاون المتبادل بين الحضارتين الأمريكية والأوروبية، وفى حال نجاحه فسوف يساعد على تحطيم الأسطورة الأوروبية الخبيثة (التى نجح الستالينيون فى صنعها) عن ضآلة ونقص الثقافة الأمريكية. ولسوف يكون ذلك تحديا من ثقافة العالم الحر للاثقافة العالم الشيوعى، ومصدر دعم و"تقويم معنوى": للمثقفين الفرنسيين بخاصة، لأنه سوف يعطى معنى وهدفا مرة أخرى للحياة الثقافية المفككة والمشوشة فى فرنسا ومعظم أوروبا"(١)(*).

كان "براون – Brown" مترددا فى الإستجابة للفكرة، كما كان "جوسلسون – Josselson" و"دونيفى de Neufville" و"لا سكى – Lasky"كذلك، ولذا كان على "نابوكوف – Nabokov" أن يحشد كل وسائل الإقناع للحصول على الموافقة وعلى مبالغ مالية كبيرة من أجل تحقيق هذا "المهرجان –الحلم". كان "لاسكى – Lasky" لا يستريح أبداً لـ "نابوكوف Nabokov" الذى كان يصفه بازدراء بأنه "دلوعة الثورة" و"إن أشخاصا مثل "نيكى – Nicky" كانوا دائما مفتونين بالألعاب النارية، وحفيف الملابس الحريرية والبهرجة". أما "لاسكى – Lasky" مفكر "سيتى كولدج" فكان هو الآخر لا يستريح لمظاهر البوهيمية الأرستقراطية التى كانت تبدو

(*) لاحظ الصياغة الضعيفة وهى هكذا فى الأصل الإنجليزى؛ وذلك لإثبات أن إنجليزية "نابوكوف"، كانت ركيكة (المترجم).

على "نابوكوف Nabokov". إلا أنه كان عليه فى النهاية أن يوافق على فكرة "نابوكوف Nabokov" لتقديم احتفالية مبهرة بغرض اكتد اب جمهور أوسع، ولإثبات أنك لست مثقفاً متجهماً يضع على عينيه نظارة طبية بينما أنفه غاطس فى مذود الأيديولوچيا، ينبغى أن تثبت أنك شخص محب للحياة والمرح وهذه الفكرة يمكن أن تحقق نتائج إيجابية"(٢).

أما فى الـ "IOD" فكان "توم برادن – Tom Braden" متحمسا للفكرة. زعم "نابوكوف Nabokov" أن "الجدل الأيديولوچى عن صحة ومعنى ثقافتنا لا يمكن أن يساوى منتجات هذه الثقافة نفسها"(٣). وقد وجد ذلك هوى فى نفس "برادن – Braden" الذى كان قد شاهد مسرحية قبل وقت قصير فى "وارسو" تحت رعاية وزارة الخارجية، ووجدها "رديئة" مثل معظم ما لديهم من مواد. لن يكون ذلك مؤثرا، ولن يترك انطباعا جيداً لدى الناس فى "ووترلو" أو "مينيسوتا" ناهيك عن "پاريس". ومعنى ذلك أن وزارة الخارجية لا تعرف "الألف من كوز الذرة" فى هذه الأمور. لم يعرفوا كيف يستخدمون ما فى يدهم، كل ما يقومون به هى أشياء من الدرجة الثانية أو الثالثة"(٤). وهكذا كان هناك مبرر لاتهام كل المبادرات الثقافية لوزارة الخارجية بالقصور باستثناءات قليلة مثل عروض "فرا ــ لويد رايت – Frnk Lloyd Wright" التى طافت بأوروبا فى ١٩٥١-١٩٥٢، "فمن ذا الذى سيتأثر بأعمال فى ڤاترينات تحتفى بأساليب الحياة الأمريكية، وتتضمن عروضا عن صناعة الصابون فى الولايات المتحدة"؟!. وهل كانت البساطة والسحر فى أداء فرقة "سميث كولدچ تشامبر سنجرز" بمظهرهم المبهج وملابسهم البيضاء كافية لإقناع الجمهور الفرنسى بأن مركز الثقافة قد انتقل إلى أمريكا؟(٥)، كما تساءل "توم برادن – Tom Braden" ومن سيذهب لمشاهدة معرض صور عن أمجاد أمريكا؟" لقد رفضت ذلك وأعتبرته هراءاً. إذا كنتم تريدون عملا فليكن تقديم أفضل ما لديكم. أنا و"آل – AL" (آلان دالاس) كنا نعرف أكثر من الجميع. قد يبدو ذلك غروراً، لكننا كنا نرى ذلك. كنا نعرف. كانت لدينا فكرة عن الفن والموسيقا. أما الدولة فلم تكن تعرف شيئا"(٦).

كما كتب "بردان – Braden" مقالا قصيرا فى "نيويورك تيمز" ينتقد فيه إهمال أمريكا الغبى لأهمية "الهجوم الثقافى" ويشير إلى أن الاتحاد السوڤيتى قد أنفق على الدعاية الثقافية فى فرنسا وحدها أكثر مما أنفقته أمريكا عليها فى العالم كله. كانت أمريكا فى حاجة إلى شىء كبير، ملفت، تدخل به رسميا إلى ساحة الصراع الثقافى. وكانت فكرة "نابوكوف تعد بذلك. وبنهاية شهر إبريل كان "بردان – Braden" قد حصل على الموافقة على المهرجان من لجنة قامت بدراسة المشروع فى الـ "CIA".

وفى ١٥ مايو ١٩٥١ أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة الحرية الثقافية تعليمات لـ"نابوكوف" بصفته رئيسا للسكرتارية الدولية بأن يمضى بالفكرة نحو التنفيذ. وعلى الفور استطاع "نابوكوف Nabokov "أن يدبر لنفسه تذكرة طائرة بالدرجة الأولى إلى الولايات المتحدة مع توقف فى "هوليود" أولاً لمقابلة صديقه القديم "إيجور سترافنسكى – Igor Stravinsky". كان "سترافنسكى – Stravinsky" مثل "شوينبيرج– Schoen-berg" و"توماس مان – Thomas Mann" و"برتولد برخت – (Bertolt Brecht"لبعض الوقت)، أحد آلهة الثقافة الرفيعة الذين جاءوا من أوروبا ليعيشوا متخفين تقريبا بين أشجار الليمون وأبناء الشواطئ ومعمار الـ "نيوبوهاوس Neo Bauhaus"والهمبرجر اللذيذ فى كاليفورنيا الجنوبية"(٧). وسط كل هذه المعالم المحيطة والمتنافرة استقبل "سترافنسكى – Stravinsky" صديقه الروسى الأبيض ووعده بحضور المهرجان. بقى "نابوكوف Nabokov" فترة طويلة فى "تنزل تاون– Tinsel town" ليلتقى و"چوسيه فيرير– Jose Ferrer" الذى أعجب بفكرة "نابوكوف– Nabokov" لدرجة أنه كتب إليه لكى يعود مرة أخرى إلى "هوليود"... حيث توجد أموال كثيرة لدعم الصندوق، وإشار إلى أنه (فيرير– Ferrer) سوف يبذل كل ما فى وسعه من أجل المساعدة فى ذلك.

وبعد جولة واسعة فى أمريكا عاد "نابوكوف Nabokov" إلى أوروبا بعدد من العقود والوعود من كثيرين بحضور المؤتمر الذى تحدد موعده ليكون فى شهر آبريل ١٩٥٢. ومن بين الذين كان حضورهم أو المشاركة بأعمال لهم ضمن برنامج "نابوكوف Nabokov" إيجور سترافنسكى – Igor Stravinsky" و"ليونتين پرايس– Le-ontyne Price"، و"آرون كوپلاند– Aron Copland"، و"صموئيل باربر– Samuel Bar-ber" و"پاليه مدينة نيويورك"، و"أوركسترا بوسطن السيمفونى"، و"متحف الفن الحديث" فى نيويورك، و"چيمس ت. فاريل– James T. Farrell" و"دبليو. اتش. أودن– W. H. Auden" و"جيرترود ستاين– Gertrude Stein" و"ڤيرچيل طومسون – Virgil Thomson" و"ألن تيت – Allen Taté" و"جلينواى ويستكوت – Glenway Westcott".

وبعد أن عاد "نابوكوف Nabokov" إلى أوروبا كان بوسعه أن يعلن أن برنامجه يضم أيضا: "چان كوكتو – Jean Cacteau" و"كلود ديبوسى – Claude Debussy" و"وليم والتون William Walton" و"لورانس أوليڤييه – Laurence Olivier" و"بنيامين بريتين – Benjamin Britten" و"أوپرا ڤيينا"، و"أوپرا كوڤنت جاردن"، و"فرقة بالانشين الاستعراضية"، و"شيسلاڤ ميلوش – Czeslaw Milosz"، و"إجنازيو سيلونى – Ignazio Silone"، و"دينيس دو روچمو – Denis de Rougemont"، و"أندريه مالرو – André Malraux"، و"سلڤادور دو مادارياچا – Salvador de Madariaga"، و"چيدو پيوڤينى – Guido Piovene". لم يكن غريبا أن يكون قسم الموسيقى هو صاحب الحظ

الأوفر فى النشاط والمشاركة لأن "نابوكوف Nabokov" نفسه كان موسيقيا، هنا كان "نابوكوف Nabokov" يريد أن يواجه الستالينية فى الفن بموسيقى أمام موسيقى، وكان اقتراحه يقضى بألا يكون المغزى السياسى والثقافى والمعنوى للمهرجان مكشوفا أو واضحا للعيان، بل لابد من أن تكون الفرصة متروكة أمام الجمهور لكى يصل إلى استنتاجاته المنطقية الحتمية. ومن الناحية العملية فإن كل الأعمال التى سيتم تقديمها تنتمى إلى ذلك الذى يوصف من قبل الستالينيين ومتذوقى الموسيقا السوفيت بأنه شكلانى ومتفسخ وفاسد: بما فى ذلك أعمال الموسيقيين الروس "بروكوفييف – Prokofiev" و"شوستاكوفيتش – Schostakovich" و"سكريابين – Scriabine" و"ستراڤنسكى – Stravinsky"(٩) والمشهد الذى حدث فى "والدورف" حيث تحدى "نابوكوف Nabokov" الموسيقار "شوستاكوفيتش – Schostakovich" لكى يشجب ويدين هجوم واعتداء الستالينية على الموسيقى، كان من المقرر أن يصل إلى أبعد مدى له.

كانت خطط "نابوكوف Nabokov" المتسمة بالمبالغة والحماقة تمثل أول تحد جاد أمام آلة الدعاية الثقافية الجديدة للمخابرات المركزية "CIA" وكانت المهارات التنظيمية لـ"IRD" (إدارة البحث الإعلامى) وقدرتها على جمع التبرعات والإعانات تحت رئاسة "برادن – Braden" محل اختبار عملى. تم فتح حساب لصالح المهرجان فى "نيويورك" بحيث تكون اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية، هى مَغْسَلَة "أموال المخابرات المركزية "CIA" ووزارة الخارجية، كانت الأموال تمر عن طريق "فارفيلد فونديشن – Farfield Foundation" كواجهة وهمية أو "ممر" أنشأته الـ "CIA" لكى تتولى عملية السيولة النقدية اللازمة للمهرجان، ولكنها أصبحت فى النهاية قناة التوصيل الرئيسية لإعانات الـ "CIA" لمنظمة الحرية الثقافية بسبب صلاحيتها لذلك، أما الدعم المالى للجانب البريطانى من المهرجان فقد تم تدبيره بعد مفاوضات مع الـ "IRD" و"وودرو ويات – Woodrow Wyatt" الذى وعد، كصديق شخصى لوزير الخزانة مستر "جيتسكل – Gaitskell" بتوفير الأموال الإضافية.

كانت إدارة البحث الإعلامى "IRD" برئاسة "برادن – Braden" مسئولة أيضا وبشكل مباشر عن التفاوض مع "أوركسترا بوسطن السمفونى". وكان "نابوكوف- Nabokov" قد حصل على موافقة واهتمام صديقه القديم "تشارلز مانش – Charles Munch" المدير الفنى للأوركسترا. بيد أنه كانت هناك بعض المشكلات. كانت نفقات سفر الأوركسترا وحدها "ضخمة" كما يقول "نابوكوف Nabokov"، كما أن المهرجان واجه صعوبة لأنه يجىء فى موسم الاحتفالات الموسيقية الشعبية المربح، وكان ذلك

معناه أن يخسر الأوركسترا الكثير بسفره إلى أوروبا، لكن "برادن - "Braden لم يكن على استعداد لأن يخسر ما كان يعتبر أفضل أوركسترا فى أمريكا. ولذلك لجأ إلى "تشارلز دوجلاس جاكسون "Charles Douglas Jackson أحد قيادات الحرب الباردة المتحمسين، وكان قد ترك " تايم - لايف " ليعمل فى حملة "إيزنهاور - -Eisen hower" الانتخابية، كان "سى. دى- "C.D" (اسم الشهرة لتشارلز دوجلاس جاكسون) أيضا هو أحد أمناء "أوركسترا بوسطن السيمفونى". ولذلك قام هو و"جوليوس فليشمان - Julius Fleischmann" رئيس "فارفيلد فونديشن" الوهمية والذى كان يعتبر الممول الداعم للمهرجان، قاما بتوجيه الدعوة للأوركسترا رسميا للمشاركة فى المهرجان. كانا يعملان بشكل رسمى من أجل "منظمة الحرية الثقافية"، ويمثلان بشكل غير رسمى الـ "CIA" التى كانت قد أودعت بالفعل مبلغ ١٣٠٠٠٠ دولار لحساب تكاليف جولة الأوركسترا. (سجلت على أنها تبرعات من أفراد وجمعيات). هكذا كان الأوركسترا قد أصبح مُؤَمَّنا من الناحية المادية.

وفى الأول من أبريل ١٩٥٢ افتتح "أوركسترا بوسطن السيمفونى" مهرجان "روائع القرن العشرين - Oeuvre de Vingtieme Sieclé" فى "باريس" بتقديم "طقس الربيع - "The Rite of Spring بقيادة "بيير مونتى - Pierre Monteux" وهو نفس "المايسترو" الذى كان يقوده قبل تسعة وثلاثين عاماً، كان حدثا رائعا. "سترافنسكى - Stravinsky" جالس بين الرئيس الفرنسى "فانسان أوريول- "Vincent Auriol و"مدام أوريول" وعلى مدى شهر كامل كانت منظمة الحرية الثقافية تمطر "باريس" بمئات السيمفونيات والحفلات الموسيقية والأوبرا والباليه من أعمال أكثر من سبعين موسيقيا من القرن العشرين. كانت هناك حفلات لتسع فرق أوركسترا من بينها "أوركسترا بوسطن السيمفونى" و "أوركسترا فيينا الفيلهارمونى" و"أوركسترا رياس - "Rias من برلين الغربية (المدعوم بإعانات مشروع مارشال)، و"أوركسترا سويس روماندى" من جنيف، و"أوركسترا سانتا سيسيليا" من روما، و"أوركسترا ناسيونال راديو فيوزيو" الفرنسى. وفوق ذلك كله، كان هناك المؤلفون الكبار الذين كان "هتلر - Hitler" أو "ستالين - Stalin" قد أبعدوهم (مثل: "البان بيرج - "Alban Bergالذى نال شرف الحظر من كليهما). كما شهدت الحفلات تقديما لأعمال موسيقيين مثل "آرنولد شوينبيرج " Arnold Schoenberg النمسوى المولد ، والذى كان قد طُرد من ألمانيا فى سنة ١٩٣٣ لأنه يهودى ولأنه مؤلف "موسيقا متفسخة". وكان نقاد الموسيقا الروس يصفونها: "بأنها ضد الفن وضد الهارمونى وفوضوية وتافهة"، كما قُدِّمت أعمال لـ "پول هنديمث - Paul Hindemith"، وهو لاجئ آخر من ألمانيا النازية، كان الستالينيون يهزؤون به ويحتقرونه لأنه "أسس مدرسة رديئة فى الموسيقا، تخرج فيها

كثيرون من دعاة الحداثة الزائفة فى أوروبا وأمريكا" وقدمت أيضا أعمالاً من تأليف: "كلود دى باسى - Claude Debussy" الذى كانت "مجلة الموسيقى السوفيتية - Sovietskaya Muzyka" تقول عنه "تحت شجرة التعبيرية التى غرسها، استطاعت زهور شر الحداثة أن تنمو".

كما تم اختيار أعمال للتعبير عن "الجهد الإبداعى لهذا القرن الذى نعيش فيه" من تأليف: "صمويل باربر - Samuel Barber"، و"وليم والتون - William Walton" و"جوستاف ماهلر - Gustav Mahler" و"إريك ساتيه - Erik Satie" و"بيلا بارتوك - Béla Bartok" و"هيتور ڤيلا - لوبوس - Heitor Villa- Lobos" و"ڤيتوريو ريتى - Vittorio Reiti" و"چيتان فرانكو ماليبييرو - Gianfranco Malipiero" و"چورچ أوريك - Georges Auric" (وكانت مجلة الموسيقى السوفيتية" قد وصفتهما بأنهما من الخدم الأذلاء الذين يدغدغون أذواق البرجوازية فى المدينة الرأسمالية) و"آرثر هونجر - Arthur Honegger"، و"چان فرانسيز - Jean Francaix" و"هنرى سوجيت - Henry Sauguet" و"فرانسيس پولينك - Francis Poulenc" و"آرون كوبلاند - Aron Copland" الذى كان ضمن قائمة تضم عالمى النفس "فرويد - Freud" و"بورنيج - Borneigg"، والفيلسوف "برجسون - Bergson" و"قطاع الطرق": "ريمون مورتيمر - Raymond Mortimer" و"برتراند راسل - Bertrand Russell" باعتبارهم مرجعيات زائفة لا ينبغى أن يشير إليها الموسيقيون والنقاد السوفيت". أما "ستراڤنسكى - Stravinsky" الذى كان قد فر من پاريس فى ١٩٣٩ فقام بقيادة الأوركسترا لعزف عمله "أوديب ملكا" الذى قام "چان كوكتو - Jean Cocteau" بتصميم مناظره وإخراجه. (كانت اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية قد تقدمت بطلب فى اللحظة الأخيرة لحذف اسم "كوكتو- Cocteau" من برنامج المهرجان بإرسال برقية إلى "نابوكوف" فى ٩ إبريل ١٩٥٢ تقول إنه قد نما لعلمهم أن "كوكتو- Cocteau" قد وَقّع على "البيان الشيوعى" الذى يحتج على إعدام الجواسيس السوفيت فى اليونان. ومما لا شك فيه أن وراء هذا البيان دافع شيوعى، ولذا فإن التوجه هنا هو أن اسم "كوكتو- Cocteau" لابد من أن يحذف من برنامج المهرجان". ولكن ذلك لم يحدث).

تحملت وزارة الخارجية تكلفة الإعداد الذى قام به "ڤيرچيل طومسون - Virgil Thomson" لمسرحية "جيرترود شتاين - Gertrude Stein" أربع قديسات فى ثلاثة فصول" والتى قامت ببطولتها "ليونتين پرايس - Leontyne Price". كان "نابوكوف Nabokov" يتباهى - فيما بعد- أمام "آرثر شليزنجر - Arthur Schlesinger": أنا

الذى أعطيتها الفرصة، ولذلك كانت دائما على استعداد لأن تقوم بأشياء أطلبها منها، لا يمكن أن تقوم بها لأى شخص آخر". والغريب أن "إليزابيث - "Elizabeth شقيقة "فرانك ويزنر - "Frank Wisner كانت تزعم أيضا أنها هى التى اكتشفت " پرايس - "Price وتبنتها، وكانت "پرايس - "Price تقول إنها "الشقيقة الشوكولاته"لآل ويزنر". كانت "پرايس - "Price واحدة من أعظم مطربات "السوپرانو" فى زمانها مع ميزة إضافية - لكفلائها على الأقل- وهى أنها سوداء. فى ١٥ نوفمبر ١٩٥١ كتب "ألبرت دونللى الابن - "Albert Donnelly Jr، والذى ظهر فجأة فى اللجنة الأمريكية كسكرتير للمهرجان (واختفى بمجرد انتهائه)، كتب إلى "چوليوس فليشمان - "Julius Fleish-man يتردد هنا بين الأصدقاء المهتمين اسم مغنية زنجية هى "ليونتين پرايس - "Leontyne Price، وكانت على ما أظن من معارف "مستر نابوكوف"Mr. Nabokov" وتحت جناحه دائما ويقال إنها ممتازة. فهل بالإمكان استطلاع رأى "مستر نابوكوف - "Mr. Nabokov فى أن تقوم ببطولة "أربع قديسات؟" لم أناقش ذلك مع "فيرچيل طومسون - "Virgil Thomson بعد. وهناك شعور أيضا، وربما للسبب نفسه، بأهمية أن يكون الفريق كله فى "أربع قديسات" من الزنوج الأمريكيين: وذلك بغرض التصدى لدعاية التفرقة العنصرية والقمع العرقى ولدحض كل الانتقادات التى تقول بأننا نستخدم زنوجا آخرين؛ لأننا لا نسمح بخروج الزنوج الأمريكيين(٩).

وكان أمين معرض الفن والنحت هو "چيمس چونسون سوينى- James John-son Sweeney" الناقد الفنى والمدير السابق لمتحف الفن الحديث فى "نيويورك"، والذى تم التعاقد معه (المتحف) لتنظيم المعرض فى أوروبا. اختيرت أعمال لـ "ماتيس - "Matisse و"ديرا - "Derain و"سيزان - "Cezanne و"سيورا - "Seurat و"شاجال - "Chagall و"كاندينسكى - "Kandinsky وغيرهم من أساطين الحداثة فى الفن فى أوائل القرن العشرين، كانت الأعمال المختارة من بين المجموعات الأمريكية، وتم شحنها إلى أوروبا فى ١٨ أبريل على ظهر سفينة أطلق عليها اسم "ليبرتى - SS"، ولم يجد بيان " سوينى - "Sweeney الصحفى أى حرج فى الإفصاح عن القيمة الدعائية للمعرض: حيث إن الأعمال كانت قد أنجزت، "فى بلاد كثيرة تحت ظروف العالم الحر"، "وهى تعبر بذاتها، عن رغبة الفنانين المعاصرين فى الحياة والعمل فى أجواء الحرية. وسوف تعرض أعمال، ما كان بالإمكان إنجازها أو حتى عرضها فى ظل أنظمة شمولية مثل ألمانيا النازية ولا فى روسيا السوفيتية الحالية، ولا فى الدول التابعة. وقد كان الكثير من الأعمال الفنية التى سوف تعرض يوصف من قبل تلك الحكومات بأنه "متفسخ" أو "برجوازى"(١٠) وبالرغم من أن المعروضات كانت كلها روائع أوروبية، إلا أن عرضها باعتبارها من مقتنيات مواطنين أمريكيين، ومتاحف

أمريكية، كان يقدم رسالة واضحة أخرى: وهى أن "الحداثة" مدينة ببقائها وبمستقبلها لأمريكا. حقق المعرض الفنى نجاحا جماهيريا ساحقا (بالرغم من انتقادات "هربرت ريد – Herbert Reed" له بأنه معرض استعادي فى معظمه ويقدم فن القرن العشرين كأمر واقع وكمرحلة مغلقة)، واجتذب جمهوراً واسعا لم يسبق له مثيل منذ الحرب، كما قال "الفرد بار – Alfred Barr" مدير "متحف الفن الحديث".

كان المليونير "جوليوس فليشمان – Julius Fleishmann" الشهير ببخله الشديد هو الذى يقدم الأموال للـ "CIA" ويحظى بالتقدير لذلك العمل. وكان اسهامه بسبعة آلاف دولار هو الذى مكن من نقل معرض الفنون إلى قاعة "تيت – Tate"، واستحق شكر مجلس الفنون البريطانى الذى قال إنه كان "نجاحا عظيما"... كما اجتذب المعرض أكثر من ٢٥٠٠٠زائر، واحتفت به الصحافة أيما احتفاء.

أما المناقشات الأدبية فكانت مسألة مختلطة. ظهر على المنصة كل من "ألن تيت – Allen Tate" و"روجر كايلوا – Rojer Caillois" و"إيوجينيو مونتالى – Eugenio Montale" و"جيدو پيوڤينى – Guido Piovene" و"چيمس ت. فاريل – James T. Far-rell" و"جلينواى وستكوت – Glenway Westcott" و"وليم فوكنر William Faulkner" و"دبليو. اتش. أودن –W.H.Auden" و"شيسلاف ميلوشى – Czeslaw Milosz" و"إجنازيو سيلونى – Ignazio Silone" و"دينيس دوروچمو – Denis de Rougemont" و"أندريه مالرو –André Malraux" و"سلڤادور دو مادارياچا –Salvador de Madaria-ga" و"ستيفن سپندر– Stephen Spender". كان رد فعل الصحافة فاترا، حيث لاحظ النقاد تباينا بين مستوى كتاب الصف الأول، والكتاب متوسطى المستوى. وكانت الأحاديث الطويلة الملتوية مضجرة ومملة. يقول صحفى من "كاريفور – Carrefour") وهو متعاطف ومنتم لليسار ومعادٍ للستالينية) إنه عندما استمع إلى "ستيفن سپندر– Stephen Spender" لم يلحظ سوى ملامح وجهه الأحمر كالقرميد" و"كتلة من الشعر الكث تشير إلى اللانهاية"، أما "دينيس دوروچمو – Denis de Rougemont" فكان الرأى هو أنه "الأفضل بفارق كبير.. فهو يقظ، واضح، يعرض مشكلة الكاتب فى المجتمع بمهارة"، لكن "جيدو پيوڤينى – Guido Piovene" ألقى خطابا متشنجا متصلبا مثل ياقة قميصه المتخشبة.. من الصعب فهمه.. وفجأة تجد نفسك منصرفا عن الاستماع إليه.. وعند الباب أخبرنى صحفى إيطالى بأنه قد غادر المكان ضجرا.. "فالمؤلفون عليهم أن يكتبوا" و"شعرت بأن ذلك كان صحيحا جداً"(١١). وناقد آخر كان يأسف لغياب "البيركامو – Albert Camus" و"چان – پول سارتر –Jean-Paul Sar-tre" ويشير إلى أن المفكرين الفرنسيين الذين حضروا (مثل "ريمون آرون –

"Raymond Aron" و"أندريه مالرو – André Malraux" و"رينيه تاڤيرنييه – René Ta-vernier" و"چولز مونريه – Jules Monneret" و"روچر نميير – Roger Nimier"، و"كلود مورياك – Claude Mauriac"، و"چان أمروش– Jean Amrouche"... كلهم كانوا يحملون الأفكار السياسية ذاتها مما يعنى أن الآخرين الذين يستمعون إليهم سوف يكوِّنون فكرة زائفة عن "مفاهيمنا الفنية والأخلاقية".

"سارتر – Sartre" رفض أن يحضر المهرجان معلقا بطريقة جافة بأنه "ليس معاديا للشيوعية إلى ذلك الحد"، ولو أنه كان هناك لغادر المكان مثل بطل مسرحيته "الغثيان".. لأنه وحيد وسط كل تلك الأصوات السعيدة والمعقولة. كل تلك الشخصيات التى تمضى الوقت للتعبير عن نفسها، وهم يدركون بسعادة بالغة أن لهم نفس الآراء". وفى كتابها المهم "المثقفون The Mandarins roman a clef": وصفت "سيمون دو بوڤوار– Simone de Beauvoir": السأم" نفسه، الوجوه نفسها دائما، الأشياء المحيطة بنا نفسها، الأحاديث نفسها، المشكلات نفسها، كلما تغيرت كررت نفسها. وفى النهاية تشعر بأنك تموت حيا".

فى البداية، كان هناك "الإله الذى فشل"، والآن يبدو أن ذلك الحشد كان قد وجد إلها أخر لم يفشل: إله معاداة الشيوعية. من المؤكد أن "النوع" الذى كان يقدمه "سارتر– Sartre" من الوجودية الأنانية وغير الجماعية لن يفيد أولئك فى شىء. كانوا يتصورون ثقافة تقدمية تلقى قبولا تاما. ويفترضون مسبقا علاقة إيجابية بين المثقف وذلك القسم من المجتمع– السياسى و "الخاص" الذى يدعمه. كان "سارتر– Sartre" هو العدو، ليس بسبب موقفه من الشيوعية، وإنما لأنه كان يبشر بأفكار (أو لعلها أفكار مضادة) للفردية، والتى كانت فى تعارض مع أفكار مجتمع "الأسرة الإنسانية" الفيدرالية التى كانت أمريكا تنميها من خلال مؤسسات ومنظمات مثل "مؤتمر الحرية الثقافية" (وبالمناسبة... فإن الاتحاد السوڤيتى كان يرى أن أفكار "سارتر– Sartre" ليست مناسبة أيضا وليست متجانسة، كما كان يصف الوجودية بأنها "تلفيق عفن يصيب بالغثيان")

كان الأمريكيون سعداء لوجودهم فى "باريس". "اليزابيث هاردوك – Eliza-beth Hardwick" و"روبرت لويل – Robert Lowell" اللذان كانا فى أوروبا لم يستطيعا مقاومة "إغراء" الذهاب إلى المهرجان، وقالا "إن الجميع هناك كانوا يستمتعون"بقضاء وقت رائع". چانيت فلانر– Janet Flanner" التى كانت تكتب باسم "جينيه– Genet" لمجلة "نيويوركر– The New Yorker" خصصت كل كتاباتها فى شهر مايو بعنوان "رسالة باريس" عن المهرجان. كتبت: "لقد سفح المهرجان جالونات من

حبر الصحافة المغرضة، وأضاع جهدا كبيرا فى الجدل الفرنسى الأمريكى ولكنه قدم بوجه عام متعة كبيرة للعين والأذن لدرجة أننا يمكن أن نقول عنه - إعجابا - إنه كان فشلا شعبيا ذريعا"(١٢). ومثل غيرها من المراقبين، وجدت اللقاءات الأدبية كلها "مملة". أما "وليم فوكنر - William Faulkner" فقد تمتم بعبارات جوفاء غير مترابطة، ولم يجد شيئا ذا معنى يقوله عن "الموضوعات العبثية " التى حددتها لجنة المؤتمر مثل: "العزلة والاتصال" أو "التمرد والمجتمع". كان الفرنسى الوحيد "الذى يتمتع بصفة أدبية ما " والذى وافق على الحضور هو "أندريه مالرو - André Malraux" المساعد السياسى للجنرال "ديجول" - الذى لم يجد ما يقوله سوى أن "أمريكا الآن جزء من أوروبا"(١٣).

هذا "المهرجان الأمريكى" أصبح حديث موائد العشاء فى فرنسا. "كومبات - Combat" وهى جريدة يومية لليسار غير الشيوعى نشرت سلسلة مقالات كتبها "جى دومير- Guy Dumur"، انتهت إلى أن "تلك الاحتفالات الثقافية كانت مرتبطة بشكل مرتبك بتوقيع الاتفاق بين جيش أوروبى وتقرير "الأدميرال فيشتلر - Admiral "Fech-teler (إشارة إلى تقرير ربما كان كاذبا يقول إن "الأدميرال " كان من المفترض أن يكون قد نصح مجلس الأمن القومى بحتمية الحرب فى عام ١٩٦٠) والذى غذى - عن حق أو كذب - أسطورة العداء لأمريكا، وأشعل خوف أوروبا من جديد. هذا المزج المثير بين الشوفينية وعقدة النقص بالنسبة لأمريكا (وهو ليس معروفا بشكل جيد للفرنسيين) وجد متنفسا غريبا - وإن كان يمكن تفسيره - فى شجب عرض الفنون الأوروبية، والذى كان الأمريكيون يريدون أن يقوموا بتبعاته"(١٤).

ولكن مقالا آخر فى "كومبات - Combat" سخر مر السخرية من "مهرجان الـ: "ناتو- Nato" وأبدى تذمره من "التقديم الصاخب لتلك الأحداث"، والتى تم فيها تجاهل أفضل الموسيقيين واستبعادهم منها، "ربما لأن أحدا لم يسمع بهم فى "ألاباما" أو "إيداهو"... لكننا يمكن أن نتغلب على كبريائنا الوطنى إذا لم يكن هناك هدف خاص جدا وراء هذه العملية كلها. إن الحرية والثقافة لا ينبغى أن يحددهما "مؤتمر" لأن من مميزاتهما الأساسية أنهما لا يعرفان حدودا ولا تحيزا ولا وصاية... ومن جانبنا- فى هذه الجريدة، حيث نفهم كلمة "حرية" و"ثقافة" دائما دون أية مساومة، - فإننا نشجب استخدام هذه الكلمات مرتبطة بما حدث فى ذلك المهرجان، إن قيمة وأهمية هذه الأحداث ليست فى حاجة إلى مساعدة أى "بارنم- Barnum" ملهم ، ولا أى علم "أطلنطى"(١٥).

فشلت نية "نابوكوف Nabokov" الأساسية في إخفاء القيمة الدعائية للمهرجان، فقد كان كما قالت "جانيت فلانر – Janet Flaner": أكبر جهد ثقافي دعائي سواء خاصا أو حكومياً منذ الحرب.. وكانت بؤرة الدعاية – بالطبع – معادية للشيوعية". وفي فرنسا التي كانت قد سئمت (وأرهقت) من تقديم العون المادي للفن كقرار لا رجوع عنه، كانت محاولة المهرجان لربط روائع القرن العشرين بأجندة سياسية، أمرا مرفوضا تماما. وفي رسالة مفتوحة لمنظمي المهرجان، وجه "سيرج ليفار – Serge Lefar"، رئيس فرقة الباليه في "أوبرا باريس" – وكان مشهورا بالإفراط في الشراب – وجه انتقادا غاضبا للمهرجان لقيامه بحملة "لا معنى لها" في فرنسا ضد "تبعية ثقافية محتملة وغير منظورة (بواسطة الشيوعية). ويبدو أن "ليفار – Lefar" كان قد نسى سنوات "فيشي"، إذ راح يؤكد على أن فرنسا هي الدولة الوحيدة التي لا يمكن أن يتصور فيها أحد "التدجين الروحي". وإذا تأمل المرء نضال فرنسا الطويل في الماضي من أجل حرية الفكر واستقلال الفرد، لكان من الصعب أن يفهم كيف تجرؤن على المجيء إلى هنا لتتكلموا عن الحرية وتنتقدوا جهودنا الثقافية. أيها السادة، لقد ارتكبتم خطأ فادحا: فمن وجهة النظر الروحية و"حضارية والثقافية فإن فرنسا ليست مضطرة لأن تعرف رأى أحد، إنها هي التي تقدم النصح للآخرين"(١٦).

جريدة "فرانك تيرير – Franc Tireur" اليومية اليسارية تحدت حق "ليفار – Lefar" في أن يتكلم وكأنه بطل لفرنسا، "فالقضية التي ليس مؤهلا للدفاع عنها مثلها مثل قضية خدمة الفن التي لا تعارض بينها وبين الإخلاص لقضية الحرية والكرامة الإنسانية، وخاصة في الوقت الذي تضطهد فيه تلك القضايا، كما كانت مضطهدة أثناء الاحتلال الألماني، والذي لم يمنع "مسيو ليفار" من الرقص. "مزور – "Touché! ويمضي المقال: "من فضلكم دعونا ننسى السياسة أو الدعاية. إن ذلك الإرباك الكئيب الذي يضع العقول الخلاقة في الميادين الفنية أو العلمية في خدمة الدولة أو الرئيس، لم يصنعه العالم الحر (والذي) يسمح للروح بأن تنفجر في أي مكان.. إن أجنحة الحرية لم تقص بعد"(١٧).

بدت "فرانك تيرير – Franc Tireur" وكأنها قد شفيت من تلك النزعة "المعادية للأمريكية" التي سادت قبل سنوات، وراحت تؤيد المهرجان بكل قوة. كان يحررها الآن "جورج ألتمان – Georges Altman"، عضو لجنه تسيير المهرجان. وكذلك كانت أيضا "فيجارو ليتيرير – Figaro Littéraire" التي امتدحت المهرجان واعتبرته "برهانا عظيما على نشاط فني غير منحاز". وليس غريبا أيضا أن يكون رئيس تحريرها هو "موريس نويل – Maurice Noel" أحد أصدقاء "ريمون آرون – Raymond Aron" الذي

قدمه بدوره إلى المؤتمر. أما الجريدة الرئيسية "لوفيجارو Le Figaro" فكانت منحازة إلى المنظمة تماما عن طريق مساعى "مسيو بريسون – Brisson"، رئيس التحرير الذى استطاع "نابوكوف" أن يسعى لصداقته أثناء لقاءات العشاء الطويلة.

أما الصحافة اليسارية فتعاملت مع المنظمة بخشونة بالغة. "لومانيتيه – L'hu-manite" هاجمتها كجزء من خطة شريرة " لتسهيل الغزو الأيديولوچى لبلادنا بواسطة الولايات المتحدة، ولحشو العقول الفرنسية بالأفكار المتطرفة والفاشية التى سوف يؤدى قبولها إلى إدراج المثقفين الفرنسيين ضمن "جيش ثقافى" دعما للجيش الأوروبى... فالتبادلات الثقافية تصبح وسيلة للأمريكيين.. لتقوية التغلغل والاختراق والتجسس، وبرامج التجسس التى وضعها "بيرنهام – Burnham" ووافق عليها "الكونجرس الأمريكى" عن طريق ما يسمى بـ "الاعتمادات الأمنية"... العبارة الشهيرة التى قالها "هنرى لوس – Henry Luce"، وهى أن "القرن العشرين لابد من أن يكون قرنا أمريكيا إلى أبعد مدى". هذه العبارة توضح لنا المعنى الحقيقى لتلك المضاربة المسماة بـ "مهرجان القرن العشرين"(١٨). وكما ذكرت إحدى المقالات فى "كومبات – Combat" فإن "الولايات المتحدة تقوم اليوم بنفس الدور الذى لعبته روما تجاه اليونان ذات يوم. الهادريانيون"(*) الجدد لم يعودوا أباطرة (ولا حتى رؤساء)، إنهم أصحاب البنوك أو أصحاب مصانع السيارات."

وتتذكر "ديانا چوسلسون – Diana Josselson" پاريس" تلك الأيام التى كانت تموج بالعداء للتوجهات الأمريكية، ففى كل مكان كانت هناك ذهنية "عد إلى بلادك أيها اليانكى!": لم يكن الذين التقيتهم هكذا، يبد أنه كانت هناك فكرة عامة لديهم وهى أن "الأمريكى النموذجى شخص فقط"، وكان ذلك يسبب ضيقا شديدا لكثير من الأمريكيين، ويعتبرونه ردا غير كريم على سخائهم. واعترف "سى. دى. چاكسون – C.D.Jackson": كان يمكن أن أشعر بكثير من الألم بسبب هذا السلوك من الأوروبيين لو أننى استسلمت لذلك". "كيف يمكن أن يستمر الأوروبيون فى ترديد: "عودوا إلى بلادكم أيها الأمريكيون"، بينما يقولون فى الوقت نفسه" لو أن فرقة أمريكية واحدة انسحبت من الأراضى الأوروبية، ستكون نهاية العالم"؟! وهذا يبدو أمرا سخيفا ولا يتفق مع العقل الأوروبى الذى يؤمن بالمنطق"(١٩).

وبشكل عام، فإن مهرجان "نابوكوف Nabokov" قد أسهم تماما فى "تعقيد علاقات الدعاية الفرنسية الأمريكية أكثر مما كانت معقدة"(٢٠). "دونيقى – de Neufi-

---

(*) نسبة إلى الإمبراطور "هادريان". (المترجم)

"ville" الذى لم يكن مقتنعا فى أى وقت بأن المهرجان كان فكرة جيدة، قال فيما بعد: "إنه كان يبدو "حملة صحفية ضخمة باهظة التكاليف، لكن "واشنطن" التقطته وأغدقت علينا الأموال، معتقدين أنه فكرة جيدة. كان تأثيره أشبه بكرة الثلج، هل نجح؟ حسنا! ماذا كان يريد أن يحقق؟ هل نشر رسالة الحرية الثقافية؟ لا أعرف! لقد حقق هدفه كحملة صحفية... هذا ما أرى. أعنى أنه قدم "فليشمان – "Fleischmann"" باعتباره راعى ذلك كله. كان عملا مشوشا. أعتقد أنه كان واجهة عرض كبيرة لأشياء جيء بها من الولايات المتحدة، يعرضونها كمنافس للثقافة الأوروبية، وكانت "واشنطن" متحمسة لذلك"(٢١).

أما "ميلڤن لاسكى – Melvin Lasky" فكان هادئا، لا مباليا. كل ما قاله هو أن "أوركسترا بوسطن السيمفونى لم يكلفنا كثيرا" (كانت التكلفة الإجمالية، لحضور الأوركسترا إلى أوروبا هى ١٦٦,٣٥٩,٨٤ دولارا.) و يواصل: "كان رأيى أن المهرجان تافه، إذ ليس من المهم أن يعرف الأجانب إن كان الأمريكيون يستطيعون العزف أم لا. لم تكن الجماعة بطانة كسب غير مشروع، لم يكن هناك مبالغ مالية كبيرة كما كان يقال. كانت مبالغ هزيلة. لأن إنفاق مبالغ كبيرة على مثل تلك الأمور المشهدية لم يكن له معنى"(٢٢). "كان العداء للتوجهات الأمريكية شديدا فى فرنسا آنذاك، وكان الهدف من مهرجان "نيكولاس – Nicolas" هو مواجهة ذلك الموقف، كان أمرا شديد الإثارة. لكنه أعطى المزيد من الثقل لفكرة أن تكون أمريكا هى التى تقف وراء المهرجان"(٢٣)، كما استنتجت "ديانا چوسلسون – Diana Josselson".

إلا أن المهرجان بالرغم من ذلك كله تمخض عن نتيجتين ملموستين، الأولى: هى أنه دشن "أوركسترا بوسطن السيمفونى" عنوانا للبراعية السيمفونية الأمريكية. ويعد أدائه الرائع فى مهرجان "پاريس"، كانت له جولة فى معظم مدن أوروبا الرئيسية مرورا بـ "هاجو" و"أمستردام" و"بروكسل" و"فرانكفورت" و"برلين" و"ستراسبورج" و"ليون" و"بوردو" و"لندن". وكقوة ضاربة فى الثقافة الأمريكية أصبح "أوركسترا بوسطن السيمفونى" هو رد الـ "CIA" على أفكار الدعاية القديمة.

كتب "سى.دى. چاكسون – C.D. Jackson" بسعادة بالغة عن "النجاح الباهر والقبول الذى حظى به "أوركسترا بوسطن السيمفونى" فى جولته الأوروبية.. لم يكن إنجازا سهل التحقيق، ولكن من وجهة نظر القضية الكبرى كان ذلك أمرا ضروريا، وكان مبررا لما بذل من عرق ودم ودموع، إن أحد الأخطار الكبرى – إن لم يكن أكبرها – التى نواجهها فى أوروبا، هو عدم قبول الأوروبيين لأمريكا فى أمور غير الكوكاكولا وأحواض الاستحمام والدبابات... إن إسهام الـ"BSO" أوركسترا بوسطن

السيمفونى – فى هذه الساحة الفكرية الثقافية كبير جدا.. بل إنه إسهام بلا حدود"(٢٤). "برادن– Braden" كان متحمسا هو الآخر، وكان فيما بعد– يتذكر" ذلك الفرح الذى كنت أشعر به عندما يحقق "أوركسترا بوسطن السيمفونى" المزيد من الإعجاب بالولايات المتحدة فى قلب "باريس"، أكثر مما كان يحققه "چون فوستر دالاس – John Foster Dulles" أو "دوايت د. إيزنهاور– "Dwight D. Eisenhower بمئات الخطب"(٢٥).

الإنجاز الإيجابى الثانى الذى حققه المهرجان هو أنه أرسى "مؤسسة "فارفيلد – Farfield Foundation" ورسخها كداعم جدير بالثقة لأنشطة المنظمة. وكان معنى ذلك أن "إيرفنج براون – Irving Brown" لم يعد فى حاجة إلى أن يدبر النقد اللازم له من أموال الرشوة، بل إنه بدأ يتراجع إلى الساحة الخلفية، "مؤسسة فارفيلد" كانت قد أنشئت فى ٣٠ يناير ١٩٥٢ كمؤسسة "غير ربحية"، وكما يوضح الكتيب الخاص بها فإنها قد "تأسست بواسطة عدد من الأفراد الأمريكيين المستقلين ممن لهم اهتمام بالحفاظ على التراث الثقافى للعالم الحر، وتشجيع نقل وتبادل المعرفة فى ميادين الفنون والآداب والعلوم. ولتحقيق هذه الأهداف تقوم المؤسسة بتقديم العون المادى للجماعات والمنظمات المهتمة بفهم وتعميم الإنجازات الثقافية الحديثة، وللجماعات التى تعتبر مشروعاتها فى المجالات الأدبية أو الفنية أو العلمية إسهاما مهما من أجل ازدهار الثقافة. كما تقدم المؤسسة الدعم للمنظمات التى تهدف برامجها إلى تقوية العلاقات الثقافية التى تربط بين دول العالم، وتكشف لكل الشعوب المشاركة فى تقاليد الثقافة الحرة عن الأخطار الكامنة التى تمثلها الشمولية بالنسبة للتقدم الفكرى والثقافى"(٢٦).

كان أول رئيس لمؤسسة "فارفيلد" وأشهر رجال الواجهة المهمين فى الـ"CIA" هو "چوليوس فليشمان – Julius Fleischmann" أو "چنكى – Junkie" المليونير الذى ورث ثروة طائلة، وكان يعيش فى "انديان هيل – Indian Hill" خارج "كونيكتكت". كان قد ساعد فى تمويل مجلة "نيويوركر"، ورعى عددا كبيرا من المشروعات والأنشطة الفنية: فقد كان مديرا لـ "أوبرا ميتروپوليتان" فى "نيويورك" وزميلا لـ "الجمعية الملكية للفنون" فى "لندن"، وعضوا فى اللجنة الاستشارية لمدرسة "بيل-للدراما"، ومديرا لفرقة "دياغلييف" للبالية الروسى فى "مونت كارلو"، ولمؤسسة البالية فى نيويورك، ومموِّلا لكثير من الأعمال المسرحية فى "برودواى". وكان "چوسلسون – Josselson" يشير إليه بأنه "النصير السخى لعالم الثقافة." ثروته الشخصية، ورعايته الواسعة للآداب والفنون جعلت منه الاختيار الأمثل لرعاية الـ "CIA" لمؤتمر الحرية الثقافية.

وفيما بعد، كان "برادن – Braden" يصف "چنكى – Junkie" بأنه: "أحد الناس شديدى الثراء، الذين كانوا يريدون أن يكونوا مفيدين للحكومة. كان ذلك يحقق لهم قدرا من الاحترام الذاتى، ويشعرهم بأنهم مهمون. ولذا يسمح لهم بالمشاركة فى تلك الحملة السرية لمقاومة الشيوعية"(٢٧). ولأن "چنكى – Junkie" كان عضوا فى مكتب تنسيق السياسات "OSS" تحت رئاسة "ويزنر – Wisner" منذ بداياته، فقد كان أحد رواد الردهات المتربة فى مبانى "الوا شنطن مول" القديمة، كما كان يتفاخر بدوره كواجهة للعمليات السرية (حدث ذلك فى البداية عن طريق مؤسسة فليشمان – Fleischmann Foundation) لكن فى إعادة التنظيم الذى شمل الـ "IOD" قسم المنظمات الدولية – حصل "چنكى – Junkie" على دفعة قوية، إلا أن "برادن – Braden" يقول: "المشكلة أنه أخذ المسالة على نحو جاد أكثر مما ينبغى. بدأ يتصور أنه رئيس كل تلك الواجهات. كانوا يستخدمون اسمه فقط، لكنه بدأ يعتقد أن ذلك كان صحيحا. بدأ يقول إنه يريد أن تقوم مؤسسته بهذا ولا تقوم بذلك... وكان ذلك هو آخر شىء احتاج إليه، وفى النهاية أعطيناه "فارفيلد" كبديل. لكنها كانت واجهة أيضا. فرئيسها أيا كان هو مجرد اسم، وجميع أولئك الرجال القدامى من "نيويورك" كانوا أعضاء فى مجلس الإدارة لكى يعملوا لحسابنا"(٢٠).

ويواصل "برادن– Braden": كانت "مؤسسة فارفيلد" هى إحدى مؤسسات الـ "CIA" وكان هناك غيرها كثير. كنا نستخدم أسماء المؤسسات لأغراض كثيرة، ولم يكن لها وجود سوى على الورق. كنا نذهب إلى شخص ما، غنى ومعروف، في "نيويورك" ونقول له: نريد أن ننشئ مؤسسة" ثم نشرح له ما نحاول أن نفعله، ونتعهد بالسرية، فيقول: "سأفعل ذلك بالطبع". بعد ذلك تكون هناك أوراق عليها اسم المؤسسة واسمه. كان إجراء بسيطا"(٢٩). "كان بإمكاننا أن نقدم "چنكى – Junkie" للأغراب على أنه رئيس مؤسسة "فارفيلد"، وأنه الداعم الممول لمنظمة الحرية الثقافية. وتعلق "ديانا چوسلسون – Diana Josselson": كان أمرا جيدا أن يكون هناك "راع" يعلن عنه "كان يحب هذا الدور". لكن العلاقة أصبحت مضجرة والمهمة أصبحت بغيضة لأنها شغلت "مايكل – "Michaelعن أشياء أكثر أهمية، وهو يحاول أن يظهر أنه كان يحترم ويقدر الراعى الكبير"(٣٠).

كان مدراء "فارفيلد" يجتمعون مرة كل شهرين فى "نيويورك" حيث كان يوجد دائما "ضيف" من المنظمة – "نابوكوف Nabokov" أو "چوسلسون – Josselson" أو "ماجريدچ – Muggeridge"، وكانوا يوافقون على المدفوعات ولا يسألون عن شىء، أى أنهم كانوا يقومون بتمثيل "الكوميديا كواجب وطنى" كما كان يقول "ماجريدچ –

"Muggeridge". كـان هناك أيضًـا اجـتـمـاع سنوى لمجلس الإدارة، تصـفـه "ديانا چـوسلسـون – Diana Josselson" بأنه كان "مـهزلة كبرى بالطبع. يحضـره "مـايكل– Michael". و"چـنكى – Junkie". العلاقة كلها هزلية على نحو ما لأننا كنا نلعبها هكذا مباشرة. كل ما يفعلانه هو تمرير بعض الإجراءات المعدة سلفا(٣١).

أما "نابوكوف Nabokov"، فإنه كسكرتير عام لمنظمة الحرية الثقافيـة، كان يعرف بكل تأكيد الجهة الحكومية التى هو مدين لها بذلك السخاء غير العادى، الذى كان ينعم به مكتب "پـاريس" أثناء مـهرجـان پاريس.. بعد سنوات سـوف يعـتـرف لـ"چـوسلسـون – Josselson" بأن "الملكة چوليانا فليشمان Juliana Fleischmann" لم تكن معقولة أو مقنعة قط." كان رأيه دائما فى "چـنكى – Junkie"، "المشهور بسبب ثروته" أنه "موصل ردىء". لكن "نابوكوف Nabokov" من الناحـيـة الرسـمـيـة لم يكن يعرف شيئا. وبقى دائما كما يقول (وهو أمر ليس معقولا): لم يطرأ موضوع التمويل على ذهنى لحظة واحدة، وهـذا أمر غـريب. ربما كان يجب أن أفكر به، فـقد كـان من الصعب أن أتصور أن تقوم اتحادات العمال الأمريكية بدعم وتمويل مهرجان ضخم للفنون الحديثة، وليس فـى أمريكا.. بل فى "پـاريس"... وفى أمـاكن أخرى كثيـرة.. لم أكن أحلم قط بأن ذلك المهـرجـان – الحلم يمكن أن يكون ممولا عن طريق مـؤسـسـة التجـسس الأمريكية، لم أعرف – حـتى – أن ثمن تذكرة الطائرة فى رحلتى الرائعة بالدرجة الأولى إلى "پـاريس" كانت على نفقة الـ "CIA" عبر الممثل الأوروبى لاتحادات العمال، ذلك الشخص المرح "مستر براون – Brown" وبعد ذلك.. بعد ذلك بوقت قصير جدا، فإن طاحونة التجسس نفسها سوف تستخدم مؤسسات "عابرة" لضخ الأموال لصالح جماعات مشابهة للجنتنا الثقافية، للجامعات الأمريكية، لفرق أوركسترا أنشأها المهاجرون.. إلى غير ذلك.."(٣٢).

هل كان "نابوكوف Nabokov" فعلا لا يعرف؟ هل كان يجهل أنه وقع فى شرك عملية خداع كبرى؟ أم تراه مثل كثير من معاصريه، مثل "الدن پـايل – Alden Pyle" أحد أبطال (جراهام جرين – Graham Greene) كان مجرد "أمريكى هادئ" آخر؟ "لم يسمع – حتى – ما قلت. كان غارقا فى متاهات الديمقراطية ومسئوليات الغرب، كان كله إصرار – سرعان ما أدركت ذلك – على أن يقوم بما يراه مفيدا.. ليس لأى شخص معين، وإنما لدولة، لقارة، للعالم. حسن! كان منسجما مع كل من حوله وما حوله.. مع الكون الذى يريد أن يحسنه"(٣٣).

(٩)

الكونسورتيوم(*)

"ماذا تحكم يا سيدى؟"
قال الملك ببساطة شديدة:
"أنا أحكم كل شىء!"
"الأمير الصغير"
-أنطوان دو سان أكزوبرى-

لم تتحقق الحرية الثقافية بثمن بسيط على مدى السنوات السبع عشرة التالية. كان على المخابرات المركزية "CIA" أن تضخ عشرات الملايين من الدولارات لمنظمة الحرية الثقافية والمشروعات المتصلة بها، وبمثل هذا النوع من الالتزام، كانت الـ"CIA" بالفعل بمثابة وزارة ثقافة لأمريكا.

أحد الملامح الرئيسية لجهود الوكالة من أجل تعبئة الثقافة كسلاح فى الحرب الباردة، كان تنظيمها الدقيق لشبكة من الجماعات "المستقلة" أو من "الأصدقاء" فى اتحاد غير رسمى. كان عبارة عن تحالف "مقاولات" بين مؤسسات خيرية ومؤسسات تجارية وغيرها، وبين أفراد يعملون مع المخابرات المركزية "CIA" لتقديم الغطاء وقنوات التوصيل لبرامجها السرية فى أوروبا الغربية. بالإضافة إلى ذلك فإن أولئك "الأصدقاء" كان يمكن الاعتماد عليهم لتوضيح مصالح الحكومة فى الداخل والخارج، بينما يبدو الأمر كأنهم يفعلون ذلك بمبادرة منهم. وباحتفاظهم بوضعيتهم الخاصة، كان أولئك الأفراد والمؤسسات فى حقيقة الأمر بمثابة رأسماليين يقومون بالمضاربة فى الحرب الباردة.

كان "آلان دالاس – Allen Dulles" هو الذى أوحى بفكرة ذلك "الكونسورتيوم" الذى بدأ فى بناء مؤسساته بعد الحرب عندما كان هو وشقيقه "جون فوستر دالاس – John Foster Dulles" شركاء فى شركة "ساليڤان وكروموبل للخدمات القانونية". فى شهر مايو ١٩٤٩، رأس "آلان دالاس – Allen Dulles" تشكيل اللجنة القومية من أجل أوروبا الحرة، بمبادرة مزعومة من "مجموعة من المواطنين الأمريكيين المستقلين:

(*) اتحاد أو هيئة مالية كبيرة لتقديم المساعدات "المترجم".

والتى كانت فى حقيقة الأمر إحدى جبهات الـ "CIA" الأكثر طموحا. وعندما شكلت اللجنة فى ١١ مايو ١٩٤٩ فى " نيويورك"، كان الهدف المعلن هو :"استخدام المهارات العديدة والمتنوعة لليهود الشرقيين فى المنفى من أجل تطوير برامج تتصدى بنشاط للسيطرة السوفيتية"(١). كانت اللجنة مؤمنة بأن "ذلك التصدى يمكن تحقيقه بقوة الأفكار، كما يتحقق بالوسائل المادية" وهكذا بدأت اللجنة توسع نشاطها فى مجالات الحرب الباردة الثقافية. وأعلن وزير الخارجية "دين اتشسون - Dean Acheson" أن وزارة الخارجية يسعدها تأسيس هذه المجموعة، فهى تعتقد أن هدف تلك المنظمة هدف ممتاز، كما يسعدها أن ترحب بدخولها هذا الميدان وتزكيها من كل قلبها"(٢). كان الهدف من تلك المباركة العلنية هو إخفاء الأصول الرسمية للجنة، وأنها كانت تعمل بتوجيهات من الـ "CIA" التى كانت تقدم ٩٩٪ من الدعم المالى عن طريق إعانات ومنح بدون أية مستندات. كما كانت هناك حقيقة أخرى مخفية وراء تزكية "اتشسون - Acheson"، إذ أنه بالرغم من أن النظام الأساسى للجنة كان يتضمن مادة تقول: إن الدعاية لن تكون ضمن أى نشاط للشركة، إلا أن ذلك كان هو المطلوب تماماً(٣).

وعندما انتقل "آلان دالاس - Allen Dulles" إلى وكالة المخابرات المركزية "CIA" فى ديسمبر ١٩٥٠ " أصبح هو المسئول الرئيسى للجنة القومية من أجل أوروبا الحرة، وكان يعمل مع "كارمل أوفى - Carmel Offie" الذى كان يقوم بمراقبتها لحساب الـ "OPC" مكتب تنسيق السياسات - عندما أنشئت قبل عام. والآن، أصبح "دالاس- Dulles" مسئولا عن تنظيم لجانها وتدبير مخصصات ميزانيتها ووضع استراتيچيتها. وكواحد من الرواد الأوائل للعمل فى المنظمات القومية غير الحكومية شبه المستقلة، فإن "دالاس- Dulles" كان يدرك أن نجاح برنامج الحرب الباردة الثقافية الأمريكية كان يعتمد على "قدرتها على أن تبدو مستقلة عن الحكومة، وعلى أنها تمثل القناعات الذاتية للأفراد المحبين للحرية"(٤). ومن أجل هذا الوجه فقط فإن " مؤسسة اللجنة القومية من أجل أوروبا الحرة، كانت نموذجا "للمأسسة"(*) آلة السياسة الخارجية فى فترة الحرب الباردة، بواسطة الـ"CIA".

كانت اللجنة القومية من أجل أوروبا الحرة تفاخر بأن لجانها الفرعية والمنبثقة عنها، ومجالس الإدارات والأمانات، تضم فى عضويتها نخبة من أشهر الشخصيات الأمريكية. كانت علاقات الترابط والصلات الوثيقة أمورا فى غاية الأهمية، وقد أعطى ذلك معنى جديدا لتعليق "پول ڤاليرى - Paul Valéry" الساخر وهو أن الأوروبيين يطمحون لأن تحكمهم لجنة من الأمريكيين. كان هناك " لوسيوس كلاى - Lucius-

---

(*) أى تحويلها إلى مؤسسة (المترجم)

"Clay" الذى كان قد أعطى الضوء الأخضر لـ"ديرمونات - Der Monat" بصفته المفوض الأعلى فى ألمانيا "و جاردنر كاولز - Gardner Cowles" رئيس مجموعة "كاولز للنشر"، وأحد أمناء" مؤسسة مارفليد "وهنرى فورد الثانى - Henry Ford II" رئيس "چنرال موتورز" و"أوڤيتا كالب هوبى - Oveta Culp Hobby" إحدى أمناء متحف الفن الحديث، والتى سمحت باستخدام العديد من المؤسسات العائلية كقنوات توصيل لدعم الـ "CIA" و "فرانسيس سپيلمان - Francis Spellman" أحد رموز الحرب الباردة، و"سى. دى. چاكسون - C.D. Jacksan" أحد قيادات الحرب النفسية،و "چون سى هيوز - John C.Hughes" سفير الولايات المتحدة لدى حلف شمال الأطلنطى "NATO"، و"چنكى فليشمان Junkie Fleischmann" و"آرثر شليزنجر Arthur Schlesinger" و"سيسل ب. دى ميل - Cecil B. DeMille" و"سپيروس سكوراس - Spyros Skouras" و"داريل زانوك - Darryl Zanuck" و"دوايت ايزنهاور - Dwight Eisenhower". كان هناك رجال أعمال ومحامون ودبلوماسيون ومسئولون كبار فى "مشروع مارشال" وفى ميادين الإعلام والإعلان والسينما والصحافة والاتحادات العمالية، كما كان هناك بالطبع أعداد كبيرة من موظفى الـ"CIA".

كان أولئك الناس من الخبراء بأشياء كثيرة و"المطلعين" على أمور كثيرة، وكان الشخص المطلع بالنسبة للوكالة هو ذلك الذى ينتمى إلى عالمهم ، يعرف اللغة وكلمات السر والعادات وعلامات التعارف، أن تكون "مطلعا" معناه أن تكون ضمن أعضاء ذلك النادى. أن تعرف قوة وأثر العلاقات الشخصية الحميمة فى تسهيل الأمور. أما الشخص "غير المطلع" فهو ذلك الذى لا يعرف ما يدور حوله ، ويجهل مفاهيم النخبة وتصوراتها التى توجه تلك الدائرة المغلقة للمخابرات(٥). ويصف "دونالد چيمسون - Donald Jameson" عميل الـ "CIA" السهولة التى كان يجدها لإشراك الأمريكيين فى المشروعات السرية بقوله: "لم يكن هناك أحد - تقريبا - فى هذا البلد يمكن أن أذهب إليه وأقول : أنا من الـ "CIA" وأود أن أسألك عن كذا وكذا... إلا وكان يرحب بذلك ويتحدث معى بكل احترام"(٦). نادرا ما كانت الـ "CIA" تدق الأبواب. كانت الأبواب دائما مشرعة أمامها.

بعد ١٢ شهراً من إنشائها، نجحت تلك النواة "الخاصة" من العاملين فى تطوير لجنة "دالاس - Dulles" من أجل أوروبا الحرة Dulles's Free Europe Committee (كما أصبحت تعرف) ونقلتها من بدايتها المؤقتة إلى برنامج واسع محدد لعمليات على مستوى بالغ الأهمية، كانت "أداة فى اليد "- جاءت فى الوقت المناسب،

وجيدة لكى تحقق انتصار الأفكار . بلغ عدد أعضائها "٤١٢" عضواً كان منهم "٢٠١" من الأمريكيين، وكثيرون من أصول أوروبية، و "٢١٢" من "الخبراء" المنفيين من أوروبا الشرقية(٧). كانت ميزانيتها للعام الأول فقط ١,٧٠٣,٢٦٦ مليون دولار، بينما خصصت ١٠ ملايين دولار لإذاعة أوروبا الحرة "RFE"(*)، التى أسست فى "برلين" عام ١٩٥٠ تحت رعاية اللجنة. وفى خلال سنوات قليلة كان قد أصبح للإذاعة ٢٩ محطة تبث بـ "١٦" لغة مختلفة، كما كانت تستخدم كافة وسائل وحيل الخطابة المعروفة منذ "ديموستينيس(**) – "Demosthenes" أو "شيشرون(***) – "Cicero" ضد كل من يؤيد نظام "ستالين – Stalin(٨)". وكانت الإذاعة تقوم أيضا بمحاولات لجذب وإغراء العاملين فى الخدمات الإعلامية خلف "الستار الحديدى" ورصد الإذاعات الشيوعية وبث المحاضرات والكتابات المعادية للشيوعية بأقلام المثقفين الغربيين، وتوزيع "أبحاثها" عالميا على الدارسين والصحفيين (بمن فى ذلك المرتبطين بمؤتمر الحرية الثقافية).

أما الشعبة المسئولة عن جمع الإعانات والتبرعات للجنة أوروبا الحرة، فكانت هى "حملة الحرية – Crusade For Freedom" والتى كان المتحدث الرسمى باسمها، والمسئول عن دعايتها ممثل شاب اسمه " رونالد ريجان – Ronald Regan". كانت "حملة الحرية" تستخدم كوسيلة لغسيل الأموال المخصصة لإعانة برنامج يديره " بيل كازى – Bill Casey" الذى سيصبح مديرا لـ "CIA" فيما بعد) وكان ذلك البرنامج يحمل اسم اللجنة الدولية للاجئين فى نيويورك – International Refugee Committee in New York والتى يقال: إنها كانت تنسق عمليات التنقية السابقة للنازيين، الذين خرجوا من ألمانيا إلى الولايات المتحدة، حيث كان من المتوقع أن يساعدوا الحكومة فى صراعها ضد الشيوعية.

أحكم " دالاس– Dulles" قبضته القوية على اللجنة بتعيين ضباط الـ "CIA" فى المناصب القيادية. وعندما كانت تقع مشكلة تتطلب حلا "خارج القنوات الرسمية" كان يكفى أن يقوم "دالاس– Dulles" بالدعوة إلى اجتماع مع المسئولين فى اللجنة، يعقد فى أى ناد أو فندق فى "نيويورك". وتسجل الوثائق التى تحمل علامة "سرى للغاية" سلسلة من الاجتماعات التى عقدها " دالاس– Dulles" فى "نادى النيكربوكر –

(*) Radio Free Europe

(**) خطيب وزعيم سياسى يونانى (٣٨٤–٣٢٢ ق.م) – المترجم

(***) خطيب وزعيم سياسى رومانى (١٠٦–٤٣ ق.م) اشتهر ببلاغته – المترجم

"Knickerbocker Club" وفندق "دريك Drake Hotel" وفى هذه الحالة كان الاجتماع يعقد فى غرفة نوم يتم حجزها للمناسبة... كم حملة من حملات الحرب الباردة شنت من غرف النوم فى الفنادق!) كما عقدت اجتماعات أخرى فى مكاتب "آلان دالاس- Allen Dulles أو "فرانك ويزنر - Franc Wisner" فى المركز الرئيسى للـ"CIA".

يقول الراوى فى رواية "هيمولت": "كانت الولايات المتحدة عملية كبيرة، كبيرة جدا" أما "هنرى كيسنجر - Henry Kissinger" فيعلق على مدى إخلاص النخبة الأمريكية التى كانت تزود تلك المؤسسة بالأفراد فيقول: "إنها شهادة لصالح أبناء ذلك الجيل من الأمريكيين وعلى قدرتهم أن يتحملوا تلك المسئوليات بكل حماس وإبداع ومهارة. لقد أنقذوا إمكانية الحرية بمساعدتهم على إعادة بناء أوروبا وتشجيع الوحدة الأوروبية وتجسيد مؤسسات التعاون الاقتصادى وتقديم الحماية لحلفائنا، إن هذا الجهد الإبداعى هو إحدى اللحظات المجيدة فى التاريخ الأمريكى"(٩). أما "هنرى بريك - Henry Breck" وهو ضابط فى الـ "CIA" وخريج كلية "جروتون - Groton" فيقول ذلك على نحو آخر: "عندما تكون فى حرب حقيقية فلابد من أن تحارب بقوة بالطبع، والطبقات العليا هى التى تحارب بكل قوة، فلأنهم يملكون الكثير، ستكون خسارتهم كبيرة."

عندما لا يكونون مجتمعين فى الأندية أو الفنادق، كان أبناء تلك الطبقات العليا الذين يتحدث عنهم "بريك - Breck" يشاركون بنفس القدر من الالتزام فى أعمال الترويح والتسلية. كان يروق لـ "ويزنر - Wisner" ورفاقه أن يحضروا الحفلات الممتعة، يمضون الوقت بنشاط وثقة ومرح وخفة... مثلما كان يروق لهم أن ينقذوا العالم من الشيوعية. كان "ويزنر - Wisner" مغرما بأداء رقصة اسمها "مشية السلطعون" أما: "انجلتون - Angleton" المستهلك الأسطورى للمارتينى (ولأى شراب آخر يجده أمامه) فكان من عادته أن يرقص بشكل حر على أغنيات الفيس بريسلى -Elvis Presley" فى الحفلات وهو يلوح بيده بحماس، وكان غالبا ما يرقص بمفرده. "موريس أولد فيلد - Maurice Oldfield" ورئيس (MI6) المعروف بـ "C" كان يحلو له أن يرقص أيضا، وتتذكر "جانيت بارنز - Janet Barnes":... كان "موريس - Maurice" يأتى لزيارتنا فى "رودأيلاند" لكى يرقص تحت الأشجار فى الليل"(١٠).

كان غريبا أن يكون أولئك الرجال الذين يقيمون تلك الحفلات، ويشربون بإفراط فى الليل أن يواصلوا عملهم بنجاح أثناء النهار، فهم كسماسرة نظام عالمى جديد، كانوا يستطيعون تأجيل تركهم لذلك المجال لأن المكاسب المحتملة كانت كبيرة، وعندما كانوا يعودون إلى مكاتبهم فى اليوم التالى، كانوا ينشغلون بالبحث عن طرق جديدة

لتأمين استثماراتهم وتعظيم أصولهم الرأسمالية. يقول "وليم كولبى – William Colby"، العميل السرى: "كنا نوسع نشاطنا عادة لكى نجد أمريكيين يوافقون على وضع الأموال فى حساباتهم فى البنوك، ثم يستخدمونها للمساهمة بطرق مختلفة، ولو أنك ذهبت إلى أية مؤسسة أو شركة أمريكية وقلت لهم: هل يمكن أن تساعدوا بلادكم بتمرير هذه المبالغ، كان يمكن أن يؤدوا لك التحية وهم يقولون: "بكل تأكيد إن ذلك يسعدنا". من السهل أن تمرر الأموال إلى أى مكان فى العالم لخدمة الهدف المطلوب. ربما لا يكون مبلغا واحدا كبيرا، ولكنه قد يكون مبالغ صغيرة .. كثيرة .. تذهب فى الوجهة الصحيحة. هذا بالطبع غير العمل الأكثر علانية والذى كنت أقوم به أحيانا ، عندما أضع رزماً من النقد المحلى فى شنطة سيارتى، وأقودها ثم أضع المبالغ فى سيارة زميل آخر"(١١).

كان الأفراد والمؤسسات الذين يوافقون على التعاون مع الوكالة على هذا النحو يعرفون بـ "القنوات الهادئة". هذه القنوات كان يتم تحديدها بعد الاتصال بطريقة عكسية. يقول "لى وليمز – Lee Williams" أحد ضباط الـ "CIA": فى كثير من الأحيان كانت جماعات أمريكية مستقلة هى التى تأتى إلينا. لم نكن نحن الذين نذهب فى جميع الأحوال. كان هناك شعور بالهدف المشترك، وكان يبدو أن ذلك من شأنه أن يبدد أى قلق بشأن مدى أخلاقية العمل الذى نقوم به(١٢). "فى عام ١٩٥٦ وفى أعقاب الثورة المجرية، كتب "چى . إم . كاپلان – J. M. Kaplan" رئيس "ولش جريب چوس كومبانى" ورئيس وأمين صندوق "مؤسسة كاپلان (رأسمالها ١٤ مليون دولار) كتب إلى" "آلان دالاس– Allen Dulles" يعرض عليه خدماته فى محاربة الشيوعية. ووعد " كاپلان – Kaplan" بأن يكرس جهدا غير محدود لاستخدام كل فكرة وحيلة من أجل الهدف الملح، وهو تحطيم المؤامرة الشيوعية، وبحث استخدام كافة الفرص العملية لذلك(١٣)". وبناء عليه قام "دالاس– Dulles" بترتيب موعد لكى يذهب "مندوب" من الـ "CIA" لمقابلته، وسرعان ما أصبحت "مؤسسة كاپلان – Kaplan Foundation" أحد الأصول الثابتة المهمة التى يُعتمد عليها فى "تمرير" الدعم المخصص لمشروعات الـ"CIA"، ومن بينها "منظمة الحرية الثقافية"، وأحد المؤسسات التى يرأسها "نورمان توماس – Norman Thomas" الاشتراكى العريق، ورئيس اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية.

كان استخدام المؤسسات الخيرية هو أنسب الوسائل لتمرير مبالغ كبيرة من المال لمشروعات الوكالة دون تنبيه المتلقين إلى مصادرها. وبمنتصف الخمسينيات كان تغلغل الـ "CIA" فى مجال عمل المؤسسات قد أصبح واسعا وبالرغم من عدم توفر

الأرقام عن تلك الفترة، إلا أن المجلس العام لإحدى لجان "الكونجرس"، والذى شكل فى عام ١٩٥٢ لتحرى أمر المؤسسات توصل إلى أن " هناك قوة لا مثيل لها مركزة – وعلى نحو متزايد – فى أيدى جماعة متشابكة تعمل بشكل ذاتى، قوة لا يراقبها حملة الأسهم كما يحدث فى إدارة جميع المؤسسات، ولا يراقبها الناس كما يحدث فى الهيئات الحكومية، ولا تراقبها أية قيم مثل قوة الكنيسة"(١٤). وفى عام ١٩٧٦ عينت لجنة للتحقيق فى أنشطة المخابرات فى الولايات المتحدة فكتبت تقريرا عن اختراق الـ "CIA" للمؤسسات فى منتصف الستينيات: ففى الفترة ما بين ١٩٦٣، ١٩٦٦ من بين الـ ٧٠٠ منحة التى تزيد عن العشرة آلاف دولار، والتى قدمتها ١٦٤ مؤسسة، كان هناك ما لا يقل عن ١٠٨ منحة تبرعات جزئية أو كلية لصالح الـ"CIA". والأهم من ذلك أن التبرع للـ "CIA" كان بندا رئيسا فى نصف عدد المنح التى قدمتها الـ ١٦٤ مؤسسة فى ميدان الأنشطة الدولية خلال الفترة نفسها.

كانت المؤسسات الحقيقية (وليست الوهمية) مثل "مؤسسة فورد– Ford Foundation" و"مؤسسة كارنيجى – Carnegie Foundation" و"مؤسسة روكفلر – Rockefeller Foundation" تعتبر الغطاء الأفضل للدعم، والمقبول ظاهريا"(١٥). وفى ١٩٦٦ توصلت دراسة للـ "CIA" إلى أن ذلك الأسلوب " كان مفيداً من الناحية العملية بالنسبة للمؤسسات التى تدار ديمقراطيا، والتى كانت فى حاجة إلى أن تؤكد لأعضائها والمتعاونين معها من غير المدركين للخلفيات، وكذلك لنقادها، أن لديها مصادرها الحقيقية والمحترمة الخاصة لهذا الدخل"، والمؤكد أن ذلك قد مكن الـ"CIA" فيما يبدو– من "تمويل وإعانة عدد لا بأس به من برامج العمل السرى الذى كان له تأثيره على التجمعات الشبابية والاتحادات العمالية والجامعات ودور النشر وغيرها من المؤسسات الخاصة منذ أوائل الخمسينيات"(١٦).

وقد شرح "برادن – Braden" ذلك بقوله : " كان هناك فرع خاص فى الـ"CIA" لعمليات التغطية، كانت وظيفته هى المساعدة فى تقديم " الغطاء" مثل المؤسسات التى كنا نستخدمها لعملياتنا. لم تكن التفاصيل تهمنى، كان ذلك من صميم عمل الإدارة المالية التى تناقش ذلك مع الضابط المسئول عن لغطاء. وكان ذلك أسلوبا لجأنا إليه، وكانت "فارفيلد" إحدى الوسائل. لا أعرف كل الأسماء. لا أتذكر. لكنها كانت شبكة لنقل الأموال من وإلى. لم يكن هناك أى خوف من أن تنفد أموال الـ"CIA"(١٧).

عملية نقل الأموال "من وإلى" شقت طريقها عبر مجموعة كبيرة من المؤسسات المضيفة، كان بعضها يعمل كواجهة والبعض والآخر كموصل، وكان هناك أكثر من ١٧٠ مؤسسة عرفت بأنها سهلت على نحو كبير عمليات تمرير الإعانات للـ "CIA" من

بينها "مؤسسة هوبليتزل – Hoblitzelle Foundation" (وهى موصل لمؤسسة فارفيلد) و"مؤسسة ليتور – Littaur Foundation" (إحدى المؤسسات المانحة لـ "فارفيلد") و"صندوق ميامى ديستركت – Miami District Fund" (إحدى المؤسسات المانحة لـ"فارفيلد") "برايس فاند – Price Fund" (مؤسسة وهمية تتبع الـ"CIA")، و"مؤسسة راب الخيرية – Rab Charitable Foundation" (وكانت تتلقى أموال الـ "CIA" من "برايس فاند" الوهمى ثم تقوم بتمريرها لمؤسسة "فارفيلد") و"صندوق ڤيرنون فاند – Vernon Fund" (واجهة وهمية مثل "فارفيلد") وله مجلس إدارة على الورق) و"اتحاد ويتنى المصرفى – Whitny Trust". كانت مجالس إدارات كل تلك المنظمات تضم الصفوة فى المؤسسة الاجتماعية والمالية والسياسية. ولم يكن عبثا أن تطلق كل من هذه المنظمات على نفسها أنها منظمة "خاصة" أى غير حكومية. بعد ذلك كانت المزحة الشهيرة.. وهى أن أية مؤسسة خيرية أو ثقافية أمريكية تحمل صفة "خاصة" أو "حرة" لابد من أن تكون واجهة للـ"CIA". كان ذلك هو الاتحاد الكبير (الكونسورتيوم – Consortium) الذى يعتمد على المصالح المتبادلة والمجاملات والتواصل، وذلك عبر شبكة علاقات الدراسة القديمة فى الجامعة وشبكة الـ-"OSS"مكتب الخدمات الاستراتيجية – ومجالس إدارات المؤسسات الأمريكية.

ويقدم لنا مجلس إدارة "فارفيلد" وحده خريطة مثيرة لتلك الأواصر والصلات المعقدة. كان رئيس المؤسسة جنكى فليشمان – "Junkie Fleischmann" مستشاراً (بالتعاقد) مع "مكتب تنسيق السياسات" الذى يرأسه "ويزنر – "Wisner" والذى كان –فيما بعد– غطاء لمنظمة الحرية الثقافية وكان ابن عمه، "چاى هولمز – "Jay Holmes" رئيسا لمؤسسة "هولمز – "Holmes Foundation" فى "نيويورك" عام ١٩٥٣. بدأ "هولمز – Holmes" يقدم إسهامات ضئيلة لمنظمة الحرية الثقافية فى ١٩٥٧، واعتبارا من عام ١٩٦٢ كانت "مؤسسة "هولمز – Holmes Foundation" تعمل بشكل رسمى كقناة لتوصيل أموال الـ "CIA" للمنظمة. "مؤسسة فليشمان – Fleischmann Foundation" التى كان "جنكى – Junkie" رئيسا لها، كانت أيضا ضمن قائمة المؤسسات المانحة لـ "مؤسسة فارفيلد – Farfield Foundation". وكان ضمن مجلس إدارة "فليشمان – Fleischmann" أيضاً، تشارلز فليشمان – "Charles Fleischmann" ابن شقيق "جنكى – "Junkie" الذى جىء به مديرا فى "فارفيلد – Farfield" فى أوائل الستينيات، كما كان "كاس كانفيلد – Cas Canfield" أحد أمناء "فارفيلد" واحداً من أبرز الناشرين الأمريكيين. كان مديرا لشركات "جروسيت آند دَنلاب – Grosset and Dunlap"، "وبانتام بوكس – Bantam Books" ومديرا ورئيسا لمجلس إدارة وتحرير شركة "هاربر برازرز – Harper Brothers"، كان "كانفيلد – Canfield" هو الناشر

الأمريكي لكتاب "الإله الذى فشل"، وكانت له علاقات وثيقة واسعة ونشطة بعالم المخابرات سواء كضابط حرب نفسية سابق أو كصديق شخصى لـ " آلان دالاس - Allen Dulles" الذى نشر له مذكراته "فن المخابرات" في عام ١٩٦٣، كان "كانفيلد - Canfield" أيضا من النشطاء وجامعي التبرعات للفيدراليين فى أواخر الأربعينيات، وكان رئيس الجمعيات الفيدرالية هو "كورد مايور- Cord Meyer" الذى سيصبح - فيما بعد- نائبا لـ " توم برادن- Tom Braden" والذى كشف طريقة العمل بقوله: "كان أحد الأساليب التى نستخدمها هو تشجيع الأعضاء منا، الذين يشغلون مواقع مؤثرة فى المؤسسات المهنية والاتحادات التجارية واتحادات العمال والنقابات لكى يتفقوا على تمرير القرارت التى تخدم قضيتنا فى مؤتمراتهم السنوية"(١٨). فى عام ١٩٥٤ ترأس "كانفيلد - Canfield" اللجنة الديمقراطية للفنون"، وفيما بعد أصبح أحد الأعضاء المؤسسين لـ "ANTA" المسرح القومي والأكاديمية الأمريكية - American National Theatre Academy الذى أعيد تنشيطه فى عام ١٩٤٥ ليكون معادلا لفرع الشئون الخارجية فى المسرح الأمريكي بجانب "جوك ويتنى - Jock Whitney" إحدى القنوات الهادئة الأخرى لـ "CIA" كان " كانفيلد - Canfield" صديقا لـ: "فرانك بلات- Frank Platt" أحد مدراء "فارفيلد" وعميل الـ "CIA" فى أواخر الستينيات، قام "بلات - Platt" بمساعدة "جوسلسون - Josselson" لكى يعمل فى شركة "هاربر- Harper" لدى "كانفيلد - Canfield"، وكان كانفيلد أيضا أحد أمناء "جمعية فرنسا - أمريكا" مع "سى دى جاكسون - C.D. Jackson"، و"جريسون كيرك - Grayson Kirk" (رئيس جامعة كولومبيا) و"ديفيد روكفلر - David Rockefeller" و"وليم بيردن - William Burden" (الذى كان رئيسها كذلك).

كان "وليم أرمستيد مويلى بيردن - William Armstead Moale Burden" رئيسا لجمعية "فرنسا - وأمريكا"، إلى جانب كونه مديرا لمؤسسة فارفيلد"، وباعتباره حفيد أحد أحفاد "الكومودور فاندربلت - (قائد البحرية) - Commodore Vanderbilt"، فإن حضور "بيردن - Burden" فى المؤسسة الأمريكية كان شديد الأهمية. كان عضوا ورئيسا لمجلس العلاقات الخارجية ، وهو مجموعة استشارية من النخبة الأمريكية كانت تعمل كوحدة " ظل " لرسم السياسة الخارجية (كان من بين أعضائها أيضاً) "آلان دالاس - Allen Dulles" و"ديفيد روكفلر - David Rockefeller". كان أثناء الحرب يعمل لحساب "جماعة نيلون روكفلر للاستخبارات". ثم كان رئيسا للجنة الاستشارية لمتحف الفن الحديث فى نيويورك ف ئيسا له فى ١٩٥٦. وفى نفس العام انضم إلى اللجنة الاستشارية الخاصة بالمكتب فى الخارج، والتى كانت تتبع وزارة الخارجية. وبصفته وزيرا مساعداً "سابقا" لشئون الطيران، فإنه كان خبيرا ماليا ذا

اهتمامات خاصة بتمويل الطيران، وكان على علاقة بشركات ومؤسسات مثل "براون برادرز – "Brown Brothers و:"هاريمان آند كومپانى – Harriman And Company" و"ستيڤنس وكلارك –"Stevens and Clark فى نيويورك، كما كان مديرا لعدة شركات منها "أميركان ميتال كومپانى ليمتد – "American Metal Co. Ltd و"سيرو دى پاسكو كورپوريشن – "Cero de Pasco Corp و"بنك هانوڤر Honover Bank".

كما كان عضوا زائرا فى عدة لجان جامعية مثل "هارڤارد –Harvard" و"ميت – MIT" ورئيسا مشاركا فى مجلس إدارة مشروع – "Salute Te France الذى كانت ترعاه الحكومة (پاريس – ربيع ١٩٥٥) وسفيرا للولايات المتحدة فى "بروكسل" فى ١٩٦٠.

ومن كبار المسئولين فى " فارفيلد – "Farfield كان هناك أيضا "جاردنر كاولز – "Gardner Cowles أحد المانحين من "مؤسسة جاردنر كاولز" ومقرها "أيوا"، وكانت مقدراتها المالية المعفاة من الضرائب ، كلها من أرباح "شركة كولز" للمجلات والإذاعة التى كان يرأسها. كما كان أيضا عضوا مشاركا فى "الحملة من أجل الحرية" والراعى لمجلة " التاريخ – "History الفصلية التى كانت تصدرها جمعية المؤرخين الأمريكيين بتمويل من "التبرعات" الخاصة، كانت "التاريخ" إحدى ثمار الحرب الباردة مثل "الحملة من أجل الحرية"، وكان من بين أسماء رعاتها "وليم دونوڤان – William Donovan" و"دوايت د. إيزنهاور – "Dwight d. Eisenhower و"ألن دالاس – Allen Dulles" و"هنرى لوس – "Henry Luce. أما أطول من شغلوا منصب المدير التنفيذى فى "مؤسسة فارفيلد" فهو "چون طومسون – "John Thomson الشهير بـ"چاك – Jack" والذى استمرفيه من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٥. كان "كورد مايور– "Cord Meyer هو الذى جند "طومسون –"Thomson لـ "CIA" فى ١٩٤٥ عندما كانا يعملان مساعدين ضمن وفد الولايات المتحدة إلى مؤتمر "سان فرانسيسكو" الذى عقد لوضع بنية الأمم المتحدة والتى كانت قد أنشئت حديثا. كان "طومسون– "Thomson قد درس فى "جامعة كولومبيا " تحت إشراف " ليونيل تريلنج – "Leonel Trilling، وكان معروفا لكل دوائر "نيويورك" الأدبية، وكانت "چنيفر چوسلسون – Josselson Jennifer" تشير إليه بـ "العم چاك – "Uncle Jack.

ومن بين مدراء " فارفيلد " الآخرين كان هناك " وليم ڤاندن هيڤل – William Vanden Heuvel" وهو محام من " نيويورك " كان مقربا من كل من " چون" و"بوبى كينيدى – "John and Bobby Kennedy ومن "آرثر "شليزنجر – Arthur Schlesinger (كما كان عضو مجلس إدارة لجنة الإنقاذ مع "وليم دونوڤان – William Donovan" و"كاس كانفليد – "Cas Canfield و"چوزيف ڤيرنر ريد –Joseph Verner

"Reed" رئيس "ترايتون برس - Triton Press" نائب رئيس شركة "هوبى ساوند" فى فلوريدا "وعضو اللجنة الاستشارية للدراما فى برنامج التبادل الدولى لـ ANTA (المسرح القومى والأكاديمية والأمريكية)، و"فرد لازاروس الابن - .Fred Lazarus Jr" المانح الرئيسى لمؤسسة "فرد لازاروس" (التى قدمت دعما رئيسيا لمؤسسة " فارفيلد" فى عام ١٩٥٦) والذى أصبح -فيما بعد- عضوا استشاريا فى "الوقف القومى للفنون" و "دونالد ستراليم - Donald Stralem" رئيس المؤسسة المتحدة لخدمات الدفاع عن المجتمع" وأحد المانحين أيضاً- مع زوجته "جين - "Jean لصندوق "شلتر روك - Shelter Rock Fund"، و"وايتلو ريد - "Whitelaw Reid رئيس التحرير السابق لـ "نيويورك هيرالد تريبيون" و"رالف ب. هانز - .Ralph P. Hanes رئيس مؤسسة "هانز-Hanes" فى نورث كارولينا".

وكصديقين حميمين لـ "جنكى Junkie" كان "هانز- Hanes" وزوجته "باربرا Barbara يقومان برحلات بحرية مع آل "فليشمان - The Fleischmanns"و"ويزنر - Wisner" فى جزر "الباهاما" كما كان هناك بالطبع "مايكل جوسلسون Josselson Michael" الذى كان اسمه يظهر على الأوراق الرسمية للمؤسسة كمديرها الدولى، والذى كان يتسلم راتبه من الـ "CIA" عن طريق المؤسسة.

كانت "مؤسسة فارفيلد - Farfield Foundation" استثنائية ولا مثيل لها فى طبيعتها التى تعتمد على علاقات القربى. فى ذلك الوقت كانت تلك هى طبيعة القوة والنفوذ. نظام الرعاية الخاصة كان نموذجه الأفضل هو أن تكون هناك جماعات صغيرة متجانسة تحمى مصالح أمريكا، التى هى بالقطع مصالح تلك الجماعات. على قمة تلك الجماعات كان هناك " الواسب - Wasp"، وكانت المكافأة هى الوصاية من قبل "مؤسسة فورد" أو "مؤسسة روكفلر" وكلتاهما: كانتا أدوات واعية بسياسة الولايات المتحدة الخفية، بما فيهما من مدراء وضباط وثيقى الصلة بالمخابرات الأمريكية إن لم يكونوا أعضاء بها.

عندما أدمجت "مؤسسة فورد - Ford Foundation" فى عام ١٩٣٦، كانت هى زبدة ثروة "فورد" الطائلة المعفاة من الضرائب بأصولها الرأسمالية التى وصلت إلى أكثر من ثلاثة بلايين دولار فى أواخر الخمسينيات، ويصفها "دوايت ماكدونالد - Dwight Macdonald" بأنها كانت كمية هائلة من المال يحيط بها مجموعة من الناس كل منهم يريد أن يحصل على بعض منه". كان مهندسو السياسة الثقافية للمؤسسة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية متسقين تماما مع الدوافع السياسية التى تؤيد وجود أمريكا، والذى كان قد بدأ ظهوره على المسرح العالمى، وأحيانا كانت "مؤسسة فورد" تبدو كأنها مجرد امتداد للحكم فى ميدان الدعاية الثقافية العالمية. كان للمؤسسة تاريخ فى التورط فى عمليات سرية فى أوروبا، حيث كانت تعمل بشكل غير مباشر مع

"مشروع مارشال" وبعض المسئولين فى الـ "CIA" فى مشروعات معينة، هذه العلاقة المتبادلة ثم توسيع إطارها عندما جاء "ريتشارد بيسل - "Richard Bissell مخطط "مشروع مارشال" إلى "مؤسسة فورد" فى ١٩٥٢، حيث أصبحت الإعانات النظيرة تصل بتوقيعه إلى "فرانك ويزنر - "Frank Wisner"، الأمر الذى كان ينبئ على نحو دقيق بأن "شيئا لن يعوق فردا ما عن ممارسة أكبر نفوذ ممكن من خلال موقعه فى مؤسسة خاصة، مثلما يفعل تماما من خلال موقعه فى الحكومة"(١٩). وأثناء فترة عمله فى "مؤسسة فورد" كان "بيسل - "Bissell" يلتقى كثيراً و"آلان دالاس - "Allen Dulles وغيره من كبار المسئولين فى الـ "CIA" بمن فيهم "جروتون - "Groton" زميل دراسة "تريسى بارنز - "Tracy Barnes" حيث كانوا يبحثون جميعاً عن أفكار جديدة، ترك "بيسل "Bissel" مؤسسة فورد" فجأة ليلتحق بالـ "CIA" مساعدا خاصا لـ "آلان دالاس - "Allen Dulles" فى يناير ١٩٥٤ لكن ليس قبل أن يساعد فى تسيير المؤسسة نحو بدايات فكر الحرب الباردة.

كان بيسل - "Bissell" قد سبق له أن عمل مباشرة تحت رئاسة "پول هوفمان - "Paul Hoffman" الذى أصبح رئيسا لـ"مؤسسة فورد" فى ١٩٥٠، كان "هوفمان" قد جاء مباشرة من وظيفته كمدير فى "مشروع مارشال" وبذلك حصل على خبرة كاملة نتيجة انغماسه فى مشكلات أوروبا، وفى قوة الأفكار اللازمة لمواجهة تلك المشكلات. كان يجيد لغة الحرب النفسية، وراح يتكلم عن "شن معركة السلام" مرددا صيحة "آرثر كويستلر -Koestler Arthur" فى ١٩٥٠: "أيها الأصدقاء لقد امتلكت الحرية زمام المبادرة للقيام بالهجوم !" كما كان يشارك "روبرت مانيارد هتكنز - "Robert Manyard Hutchins" المتحدث الرسمى باسم "مؤسسة فورد" وجهة نظره، وهى أن وزارة الحربية كانت "معرضة لتدخل سياسى محلى كبير لدرجة أنها لم تعد تقدم صورة كاملة للثقافة الأمريكية".

وكانت إحدى المغامرات الأولى لـ "مؤسسة فورد" بعد الحرب فى مجال الدبلوماسية الثقافية العالمية هى بدء "برنامج النشر المتبادل" بإشراف" جمس لوفلن - "James Laughlin" ناشر سلسلة "توجهات جديدة" (التى أصدرت أعمال "چورج أورويل - "George Orwell" و"هنرى ميلر - "Henry Miller" وأحد الرعاة المحترمين لصالح الجماعات الطليعية فى الأدب والفن. وبمنحة قدرها نصف مليون دولار، بدأ "لافلن - "Laughlin" إصدار مجلة "پيرسپيكتيفز - "Perspectives" الموجهة لليسار غير الشيوعى فى فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا (وكانت تصدر بتلك اللغات كلها) كما كان يؤكد أن هدفها "لم يكن يرمى بالضبط إلى هزيمة المثقفين اليساريين فى

صراع جدلي لكي يزحزحهم عن مواقفهم عن طريق الإقناع الفني والعقلاني"بل إنه فوق ذلك سوف" يشجع على السلام ويدعو إليه بزيادة الاحترام لإنجازات أمريكا غير العادية بين المثقفين في الخارج"(٢٠).

كان مجلس إدارة "برنامج النشر المتبادل" يضم عدداً كبيرا من خبراء الحرب الباردة، كما كان يستهدف إلى جانب ذلك أولئك المثقفين الأمريكيين الذين كانوا يشعرون بأن أعمالهم لا تقدر حق قدرها. "كان مالكولم كولي - Malcolm Cowley" أحد الرعاة والداعمين الأوائل لـ "بيرسبيكتفز - Perspectives" التي قدمت صورة لأمريكا بعيداً عن الأفلام السينمائية والقصص البوليسية والكتب والمجلات الهزلية التي كانت تحوي إعلانات أكثر من النصوص "وكان بيري ميللر- Perry Miller" أحد الأكاديميين يدافع عن ذلك بقوله: " يجب ألا تكون هناك أية مادة دعائية لنمط الحياة الأمريكية، وسوف يكون هذا الحذف في حد ذاته هو أهم عناصر الدعاية بمعناها الجيد"(٢١). لكن "بيرسبيكتفز - Perspectives" لم تنجح في الوصول إلى ذلك، وكان إيرفنج كريستول - Irving Kristol" يشير إليها فيقول: "تلك المجلة البائسة التي كانت تصدر عن مؤسسة فورد"(٢٢). في أعقاب فشلها، كان من السهل أن تقتنع "مؤسسة فورد" بأن تتولى مسألة تمويل ودعم مجلة "لاسكي - Lasky" و"ديرمونات - Der Monat" وكانت تلك المجلة التي أنشئت في أكتوبر ١٩٤٨ بدعم "لوكيوس كلاي - Lucius Clay" وتمول عن طريق "إعانة سرية" من "المفوضية الأمريكية العليا، إلا أن الرعاية الرسمية لها جعلت من الصعب الاستمرار في الادعاء بأنها مستقلة. كان "لاسكي - Lasky" يريد أن يستبدل ذلك الدعم، وبمساعدة أحد المسئولين في المؤسسة وهو "شيبارد ستون - Shepard Stone" الذي كان يعمل تحت قيادة "كلاي- Clay" في ألمانيا، تمكن "لاسكي - L sky" من تأمين الحصول على منحة من "مؤسسة فورد" وأعلن في عدد شهر أكتوبر ١٩٥٤: "اعتباراً من الآن.. نحن أحرار ومستقلون تماما".

وفي ٢١ يناير ١٩٥٣، عندما شعر "آلان دالاس - Allen Dulles" بالقلق على مستقبله في الـ "CIA" بعد انتخاب "ايزنهاور Eisenhower" ذهب لمقابلة صديقه "ديفيد روكفلر - David Rockefeller" على الغداء. ألمح "روكفلر -Rockefeller" مؤكداً لـ "دالاس- Dulles" أنه إذا فكر في ترك "الوكالة" فليتوقع أن يطلب منه أن يكون رئيسا لـ "مؤسسة فورد". وهكذا ما كان "دالاس- Dulles" ليقلق على مستقبله. بعد يومين من ذلك الغداء، نشرت "نيويورك تيمز" القصة، وهي أن "دالاس- Dulles" سيكون مديرا للمخابرات المركزية - "CIA"، أما رئيس "مؤسسة فورد" فأعلن اسمه

بعد وقت قصير. كان هو "جون ماكلوي – John McCloy" نموذج القوة والنفوذ لأمريكي القرن العشرين. عندما جاء إلى "مؤسسة فورد" كان قد سبق له العمل وزيرا مساعدا للحربية، ورئيسا للبنك الدولي ومفوضا أعلى في ألمانيا، وفي ١٩٥٣ كان رئيسا لبنك "تشيز مانهاتن – Chase Manhattan" عند "آل روكفلر" ورئيسا لمجلس إدارة العلاقات الخارجية، وبعد اغتيال جون. اف. كينيدي– John F.Kennedy" كان عضوا معينا في "لجنة وارن – Warren Commission". وأثناء ذلك كله كان محتفظا بعمله كمحام في "وول ستريت" لشركات النفط السبع الكبرى، ومديرا لعدد من المؤسسات.

عندما كان مفوضا أعلى في ألمانيا، وافق "ماكلوي– McCloy" على توفير الغطاء لمصادر عملاء الـ "CIA" بمن فيهم "لورانس دو نيفي – Laurence de Neufville. وبالرغم من أنهم كانوا موظفين– رسميا– في إدارته، إلا أنهم كانوا مسئولين بشكل غير رسمي أمام رؤسائهم في "واشنطن" والذين لم يكونوا ملتزمين بإخبار "ماكلوي – McCloy" عن نشاطهم. وبحنكته السياسية، كانت لديه نظرة براجماتية لمصلحة الـ "CIA" الحتمية في "مؤسسة فورد" عندما كان رئيسا لها. وفي حديث له ردا على قلق بعض كبار المسئولين في المؤسسة، من الذين كانوا يشعرون بأن سمعة استقلاليتها ونزاهتها سوف تتأثر بسبب تورطها مع الـ "CIA" قال"ماكلوي – McCloy" إنهم إذا فشلوا في التعاون، فإن الـ "CIA" يمكنها ببساطة أن تخترق المؤسسة عن طريق تجنيد أو زرع عملاء من المستوى الوظيفي الأدنى. وكان رد "ماكلوي – McCloy" على تلك المشكلة هو إنشاء وحدة إدارية داخل "مؤسسة فورد" تخصص للتعامل مع الـ "CIA". هذه اللجنة الثلاثية المشكلة من: "ماكلوي – McCloy" واثنين من موظفي المؤسسة كان يطلب رأيها كلما أرادت الوكالة أن تستخدم المؤسسة سواء كقناة توصيل أو كغطاء. ويصف "كاي بيرد – Kay Bird" كاتب سيرة "ماكلوي – McCloy" ذلك بقوله "كانوا يبحثون الأمر مع تلك اللجنة الخاصة، وعندما يكون معقولا ولا يتعارض مع مصالح المؤسسة بعيدة المدى، يمكن تمرير المشروع إلى العاملين، وبقية موظفي المؤسسة دون إطلاعهم على أصل الاقتراح"(٢٣).

بهذا الإجراء المرتب داخل المكان، أصبحت "مؤسسة فورد" رسميا متورطة مثل أية من المؤسسات الأخرى التي استطاعت الـ "CIA" تعبئتها للحرب السياسية ضد الشيوعية، كما يكشف أرشيف المؤسسة عن مجموعة كبيرة من المشروعات المشتركة. كان "صندوق دعم أوروبا الشرقية – East European Fund" وهو إحدى واجهات الـ "CIA" التي لعب فيها "جورج كينان – George Kennan" دورا مهما–

يحصل على كل أمواله من "مؤسسة فورد"، وقد استطاع الصندوق أن يعقد صلات وثيقة مع دار تشيخوف للنشر – "Chekhov Publishing House" التى تلقت منه مبلغ "٥٢٣٠٠٠" دولار" (من مؤسسة فورد) لشراء أعمال روسية ممنوعة، وترجمة أعمال كلاسيكية غربية إلى الروسية. كما منحت المؤسسة "٥٠٠٠٠٠" دولار للجنة الإنقاذ الدولية – "International Rescue Committee" برئاسة "بيل كاسى – "Bill Casey"، وإعانات مالية ضخمة لواجهة أخرى من واجهات الـ "CIA" وهى "مجلس الشباب العالمى – "World Assembly Of Youth" كما كانت المؤسسة واحدة من أكبر المؤسسات المانحة لمجلس العلاقات الخارجية – "Council on Foreign Relations"، وهو هيئة استشارية مستقلة كانت تمارس نفوذا ضخما على السياسة الخارجية الأمريكية وتعمل (وما زالت تعمل) طبقا لقواعد بالغة السرية من بينها: حظر الكشف عن سجلاتها قبل ٢٥عاما.

وبفضل منحة ضخمة من "مؤسسة فورد" استطاع "معهد الفن المعاصر" الذى أنشئ فى "واشنطن" عام ١٩٤٧ أن يوسع برنامج نشاطه الدولى. وفى مجلس أمناء الـ "CIA" كان هناك "وليم بندى – "William Bundy" أحد أعضاء مجلس إدارة التقديرات القومية التابع للـ "CIA" وصهر وزير الخارجية السابق " دين أتشسون – "Dean Acheson". كما أصبح شقيقه "ماك جورج بندى – "McGeorge Bundy"رئيسا لـ "مؤسسة فورد" فى عام ١٩٦٦(وكان قد جاء مباشرة من منصب المساعد الخاص للرئيس لشئون الأمن القومى، والذى كان معنياً بين أشياء أخرى برصد نشاط الـ"CIA" ومن بين الذين أفادوا جيدا من سخاء المؤسسة كان هناك أيضا "هربرت ريد – "Herbert Reed" و"سلفادور دو مادارياجا – "Salvador de Madariaga" و"ستيفن سپندر – "Stephen Spender" و"روبرت لويل – "Robert Lowell"و"روبرت بن وارن – "Robert Penn Warren" و"روبرت ريتشمان Richman - Robert"، وكانوا كلهم زملاء "مجلس قادة الثقافة" التابع للـ "CIA". كان ذلك بطبيعة الحال امتدادا لعمل منظمة الحرية الثقافية، والذى كان هو نفسه واحدا من أكبر الجهات المتلقية لدعم "مؤسسة فورد"، حيث كان قد حصل على ٧ مليون دولار فى أوائل الستينيات.

كان فرانك ليند ساى – "Frank Lindsay" أحد الأوائل الذين دعموا منظمة الحرية الثقافية، والذى كان "دو نيفى– "de Neufville" يقدم له تقاريره فى الاجتماعات السرية فى برلين فى عام ١٩٥٠، كان "ليند ساى – "Lindsay" من قدامى المتمرسين "فى مكتب الخدمات الاستراتيجية "OSS"، وكان قد كتب فى عام ١٩٤٧ واحدة من المذكرات الباكرة التى أوصى فيها بأن تقوم الولايات المتحدة بإنشاء قوة

للعمل السرى تخوض بها الحرب الباردة. تلك المذكرة التى كتبها لفتت انتباه " فرانك ويزنر – Frank Wisner" الذى طلب منه المجيء لكى يدير عملياته الأوروبية فى الـ"OPC" مكتب تنسيق السياسات) وكنائب لرئيس الـ " (1951 - 1949) OPC" ان ليندساى – Lindsay" مسئولا عن تشكيل الجماعات "المتبقية فى الحلف" فى أوروبا الغربية، وفى ١٩٥٣ التحق بـ "مؤسسة فورد" ومن هناك أقام علاقات وثيقة مع زملائه فى مجتمع المخابرات.

وفيما بعد، لحق بـ "ليندساى – Lindsay" فى المؤسسة "ڤالديمارنيلسون – Waldemar Nelson " الذى أصبح مديرا للأفراد، وعلى مدى فترة عمله هناك كان "نيلسون – Nelson" عميلا للـ"CIA". فى ١٩٦٠ أصبح مديرا تنفيذيا للجنة الرئيس عن أنشطة الإعلام فى الخارج، وفى جميع أدواره التنكرية المختلفة كان "نيلسون – Nelson" يعمل مباشرة مع "سى. دى. چاكسون – C.D.Jackson" الذى كان يشاركه احتقار "إهمال العوامل النفسية من قبل كثير من العاملين فى هذه المدينة". كما كان "نيلسون" كذلك صديقا حميما لمؤتمر الحرية الثقافية الذى كان يدعمه من كل قلبه.

وسيلة الاتصال الرئيسية بين المنظمة و"مؤسسة فورد" كان هو " شيپارد ستون – Shepard Stone" الذى صنع سمعة جيدة لنفسه كخبير فى وضع التنظيم الإدارى والوسائل التى استطاعت الحكومة الأمريكية والمجموعات الخاصة أن تسهم من خلالها فى الشئون الدولية. كان محررا لـ "نيويورك تيمز " قبل الحرب ثم التحق بالوحدة "G-2" (المخابرات الحربية) فى ألمانيا قبل أن يصبح مديرا للشئون العامة تحت قيادة "چون ماكلوى – John McCloy" فى ألمانيا، عندما استطاع أن يؤمن رعاية حكومية لمجلة " ديرمونات – Der Monat." وكخبير مجرب فى الحرب النفسية كان رأيه جيدا فى "ستون – Stone" ورشحه كخلف لمدير لجنة الاستراتيچية النفسية الذى كان سيترك موقعه فى ١٩٥١ لكن "ستون – Stone" لم يحصل على المنصب والتحق بـ "مؤسسة فورد"، وهناك وكان على اتصال وثيق بالـ "CIA" لدرجة أن كثيرين كانوا يعتقدون أنه من رجال الوكالة. ويعلق على ذلك بشكل غامض أحد العملاء بقوله :" لم يكن "شيب – Shep" من رجال الـ "CIA" بالرغم من أنه – ربما – كان يصطاد فى تلك المياه "(٢٤). وفى عام ١٩٥٣ أمضى شهرا فى أوروبا بدعوة من چوسلسون – Josselson" وقام بزيارة عدد من أبرز أعضاء المنظمة. وكمدير لإدارة الشئون الدولية فى "مؤسسة فورد" منذ ١٩٥٤ زادت قيمة "ستون – Stone" وفائدته بالنسبة للمنظمة.

كما كانت "مؤسسة روكفلر" أيضا – وبدرجة لا تقل عن "فورد" إحدى المكونات الرئيسية فى آلة الحرب الباردة الأمريكية. أدمجت المؤسسة فى ١٩١٣ وكان المانح الرئيسى لرأسمالها هو الأسطورى "چون . دى . روكفلر الثالث – JohnD. Rocke-feller III"، كانت أصولها الرأسمالية تفوق خمسمائة مليون دولار "غير مائة وخمسين مليونا أخرى فى صندوق دعم مؤسسة "روكفلر برادرز" وهى هيئة استشارية رئيسية أنشئت فى "نيويورك" فى ، ١٩٤٠ وفى سنة ١٩٥٧ جاءت هذه الهيئة بأفضل العقول فى تلك الفترة من أجل مشروع دراسات خاصة كانت مهمته هى محاولة تحديد معنى سياسة أمريكا الخارجية. خصصت اللجنة الفرعية رقم ٢ لدراسة أهداف الأمن والاستراتيچية الدولية، وكان من بين أعضائها "هنرى وكلير بوث لوس – Henry and Clare Boothe Luce"و"لورانس روكـــفلر– " Rockefeller Laurence و"تاونسند هوويس – "Townsend Hoopes ممثــلا لشـــركـــة "چوك ويتنى – "JockWhitney و"نيلسـون روكفلر Nelson Rockefeller"، و"هنرى كيسنجر – "Henry Kissinger و"فرانك ليند ساى – "Frank Lindsay و"وليم بندى – "William Bundy"من الـ"CIA".

الالتقاء بين بلايين " روكفلر – "Rockefeller"وحكومة الولايات المتحدة فاق حتى نظيره فى "مؤسسة فورد" وانتقل "چون فوستر دالاس – "John Foster Dulles" و"دين راسك – Dean Rusk" فيما بعد – من رئاسة "مؤسسة فورد" ليصبحا وزيرى خارجية. خبراء الحرب الباردة الآخرين مثل "چون. چى. ماكلوى– John J. McCloy" وروبرت. ايه . لاڤيت – "Robert A. Lovett" ظهروا أيضا كأمناء فى "مؤسسة روكفلر". منصب "روكفلر – "Rockefeller" المركزى فى تلك المؤسسة أمَّنَ لهم علاقات وثيقة مع دوائر المخابرات الأمريكية: كان مسئولا عن كافة أعمال المخابرات فى أمريكا اللاتينية أثناء الحرب العالمية الثانية. وفيما بعد كان شريكه فى البرازيل " چى. سى. كنج – "J. C. King" رئيسا لأنشطة الـ "CIA" السرية فى نصف الكرة الغربى. وعندما عين: "نيلسون روكفلر Nelson Rockef. .er" بواسطة "إيزنهاور Eisenhower" لمجلس الأمن القومى فى ١٩٥٤ كان عمله هو الموافقة على عدد من العمليات السرية. وعندما كان يحتاج إلى عمليات إضافية عن أنشطة الـ "CIA" كان – وبكل بساطة – يمكنه أن يسأل صديقه القديم "آلان دالاس – Allen Dulles" مباشرة لكى يوجز له المطلوب. كان أحد تلك الأنشطة المثيرة هو برنامج الـ "CIA" Mk-UlTRA" أو مرشح منشوريا – "Manchurian Candidate" وهو برنامج بحثى لقياس الأفكار فى الخمسينيات. كما كانت هناك منح من "مؤسسة روكفلر" لدعم ذلك البرنامج.

عندما كان "نيلسون روكفلر" يدير إدارة المخابرات الخاصة به أثناء الحرب،

كان غائبا عن صفوف الـ"OSS"، والحقيقة أنه خلق عداوة استمرت مدى الحياة مع "وليم دونوڤان – William Donovan" بيد أنه لم يكن هناك أى تحيز ضد قدامى العاملين فى الـ "OSS" الذين كانوا يعملون فى "مؤسسة روكفلر" بأعداد كبيرة. فى عام ١٩٥٠ أصبح "تشارلز ب. فاس – Charles B. Fahs" وهو أحد قدامى العاملين فى الـ "OSS" رئيسا لقسم الإنسانيات فى المؤسسة، وكان مساعده زميلاً آخر من زملاء الـ "OSS" اسمه "شادبورن جيلپاتريك – Chadbourne Gilpatric" الذى انتقل إلى هناك من الـ "CIA" مباشرة. وكان الاثنان هما وسائل الاتصال الرئيسية لمنظمة الحرية الثقافية، والمسئولان عن توزيع المنح الضخمة من "مؤسسة روكفلر" على جماعة "چوسلسون – Josselson".

ومثل شقيقه "نيلسون روكفلر – Nelson Rockefeller"، كان "ديڤيد David" شخصية بالغة الأهمية. كان هو المسئول عن مراقبة لجنة الإعانات التابعة لبنك "تشيس مانهاتن"، وكان نائبا لرئيس البنك ثم رئيسا له، وأحد أمناء مجلس العلاقات الخارجية، ورئيس اللجنة التنفيذية للبيت الدولى، وصديقا شخصيا مقربا من "آلان دالاس – Allen Dulles" و"توم برادن – Tom Braden". يقول "برادن – Braden": عادة وبشكل شبه رسمى، وبإذن من "آلان Allen" كنت أبلغ "ديڤيد – David" بما نقوم به، كان رأيه من رأينا ويوافق على كل ما نفعله. كان مثلى لديه نفس الشعور وهو أن الطريق لكسب الحرب الباردة هو طريقنا، أحيانا كان "ديڤيد – David" يعطينى أموالا للقيام بأعمال ليست مدرجة فى الميزانية. أعطانى مبالغ كبيرة للقيام بأعمال فى فرنسا. أذكر أنه أعطانى ذات مرة خمسين ألف دولار لشخص ما، كان نشطا فى الدعاية من أجل "أوروبا متحدة" بين جماعات الشباب الأوروبى، كان ذلك الشاب قد جاءنى بمشروعه وأخبرت "ديڤيد – David" فما كان منه إلا أن أعطانى شيكا بالمبلغ. لم تظهر الـ "CIA" قط فى العملية"(٢٥).

هذه الصفقات الحرة أعطت معنى جديداً لممارسة المغامرة الحكومية، وكانت نتيجة حتمية لخصخصة السياسة الخارجية الأمريكية تقريبا أثناء سنوات الحرب الباردة تلك. ونتج عن نفس الثقافة – فيما بعد – كوارث مثل كارثة "أوليڤر نورث – Oliver North". والمقارنة هنا واردة: فمثل مهندسى عملية "إيران جيت – Iran Gate" و"بنظرته الثابتة المحدقة وشعوره القوى بالواجب واقتناعة الراسخ بأن الغاية تبرر الوسيلة"، لم يكن أولئك الأصدقاء الأوائل للـ "CIA" يشعرون قط بأى شك فى أنفسهم ولا فى أهدافهم....

(١٠)

حملة الحقيقة

لا يكفى أن تكتب بلغة اليديش...

لابد من أن يكون لديك ما تقوله.

"واى. الـ. پيريز"

قدم مهرجان "نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov للفنون الذى نظم فى ١٩٥٢ فرصة لاختبار مدى القدرة المتوفرة للدعاية الأمريكية السرية . ولكن فى عصر كان مازال عليه أن يكتشف القول المأثور لـ "مارشال ماكلوهان – Marshall McLu-han" وهو أن "الوسيلة هى الرسالة"، بدأ خبراء الاستراتيچية فى الحكومة يتساءلون عما تكون تلك الرسالة بالضبط، أو ما سوف يعبر عنه "والت روستو – Walt Rostow" المسئول السابق فى الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيچية – والمستشار الخاص "ايزنهاور – Eisenhower" فإن المشكلة بالنسبة للألاعيب القذرة هى أننا "لم نكن نعرف ماذا نقول(١). وهل هناك من هو أفضل من خبير فى الإعلان لكى يحدد الرسالة؟!

فى أوائل الخمسينيات استطاع شخص واحد أن يفعل أكثر من سواه لوضع أچندة الحرب الثقافية الأمريكية. وكرئيس للجنة القومية من أجل أوروبا الحرة، وكمستشار لـ "ايزنهاور – Eisenhower" لشئون الحرب النفسية، كان "سى. دى. چاكسون – C. D. Jackson" واحداً من أكثر خبراء الاستراتيچية السرية نفوذا وتأثيرا فى أمريكا. "چاكسون – Jackson" من مواليد "نيويورك" عام ١٩٠٢، كان والده رجل صناعة ثريا، يعمل باستيراد الرخام والحجر من أوروبا. تخرج "سى. دى. چاكسون – C. D. Jackson" فى "پرنستون" فى عام ١٩٢٤ والتحق بشركة العائلة مما وفر له فرصة للسفر إلى أوروبا كثيرا، وأن يقيم علاقات ستكون مصادر بالغة الأهمية بالنسبة له فى القادم من السنوات. وفى عام ١٩٣١ التحق بإمبراطورية "هنرى لوس – Henry Luce" كمسئول إعلانات. وأثناء الحرب كان واحدا من أهم أخصائى الحرب النفسية الأمريكية، وهو نائب رئيس مكتب الإعلام العسكرى فيما وراء البحار وشمال إفريقيا والشرق الأوسط، ثم نائب رئيس إدارة الحرب النفسية

"PWD"(*) التابعة لـ "قوة الحملة المتحدة التابعة لمركز القيادة العليا" – SHAFE(**) وكانت بقيادة "ايزنهاور – Eisenhower.

وبعد الحرب عاد "سى. دى. – "C.D" إلى مؤسسة "تايم لايف: "Time - Life حيث أصبح نائبا لرئيس "تايم". كان من قدامى النشطين فى زمرة "آلان دالاس – Al-len Dulles " فى" نيويورك" وواحدا من "كاوبوى پارك أفينيو"، وفى عام ١٩٥١ دعى للمشاركة فى دراسة للـ "CIA" توصى بإعادة تنظيم المخابرات الأمريكية، وأوصله ذلك إلى وظيفة مدير "من الخارج" لعمليات الـ "CIA" السرية عن طريق "حملة الحقيقة" واللجنة القومية من أجل أوروبا الحرية التى أصبح رئيسا لها فيما بعد. وهنا سيقوم بإعداد جدول يضم شخصيات أمريكية بارزة - من بينها الجنرال "ايزنهاور – Ei-senhower، كانوا على استعداد لأن يقدموا أسماءهم للجنة، كان "سى. دى" عضوا فى اللجنة التنفيذية لإذاعة أوروبا الحرة مع "چاى لفستون – Jay Lovestone" و"آرثر شليزنجر - Arthur Schlesinger" أحيانا – كما كان مديرا "لصندوق دعم يونايتد نجرو كوليدج United Negro College Fund" وعضو مجلس أمناء "أوركسترا بوسطن السيمفونى (مع أقطاب الحرب الباردة "هنرى كابوت لودج "Henry Cabot Lodge" و"چاكوب كاپلان Jacob Kaplan" و"إدوارد تافت "Edward Taft")، كما كان عضوا فى مجالس إدارات "مركز لنكولن لتخطيط الفنون" و"شركة أوپرا ميترو پوليتان" (مع كورنيليوس ڤاندر بلت ويتنى – Cornelius Wanderbilt whitney و"مؤسسة كارنيچى" فى "نيويورك").

كان "ايزنهاور – Eisenhower" يعرف "سى. دى. چاكسون – C. D." Jack-son جيدا منذ حملاته فى أوروبا وأفريقيا أثناء الحرب، وكان قد تعلم على يديه فن التأثير فى الجماهير. وبتأثير من "سى. دى چاكسون" كان أن اقتنع "ايزنهاور – Ei-senhower باستئجار شركة علاقات عامة فى حملته الانتخابية ليصبح أول مرشح رئاسى يفعل ذلك. وبمجرد أن دخل "ايزنهاور – Eisenhower" البيت الأبيض فى يناير ١٩٥٣ ليكون الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة وبمجرد أن أصبح رئيسا، أنشأ وظيفة رئيسية فى الهيكل الإدارى للعاملين معه، وأصبح "سى. دى. چاكسون – C. D. Jackson" مستشارا خاصا للرئيس لشئون الحرب النفسية، وهو المنصب الذى جعل من "چاكسون – Jackson" وزيرا "غير رسمى" للدعاية يتمتع بسلطات غير محدودة.

Psychological Warfare Division . (*)

Supreme Headquarters Allied Expeditionary Force (**)

كانت أول مهمة لـ " سي. دي - "C. D" هي تقوية إمكانيات الحرب السرية لأمريكا. في ذلك الوقت كانت عمليات الحرب النفسية والدعاية موزعة بين وزارة الخارجية وإدارة التعاون الاقتصادي (التي كانت تدير مشروع مارشال) والمخابرات الحربية والـ "CIA" والـ "OPC" التابع لـ "ويزنر - Wisner" في إطار الـ"CIA" وإن كان غالبا يعمل بشكل مستقل)، وجد "سي. دي. جاكسون - C. D. Jackson" أن العمل في تلك الهيئات والإدارات يحكمه تعقيدات تنظيمية وخصومات وتنافس، وأنهم جميعا كانوا يعملون مثل "الهواة"، كما كان يشكو من وجود "شح في سياسة واشنطن وفراغ تام"، وأنه كانت هناك "فرصة ومشكلة". الفرصة هي استرداد قوتنا العالمية الدينمية، وليست هي الدولارات بل الأفكار. دينميتنا حتى الآن - الحماية الذاتية والدولارات - يجب أن تحل محلها الدينمية الأمريكية الباكرة.. التي هي الإخلاص لهدف، لمثل أعلى. هنا نحن مواجهون باحتمال انبعاث الطرح الأمريكي في أنحاء العالم.. أما المشكلة فهي: كيف يمكن المحافظة على دينمية ذلك الشيء دون أن نكون مضطرين لأن "نسحب قروننا"؟. وباختصار فإن المطلوب كان هو "مشروع وخطة شاملة للحرب النفسية الأمريكية"، يكون هدفها الانتصار في الحرب العالمية الثالثة دون الاضطرار لخوضها"(٢).

وفي مؤتمر صحفي، شرح الرئيس "ايزنهاور - Eisenhower" الفكرة: "هدفنا في الحرب الباردة ليس الاستيلاء على أراض أو اخضاع الآخرين بالقوة، هدفنا أكثر براعة وأوسع مجالا وأكثر اكتمالا، نحن نحاول أن نجعل العالم يصدق الحقيقة بالوسائل السلمية. والحقيقة هي أن الأمريكيين يريدون عالما يعيش في سلام، عالما تكون الفرصة فيه أمام جميع البشر لأقصى تقدم فردي ممكن، والوسيلة التي سوف نستخدمها لنشر هذه الحقيقة تسمى عادة بالوسيلة النفسية، لا تخافوا من هذا المصطلح لأنه ليس مجرد كلمة من خمسة مقاطع - خمسة دولارات،" الحرب النفسية" هي الصراع من أجل عقول وإرادات البشر"(٣).

وللتغلب على تبعثر العمليات السرية والتنافس بين الأجهزة في إدارات الحكومة، اقترحت وزارة الدفاع والـ "CIA" هيئة مستقلة لتنسيق العمليات النفسية. وبالرغم من مقاومة وزارة الخارجية لذلك، إلا أن "چورچ كينان - George Kennan" أيد الفكرة وتبناها ولعب دورا رئيسيا في إقناع الرئيس "ترومان - Truman" لكي يوقع توجيها إداريا سريا بتشكيل "هيئة الاستراتيچية النفسية "PSB"(*) في الرابع من إبريل عام ١٩٥١، وكانت لجنة الـ "PSB" كما أصبحت تعرف - فيما بعد - هي

(*) Psychological Strategy Board

التى طلب منها أن ترسم "مشروع السياسة" التى دعا إليها "سى. دى. چاكسون - C. D. Jackson". الخطة "الفكرية" أو "الأيديولوچية" تم اقتراحها فى البداية فى ورقة استراتيچية بعنوان: PSB D-33/2. هذه الورقة نفسها مازال محظوراً الاطلاع عليها، لكن أحد موظفى الـ "PSB". واسمه "تشارلز بيرتون مارشال - Charles Burton Marshall" نقل - بتصرف- بعض الفقرات التى أقلقته بشدة، وذلك فى مذكرة داخلية طويلة، وراح يتساءل: "كيف يتسنى لحكومة أن تتدخل فى نظام أيديولوچى واسع خاص بها دون أن يكون لذلك شكل الشمولية؟!". "الورقة لا تشير إلى شيء بعينه. تقبل بالاتساق كبديل للتنوع، وتفترض نظاما يبرر نمطا معينا من العقيدة والبنية الاجتماعية"، وتقدم "مجموعة من المبادئ للطموحات الإنسانية"، "وتضم كل مجالات الفكر الإنسانى" - "كل ميادين الاهتمامات الثقافية من الأنثروبولوچيا والإبداع الفنى، إلى علم الاجتماع والمنهج العلمى". "مارشال" (الذى سيكون خصما عنيفا للـ (PSB) واصل انتقاده لمطالبة الورقة بـ "آلية" لإنتاج الأفكار التى تصور "أسلوب الحياة الأمريكى" على أساس علمى منظم. كما لاحظ "مارشال" أنها (تتوقع "إنتاجا فكريا" فى ظل "آلية للتنسيق") و(تؤكد على دفع مكافأة تشجيعية عن العمل السريع والإيجابى من أجل الحث على خلق ونشر الأفكار)" وتتنبأ "بحركة ثقافية طويلة المدى" نتيجة هذا الجهد، وأن هدفها ليس مواجهة الشيوعية فقط وإنما هو فى الحقيقة "تدمير النمط الفكرى المذهبى" الذى يقدم قاعدة ثقافية "للمبادئ المعادية للأهداف الأمريكية". وكانت الخلاصة التى توصل إليها "مارشال" جازما: "وهذه هى الشمولية فى أوضح صورها"(٤).

كما اختلف "مارشال" أيضا مع تعديل الـ "PSB" على "النظريات الاجتماعية اللاعقلانية" التى تؤكد على دور النخبة "على نحو يذكر بـ "پاريتو - "Pareto" و"سوريل - Sorel" و"موسولينى - Moussolini"... إلخ" ألم تكن تلك النماذج هى التى استخدمها "چيمس بيرنهام - James Burnham" فى كتابه "الميكياڤيلليون؟". ربما كانت هناك نسخة للمساعدة عند كتابة وثيقة PSB D-33/2. والأكثر احتمالا هو أن يكون "چيمس بيرنهام - James Burnham" نفسه قد تم الاستفادة منه. فمن المؤكد أن "مارشال" كان يتحدى نظرية "بيرنهام" عن حكم النخبة. ويواصل "مارشال": "أما النخبة المفترضة فتبرز كمجموعة وحيدة جديرة بالاعتبار. والنخبة تعرف بأنها: تلك الجماعة محدودة العدد، القادرة وصاحبة المصلحة فى المناورة بالأمور المذهبية"، رجال الأفكار الذين يجذبون الخيوط الفكرية "لتشكيل أو على الأقل تهيئة التوجهات والآراء" لدى أولئك الذين يقومون بدورهم بتوجيه "الرأى العام"(٥). وطبقا لتأويلات "مارشال" فإن خطة الـ "PSB" كانت هى العمل على النخبة فى كل ميدان لتوجيه أعضائها "نحو

الفلسفة التى يؤمن بها المخططون"، واستخدام النخبة المحلية يمكن أن يساعد على إخفاء الأصل الأمريكى لهذا الجهد "لكى يبدو كأنه تطور محلى". ولكنه لم يكن يستهدف الأجانب فقط. وبالرغم من أن الورقة أنكرت أية نية للدعاية بين الأمريكيين، إلا أنها التزمت ببرنامج تلقين فى الوحدات العسكرية بحق الأفكار الصحيحة فى الكتب الهزلية لرجال الخدمة العسكرية، وترك المرشدين الدينيين الملحقين بالوحدات يروجون لها"(٦).

أصابت انتقادات "مستر مارشال" اللاذعة، البرنامج السرى للحرب الثقافية الأمريكية فى الصميم. وكانت نظرية النخبة التى هى أساس ورقة الـ "PSB" هى نفس النموذج الذى تستخدمه الـ: "CIA" لتبرير احتضانها لليسار غير الشيوعى ودعمها لمؤتمر الحرية الثقافية. وتعليقا على استخدام النخبة الثقافية لتطوير "فلسفة المخططين" لم يكن رجل الـ"CIA" دونالد چيمسون – "Donald Jameson" يهزل عندما قال: "على ضوء تلك التوجهات، كانت الوكالة تريد أن توحى بها من خلال تلك الأنشطة، وأن ما كانوا يريدون التمكن من عمله هو أن يصنعوا أناسا يرون أن كل ما تقوم به حكومة الولايات المتحدة صحيح، ويعتقدون أن ذلك هو اقتناعهم الشخصى وأنه جاء بعد تفكير وليس نتيجة إيحاء من أحد"(٧).

ولكن انتقادات "مارشال" لم تلق آذانا صاغية. فقد تحرك مدير الـ"PSB" هيئة الاستراتيچية النفسية – "ريموند آلان – Raymond Allen" ليعطى تصريحا متغطرسا وهو أن "المبادئ والمثل المتجسدة فى إعلان الاستقلال وفى الدستور هى للتصدير... وهى تراث البشر فى كل مكان. ينبغى أن نكون مع المطالب الأساسية لكل الناس، والتى أعتقد أنها واحدة بالنسبة لأى فلاح فى "كانساس" أو أى فلاح فى "البنجاب"(٨). وفى شهر مايو ١٩٥٢ تولت الـ "PSB" التى تم تقويتها – عملية الإشراف بشكل رسمى على عمليات وتوقيتات برنامج الحرب النفسية الذى تقوم به الـ "CIA" والذى أخذ الاسم الكودى: "Packet" الحزمة"، وجعلها ذلك تشرف على حملة الـ"CIA" لممارسة الضغط على "قادة الرأى" فيما وراء البحار بمن فيهم من الصحفيين والمعلقين السياسيين والفنانين وأساتذة الجامعات والعلماء الذين كانت تروق لهم الشيوعية، كان استعادة تلك الشخصيات المؤثرة إلى قضية "الحرية والاستقلال" يتطلب برنامجا من العمليات الثقافية مثل الندوات وحلقات الحوار والكتب والمجلات الثقافية والمكتبات وتبادل الزيارات بين الأشخاص، ومنح الدرجات العلمية.. إلخ". وتحت هذه القواعد تولت الـ "PSB" الإشراف على حركة إعادة التسليح المعنوى، والحملة من أجل الحرية، وإذاعة أوروبا الحرة، والسلم والحرية، واللجنة الأمريكية

للحرية الثقافية، حتى العمليات التى كانت تتطلب بثا إذاعيا من السفن "والصور المتحركة ثلاثية الأبعاد" واستخدام الأغنيات الشعبية والفولكلور والرواة الجوالة"، وفى يونيو ١٩٥٣ كانت الـ "Packet" قد أصبحت مجرد جزء من "البرنامج الفكرى" لـ "PSB" والذى تم تحديد أهدافه النفسية فى ورقة جديدة ليكون "مغريا ومقبولا من المثقفين والباحثين وجماعات تشكيل الرأى"، لكى يقضى على الأنماط الفكرية التى قدمت أساسا ثقافيا للشيوعية وغيرها من المعتقدات المعادية لأمريكا ولأهداف العالم الحر". وكان من رأيهم أن حملة الإقناع هذه سوف "تحدث ارتباكا وتخلق شكوكا وتضعف الثقة فى أنماط الفكر المقبولة لدى الشيوعيين"، وصدرت الأوامر للـ"CIA" بأن تعطى أولوية مطلقة دائما لكافة الأنشطة الداعمة لأهداف هذا البرنامج."(٩) وبعد مرور أقل من عامين على إنشائها، كانت قد "نجحت أخيرا فى أن ترسخ نفسها جزءا لا يتجزأ من عملية تطوير واستخدام السياسة الخارجية"(١٠).

ولأنه كان لديه إمكانية الوصول إلى دهاليز المكائد فى الـ "PSB" والإدارات الحكومية التى تضمها، أصبح "سى. دى جاكسون – C. D. Jackson" هو الشخصية الأكثر شهرة وبروزا فى دائرة النفوذ تلك، التى أصبحت تعرف باسم "الحكومة الخفية". كان يجلس مثل ملك شرقى أو حكيم يونانى قديم، يتدفق عليه سيل الزائرين يلتمسون الحكمة والمشورة فى أمور شتى. وتكشف السجلات التفصيلية لهذه الزيارات عن نفاذ بصيرة فى عالم العمل السرى. كان يأتى إليه ضباط من الـ "PSB" مسلحين بخطط للحرب الأيديولوجية، والتى كان من بينها مختلف المطبوعات الدعائية التى تلقى فوق الستار الحديدى من بالونات الهيليوم، كما جاء "آدم واطسون – Adam Watson" من الـ"IRD" إدارة البحث الإعلامى – ليقدم له مذكرة عن سياسة الحرب النفسية البريطانية "،التى أكد لى "واطسون – Watson" أنها كانت ممتازة وعملا غير مسبوق من جانب الـ "HMG" وبهذا الخصوص أثار مشكلة مشاركة بريطانيا لنا فى كل أعمالنا المخابراتية بالرغم من أننا لا نشارك فى أى من عملياتهم، كما أخبرته بأن العاملين هنا كانوا على علم بذلك الموقف وإننى أتمنى أن يرتفع الأداء قريبا" وأصبح "واطسون – Watson" مصدر اتصال شديد الأهمية بالنسبة لـ "سى . دى – "C. D" الذى كان قد التقاه لأول مرة عام ١٩٥١فى السفارة البريطانية فى "واشنطن"، حيث كان "واطسون – Watson" على صلة بالـ"CIA"، بعد ذلك عمل "سى. دى – "C. D" بشكل مباشر معه، كما رشح "واطسون – Watson (وزكاه لـ "نيلسون روكفلر – Nelson Rockefeller) الذى خلف "C.D" فى منصبه فى البيت الأبيض فى ١٩٥٤) كشخص "يفضل الصداقة الهادئة المفيدة، بعيدا عن الرسميات، صداقة "هات و خذ"(١١). كما أثبت "واطسون – Watson" أنه حليف جيد

وقوى – عندما يكون حذرا – لمنظمة الحرية الثقافية لعدة سنوات، ومن منظمة الحرية الثقافية جاء "چوليوس فليشمان – "Julius Fleischmann لبحث إمكانية "قيام المنظمة برعاية رحلة "أوپرا ميتروپوليتان" لأوروبا وبعده جاء "دانيل بل – "Danil Bell" لكى "يتكلم عن "ميلوش – "Miloscz" والمؤتمر العالمى القادم برعاية "منظمة الحرية الثقافية"(١٢).

وبوجود "سى. دى. چاكسون – "C. D. Jackson" فى البيت الأبيض كسبت "منظمة الحرية الثقافية" حليفا قويا فى "واشنطن". وتحرك "توم برادن – Tom Braden" بسرعة لكى يوطد صداقته مع "سى. دى" فكانا يلتقيان بشكل منتظم لمناقشة "أمور كثيرة متراكمة". تعاونهما أثناء جولة "أوركسترا بوسطن السيمفونى" فى أوروبا عام ١٩٥٢ كان قد أقنع "سى. دى" بفائدة وجدوى المنظمة التى كان يمتدحها باعتبارها "المؤسسة الوحيدة التى أعرف أنها تصنع تحولا مضادا للشيوعية فى أوروبا وآسيا"(١٣). كما كان مهتما بعدد من نشطائها ورشح كثيرين منهم لوظائف فى الحكومة من بينهم "سيدنى هوك – "Sidney Hook و"چيمس بيرنهام – James Burnham المدافع بشدة عن شعبة الأعمال القذرة) و"صول ليڤيتاس – "Sol Levitas محرر "نيوليدر – "New Leader و"دانيل بل – "Danil Bell الذى كان يعمل فى مجلة "Fortune" المملوكة لـ "لوس – "Luce"، والذى كان كما يقول "سى. دى "عليما بأساليب الحرب الباردة الشيوعية"(١٤). وكان معجبا منذ وقت طويل بـ"نيكولاس نابوكوفNicolas Nabokov" . كان "سى. دى" هو الذى رشح "نابوكوف Nabokov" فى قائمة أفراد الحرب النفسية المناسبين لشغل مناصب حساسة، تلك القائمة التى سلمت لمكتب سكرتارية الجيش فى عام ١٩٥٠.

استمر تحالف "سى . دى . چاكسون – "C. D. Jackson" مع المنظمة عدة سنوات (فى عام ١٩٥٤ أصبح عضوا فى مجلس إدارة اللجنة الأمريكية) وحقق لها فوائد كثيرة إلى جانب الاحترام الناشئ عن دعمه الحذر. عندما كانت المنظمة تريد تغطية صحفية فى مجلات "لوس– Luce" كان بإمكان "سى. دى" أن يؤمن لهم ذلك. وإذا كانت تريد التقارب من لجنة أوروبا الحرة أو إذاعة أوروبا الحرة يمكن أن يقوم "سى. دى" بالاتصال. وإذا كانت فى حاجة إلى تبرعات خاصة، كان بإمكانه أن يجرى الاتصال بمعارفه الواسعة لتقديم الغطاء المطلوب، لكن الأهم من ذلك كله كان ذلك الطابع السياسى الذى حققه "سى. دى" لمنظمة لم يكن يدافع عنها سوى عدد قليل فى العاصمة. يقول "لورانس دو نيڤى – Lawrence de Neufville": لم يكن هناك أحد من المشاهير فى "واشنطن" يدافع عنها، لم يكن أحد يعتقد أنهم كانوا فى حاجة إلى

شهرة أحد للدفاع عنها. كان معظم الناس متحيرين فى أمرها. نحن أنشأناها. لكن لم يكن لدينا أية آلية لها فى "واشنطن"(١٥). إن بقاء "منظمة الحرية الثقافية"، بل وازدهارها وسط هذا الإطار من التشكك، لابد من أن يكون الفضل فيه لجهود "مايكل جوسلسون -Michael Josselson" الخارقة. بعد عبء العمل المضنى على مدى السنوات القليلة السابقة أخذ "مايكل جوسلسون – Michael Josselson" فترة راحة قصيرة من ذلك الصراع على عقول وإرادات الناس. وفى ١٤فبراير ١٩٥٣ تزوج "ديانا دودج – Diana Dodge" زواجا مدنيا شهد عليه "لورانس دو نيفى – Law-rence de Neufville" كان كلاهما قد تزوج من قبل، "جوسلسون" كان قد تزوج من "كوليت جوبير – Colette Goubert" فى هافانا" عام ١٩٤٠ ولكنهما طلقا وافترقا. كان كتوما دائما، فلم يتحدث عنها قط مع أحد. لكنه كان يحتفظ بقصاصة حائلة اللون من جريدة صدرت فى "نيويورك" فى فبراير ١٩٦٣ نشرت خبر مصرع "كوليت – Colette"، حيث عثر عليها مقيدة ومخنوقة بوضع جسم صلب فى فمها لمنعها من الصراخ بعد اغتصابها فى شقتها فى "أپر إيست سايد".

قضى "مايكل" و "ديانا" شهر العسل فى "مايوركا"، وبعد عودتهما إلى "پاريس" بوقت قصير، "صارح" "مايكل" زوجته الجديدة بأنه كان يعمل لحساب الـ"CIA"، وأن "منظمة الحرية الثقافية" كان من ضمن "ممتلكات" الوكالة. أما "ديانا" التى كانت قد لاحظت بالفعل من خلال تورطه مع المنظمة أن هناك ما هو أكثر من كونه يعمل بالتصدير والاستيراد – كما تقول بطاقته، فكرت أنه كان يعمل – ربما – لحساب – السوفيت. ولكنها استراحت عندما اكتشفت الآن أنه كان فى الجانب "الصحيح". كانت "ديانا – Diana" تعمل تحت اسم "چين انسنجر – Jean Insing-er"، ومنذ ذلك الوقت أصبح بينهما نوع من الشراكة.

كانت "ديانا چوسلسون – Diana Josselson" شخصية مناسبة تماما لذلك الدور. ولأنها كانت موظفة سابقة فى "مؤسسة فولبرايت" فإنها كانت على دراية واسعة بشئون العمل، أولا: لأنها عملت محررة شئون عمالية، ثم: نتيجة لخبرتها فى الإدارة فى "مشروع مارشال" حيث كانت تعمل تحت إشراف "چاى لڤستون –Jay Lovestone " و"إيرڤينج براون – Irving Brown"، وتتذكر "ديانا" بسعادة: "كنت صغيرة السن نضرة الوجه، وناجحة مع كل القيادات العمالية". كان عملها فى "إدارة العمال" يتضمن كتابة تقارير عن اتحادات العمّال الشيوعية فى أوروبا، الأمر الذى مكنها من الاطلاع على أدق الأسرار، وكانت تلك الوظيفة تتطلب تصريحا من الـ"CIA". وفيما بعد عرفت "ديانا" أن أموال الدعم المناظر التى كانت تحت تصرف

الـ "CIA" كانت هى التى تدفع راتبها.

كانت "چين انسنجر - Jean Insinger" و"چوناثان. إف. سابا" تكتبان البرقيات والمذكرات المشفرة لإرسالها إلى "واشنطن". ثم تسلم تلك الرسائل إلى أحد ضباط الـ "CIA" من حاملى الحقائب أثناء شرب "المارتينى" فى شقة "چوسلسون". تقول "ديانا": كان جميع ضباط الـ "CIA" أولئك يحملون حقيبة أوراق من نفس النوع، لها جيب سرى فى القاع، وكانت البرقيات توضع فيه. والحقيقة أنها كانت عملية مضحكة حيث كان يمكن التعرف على أولئك الضباط من على بعد ميل -على الأقل- كانت الحقائب كلها من نفس النوع، منتهى الاستهتار، كنا نقرأ البرقيات القادمة ثم نتخلص منها فى دورة المياه"(١٦). كانت "ديانا" مؤهلة تماما لهذا النوع من العمل وتعرف كيف تحافظ على الأسرار حتى من أمها. ذات مرة، خرج الضابط (ضابط الحقيبة) "لى وليمز - Lee Williams" لشراء "برطمانات" غذاء للطفلة الرضيعة "چينيفر - Jennifer"، الطفل الأول الوحيد لـ "چوسلون"، وعندما عاد، كانت "ديانا" مضطرة لأن تقدمه إلى أمها التى كانت قد جاءت من الولايات المتحدة لتساعدها فى رعاية الطفلة. لمحت "ديانا" نسخة من رواية "چين اير" على الطاولة فتلعثمت وهى تقول لأمها: " هذا... هه... مستر روشستر.. " فاستغربت الأم التى لم تشك فى أى شىء قائلة: غريب! "مستر روشستر"... تماما مثل ذلك الذى فى "چين اير" ! ". عدم استخدام "ديانا" لاسم "لى وليمز - Lee Williams" الحقيقى والذى لم يكن ليكشف أى شىء، هو دليل على أن خيالها كان أسيرا لتلك "اللعبة الكبرى". وعندما عرفت أم "ديانا" الحقيقة فيما بعد، كانت هى الأخرى "فى غاية الدهشة من المسألة كلها"(١٧).

والآن، وبعد أن أصبحت "ديانا - Diana" ملمة بكل شىء فى عمل "مايكل - Michael"، كان إعجابها بخبرته غير العادية يزداد يوما بعد يوم، قدرته على التنسيق بين مطالب "واشنطن" والطبائع الغريبة لمثقفى منظمة الحرية الثقافية، كانت تثير دهشتها. قالت فيما بعد: "كان من المستحيل أن تتحقق المنظمة بدونه"، "كان جو العمل فى المنظمة فى أيام ذروتها يشبه المائة يوم الأولى فى إدارة "كينيدى". الجو مكهرب كنت تشعر بأنك تلمس كل شىء، على صلة بكل شىء.. وفى كل مكان، كل شىء مزدهر، كل شىء ملىء بالحيوية. كان شيئا مبهرا... كيف يكون فى الصباح مشغولا بالكلام عن كتاب المسرح فى "بوليڤيا"، وبعد الظهر عن الكتاب فى آسيا، ثم يكون فى المساء مع "نابوكوف على التليفون يتكلمان بأربع لغات مختلفة، أتذكر الجلوس مع "ستراڤنسكى" فى إحدى مقاهى "پاريس" عندما كانت زوجته تشرح لى كيفية صنع "إليان كيك" الروسى. كان وقتا غير عادى بالنسبة لنا. الحرب الباردة.

منظمة الحرية الثقافية، كان شيئا أشبه بالثورة الفرنسية أو "حركة أوكسفورد"، كان ذلك هو شعورى"(١٨).

كثيرا ما كان يلتقى "جوسلسون" وزوجته بـ"توم برادن" الذى كان كثير التجوال فى أوروبا لمتابعة عملياته. كانا يصطحبانه إلى أحد المطاعم أو إلى "دورة رولاند - جاروس" للتنس أو إلى سباق الدراجات فى "ڤيلو دروم ديفر - Vélodrom d'Hiver" - ذلك "الاستاد" الذى يحمل ذكرى مرعبة" والذى نقل إليه اليهود تحت حكم "فيشى" - كان "آل جوسلسون - The Josselsons" أيضا على اتصال دائم بـ "إيرڤينج براون" وكانوا يلتقون أحيانا فى أحد الأندية الليلية الماجنة واسمه "L'Indifferent (أو اللامكترث)، وفى إحدى المرات وصلا إلى هناك فوجدا "براون" يقوم بتسليم كمية ضخمة من النقد إلى "قاطع طريق من مرسيليا"(١٩). كان "براون" يقوم فى تلك الفترة بتشكيل "لجنة البحر الأبيض المتوسط" وهى مجموعة من "الفتوات" يتقاضون أجرا مقابل القيام بالحراسة فى الموانئ الفرنسية أثناء قيام عمال الموانئ بتفريغ شحنات مشروع "مارشال" والأسلحة الأمريكية لـ "ناتو"، وتعليقا على قدرة "براون" على تنسيق كل تلك الأنشطة قال "براون" بسخرية: كان شيئا غير عادى بالنسبة لشخص يقوم بدور مكشوف وهو ضرب عملاء الشيوعيين على أرصفة الشحن فى مرسيليا، أن يكون مهتما بمنظمة الحرية الثقافية"(٢٠).

وتقول "ديانا جوسلسون": "كان لاتحاد العمال الأمريكى خبرة حقيقية بالشيوعية، وكان ذلك هو المكان الواضح الذى ينبغى أن تبدأ منه الحرب"، كان "براون" يحب كل أعمال الذراع الطويلة، مثل إفساد الاضرابات فى مرسيليا إلى غير ذلك، وكنت أضحك أنا و"مايكل" كثيرا عندما نذهب إلى أحد الأندية الليلية ونلتقى بأحد "فتوات" أو "أجلاف" الاتحادات العمالية من الذين "يقبضون" من "إيرڤنج"، وأنا واثقة أيضا بأن "إيرڤنج" كان يضحك مثلنا تماماً على منظر المثقفين! وأعتقد أن جاذبية "شلة" المنظمة بالنسبة لـ "إيرڤنج" الذى لم يكن يعرف الفرق بين "پيكاسو" و"بودلير"... هذه الجاذبية كان سببها الأضواء، وأن الصلات الشخصية كانت مفيدة جدا"(٢١).

فى عطلة نهاية الأسبوع كان "مايكل" و"ديانا" يلتمسان الراحة بزيارة محلات بيع التحف القديمة وقاعات عرض الأعمال الفنية، يتناولان غداء سريعا .. ثم الشاى فى "مقهى دو فلور - Cafe de Flore" مقهى سارتر المفضل - أو الـ"دوماجو- Deux Magots"، وفى أيام الآحاد يخرجان للتنزه فى "فونتان بلى - Fontainebleau" أو فى قارب على "السين"، وأحيانا كانا يلتقيان بـ"دو: ڤى - de Neufville" ليكونوا "ثلاثياً متجانساً" تجمع بينهم صداقة حقيقية... وسر مشترك. وذات يوم عاد "دونيڤى" من

جولة مشتروات مع "چوسلسون" الذى كان سعيدا باقتناء لوحتين من أعمال "براك - Braque" بعد سنوات، كانت "چينيفر- Jennifer" ابنة "چوسلسون" قد أصبحت خبيرة بالفن الحديث فأعلنت - على مضض - أن اللوحتين مزيفتان!

وبفضل ضبط "چوسلسون" لأداء مكتب باريس وترك بصماته عليه، كانت منظمة الحرية الثقافية تحقق سمعة طيبة كمركز جيد التنظيم لمقاومة الشيوعية، وعن طريق مجلة "پريف - Preuves"، كانت تقدم صوتا سياسيا يتناول أيضا القضايا الفنية والثقافية الرئيسية للمرحلة. وبالرغم من أن الفرع الألمانى للمنظمة كان ينتقل من أزمة إلى أخرى، إلا أن "چوسلسون" كان يعتمد على "ميلڤن لاسكى - Melvin Lasky" وكذلك على "دير مونات - Der Monat" (التى تسلمتها المنظمة من "مؤسسة فورد" فى عام ١٩٥٤) لتولى مصالح المنظمة هناك، أما الأفرع الموجودة فى دول أخرى فكانت تمر بمشكلات عدة، كانت كلها تشير إلى صعوبة أن يعمل المثقفون جميعاً دون الوقوع فريسة لصراعات وشقاقات حزبية ومشاعر جريحة، لكن مشكلاتهم كانت تبدو مثل "عاصفة فى فنجان" مقارنة بالأعاصير التى اجتاحت "اللجنة الأمريكية".

(١١)

الإجماع الجديد

لابد من أن يكون الفناء رجعيا .. عليه أن يقف ضد توجه عصره ولا يسير معه .. لابد من أن يكون معارضا على نحو ما ..

"ايفلين وو"
* الغرب .. هو اختيارى
(دوايت ماكدونالد)

١٩٥٢

كان "سيدنى هوك - Sidney Hook" هو القوة الدافعة وراء اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية التى أنشئت فى عام ١٩٥١، كما كان أول رئيس لها. وكما يقول "لورانس دو نيفى - Lawrence de Neufville" فإن "هوك" كان يعمل مع الـ"CIA" كمستشار متعاقد. كما كان "ايرفنج كريستول - Irving Kristol" وهو خريج آخر من "نيويورك سيتى كولدج"، يعمل مديرا تنفيذيا براتب سنوى مقداره ٦٥٠٠ دولار. ارتفع إلى ٨٥٠٠ دولار فى عام ١٩٥٤ عندما حل محله "صول شتاين - Sol Stein" الذى جاء مباشرة من هيئة استعلامات الولايات المتحدة حيث كان يعمل فى وحدة خاصة بالتحليلات الأيديولوچية. أما اللجنة، باعتبارها الفرع الأمريكى الرئيسى لمنظمة الحرية الثقافية فكان المطلوب منها أن تعبر عن التحالف العريض بين التوجهات الليبرالية واليسارية فى المنظمة المضيفة. لكن بينما كانت المنظمة قادرة على تهميش المتشددين من أمثال "كويستلر - Koestler"، إلا أنه لم تكن لها أية سلطة على اللجنة الأمريكية التى سرعان ما انقسمت بين المعتدلين والمتشددين . يقول "چاسون ايپشتاين - Jason Epstien" فى تلك الأيام كان إما أن تكون "قويا" أو "رخوا" بالنسبة للموقف من الشيوعية "، يقول ذلك وهو يتذكر "ديانا تريللنج- Diana Trilling" عندما وقفت ذات يوم وهى فى حالة شهوانية "خف كرسى ليونيل (تريللنج) فى حفل عشاء وهى تقول: "لا أحد منكم أيها السادة "قوى" بما يكفى لكى يشبعنى". كانوا بالفعل- شخصيات غريبة، يعيشون فى عالمهم المحدود"(١).

فى ذلك العالم المحدود المغلق، كان يعيش مع آل تريللنج ("ليونيل" و"ديانا")

مـجـموعـة قـوية من المثـقـفين المحـافظين الذين كان يطلق عليـهم – تندرا – "كـيـبـوتز أپـروست ســايـد – The Upper West Side Kibbutz"، كــان مــن بـينـهـم "چـيــمـس بيرنـهام– James burnham" و"آرنولد بيكمان – Arnold Beicman" و"پـيتر فيـيريك – Peter Viereck الذى كـان والده من أشـد المتـعـاطفين مـع الفـاشـيـة)، والـنـاقـد الفـنى "كليمنت جرينبيرج – Clement Greenberg" و"اليوت كوهين – Elliot Cohen" مـحـرر مجلة "كومنترى – Commentary" والمستشار الرسمى للمسئولين فى "دار نشر لوس" عن المطبوعات الخاصة بالشيوعية. كانت تلك المجموعة شديدة العداء للشيوعية شكلا ومـضـمـونا. يقـول "إيرڤنج كريسـتـول – Irving Kristol" كـان البـعض مـثل "بيكمـان – Beichman" و"آل تريللنج – The Trillings" مع الأمريكيين بكل قوة، وكانوا يعتقدون أننا مهملون فى العمل. "ديانا – Diana" بالذات كانت لاذعة النقد"(٢). ويقول شخص آخر من المطلعين على بواطن الأمور: "كان هناك شعور شديد بالتفوق بين كثير من الأمريكيين: فالآن، وقد كسبنا الحرب سوف نقوم بإعادة تنظيم أوروبا على طريقتنا، كان أولئك الناس فى الغالب الأعم من "نيويورك"، وكانوا إلى جانب انتهاج الأسلوب المتشدد، ويرون أن أسلوبنا أسلوب مهادنة، لدرجة أن بعضهم كان يعتقد أن المؤتمر كان مخترقا من الشيوعيين"(٣).

أمـا عنصـر الاعتدال فـى اللجنة الأمريكيـة فكان يمثله "آرثر شليزنجر – Arthur Schlesinger" وقطب الحــرب البــاردة "رينـولد نـيـبــور – Reinhold Niebur" و"چيمس ت. فـاريل – James T. Farrell" و"ريتـشـارد روڤـر – Richard Rover" من مـجلة "نيـويوركر"، و"نورمـان تومـاس – NormanThomas" الرئيس السـابق للحـزب الاشتراكى والذى رشح ست مرات لرئاسة أمريكا، و"فيليپ راڤ Philip Rahv" مـحرر "پـارتيزان ريـڤيـو– Partisan Review". ومن المتـأرجـحين بين الفـصيلين كـان هناك "إيرڤنج كـريسـتـول – Irving Kristol" الذى أصـبـح فـيـمـا بعـد من المؤيدين الأشـداء لـ"ريجان"، و"وليم فيليبس – William Phillips" من "پـارتيزان ريڤيو"، و"سـيـدنى هوك – Sidney Hook" كـان "سـيـدنى هـوك" بخـاصـة حريصـا على اسـتـتبـاب السـلام بين الفصيلين : فى تلك الفترة كان ينمى مصالح اللجنة مع "ڤـالتر بيل سميث – Walter Bill Smith" مدير الـ"CIA" الذى حل مـحل "آلن دالاس" فى ١٩٥٣) و"جوردون جراى – Gordon Gray" أول مـدير للـ"PSC" هيـئـة الاسـتـراتيـچيـة النفـسـيـة – (تلك الاجتماعات التى لم يذكر عنها شىء فى سيرة "هوك" الذاتية)(٤). هذه الصلات بكبار العاملين فى المخابرات تشهد على تورط فى الحرب الثقافية السرية على مستوى أكبر مما كان "هوك – Hook" على استعداد لأن يعترف به. كتب مقالا فى "نيويورك تيمز ماجازين" – عدد مارس ١٩٥١ – بعنوان "فى مواجهة الكذبة الكبرى: استراتيـچيـة

أساسية" كانت الـ "PSC" و"سى. دى. چاكسون" والـ "CIA" يحتفظون بنسخة منه فى ملفاتهم، فى ذلك المقال وصف هوك – Hook التهديد الذى تمثله الشيوعية على الديمقراطية، ونادى باستخدام "أقصى إمكانيات الحرب السرية المؤثرة دفاعا عن بقاء الديمقراطية ... "لابد من أن تقوم الديمقراطيات بالهجوم فى الحرب السياسية ضد النظام الشمولى للاتحاد السوڤيتى، وتحتفظ بزمام الهجوم فى يدها... أما مدى نجاح تلك الحرب السياسية فلا يمكن التنبؤ به مقدما، لكن المؤكد أنه يستحق تكلفة ست قاذفات للقيام به"(٥). وكانت اللجنة الأمريكية فى نظر "هوك – Hook" بمثابة سلاح صغير (بازوكا مثلا) فى ترسانة أمريكا السياسية، ولذا كان يعمل بكل حماسه المعتاد من أجل تقوية أوضاعها.

لكن "چولسون" لجأ إلى المعتدلين فى محاولة لكى يجعل اللجنة الأمريكية متوائمة سياسيا مع "منظمة الحرية الثقافية". بيد أن "شليزنجر" وحلفاءه كانوا عاجزين عن احتواء جماعة المتشددين الجامحة، وسرعان ما ظهر الخلاف بين اللجنة ومكتب "پاريس". الأمريكيون سخروا من "مهرجان پاريس" الذى أقامه "نابوكوف" واتهموا المؤتمر بأنه عمل تافه. أما "اليوت كوهين – Eliot Cohen" الذى كان أقل تشددا فى السياسة من "چيمس بيرنهام – James Burnham" فكان يتساءل: بهذا النوع من الضوضاء نحن نفقد رؤية واجبنا وأ.. .افنا، وإذا فقدنا الرؤية.. فمن يكون هناك سوانا؟(٦). وكان من رأى ناقد آخر أن المهرجان "لا يروق إلا للمتنفجين ومحبى الفنون"، وأنه مدمر لسمعة المؤتمر "كقوة ثقافية جادة"(٧).

كان الافتتان بالقوة شديد الوضوح فى اللجنة الأمريكية ، وبلغ ذروته فى عام ١٩٥٢ مع مجموعة آراء نشرتها "پارتيزان ريڤيو" أكدت العلاقة الجديدة والقوية بين المثقفين والدولة القومية، كانت تلك الآراء تنشر فى أعداد متوالية تحت عنوان "وطننا وثقافتنا"، وكان الهدف منها – كما كتب المحررون – هو "اختبار الحقيقة الواضحة وهى أن المثقفين الأمريكيين ينظرون الآن إلى أمريكا ومؤسساتها نظرة جديدة. قبل أقل من عقد من الزمن كانت الفكرة العامة عن أمريكا هى أنها معادية للفن والثقافة، ومنذ ذلك بدأ المد يتغير، والآن كان كثير من الكتاب والمثقفين يشعرون بأنهم أكثر قربا من وطنهم ومن ثقافتهم... ومن الناحية السياسية كان هناك اعتراف بأن نوع الديمقراطية القائمة فى أمريكا ينطوى على قيمة جوهرية وإيجابية: إنها ليست مجرد أسطورة رأسمالية، لكنها حقيقة، ويجب الدفاع عنها ضد الشمولية الروسية... لم تعد أوروبا تعتبر حرما مقدسا، لم تعد تؤكد تلك التجربة الثقافية الثرية التى توحى بنقد الحياة الأمريكية وتبرره. لقد أكملت العجلة دورتها، وأصبحت أمريكا الآن هى

حامية الحضارة الغربية(٨).

كانت الحياة الثقافية في "نيويورك" في الثلاثينيات تقارن بنظيرتها في "موسكو"، وكانت "پارتيزان ريڤيو" التي أنشأتها جماعة من "التروتسكيين" من "سيتي كولدج" هي المعبر عن قلق تلك المقارنة، بدأت المجلة كمطبوعة داخلية خاصة بـ "نادي چون ريد – John Reed Club" الذي كان يسيطر عليه الشيوعيون، وصنعت لنفسها لغة هادئة للتعبير عن الأفكار الماركسية، لكن أحداث ١٩٣٩–١٩٤٠ دمرت قواعدها. وبتوقيع معاهدة عدم الاعتداء بين الألمان والسوفييت بدأ كثير من المثقفين يغيرون وجهتهم بعيدا عن أفكار الشيوعية اللينينية، ويتوجهون إلى راديكالية "تروتسكي" المنشقة. تخلى البعض عن اليسار تماما وتحول إلى الوسط السياسي وربما إلى اليمين، والآن، وجدت "پارتيزان ريڤيو" نفسها تصنع لغة مضادة للتعبير عن معاداة الستالينية وإعادة تعريف الراديكالية بمضمون غير شيوعي.

وبالعودة إلى "فكرة" أمريكا مثل كثير من المبذرين النادمين، برز المثقفون والفنانون من فترة الثلاثينيات المظلمة ليكتشفوا "بهجة وانتعاشا في الانبثاق المفاجئ والطاغي لإمكانيات جديدة في الحياة كما هو في الوعي. كان هناك أمامهم عالم يبدو أن أحدا لم يفكر في النظر إليه من قبل، فاندفع الكل سعيدا ينظر إليه وهو ينزع عن عينيه غمامات الماركسية "(٩). هؤلاء المثقفون الذين ولدوا من جديد وهم يبحثون عن شيء يحل محل الثوابت التاريخية التي كانت قد خذلتهم تماما، وجدوا الإجابة في "أمريكا" أو بالأحرى وجدوها في "الولاء لأمريكا". المعادل الأدبي لـ "لحن للرجل العادي" الذي كتبه "آرون كوپلاند – Aron Copland" في "پارتيزان ريڤيو" أطلق فعل اكتشاف أمريكا وكأنه يحدث لأول مرة. كتب "وليم فيليپس – William Phillips" لقد اكتسب الفنانون والمثقفون الأمريكيون شعورا جديدا بالانتماء لوطنهم الأم، وبدأوا يشعرون بأن مصيرهم مرتبط بمصير بلدهم"(١٠). وبما أن المثقفين كشفوا عن ارتباط وثيق بأمريكا، فإن أمريكا بدورها بدأت تراهم في ضوء جديد، وكتب "ليونيل تريللنج – Leonel Trilling" لقد ارتبط الفكر بالقوة، ربما بشكل غير مسبوق في التاريخ، والآن ربما بات هو نفسه يعتبر نوعا من القوة"(١١).

وتذكر المؤرخة "كارول برايتمان – Carol Brightman" ربما لأول مرة منذ الثورة الفرنسية عندما أكدت *العناصر الرئيسية للمجتمع الثقافي* أنه لم يعد من الضروري أن تكون معاديا، وأنك يمكن أن تدعم بلدك دون أن تنقص من قدر الأمانة الفكرية والفنية"(١٢). هذا المفهوم الجديد لدى المثقفين تأكد عندما نشرت مجلة "Time" موضوعا رئيسيا بعنوان "پارناسوس – Parnassus" من الساحل إلى الساحل".

والذى انتهى إلى أن "رجل الاحتجاج قد أخلى مكانه لرجل التوكيد - ويتصادف أن يكون ذلك هو نفس الدور الذى لعبه المثقفون عندما كانت الدولة حديثة"(١٣). كانت تلك هى اللحظة التى بدأ عندها الماركسيون الذين انحرفوا عن النظرية تحويل أنفسهم من "رافضين" إلى "موافقين"؛ عندما فقد مفكرو سيتى كولدج (هم ورفاق الحرب) مثل "دوايت ماكدونالد"، ميلهم للصراع الطبقى، وأصبح تلاميذهم الطامحون يطلبون منهم كتابة خطابات التزكية لهم. وفيما بعد كتب "دوايت ماكدونالد - "Dwight Macdonald يقول: "السرعة التى تحولت بها من ليبرالى إلى راديكالى، ومن متعاطف "فاتر" مع الشيوعية إلى معاد "شديد" للستالينية، هذه السرعة مازالت مذهلة بالنسبة لى"(١٤). ويعلق كاتب سيرته على هذا التحول بقوله: "استقلال "دوايت" وسلبيته التى يعترف بها، ورفضه قبول أى نوع من الولاء القومى، ذلك كله كان يطبع رؤيته السياسية ويبقى على حياته السياسية. لم تكن المسألة خيانة لإى التزام، كان - وبكل بساطة - قد وصل عن طريق تحليله المؤلم إلى نقطة لم يكن أمامه فيها أى وضع سياسى قابل للحياة سوى "أهون الشرور"، كان ذلك بالنسبة له "مأزق محبط" حتى وهو مستمر فى ارتباطه بنهج راديكالى أو على الأقل انشقاقى، ويشعر بأنه عضو فى نخبة مغتربة فى معارضته للقومية الأمريكية وللاستعمار وللثقافة الجماهيرية، وبالرغم من ذلك كان يؤيد - حتى وإن كان دون وعى منه - الحفاظ على قوة أمريكا فى الخارج والمؤسسات القائمة فى الداخل"(١٥). أما "فيليب راف "Philip Rahv فكان يراقب تلك التطورات بانزعاج متزايد، ويحذر: "لقد أصبحت معاداة الشيوعية موقفا احترافيا، أصبحت تعنى إلى حد كبير أنها تستبعد كل الاهتمامات والأفكار الأخرى، والنتيجة أنها تحاول أن تحول معاداة الستالينية إلى شىء لا يمكن أن تكونه: نظرة شاملة للحياة وليس أقل من ذلك، أو حتى فلسفة للتاريخ"(١٦).

كانت مراكز قيادة معاداة الستالينية "الاحترافية" هذه، هى "اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية" والمجلات التى كان محررها أعضاء فى مجالس إدارتها وهى بالتحديد "كومنترى - "Commentary و"نيوليدر - "New Leader و"پارتيزان ريڤيو- "Partisan Review لكن الآن، وبينما كان المركز قد بدأ يتماسك، كانت "پارتيزان ريڤيو" على وشك التوقف، وكان أحد الأسباب هو أن خزانة الولايات المتحدة كانت تهدد بتجريدها من وضعها المعفى من الضرائب، كتب "سيدنى هوك - Sidney "Hook التماسا - مؤثرا - إلى "هولاند سارچينت - "Howland Sargeant مساعد وزير المالية فى ١٠أكتوبر ١٩٥٢ يدافع عن تاريخ "پارتيزان ريڤيو" كمنبر مؤثر: "لمحاربة الأيديولوچية الشيوعية فى الخارج، وخاصة بين المثقفين"، ويستجدى أن يظل الإعفاء من الضرائب قائما. وأخذ "دانيل بل - "Daniel Bell المبادرة ليعمل "كوسيط"

فى النقاش مع "هنرى لوس – Henry Luce"، الذى أنقذ المجلة بمنحة مقدارها عشرة آلاف دولار (وفى الوقت نفسه أهدى "لوس" اللجنة الأمريكية ٧١ سهما فى مؤسسة "تايم"). وفيما بعد كتب "دانيل بل – Daniel Bell" على قدر علمى فإنه لم يعلن عن هذه المنحة حتى بالنسبة لأصحاب الأسهم ولا لبعض المحررين المشاركين فى التحرير"(١٧). ولا يعرف أحد ماذا كان ينتظر فى مقابل هذا الاستثمار. وبعد ذلك أيضا كان "جاسون ايبشتاين – Jason Epstein" يقول: "سرعان ما أصبح ما ينشر فى پارتيزان ريڤيو" يظهر بشكل موسع فى مجلتى "تايم" و"لايف"(١٨). والمؤكد أن الدعم المالى الكريم من "لوس" لما كان ذات يوم الصوت المسموح به للحزب الشيوعى الأمريكى، يقدم معنى جديدا للقضية التى باتت تناقش كثيرا وهى "نزع راديكالية" المثقفين الأمريكيين عنهم أثناء الحرب الباردة.

كان أول تنبيه لـ "CIA" بخصوص المصاعب المالية لـ "پارتيزان ريفيو" قد جاءهم عن طريق "إيرڤنج براون Irving Brown". قبل عام من منحة "لوس" كان "سيدنى هوك – Sidney Hook" قد كتب إلى "براون" يطلب المساعدة فى الصراع من أجل بقاء "پارتيزان ريڤيو" و"نيوليدر". كتب "هوك": "هذه النصيحة من أصدقائنا الأوروبيين وهى أن المشاعر المعادية لأمريكا، وخاصة تلك المشاعر المحايدة، قد أصبحت تتزايد فى أوروبا الغربية. يحدث ذلك فى الوقت الذى تواجه فيه مجلة "نيوليدر"، المطبوعة الديمقراطية، والمعادية للحياد خطر التوقف بالفعل بسبب تزايد التكلفة. واختفاؤها سيكون كارثة ثقافية"(١٩). وفعل الشىء نفسه بخصوص "پارتيزان ريڤيو" وطلب من "براون" أن يساعد فى توفير إمكانية لتوزيع أربعة أو خمسة آلاف نسخة من كلتا المجلتين فى الخارج. "براون – Brown" أبلغ "برادن – Braden" بالمشكلة فى إدارة المنظمات الدولية. بعد ذلك بوقت قصير، وجد "صول ليڤيتاس – Sol Levitas" نفسه فى مكتب "توم برادن"، ويتذكر "برادن": "يا إلهى ! مازلت أتذكر ذلك الشاب الجالس أمامى على الطاولة وهو يتوسل إلى أن أعطيه الدعم المالى"(٢٠).

كان "ليڤيتاس Levitas" مهاجرا روسيا سبق له أن عمل مع "تروتسكى – Trotsky" و"بوخارين – Bukharin". وكان له أ وان أقوياء فى مجتمع المخابرات الأمريكية. كان "سى. دى. چاكسون" يمتدحه لقيامه "بعمل ممتاز حيث قدم الأدب اليسارى الموضوعى والوحيد المؤيد لأمريكا، والموجود على كلا شاطئى الأطلنطى" كما قال عنه إنه كان "إلى جانب الداعمين الأساسيين بكل تأكيد"(٢١). والمؤكد أيضا أن "آلان دالاس – Allen Dulles" كان يرى ذلك، فى عام ١٩٤٩ نشر مقالا لـ "دالاس" يؤيد إنشاء "لجنة للأمن الداخلى" لفحص المؤثرات المدمرة فى الولايات المتحدة،

واستخدام "المؤسسات الديمقراطية للقضاء عليها". وبوجود "دالاس" لمساعدة "البيت الأبيض" فى إعادة تنظيم المخابرات، كان ذلك "بمثابة بداية كتابة "MI5" لمجلة "نيوستيتسمان"(٢٢). فى ذلك الوقت أيضا، وبالرغم من أن "نيوليدر" كانت تنشر نداءات ملحة طلبا للدعم من أجل تسديد ديونها التى وصلت إلى ٤٠٠٠٠ دولار، إلا أنها عادت للظهور فى إبريل ١٩٥٠ فى ثوب "نيوليدر" جديدة، لها شكل تصميم مجلة "تايم". وعندما كان "ليڤيتاس – Levitas" يجلس أمام "برادن" بعد عامين، كان يرى أمامه راعيا آخر يتقدم لإنقاذ المجلة. وافق" برادن" على أن يدعم "نيوليدر". ورتب كل شىء لكى يتسلم "ليڤيتاس" مبالغ مالية فى مكتب برادن) فى ثلاث مناسبات على الأقل، قال "برادن": " لم تكن مبالغ كبيرة.. ربما كانت فى حدود عشرة آلاف دولار فى كل مرة. لكن ذلك كان كافيا لإنقاذ المجلة من الاستمرار فى الانهيار"(٢٣).

فى الوقت نفسه كان "كورد مايور – Cord Meyer" قد تبنى قضية "پارتيزان ريڤيو"، وبالإضافة إلى منحة "لوس" (عشرة آلاف دولار) تلقت المجلة إعانة قدرها ٢٥٠٠ دولارا فى أوائل عام ١٩٥٣ من "حساب المهرجان" الخاص باللجنة الأمريكية، حيث كان لا يزال به مبلغ بعد إنفاق "نابوكوف" الباهظ فى العام السابق. أما "حساب المهرجان" فسوف يأتى ذكره بعد ذلك على اعتبار أنه كان "انبوب توصيل" دولارات الـ "CIA" التى كانت تنقل "على الظهر والكتفين" عن طريق "مؤسسة فارفيلد" الوهمية. وعندما تم إقرار تلك المنحة لمجلة "پارتيزان ريڤيو"، كان محررها المشارك "وليم فيليپس – William Phillips" هو السكرتير الثقافى للجنة الأمريكية. بعد ذلك قال "فيليپس" إنه لا يتذكر تلك المنحة، وكان يؤكد دائما – بعناد – أن مجلته لم تتلق أى دعم من الـ "CIA".

وبدعمها للمجلات الأمريكية، كانت الـ "CIA" تخرق ميثاقها التشريعى الذى كان يحرم دعم المجلات المحلية. وفى حالة "پارتيزان ريڤيو" و"نيوليدر" كان هناك سببان مقنعان لتجاهل هذه النقطة القانونية: أولا: المجلتان كانتا تقدمان رأس جسر للمثقفين الأمريكيين و الأوروبيين الذين تجمع بينهم أرضية معادية للشيوعية لكنهم متفرقون بسبب الخلافات الچيوپوليتيكية والثقافية. وثانيا: أن الدعم المالى وفر ما كان يصفه " مايكل چوسلسون" بـ"المِجَنّ الواقى" ضد "الغضب" المتوقع من "پارتيزان ريڤيو" و "نيوليدر" عندما اكتشفتا – كما سيحدث قبل وقت طويل – أن وضعهما فى سوق الأفكار كان يواجه خطرا شديدا.

(١٢)

المجلة - X

مـاذا سنفـعل إذن ؟ نبـقى مـتـمـسكين قـدر الإمكان بالحقائق التجريبية، ولنتذكر دائما أنها عرضة للتعديل من أى شخص يختار أن يعدل جهاز الإدراك ..

"الدوس هكسلى"
ضرير فى جازا

شـغلت مـجلة "انكاونتـر - "Encounter التى صـدرت من ١٩٥٣ إلى ١٩٩٠ موضعا مركزيا فى التاريخ الثقافى لفترة ما بعد الحرب. ويمكن أن يقال إنها كانت شديدة الحيوية والانفلات مثل حفل كوكتيل أدبى، كان هنا أن نشرت "نانسى ميتفورد Nancy Mitford" مقالها الشهير: "الأرستقراطية الإنجليزية " وهو تحليل ذكى، شديد السخرية من الأعراف الاجتماعية البريطانية التى خلقت التمييز بين الطبقات. كما نشرت المجلة دراسة "أشعيا برلين - Isaiah Berlin" عقد مدهش" والتى ضمت أربع مقالات عن الأدب الروسى، ودراسـات "فلاديمير نابوكوف Vladimir Nabokov" عن "پـوشـكين - Pushkin"، و"إيرفنج هـاو - Irving Howe" عن "اديث وارتون - Edith Wharton"، و"ديـفـيد مـاركـاند - David Marqand" عن"الإحـيـاء الليـبرالى" وقـصص "خورخه لوى بورخيس Jorge Luis Borges" ومقالات نقدية لكل من: ريتشارد إيلمان "Richard Ellmann" و"چـايـاپـراكـاش نـارايان - Jayaprakash Narayan" و"دبليـو. اتش. أودن - W. H. Auden" و"أرنولد توينبى - Arnold Toynbee" و"برتراند راسل - Bertrand- Russell" و"هيـربرت ريد - Herbert Reed" و"هيـو تريـفـور - روپر: Hugh Trevor Roper" وجميـعـهم من أفضل عقول تلك المرحلة. كانت المجلة تقرأ فى انجلترا وأمريكا وآسيا وإفريقيا. وبينما كانت مشوشة فى اهتمامـها بالموضـوعات الثقافية، إلا أنها كانت صامتة وبشكل غريب، أو ربما غامضة، بالنسبة لكثير من القضايا السياسية. وفى كل الأحوال كانت مجلة أيديولوچية بوضوح، وتعبر عن فكر الحرب الباردة المعادى للشيوعية، كانت تعانى من عجز مالى بصفة مستمرة ودائما فى حاجة لمضاعفة توزيعها لكى تخرج من منطقة الخطر، كانت "انكاونتر" مجلة ذكية، شديدة الارتباط بعالم المخابرات، كما كان "مايكل چوسلسون" يشير إليها بأنها:

"أعظم ما فى مقدراتنا."

كانت حالة التقشف الصارمة بعد الحرب قد قضت على مجلة "هورايزون – Horizon" التى كان يحررها "سيريل كونوللى – Cyril Connolly" فى ١٩٥٠، وبعدها بوقت قصير على مجلة "بنجوين نيو رايتنج –Penguin New Writing" التى كان يحررها "جون ليمان – John Lehmann". كما كانت مجلة "لندن ماجازين – London Magazine. تترنح ماليا، و"اف. آر. ليفز – F. R. Leavis" على وشك التوقف عن إصدار "سكروتينى – Scrutiny" بالرغم من الدعم السخى من مؤسسة فورد. كانت المجلة الوحيدة المنتعشة هى "نيوستيتسمان آند نيشن New Statesman & Nation" وكان توزيعها البالغ ٨٥٠٠٠ نسخة أسبوعيا يبرر التردد الملحوظ فى محاولة التهوين من شأنها. كانت إعانات "جوسلسون" السرية لمجلة "القرن العشرون – Twentieth Century" جزءاً من تلك الحملة، فإلى جانب الدعم المالى، كانت المجلة والجمعية البريطانية للحرية الثقافية لديهما تعليمات واضحة "للاشتباك فى جدل دائم مع "نيوستيتسمان آند نيشن"(١). أما الـ "CIA" التى كانت مدركة للأداء البريطانى الكسول أثناء مؤتمر برلين عام ١٩٥٠، فكانت متشوقة لاختراق ضباب الحيادية الذى كان يطغى على رؤية كثير من المثقفين الأوروبيين بمن فيهم القريبون من "نيوستيتسمان"، وكان عدم تبنى مجلة "كنجسلى مارتن – Kingsley Martin" لفكرة رؤية اشتراكية مستقلة عن "موسكو" تماما، مازالت تعتمل فى أذهان أقطاب الحرب الباردة.

كما كانت المخابرات البريطانية مهتمة هى الأخرى بأن تقدم صوتا يستطيع أن يعارض سياسة "نيوستيتسمان" المتكافئة الأضداد و"بلاهتها" و"تبسيطاتها المخلة". وكان دعم الـ"IRD" إدارة البحث الإعلامى – لمجلة "تريبيون – Tribune" والمتمثل فى توزيع مقتطفات منها فى العالم عن طريق موظفى العلاقات الخارجية، كان إشارة فى هذا الاتجاه. وفى إبريل ١٩٥٠ التقى كل من "مالكولم ماجردج – Malcolm Muggeridge" و"وودرو ويات – Woodrow Wyatt" وكلاهما كان وثيق الصلة بالـ-"IRD" برئيس تحرير "تريبيون – Tribune" (توسكو فيفل – Tosco Fyver) لمناقشة مستقبل المجلة، لكن "ماجردج" توصل إلى أنهم "كانوا قد أفلسوا تماما، وقلت لهم إن المجلة لابد من أن تستمر كتيار مضاد لـ"نيوستيتسمان" وذلك لصالح الحرب الباردة. وأوضحت أحد افتراضاتى المفضلة – وهو أن النجاح الكبير لـ "نيوستيتسمان" كمنبر للدعاية، كان هو إرساء الرأى القائل بأنك لكى تكون ذكيا فإن ذلك يعنى أن تكون يساريا، بينما العكس هو الصحيح"(٢).

كان دعم الـ "IRD" لمجلة "تريبيون – Tribune" غير كاف لإقناع "فيفل Fyvel" بمستقبل طويل لها، وفى أواخر عام ١٩٥١ كان يتكلم عن "مطبوعة جديدة، انجلو – أمريكية، تكون "يسار وسط". وكتب "فيڤل" إلى "ايرڤنج براون "يقول: إن الأفكار الخاصة بمطبوعة كتلك قد "قطعت شوطا، وهناك عديدون يرون أننى لابد من أن أبدأ . وقد ناقشت الفكرة مباشرة أو بالبريد مع "دينيس هيلى – Denis Healy" و"موريس ايدلمان – Maurice Edelman" و"ديك كروسمان – Dick Crossman" و"آرثر شليزنجر – Arthur Schlesinger" و"ديڤيد وليمز – David Williams" وغيرهم، ولأسباب واضحة فإن هذا شىء خارج نشاط منظمة الحرية الثقافية"(٣). أما السبب الواضح لأن تكون المجلة مستقلة عن المنظمة فكان – كما يعرف "فيڤل Fyvel" جيدا، هو أن الحكومة الأمريكية كانت قد وافقت على ألا تقوم بأى نشاط دعائى فى بريطانيا. وكانت الـ "CIA" قد أصدرت قرارا عمليا بوقف استخدام الأموال "أموال الوكالة" فى ذلك البلد تحديدا. هناك "اتفاق جنتلمان" بهذا الخصوص"(٤). لكن ذلك كان على وشك أن يتغير.

كانت كل من المخابرات البريطانية والـ "CIA" تدرسان – على انفراد – فكرة تأسيس مجلة جديدة لسد النقص الموجود فى مجال مكافحة الشيوعية فى بريطانيا. هذا الجهد المتطابق ظهر أثناء سلسلة من الاجتماعات عقدت بمبادرة من "فرانك ويزنر – Frank Wisner" فى لندن فى أوائل عام ١٩٥١، وسافر "ويزنر – Wisner" إلى "لندن" بصحبة "كيم فيلبى – Kim Philby" ضابط الاتصال بين الـ "MI6" والـ"CIA" والذى كان يقيم فى "واشنطن"، ذهبا لكى يناقشا مع المخابرات البريطانية "بعض الأمور ذات الاهتمام المشترك" (قبل أشهر قليلة كان "بيرجس – Burgess" و"ماكلين – Maclean" صديقا "فيلبى " قد هربا إلى الاتحاد السوڤيتى). وأثناء سلسلة من الاجتماعات التى حضرها مندوبون من الـ "MI6" ومن وزارة الخارجية، كما يقول "فيلبى"، تكلم "ويزنر – Wisner" بإسهاب فى واحد من موضوعاته المفضلة: الحاجة لتمويه مصدر الإعانات السرية التى تقدم إلى هيئات أو جماعات محترمة يهمنا أمرها". كما قال "ويزنر – Wisner" بأسلوبه التلقائى المعتاد: "من الضرورى أن نضمن التعاون السرى من أناس يمكنهم الوصول إلى الثروة بطرقهم الخاصة." وهنا كان أمرا غريبا ومثيرا للدهشة بالنسبة لـ "فيلبى" أن يرى مسئولا رسميا من وزارة الخارجية وهو يدون عبارة تقول: "الناس الذين يمكنهم الوصول إلى الثروة بطرقهم الخاصة = الناس الأغنياء"(٥).

تمت مناقشة موضوع إصدار مطبوعة رفيعة المستوى، تهدف إلى تشجيع

خطاب يسارى متحرر من لغة "الكرملين" لأول مرة، أثناء "مهمة" ويزنر فى لندن. واكتشفت المؤسستان (المخابرات البريطانية والـ"CIA" أنهما كانتا تسعيان للفكرة نفسها. كان من رأى "ويزنر" ونظرائه فى الـ"SIS"(*) جهاز المخابرات السرية - أن القيام بذلك العمل بشكل انفرادى يعتبر حماقة، واستقر الطرفان على أن يكون التعاون مشتركا. وفى أواخر عام ١٩٥١ كان الاقتراح المشترك قد حسم فى المستويات العليا وتم تمريره للتنفيذ. فوض "فيلبى" مساعده فى "واشنطن": "چون بروس لوكهارت - **John Bruce Lockhart**" ابن شقيق "روبرت بروس لوكهارت **Robert Bruce Lockhart**" الشهير، أحد أقطاب المخابرات فى الحربين، والذى كان قد ألقى القبض عليه بواسطة السوفيت عام ١٩١٧ كجاسوس وسجن فى "الكرملين"، وبعد أن أفل نجم عمه برز "لوكهارت" الابن كضابط مخابرات نموذجى. كان قد ترأس الفرع العسكرى فى الـ "**SIS" C- -** فى إيطاليا أثناء الحرب وكان خبيرا فى اختراق المنظمات الشيوعية فى أوروبا. كان "لوكهارت" يلقى احتراما كبيرا فى "واشنطن" حيث أقام علاقة وثيقة بـ "فرانك ويزنر - **Frank Wisner**" وعندما حاول "ويزنر" أن يلحق ابنه "فرانك الأصغر" بـ"رجبى كولدج - **Rugby college**"، قام "لوكهارت" بترتيب المسألة، وكان هو نفسه قد درس بها. كان "ويزنر" يثق بـ "لوكهارت" وليس بـ"فيبلى"، وكان "فيلبى" بدوره لا يستطيع أن يخفى كراهيته لـ "ويزنر" الذى كان يصفه بقسوة بأنه "رجل صغير على مثل ذلك المنصب المسئول، أصابه الصلع، ويمضى واثق الخطوة نحو السمنة"(٦).

كان "چون بروس لوكهارت - **John Bruce Lockhart**" على علاقة طيبة بـ"لورانس دونيقى" أيضا الذى عرفه فى ألمانيا بعد الحرب. والآن، كان "لوكهارت" هو الذى يدبر اللقاء لـ "دونيقى" و "چوسلسون" مع "كريستوفر"مونتى وودهاوس - **Christopher Monty woodhouse**" مسئول الـ "**IRD**" فى "لندن". كان "وودهاوس - **Woodhouse**" شخصاً جامح الموهبة. عرف كتابات "يوريپدس - **Euripides**" و"لوكريتيوس - **Lucretius**" فى سن الحادية عشرة وقبل الحرب. درس فى "نيوكولدچ - اكسفورد " على يد "ريتشارد كروسمان - **Richard Crossman**" و"أشعيا برلين - **Isaiah Berlin**"(٧). كان ترتيبه الأول فى ١٩٣٩ وكان يحلم بمنصب أكاديمى لكى يحاضر عن "أفلاطون" و"أرسطو" وعندما قامت الحرب بعد ذلك درس أشياء مختلفة: الرماية، الهبوط بالمظلات، حرب العصابات، أعمال التخريب، التجسس وفى النهاية تمكن بفضل ذلك كله من الاشتراك فى حرب عصابات عنيفة فى اليونان المحتلة(٨).

(*) SIS"- Secret Intelligence Service -"

وبصفته أحد خبراء المدرسة القديمة فى التجسس، كان "وودهاوس "لاعبا رئيسيا فى الإعداد لإسقاط "مصدق" رئيس وزراء إيران عندما عمل مع "كيم روزفلت - Kim Roosvelt" فى انقلاب من تدبير الـ "CIA" لإعادة نظام "الشاه" اليمينى المتطرف(٩). بعد عودته من "طهران" عين "وودهاوس" مسئولا عن عمليات التغطية فى الـ "IRD" وكان يدير مكتبا خاصا قدمه له "SIS" أمام محطة مترو سان چيمس پارك، تم تزويد المكتب بمجموعة من موظفى وزارة الخارجية كانوا معينين " شكلا" فى الـ "IRD" بينما يعملون فى الواقع كفريق شبه مستقل بقيادة "وودهاوس".

كان "وودهاوس - Woodhouse" مترددا فى أن يقوم بأى نشاط فى "نادى الإصلاح - The Reform Club" الذى كان عضوا به، ولذا وافق على أن يكون الاجتماع فى نادى السيارات الملكى"RAC"(*) فى "بول مول" والذى كان "دونيفى" يحمل عضويته الدولية. سافر، "دونيفى" "وچوسلسون" من "پاريس" إلى "لندن" لحضور الاجتماع هناك، وفى أواخر ربيع ١٩٥٢ كان أن اتفقت المخابرات البريطانية والأمريكية على القيام بأهم تدخل فى مسار التاريخ الثقافى بعد الحرب. على العشاء، وفى قاعة الطعام فى نادى السيارات الملكى - "RAC" - أوجزا خطتهما لإطلاق مجلة ثقافية جديدة، رفيعة المستوى، تصدر برعايتهما ودعمهما السرى. "وودهاوس" الذى كان لديه تفويض بإجازة المشروع وفعل ذلك بلا تردد، ولأنه كان يعمل مع أقسام جغرافية متعددة فى وزارة الخارجية، انتهى الأمر بالمشروع ليكون فى يد "وودهاوس" الذى كان من أشد المتحمسين للحرب النفسية. لكن روح الحوار فى " نادى السيارات لم تترك لديه مجالا للشك فى أن ذلك سيكون إسهاما ذكيا فى صراع الدعاية السرية.

بيد ان تخوفه الوحيد كان من أن يسمح للبريطانيين بالاطلاع على الأمور بشكل مستمر أو أن يكون "إصبعهم دائما على النبض". وتم الاتفاق على أن تتشاور "منظمة الحرية الثقافية" عن طريق أحد المسئولين التنفيذيين فى الـ "CIA" مع "وودهاوس"، بشأن الإجراءات العملية الخاصة بالمجلة، بالإضافة إلى ذلك فإن الـ "SIS" كانت تريد التأكد من الاهتمام المادى بالمشروع عن طريق إسهام -ولو بسيط- من الـ"IRD". واقترح "وودهاوس" أن يخصص ذلك الإسهام لتغطية رواتب المحرر البريطانى وسكرتاريته، الأمر الذى يعفيهم من أن تتكفل الـ "CIA" برعاية بريطانيين.

وأضاف أن المصلحة الرئيسية لوزارة الخارجية فى مشروع كهذا هى أن يكون لديها منبر لنقل وتوصيل الأفكار المعادية للشيوعية إلى المثقفين فى آسيا والهند

(*) Rayal Automobile Club

والشرق الأقصى. ولضمان توزيع المجلة فى مناطق النفوذ تلك، تقوم وزارة الخارجية بشراء عدد معين من النسخ، تشحن وتوزع عن طريق، المجلس البريطانى – British Council". أما المسئولية المالية عن المجلة فاستقرت على "منظمة الحرية الثقافية". وأكد "جوسلسون" أن الدعم سوف يتم تدبيره عن طريق مؤسسة "فارفيلد" بالرغم من أن المجلة يجب تشجيعها لتعمل كنشاط تجارى درءاً للشك. وفى النهاية، قال "جوسلسون" لـ "وودهاوس" إن هناك مرشحين اثنين قد استقر عليهما الرأى وليكونا محررين مشاركين للمجلة. كما تم الاتفاق على أن تقوم منظمة الحرية الثقافية بالاتصال بالمحررين بعد الحصول على موافقة جهازى المخابرات عليهما. وبعد وضع إطار العمل، انتهى الاجتماع بالاتفاق على أن يتابع "جوسلسون" و "دونيڤى" المشروع، ثم يلتقيان مرة أخرى و"وودهاوس"، وفى الوقت نفسه بدأ "وودهاوس" البحث عن "واجهات" مناسبة – الأغنياء الذين تحدث عنهم "ويزنر" – لكى تمرر من خلالهم أموال الـ "IRD" إلى المجلة الجديدة.

كان المرشح الأمريكى لمنصب المحرر المشارك هو "إيرڤنج كريستول" المدير التنفيذى للجنة الأمريكية للحرية الثقافية. "كريستول" من مواليد ١٩٢٠ وهو ابن أحد تجار الأقمشة فى نيويورك، التحق بـ"سيتى كولدچ" فى عام ١٩٣٦ حيث تعرف على "إيرڤنج هاو – Irving Howe" و"دانيل بيل Daniel Bell" و"ميلڤن لاسكى Melvin La-sky" وأصبحوا أصدقاء، وهناك انهمك فى العمل مع الرابطة الاشتراكية للشباب ومنظمة اليسار غير الشيوعى فى الكلية ومع التروتسكيين. كان "كريستول" ضئيل البنية، وكان يعوض ذلك النقص بموقفه السياسى القوى الذى اشتهر به طلاب "سيتى كولدج" مع استعداد للانقضاض على خصومه، مما أعطاه سمعة أنه "مثقف فظ". تخرج بامتياز فى عام ١٩٤٠ وذهب للعمل بالشحن فى "شيكاغو"، وشارك فى تحرير مجلة "انكوايرى – Enquiry" إلى أن استدعى للخدمة العسكرية. بدأ تجنيده فى ١٩٤٤ جنديا فى قوات المشاة، وشهد القتال فى فرنسا وألمانيا وسرح فى ١٩٤٦، ذهب إلى انجلترا وعمل فى مجلة "كومنترى – Commentary" ثم عاد إلى "نيويورك" فى ١٩٤٧ ليكون مديرا لها.

أما المرشح البريطانى فكان هو "ستيفن سپندر – Stephen Spender"، من مواليد ١٩٠٩ لعائلة ليبرالية شهيرة، عاش طفولة مصانة (كان والداى يبعدانى عن الأطفال غير المهذبين)(١٠)، فنشأ فاتر الهمة، لين العريكة، يميل إلى الأفكار الخيالية. درس فى "اكسفورد" فى العشرينيات وخضع لتأثير طويل من "دبليو، اتش، أودن – W.H.Auden: وحقق شهرة بسرعة بعد كتابه الأول "قصائد" الذى ينضح بالحالة

الجنسية والسياسية لفترة ما بين الحربين. وعلى الفور أصبح يعتبر شاعر الثلاثينيات مع "أودن – Auden" وسيسيل داى لويس – Cecil Day Lewis" ولوى ماكنيس – Louis Macneice" لذلك العقد الذى أدخل السياسة إلى دهاليز الأدب، وشهد "سپندر" ينضم إلى الحزب الشيوعى، رغم أن ذلك لم يستمر إلا لأسابيع قليلة. كان نهجه يشبه ذلك النوع من "بلشفية الصالونات "الإنجليزية" أكثر من أى شىء آخر، والملائم لأساليب "سپندر" الناعمة. فيما بعد كان "سپندر" يصف تحولاته فى الأفكار والالتزام بأنها "نتيجة لسهولة التأثير على ولصراحتى"(١١). وقد عكست أنيتا كيرمود – Anita Kermode" مقولة "هنرى چيمس الأب – Henry James Sr" الشهيرة عن "امرسون – Emerson" بأنه كان مفتاحا لحل اللغز .. مع عدم وجود لغز لتصف "سپندر" بأنه "كان لغزا بلا مفتاح"(١٢). وهناك عبارة أخرى من عبارات "چيمس" تناسب "سپندر" تماما، وهى أنه كان "رجلا بلا مقبض".

وفيما بعد كان "سپندر" يتصور أن سبب اختياره ليكون محررا مشاركا لمجلة المنظمة الجديدة كان "نتيجة للمقال الذى كتبته فى "الإله الذى فشل". كانت علاقة "سپندر" الإيجابية بالولايات المتحدة، أكثر من تنكره للشيوعية، هى التى جعلته مرشحا مثاليا للوظيفة. فى عام ١٩٤٨ كان "سپندر" قد كتب "تسبيحة شكر لأمريكا"- بإمكاننا أن نكسب المعركة على عقل أوروبا – والتى يزعم فيها أنه "بينما تجد السياسة الأمريكية حلفاء مترددين وأصدقاء تعوزهم الحماسة، فإن حرية التعبير الأمريكية بإنجازاتها العظمى، لها مصداقية تستطيع أن تكسب الفكر الأوروبى الحيوى اليوم... وإذا اختارت أمريكا أن تفعل ذلك، فسوف تستطيع أن تلعب دورا تربويا فى أوروبا اليوم يمكنه تنشئة الألوف من الطلاب الذين يفهمون أفضل ما فى الحضارة الأمريكية، وفى المفهوم الأمريكى الحرية.. لأن الواقعى اليوم هو ألا نتوقع شيئا من الدعاية والإكراه السياسى، وإنما المشاركة فى أن نجعل أوروبا ترى الإنجازات العظيمة المعاصرة للحضارة الأمريكية"(١٣). ولم يستطع "سپندر" أن يكبح حماسته فاندفع ليقول: "إن كلمة واحدة من فم أديب "أمريكى أو إنجليزى" يعتبرها الطلاب الأوروبيون "شيئا أشبه بالمعجزة". كما كتب يقول إن "مشروع مارشال"، كان جيدا ومطلوبا، لكن "من الضرورى أيضا تدعيم حضارة الغرب القديمة فى أوروبا بواسطة إيمان، وخبرة، ومعرفة، العالم الجديد الذى هو أمريكا"(١٤). وقد عبر عن هذه المشاعر نفسها عدد كبير من المثقفين الأوروبيين الآخرين.قال "ريمون آرون – Ray-mond Aron" إنه كان مقتنعا تمام الاقتناع بأنه "لا مفر للشخص المعارض للستالينية من أن يقبل القيادة الأمريكية"(١٥). كان من الصعب أن يقال (كما حدث فيما بعد)

إن دخول أمريكا إلى ساحة الصراع الثقافى لم يكن له مؤيدون محليون عندما يربط أشخاص مثل "سپندر" و"آرون" بين بقاء أوروبا والمخَلِّص الأمريكى.

كان "سپندر" يتحلى بصفات أخرى جذابة لمن يستخدمونه -فيما بعد- فهو كجزء من جماعة "ماك سپون داى - MacSpaunDay" تركيب من أسماء ماكنيس - Mac Neice" و"سپندر - Spender" و"أودن - Auden" و"داى لويس - "Day Lewis كان يعتبر صلة ربط مهمة بأرستقراطية " لندن " الأدبية التى كانت ما زالت متعلقة بالبقايا المتنفجة لمرحلة " بلومزبرى - Bloomsbury"، لكن أعضاءها انجذبوا بلا تردد نحو سحر "سپندر". وكان، "چوسلسون" قد خبر بشكل مباشر عناد العنصر البريطانى فى أول ظهور للمؤتمر فى "برلين"، كما كان كثير من الأمريكيين ضجرين من جو الشعور بالتفوق الذى يثيره المثقفون البريطانيون حول أنفسهم. وفسر "ستيوارت هامپشاير - Stewart Hampshire" ذلك بقوله: "هناك خلفية مهمة لذلك كله"، " أعتقد أن مؤسسة فورد جاءت إلى "لندن" فى عام ١٩٤٩ وعقدوا اجتماعا موسعا فى أحد الفنادق دعوا إليه المثقفين البارزين. فى ذلك الوقت كان لديهم احتياطيات رأسمالية تفوق فى قيمتها كل ما كان فى دائرة الاسترلينى. وهكذا جاء المثقفون ومؤسسة فورد تعرض عليهم، الأرض وما عليها، لكنهم كانوا يقولون "شكرا ... نحن لدينا كل شىء" ومضمون ذلك أن هناك نزعة عداء لأمريكا، "حالة تنفج ويكهامى"(*) أمام يسارية صينية متمثلة فى أشخاص مثل إمبسون - Empson و"فورستر - Forster"، أتذكر أن "فورستر" كان يقيم مع " ليونيل تريللنج - Lionel Trilling" فى نيويورك ذات يوم. كان "تريللنج" (الذى ألف كتابا عن "فورستر" وكان محباً لانجلترا وللإنجليز بالرغم من عدم ذهابه إلى هناك)، عصبى المزاج. قال له "فورستر" إنه كان يريد أن يشترى قميصا لمناسبة ما، فأخذه "تريللنج" إلى محلات "بروكس برادرز"، لكن بمجرد أن دخل "فورستر" المحل، ألقى نظرة، نظرة واحدة وقال: "يا إلهى! ربما لا أستطيع أن أشترى أى شىء من هنا ! "وهذا يلخص كل شىء"(١٦).

أما "سپندر" الذى كان قد سبق له العمل مع لجنة الرقابة البريطانية فى ألمانيا المحتلة بعد الحرب، فكان متوائما تماما مع احتياجات الحكومة فى ميدان السياسة الثقافية. ومنذ ذلك الحين، كان قد أمضى وقتا طويلا فى أمريكا، حيث وجد نفسه هناك تحت جناح "چون كرو رانسوم - "John Crow Ransom و"ألن تيت - Allen Tate" والثانى المحافظ "بن تيت - Ben Tate" والسيناتور "إدوارد تافت - Edward

(*) نسبة إلى «ويكهام Wykeham» رجل الدولة الذى أسس كلية وينشستر. (المترجم).

"Taft". كان "سپندر" هو الجسر الملائم الذى كان الأمريكيون يريدونه للاقتراب من حلفائهم المتمردين. لكن موهبته التى لا تقاوم - كما تقول زوجته:"ناتاشا - "Natasha" كانت هى "سهولة خداعه". قالت: "كان لدى "ستيفن" بالطبع كل المؤهلات المطلوبة التى تجعلهم يختارونه كواجهة، كان أحد الذين شجبوا الشيوعية، إلى جانب أنه كان شديد البراءة ويسهل خداعه". وسبق أن خدع "لويد چورچ - "Lloyd George" والده. إنها عائلة شديدة الثقة بالآخرين، لا يخطر ببال أحد منهم أبدا أن أحداً يكذب عليهم"(١٧) بعد ذلك سيكون ثمن تلك السذاجة الفطرية باهظا.

فى فبراير عام ١٩٥٣ تلقى "سپندر" الذى كان يقوم بالتدريس فى "سينسيناتى - Cincinnati" رسالة من "چوسلون" يدعوه فيها للقدوم إلى "پاريس" لمناقشة الطبعة الإنجليزية من مجلة " پريف - Preuves". وعرف "سپندر" من "كريستول": "أنهم أثناء رحلة سريعة إلى "پاريس" قمت بها قبل أسابيع قليلة، أمضيت وقتا طويلا فى مناقشة (هذا الأمر) مع "مايكل چوسلسون" و "فرانسوا بوندى - Francois Bundy" و"ميل. لاسكى - Mel. Lasky"، بل إننى ذهبت" مع "لاسكى" إلى لندن لمدة يوم حيث ناقشنا الأمر مع "واربورج - Warburg" و"ماجريدچ - Mugge-ridge" و"فيڤل -Fyvel"(١٨).

قبل لقاء "لندن" هذا بوقت قصير، كان "دونيڤى" و"چوسلسون" قد التقيا و"وودهاوس" واتفقوا على ترتيبات صفقة نشر يعطى بموجبها "فردريك واربورج - Fredric Warburg (ناشر أعمال أورويل) اسم شركته للمجلة. وفى رسالة من "چوسلسون" أكد له أن المؤتمر "يتحمل المسئولية كاملة لكى يدفع له على الفور كافة الفواتير الخاصة بإنتاج وتوزيع "انكاونتر" و أن يتحمل كافة التبعات القانونية لما ينشر، كما أوضح "چوسلسون" لـ "واربورج" أنه لن يكون له ولا لشركته أى سلطان على الجانب التحريرى للمجلة"(١٩).

وعندما جاء موعد اللقاء الثانى، كان "دونيڤى" و"وودهاوس" قد تآلفا تماما. لم تكن أوراق اعتماد "دونيڤى" أقل جاذبية أو أهمية من أوراق "وودهاوس". كان دونيڤى من مواليد "لندن" وحصل على درجات علمية من "نيوكولدچ" و"هارڤارد" قبل أن يعمل مراسلا لوكالة "رويترز". ويتذكر "وودهاوس": "تفاهمنا بسرعة وكانت نظرتنا واحدة إلى كثير من الأمور". ويضيف "كنت أتفاهم بسرعة مع الزملاء الأمريكيين، بشرط إلا يكونوا مجانين"، يقولها بطريقة توحى بأن كثيرين كانوا كذلك بالفعل!" كنت ألتقى بـ"لارى" كلما جاء إلى "لندن"، أو كلما ذهبت أنا إلى "واشنطن". وكنا نلتقى هناك و"آدم واطسون - Adam Watson"، رجلى هناك"(٢٠) بعد ذلك سيلتقى

الاثنان بانتظام على مدار العامين التاليين إلى أن يعود "دونيڤى" إلى أمريكا، بينما يذهب "وودهاوس" مديرا للمعهد الملكى للشئون الدولية – Royal Institute of International Affairs". وحيث كانت تلك هى المساحة الوحيدة التى التقت فيها مسئولياتهما، فإنهما كانا يناقشان معاً" العمليات والأساليب الخاصة بـ "انكاونتر" بشكل عام أثناء تناول الشراب فى نادى السيارات الملكى – RAC. كانت تلك العمليات والأساليب: تعنى بداية تحديد ما وصفه" "وودهاوس" بـ"التدفق المالى وخط الاتصال". وفيما بعد شرح "دونيڤى" الأمر بقوله: "إياك أن تظن أنه كان هناك نظام لأى شىء فى تلك الأيام، كل شىء كان مرتجلا"(٢١). وجىء بـ "مالكولم ماجردچ" لكى يساعد فى ذلك الارتجال وليكون بمثابة وسيط بين الـ "MI6". و"منظمة الحرية الثقافية". كان "ماجردچ" قد قطع رحلة طويلة منذ الصبا، عندما غَنَّى "العلم الأحمر" مع والده من فوق أحد منابر حزب العمال فى "كرويدن"، وكان كتابه "شتاء فى موسكو" (١٩٣٣) الذى عَبَّر عن تحطم الوهم الروسى، واحدا من أوائل الكتب التى فضحت الأكذوبة الروسية والتى كتبها اليسار، وكان بداية تحوله السياسى إلى عميل لـ"MI6". وكعضو فى لجنة تسيير "منظمة الحرية الثقافية"، كان "مارجردچ" متسقا تماما مع موقفها المعارض للحياد والموالى لأمريكا مبررا ذلك بقوله: "لو أننى قبلت مثل ملايين غيرى من الأوروبيين الغربيين أن قدر أمريكا هو أن تكون الداعية الأساسية للحرية فى عالم منتصف القرن العشرين هذا، فإن ذلك لا يعنى بالضرورة أن المؤسسات الأمريكية قد بلغت حد الكمال، أو أن الأمريكيين حسنوا السلوك بالتأكيد، أو أن أسلوب الحياة الأمريكى ليس به عيوب، إن ذلك يعنى فقط أننى فى واحد من أشد الصراعات شراسة فى التاريخ الإنسانى قد اخترت الجانب الذى أقف فيه، كما سيكون على الجميع أن يختارو عاجلا أو آجلا، ولدى النية لأن أظل ثابتا فى جانب اختيارى أيا كانت الظروف، آملا أن تكون لدى الشجاعة الكافية حتى لا أفقد حماستى وإدراكى فلا أرتبك، أو أحيد عن هذا الهدف، وأن يكون لدى الإيمان الكافى بالحضارة التى أنتمى إليها، وبالدين الذى تقوم عليه هذه الحضارة، وأن أتبع نصيحة "بنيان– Bunyan"(*) بأن أتحمل أهوال ومشاق الطريق فى سبيل نبل الغاية والمقصد»(٢٢).

وفى «البستان الجهنمى» كتب «ماجردچ" يقول: إن «السرية لازمة لعمل المخابرات لزوم الرداء الكهنوتى والبخور للقداس، أو الظلام لجلسات تحضير الأرواح، ولابد من توفيرها بأى ثمن بصرف النظر عما إذا كانت تخدم أو لا تخدم أى غرض»(٢٣). كان "ماجردچ" سعيدا باشتراكه فى مغامرة النشر الجديدة التى ستقوم

(*) چون بنيان (١٦٢٨–١٦٨٨) واعظ وكاتب انجليزى مؤلف «رحلة الحاج» – ١٦٧٨– (المترجم).

بها المنظمة، حتى وإن كان يشك فى ضرورتها، لأنها كانت مثيرة له كحيلة من مكائد العباءة والخنجر، كانت أولى مهامه هى تأمين «الناس الأغنياء» الذين يمكن أن يظهروا -كرعاة للمجلة- على أنهم مستقلون ولهم مصداقيتهم. وفى لقاء فى إحدى حانات "فليت ستريت"، أبلغ «وودهاوس» أن بحثه عن قنوات لتوصيل الأموال، قد أسفر عن مرشحين لديهم الاستعداد للقيام بذلك.

كان الأول هو المخرج السينمائى المهاجر "ألكساندر كوردا Alexander Korda"، وكصديق لـ "إيان فليمنج – Ian Fleming" ومستخدم سابق مع "بروس لوكهارت" (الذى عمل مستشارا له فى التوزيع العالمى للأفلام)، كان "كوردا" يحتفظ بعلاقات وثيقة بالمخابرات البريطانية، ونتيجة لاتصال "ماجردج" به، وافق "كوردا" على أن يسمح للـ "IRD" باستخدام رقم حسابه فى البنك كممر للإعانات التى تقدم للمجلة. أما قناة التوصيل الثانية التى جاء بها "ماجردج" فكانت هى صديقه القديم "لورد ڤيكتور روتشيلد – Lord Victor Rothschild". وقد ظل "روتشيلد" على ارتباط وثيق بالمجلة حتى منتصف الستينيات ولكن فى الظل، وليس فى العلن قط.

كانت لا تزال هناك بعض الأمور العملية التى تحتاج إلى تسوية، فذهب "ماجردج" و"واربورج – Warburg" اللذان كان يشار إليهما الآن من قبل الـ "CIA" بـ "أبناء العم" – إلى "پاريس" فى أواخر فبراير ١٩٥٣ لتدبير الأمر، وكانت قد صدرت تعليمات "چاسپر ريدلى – Jasper Ridley" سكرتير الجمعية البريطانية للحرية الثقافية بأن يدفع ثمن تذكرتيهما وتكاليف الفندق. وعند عودته طلب "واربورج" من "ريدلى" أن يعطيه "شيكا" بمبلغ مائة دولار عن نفقاته فى "پاريس" من حساب الجمعية البريطانية. كانت دهشة "ريدلى" بالغة لأن راتبه الأسبوعى آنذاك كان عشرة دولارات، وقال فيما بعد: أعتقد أنه إما أن يكون قد وضع المائة دولار فى جيبه، أو أنه اشترى بها مجوهرات لزوجته "(٢٤) الجميلة "پاميلا دوبايو – Pamela de Bayou".

وفى ٥ مارس ١٩٥٣ كتب "چوسلسون" إلى "ستيفن سپندر" وأرفق بكتابه تقريرا عن اجتماع "ماجردج" و"واربورج" و"فيڤل" و"نابوكوف" و"بوندى" و"چوسلسون": "نحن فى حاجة إلى مجلة تكون أوسع اهتماما وأكثر جاذبية من "هورايزون"، وتكون أقرب إلى "ديرمونات"، ويمكن أن تكون أنت و "كريستول" فريقا مثاليا لرئاسة تحريرها. ينبغى أن يكون هناك مجلس تحرير، ربما مع "ماجردج" و"هوك" اللذين سيمضيان عاما كاملاً فى أوروبا اعتبارا من يوليو ١٩٥٣، كان "ماجردج" و "واربورج" على استعداد لأن يضعا كل الدعم المالى الذى تمكن "ماجردج" من حشده للجمعية البريطانية فى المجلة"(٢٥) وبخصوص ذلك الترتيب كتب "سپندر"

إلى "كريستول": "يبدو أننا نحن الاثنين سوف نعمل لحساب اللجنة البريطانية"(٢٦). وكان محقا إلى حد ما، لأن "كريستول" الأمريكى كان سيتقاضى أجره من دعم "مؤسسة فارفيلد " (التابعة لـ "CIA")، أما أجر "سپندر" فسيكون من البند السرى للخزانة البريطانية.

وبحلول مارس ١٩٥٣ كان "كريستول" قد انتقل إلى "پاريس" وأصبح مشغولا بجمع مادة المجلة وتحديد شكلها. وأصدر مكتب "پاريس" الذى كان لديه تصور لمجلة... تكون "الناطق الرسمى باسم المنظمة"، أصدر أربع تصميمات للغلاف بتوجيهات من "چوسلسون". لم يتفق "كريستول" أو "سپندر" (الذى كان ما زال فى الولايات المتحدة) على اسم المجلة. كان الاسم التجريبى وهو "Outlook" عاديا فى نظرهما، فراحا يفكران ويقلبان صفحات القواميس ويتبادلان الاقتراحات: "سمپوزيوم"، "كلتشر آند پوليتكس"، "كونجرس"، "ويتنس"، "فيستا"، "تيستمونى"، "رايتنج آند فريدوم"... (كان "كريستول" يريد أن يتجنب كلمتى "فريدوم"و "ليبرتى" بسبب ما تثيره الكلمتان من ملل)، "ميسنچر"، "أكروس سيز"، "إيست وست ريڤيو"، "كومپاس"، "كونيكت "، اكستشينج"، "پرزنت"، "تيرننج پوينت"، "سيركمفرنس". وفى لحظة ما، أشار إليها كريستول وهو يتكلم بـ "المجلة – X"(٢٧)، ربما كان يمكن أن يكون ذلك هو الاسم المناسب على ضوء السرية الذى كان يحيط بها . أما اسم "انكاونتر" فبرز لأول مرة فى رسالة من "كريستول" إلى "واربورج" بتاريخ ٢٧ إبريل ١٩٥٣، ولكن "كريستول" قال إنه لم يكن متحمسا لذلك الاسم.

وفى ٣٠ إبريل ١٩٥٣ وقع "الكساندر كوردا " أول "شيك" له بمبلغ ٢٥٠ دولار. والمفترض أن يكون "ڤيكتور روتشيلد" قد فعل الشىء نفسه بالرغم من عدم وجود أية سجلات توضح تاريخ بداية "تبرعاته". وهكذا كانت المخابرات البريطانية تمرر دعمها لـ "انكاونتر" بطريقة مموهة منذ البداية. أما التدفق المالى فقد تعاظم بوصول مظروف بنى اللون إلى مكتب "انكاونتر"وبشكل منتظم، كان حامله هو أحد أعضاء مكتب "وودهاوس"، وكذلك كانت أيضا مديرة مكتب المجلة (والمحررة بها فيما بعد) "مارجوت وولزلى Margot Walmsley" التى جاءت إلى "انكاونتر" مباشرة من عملها المكتبى فى الـ "IRD" وظلت هى "خط الاتصال" فى المجلة بوزارة الخارجية لأكثر من عقدين، وفيما بعد كانت "وولزلى" تقول لـ "فرانك كيرمود – Frank kermode" وهو يستمع إليها مندهشا، إنه إذا كان يريد أن يعرف "أى شىء" عن "انكاونتر" فإن بإمكانها أن تقول له "كل شىء"، ماتت "مارجوت وولزلى" فى عام ١٩٩٧ دون أن تكشف قط عن أنها كانت موظفة فى وزارة الخارجية.

وفيما بعد كانت الـ "IRD" إدارة البحث الإعلامي - تودع الأموال في حساب خاص بشركة "سيكلر آند واربورج" للنشر، ثم يقوم "واربورج" بعدها بتحرير "شيك" بنفس المبلغ لصالح الجمعية البريطانية للحرية الثقافية التي كان رئيسا لخزينتها. أما الجمعية البريطانية التي لم تكن في ذلك الوقت سوى واجهة لتغطية تدفق أموال الـ "IRD" لمجلة "انكاونتر" فكانت هي التي تحول المبلغ إلى المجلة. كان ذلك الأسلوب في الدعم والتمويل يسمى بلغة المخابرات "تمريرا ثلاثيا". وهكذا كانت حكومة صاحبة الجلالة تدفع راتب "ستيفن سپندر" بطريق غير مباشرة. "وودهاوس" نفسه لم يتكلم قط مع "سپندر" عن ذلك الترتيب، بالرغم من أنه كان لديه أكثر من فرصة لذلك. ويتذكر "وودهاوس": كان أطفاله مع أطفالي في نفس الروضة، وكنا نلتقي هناك عادة. كنت أعتقد أنه يعرف، ولذا لم أشعر بحاجة لأن أتحدث معه عن ذلك. كان ذلك هو أسلوبنا في مثل هذا العالم"(٢٨). كما كان "سپندر" يؤكد بعد ذلك - وبكل عناد - أنه لم يكن على علم بذلك الترتيب.

بحلول شهر يونيو ١٩٥٣ كانت مجلة "انكاونتر" قد ظهرت، وتصدر من مكتب الجمعية البريطانية للحرية الثقافية (١١٩- ب- اكسفورد ستريت) قبل أن تنتقل في شهر سبتمبر إلى مكاتبها في "هاي ماركت". تم تغطية تكاليف الطباعة والنفقات الأخرى في العام الأول من منحة قدمتها "مؤسسة فارفيلد" بمبلغ ٤٠٠٠٠ دولار، وهو رقم كان يجب أن "يحتفظا به لنفسيهما" كل من "سپندر" و"كريستول" بناء على نصيحة "چوسلسون". "كريستول"، الذي كان في "لندن" منذ شهر مايو، لحقت به زوجته المؤرخة "جيرترود هيملفارب - Gertrude Himmelfarb" وطفلهما الصغير "وليم". وبعد وقت قصير وصل "سپندر" من "سينسيناتي - Cincinnati" وكان كلاهما من حملة الأسهم في "انكاونتر ليمتد" التي تم تسجيلها في ١٩٥٣، وكانت معظم الأسهم مملوكة لـ "چنكي فليشمان - JunkieFleischma" رئيس "مؤسسة فارفيلد" و"پيير بولومي - Pierre Bolomoy" رئيس "خزانة منظمة الحرية الثقافية". وفي إعادة كتابة للتاريخ جديرة بالذكر، سوف يسجل كل من "سپندر" و "كريستول" فيما بعد أن تعاونهما كان بمثابة شهر عسل. قال "كريستول": "نظرا للاختلاف الشديد بين شخصيتينا، أعتقد أننا كنا منسجمين معا"(٢٩). وقال "سپندر": كنت أعمل بسعادة بالغة مع "ايرفنج كريستول"(٣٠). كلاهما كان يعتبر الآخر صديقا.. بيد أن ذلك كان فيما بعد. كانت العلاقة المهنية بينهما مليئة بالمشكلات من البداية. كان "سپندر" مرنا، عاطفيا، هيابا، لا يميل إلى المواجهة، وكمحرر كان - أحيانا - لا يعرف أي شيء"(٣١). وعلى العكس منه كان "كريستول" شديد العناد، لا يعرف الحلول الوسط، عوّدته سنوات الجدل في "بروكلين" على كراهية السلوك المرفه.. أو العاطفي. كان

ضئيل البنية – مثل "لاسكي" و"هوك"، عصبى المزاج. يقول أحد عملاء الـ "CIA" كان من الجنون أن تظن أن "ايرڤنج كريستول" – التروتسكى السابق، القادم من بروكلين – يمكن أن يذهب إلى هناك ويتعامل مع كل أولئك المثقفين البريطانيين يصحح لهم كتاباتهم"(٣٢). ولكن، لم يكن "سپندر" والأصدقاء البريطانيون فقط هم الذين ينبغى عليهم أن يتعاملوا مع "كريستول" بحذر. "چوسلسون" اكتشف مبكرا حجم الرجل الذى اختاره. تقول "ناتاشا سپندر" التى تتذكر أنها كانت قد سمعت من "ستيفن" أن "كريستول" كان يصرخ فى التليفون فى وجه "چوسلسون" ليقول له إنه إذا كان يريد "مجلة منزلية"، "عليه أن يأتى بمحرر غيره"(٣٣). كما تقول إنه كثيرا ما كان يحدث بينه وبين مكتب "پاريس" شجار عنيف.

وفى شهر يوليو أرسل "كريستول" إلى "چوسلسون" الفهرست المقترح لمحتويات العدد الأول: "دينيس دو روچمو" يكتب عن الهند، "ألبير كامو – Albert Camus" وتأملات عن الموت"، وصفحات من مذكرات "ڤرچينيا وولف – "Virginia Woolf"، قصتان قصيرتان من اليابان، "كريستوفر أشروود – "Christopher Isherwood" يتذكر أرنست توللر – Ernst Toller، "ليزلى فيدلر – Leslie Fiedler" يكتب عن "آل روزنبرج"، و "نيكولاس نابوكوف عن الموسيقى السوفيتية، و"چوزيف زاپسكى – Joseph Czapski" عن "أصوات الصمت" لـ "أندريه مالرو" و "ايرڤنج كريستول" عن مؤتمر العلم والحرية"، و"هربرت لوتى – Herbert Luthy" عن الثورات التى قامت مؤخرا فى ألمانيا الشرقية و تشيكوسلوفاكيا، و"اديث سيتول – "Edith Sitwell" عن "هوليود"، وقد وعد "ماجردچ" و"سپندر" و"هيو – يتون واطسون – Hugh Seton Watson" و"چى. كى. جالبريث – J. K . Galbraith" و"ناثان جلازر – Nathan Glazer" بأن يكتبوا مراجعات نقدية لبعض الكتب. أما مقالات "كويستلر" و"آرون" فقد أسقطت من العدد الأول بعد تحذير من "نابوكوف لـ:"كريستول" بأنها شديدة العداء للشيوعية... وبأكثر مما ينبغى.

وكتب "چوسلسون" إلى "كريستول" يعبر عن قلقه لأن مادة العدد الأول ليست سياسية بما يكفى. رد عليه "كريستول" ردا خشنا: "لا أستطيع أن أفهم إشارتك الغامضة عن "المضمون السياسى" و أن المجلة ليست كما كان متوقعا، من الواضح أن المجلة لابد من أن تكون فصلية "ثقافية" – والسياسة تجىء مع الأدب والفن والفلسفة... إلخ، كجزء ضمن نسيج "الثقافة"، كما هى بالفعل. أما نسبة المقالات السياسية إلى الأدبية...إلخ فسوف تختلف بالطبع من عدد لآخر. السياسة فى العدد الأول ثانوية نسبيا حيث إننا نريد أن نجتذب أكبر جمهور ممكن. لدى فكرة واضحة

عما تريده المنظمة وكيف ينبغي العمل على تحقيقه، لكنني لا أستطيع أن أعمل بالكفاءة المطلوبة ومكتب "باريس" "ينفخ في زمارة رقبتي" ويرسل توجيهاته للتحرير.. إلخ"(٣٤).

وفي رسالة ثانية عنيفة احتج "كريستول" مرة أخرى على "چوسلسون" فكتب إليه: "نحن هنا في "لندن" لسنا حمقى أو بلهاء، وأعتقد -عن حق- أننا نستطيع أن نقوم الموقف أفضل مما تستطيعه وأنت عندك في "باريس"، أنت وزملاؤك هناك تعتقدون أن الغلاف رديء جدا؟ ربما كنتم محقين في ذلك، ثم إنكم يمكن أن تكونوا على خطأ فأغلفة المجلات - على أية حالة - ليست من اختصاصك. أنا أرى أن الغلاف جيد وإن كان قابل للتحسين طبعا. "ماجردچ" يرى أنه جيد جدا.. هل تعتقد أن العدد الأول ليس "سياسيا" بما يكفي؟ لكنك أيضا لم تفحص فهرست المحتويات جيدا.. هل العدد الأول في نظرك "أدبي" أكثر مما يلزم؟ حسن ! أنت مخطئ.. ربما أكون أضلل نفسي، لكنني أعتقد - وعن حق - أن المنظمة قد وضعت يدها على شيء في "انكاونتر" أكثر أهمية مما يتراءى لك. يبدو أنك سترضى لو أننا حققنا سمعة مثل "بريف - Preuves". يا إلهي ! لقد انقضى ذلك الزمن يا رجل (إلا إذا كنت واهما)، إن لدينا القدرة على أن نصبح في ظرف أشهر قليلة الدورية الثقافية الأفضل الصادرة بالإنجليزية، ليس في إنجلترا فقط بل وفي آسيا كذلك، أمهلنا بضعة أشهر، وسنصبح قِبْلَة المثقفين في الشرق والغرب، مجلة يدفع أي كاتب آسيوي أو أوروبي أو أمريكي نور عينيه لكي يظهر اسمه فيها. إنني أعني ذلك جادا، أما إذا لم أكن على صواب، فعليك أن تبحث عن محرر آخر. لابد من أن تعطينا الوقت وتطلق يد التحرير لكي نحقق ذلك... إن موقفك بالنسبة للمبيعات يحيرني.. تقول إنك أقل اهتماما بالتوزيع منه بتأثير المجلة. لكن أليس أحدهما مقياساً للآخر؟"(٣٥) لو كان "كريستول" يعرف الدعامات المالية التي كانت تستند عليها "انكاونتر" فلربما أدرك أن ذلك السؤال كان زائدا عن الحاجة!

ومن الواضح أن "كريستول" لم يكن يريد أن يقوم بدور "البوق" لـ: "چوسلسون". أما "سپندر" فاخترع مفهوم "قوة كريستول" لكي يصف وقفة زميله المتشددة. وبعد أكثر من تهديد، سيجد "چوسلسون" محررا جديدا، لكن "انكاونتر" كانت في حاجة إلى الاستقرار مؤقتا، ولم يكن أمام "چوسلسون" سوى أن يبقى على "كريستول".

انتصر مكتب "پاريس" في معركته مع "كريستول" لإسقاط مقالي "كويستلر" و"آرون" من العدد الأول، لكنهم في النهاية رضخوا لكي تنشر المجلة لـ"ليزلي فيدلر -

"Leslie Fiedler" مما جعلهم يشعرون بقلق شديد . كان "كريستول" قد دعا صديقه "فيدلر" فى البداية ليكتب عن "كارل ماركس" لكنه لم يبد أية حماسة لذلك وعرض عليه مقالا عن "آل روزنبرج". فإذا كان "كريستول" يريد شيئا "مثيرا" للعدد الأول فها هو ذا قد حصل عليه.

صباح يوم إعدامهما كان "چوليوس" و "إيثيل روزنبرج" قد جلسا فى زنزانتهما فى سجن "سنج سنج" ليكتبا رسالة لطفليهما "روبرت" و"مايكل". وأنهيا الرسالة بعبارة تقول: ".. ولتتذكرا دائما أننا أبرياء، ولم نستطع أن نخالف ضمائرنا"، وبعد الساعة الثامنة بالضبط فى مساء ١٩ يونيو ١٩٥٣، وقبل أن يعلن غروب الشمس بداية "السبت اليهودى" بدقائق، وفى ليلة ذكرى زواجهما الرابعة عشرة، تم إعدامهما بالكرسى الكهربائى. أعدم "چوليوس" أولا، وبعده "إيثيل". قبل ربطها فى الكرسى، استدارت "إيثيل" إلى السجانة ومدت يديها وقربتها منها وطبعت قبلة على خدها.

كان قد تم تجريم "آل روزنبرج" فى مارس ١٩٥١ بتهمة نقل أسرار ذرية أمريكية للسوفيت. وبعد أن اختلى القاضى "كوفمان – Kaufman" بنفسه فى أحد المعابد ليفكر فى الحكم، عاد إلى قاعة المحكمة ليصدر حكمه بالإعدام لدورهما فيما وصفه بأنه "مؤامرة شريرة لتدمير أمة تخشى الله"(٣٦). لم يحدث فى تاريخ أمريكا أن حكم بالإعدام على شخص متهم بالشيوعية فى فترة السلم. الضجة العالمية التى تبعت ذلك وضعت المسئولين عن الدعاية الأمريكية أمام أكبر تحد منذ بداية الحرب الباردة. لم يكن موضوع جريمة "آل روزنبرج" (وكان هناك قليل من الشك فى كونهم مذنبين)، لم يكن هو القضية الرئيسية: كانت قضيتهم غير قابلة للجدل فى نظر كثير من المراقبين، ولكنها كانت فرصة لخبراء الاستراتيچية الأمريكيين لكى يقنعوا العالم ليس فقط بأن الحكم غير قابل للنقاش، بل وبأن العقاب جاء مناسبا تماما للجريمة.

كتب "چان پول سارتر – Jean - Paul - Sartre" يبدى تعجبه لما حدث: "عندما يحكم بالإعدام على اثنين من الأبرياء، فإن ذلك يصبح قضية العالم كله"، كما قال إن الفاشية "ليست بعدد ضحاياها، وإنما بالطريقة التى تقتلهم بها". وأضاف إن الإعدام كان بمثابة عملية "قتل دون محاكمة قانونية، لطخت بالدم أمة بكاملها"(٣٧). ولكى يتأكد الشيوعيون من أن العالم كله يعرف أنها قضيته، وأن الأمر يعنيه، قاموا بحملة واسعة لطلب الرأفة للمتهمين وبتنظيم تغطية فى الصحافة الشيوعية وإجراءات لكى تقوم المنظمات الشيوعية بتقديم عرائض التماس للسفارات الأمريكية. تلقت "لندن" آلاف الطلبات والاحتجاجات التى تحمل آلاف التوقيعات، وأبلغت "پاريس" أنها تتلقى برقيات ورسائل وطلبات بمعدل خمسين يوميا.

وفى فرنسا بخاصة، أصبحت قضية "آل روزنبرج" نقطة التقاء بالنسبة لأى شخص يحمل ضغينة للحكومة الأمريكية. وعمت الاحتجاجات فرنسا كلها وتحول الكثير منها إلى أعمال عنف وشغب معادية لأمريكا. وفى اجتماع حاشد فى ميدان "الكونكورد" تحت عنوان "أطلقوا سراح آل روزنبرج" قتل شخص. واستنكر "ميلقن لاسكى" تلك الاضطرابات ووصفها بأنها مشاعر استياء "معادية لأمريكا"، بالرغم من استيائه أيضا للجوء إلى عقوبة الإعدام فى وقت السلم(٣٩). وبالطبع، لم يشر أحد من الجماعات الضاغطة المدعومة من الشيوعيين للدفاع عن "آل روزنبرج"، لم يشر إلى أنه فى نفس اليوم الذى شكلت فيه "لجنة الدفاع عن آل روزنبرج" فى فرنسا، كان يتم تنفيذ حكم الإعدام بحق أحد عشر من قيادات الحزب الشيوعى التشيكى السابق فى "براغ"، ولم يناقش أحد أن المزيد من الشيوعيين كان يتم تصفيتهم على يد "ستالين" أكثر مما يحدث فى أى بلد فاشستى آخر، ولا أن العمال فى الاتحاد السوفيتى كانوا يؤخذون إلى معسكرات الأعمال الشاقة إذا تكرر تأخرهم عن العمل أكثر من خمس دقائق مرتين، ولا عن أن الفنانين عندما طلب منهم المشاركة فى مسابقة لعمل تمثال للاحتفال بمئوية "پوشكين"، منحت الجائزة الأولى لمثال كان تمثاله عبارة عن "ستالين" وهو يقرأ أعمال "پوشكين".

إلا أن تحليل "ميلقن لاسكى" يظل تبسيطا مخلا للأمور، فالسفير الأمريكى فى پاريس: دوجلاس ديلون – Douglas Dillon" حذر وزير الخارجية بشدة فى برقية أرسلها بتاريخ ١٥ مايو ١٩٥٣ من أن أغلبية الناس فى أوروبا كان من رأيهم – وبالإجماع – أن حكم الإعدام لم يكن له أى مبرر، كما حذر من أن الناس "الذين يطلبون الرحمة لا ينبغى النظر إليهم كلهم على أنهم من عملاء الشيوعية المغرر بهم"(٤٠).

وواضح أن موجة طلبات تخفيف الحكم لم يكن ممكنا أن تمر هكذا على اعتبار أنها مؤامرة شيوعية فقط، فقد ذكر أحد تقارير المخابرات أن "نداءات الاستغاثة قد ظهرت مؤخرا فى أوروبا الغربية فى الصحافة الاشتراكية والمستقلة ومن الجماعات الاشتراكية الرسمية وأن هناك بعض الأصوات فى حزب العمال تؤيد تخفيف الحكم. مثل هذه النداءات غير الشيوعية لتخفيف الحكم كانت مبنية على شكوك معينة فى التهمة المنسوبة لـ "آل روزنبرج" وعلى أساس أن تلك المناشدة ستعود بفائدة أقل على الدعاية الشيوعية مما لو تم تنفيذ الحكم، واعتبار "آل روزنبرج" "شهداء".

والآن، كان جهاز الحرب النفسية الأمريكى بكامله يواجه تحديا كبيرا. فعلى مدى الأشهر الستة التالية، وإلى أن يتم إعدام "آل روزنبرج" كان عليه أن يحشد كل

مصادره لإقناع العالم غير الشيوعى بأن العدالة الأمريكية عادلة بالفعل. وصدرت الأوامر لل"PSB" لجنة الاستراتيجية النفسية - بتنسيق الحملة، والتى كان هدفها الرئيسى هو وضع "آل روزنبرج" فى إطار النموذج الشيوعى السلبى - وهو "الشيوعى كوحش يريد تضحية بالدم"، وأعدت تقارير توجز الأمر للرئيس الأمريكى ولكل رجاله، تعتمد على رسائل السفارات وتقارير الـ"CIA"، وأصدرت وابلا من التعليمات لجميع المراكز الأمريكية فى الخارج، ولكن.. بينما كانت التقارير التى أنتجتها الـ "PSB" والتى تظهر "آل روزنبرج" على أنهم مدانون بالفعل وأنهم وجدوا مذنبين عند محاكمتهم"، بينما كانت تلك التقارير يتم تضخيمها فى الصحافة الأوروبية، إلا أن كثيراً من الممثلين الدبلوماسيين للولايات المتحدة واصلوا ضغوطهم لتخفيف الحكم فى فرنسا، ظل السفير "ديلون" شديد القلق "بسبب الأثر العكسى للإعدام فى أوروبا الغربية" وراح يضغط لكى يعاد النظر فى الحكم "على ضوء المصلحة القومية العليا"(٤٢). وعندما بحثت الـ "PSB" إعدام "آل روزنبرج" فى منظوره الشامل، وخاصة أثر مثل ذلك القرار فى الخارج من الناحية النفسية، وتأثيره على سمعة الولايات المتحدة .. وقيادة الولايات المتحدة". وكان لـ: "سى. دى. چاكسون" موقفا مفاجئا يختلف قليلا، إذ بالرغم من اقتناعه بأن "آل روزنبرج" كانوا يستحقون "القتل" مائة مرة جزاء ما اقترفوه بحق هذا البلد" إلا أنه كان يميل إلى انتزاع اعتراف منهما، وكان ذلك يمكن أن يغير من طبيعة القضية برمتها بالطبع. كتب "سى. دى" رسالة سلمت باليد للنائب العام "هربرت برونل - Herbert Brownell" بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٥٣ يقول فيها: "إن الأمر يستحق بذل محاولة جديدة لشق واحد على الأقل من "آل روزنبرج"، ويواصل: إن شق "آل روزنبرج" ليس مشكلة تعذيب بغية انتزاع الاعتراف وإنما هى مشكلة صحة نفسية،لذا أليس من الممكن أن نجعل طبيبا نفسيا يهوديا، وليكن مثلا الدكتور "كارل بنجر - "Karl Binger يحاول أن يكسب ثقتهم خلال الأيام الثلاثين القادمة، وإذا ظهرت عليهما علامات اللين يمكن تأجيل الإعدام لثلاثين أو لستين يوم أخرى بينما تستمر المحاولة"(٤٤).

وفى شهر مايو خرج "سى . دى" بفكرة أخرى، فى مذكرة أعدها "للملف" على ورق البيت الأبيض كتب: تكلمت مع "برونل -Brownell" وحفزته على أن" يلعبها حرب أعصاب" مع "آل روزنبرج" بما فى ذلك تأجيل الإعدام مؤقتا بقرار من الرئيس إذا كان ذلك ضروريا. أشار "برونل" إلى أن السجانة تمكنت من أن تجعل نفسها محل ثقة، وأن لديهم آمالاً فى هذا الاتجاه، وألحت على "برونل" أن يقوم آمر السجن والسجانة وطبيب السجن وأى شخص أخر له علاقة بالأمر، بالكلام معهم عن دقة الموقف، لم يعد الأمر خاصا بالشرطة، وقد وافق "برونل" على أن يفعل شيئا فى هذا

الاتجاه[٤٥].-أما إلى أى مدى استطاعت السجانة أن تجعل من نفسها محل ثقة، فلا أحد يستطيع أن يؤكد، ولكن، من الإيماءة الأخيرة لـ "إيثيل" على أية حال، يمكن استنتاج أنها كانت قاب قوسين من ذلك.

وفى اجتماعه بالحكومة فى ١٩ يونيو ١٩٥٣، الموعد المحدد لتنفيذ الحكم، اعترف "ايزنهاور – Eisenhower" وهو فى حالة عصبية، بأنه "صدم لما جاء فى بريده معبرا عن الشك الواضح فى الحكم الصادر بحق "آل روزنبرج"، وقال إنه يبدو من الغريب أن "يهاجم نظامنا القضائى بسبب قضية واضحة كهذه"[٤٦]. وأكد "هربرت برونل" لـ "ايزنهاور" أنه: "ليس هناك شك... هى مجرد أمور فنية". لكن "إيزنهاور" رد بحدة: "الجمهور لا يعرف الأمور الفنية". فقال "برونل": "لكن من الذى سيقرر.. جماعات الضغط أم النظام القضائى؟ إن هدف الشيوعيين هو إثبات أن "إيزنهاور" يمكن أن يخضع للضغط"[٤٧]. ومرة أخرى أظهر "إيزنهاور" نفاد صبره قائلا لـ "برونل" إن ما يقلقه هو "وضع المواطنين الشرفاء". وهنا تدخل "سى. دى. جاكسون" قائلا إن بعض الناس كان من الصعب عليهم أن يتفهموا حكم الإعدام على اعتبار أنه لم يصدرمثلا بحق متهمين آخرين بالتجسس مثل "كلاوس فوش – Klaus Fuchs"، ورد عليه صديقه "هنرى كابوت لودج – Henry Cabot Lodge" قائلا إن "كل شىء يمكن شرحه بسهولة"، لكن "إيزنهاور"رد بازدراء "ليس سهلا بالنسبة لى"[٤٨].

وعندما كان كل أمل فى تخفيف الحكم قد بدأ فى الانحسار، تحرك – حتى – "مايكل جوسلسون" ليطلب الرأفة. "كان "مايكل" يعتقد أنهما مذنبان، لكن لا ينبغى إعدامهما، حيث سيكون الإعدام دعاية سيئة. و رسل برقية شخصية إلى "إيزنهاور" يطلب تخفيف الحكم"، كما تقول "ديانا": بالإضافة إلى ذلك، فإنه جعل "دينيس دو روجمو" يرسل برقية مناشدة للبيت الأبيض فى ١٣ يونيو ١٩٥٣، كان نصها: "اتحاد الكتاب والأدباء والفنانين، والمنظمة العالمية للحرية الثقافية، يناشدونكم تخفيف الحكم على "آل روزنبرج"، إننا نعتقد أن إجراء كهذا من جانبكم سوف يكون متسقا مع التقاليد الإنسانية للديمقراطية الغربية، كما أنه سيخدم قضية السلام فى كل أنحاء العالم"[٥٠]. حتى "البابا بيوس الثانى عشر" تدخل داعيا "إيزنهاور" إلى أن يجمع بين العدل والإحسان، لكن ذلك كله كان بلا طائل، تقول "ديانا جوسلسون": "لقد صعقنا لتنفيذ حكم الإعدام، كان فعلا أحمق"[٥١].

وفى أواخر يوليو تسلم "إيرفنج كريستول" مقال "ليزلى فيدلر بعنوان " حاشية على قضية "آل روزنبرج". كان "فيدلر" العضو السابق فى رابطة الشباب الشيوعى و"حزب العمال الاشتراكى" قد انحرف عن اليسار منذ أوائل الأربعينيات، وكان الآن

يكتب مقالات مقذعة ضد الشيوعية مليئة بالتحليلات النفسية المريبة، ودعوة اليسار كله للتوبة، لدرجة اضطرت "هارولد روزنبرج – Harold Rosenberg" إلى أن ينشر رداً مطولا بعنوان "الليبرالية المتربصة والماضى الآثم"(٥٢). فى هذا الإطار، كان أن سَطَّر "فيدلر" أفكاره تعليقا على قضية "آل روزنبرج".

أوضح "فيدلر" أنه لا أحد فى البداية – حتى الشيوعيين – كان مهتما بالوقوف إلى جانب المتهمين الاثنين "لأنهما أساسيان فى عملية التجسس ومذنبان بشكل فاضح "وراح يفرق بين قضية "روزنبرج الحقيقية" وقضية "روزنبرج الأسطورية" التى أظهرتهم بمظهر الشهداء على طريقة "درايفوس"، وذلك كله بفضل الجهد المنسق الذى قام به المتعاطفون معهم. وهكذا، عندما " نشرت رايات القضايا النبيلة القديمة "أصبح أصحاب العقول الليبرالية فى كل مكان ضحايا" نوع من الابتزاز الأخلاقى"(٥٣)، وراح يوجه اللوم للشيوعيين بسبب معاناة "آل روزنبرج" وموتهم، زاعما أن ذلك كان برغبة من صانعى الرأى الشيوعى، ويلقى استحسانا منهم.. تماما مثلما أن كل أعمال التمييز ضد الزنوج فى أمريكا تتم برغبة واستحسان منهم، كدليل على أنهم على حق". وقال "فيدلر" إنه كان هناك فى معمعان أوروبا يستمتع بحالة معاداة أمريكا، وأنه قد رأى "وجوه الجموع الشيوعية وهى مندفعة تصرخ أمام السفارة الأمريكية فى "روما" ولم ير شيئا سوى الفرح، "كانت الجماهير تهتف: "الموت لقتلة "آل روزنبرج"، قبل أن يتفرقوا "للجلوس بعد ذلك حول زجاجات النبيذ، سعداء بعمل يوم جيد"، أما بالنسبة لـ "آل روزنبرج "... حسن ! فقد كانوا غير جذابين... كانوا متهمين لكنهم بشر "لديهم أطفال" وتشغلهم عمليات اللوز والمشاحنات العائلية. لكن "فيدلر" كان شخصية بغيضة ومنفرة فى نظر الاثنين (آل روزنبرج) ولذا كان من الصعب عليه أن يضعهما فى إطار قصة "إنسانية"، فراح يواصل زعمه بأنهما جردا نفسيهما من الصفات الإنسانية" بأن أصبحا "كلشيهات رسمية" حتى لحظة موتهما. كتب: "إنهما يقدمان محاكاة ساخرة للاستشهاد، محاكاة عبثية لدرجة أنها لا تبدو مأساوية". وعندما علق على الرسائل المتبادلة بينهما فى زنازين سجن "سنج سنج" بدا واضحا أن أسلوب "ايثيل روزنبرج" الأدبى كان صدمة وإهانة له، وكذلك فشل "چوليوس" فى أن يكون ودودا بما يكفى مع زوجته وشريكته فى الجريمة " لقد اعتدنا أن نرى الشيوعى يكذب فى قاعة المحكمة بكل حماسة وكأنه ضحية حقيقية، وكان هناك مثال حديث لذلك وهو "آلجر هيس –Alger Hiss"(٥٤) لكننا كنا نتمنى دائما أن يكونوا قد همسوا فى الظلام لزوجاتهم بالحقيقة" إلا أنهم لم يتكلموا سوى بالشفرة.. حتى وهما يتكلمان معا. ويتساءل "فيدلر" إن لم يكونوا شهداء وأبطالا.. أو حتى بشراً.. فماذا يبقى هناك لكى يموت؟(٥٥).

عندما قرأ "سيدنى هوك" بروفة المقال انزعج كثيراً، كان چيمس ت. فاريل - "James t. Farrell" قد قال ذات مرة عن "هوك" إنه يُخْضِعُ الواقع التاريخى الحى المقعد لآلة المنطق ويقوم بتقطيعه. كافة أنواع المشاكل والتناقضات سوف تعلق بشعره... وسيكون عليه أن يغسلها عنه"(٥٦). كان "هوك" يستطيع أن يكتشف تلك العيوب فى الآخرين بسرعة، إن لم يكن فى نفسه، ولذلك كان واثقا بأن تحليلات "فيدلر" سوف تعلق بشعر المنظمة! كتب إلى "كريستول"، (الذى كان قد أرسل إليه بروفة المقال) يشير عليه بأن ينشر المقال مع التنويه التالى: "لا ينبغى أن تؤخذ هذه الملاحظات على أنها هجوم على البشر الذين رحلوا بالموت - حيث لابد من توقير الميت باعتباره إنسانا - لكن النقطة الأساسية هى أن "آل روزنبرج" قد تخلوا فى حياتهم السياسية عن دورهم كبشر، وقدموا أنفسهم كرموز سياسية، ومن هنا فإننا لا نقدم تحليلا لشخصيات إنسانية - وإنما لأسطورة سياسية"(٥٧). وتضمن النص الذى كتبه "فيدلر" صيغة أقل إحكاما من تلك التى اقترحها "هوك"، لكن تأثيرها ضاع فى مقال ظل لافتا للنظر بسبب وضاعته الإنسانية.

سرعان ما انتشرت أخبار مقال "فيدلر" ونفذت الطبعة (عشرة الآف نسخة) التى صدرت من عدد "انكاونتر" الأول فى ظرف أسبوع، (لا يعرف أحد عدد النسخ التى كانت وزارة الخارجية قد حجزتها مسبقا، ويقول "توم برادن" إن الـ "CIA" هى التى تحملت تكلفة التوزيع).

وبسبب قلة المجلات عالية المستوى فى انجلترا، لم يكن ممكنا أن يقابل ظهور "انكاونتر" باللامبالاة، أصبح اسم المجلة على كل لسان ولم يخل أى حفل عشاء من مناقشات حامية لمحتوياتها، وفى خلال أيام قليلة بدأ الغبار يتساقط على مكتب المجلة.. على هيئة كيس بريد ضخم، وصل تقريظ من " كريستوفر أشروود - Christopher Isherwood" مع مديح على "هذا الظهور المثير الممتع" وكتب "ليونارد وولف - Leonard Woolf" أنه وجد كل مقال "فوق المستوى"، كما وصف مقال "فيدلر" بخاصة بأنه "جيد على نحو استثنائى".

ومن على البعد، كان "ميلڤن لاسكى" يستنتج أن مقال "فيدلر" سوف يضمن صراعا عنيفا لـ "انكاونتر"، وظهرت علامات على صحة هذا الاستنتاج فى ثلاث رسائل تلقاها "سپندر" صباح يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٣، فكتب "سپندر" إلى "چوسلسون" ونقل إليه بعض العبارات من رسالة "إى. إم. فورستر - E.M.Forester" والتى عبر فيها عن استيائه الشديد بسبب مقال "آل روزنبرج"، ليس بسبب ما فيه من نتائج قد تكون صحيحة، وإنما بسبب الاحتقار والقسوة التى تناول

بهما المقال الأيام الأخيرة فى حياة "إيثيل روزنبرج"،كان الأكثر إزعاجا هو تلك النهاية المشفقة " بتأكيدها الملتبس على إنسان تصرف على نحو "لا إنسانى"، لكى يصفح عنه إنسان هو كاتب المقال، وإننى لأتساءل كيف سيكون موقفه لو حكم عليه بالموت ؟"(٥٨).

"شيسلاف ميلوش – Czeslaw Milosz" أيضا لم يعجبه المقال كما جاء فى رسالة سپندر" لـ "چوسلسون"، أما الأسوأ من ذلك فكانت رسالة " ت. س. إليوت – T.S.Eliot" التى جاءت ردا على دعوة "سپندر" له لكى يكتب للمجلة. قال "إليوت": إن لديه شكوكا بالنسبة لفعالية "انكاونتر" وتأثيرها حيث" إنه من الواضح أنها تصدر برعاية أمريكية "، ولو أنه كان يريد أن يقول شيئا بغرض التأثير على الرأى العام الأمريكى، أفما كان من الأفضل أن يقوله فى صحيفة تصدر فى أمريكا... للاستهلاك الأمريكى؟ وشرح "سپندر" كيف أن النقطة المهمة هنا، هى إن "إليوت" يعرض لنوع السمعة التى علينا أن نحاول محوها، وهى أننا مجلة تخفى دعاية أمريكية تحت قشرة خارجية من الثقافة البريطانية"(٥٩). وقد توصل "سپندر" إلى أن "أية مشاعر معادية للشيوعية بشكل مباشر تقضى على نتائجها"، متفقا فى ذلك مع تعليق "هيو جيتسكل – "Hugh Gaitskell"، وهو أن "أية مادة سياسية ننشرها ستكون عرضة للشك بواسطة من يعرفون أننا نحصل على دعم أد ريكى". ويستمر فى رسالته إلى "چوسلسون" ليقول: إنه يجد الرسائل التى وصلت إلى المجلة " مزعجة إلى حد بعيد"، ويضيف " أما بالنسبة لموقفى الشخصى، فإن النقد المتضمن فى مقالاتى التى تخدم الأهداف الأمريكية، فلاشك فى أنه يسبب لى ألما شديدا"(٦٠)، وتقول "ناتاشا سپندر" "فى ذلك الوقت، كانت هناك مشاعر معادية لأمريكا فى انجلترا. كثير من الشخصيات المحترمة والبارزة كان لديهم "كلشيهات" رجعية جاهزة عن أمريكا باعتبارها "بلد مراهق" وكان أولئك الناس دائمى الانتقاد لـ "سپندر" ويقولون إنهم لا يحتفظون فى منازلهم بنسخة واحدة من "انكاونتر" حيث إنه من الواضح أنها مجلة "أمريكية". وكان ذلك يغضبه جدا لأنه كان يريد أن يدافع عن أولئك الزملاء الذين كان معجبا بهم منذ أن كان فى أمريكا"(٦١).

ومن الواضح أن "فيدلر" كان أحد الذين لا يستطيع أن يدافع عنهم "سپندر" إلى آخر مدى، ويتذكر "مونتى وودهاوس" كيف أصابه الذهول " عندما انفجر سپندر تقريبا وقال إنه لن يشترك فى "ممارسات دعائية" بعد ذلك. تصورت أنه كان يشاركنى الرأى – رأينا جميعا – فى الرغبة فى التصدّى للشيوعيين، واعتقدت أنه كان من السذاجة الفكرية ليقول إنه قد أصيب بالإحباط على نحو ما"(٦٢). واعترف "سپندر"

بالفعل بأن مقال "روزنبرج" لم يغضب الجميع، وكان يدافع عنه بقوله: "إنه ليس دعاية مطلقة"، لكنه كان يشعر بالقلق لأن المقال كان يعتبر - وعلى نطاق واسع - بمثابة حصان طروادة مضمر في ثنايا انكاونتر"(٦٣).

ذلك كله وأكثر منه، تضمنته المراجعة النقدية التي نشرها "انتوني هارتلي - Anthony Hartley" في مجلة "سبكتيتور - Spectator" والتي قال فيها إنه استشف "شيئا من خيلاء الثقافة الرسمية في المجلة الأولى، وألمح إلى أنه "سيكون شيئا يرثى له إذا تحولت "انكاونتر" بدورها لتصبح مجرد سلاح في الحرب الباردة"(٦٤)، وأشار الأكاديمي والناقد "جراهام هو - Graham Hough" إلى "انكاونتر" بأنها "ذلك النبت الأنجلو - أمريكي الغريب"، كما قال إنها ليست حرة بقدر ما تدعي، وإن مفهومها عن الثقافة غريب بالفعل". وبضربة عرضية جانبية لرعاة "انكاونتر"، ألمح إلى أنه " لا يجب أن يتأمل ذلك المفهوم للحرية الثقافية الذي يجـ ل من الممكن كتابة أو نشر مثل ذلك المقال"(٦٥) (يقصد مقال "فيدلر").

أما الأكثر إزعاجا من ذلك كله ، فكان المادة التي نشرتها " صنداي تيمز - Sunday Times" في عمود بعنوان "بالفصيح" - Atticus" مشيرة إلى المجلة بأنها "المجلة البوليسية للدول التي تحتلها أمريكا"، أما "ايه. جي. بي. تيلور - A. J. P. Tayler" فكتب في "ليسنر - Listener" متجاهلا الضجة التي أثيرت حول مقال "روزنبرج" ليقول: "لا يوجد في العدد المطروح الآن في الأسواق مقال واحد يمكن أن يستثير القارئ لإحراقه أو حتى الإلقاء به ضجرا في سلة المهملات، لا يوجد بها مقال مخرب سياسيا... كلها قراءات آمنة للأطفال. معظمها كتبه الكبار والمتحققون"(٦٦). وسألت "ماري مكارثي- Mary McCarthy" "هانا آرنت - Hanna Arendt" هل رأيت انكاونتر؟ من المؤكد أنها أكثر الأشياء تفاهة حتى الآن، فهي مجلة مدرسية يصدرها طلاب شبعوا موتا وتعفنا"(٦٧).

وأخبر "سپندر" أصدقاءه بصورة شخصية، إنه كان ضد نشر مقال "فيدلر" لكنه شعر بأنه "لا ينبغي" أن يعارض "كريستول" في كل شيء من العدد الأول" وأنه يقدر حاجة "كريستول" لأن يكون له بصمته في مجاله الجديد. لكنه أصر أيضاً أن مقال "فيدلر" كان وسيلة جيدة لكي يجعل الشعراء الإنجليز يعرفون كيف يمكن أن يكون نمط ما من المثقفين الأمريكيين على ذلك القدر من البشاعة"(٦٨). وكان ذلك معبرا عن رأي "هارولد روزنبرج - Harold Rosenberg" الذي كتب، يأسا من ضحالة أفكار "فيدلر" ليقول إن المقال لم يحقق شيئا أبعد من تأكيد الفكرة الشائعة ، وهي أن كل واحد في أمريكا يعيش على لوحة إعلانات.

ومثلما قسم مقال "فيدلر" قراء "انكاونتر" فإنه كذلك دق إسفينا بين محرريها ووسع الهوة بينهم. فى مارس ١٩٥٤ كان "سپندر" يكتب إلى "چوسلسون" يشكو من أن "كريستول" لا يوافق على أى من مقترحاته، و... إذا لم يعترف "كريستول" بجهله فى أمور بعينها، فإن "انكاونتر" سوف تتعرض لخطر فقدان المكانة التى حققتها، كما اتهم "كريستول" بإدارة المجلة وكأن "سپندر" ليس موجودا (والحقيقة أنه لم يكن موجودا فى معظم أوقات العام، حيث كان -كما تقول زوجته- مجبرا من قبل "چوسلسون" و"نابوكوف" على القيام بجولة خارجية باسم المنظمة). كتب "سپندر" "وأكتب إليك الآن لأننى سبق أن شكوت لك عشرات المرات شفهيا دون طائل". هكذا كان "سپندر" يذكره بما يفعله "كريستول"، "لابد من أن أتأكد من أن خطط تطوير المجلة ليست متوقفة بسبب عدم رغبتك فى أن تستشيرنى أو تستشير أى شخص آخر"(٦٩)، ووقف "چوسلسون" إلى جانب "سپندر" فكتب أكثر من مرة معنفا "كريستول" لتجاهله استشارة "سپندر" وينبهه إلى ضرورة تحسين شكل المجلة، وأن يقدم للقراء شيئا ذا قيمة بدلا من هذه "القمامة" التى نقدمها لهم حتى الآن، الأمر الذى لا يجلب سوى الضرر للمجلة(٧٠).

وعلى مدار عامين منذ صدور "انكاونتر" كانت علاقة "سپندر - كريستول" قد أصبحت عصية على الترميم. ثم قام "سپندر" بإبلاغ "چوسلسون": "أجد استحالة فى العمل مع "إيرڤينج" لأنه لا يوجد أساس ولا آلية للتعاون بيننا، لذا أعتقد أنه ليس من الأمانة الاستمرار فى العمل معه"(٧١). وبينما كان "چوسلسون" يحاول جاهدا أن يصلح الموقف، برزت مشكلة أخرى أكثر خطرا..

(١٣)

الرعب المقدس

لا تدع ذلك الشقاق المشاكس بيننا
يفسد الكتاب الذى بين أيدينا..

"چون كرو رانسوم"

-فضيلتانا-

وضعت قضية "آل روزنبرج" أمريكا فى مأزق كبير. وعندما كان "روى كوهين – Roy Cohn" تابع "مكارثى – McCarthy" المدلل، يتباهى علنا أمام الأوروبيين بالدور الذى قام به لاضطهاد "آل روزنبرج"، فإنما كان يدعم الشك فى أن المحاكمة لم تكن منبتة الصلة بحملة "مكارثى". وبالرغم من أن القضيتين كانتا مختلفتين من الناحية الفنية، إلا أن الشعور الذى انتشر فى أوروبا كان هو أن الظاهرتين مرتبطتان معا.

برز "مكارثى" فى وقت كان كثير من الأوروبيين قد تنبهوا إلى دلائل عن "شر متماثل" فى كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى. فقد كتبت زوجة دبلوماسى أمريكى شاب فى فرنسا -وحملة مكارثى فى أوجها- تقول: "السموم تهب عبر الأطلنطى مثل ريح عاتية"(١). أما "السيناتور" القادم من "وسكنسن" فكان يعوض ذكاءه الضئيل بالصخب وبالكذب المتواصل (كان يزعم أن سبب عرجه هو إصابته بجرح فى الحرب، والحقيقة أن سببه كان انزلاق من على السلم ذات يوم) وكانت "مامين كويستلر – Mamaine Koestler" تراه شخصية منفرة وتصفه بأنه "سفاح كثيف الشعر حاد المخالب" (رغم أنها كانت تعتقد أنه يقوم بعمل جيد لكشف المتسللين). أما "ريتشارد روڤر – Richard Rover" فكتب يقول إنه لم يكن هناك سياسى آخر فى عصره لديه مثل تلك المقدرة السريعة و الأكيدة للوصول إلى أكثر المناطق إظلاما فى العقل الأمريكى"(٢). منذ أوائل الخمسينيات كان "مكارثى" يتحدث بصخب مسرحى عن "مؤامرة كبرى على نطاق واسع، وخزى شائن أسود تتضاءل أمامه أية مغامرة سابقة فى تاريخ البشرية". شجعه على ذلك محاكمات "آلجر هيس – Alger Hiss" ومحاكمة "آل روزنبرج" وعملاء آخرين موالين للاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة. وأعطى ذلك بعض القبول لآرائه() الثابتة لدرجة أنه (مكارثى) اتهم الچنرال "چورج كاتلت مارشال – George Catlett Marshall" بخدمة مصالح "الكرملين". وتحت رئاسته

المتغطرسة لجلسات لجنة الكونجرس الخاصة بالنشاط المعادى لأمريكا – HUAC(*) كانت الاتهامات والقوائم السوداء هى أبرز ما فى جدول الأعمال. حكم على "آرثر ميللر – Arthur Miller" بالسجن (ألغى الحكم فيما بعد بالاستئناف)، ووضعت "ليليان هيلمان – Lillian Hellman" على القائمة السوداء ووصفت الفترة كلها بـ "الزمن الوغد – Scoundrel Time"

وكتب "آرثر ميللر": باستثناء "آى – اف – ستون: I. F. Stone"الذى كان يصدر على نفقته نشرة من أربع صفحات يتناول فيها القضايا دون أن يمتثل للحكم بأن أى موضوع لابد من أن يصاغ بأسلوب معاد للشيوعية، باستثناء "ستون" لا أتذكر أنه كان هناك أى صحفى آخر استطاع أن يقف فى وجه الريح العاتية دون أن يرتعد". ويقول: "كانت الولايات المتحدة تتصرف مع أصغر حزب شيوعى فى العالم، وكأنها على شفا حفرة من ثورة دموية"(٣). كان عدد أعضاء الحزب الشيوعى حوالى "٣١٠٠٠" عضو فى عام ١٩٥٠، تقلصوا إلى آلاف قليلة فى ١٩٥٦، وكان يقال إن معظمهم كانوا عملاء سريين لـ " FBI " - مكتب التحقيقات الفيدرالى–، وفيما بعد قال "وليم كولبى – " : "William Colby كنت دائما على يقين مما يقال بأن الـ " FBI" حافظ على الحزب الشيوعى قائما عن طريق تسديد اشتراكات عملائه"(٤). أما الكاتب "هووارد فاست – Howard Fast" فيقول: "كان الحزب الشيوعى الأمريكى فى تلك الفترة – بحق ومن الناحية العملية – فرعا من وزارة العدل"(٥).

زعانف الكروم على مؤخرات السيارات الكاديلاك، جوارب الفتيات القصيرة، الهولاهوب، الثلاجات والمعاطف وخلاطات الأطعمة، وابتسامة العم "ايك" وقبعات "مامى": مرحبا بكم إلى أناقة الخمسينيات... هكذا كانت أمريكا التى تصورها مجلة "لايف – Life"، فهى مكان لاقتصاد استهلاكى مزدهر ، ومجتمع مطمئن هادئ البال. ولكن... وراء ذلك كله كانت هناك "أمريكا أخرى" .. أمريكا قاتمة، كئيبة ، قلقة. أمريكا التى تعتبر حيازة أسطوانة لـ "پول روبسون – Paul Robeson"، عملا تخريبيا. أمريكا... حيث كتاب مدرسى بعنوان "استكشاف التاريخ الأمريكى"، شارك فى تأليفه مؤرخ من جامعة "ييل – Yale"، يقدم للأطفال النصيحة التالية: "يناشد الـ FBI" كافة الأمريكيين أن يقوموا بإبلاغ مكاتبه مباشرة عن أية شكوك لديهم أو ارتياب فى وجود أى نشاط شيوعى من جانب الأمريكيين. ولدى الـ FBI الخبرة التدريبية الكافية للتمكن من تمحيص تلك التقارير فى ظل قوانين أمتنا الحرة. إن الأمريكيين عندما يتناولون شكوكهم بمثل هذا الأسلوب – بدلا من الثرثرة والأساليب العلنية– فهم بذلك يعملون

(*) House Un - American Activities Committee

وفقا للتقاليد الأمريكية"(٦). ويقول أحد المؤرخين: "التشجيع على الوشاية بالآخرين كان من سمات المجتمعات الشمولية، ولكن الحرب الباردة جعلت "الإبلاغ عن الآخرين من ضمن التقاليد الأمريكية"(٧). وقد ظهرت أجواء تلك الحالة الكئيبة فى فيلم "چيمس دين – " :"James Dean الأسى العالمى – Weltschmerz" وفى لامبالاة "مارلون براندو – Marlon Brando" وفى العنف اللفظى عند "لينى بروس – Lenny "Bruce، وكلها تجليات باكرة لما سوف يصبح بعد ذلك حركات احتجاج جماعية. لكن تلك كانت لحظات منفصلة وإلماحات غامضة ضاعت فى صخب الثقافة "الرسمية"، وفى جلبة اللغو المليئة بالكراهية عند "ميكى سپيلان – Micky Spillane"، وضوضاء ممارسات "كابتن أميركا"، البطل الكوميدى "العجيب" الذى تحول بكل بساطة من مصارعة النازية إلى كشف الشيوعيين وفضحهم ، والذى راح ينبه الناس: "احذروا الشيوعيين والجواسيس والخونة والعملاء الأجانب !" كابتن أميركا ووراءه كل الأوفياء الأحرار يبحث عنكم، وهو مستعد لأن يقاتل إلى أن يفضح أمر آخر واحد منكم أمام تلك الحثالة الصفراء التى أنتم منها"(٨).

كانت تلك هى أمريكا "روى كوهين – "Roy Cohn" و"ديڤيد شينى – David Schine"، "الثنائى الرهيب" الذى كان يعمل مع "مكارثى". وقد وصف أحد المعلقين "كوهين" بأنه "شخصية بشعة" كما وصف "شينى" بأنه "شخصية حقيرة تحت غطاء زائف". كان "كوهين" محاميا لامعا، درس القانون وتخرج فى جامعة "كولومبيا" وهو فى التاسعة عشرة. وفى الخامسة والعشرين أصبح المستشار القانونى لـ "مكارثى" فى لجنة الكونجرس الخاصة بالنشاط المعادى لأمريكا. كان متغطرسا، شديد الطموح، وكان يبكى كلما استمع إلى "الراية المرصعة بالنجوم". أما "ديڤيد شينى" فكان ابن واحد من كبار أصحاب الفنادق، درس فى "اندوڤر" و "هارڤارد" وكان أقرب أصدقاء "كوهين". كان "شينى" يحب الأندية الليلية (علب الليل) والسيارات السريعة، وأن يلفت إليه الأنظار. فى أوائل عام ١٩٥٣ ألحقه "كوهن" بوظيفة فى لجنة مكارثى الفرعية. كانت مؤهلات "شينى" قليلة باستثناء تأليفه لكتاب مشوش بعنوان "تعريف الشيوعية"... كانت توضع نسخ منه بجوار "الإنجيل" فى غرف الفنادق التى يمتلكها والده.

وفى ربيع ١٩٥٣، فى أثناء ما كانت محاكمة "آل روزنبرج" تثير استياء شديدا ضد الوجود الأمريكى فى أوروبا، قام "كوهين" و"شينى" بجولة تفتيش على مراكز الإعلام الأمريكية الرسمية. وصلا فى أعقاب موت "ستالين" الذى أعلنه "الكرملين" فى "٥" مارس. ولكن تحركهم كان تذكيرا قويا، حيث كانت الآثار الفكرية للستالينية قوية

أيضـا. وبعد زيارة لمكتبات وكالة الإعلام الأمريكية USIA (*) فى سبع دول ، أعلنا أنه كـان هناك "٢٠٠٠ " كـتـاب من بين المليـونى كـتـاب الموجـودة على الأرفف مـؤيدة للشيوعية، وطلبا إزالتها. أما وزارة الخارجية ، فبدلا من الدفاع عن مكتباتها (التى كان يتردد عليها ٣٦ مليون زائر سنويا) فقد أصدرت توجيهات جبانة تحظر وجود أية مـواد - بما فى ذلك الصـور والرسوم - من تـأليف أى من الكتـاب المثـيرين للجدل أو الشيوعيين أو المتعاطفين مع الشيوعية ... إلخ". هكذا، وبكل هذا الغموض "الكافكاوى" أصبحت أعمال مئات من الكتاب والفنانين الأمريكيين فى سلة مهملات السياسة.

وتبع ذلك سيل من البرقيات بين وزارة الخارجية وجميع بعثات "USIA" (برلين، بريمن، دوسلدورف، فرانكفورت، هامبورج، ميونخ، هانوفر، شتوتجارت، فرايبورج، نورمبرج، باريس) حيث تفاقم أمر حظر الكتب "يجب إزالة جميع مؤلفات "سارتر" من مجموعات أفرع البيت الأمريكى"، "يتم التخلص من كتب المؤلفين التالية أسماؤهم: "داشيل هاميت - Dashiell Hammet"، "هيلين كاى- Helen Kay "، "جين ويلتفش - "Gene Weltfish, "، "لانجستون هيوز - Langston Hughes ,"، "أدوين سيڤر - "Seaver, Edwin"، "برنارد ستيرن - Bernhard Stern, "، "هووارد فاست- Ho "Fast, ward"، "التخلص من جميع - نكرر.. "جميع" - أعمال الكتاب التالية أسماؤهم: "چون ابت - John Abt,"، "چيه - چوليوس: J. Julius"، "ماركوس سنجر - "Marcus Singer,"، "ناثان ويت - Nathan Witt"، إزالة جميع مؤلفات الكتاب: دبليو. اى. بى. دوبوا- W. E. B. Dubois" و"مكسيم چوركى- - Maxim Gorki" هكذا -، "تروفيم ليسنكو - Trofim Lysenko"، "چون ريد - John Reed"، أجنس سميدلى -" Agnes Smedley(٩). وأزيلت كتب "هيرمان ميلڤى - Hermam "Melville، كما سحبت الكتب التى تحتوى على رسوم لـ "روكويل كنت- Rockwell Kent". وفى ٢٠ إبريل ١٩٥٣ أبرقت سفارة الولايات المتحدة فى "باريس" إلى وزارة الخارجية :"تم سحب الكتب التالية من مكتبة الـ " USIA" فى باريس: "المغرور والطليق" و"الذى لا يقهر" و"التعبير بالحرية" من تأليف "هووارد فاست" و"الإنسان المهزول" من تأليف "راشيل هاميت" و"شارلى شابلين" من تأليف "تيودور هاف"، "أغنيات ضجرة" و"أساليب البيض" و"البحر الكبير" و"ميادين الدهشة" ومونتاج حلم مؤجل" و"ليس بلا ضحك" و"حكايات دو بلانك" من تأليف "لانجستون هيوز"(١٠).

كانت الهيبة الثقافية الأمريكية تسحق تحت الأقدام لأن الإدارات والبعثات الحكومية أذعنت لـ "مكارثى". كان متوسط عدد العناوين التى يتم إرسالها إلى الخارج

(*) United States Information Agency

عن طريق الـ " USIA" قـد هبط فى عـام ١٩٥٢ من " ١١٩٩١٣" عنوان إلى "٣١٤" وكان كثير من الكتب التى تم التخلص منها قد سبق إحراقه فى عهد النازية. ومن الكتب التى مرت بتجربة المحرقة مرتين كان هناك: "الجبل السحرى": لـ "توماس مان – Thomas Mann" والأعمال المختارة لـ توم باينى – Tom Paine" و"نظرية النسبية" لـ "ألبرت أينشتاين – Albert Einstein" وكتابات "سيجموند فرويد Sigmund Freud" و"لماذا أصبحت اشتراكيا" لـ "هيلين كيلر – Helen Killer" و"عشرة أيام هزت العالم" لـ "چون ريد– John Reed" كما أن مقال "ثورو – Thoreau" عن "العصيان المدنى" كان ممنوعا فى الولايات المتحدة، فى نفس وقت تجريمه فى صين: "ماوتسى تونج". كانت عملية التطهير الثقافى التى تقوم بها "حملة مكارثى" والتى بدت وكأنها لن تتوقف، تقضى على مزاعم أمريكا بأنها حاملة لواء حرية التعبير.

الكاتب الشهير "توماس مان" الحاصل على "جائزة نوبل" والمعارض المعروف للنازية، اكتشف أن كونه مواطنا أمريكيا لم يحقق له الحد الأدنى من الحماية من الضغوط، بالضبط كما كان يحدث له فى ظروف الشمولية التى هرب منها. كان أتباع "مكارثى" يدينونه ويشجبونه لكونه متساهلا لينا مع الشيوعية، كما وصفته مجلة "پلين توك – Plain Talk" بأنه "المتعاطف الأمريكى الأول"، فكان يتمنى أن يغادر أمريكا أو "ذلك الكابوس المكيف الهواء"(١١). على حد تعبيره، كما كان "داشيل هاميت – Dashiell Hammet" ضحية أخرى من ضحايا "كوهين" و"شينى". كان حكما بالسجن ستة أشهر قد صدر ضد "هاميت" فى عام ١٩٥١ لأنه رفض أن يكشف عن من أسهموا فى صندوق كفالة الحقوق المدنية – "The Civil Rights Bail Fund" الذى أنشئ لدفع الكفالة المالية للشيوعين الذين يقبض عليهم، وكان "هاميت" قد أمضى اثنين وعشرين أسبوعا من العقوبة، وفى عام ١٩٥٣ استدعى مرة أخرى للإدلاء بأقواله أمام "لجنة مكارثى" الفرعية الدائمة، حيث رفض مرة أخرى أن يكشف عن الأسماء، مما استدعى تطبيق المادة الخامسة من القانون الأمريكى. والآن، كان بإمكان "كوهين" و"شينى" أن يطلبا إزالة كل مؤلفاته من مكتبات وزارة الخارجية، ويمنع "مغامرات سام سپيد" من الإذاعة بواسطة (NBC) تم حرمان "هاميت" من مصدر دخله الرئيسى. كان "هاميت" قد شارك فى حربين عالميتين دفاعا عن أمريكا، ومات معدما فى عام ١٩٦١، ودفن فى مقابر "آرلنجتون" العامة بناء على وصيته بالرغم من محاولات الـ "FBI" عدم تنفيذ رغبته"(١٢).

معظم الكتاب الأحياء الذين كانت أعمالهم محظورة بتوجيهات من وزارة الخارجية، كان لهم ملفات ضخمة - وغريبة - لدى الـ "FBI" برئاسة " چى، ادجار

هووڤـر – J. Edgar Hoover" وكـانت هنـاك ملفـات لرصـد أنشطة وتحـركـات كل من "روبرت شيروود – Robert Sherwood" و"أرشيبـالد ماكليش – Archibald Macleish" و"مـالكولم كـولى - Malcolm Cowly" (الذى ذكـر فى ملفه أن "سـيدنـى هوك: هو الذى قـدم المعلومـات عنه للـ FBI) و"چـون كـرو رانسـوم – :John Crowe Ransom" و"آلن تيت – Allen Tate" و"هووارد فاست ـ Howard Fast" و"اف، أو، ماتيسن – F. O. Ma-thiessen" و"لانجـسـتـون هيـوز –Langston Hughes " كـمـا كـانت هنـاك بالطبع معلومـات عن كل "بعبع" من الذين حضـروا مؤتمر "والدورف ـ استوريا". عندمـا شكا "ارنست هيمنجواى – Ernest Hemingway " لأصـدقائه من أنه كان تحت مراقبـة الـ "FBI" كانوا يتصورون أنه يتوهم ذلك، وعندما أفرج عن الملف الخاص به فى منتصف الثمانينيات (١١٣ صفحة) كان ذلك تأكيداً على أن شكوكه كانت فى محلها. على مدى أكثـر من ربع القرن كـان رجـال "هووڤـر – Hoover" يتـبـعـونه ويتـجـسـسـون عليـه ويزعـجـونه، وقـبل انتـحـاره بوقت قـصـيـر – وكـان يعـانـى من اكتـئـاب شـديد – ذهب "هيمنجواى" ليجرى فحصا طبيا فى إحدى العيادات فى "مينسوتا" وطلب أن يسجل باسم آخر، فقام أحد الأطباء النفسيين بالعيادة بالاتصال بالـ "FBI" ليسأل عن إمكانية أن يفعل ذلك.

أما ملف الشاعر "وليم كارلوس وليمز – William Carlos Williams" فيصفه بأنه "أحد الأساتذة مغيبى الذهن "يستخدم" أسلوبا تعبيريا يمكن تفسيره على أنه "شفرة". وكان ذلك يكفى لضمان عدم شغل "وليمز" لمنصب "مـسـتـشـار الشـعـر" فى مكتبة "الكونجرس" عام ١٩٥٢، حيث لم يحصل على موافقة الأمن. (وبقى المنـصب شاغرا حتى عام ١٩٥٦)، كمـا كان اسم الشـاعر "لويس انترمـايـر– Louis Unter-meyer" على القـائمة الأمنيـة للـ"FBI" وكـان تصنيفـه أنـه خطر علـى الأمن القـومى) عـام١٩٥١(١٤). –بعد ذلك بوقت قصـيـر، حبس "انترمـاير – Untermeyer" نفسـه فى شقته رافضـا مغادرتها لمدة عام ونصف العام تقريبا وبقى "أسير خوف مدمر"(١٥). وكـان الكاتب "مـوراى كيمـتـون – Murray Kempton" يعـتـقـد أن "هووڤـر" شـخـصـا مجنونا بمعنى الكلمة"، ويتصور أن شكوكا تقض مضجعه فى الليل بأن هناك من يحتقره"(١٦).

وعند مناقشة مشكلة الرقابة على الثقافة فى ١٠ يوليو ١٩٥٢، خلصت حكومة "إيزنهاور" – بضعف شديد – إلى "أننا لا يمكننا أن نقوم بعملية الغربلة "دون أن نبدو كالحمقى أو النازيين، إنها يمكن أن تتم بهدوء لو توفر لها الوقت الكافى. وتم إبعاد

المتطرفين، والنية متجهة الآن لاختيار كتب جديدة وفقا للقانون"(١٧). لم يكن ذلك هو الرد العنيف المطلوب. كانت الرسائل تتدفق على المراكز الأمريكية فى كل أنحاء أوروبا تنتقد الحظر الذى أعلن على الكتب. كان موقف البريطانيين شديد الغموض، بالرغم من أنهم كانوا قد اتخذوا قرارا بترك نسخ من كتاب "كفاحى ـ **"Mein Kampf** ـ لـ"هتلر" على أرفف المكتبات الألمانية.. "إلى أن يصبح نكتة". كان جزءا من المشكلة أن "إيزنهاور" بدلا من أن يخوض فى الطين" مع "مكارثى" تصور أن بإمكانه أن يتفوق عليه بحملته الصليبية الخاصة المعادية للشيوعية، وهى الاستراتيجية التى كان يدعمها وزير خارجيته "چون فوستر دالاس – **John Foster Dulles**" وفى الوقت نفسه كان لدى "مكارثى" شكوكه الخاصة بالنسبة لـ "إيزنهاور"، وكانت الشائعات منتشرة بأنه قد حدث اختراق من الشيوعين لمكاتب الحكومة الأمريكية – وخاصة فى ألمانيا فى ظل القيادة العليا لـ "ايك – **Ike**" فى أوروبا بعد الحرب ـ والغريب أن " نابوكوف–"**Nabokv** كان هو الذى أثار ذلك الزعم وروج له، ونقل تلك المعلومات إلى "الأخوين ألسوپ – **Alsop**" ليبين لهما مدى خطورة ذلك الاختراق زاعما أن ذلك الطابور الخامس الشيوعى كان يتحكم ـ بالفعل ـ فى قيادة "إيزنهاور".

كما كانت إذاعة "صوت أمريكا" التابعة لوزارة الخارجية كذلك عرضة لهجوم شديد. وعندما أذاع "مكارثى" جلسات استماع متلفزة تصور الاختراق الشيوعى لإذاعة أمريكا الخارجية، تم فصل العاملين الذين ساعدوا فى بناء تلك الإذاعة، دون سابق إنذار. فى شهر مارس ١٩٥٣ طلب أحد المخرجين فى إذاعة صوت أمريكا من المكتبة الموسيقية تسجيلا لـ "أغنية الهند" لكن أمين المكتبة أبلغه بأنه لا يمكنه الحصول عليه لأنها "من تأليف "ريمسكى كورساكوف **"Rimsky Korsakov** والمفترض أننا لا نستخدم أى شىء من أعمال الروس".

كانت هجمات "مكارثى" على وزارة الخارجية شديدة القسوة ووصلت ذروتها بتوجيه الاتهام إلى "دين اتشسون – **"Dean Acheson** ذلك الدبلوماسى المتعجرف الذى يرتدى "البنطلون" المخطط ويتكلم بلكنة بريطانية زائفة" ـ كان " يدلل الشيوعيين". التهمة التى وجهت إلى "اتشسون" مهندس مبدأ ترومان " بأنه كان لين العريكة مع الشيوعيين، كانت تبدو تهمة فارغة إلى حد ما، ومن المحتمل ألا يكون "مكارثى" نفسه قد صدقها. ولكن كانت هناك اهتمامات حقيقية وهى أن "اتشسون" كان "يشمع شاربه" وكان يشترى ملابسه من "ساڤى رو – **Savile Row** " كان "مكارثى" مثل "موسولينى" من قبله ـ شخصية أوتوقراطية، كان يريد أن يكون كل شىء

"صنع فى أمريكا". كان صوته هو صوت الـ "ياهو – Yahoos"(*) الرافضين لقيم تقليد الإنجليز والتى كان يتصف بها أشخاص مثل، "اتشسون". كانت "المكارثية" حركة - أو لحظة - صاحبها استياء عام من المؤسسة، وفى المقابل، كانت النخبة الحاكمة تنظر إلى ديماجوجية "مكارثى" باعتبارها إهانة بالغة. كان يمثل "الشعب الأبله" الذى كان يحتقره "ايه. الـ. روز – A. L. Rowse" فى انجلترا، كما كان إساءة للذوق الراقى الذى تراجع أمام الذوق المتوسط والفكر الأخرق. كانت الصفوة السياسية من أمثال الأخوين "السوپ – Alsop" چوزيف" و"ستيوارت" - يعتبرون "مكارثى" مركز ترويج الأفكار المثيرة للمشاعر ضد النخبة المسئولة عن السياسة الخارجية للدولة .. كما كانوا يعتبرون هجومه على وزارة الخارجية هجوما على الفلسفة الدولية التى كانت توجه السياسة الخارجية الأمريكية منذ انتهاء الحرب. لم يكن هناك من يردد ذلك مباشرة، لكنه كان من الواضح للأخوين أن "مكارثى" لو نجح فى إسقاط تلك المجموعة الدولية فى وزارة الخارجية، ستكون النتيجة موجة جديدة من العزلة"(١٨).

يقول "ليمان كيركپاتريك – Lyman Kirkpatrick" الذى عمل مفتشا عاما فى الـ "CIA" أثناء فترة "مكارثى": كان كل من هو ليبرالى فى الحكومة الفيدرالية تقريبا موضع شبهة. وكان الجو يشبه ذلك الذى كان سائدا أثناء الثورة الفرنسية عندما كانت الاتهامات والمحاكمات تؤدى إلى المقصلة، وبينما لم تكن هناك مقصلة فى واشنطن" إلا أن المصير كان أكثر سوءاً بتدمير عمل الفرد وتدمير حياته كلها"(١٩). وبعد أن واصل تدميره لمعنويات وزارة الخارجية، اتجه "مكارثى" نحو الـ "CIA" وهى هدف أكبر وأكثر أهمية وخاصة لأن ذلك سيحقق له شهرة أوسع"(٢٠).

كان أولئك "الدوليون" المتجمعون حول" "إدارة المنظمات الدولية " فى وزارة الخارجية هم الأكثر خسارة من أية فئة أخرى. فى أواخر عام ١٩٥٢ انتقلت شكوك "مكارثى" لتتجه نحو مجموعة "برادن" بعد أن علم "السيناتور"أنها" قدمت إعانات كبيرة للمنظمات الدولية ذات التوجهات الشيوعية"(٢١). وكانت تلك لحظة حاسمة: كانت الحركة غير الرسمية لمقاومة الشيوعية التى يقودها "مكارثى" على وشك أن تمزق إن لم يكن تدمير أقوى شبكات الـ "CIA" وهى واجهات اليسار غير الشيوعى. يقول "آرثر شليزنجر": كان من الأشياء الغريبة لمغامرة الـ "CIA" فى *السياسة الثقافية* هو أن ما تقوم به لابد من أن يتم بشكل علنى وصريح عن طريق وكالة الإعلام الأمريكية أو أية

(*) الأجلاف. غلاظ الطبع والكلمة من ابتكار الكاتب "سويفت" فى "مغامرات جاليڤر"، حيث وصف شعبا من الأجلاف (الياهو) يحكمهم حكماء من الخيول (الهوينيم) – المترجم.

جهة أخرى مشابهة. أما السبب، فكان من المحتمل أن يكون "چو مكارثى" لأنه لو علم أن حكومة الولايات المتحدة كانت تدعم مجلات اليسار غير الشيوعى واتحادات العمال الاشتراكية والكاثوليكية، لكان ذلك سببا فى مشاكل كثيرة، ولذا كانت الـ "CIA" تقوم بذلك بشكل سرى لتجنب مكارثى"(٢٢). ويقول أحد ضباط الـ "CIA" المرتبطين بمنظمة الحرية الثقافية: "كان لابد من أن يكون ذلك كله بعيدا عن الميزانية وإلا لكان من المستحيل تمريره عن طريق "الكونجرس"، ولك أن تتخيل الضجة التى كان من الممكن أن تحدث، كلهم شيوعيون ! شواذ جنسيا! .. وأشياء أخرى من هذا القبيل.."(٢٣).

وكما يقول المؤرخ "كاى بيرد – Kai Bird" والمضحك أن كثيراً من العمليات السرية كان يتعرض للخطر بسبب "مكارثى" الذى هدد فى لحظة ما أن يكشف عنها، لأن الـ "CIA" والتى هى وكالة أمريكية كانت ـ من وجهة نظره ـ تتعاون مع اليساريين". كان ذلك شيئا مربكا، كما كان يكشف عن زيف فكرة أن أمريكا مجتمع ديمقراطى متقدم يمكن أن يستوعب جدلا سياسيا عقلانيا، ولكنه كان يهدد أيضا بنسف عمليات مخابراتية رئيسية ترمى على المدى البعيد إلى بناء إجماع سياسى والاحتفاظ بأوروبا الغربية فى إطار حلف شمال الأطلنطى (NATO) وداخل تحالف غربى"(٢٤).

وفى وجود "كلاب الأمن" التابعين لـ "مكارثى" والذين كانوا يتشممون برنامج اليسار غير الشيوعى لدى الـ "CIA" كان لابد من أن تتوارى وكالة المخابرات وتنسحب إلى الخلفية على قدر ما تستطيع، لكن ما حدث هو أن "اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية" فتحت فمها فى تلك اللحظة الحرجة. فى أوائل مارس ١٩٥٢ عقدت اللجنة اجتماعا مغلقا لكى تقرر كيف يكون ردها على "مكارثى"، وفى الحال بدا واضحا أن اللجنة كانت منقسمة. لم يكن لدى "چيمس. ت. فاريل – James T. Farrell" و"دوايت ماكدونالد – Dwight Macdonald" أى شك فى الخطر الذى تمثله المكارثية ، وكان "فاريل – Farrell" يقول: "إن الخطر الستالينى يضرب فى أمريكا على نطاق واسع، بالرغم من أن ذلك ليس هو الحال على مستوى العالم، بيد أننا نرى ما تفعله جماعة من مثقفى المكارثية"(٢٥). كما كان يعرف المكارثية بأنها "الجهل التام" وبأنها ضغط لا لزوم له نحو الامتثال وللأرثوذكسية. كما أوضح "ماكدونالد Macdonald" موقفين: الموقف "المجرد" الذى يعنى عدم التفرقة بين الشيوعيين وغير الشيوعيين فى ميدان الحقوق المدنية والحرية الثقافية، والموقف "غير المجرد" الذى يعنى "الدفاع فقط عن الناس الذين عوقبوا نتيجة اتهامات باطلة، أو لم يثبت أنهم شيوعيون"(٢٦). وتمنى أن تتبنى اللجنة الموقف الأول، لكنه كان يظن أنها ينبغى أن تتخذ الموقف الثانى على الأقل. لكن "برترام وولف – Bertram Wolfe" عارض ذلك بقوله: "إن

الأخطار الموجودة فى أمريكا اليوم جاءت نتيجة مباشرة "لفشلنا" فى القيام بفضح الستالينيين، وإن لم نقم بذلك فسوف يقوم به "الرجال ذوو الهراوات"(٢٧).

كما حذر عضو آخر اللجنة من "التوجه نحو ربط نفسها بخلافات جاهزة، ثم تأخذ فى النهاية الموقف "الرسمى"... لقد وقعت اللجنة فى دور الدفاع عن خط الحكومة الحالى، وما يجب أن تهتم به هو اكتشاف مشاكل وقضايا جديدة، أما سوى ذلك فسوف تضطلع به آلة دعائية ضخمة"(٢٨). وكان "ريتشارد روفر- Richard Rov-er" المحرر المساعد لمجلة "نيويوركر" من مؤيدى هذا الرأى فقال: "واضح أنه من واجبنا أن نجعل هذا البلد يعرف، وأن نجعل أوروبا تعرف أنه من الممكن أن نكون ضد "المكارثية" كما نحن ضد الشمولية الشيوعية. المشكلة الأساسية هنا هى أن السياسة بدأت تقرر مصير الثقافة"(٢٩). أما "سيدنى هوك" و"دانيل بيل" و"كليمنت جرينبيج" و"وليم فيليبس" الذين كانوا يتكلمون عن وجة نظر الأغلبية فرفضوا فكرة الإدانة العامة لـ "مكارثى".

وعندما كتبت "مارى مكارثى" إلى "هانا آرنت" بأخبار تلك المواقف المتباينة، كشفت لها أنها " قد استشفت من خط جماعة "هوك" أن أعمال "مكارثى".. ليست فى نطاق لجنة للحرية الثقافية"(٣٠). كما قالت أيضا على انفراد: إن اللجنة التى تعترف بعدم وجود خطر شيوعى هنا، ومهتمه فى الأساس بجمع التبرعات لمحاربة الشيوعية فى أوروبا الغربية أو بالأحرى لمحاربة "الحيادية" التى أصبحت هى الخطر الأول.. وقد قيل لى ذلك باعتباره "كلاماً بيننا فقط"(٣١). وتكمل "مارى مكارثى" إنه كان هناك شعور من جانب آخر بأن "الشىء المهم الذى ينبغى أن يحارب، هو الارتداد إلى الحياد هناك. وأن "هوك" وجماعته إذا تراخوا للحظة، فإن "الستالينية" (كذا) يمكن أن تعيد توكيد نفسها فى الإدارة وفى التعليم لينتهى الأمر بالتهدئة فى الخارج. ولم أستطع أن أحدد ما إذا كان ذلك خوفاً حقيقيا (يبدو غريبا) أو تعقلا. لا أستطيع أن أصدق أن أولئك الناس يعتقدون -جادين- أن "الستالينية" كامنة هنا على نطاق واسع بحيث يمكن إحياؤها بأقل دعوة... إنهم يعيشون فى رعب من إحياء الوضع الذى كان سائدا فى الثلاثينيات عندما كان المتعاطفون مع الشيوعية أقوياء فى مجالات التعليم والنشر والمسرح...إلخ، عندما كانت "الستالينية" هى قطار التموين، ونزل منه أولئك الناس وأصبحوا موضع ازدراء اجتماعى وحرمان اقتصادى وثرثرة ونميمة. أولئك الناس وعيونهم على النجاح - يفكرون فى أساليب التقدم كجماعات، ويفكرون فى الاحتكار الثقافى، وقد صدموا بالفعل نتيجة فترة الازدهار القصيرة لـ"الستالينية" فى الثلاثينيات... تلك الفترة تراودهم فى الأحلام دائما، إنها أكثر واقعية من اليوم، ومن

هنا فإنهم نادرا ما يلحظون الواقع المتدهور، ويقللون من شأن "السيناتور مكارثي" ويعتبرونه غير مناسب"(٣٢).

حتى ذلك الوقت كان الانقسام في داخل اللجنة الأمريكية حول "المكارثية" شأنا خاصا وداخليا. لكن في ٢٩ مارس كشفت اللجنة عن ذلك الانقسام في مناظرة علنية برعايتها كانت بعنوان: "دفاعا عن الثقافة الحرة"، وقدمت المناظرة على نحو ملائم في "قاعة ستارليت" في فندق "والدورف استوريا". في الجلسة الصباحية تكلم كل من "دوايت ماكدونالد" و "ماري مكارثي" و "ريتشارد روفر" ضد السيناتور "مكارثي" دون خوف وبلا تردد. وبعد الظهر ألقى "ماكس ايستمان - Max Eastman" - حبيب اليسار الأمريكي في الثلاثينيات - كلمة أوضحت كيف يمكن أن تكون عملية القضاء على التطرف كاملة. وأنكر أنه كانت هناك أية عمليات مطاردة أو ترويع، واتهم الشيوعيين والمتعاطفين معهم باختراع ذلك كتكتيك لتشويه السمعة. وقال "ايستمان": "وأنا كساحرة نصف محترفة من أيام الهستريا تلك، أود أن أؤكد لكم أن ما تصفونه بأنه " Witch Hunt" (*) هو مزحة أطفال في رحلة يوم أحد مقارنة بما يمكن أن يقوم به الشعب الأمريكي لو تحرك"(٣٣). -واستمر في كلامه ليتهم السلطة التنفيذية بأنها "خذلتنا في التصدي للاختراق الذي قام به أعدا الحرية"، وبنفس الدرجة وجه اتهاما مماثلا لـ"بيت الحرية" و"منظمة العمل الديمقراطي" و"الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية" (وكان هو نفسه عضوا به) وشجبها جميعا واعتبرها: "جماعات من الليبراليين ذوي العقول المشوشة الذين يقدمون، باسم الحرية، كل ما يمكنهم من مساعدة لعدو مسلح يريد أن يدمر كافة الحريات في العالم"(٣٤).

وتقول بعض التقارير إن الجمهور كان في حالة ذهول، بينما يقول البعض الآخر إنه كان سعيدا. في كلمته في ذلك الصباح حاول "ريتشارد روڤر" أن يجعل "إيرڤنج كريستول" يقول شيئا، وقال إنه "يمثل هذه الأقوال الصريحة عن "مكارثي" يريد من الآخرين أن يتكلموا عن الشيوعيين. "كان قد اتهم "مكارثي" بأنه "لا يكن احتراما كبيرا للحقيقة مثل أي مؤرخ سوڤيتي" ثم أنهى كلمته بقوله" "المؤكد، وربما الحتمي أن يكون الرعب المقدس في كل مكان اليوم"(٣٥). والآن، كان "ماكس إيستمان" يرى أن مثل تلك المشاعر إنما يدل على أن "روڤر" نفسه كان من "رُضَّع" الدعاية السوڤيتية.

وبعد الاجتماع كتب "روڤر" إلى "شليزنـــر" معبرا عن أسفه الشديد لثورة "إيستمان" وطلب منه أن يتخذ موقفاً بشأنها. ترى إلى من توجه "شليزنجر"؟ "توجه

(*) إشارة إلى مطاردة الساحرات والعرافات وتعذيبهن (قديما).

إلى "فرانك ويزنر". بعد ذلك ذكر "شليزنجر" وهو احتمال بعيد – أنه بالرغم من علمه بالاستثمار الأولى للـ "CIA" فى إطلاق منظمة الحرية الثقافية، فى "برلين"، إلا أنه كان بعد ذلك يتصور "أن المؤسسات هى التى كانت تدفع. "ومثل كل الآخرين كنت أعتقد أنهم صادقون. لم أكن أعرف أن الـ "CIA" كانت هى التى تدفع تكلفة كل شىء".

وبعد نصف قرن تقريبا، كان "شليزنجر" مازال قليل الكلام عن أية علاقة رسمية بالـ "CIA" فى هذا الشأن: "كنت التقى أحيانا و"فرانك ويزنر" فى منزل "جو ألسوپ – Joe Alsop" وكان أحيانا يسألنى بشكل عام عن أخبار اللجنة الأمريكية وكنت أخبره"(٣٦). ولذلك ربما يكون "شليزنجر" أيضا قد كتب إلى "ويزنر" فى ٤ إبريل ١٩٥٢– وبشكل عام أيضا – رسالة تضمنت بعض المرفقات والتى كانت، كما يقول "ويزنر": "تقدم كلها صورة شديدة الإزعاج"(٣٧). ونتيجة لهذا الاتصال من جانب "شليزنجر" كتب "ويزنر" مذكرة داخلية تقرير عن أزمة فى اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية "تكشف على نحو غير عادى عن أمور كثيرة وتستحق أن ننقلها كاملة:

وكالة المخابرات المركزية – مذكرة من نائب المدير للمشروعات (ويزنر) إلى نائب المدير المساعد لتنسيق السياسات: أزمة اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية "ACCF"

١– مرفق رسالة بتاريخ ٤ إبريل من "آرثر شليزنجر" الابن "مرسلة إلينا مع مرفقات تقدم كلها صورة مزعجة. لم أكن قد سمعت شيئا عن تلك التطورات قبل تسلم رسالة "شليزنجر"، وأتطلع إلى معرفة تقييم الـ "OPC- مكتب تنسيق السياسات – لهذا الأمر، والذى قد لا يكون عاصفة فى فنجان.

٢– رد فعلى الأولى عن هذه الورطة هو أن كلا الموقفين "المؤيد للمكارثية" و"المعادى لها" ليس هو الموقف الصحيح من وجهة نظرى، ومن سوء الحظ أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة. يمكن أن أفهم أن لجنة أمريكية، تقف بمفردها، وهى فى الواقع مجموعة من الأمريكيين المستقلين المهتمين بالحرية الثقافية يمكن أن تشعر بضرورة اتخاذ موقف من المكارثية. على أية حال، ليست تلك طبيعة اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية، التى – على ما أذكر– كان هدفها هو تقديم الغطاء والدعم للمجهود الأوروبى، إن لم يكن التنسيق الكامل مع هذه الوكالة. وإذا كانت الحال هكذا فإننا نكون مع اللجنة لأننا مسئولون عن تصرفاتها وأعمالها وتصريحاتها العامة. وفى ظل هذه الظروف فإن إثارة قضية المكارثية سواء بإدانتها أو بتأييدها كان – فى رأيى– خطأ فادحا. والسبب بسيط؛ لأن ذلك

يقحمنا فى قضية سياسية داخلية شديدة الحساسة، ومن المؤكد أن يدخلنا فى متاعب، وسوف تنهال علينا الانتقادات لتدخلنا فى شأن ليس من بين اهتماماتنا على الإطلاق.

٢- إذا كنت متفقا معى فى التحليل السابق وفى انطباعى، فلنفكر على الفور فيما ينبغى عمله الآن؛ لأن ما حدث سيثير متاعب جمة. ولو أمكن ذلك، فأنا أرى بداية أن تطوى هذه الصفحة تماما حتى تهدأ الأمور. أعرف أن ذلك لن يرضى أيا من الفريقين، لكنه قد يكون فى وسعنا أن نعلمهما بأننا نتكلم عن أوروبا والعالم خارج الولايات المتحدة، وأن نلتزم بذلك إلى النهاية. وإن لم نفعل ذلك فسوف يكتشف كل شىء، وسيفشل كل شىء بسبب تورطنا فى قضايا سياسية محلية. إن الدعوة إلى الوحدة والوفاق، والإبقاء على هذا الجهد القيم لابد من أن ينجح. على أية حال، هذا هو الأسلوب الوحيد الذى يمكن أن أفكر به"(٣٨).

هذه المذكرة لها دلالات مختلفة. فهى تبين أن "آرثر شليزنجر" ينبه "فرانك ويزنر" بخصوص تطورات فى اللجنة الأمريكية .رى أنها مقلقة، (كان "شليزنجر" قبل ذلك قد شكا إلى "نابوكوف" من أن المنظمة مليئة بأعداء الشيوعية "العصابيين(٣٩)". كما تكشف عن أصول تلك اللجنة التى كانت تعلن عن نفسها أنها كيان "حر" و"مستقل"(٤٠) و"سند" يمكن الاعتماد عليه من أجل جهد أوسع تقوم به الـ "CIA" فى أوروبا الغربية. كما تبين أن "ويزنر" لم يكن لديه شك فى مسئولية الوكالة عن سلوك اللجنة الأمريكية وأفعالها وبياناتها. ولأنها كانت من صنع الوكالة، فإن مسألة حريتها فى أن تفعل أو تقول ما تريد، كانت فى رأى "ويزنر" أمرا نظريا. فإذا كانت بالفعل كما تقول "مجموعة مستقلة من أفراد مستقلين" كان بإمكانها أن تفعل ما تريد. لكنها لم تكن. كانت جزءا من "فورلتزر ويزنر"، وبما أنها كذلك، كان المتوقع أن تعزف اللحن الصحيح، أو على الأقل تبقى صامتة. من الناحية القانونية بالطبع، لم يكن من حق وكالة المخابرات المركزية "CIA" أن تتدخل فى عمل منظمة أهلية. وفى مذكرته كان "ويزنر" يعترف بذلك.

والأكثر من ذلك أنه إذا كان "ويزنر" يستطيع أن يكتب هذا ببساطة عن "طى الصفحة" فإنه بذلك يقدم صورة مزعجة عن مو ـ ـ الـ "CIA" من مثل تلك الجماعات. كان للوكالة حق "الڤيتو" على أنشطتها العلنية، وكان "ويزنر" يدافع عن استخدام هذا الحق. كما يتضح من المذكرة أيضا أن "ويزنر" كان يشعر بأن له خط اتصال مباشر داخل اللجنة الأمريكية وكان يريد أن ينشطه لإقناع كلا الفريقين داخل المجموعة بنسيان خلافاتهما وإسقاط موضوع "المكارثية" تماما.

ويقول "توم برادن : Tom Braden" كانت اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية مجرد واجهة لخلق انطباع عن وجود إسهام أمريكي ما في العملية الأوروبية. وعندما بدأوا إثارة قضية "المكارثية".. يا إلهي! كان ذلك أمرا مزعجا لـ"ألن دالاس" على نحو خاص. لقد كان ذلك سببا جيدا - في رأى "ألن"- لئلا تكون هناك لجنة أمريكية من الأصل. كان يمكن أن يبدو مذعورا لإعلان شخص ما في "منظمة الحرية الثقافية" عن معارضته لـ "مكارثي". كان يكره "مكارثي" بالطبع، لكنه كان يعرف أنه لابد من التعامل مع ذلك الأمر بحذر شديد وبرقة لا تغضبه، ولا تشركه في أى شيء. أما فكرة أن يقوم أشخاص مثل "بيرنهام - Burnham" :و "شليزنجر Schlesinger" أشخاص بمثل تلك المكانة- ليثيروا مثل هذه الزوبعة الكريهة عن "مكارثي" فقد كان ذلك أمرا غير وارد، على الأقل في رأى "ألن"(٤١).

والواضح أنه كان من سياسة "منظمة الحرية الثقافية" وفروعها أن يبتعدوا عن "المكارثية" ولا يتعرضوا لها. وكما قال أحد النشطاء الإنجليز فيما بعد: "كان مفهوما وبشكل واضح أننا لا ينبغي أن ننتقد الحكومة الأمريكية ولا "المكارثية" التي كانت في أوجها في ذلك الوقت في الولايات المتحدة"(٤٢). كان ذلك أحد الأمور التي ناقشها "دونيفي - de Neufville"، و"مونتي وود هاوس - Monty Woodhouse" في اجتماعات "العمليات والأساليب" وألحقاها بتوجيهات من مكتب العلاقات الخارجية إلى "إدارة البحث الإعلامي "IRD" والتي تقضي بضرورة "ألا يظهر في أي من أنشطته ما يعتبر هجوما على الولايات المتحدة بأى شكل من الأشكال". في هذا الإطار يجب النظر إلى إسهام مجلة "انكاونتر" في قضية "المكارثية". وفي محاولتها -بشكل عام- تجنب القضية برمتها، فإن "انكاونتر" عندما اقتربت منها كان أسلوبها بعيدا تماما عن الإدانة. ففي مقال شديد التشوش والارتباك كان "تيسكو فيفل - Tesco Fyvel" يجازف بالقول: إن الحالة النفسية العامة التي كانت سائدة في أمريكا عندما ظهرت المكارثية، كانت أشبه بحالة إنجلترا في عام ١٩١٤ عندما "تقوض قرن من الأمان الإنجليزي". "البغض البارد للعدو "الهون- Hun"، الإيمان العاطفي بعدالة القضية البريطانية، عدم التسامح مع الاشتراكيين والسلاميين وغيرهم من المنشقين"، كانت تلك كلها في نظر "فيفل" مشاعر تشبه تلك التي اجتاحت أمريكا "لفقدانها المفاجئ للشعور بالأمان". في اليوم الذي ظهر فيه السلام في ١٩٤٥ ومع "بداية عصر القنبلة الذرية الجديدة"و بظهور الاتحاد السوفيتي كخصم قوي". كل ما تبع ذلك كان محاولة للتكيف وإن تكن "مؤلمة". وبالرغم من أن "مكارثي" كان "شيئا" يؤسف له، إلا أنه كان ينبغي النظر إليه في إطار "سعي أمريكا الملح من أجل أمن قومي جديد، ولعالم يشعر

بالأمان من أجل الديمقراطية". وذلك كما يَخْلُص "فيڤل" كان أفضل من "السأم الأوروبى والشك فى إنجاز كذلك"(٤٣).

أما فكرة أن يكون الأوروبيون قد أساءوا فهم الظروف المحيطة بـ "المكارثيه"، فقد تبناها "ليزلى فيدلر- Leslie Fiedler" الذى كان يرى أنه من الخطأ- كما فعل كثير من "الغامضين المعادين للرأسمالية فى العالم"- الافتراض أنه" مادام "مكارثى" يجأر بالصوت ضد التغلغل الشيوعى، فإن ذلك يعتبر برهانا كافيا على عبثية الفكرة كلها". وببراءة شديدة، اندفع أولئك الناس لكى يدافعوا عن أى شخص كان "مكارثى" يوجه إليه الاتهام. رفض "فيدلر" الزعم بأن الأمريكيين كانوا يرتعدون خوفا من "مكارثى" واعتبر ذلك نوعا من "الهزل"، وخَلُصَ إلى أن "السيناتور" القادم من "وسكنسون" كان طاحونة هواء، من العبث أن يدخل معها المرء فى مبارزة، بينما هناك "وحوش حقيقية" ينبغى مصارعتها"(٤٤).

كما لعب البريطانى الشاب المحافظ "بيرجرين وورسثورن – Peregrine Worsthorne" بورقة "الشر الأهون" عندما أعلن فى مجلة "انكاونتر"- عدد نوفمبر ١٩٥٤- أن "أمريكا ذات ماض متقلب، ولا شك فى أنه سيكون لها مستقبل متقلب، وكلما أسرعنا فى قبول هذه الحقيقة الحتمية، كنا أكثر قدرة على الإفادة من مزاياها تماما، دون أن نركز على العيوب. الخرافة صنعت إلهاً أمريكيا، والإله قد فشل. لكن على عكس الإله الشيوعى الذى اتضح أنه كان شيطانا عند فحصه عن كثب، فإن الإله الأمريكى أصبح إنسانيا"(٤٥). ومما يذكر لـ"انكاونتر" -عن حق- تفحصها الدقيق والجرىء للتحجيم الثقافى فى الكتلة الشيوعية. لكن تهوينها من أمر الـ"المكارثية" لم يكن ينطوى على بعد نظر أو حصافة؛ كانت المجلة اشبه بمن يرى القشة فى عين الآخر، بينما لا يرى الخشبة فى عينه.

من المؤكد أنه كان متوقعا أن الذين كانوا يزعمون أنهم يقدسون قضية الحرية، سيجدون وسيلة للتنديد بمن يهاجمونها أو يحتقرونها. كانت اللجنة الأمريكية محقة فى أن تثير قضية "المكارثية"، كما كانت الـ "CIA" مخطئة فى محاولتها لأن تجعلها فى طى الكتمان. لكن "ويزنر" لم يكن ذلك الشخص الذى تعوقه مثل تلك التفاصيل. فى مذكرته كان قد اقترح: "الدعوة للوحدة والوفاق والإبقاء على هذا الجهد القيم لابد من أن تنجح". هذه الدعوة أو المناشدة تم تنظيمها فى وجه السرعة. رسالة "نابوكوف" إلى "آرثر شليزنجر" والتى كتبت أثناء الاستعدادات الضخمة لمهرجان "الروائع" فى باريس فى إبريل ١٩٥٢، هذه الرسالة فيها صدى كبير لمذكرة "ويزنر" وبدقة غير عادية: "بصراحة... سأكون فى غاية الأسف لأى شقاق داخل اللجنة الأمريكية. يمكن

أن يعرض ذلك عمل المؤتمر للخطر، وكذلك تنظيمنا فى فرنسا، وإلى درجة كبيرة". كان ذلك هو التحذيرالذى نبه إليه. "لابد من أن نوضح للأوروبيين أن "مكارثى" فرد، وليس حركة"(٤٦). وأنا مقتنع بأننا يمكننا الهجوم على الفعل الفردى لـ"مكارثى" وعلى أساليبه، بيد أننى أشك فى فائدة ومنطق القرارات التى تتخذ ضد "المكارثية"، والتى قد تعنى بالنسبة للأوروبيين على الأقل أن "مكارثى" يمثل حركة شعبية حقيقية فى الولايات المتحدة". وراح "نابوكوف يحث "شليزنجر" على: "أن تفعل كل ما وسعك لمنع الشقاق فى اللجنة الأمريكية. لا أستطيع أن أتخلى عن اقتناعى بأن صدعا كهذا يمكن أن يمثل ضربة قاضية لعملنا هنا"(٤٧).

ويقول "لى وليمز – Lee Williams" أحد "كبار المسئولين" فى الـ "CIA" إنه عندما كانت تظهر مشكلات مع لجان المؤتمر أو المنظمات الفرعية أو المحررين الذين يجنحون بعيدا عن الخط، كانت إحدى الطرق لاستخدام "الڤيتو" دون أن يظهر، هى القفز على كل القيود البيروقراطية، وتوجيه رسالة مباشرة من أحد الشخصيات المهمة فى المؤتمر إلى المخالفين"(٤٨). وكان ذلك عادة هو دور "چوليوس فليشمان – Julius Fleishman" الذى هدد ذات مرة محررى "انكاونتر" بإيقاف الدعم عنهم إذا أصروا على نشر أى مقال مثير للجدل أو الخلاف. ويبدو أن "نابوكوف كان يقوم بدور مشابه سواء أكان هذا بخصوص موضوع تدخل اللجنة الأمريكية فى ألغام "المكارثية"، أو كما سيحدث فى ظروف أخرى قادمة. وربما كان "نابوكوف" يعرض خدماته للتوسط فى أمور كتلك دون أن يعرف الموصى بذلك، أو لعله – وهذا هو الأرجح– كان يقوم بذلك من تلقاء نفسه.

وقد كتب "چون شتاينبك – John Steinbeck" وحملة المكارثية على أشدها: "لو أننا قاومنا منذ البداية بدلا من الهرب، لما كانت مثل هذه الأشياء تحدث الآن"(٤٩). وكتب "چون هنرى فولك – Hohn Henry Faulk" الشىء المرعب هو أن معظم أولئك الضحايا، والشعب الأمريكى ككل قد قبلوا أن يوصفوا بأنهم "مذنبون، وقبلوا حق أعضاء اللجنة فى أن يوجهوا إليهم الاتهامات، وأن يتخذوا القرارات ويصدروا الأحكام. وسكتنا جميعا. كنا نعتقد أن السكوت سيجعلنا فى أمان"(٥٠).

وبينما كان اضطهاد الكتاب والفنانين السوڤيت يتم على نطاق لا يمكن مقارنته بحملة "مكارثى"، كانت هناك عناصر مشتركة بين السيناريوهين. الزيارة التى قام بها "الإخوة ألسوپ" لعرين "مكارثى" فى "كاپيتول هيل" تحتوى على كل مفردات الكابوس السوڤيتى، بما فى ذلك "مكارثى" نفسه الذى كان يحمل ما هو أكثر من الشبه العابر للمخبر الستالينى أو الشرطى السرى. كتب "ألسوپ": "غرفة الانتظار مكتظة دائما

بشخصيات يبدو عليها الخبث والغموض"(٥١). و"مكارثي" نفسه، بالرغم من زحف الصلع على رأسه، والرعشة المستمرة التي تجعله يهتز بشكل مقلق، كان يبدو نسخة من المخبر السري الشرس في أفلام هوليود. سيجده الزائر ينحني بكتفيه إلى الأمام وهو ممسك - في يده الغليظة - بسماعة الهاتف صارخا بتعليمات غامضة لعميل غامض: "نعم..! نعم..! أسمعك.. لكنني لا أستطيع أن أتكلم. فهمت؟ نعم! هل حصلت على معلومات تدين ذلك الشخص بالفعل؟". ثم يلقي "السيناتور" نظرة سريعة لكي يرى أثر تلك المسرحية على زائره. "نعم! أقول لك أبلغ رقم "١" بذلك لمعرفة رأيه.. حسن!" وكانت المسرحية تزداد قوة بإضافة حيل أخرى. سيضرب "السيناتور" على سماعة الهاتف بالقلم الرصاص. وكما تروي حكايات "وشنطن" الفولكلورية فإن الضرب بالقلم الرصاص على السماعة من شأنه أن يهز الإبرة في أي جهاز تنصت سري. وباختصار... فبينما كانت وزارة الخارجية تخشى أن يكون أصدقاء "مكارثي" يتجسسون عليها، يبدو أن السيناتور "مكارثي" هو الآخر كان يخشى أن يكون عملاء وزارة الخارجية يتجسسون عليه(٥٢).

وهنا كان الأساس المنطقي لمذكرة "ويزنر": كان سبب الرغبة في إيقاف اللغط حول هذا الموضوع هو أن "مكارثي" كان ينشر "جوا خانقا من الخوف العصابي والشك في الداخل" وفي خارج الولايات المتحدة، الأمر الذي كان يهدد جهود الـ"CIA" من أجل تحقيق التقارب مع اليسار غير الشيوعي.

ولكن، في إطار العنصر المحافظ في اللجنة الأمريكية، تم رفض تقرير "ألسوپ" واعتباره ضربا من الخيال المحموم. كتب "سيدني هوك - **Sidney Hook**" هناك بعض من يعرفون أفضل من ذلك، والذين أكدوا أننا نمر بأسوأ مرحلة من الرعب السياسي والهستريا في تاريخنا، وهذا التوصيف للحالة الراهنة في أمريكا مبالغة كبيرة لما هو حاصل"(٥٣). وكان "كريستول - **Kristol**" أيضا يسخر من المزاعم بأن المكارثية كانت "تثير جوا من الخوف". وفي رده على قول "آرثر ميللر - **Arthur Miller**" إن "برودواي" كانت تعاني من "تعنت المكارثية" بتفتيشها في "معتقدات الناس السياسية"، كتب كريستول في "نيويورك تيمز" يتهم "ميللر - **Miller**" بأنه يكتب "أشياء منافية للعقل.. ومضحكة"(٥٤). وفي ١٩٥٢ قال "كريستول" قولته الشهيرة: "هناك شيء واحد يعرفه الأمريكيون عن "السيناتور مكارثي"، وهو أنه مثلهم - معاد للشيوعية بشكل مطلق، ولكنهم لا يعرفون شيئا كهذا عن الناطقين الرسميين باسم الليبرالية الأمريكية. "في الوقت نفسه كان "ستيفن سپندر" قد توصل - أسفا - إلى أنه: "بين حين وآخر يخرج علينا كاتب أمريكي ليرسم على صدره علامة معاداة الشيوعية لدرجة أن المرء

بات يشك فى أنه بدلا من ترديد "السـلام المريمى" يقـول "باسم مكارثى"(٥٥). أمـا "چوسلسون – Josselson" فكان ضد إنشاء اللجنة الأمريكية منذ البداية. وفى أعقاب "زوبعة مكارثى" كان يشعر بأنه كان على حق. وكذلك كان "برادن – Braden" يرى أن اللجنة لم تكن حكيمة، وقال فيما بعد: "أعتقد أنها كانت فكرة "سيدنى هوك"... وأعتقد أنها كانت غلطة". "كانت تبدو لى كأنها منظمة منافسة لنا فى "پاريس"، وأنها ستكون مليئة بالمتشددين. كان بعض أعضاء اللجنة شخصيات تشبه شخصية "مكارثى" والأسوأ من ذلك أن أولئك كان يمكنهم النفاذ بسهولة إلى آذان المسئولين فى وزارة الخارجية، وذلك من شأنه أن يخلق متاعب للوكالة"(٥٦). وبالرغم من هذه التحفظات، إلا أن "فرانك ويزنر – Frank Wisner استطاع أن يقنع "آلان دالاس– Allen Dulles الذى كان لا يزال نائبا لمدير العمليات، بأن هناك ضرورة ملحة لإنشاء فرع أمريكى لمنظمة الحرية الثقافية. وكما قال "ميلڤن لاسكى– Melvin Lasky" " كان ذلك "جزءا من الطبيعة المريضة للعمل السرى. فالوكالة لم تكن تستطيع المشاركة فى العمل المحلى، وبالرغم من ذلك لابد من أن تكون هناك لجنة أمريكية. كيف كان يمكن أن نرفض؟ كان يمكن أن يكون ذلك شذوذا عن القواعد الأمريكية لا يمكن تفسيره. تقول إنك عالمى"، فأين الأمريكيون إذن؟ كان مثل الذهاب إلى مباراة ملاكمة بقفاز واحد، وكان ذلك هو أضعف جانب فى هذا النشاط السرى، لكننى كنت مضطرا له، ولم لا؟"(٥٧).

بالرغم من أنهم ووجهوا بتفسخ اللجنة وانقسامها بشكل علنى حول الانتقادات والاتهامات المتبادلة عن معارضة "مكارثى" أو عدم معارضته، إلا أن "چوسلسون" ورؤساءه فى الـ "CIA" كان لديهم أسباب حقيقية تجعلهم يشعرون بالقلق. كان الخطر الأول هو أنه لو أن اللجنة الأمريكية انتهت وطويت صفحتها، فإنها يمكن أن تعود لتتجمع مرة أخرى تحت نفس المسمى، لـ ـ بدون الجناح المعتدل الذى يمثله "شليزنجر"، و"روڤر" وأصدقاؤهما" المعقولون". كان آخر شىء يريده "چوسلسون" هو جماعة ضاغطة متشددة تكون فى حالة خصام مع ما يقومون به من جهد فى أوروبا.

أما الذين كانوا ينتظرون من اللجنة الأمريكية أن تدافع عن حرية الثقافة ضد فظائع "المكارثية" فقد خاب أملهم، وفيما بعد قال "چوسلسون": "إن موقفها الضعيف من هذه القضية سبب للمنظمة حرجا بالغا فى كل العالم"(٥٨). نشرت اللجنة كتابا بعنوان "مكارثى والشيوعيون" (من تاليف ميدچ ديكتر – Midge Decter) و"چيمس رورتى – James Rorty"، لكن هجومه الرئيسى كان موجها ضد أساليب "مكارثى" الكسولة، أكثر مما هو ضد ملاحقته للمتهمين بأنهم شيوعيون. ظهر الكتاب فى عام

١٩٥٤ وكان إسهاما متأخرا وغامضا (وكان نشره سببا فى استفزاز "چيمس بيرنهام" لكى يقود انسحاب الجناح المحافظ من اللجنة الأمريكية). وفى ذلك الوقت تقريبا أنهى "بيرنهام" ارتباطه الطويل بـ "پارتيزان ريڤيو". ويظل دور اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية، مثل دور "أنكاونتر" غامضا بالنسبة لمحاولتها نفى خطر "مكارثى" على الثقافة أو التهوين منه. كتبت "مارى مكارثى" وهى تأسى لعدم وجود أى تحليل معقول للمسألة، كتبت إلى "هانا آرنت – Hanna Arendt" عن رؤيتها "لذلك الخليط الغريب من عناصر يسارية وعناصر فوضوية وعناصر عدمية وعناصر انتهازية وكلهم يعتبر نفسه محافظا على سفينة من الحمقى... الجهد الأكبر لهذا اليمين الجديد هو أن يجعل نفسه مقبولا كامر عادى، ويبدو له أنه لابد من القضاء على ذلك .. إن لم يكن الوقت قد فات"(٥٩).

وبينما كان السيناتور "مكارثى" يخطط للانقضاض على الـ "CIA" تولى "آلان دالاس – Allen Dulles " إدراتها. وعلى خلاف شقيقة "چون فوستر دالاس – John Foster Dulles" الذى منعته بروتستانيته المتشددة وعداؤه الشديد للشيوعية من أن يتحدى "مكارثى" كان "آلان" كله إصرار على أن يمنع "ذلك" الجموح القادم من "وسكنسن" من أن يدمر الوكالة. فقد حذر العاملين لديه من أنه سوف يفصل من يذهب منهم إلى "مكارثى" دون تصريح شخصى منه. كان بعض العاملين فى الـ "CIA" قد تلقوا بالفعل اتصالات تليفونية غامضة من أعوان "مكارثى" من بينهم شخص من "بالتيمور" اسمه "يوليوس عاموس – "Ulius Amoss" وهو أمريكى – يونانى كان قد طرد من الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتچية – (وهذا إنجاز فى حد ذاته) وأصبح يدير وكالة مخابرات خاصة تسمى "المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية"، وكان "مكارثى" قد تعاقد معها لتجمع له المعلومات "القذرة" عن أفراد الـ"CIA". كان يتم الاتصال بهم فجأة بواسطة مجهولين يقولون لهم إنه معروف عنهم أنهم "يشربون بإفراط" أو إن لهم "علاقات"، وإن الطالب لن يذكر شيئا عن ذلك إن هم تقدموا بما لديهم من معلومات عن الوكالة لأحد عملاء "مكارثى"(٦٠). لكن "عاموس – Amoss" أثبت أنه كان أقل من أن يستطيع أن يتحرى عن معلومات تتعلق بأفراد يعملون فى جهاز تجسس. الطلقة الأولى التى أطلقها "مكارثى" وهى الهجوم على "وليم بندى – William Bundy" فى يوليو ١٩٥٣ انفجرت فى وجهه. كان "بندى" عضوا فى "لجنة التقديرات القومية" (وصهر "دين اتشسون") وكان قد تبرع لصندوق الدفاع عن "آلجر هيس" بمبلغ ٤٠٠ دولار. "استنتج "مكارثى" من ذلك أن "بندى" لابد من أن يكون شيوعيا. يقول "توم برادن – Tom Br. Jen" أذكر أننى كنت فى مكتب "آلان" عندما حدث ذلك، وكان "بندى" موجوداً أيضاً. قال له "آلان": "اذهب وسوف

أرى أنا الأمر". ذهب "بندى" فى إجازة أياما قليلة، وذهب "آلان" إلى "إيزنهاور" مباشرة وقال له إنه لن يرضخ لذلك العبث القادم من "وسكنسن"(٦١)، كما أبلغ الرئيس بأنه سوف يستقيل إذا لم تتوقف هجمات "مكارثى" ويبدو أن ذلك هو الذى دفع "إيزنهاور" أخيراً لأن يتحرك.

وبعد إيفاد "ريتشارد نيكسون – Richard Nixon" نائب الرئيس، للضغط على "مكارثى" لكى يتخلى عن نيته للتحقيق العلنى، أصبح السيناتور "فجأة" مقتنعا بأن التحقيق العلنى فى أمر الـ "CIA" لن يكون من الصالح العام، وأن المسألة يمكن تناولها "إداريا"(٦٢). وأخذ ذلك شكل تسوية قَبِلَ "مكارثى" بموجبها أن يقدم شكواه ضد الوكالة فى حدود مكتب "آلان دالاس". وجاء معه بقوائم تضم أسماء من يزعم أنهم "الشواذ جنسيا" و "الأثرياء" بين العاملين فى الوكالة، وطلب القيام بحملة تطهير واسعة داخل الـ"CIA". وعندما رفض "دالاس" الانصياع لذلك، هدد "مكارثى" بطلب التحقيق وتقديم الاستجواب.واشتدت الضغوط ونشطت الإجراءات الأمنية. وخسرت الوكالة فى حالة واحدة كانت تعتبر كسبا لـ "هوليود". خريج شاب فى العلوم السياسية اسمه "بيتر فولك – Peter Falk" كان يتكلم بلهجة نيويورك الكلاسيكية، تقدم للالتحاق ببرنامج تدريبى فى الـ "CIA" فى ١٩٥٣، لكنهم رفضوا طلبه لأنه كان ينتمى ذات يوم إلى أحد الاتحادات العمالية اليسارية"(٦٣).

كما كان العاملون مع "برادن – Braden فى الـ "IOD" قسم المنظمات الدولية – يخضعون لإجراءات أمنية شديدة بسبب ليبراليتهم السياسية المزعومة. كما فصل مدير عمليات الاتحادات العمالية الذى كان يعمل مع "برادن" – من عمله لأنه كان قد سبق له الالتحاق لفترة قصيرة فى الثلاثينيات برابطة الشباب الشيوعى. لكن الأسوأ كان مازال فى الطريق. فى أغسطس ١٩٥٣، كان "برادن – Braden" فى نزهة بحرية فى "ماين –Maine" مع "ريتشارد بيسل – Richard Bissell" الذى كان قد أخذ إجازة قصيرة من عمله للتنزه بيخته الخاص "ساد_ البحر".. وعندما رسوا فى خليج "بينوبسكوت" تلقى "برادن" رسالة عاجلة تفيد أن أتباع "مكارثى" قد أكتشفوا شخصا "أحمر" فى الوكالة. وكان الشخص المقصود هو "كورد مايور الابن – Cord Meyer Jr." نائب "برادن"، وكان "آلان دالاس" هو الذى قام بتجنيده فى عام١٩٥١. ولأن "دالاس" و"برادن" كانا بعيدين فى إجازة، لم تكن هناك أية مسافة بين "بنطلون" مايور.. وقوة حذاء "مكارثى"! تم إيقافه عن العمل، وبدون راتب، انتظاراً لنتيجة التحقيق. ووجد الرجل نفسه يعيد قراءة رواية "كافكا": "المحاكمة" لكى يفهم، كما لم يفهم من قبل، "مأزق بطله المذهول العاجز عن أكتشاف تهمته أو متهميه"(٦٤).

لم يكن "كورد مايور" "أحمر"! لم يكن حتى "أحمر خفيف"! من بين الاتهامات التى جاءت فى تقرير من ثلاث صفحات، ذكر أنه كان قد حضر ذات يوم محاضرة لـ"هارلو شارپلى – Harlow Sharpley" عالم فلك من "هارڤارد") المعروف بأفكاره السياسية اليسارية. كما ذكر التقرير أيضا علاقته بالمجلس القومى للفنون والعلوم والمهن، وكانت لجنة "مكارثى" تعتبره واجهة شيوعية. كان الاتهامان يعودان إلى سنوات ما بعد الحرب مباشرة، عندما كان "مايور" رئيساً للجنة المحاربين الأمريكيين وهى منظمة ليبرالية شكلت لتقديم بديل للرابطة الأمريكية المحافظة،كما كان أحد مؤسسى "اتحاد فيدرالى العالم" الذى كان يدعو لإنشاء حكومة عالمية، وكان شيئا خياليا أكثر منه ليبراليا.

وفيما بعد كتب "مايور": كان رئيسى المباشر "توم برادن" يشد من أزرى ويشجعنى على الثقة بأنه ليس هناك شك فى قدراتى على إثبات براءتى"(٦٥)، والحقيقة أنه لم يكن هناك فرصة حقيقية لإثبات اتهامات "مكارثى". وفى يوم "عيد الشكر" فى عام ١٩٥٣، وبعد شهرين من إيقافه عن العمل، تلقى "مايور" مكالمة تليفونية من "آلان دالاس" تبلغه أنه قد ثبتت براءته تماما مما هو منسوب إليه، وأن بإمكانه العودة إلى الوكالة إذا كان يريد. هذه القصة ظلت ملتصقة بـ"مايور" حتى آخر العمر وهى تصور أحد التناقضات الكبرى فى أمريكا أثناء الحرب الباردة: إذ بينما كان رجال الـ"CIA" يعملون على مدار الساعة لمقاومة الشيوعية، إلا أنهم كانوا متبوعين بزملاء أمريكين يزعمون أنهم حريصون على الهدف نفسه. وإذا كان "جوڤينال – Juvenal" قد تساءل حائرا عمن يحرس الحرس؟، فإن السؤال هنا يكون أكثر صعوبة: من الذى كان يقتل قتلة التنين؟.

أفل نجم "مكارثى" فى أواخر عام ١٩٥٤ ومات مدمنا للكحول فى ١٩٥٧، ووصف "دوايت ماكدونالد –Dwight Macdonald" المكارثية" بأنها "قصة بطولة زائفة" وبأنها "فصل بائس وشاذ فى تاريخنا السياسى لدرجة أن علماء الآثار فى المستقبل سوف ينسبونه للخرافة أكثر مما هو للتاريخ"... ولكن ذلك الوصف كان من قبيل التمنى! ستظل أمريكا تصارع لطرد الشياطين التى أطلقتها "المكارثية" على مدى سنوات تالية، وفى الوقت الذى ستبقى فيه" القيم التى تبناها والافتراضات التى أسس عليها حملته الصليبية كما هى". وكما قال أحد المراقبين: "لقد تم استهجان وإسقاط "مكارثى" ولكن ليس "المكارثية"(٦٧) البحث عن الحقيقة ومحاولة الوصول إلى قلب الأشياء وعملية التساؤل الفكرى نفسها... كل ذلك أصبح ملطخا بربطه بمطاردة الآخرين والتفتيش فى أفكارهم.

أم ترى أنه كـان العكس؟ ربما يكون السـؤال: هل كـان يمكن أن تحـدث "المكارثية" بدون "مبدأ ترومان"؟ هل كان الابتعاد عن القواعد الأساسية لتأكيد الحقيقة حيث كان الحكم يظلله الخوف والعداء، وحيث كان يصفه "موراى كمتون - Murray Kempton" بـ"الاهتمـام الزائد.. الإفراط.." الذى شتت الناس عن ملاحظة كيف أن "العادى أمر سىء"..؟ هل كان ذلك هو جوهر فكر الحرب الباردة؟. وفيما بعد كان "السيناتور وليم فولبرايت - William Fulbright" يقول: "لقد أصبح قادتنا متحررين من القواعد العادية للبرهان والاستدلال عندما كان الأمر يتعلق بالشيوعية.. وبعد كل شىء، من الذى سمع عن معاملة الشيطان بما يستحق؟ ما دمنا نعرف ما يدور بعقله فمن الطبيعى أن نجادل فى أمور تافهة مما يفعله.. إن تأثير أيديولوجية معاداة الشيوعية وفَّر علينا القيام بواجب معرفة الحقائق المحددة للمواقف المحددة. "إيماننا" حررنا مثل المؤمنين القدامى من متطلبات التفكير الإمبيريقى.. مثل لاهوت العصور الوسطى.. كان لدينا فلسفة تشرح كل شىء مسبقا، وأى شىء غير مناسب يمكن وصفه بأنه "غش" أو "كذب" أو "وهم" .. إن شر الأفكار المعادية للشيوعية ليس نابعا من أى زيف واضح، وإنما من تشويه الحقيقة وتبسيطها، من تعميمها ورفعها إلى مكانة الحقيقة الموحى بها"(٦٨).

وفى النهاية، فإن "مكارثى" ساعد على تعزيز وضع الـ"CIA"، وبفضله تأكدت سمعتها كمظلة لأصحاب الفكر الحر فى السياسة الخارجية. "ريتشارد بيسل Richard Bissell" الذى التحق بالوكالة فى يناير ١٩٥٤ يتذكر أنها كانت "مكانا مازال يحمل تخمرا فكريا وتحديات وحركة إلى الأمام أكثر من أى مكان آخر فى الحكومة"(٦٩) وقد خرج مديرها "آلان دالاس - Allen Dulles" من الأزمة أقوى من ذى قبل. وكما يقول "توم برادن - Tom Braden" "كانت القوة والسلطة تفيضان عليه.. ثم منه.. على الـ"CIA"، ذلك لأن شقيقه كان وزيرا للخارجية، وللهالة الغامضة التى كانت تحيط به كأبرز رجال التجسس فى الحرب العالمية الثانية، ولشراكته السابقة فى مؤسسة "ساليفان أند كروميل للخدمات القانونية" فى نيويورك. والآن، كان "دالاس" قد انتصر فى معركة المواجهة بين الوكالة وحملة "مكارثى"، وقد "عزز انتصاره احترام الناس لما كانوا يسمونه "قضية مكافحة الشيوعية". وكان إيزنهاور - Eisenhower" قد قال من قبل: "لا تشارك الذين يحرقون الكتب عملهم". "كانت تلك هى الوسيلة السيئة لمكافحة الشيوعية، أما الوسيلة الجيدة فكانت هى الـ"CIA" (٧٠).

(١٤)

الموسيقى و الحقيقة

(قَدْر قليل ...)

يخيل إلى أن جهاز صناعة وصيانة

الشهرة يعانى من زيادة مفرطة

فى المادة المناسبة للاحتفاء بها..

"فيليب لاركن"

على عكس اللجنة الأمريكية التى كان فشلها فى اتخاذ موقف متماسك فى قضية رئيسية واحدة سببا فى التعجيل بتوقفها عن النشاط، على العكس من هذه اللجنة، كانت "منظمة الحرية الثقافية" فى أوروبا، قد دعمت مكانتها فى منتصف الخمسينيات. وتحت قبضة "جوسلسون – Josselson" الحازمة، حققت لنفسها سمعة طيبة كحليف جاد للمثقفين وملتزم بإظهار فشل الأكاذيب السوفيتية، وتفوق الديمقراطية الغربية كإطار عمل للتساؤل الثقافى والفلسفى. وبينما ظلت تركيبتها الداخلية، أو جهاز القيادة، فى اللجنة الأمريكية بدون تغيير، كانت المنظمة تتباهى بعضويتها التى تضم كوكبة من المثقفين والفنانين.

"جوليان هكسلى – Julian Huxley" و"ميرسيا إيلياد – Mircea Eliade" و"أندريه مالرو – André Malraux" و"جيدو بيوفين – Guido Piovene" و"هيربرت ريد – Herbert Read" و"ألن تيت – Allen Tate" و"ليونيل تريللنج – Lionel Trilling" و"روبرت بن وارن – Robert Pen Warren" و"دبليو. اتش. أودن – W. H. Auden" و"جايا پراكاش نارايان – Jayaprakash Narayan..." أولئك وغيرهم كثيرون من المشاهير كانوا يضيئون صفحات "انكاونتر" و "پريف" وغيرهما من المجلات التى كانت تصدرها المنظمة أو الأفرع التابعة لها. كما كانت هناك مجلة "كوادرنوز – Cuadernos" الموجهة لمثقفى أمريكا اللاتينية والتى صدرت فى عام ١٩٥٣ من "پاريس" برئاسة تحرير الروائى و الكاتب المسرحى "جوليان جوركن – Julian Gorkin". وفى "ڤيينا" أصدرت المنظمة مجلة "فوروم – Forum" فى بداية عام ١٩٥٤ وكانت شهرية ويحررها الروائى والناقد "فريدريك توربيرج – Friedrich Tor-".

كان: "Freddy the Torte"، وهو الاسم الذى اشتهر به، شخصية غير عادية، يستطيع أن ينفر الناس منه أو يجذبهم إليه بنفس الدرجة . كتب "كويستلر – Koes-tler" يبدى إعجابه به إنه كان "آخر"موهيكان – Mohican " الدانوب، فى ڤيينا القديمة التى كانت تحيا فى خيالنا فقط"، بينما كان آخرون يرونه متعجرفا وشخصية لا تحتمل. وكان الشيوعيون يهاجمونه "كعميل أمريكى" يشوه سمعتهم .. و "كمخبر". وكانوا يعتبرون لهجة مجلته غير المحايدة مؤامرة أمريكية. كانت مجلة "فوروم – Forum" تتبنى قضايا المنظمة المعروفة، كما كان "توربيرج" يقيم علاقة عمل جيدة مع سكرتارية المنظمة فى "پاريس"، ولكن كان على "چوسلسون" أحيانا أن يرغمه على الانضباط كما حدث فى عام ١٩٥٧ عندما أعادت "فوروم" نشر مقال من مجلة "ناشونال ريڤيو – "National Review اليمينية ، وقال "چوسلسون" إن ذلك كان "أقل من مستوى ومكانة مجلة من مجلات المنظمة"، أما رد "توربيرج" المنصاع فكان: "لن يحدث شيء كهذا مرة أخرى".

وصدرت مجلة "العلم والحرية– Science and Freedom" فى خريف عام ١٩٥٣ بعد أحد المؤتمرات الذى كان يحمل العنوان نفسه. كان المؤتمر قد عقد فى "هامبورج" فى يوليو ١٩٥٣ واستطاع أن يجمع إعانات وتبرعات وصلت إلى ١٠٠٠٠ دولار من "مؤسسة روكفلر" و٢٥٠٠٠ من "مؤسسة فارفيلد" . وكان يحرر المجلة التى حملت اسم المؤتمر "مايكل پولانى – Michael Polanyi" الذى كان قد عين فى اللجنة التنفيذية فى نفس العام. ويجذب الانتباه نحو التفرقة العنصرية فى أمريكا و الاضطهاد فى جنوب إفريقيا، كانت مجلة "پولانى" تطرح قضايا كانت المنظمة صامتة عنها بشكل عام. كما أشارت المجلة إلى التهدئة فى العلاقات الدولية "détente"، قبل أن يعرف كثير من الناس معنى الكلمة، وشجعت على التبادل الثقافى مع الكتلة السوڤيتية والتخفيف من سياسة الغرب فى الحرب الباردة . ولكنها كمجلة نصف سنوية محدودة الانتشار، لم يكن صوتها بارزا وسط هدير كتابات الحرب الباردة(1).

أما مجلة "سوڤيت سيرڤى – Soviet Survey" فصدرت كنشرة شهرية فى عام ١٩٥٥ برئاسة تحرير المؤرخ "وولتر لاكير – Walter Laqueur" الذى كان الممثل الرسمى للمنظمة فى إسرائيل. "لاكير" الذى يصفه "چوسلسون" بأنه "واحد من أفضل الخبراء الدوليين فى شئون الاتحاد السوڤيتى"، كتب باستفاضة فى الشئون السوڤيتية باسم "مارك الكساندر – .Mark Alexander" وتحت إشرافه، قدمت "سوڤيت سيرڤى" أبحاثا مهمة عن الحياة الثقافية والفنية والسياسية فى الكتلة الشرقية كانت بمثابة "رؤية نفاذة وفريدة بين المطبوعات الغربية"(2). وبالرغم من الزعم بأنها كانت

"حافلة بالإثارة" إلا أنها حققت انتشارا واسعا بين جمهور القراء[٣]. وكان من الغريب جدا أن تشعر بعض الصحف الشيوعية أن بإمكانها نقل بعض المواد عن "سوفيت سيرفى"، مما جعل " چوسلسون" يكتب – قلقا– إلى "لاكير" :"نحن لا نريد لبعض الصحف الموالية للسوفيت أن تغلف دعايتها ببعض المواد التى ننشرها لكى تجعلها جذابة"[٤].

وفى شهر إبريل ١٩٥٦ ظهر العدد الأول من مجلة "تيمپو پرزنت – Tempo Presente" فى إيطاليا. كان يقوم بتحريرها "اجنازيو سيلونى – Ignazio Silone" و"نيكولا شياروموتتى – Nicola Chiaromonte"، وكانت أول تحد خطر يواجه مجلة "نوڤى أرجومنتى – Nuovi Argomenti" التى أسسها "ألبرتو موراڤيا– Alberto Moravia" عام ١٩٥٤، وكانت شديدة الشبه بمجلة "سارتر": "الأزمنة الحديثة – Le Temps Modernes" وقد اقتربت "تيمپو پرزنت" فى الشبه من مجلة "سارتر" أكثر من ذلك، فقد كان الاسم مشابها أيضا. وفيما بعد سيعتبر المتشككون أن ذلك كان بمثابة سرقة ثقافية، ويصورون مزاعمهم تلك بأن أحد استراتيجيات الـ"CIA" الرئيسية كان صنع أو دعم منظمات "موازية" تقدم بديلا للراد يكالية التى لم يكن لهم عليها سيطرة. والمؤكد أن مجلة "تيمپو پرزنت" "فتحت صفحاتها" لكثير من المنشقين عن الحزب الشيوعى الإيطالى فى أواخر الخمسينيات"[٥]، بمن فيهم كتاب مثل "ايتالو كالڤينو، – Italo Calvino" و"ڤاسكو پراتولينى – Vasco Pratolini" و"ليبرو دو ليبرو – Libero de Libero"، كما كانت صفحاتها مفتوحة كذلك لكتاب منشقين من الكتلة الشرقية ومن الذين ظلوا يهاجمون تقلبات الشمولية الروسية مع غيرهم من كتاب المؤتمر.

كما حققت المنظمة لنفسها وجودا أبعد لتعبر عن صوتها فى أماكن أخرى كانت تعتبر معرضة للشيوعية أو للحياد. كان لها مجلة فى استراليا باسم "كوادرانت – Quadrant" هدفها هو تقليل نفوذ الأعداد الكبيرة من المثقفين الأستراليين الذين كانوا "منجذبين إلى المجال المغناطيسى الواسع والمزعج للشيوعية". كان يحررها الشاعر الكاثوليكى "چيمس مكولى– James McAuley" الذى كان يرى أن "عقول البشر سوف يتم الاستيلاء عليها عندما تصبح المواقع المعادية للشيوعية قادرة على الاستقطاب المضاد". وتحت رئاسته أصبحت "كوادرانت" (الموجودة إلى الآن) بؤرة حيوية لليسار الاسترالى غير الشيوعى[٦].

وفى الهند، أصدرت المنظمة مجلة "كويست – Quest" فى أغسطس١٩٥٥. كانت المجلة محدودة ثقافيا لأنها تصدر بالإنجليزية لغة الإدارة وليس الأدب، ولذا

هاجمها الشيوعيون الهنود بسبب ما فيها من دعاية أمريكية "خبيثة". ولكنها مثل "كوادرنوز – Cuadernos" فى أمريكا اللاتينية حققت للمنظمة – على الأقل – موضع قدم فى أرض صعبة. وربما لم تكن تستحق ملاحظة "چى. كى. جالبريث – J . K. Galbraith" الساخرة وهى أنها "شقت أرضا جديدة فى الأمية الثقيلة ذات الرؤية غير الواضحة". والمؤكد أن رئيس الوزراء الهندى "نهرو" لم يكن مستريحا للمجلة، فلم يكن يثق بالمنظمة، كما كان يعتبرها "واجهة أمريكية". وفى اليابان كانت هناك مجلة" چيو – Jiyu" إحدى أكثر المجلات التى كانت المنظمة تدعمها. كانت محاولاتها للتخفيف من الرأى العام المعادى لأمريكا بين المثقفين اليابانيين هزيلة فى البداية. وفى عام ١٩٦٠ قررت المنظمة أن تتوقف عن التعاون مع الناشر وأن تعيد إصدارها بفريق جديد تحت إشراف مكتب "پاريس" مباشرة. كانت اليابان تعتبر "فى حاجة إلى حذر أيديولوچى" لدرجة لا ينبغى معها أن تبقى المجلة فى أيد شبه مستقلة"(٧). وبحلول منتصف الستينيات كانت المنظمة قد وسعت من برنامج مطبوعاتها ليشمل مناطق أخرى ذات أهمية استراتيچية: أفريقيا والعالم العربى و الصين .

ويقول أحد عملاء الـ"CIA" اللغز الحقيقى هو كيف كانت كل تلك المجلات تعمل." "كان من المستحيل أن يذهب كل أولئك المثقفين إلى حفل كوكتيل معا.. لكنهم كانوا كلهم فى "پريف – Preuves"، و تيمپو پرزنت – "Tempo Presente" و"انكاونتر – Encounter" كان من المستحيل أن يحدث ذلك فى أمريكا. "هارپرز" لم تستطع أن تحقق ذلك، و"نيويوركر" لم تستطع أن تحقق ذلك أيضاً. لم تستطيعا أن تستكتبا "أشعيا برلين – Isaiah Berlin" أو "نانسى ميتفورد – Nancy Metford" ولا الآخرين. حتى "إيرڤنج كريستول" لم يستطع أن يصنع ذلك بعد عودته من "لندن". أعتقد أن السبب كان هو "مايكل چوسلسون"(٨). حسن! كانت تلك هى نصف الإجابة. كان هناك "مايكل چوسلسون" وكان هناك "ميلڤن لاسكى". و"ديانا چوسلسون" تفسر العلاقة: "كان "مايكل" ناشرا ورئيس تحرير. و"لاسكى" كان نائبا للرئيس كما كان– إلى حد ما – صوت سيده "مايكل". حاول "مايكل" أن يرتب لقاءات دورية بين المحررين المختلفين وكان المفهوم أن "لاسكى" هو الذى ينوب عنه فى غيابه. كانا على اتصال دائم ويريان الأشياء من وجهة النظر نفسها"(٩).

وفيما بعد زعم "ميلڤن لاسكى" أن "چوسلسون" كان فى البداية يريده أن يكون محررا مشاركا لـ "انكاونتر" مع "سپندر". لكن "لاسكى" لم يكن يريد أن يترك "برلين" ولذلك رشح "إيرڤنج كريستول" بدلا مد . والسبب الأكثر احتمالا فى أن

"لاسكى" لم يجد نفسه قابضا على دفة مجلة المنظمة، كان هو نفس السبب الذى قالة "ويزنر" فى ١٩٥٠ عندما أمر بإبعاد "لاسكى" من لجنة تنظيم المؤتمر فى "برلين": هذا السبب هو أنه كان وثيق الصلة بالحكومة الأمريكية. وفى سنة ١٩٥٢ كان "لاسكى" يقول إن الأمر لم يكن كذلك. كانت مجلته "دير مونات- **Der Monat** ممولة من "مؤسسة فورد" التى منحته ٢٧٥٠٠٠ دولار إضافى ليقوم بنشر كتب تحت إشراف "دير مونات". لكن بقيت هناك ظلال من الشك حول "لاسكى"، كان من الصعب تجاهلها. لقد بذل "چوسلسون" كل ما فى وسعه لكى يستوعب "دير مونات" لتكون ضمن مجلات المنظمة فى نهاية ١٩٥٣ بعد أن نفدت منحة "مؤسسة فورد" الأولية. وبهذه الطريقة استطاع "چوسلسون" أن يجعل علاقة "لاسكى" بالمنظمة علاقة قانونية. وكمحرر لإحدى مجلاته، وجد "لاسكى" نفسه وعلى نحو رسمى فى قلب مركز القرار.

وكعضو فى "لجنة تحرير المجلات الثلاث" التى أنشئت لتنسيق السياسة التحريرية لـ"انكاونتر" و"دير مونات" و "پريف"، كان "لاسكى" الآن قد أصبح عضوا فى فريق صغير يقرر كيفية صياغة قضايا المنظمة. كانت اللجنة تجتمع بانتظام فى "پاريس"، وينضم إليها "چوسلسون" و "نابوكوف و"دو روچمو"، وتقوم بتحليل أداء المجلات وتتفق على موضوعات لطرحها فى الأعداد التالية. كان "لاسكى" يطالب باستمرار وبإصرار بالتزام أعمق بالموضوعات المتعلقة بالولايات المتحدة (يجب الاتصال بـ "أيودورا ويلتى - **Eudora Welty** لتكتب لنا عن وضع حد للتمييز العنصرى، كما يجب أن يكتب أحد عن "الازدهار الاقتصادى الأمريكى.. و"چيان كارلو مينوتى - **"Gian Carlo Menotti** عن "الثقافة الرفيعة والثقافة التافهة". كما كان يطالب بزيادة التركيز علي الشئون السوڤيتية. كان "چان پول سارتر - **Jean Paul Sartre -"** وهو "بعبع" آخر - مستهدفا بشكل دائم، وبكل الحقد الأحمق من مجلات المنظمة. وكان من رأى "لاسكى" أن يشار بشكل بارز فى مجلات المنظمة إلى قطيعة "سارتر" و"ميرلوپونتى" (بعد أن أعلن "ميرلوپونتـ." طلاقه من الشيوعية) تحت عنوان: "سارتر مات - **"Sartre est mort**(١٠). وكان يتم تحقير "سارتر" ونبذه مرارا وتكرارا على صفحات "انكاونتر" و"پريف" ووصفه بأنه "خادم الشيوعية الذليل" و"الانتهازى البائس" الذى كرست كتاباته الإبداعية والسياسية الوهم الشيوعى، كما أنها "تتسم بالعنف".

ويكشف تقرير بتاريخ إبريل ١٩٥٦ عنوانه (بعض الملاحظات عن "پريف" و"انكاونتر" و"دير مونات") عن مدى تأثير ونفوذ "لاسكى" على المجلات الثلاث. كتبه

"لاسكى" يلخص فيه إنجازات المجلات ويحدد أجندته لمستقبلها. كتب أن المجلات قد حققت نفسها "كجزء من المجتمع وقطعة من البيئة وذلك بفضل ثقلها المؤسسى. وقد أصبحت رموزا فى الحياة الثقافية لأمتين قديمتين من أجل تبادل عالمى (وعبر أطلسى) حر وإنسانى وديمقراطى"(١١). ولكنه حذر زملاءه المحررين من "الإصرار على تقديم الولايات المتحدة دائما بشكل "إيجابى" فى المادة الأمريكية المنشورة، ومن أن يتوقفوا عند الكتابات النمطية المعادية لأمريكا". وبالرغم من أن "لاسكى" كان يرى أن بعض "الزلات" المعادية لأمريكا شيء مؤسف وينبغى تلافيه فى المستقبل، إلا أنه كان مصرا على عدم التمادى فى التأكيد على التفاهم بين ضفتى الأطلنطى. "دعنا لا نقحم هذا الأمر كثيرا (وماذا - فعلنا - اليوم - لكى - لا نجعل الناس - يعتقدون - أننا برابرة؟)، نحن لدينا - مثل كل الآخرين - مشكلات كثيرة (بما فى ذلك المادية والكلبية والفساد والعنف) تجعلنا لا نستطيع أن نهتف للعلم الأمريكى إلى الأبد. دع الكتاب الأوروبيين يتذمرون، ولنتذمر نحن قليلا أيضا (أحد الأصوات الملائمة لمزاجنا على عكس ما يبدو)(١٢).

والواقع أن "لاسكى" كان يسلم بأن الذين ينتقدون مجلات المنظمة، والذين كانوا يشكون من الانحياز لأمريكا كلهم على حق. "انكاونتر" على نحو خاص، كان لابد من أن تدرأ التهمة عن نفسها بأنها "حصان طروادة" للمصالح الأمريكية، وأن بها "نقطة خاصة ميتة" - فقد كانت خالية تقريبا من أى نقد للولايات المتحدة، كما لو كانت تلك منطقة محرمة"(١٣). -فى السنوات الأولى، تمادت "انكاونتر" فى محاولاتها لإزالة أية كراهية نحو أمريكا ومؤسساتها. "كان العداء لأمريكا يُصَوَّرُ على أنه "ضرورة نفسية لكثير من الأوروبيين ووسيلة تمكنهم من "الانهماك فى كراهية الذات فى الوقت نفسه". ("أمريكا كصورة أسطورية لكل ما يكرهونه ويحبونه فى أنفسهم" (فيدلر) أو كوسيلة لزيادة " الشعور بالرضا الذى يستمده الأوروبيون من تأملهم القومى لأنفسهم" (ادوارد شيلز) أو "كانعكاس ميكانيكى لليبرالية الحديثة" كما تعبر عنها "نيو ستيتسمان" و"نيشن"، بما فيها من "أنيميا خبيثة" و"ردود فعل نمطية" و"اعتداد بالنفس" ("دوايت ماكدونالد" فى عام ١٩٥٦ في ذروة الحرب الباردة). لم تنجح توصيات "لاسكى" إلا جزئيا. وبالرغم من أن "أ.أ. الفاريز- **A. A. Alvarez**" كتب فى ١٩٦١ أنه لاحظ تغيرا - "نادرا ما نسمع هذه الأيام نغمة البارانويا الدعائية فى انكاونتر"(١٤) إلا أنه كان هناك من هم غير مقتنعين بذلك. كان من بينهم "كونور كروز أوبراين - **Conor Cruise O' Brien**" الذى كان يرى أن "ولاء" "انكاونتر" ولاء لأمريكا"(١٥).

أما فى المركز الرئيسى لـ "**CIA**" فى "واشنطن" فكانت "انكاونتر" تعتبر وبكل

فخر "بارجة المقدمة"، والأداة المناسبة تماما لتنمية مفهوم المجتمع الثقافى الذى يربط بينه الأطلنطى ولا يفصل بين أجزائه. أصبحت "انكاونتر" بمثابة بطاقة تعارف أو بطاقة زيارة بين عملاء الـ"CIA". يقول "بن سوننبيرج – Ben Sonnenberg" الذى عمل لفترة قصيرة مع وكالة المخابرات المركزية فى منتصف الخمسينيات إن أحد العملاء قال له وهو يحدد له موعدا للقائه: "ستجد فى يدى نسخة من "انكاونتر"... هكذا ستعرفنى".

ويمكن قياس ثقة الـ "CIA" بمجلات المنظمة على ضوء الالتزام المالى. وبالرغم من أن التفاصيل من الصعب الحصول عليها – فى الواقع – إلا أن هناك بعض الحسابات المالية التى بقيت مبعثرة فى خزائن الأرشيف المتربة. وطبقا لكشف المصروفات عن الفترة المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٥٨، نجد أن "مؤسسة فارفيلد" قد تحملت رواتب "سكرتارية التحرير" الخاصة بالمنظمة، والتى كانت تصل إلى ١٨٦٦٠ دولارا فى السنة. وكان ذلك المبلغ يغطى رواتب "بوندى" و "لاسكى" (من المفترض) والمحرر الأمريكى لـ "انكاونتر" (نذكر أن راتب المحرر البريطانى كانت تتحمله المخابرات البريطانية). فى عام ١٩٥٩ تلقت "انكاونتر" ٧٦٢٢٠٣٠ دولارا من مؤسسة "فارفيلد" (تقريبا ضعف المنحة السنوية التى تبلغ ٤٠٠٠٠ دولارا)، وفى العام نفسه تلقت "كوادر نوز Cuadernos " ٤٨٧١٢٩٩ دولارا، و"بريف Preuves" ٧٥٧٦٥٠٧ دولارات. وبالإضافة إلى ذلك كان هناك ٢١٢٥١٤٣ دولارا مخصصة "للإدارة" فى مطبوعات المنظمة. الإعلانات التى كانت تقدم لـ "دير مونات" (حوالي ٦٠٠٠٠ دولارا فى السنة) كانت تمرر إليها عن طريق عدة واجهات. فى عام ١٩٥٨ كانت الإعلانات المقررة تجئ عن طريق "صندوق دعم منطقة ميامى"، وفى ١٩٦٠ كانت متنوعة وكانت تأتى هذه المرة عن طريق "مؤسسة فلورانس" (٢٧٠٠ دولار) و"مؤسسة هوبليتزل" (٢٩١٦٧ دولارا) وهى مؤسسة يحتمل ألا يكون لها وجود حيث كل ما هو معروف عنها "الغرض منها ومن أنشطتها" كما يقول "دليل المؤسسات الأمريكية" هو "دعم المؤسسات الموجودة فى "تكساس" وفى "دالاس" على نحو خاص، مع التأكيد على مساعدة المعوقين". وكان ذلك الطريق هو المستخدم أيضا لتمويل "تيمبو برزنت" التى حصلت على ١٨٠٠٠ دولار، و ٢٠٠٠٠ دولار على التوالى من نفس المؤسسة فى عام ١٩٦٠. كان إجمالى المصروفات على مطبوعات المنظمة فى عام ١٩٦١ هو ٥٦٠٠٠٠ دولار، ووصل إلى ٨٨٠٠٠٠ دولار فى ١٩٦٢، وفى الوقت نفسه كان التزام "مؤسسة فارفيلد" تجاه المنظمة (بمعنى التكلفة المباشرة تجاه الـ "CIA" لتغطية الرواتب وتكاليف الإدارة والإيجارات ...إلخ) حوالى مليون دولار فى السنة. (أى ما يعادل ٦ مليون دولار فى عام ١٩٩٩).

وبالرغم من زعم "لاسكى" أن ذلك لم يكن كسبا أو تمويلا غير مشروع، إلا أن

المؤكد أنه بدأ يتضح أنه كذلك. يقول "چاسون أيبشتين – Jason Epstein" فجأة.. كانت هناك سيارات ليموزين وحفلات باذخة حافلة بما لذ وطاب من المشهيات مثل السلمون المدخن..إلخ، وأولئك الذين لم يكن بإمكانهم أن يدفعوا ثمن تذكرة "باص" إلى نيويورك، أصبحوا يطيرون بالدرجة الأولى إلى الهند لقضاء الصيف"(١٦). وفيما بعد كتب "مالكولم ماجردج – Malcolm Muggeridge" يقول: "في أوج ذلك النشاط، كانت الطائرات مكتظة بالأساتذة والكتاب الذين يحملون ثقافة "ماركة مسجلة" إلي كل أركان المعمورة. حتى المخابرات البريطانية كانت مدهوشة أمام المجال الواسع الذى نقل إليه الشريك الأمريكى الحرب الباردة الثقافية. وعندما يتذكر "ماجردچ" "تلك الأيام المبهمة" في "لندن" "عندما وصل إلى هنا أول من وصلوا مباشرة من أعشاشهم في "برنستون" أو "ييل" أو "هارڤارد"، في "وول ستريت" أو "ماديسون اڤينيو" أو "واشنطن دى .سى"، عندما يتذكر ذلك يبدو مدهوشا لأن "شهر العسل لم يدم طويلا" وكيف أنه قد تم تجاوز بنيتنا البريطانية بسرعة سواء في الأفراد أم الحماسة أم حجم العمليات، وفوق كل شيء... في الإنفاق المالى الواسع. لقد تفوقت شبكة OSS/CIA (مكتب الخدمات الاستراتيجية/ وكالة المخابرات المركزية) بمالها من أفرع وشعب حول العالم، على جهاز مخابراتنا الأسطورى، الذى أصبح يبدو مثل مركبة قديمة بعجلتين، أمام كاديلاك فخمة"(١٨).

كان الراكب "سعيدا" في تلك الكاديلاك الفخمة هو "نيكولاس نابوكوف Nicolas Nabokov" المشغول بأداء أفضل أدواره: توزيع الأضواء وتحقيق البريق المطلوب. كانت صلاته الواسعة وصداقاته المتشعبة شديدة الأهمية والقيمة لاكتساب المصداقية والمكانة للمنظمة. تعاملاته الودية، كانت شهادة لصالحه وعلى قدرته على توفير وضمان عطف ورعاية أولئك الأصدقاء. كان يخاطب "شليزنجر" بـ "أرتورو – Arthuro" و"أشعيا برلين" بـ:"كاريسيمو – Carissimo" أو "عزيزى الدكتور" أو "عمى"، ويخاطب "ناتاشا سپندر" بـ:"الفطيرة الحلوة" و"ستيفن" بـ:"ستيڤا الجميل" و"چورج ويد نفيلد" بـ:"الصغير العزيز كونيجزكند"، و"إدوارد ويكس" محرر "أطلانتك منثلى" بـ: "كارو تيد" و"إدوارد درامز"، من "مؤسسة روكفلر"، بـ: "شات". وبالرغم من أن "نابوكوف" نفسه كان مؤلفا موسيقيا متوسط القيمة، إلا أنه كان واحدا من أعظم رعاة الفن في سنوات ما بعد الحرب. كان يكتشف المواهب ويشجع العبقريات المبدعة. في شتاء ١٩٥٣ – ١٩٥٤ استقر مؤقتا كمدير موسيقى للأكاديمية الأمريكية في "روما". ومعنى ذلك أنه كان في وضع جيد يسمح له بتنظيم أولى غزوات المنظمة الرئيسية للمشهد الموسيقيى منذ مهرجان الروائع الذى أقيم في عام ١٩٥٢. والحقيقة أن المهرجان الذى شرع "نابوكوف" في التحضير له كان – من عدة أوجه – هو الرد

الرسمى على نقد "هيربرت ريد – Herbert Read" لمغامرة "باريس" وطبيعتها الاستعادية. كان "ريد" قد كتب: "وليكن عرضنا القادم إذن ليس مجرد نظرة رضا إلى الماضى، بل نظرة ثقة نحو المستقبل"(١٩). والآن، بعد أن طار إلى "نيويورك" ليعقد مؤتمرا صحفيا فى فبراير ١٩٥٢، قبل "نابوكوف التحدى، وقال: "بذلك المهرجان نكون قد أغلقنا باب الماضى. قلنا إن هناك أعمالا عظيمة. لكنها لم تعد "حديثة" بالرغم من أنها ظهرت فى القرن العشرين. لقد أصبحت الآن جزءا من التاريخ. الآن لدىَّ خطة جديدة...سنقيم مسابقة كبرى بين المؤلفين لم يسبق لها مثيل. اثنا عشر مؤلف شاب موهوب، واعدون لكنهم ليسوا معروفين على المستوى العالمى سيدعون للحضور إلى "روما". كل النفقات مدفوعة. سيجىء كل منهم بعمل من تأليفه. ستقدم الأعمال وتقوم لجنة تحكيم منتخبة ديمقراطيا من الحاضرين باختيار العمل الفائز. الجائزة ستكون مذهلة.. مفاجأة.. : أولا: هناك جائزة نقدية، ثانيا: ووعد بتقديم العمل فى ثلاث حفلات أوركسترا فى أوروبا وثلاث فى أمريكا. ثالثا: العمل الفائز سوف ينشر، رابعا.. ستقوم إحدى الشركات الشهيرة بتسجيله". ويواصل "نابوكوف": ليس هذا فقط... بل إن الأحد عشر الذين لن يفوزوا فلن يكونوا خاسرين أيضا"– كان يتكلم مثل خبير دعاية من شيكاغو– "فبالإضافة إلى رحلة مجانية إلى "روما" سيحصلون على ضمان من المؤتمر بنشر أعمالهم ونسخ الأعمال المقدمة فى المسابقة". ثم تساءل: "والآن.. هل هى جائزة كبرى أم لا ؟"(٢٠).

"المؤتمر الدولى لموسيقى القرن العشرين" الذى تم التخطيط له لكى يعقد على مدى أسبوعين فى منتصف إبريل ١٩٥٤، أعلن عن التزام "منظمة الحرية الثقافية" بتبنى التأليف الموسيقى الطليعى. كان الهدف هو وضع المنظمة بقوة على الخريطة كجزء من الطليعة فى التجربة الموسيقية. وأن تقدم للعالم عينة غنية من ذلك النوع من الموسيقى التى كان "ستالين" يحظرها بكل وضوح.

كان المفترض أن تودع الحكومة الإيطالية مبلغ ٢,٥ مليون ليرة فى حساب "نابوكوف لدى "أميركان إكسبرس" فى "روما" كدعم لتلك المناسبة، لكن المبلغ لم يصل قط (الأمر الذى أكد مخاوف "نابوكوف" من أن ينتهى المؤتمر بالفشل). على أية حال، كانت هناك أموال كافية تتدفق من "مؤسسة" فارفيلد" استخدم جزء منها لجوائز المسابقة التى بلغت ٢٥٠٠٠ فرنكا سويسريا (٦٠٠٠ دولار) لأفضل كونشرتو للكمان والأوركسترا، والسيمفونية القصيرة، وموسيقى الغرفة للصوت المنفرد والآلات. وأعلن المؤتمر الصحفى أن المهرجان الذى يهدف إلى إثبات أن الفن يزدهر فى مناخ الحرية " قد تحقق بفضل منحة كريمة من "چوليوس فليشمان – JuliusFleischmann"

واستدعى "چنكى – "Junkie" مرة أخرى لكى يتفاوض مع "أوركسترا بوسطن السيمفونى" الذى وافق على تقديم العمل الفائز فى أول عرض أمريكى له على مسرح "تانجلوود" التابع له. (فى عام ١٩٥٣كان ثمانية من بين أحد عشر عضوا فى اللجنة العالمية الاستشارية للموسيقى التابعة للمؤتمر، من المرتبطين بمدرسة تانجلوود للموسيقى).

وكعادته، وجه "نابوكوف أول دعوة لصديقه القديم "ايجور ستراڤنسكى – "Igor Stravinsky" وعرض عليه أن يدفع له نفقات تصل إلى ٥٠٠٠ دولار للمايسترو وزوجته والسكرتير لحضور المهرجان فى "روما". وبالإضافة إلى ذلك، وافق "ستراڤنسكى" على أن ينضم إلى اللجنة الاستشارية للمهرجان إلى جانب "صمويل باربر – "Samuel Barber" و"بوريس بلاشر – "Boris Blacher" و"بنيامين بريتين – "Benjamin Britten" و"كارلوس شاڤيز – "Carlos Chavez" و"لويجى داللابيكولا – "Lugi Dallapiccola" و"آرثر هونجر – "Arthur Honegger" و"فرانشيسكو ماليپييرو – "Francesco Malipiero"، و"فرانك مارتن – "Frank Martin" و"داريوس ميلهود – "Darius Milhaud" و"ڤيرجيل طومسون - "Virgil Thomson" الذى كان يعرف كل الأولاد والبنات فى "مؤسسة روكفلر"، على حد تعبير "نابوكوف. وكان "تشارلز مانش – "Charles Munch" قد اقترح دعوة "أرتور توسكانينى – "Arturo Toscanini" للانضمام للجنة، لكن "نابوكوف" اعترض على أساس أن ارتباط "اسم "توسكانينى" بمشروع عن الموسيقى المعاصرة سوف يبدو – على الأقل – مفارقة. كان "المايسترو" الجيد عدوا عنيفا وعنيدا للموسيقى المعاصرة، كما كان قد هاجم رموزها الرئيسية فى أكثر من مناسبة"(٢١).

وفي أوائل عام ١٩٥٤ أنشأت المنظمة مكتبا للمهرجان بالقرب من "بلازوبيكى"، بواسطة الكونت "بيكى بلنت" صديق "نابوكوف الحميم، والذى كان مواطنا أمريكيا بالرغم من لقبة الفخم. وقام وزير الخزانة "پيير بولومى – "Pierre Bolomey" بتنظيم خط للضمانات المالية مع حساب المؤتمر لدى "تشيز ناشيونال بانك" فى "بازل"، كانت تتدفق من خلاله أموال الـ "CIA" كما قدم "بيكى – بلنت" مبلغ ١٣٠٠ دولار كمساهمة شخصية منه للمهرجان، وجاءت عشرة آلاف أخرى عن طريق" المركز الأوروبى للثقافة" التابع لـ "دينيس دو رچمو – "Denis de Rougemont"، والذى كان بدوره يتلقى دعما من "فارفيلد". كانت جماعة "دو روچمو" هى التى تحتل مكان الصداره فى البرنامج. وتمت ترتيبات سفر "ليونتين پرايس – "Leontyne Price" وتأمين تذاكر رحلات الذهاب والعودة وإرسالها لـ "آرون كوپلاند– "Aron Copland" و"مايكل تيپيت – -Mi

و"چوزيف فوش - Joseph Fuchs" و"بن ڤيبر - Ben Weber" chael Tippet"

وفى مارس ١٩٥٤، كان "نابوكوف جاهزا لإعلان أسماء المشاركين فى المهرجان ويتركيز أساسى على التأليف الموسيقى الإثنا عشرى. كان التوجه الفنى الحديث يشير إلى الاهتمام بالأساليب الجديدة عند "ألبان بيرج - Alban Berg " و"إليوت كارتر - Elliot Carter" و"لويجى دالاپيكولا - Luigi Dallapiccola" و"لويجى نونو - Luigi Nono" ومن المؤلفين الجدد كان هناك "پيتر راسين فريكر - Peter Racine Fricker" و"لو هاريسون - Lou Harrison" و"ماريو پيراجيللو - Mario Peragallo"، الذين كانت أعمالهم متأثرة بدرجات مختلفة بالأسلوب الإثنا عشرى. وبشكل عام، تم استقبالهم جميعا بشكل جيد، وأشارت مجلة " ميوزيكال أمريكا - Musical America" إلى أن "معظم المؤلفين والنقاد أعضاء اللجنتين: الاستشارية، والتنفيذية المسئولتين عن المهرجان، لم يكن معروفا عنهم فى السابق أنهم يميلون إلى مبادئ التأليف الإثنى عشرى، ولذلك فإن البرامج التى قدمتها اللجنتان لم تكن مفاجئة فقط، بل ومشجعة"(٢٢). كان "ستراڤنسكى" أحد المتحولين الجدد إلى الموسيقى الإثنى عشرية، وكان حضوره إلى "روما" لحظة مهمة فى تلاقى الروافد الحديثة فى "الأساليب السيريالية المعروة"". أما بالنسبة لـ "نابوكوف فقد كانت هناك رسالة سياسية واضحة تنقلها الموسيقى الجديدة التى أعلنت عن نفسها فى التخلص من التراتب الطبيعى، والتحرر من القوانين السابقة عن المنطق الداخلى للموسيقى. وفيما بعد، سوف يتساءل النقاد ما إذا كانت السيريالية قد أخلفت وعدها التحررى، ودفعت بالموسيقى فى طريق حداثية مسدودة، حيث إنها بقيت مقيدة، وخاضعة لصيغة تسلطية، وتتطلب جمهورا شديد التخصص. كتبت "سوزان سونتاج - Susan Sontag" كنا نستمع باحترام للأصوات العالية والهدير الصاخب، كنا نعرف أننا من المفترض أن نتذوق الموسيقى القبيحة. كنا نستمع فى خشوع إلى موسيقى "توك - Toch" و"كرينيك - Krenek" و"هندميث - Hindemith" و"ڤيبرن - Webern" و"شوينبيرج - Schoenberg"، وأى شىء آخر. (كانت الشهية مفتوحة والمعدة قوية)(٢٣). حتى الأكثر وقاراً بين أولئك الحضور فى مهرجان المنظمة فى "روما"، انفجروا فى الصفير والصياح عندما تحول أحد العروض إلى "مفاجأة خاصة" وعندما قدمت أوبرا "عزلة يوليڤار" لـ "هانز ڤيرنر هنز - Hans Werner Henze"، لأول مرة وهى أوبرا إثناعشرية، كان للجمهور عذره عندما شعر بأنه مثل المسافر فى رحلة أحزان.

كتب "پيير بوليز - Pierre Boulez" رسالة غاضبة إلى "نابوكو فملأها

بالإهانات، قال إن "نابوكوف كان يشجع "فولكلورا متوسط القيمة"، يرعاه جماعة من صغار البيروقراط المهووسين برقم "١٢" - المجلس مكون من ١٢ عضوا، وهيئة التحكيم تضم ١٢ عضوا - " ولكنهم لا يعرفون شيئا عن عملية الإبداع". واتهم "بوليز" المؤتمر بالتلاعب بصغار المؤلفين بتقديم جوائز كبيرة لهم (كان الفائزون هم: "لو هاريسون - Lou Harrison" و"جيسلر كليبي - Giselher Klebe" و"جان لوى مارتينيه - Jean Louis Martinet" و"ماريو بيراجاللو - Mario Piragallo" و"ڤلاديمير ڤوجل - Vladimir Vogel" وقال إن الأكثر أمانة كان أن تعطوهم "حسنة" بدلا من تلك اللعبة التمثيلية، و"بعيداً عن عملية الاستعراض التى يقوم بها أصحاب البنوك". ثم أنهى رسالته باقتراح أن يكون المشروع القادم مؤتمرا عن "دور العازل الطبى فى القرن العشرين"، وقال إنه سيكون موضوعا "أكثر لياقة" من المبادرات السابقة(٢٤). أصابت الرسالة "نابوكوف بالذهول، وقال إنه يتمنى ألاّ يعثر أحد على تلك الرسالة فى قاع أحد الأدراج فى المستقبل لأنها " إهانة لذكائه وقدرته على الحكم على الأشياء". ولأنه لم يكن لديه الوقت ولا الطاقة لكى يواصل مناقشة الأمر، طلب "نابوكوف" من "بوليز" ألا يعاود الكتابة إليه.

وإلى جانب دعم وتمويل أولئك المؤلفين والموسيقيين الذين حضروا مهرجان "روما"، كانت مؤسسة "فارفيلد" تغدق على جماعات وفنانين آخرين من خلال المنح، والتى كان معظمها يتم حسب تقدير "چوسلسون". فى شهر يناير أعطت "أوركسترا موتسارت الأكاديمى" فى "سالسبورج" ٢٠٠٠٠ دولار لكى يعد برنامجا عالميا لأوركسترا الشباب. ومن صندوق الدعم الخاص الذى وضعته "مؤسسة فارفيلد" تحت تصرفه، كافأ "چوسلسون" المؤلف البولندى المنفى "اندرزيج پانوفنك - Andrzej Panufnik" الذى كان قد هرب بطريقة مثيرة ومرعبة من "وارسو" إلى "لندن" عن طريق "زيورخ" كافأه بمنحة زمالة سنوية غير مشروطة قيمتها ٢٠٠٠ دولار تدفع على ١٢ قسطا "شهريا". وكما يقول "نابوكوف فإن "پانو-ٺك" الممتن لذلك أعلن أنه " على كامل الاستعداد للتعاون معنا لأنه مقتنع تماما بمبادئ منظمة الحرية الثقافية"(٢٥). وفى سبتمبر ١٩٥٤ أيضا، أقر "چوسلسون" منحة شهرية قدرها ٣٠٠ دولار للموسيقار الرومانى المنفى "چورج اينسكو - George Enesco" معلم المايسترو "ايهودى مينوهن - Yehudi Menuhin" وبعد عام من وفاة "اينسكو" فى ١٩٥٥ تحملت "مؤسسة فارفيلد" نفقات حفل موسيقى لأوركسترا بوسطن السيمفونى إحياء لذكراه، وكان الأوركسترا يقوم بجولة واسعة أخرى فى أوروبا على نفقة الـ"CIA" عن طريق لجنة أوروبا الحرة)(٢٦). وعندما يشير "سى. دى. چاكسون - C. D. Jackson" إلى جولة الأوركسترا الناجحة فى عام ١٩٥٦ يقول متحمسا: "لم تعد" الثقافة" كلمة مخنثة

. إن أمة مثل أمتنا يمكن أن تكون مكتملة الرجولة، ودولة مثل دولتنا يمكن أن تكون ناجحة اقتصاديا وبشكل مذهل، لكن الغريب هو أن المادة التى تجعل الأشياء متماسكة هى معامل المثالية القومية.. إن التعبير الملموس والمرئى والمسموع عن المثالية القومية هو الثقافة. ومن بين كل وسائل التعبير الثقافى تظل الموسيقى هى الأكثر عمومية وانتشارا. ومن بين كل وسائل التعبير عن الثقافة الموسيقية، يظل "أوركسترا بوسطن السيمفونى" هو الأفضل"(٢٧).

كما شهد عام ١٩٥٦ كذلك انطلاقة "أوپرا ميترو پوليتان" فى أوروبا، ومرة أخرى كان "سى. دى. چاكسون – C. D. Jackson" هناك ليقدم دعمه الكامل، فيقول: "الولايات المتحدة تكفل عدة أنشطة، هدفها هو إبراز الصورة الحقيقية لأمريكا فى الخارج. أحيانا ننجح وأحيانا نفشل. ولابد من أن نسلم بأن ذلك عمل ملتبس وغير محدد. لكن المجال الأقرب إلى النجاح فيه على ضوء التجربة هو إظهار صورة أمريكا، وبالطبع.. على شرط أن يتم اختيار ما يعبر عن الثقافة الأمريكية بذكاء، وألا نرسل إلى الخارج إلا كل ما هو ممتاز. وأعتقد أن "أوپرا ميتروپوليتان "Met" سوف تثير الإعجاب"(٢٨). هيئة الاستراتيچية النفسية "PSB" التى كانت قد دعت "چنكى فليشمان" عام ١٩٥٢ لحل مشكلة تمويل الجولة، قامت بالاتفاق مع "چاكسون" واستطاعا تدبير مبلغ ٧٥٠٠٠٠ دولار لهذا الغرض. الجزء الأكبر من المبلغ جاء من الـ"CIA" وبالرغم من أن "سى. دى. چاكسون – C.D. Jackson" اعترف بأن ذلك "كان مبلغا كبيرا على دعاية ثقافية"، إلا أنه كان يحث "ألن دالاس – Allen Dulles" على ألا يهون من شأن المكاسب التى يمكن أن تتحقق من جراء ذلك، وعلى أن "هذا التأثير سيكون ذا شأن عظيم فى عواصم أوروبا الغربية بما فيها برلين"(٢٩) ووافق "چنكى" معبرا عن منطقه الانتهازى: "فى الولايات المتحدة نحن بوتقة انصهار، ولأننا كذلك فنحن نبين للعالم أن الشعوب يمكن أن تسير مجتمعة، بصرف النظر عن الجنس واللون والمعتقد. وباستخدام "بوتقة الانصهار" أو غيرها من العبارات أو الشعارات الجذابة فى موضوع ما، قد يكون فى استطاعتنا أن نستخدم "أوپرا ميترو پوليتان "Met" كنموذج عن التقاء الأوروبيين وتقاربهم فى الولايات المتحدة وبالتالى فإن نوعا من "الفيدرالية الأوروبية" يصبح قابلا للممارسة"(٣٠). هكذا كان أقطاب الحرب الباردة ينسجون خيوط شبكة العنكبوت بينما يمكن استخدام "أوپرا ميترو پوليتان" لحشد الجماهير حول فكرة "فيدرالية" العالم الحر.

وفى الوقت الذى كان فيه "سى. دى. چاكسون" يعمل من أجل تنفيذ فكرة الـ"PSB" (هيئة الاستراتيچية النفسية) لكى تقوم "أوپرا ميترو پوليتان" بجولتها،

كان مشغولا كذلك بجانب أخر من برنامج شركة الأوبرا أكثر إثارة للجدل. في مارس ١٩٥٢ كان قد نما إلى علمه أن "رادولف بنج – Rudolf Bing" المدير العام لشركة أوبرا ميتروبوليتان كان يريد أن يشرك "ولهلم فورتڤانجلر– "Wilhelm Furtwangler" كضيف لقيادة الفرقة في موسم ١٩٥٣ – ١٩٥٤ وعندما سئل ما إذا كان يعتقد أن الخارجية الأمريكية قد يكون لديها اعتراض على ذلك، قال "سى. دى" إنه لا يظن أنه سيكون هناك اعتراض مؤسسى "على موضوع "فورتڤارنجلر"، ولكنه حذر من أنه قد يكون هناك " مشكلة علاقات عامة " من جانب أوبرا ميتروبوليتان"، إلا أنه أنهى تحذيره بعبارة مشجعة:" أهم شيء عندى هو أنه عندما يصل إلى هنا لن يكون أحد متهما بما إذا كان هو "وحش بيلسن أم لا؟"(٣١).

وبالرغم من أن اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية كان لابد من أن تعبر عن ذلك على نحو أكثر حذرا، إلا أن أعضاءها كانوا من نفس الرأى. عندما اعترضت المجموعة اليهودية "بيتار – Betar" في فبراير ١٩٥٥ على ظهور "هيربرت ڤون كارايان – "Herbert von Karajan" في عرض في "نيويورك" قدمه "أوركسترا برلين الفيلهارمونى" – لن يحضر محبو الموسيقى حفل هذا المساء الدموى – عندما اعترضت المجموعة، صَدَّرت اللجنة اتحاد الموسقيين الأمريكيين لكى يتصدى لذلك الاحتجاج اليهودى، وفى برقية موقعة من "جيمس ت. فاريل – "James T. Farrell" باسم" ثلاثمائة من قيادات المجتمع الثقافى الأمريكى"، استنكرت اللجنة اعتراض "بيتار" واعتبرته عدوانا على حرية الثقافة، والمثير للدهشة أن اللجنة لم تتخذ موقفا من مزاعم "بيتار" بأن "ڤون كارايان" كان عضوا فى الحزب النازى، بل إنها على العكس وافقت على أن ذلك كان "حقيقة يؤسف لها". بيد أن التهمة "لم تكن لتنطبق على الطبيعة غير السياسية لظهور الأوركسترا هنا"، وتجاهلت حقيقة أن "أوركسترا برلين الفيلهارمونى" قد "قدم خدمة جليلة لقضية الثقافة الحرة فى أوروبا، وأنه يرمز لمقاومة أهالى "برلين" الشجاعة ضد الشمولية الشيوعية التى تحيط بمركزهم المعزول"(٣٢). وانتهت البرقية إلى اقتراح بأن يوجه جزء من أرباح جولة الأوركسترا لمساعدة ضحايا النازية.

كان من الواضح أن اللجنة الأمريكية لم تكن مدركة أنها تبتعد كثيرا عن "بيان المبادئ" الصادر فى عام ١٩٥٢، والتى كانت قد أعلنت فيه أنها ستكون "معنية بشكل أساسى بالقضايا السياسية لأنها تؤثر على ظروف حرية الثقافة والإبداع الثقافى. وبالتالى فهى ضد الشمولية، لأن الشمولية من أى نوع هى ضد تلك الشروط"(٣٣). كان البيان نفسه قد دان "تلك الحقيقة الواضحة والمخجلة، وهى أن الشيوعيين

والمتعاطفين معهم يحظون إلى اليوم بقدر من الاحترام فى الدوائر الثقافية والفكرية، لم يحظ به نازى أو فاشستى جديد".

ويبدو أمرا مثيراً للدهشة أن تتعامى اللجنة الأمريكية عن التناقض وعدم الاتساق الأخلاقى فى موقفها من أفراد مثل "فون كارايان" و "فورتفانجلر". بعد ثلاثة أشهر ، كان "چورچ كينان – eorge Kennan ، أحد مهندسى استخدام الثقافة لخدمة الأهداف السياسية للحرب الباردة – يكشف عن أنه كان هو الآخر عرضة لمثل ذلك اللبس. فى كلمته أمام المجلس العالمى لمتحف الفن الحديث فى ٢١ مايو ١٩٥٥، أبدى أسفه الشديد لأن: " فى السنوات الأخيرة ظهر توجه كريه، وهو توجه شمولى فى الحقيقة، هذا التوجه هو الحكم على صلاحية الإسهامات الثقافية على ضوء اللون السياسى الذى نتصوره لأصحابها. وأنا لا أعرف شيئا أكثر سخفا من ذلك، فلوحة من اللوحات لن تكون أكثر أو أقل قيمة لأن الفنان كان ينتمى ذات يوم لذلك الحزب أو غيره، أو لأنه شارك فى تلك الجماعة أو غيرها. وقيمة الحفلات الموسيقية تبدو لى غير متأثرة بطبيعة النظام السياسى الذى عاش فى ظله قائد الأوركسترا وقدم أعماله.. وبعد كل شىء، فإن الأحداث الثقافية ليست مكانا للمعروضات السياسية الحية، نقدم فيها بشرا لكى نعجب بنقاء ملامحهم الأيديولوچية"(٣٤).

وهكذا وجد أقطاب الحرب الباردة الثقافية الأمريكيون أنفسهم واقعين فى تناقض خطر: بينما "بعبع" النازية يحتفى به، كانوا يطالبون – وبحدة – بفصل الفن عن السياسة، لكنهم عندما يتعاملون مع الشيوعية لا يكونون على استعداد لممارسة ذلك الفصل. هذا المنطق "اللامنطقى" الفاضح، كان قد برز على السطح فى أواخر الأربعينيات أثناء تطهير ألمانيا من النازية. وبينما كان "فورتفانجلر" يُكَافأُ بقيادة فرق موسيقية ذات مستوى رفيع إلى جانب "ايهودى مينوهين – Yehudi Menuhin" كان "ميلفن لاسكى "يسخر من برتولد برخت– "Bertolt Brecht" على صحفات" دير مونات"(٣٥). كان الطرح الأساسى للحرب الباردة الثقافية التى كان يقوم بها "مؤتمر الحرية الثقافية" هو أن على الكتاب والفنانين أن ينهمكوا فى الصراع الأيديولوچى. وهذا ما يفسره "لى وليمز – Lee Willams من الـ "CIA" بقوله: "أنت تتكلم عن الكتاب البارزين، والرسامين والموسيقيين البارزين، الذين كانوا على استعداد للارتباط بفكرة الصراع من أجل ما يسميه "كامو" :"الأدب الملتزم" والشخص الملتزم لا يكون كذلك بمجرد الكتابة، وإنما بالكتابة كتعبير عن منظومة قيم، وقد كنا مع ذلك، كنا معه ودعمناه"(٣٦).

لكنه كان أمرا مزعجا أن يتحلل أقطاب الحرب الباردة الثقافية من ذلك عندما

يروق لهم أن يتحللوا منه، ولم يكن هناك مثل ذلك التسامح مع المتعاطفين أو المحايدين الذين كانت اللجنة الأمريكية تريد أن تكشفهم. لم يكن هناك من يستطيع أن يقول بجدية – على الأقل فى منتصف الخمسينيات- إن الشيوعية يمكن أن تعتبر العدو الرئيسى والطاغى بالنسبة للحرية الثقافية فى داخل الولايات المتحدة. لكن المحترفين من أعداء الشيوعية – شأن كل المحترفين – كانوا يريدون حماية سوقهم وتوسيعها. وبعملية حسابية تقريبية يتضح أن جماعات الضغط المنظمة المعادية للشيوعية فى أمريكا فى الخمسينيات – وهى الفترة التى تمثل الحد الأدنى الذى وصل إليه الطابور الخامس – كانت منتشرة بشكل لم يسبق له نظير. ولأنه لم يكن هناك أى خطر شيوعى فى أمريكا يستحق المقاومة، فقد كان المعادون للشيوعية فى الحقيقة يعتبرون "مربوطين بجسد ميت" إن جاز لنا أن نعدل عبارة " تشرشل – Churcill" قليلا.

كان "چيمس ت. فاريل – JamesT. Farrell" قد تنبأ بدقة فى عام ١٩٤٢ بأن "الزملاء سوف يتجمعون ببطء وبالتدريج حول ر.حد، أثق بأن الزملاء سيفعلون ذلك. لدى ثقة كبيرة بقدرتهم على أن يصبحوا شرطة لى وحراسا على روحى. إيمانى راسخ بقدرتهم على أن يصبحوا مخجلين. لا يمكن لأحد أن يهز هذا اليقين الثابت لدى. كل أولئك الملائكة الصغار الأوصياء على روح أمريكا"(٣٧)، والآن: كان العنصر المتشدد فى اللجنة قد اكتسب سمعته المريبة كـ " فريق من أجل الحقيقة". كانت اللجنة تبدو وكأنها فقدت كل معنى للاتساق وانحرفت بعيدا عن هدفها المعلن، وهو تقوية الظروف الاجتماعية والسياسية اللازمة للإبداع الثقافى والنشاط الفكرى. كتب "شليزنجر" يعبر عن شعوره بالاشمئزاز بسبب "عناصر الانتقام فى مطاردة رفاق المسيرة، كما لو كنا نخوض فى الخمسينيات، المعارك القديمة نفسها التى كنا نخوضها فى الثلاثينيات والأربعينيات.. إن لدينا الآن أشياء أفضل ينبغى أن نقوم بها، بدلا من تسديد الديون القديمة. وإن لجنة مكرسة للحرية الثقافية، من النادر أن تخطئ إذا كانت سمحة الفكر"(٣٨). ومن جامعة "كورنل" كتب زميل إلى "صول شتاين – Sol Stein" وبنفس الروح تقريبا: "صول... إن ما أنت فى حاجة إليه يا بنى هو نفحة من الهواء النقى فى شمال "نيويورك" أو " انساس" أو "سياتل".. أو أى مكان آخر فيما عدا وسط "مانهاتن". هل أنت واثق بأن تلك المعارك الأدبية الحادة فى أواخر الثلاثينيات ومعارك اليوم أيضا، ذات أهمية فى تاريخ الولايات المتحدة ؟"(٣٩).

كان ذلك هو لب الموضوع، كان تاريخ أمريكا الثقافى يتأرجح على مدى العقدين الأخيرين من اليسار ليمزق اليمين ومن اليمين ليمزق اليسار، وكان منظر الناس وكل منهم يمزق أمعاء الآخر على هذا النحو أمرا يدعو للأسف، وبانقسام إلى

إقطاعيات أكاديمية متناحرة، أغفل كلا الفصلين الحقيقة المهمة وهى أن الاستبداد السياسى سواء أكان على شكل "مكارثية"، أم معاداة ليبرالية للشيوعية، أو "ستالينية"، إنما كان يتمحور حول رفض ترك التاريخ يقول الحقيقة. يقول "جاسون ابيشتين Jason Epstein" بشكل محدد: "كل شيء فاسد ولا أحد يعرف ذلك، عندما يتكلم أولئك الناس عن "الثقافة الضد" فإن ما يفعلونه هو أنهم يقيمون منظومة قيم فاسدة وزائفة من أجل دعم الأيديولوچية التى يكونون ملتزمين بها آنذك مهما كانت، والشىء الوحيد الذى يكونون ملتزمين به فى الحقيقة هو السلطة، وإدخال الاستراتيچيات القيصرية - الستالينية فى السياسية الأمريكية. وهم فاسدون جدا.. ولا يعرفون ذلك أيضا. إنهم أجهزة كذب صغيرة. الناس الذين لا يؤمنون بأى شىء.. ولكنهم فقط ضد شىء ما، ولا ينبغى أن يخرجوا فى حملات أو أن يشعلوا الثورات"(٤٠).

وتعليقا على علاقة كثير من أقطاب الحرب الباردة من المثقفين بالشيوعية يقول "چورچ ايربان - George Urbane" أحد مدراء "إذاعة أوروبا الحرة" إن ذلك كان نتيجة دافع لأُيَقَاومُ " للجدل والمبارزة والقتال بصرف النظر عن الأهداف تقريبا"(٤١). كانت احتجاجاتهم حادة وكلبيتهم صارمة وتحليلاتهم تعكس الحياة التى يعتقدون أنهم تركوها وراءهم. كانوا يسيرون بخطى عكسية، لكن بانتظام طوال الوقت"(٤٢).

أما "چوسلسون" الذى كان يتعافى من عملية جعلته قعيد كرسى متحرك - وإن كان قادرا على العمل - فكتب إلى "سيدنى هوك - Sidney Hook" يقول: إنه كان "أكثر اقتناعا من ذى قبل بأن موتا طبيعيا للجنة الأمريكية الحالية سوف يكون أفضل شىء يمكن أن يحدث لكل من يهمه الأمر.. هذه مجموعة غير متجانسة (كذا) لكى تقوم بشىء فى أى ميدان سوى ميدان الشجارات التافهة"(٤٣). كانت إحدى وسائل تأكيد موت اللجنة، هى سحب الإعانات وإيقاف الدعم، وهو ما فعله "چوسلسون" فى أكتوبر ١٩٥٤، وكانت الإيداعات الشهرية التى تقدمها "فارفيلد" للجنة الأمريكية قد توقفت منذ أوائل ١٩٥٣. والآن، بعد سحب المدفوعات السنوية، التى كانت تصل إلى ٤٨٠٠ دولار، لمكتب "باريس" أصبحت المجموعة فى مواجه دمار مالى وشيك.

فوجئ "سيدنى هوك" الذى كان قد أنشأ اللجنة بقرار المنظمة بوقف الدعم المالى، تجاهل إصرار "چوسلسون" على أن يرى اللجنة تموت تلقائيا، وذهب مباشرة (هوك) إلى "آلان دالاس - Allen Dulles" يطلب نجدة مالية. كما تم إبلاغ "صول شتاين - Sol Stein " بالموقف (وحذر من أن فقدان المثقفين الأمريكيين لصوتهم فى أوروبا الغربية بسبب احتياجهم لعشرين ألف دولار سنويا سيجعل "جيبون -

"Gibbon" جديدا يشرع فى سن قلمه) كما تم إبلاغ " نورمان توماس – Norman Thomas المرشح الاشتراكى السابق للرئاسة الأمريكية، والذى كان يشغل الآن منصبا تنفيذيا فى اللجنة الأمريكية. وإلى جانب ذلك فإن كلا الرجلين كان يحشد مجتمع المخابرات عن طريق صديقنا الدكتور ليلى – Lilly أحد ضباط الـ :"PSB" "هيئة الاستراتيجية النفسية" وأحد مستشارى الـ"CIA" ولأن "شتاين" كان يعرف أن "نورمان توماس" كان صديقا حميما لـ "ألن دالاس" بالإضافة إلى أنه جاره، اقترح "شتاين" أن يتصل "توماس" بـ "دالاس" تليفونيا "ليذكره" باهتمامه بما كنا نقوم به، وبأن السرعة فى مساعدتنا مطلوبة وضرورية"(٤٤). وكان رد "توماس" أن " الاتصال بـ "دالاس" قد يكون ضرره أكثر من نفعه إذا لم يكن هناك سبب آخر أكثر إلحاحا"، ولكنه قال إنه "لو كانت هناك فرصة أن يجىء "دالاس" إلى البلد فى نهاية الأسبوع فسأحاول الاتصال به يوم الأحد"(٥٤). كان ذلك فى أبريل ١٩٥٥، وبحلول شهر مايو، كان حساب اللجنة قد عمر بأربعة آلاف دولار من "مؤسسة آسيا" التابعة للـ "CIA" وبعشرة آلاف من "فارفيلد". وهُزِمَ "چوسلسون".

والآن، كان "آرثر شليزنجر – Arthur Sc·esinger" يكتب بأسى إلى "كورد مايور – Cord Meyer" يشكو من " أعضاء معينين "فى اللجنة التنفيذية من الذين دعم موقفهم سخاء الـ"CIA"، وكانوا يمارسون شعورهم بتضخم الذات وبالأهمية. رد عليه "مايور" بقوله: "من المؤكد أننا لا نخطط للاستمرار فى تقديم مساعدات على نطاق واسع، أما المنحة الوحيدة التى قدمت مؤخرا، فقد تمت نتيجة طلب ملح من "سيدنى هوك" وبطريق غير مباشرة من "نورمان توماس". ونحن نأمل أن تستخدم مساحة التقاط الأنفاس التى تحققها هذه المساعدة بواسطة أمثالك والآخرين العاقلين، من أجل إعادة تنظيم العمل فى اللجنة التنفيذية ووضع برنامج ذكى.. أما إذا اتضح أن إعادة تنظيم القيادة أمر مستحيل، فأعتقد أنه سيكون علينا مواجهة ضرورة أن نترك اللجنة تموت موتا طبيعيا، بالرغم من اعتقادى أن هذا المسار سيكون له أصداء سيئة فى الخارج".

وفشلت تماما استراتيجية " دالاس – مايور " كما كان يخشى "چوسلسون" دائما. لم يحقق ضخ المزيد من الدولارات سوى تأجيل لحظة الصدام الأخير بين مطلقى المدافع فى "نيويورك" والخبراء المطلعين على الأمور فى "پاريس". وفى ظرف أقل من عام انفجر وظهر إلى العلن عدم الثقة المتبادل، الذى كان قد طفا على السطح لأول مرة بعد احتفالية "نابوكوف" فى "پاريس" عام ١٩٥٢. ففى ٢٦ مارس ١٩٥٦ نشرت "مانشستر جارديان" رسالة من "براتراند راسل – Bertrand Russell" تشير إلى "الأعمال الفظيعة التى ارتكبها الـ "FBI" مكتب التحقيقات الفيدارلى – أثناء

محاكمة "آل روزنبرج – The Rosenbergs"، وشَبَّهَ أمريكا بغيرها من الدول البوليسية مثل ألمانيا النازية وروسيا ستالين". كان رد فعل "چوسلسون" سريعا، فاقترح على "إيرڤنج كريستول" أن يبحث عن "مراسل أمريكى ذكى فى لندن "لكى يجرى حوارا مع" راسل "بحيث يستطيع أن يكشف فيه: أن" راسل "لم يأت بأى دليل جديد فى قضية "آل روزنبرج" وأن ما كتبه كان يستند إلى بعض الدعاية الشيوعية التى لم يعد قادرا على التمييز بينها وبين الحقيقة بسبب الشيخوخة(٤٧).

لكن بينما كان "چوسلسون" يستعد لنفيه مزاعم "راسل" عن طريق لقاء صحفى معد جيدا، قررت اللجنة الأمريكية أن تخوض فى ذلك الوحل قبله. أرسلت رسالة احتجاج إلى "راسل" مباشرة تتهمه بـ "الانحراف عن الموضوعية والإنصاف بشكل غير مألوف"، وبتقديم "خدمة جليلة للأعداء الذين كنا نتصور أنك تحاربهم". فهل وضع "راسل" فى اعتباره "اللياقة كصديق للحرية الثقافية، وخاصة أنه كان أحد أعضاء المنظمة، قبل أن يصدر مثل تلك الأحكام الزائفة وغير المسئولة بشأن العدالة فى الولايات المتحدة ؟ "(٤٨). لم يكن مفاجئنا أن يكون رد "راسل" على الرسالة هو الاستقالة من الرئاسة الفخرية للمؤتمر.

غضب "چوسلسون"، ولم يكن غضبه لأن الرسالة التى أرسلت إلى "راسل" قد نقلت إلينا بشكل متعجرف فقط". لم يكن من المتصور أن يتم اتصال كهذا عن طريق أى فرع للمنظمة دون موافقة "چوسلسون" مسبقا. وبعد دعوة عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية فى "پاريس" لاجتماع طارئ يعقد بشكل قانونى، وجه "چوسلسون" اللوم رسميا للمجموعة الأمريكية لعدم "تشاورها معنا عند اتخاذ أى موقف فى داخل المنظمة، الأمر الذى يؤدى إلى نتائج دولية خطيرة"(٤٩). كان الوقت قد فات لاستعادة "راسل"، التى كانت تلك الاستقالة الرابعة من المنظمة هى استقالته الأخيرة. وفى يونيو ١٩٥٦ تم حذف اسمه من ترويسة أوراق المنظمة الرسمية.

ولكن المشكلة لم تنته بذلك. بعد شهرين، تناثرت أخبار عن استقالة " چيمس– James T.Farrell" الرئيسى القومى للجنة الأمريكية. وبينما كان عداؤه للشيوعية واضحا، إلا أنه لم يصمد أمام ظهور عدد كبير من مثقفى "نيويورك" الجدد، من الذين كانت "طليعية پارك أڤينيو" مجرد ذريعة لهم لتقديم عمل أفضل. كان هو نفسه قد تخلى عن السياسة قبل ذلك وكتب إلى "مايور – "Meyer" "شاپيرو- Meyer Shapiro" فى ١٩٤١: "لقد أصبحت مقتنعا بأنه ليس هناك الكثير الذى يمكن أن أقوم به فى

العالم هذه الأيام. هناك ما يكفى من الأشخاص الذين يطرحون أنفسهم كرجال دولة. وسوف أتفرغ بكل جد لأعمالى الخاصة"(٥٠). لكن إغراء الحملة الصليبية ضد الشيوعية كان من الصعب مقاومته آنذاك، وقد اضطلع بذلك الأمر بكل عناية، لكنه هزم فى النهاية. لم تهزمه الشيوعية، هزمه حذر رفاق الحملة وضيق أفقهم. كان "چورچ أورويل – George Orwell" قد حذر ذات مرة من أن "سيطرة الفكرة الواحدة والهوس بها والخوف مما يمكن أن يعتبر انشقاقا، ليس فى صالح الملكات الإبداعية". كانت رسالة الاستقالة التى كتبها "فاريل – Farrell " تُعَبِّرُ عن إجهاد الحرب الباردة. كان يشكو: "لم نستطع أن نضرب جذورنا عميقا فى الحياة الأمريكية، لم نستطع أن نسهم بما يكفى فى الحرب ضد الرقابة فى هذا البلد.. لقد حان الوقت لكل من يؤمن بالروح الليبرالية، لكى يبذل جهدا جديدا ليتحقق انبعاثها مرة أخرى.. نحن نقف دائما على حافة أن نصبح لجنة سياسية لها رأى فى السياسة الخارجية وغيرها من القضايا. وبذلك فإننا نخلط بين السياسة والثقافة". كما شرح دوافعه الشخصية للاستقالة والتى كانت تحذيرا مبطنا للكُتَّاب الآخرين فى اللجنة الأمريكية: "إذا كنت أريد أن أكتب على نحو أفضل، فلا بد من أن أُعطِى الكتابة وقتا أطول.. والدراسة أيضاً"(٥١).

كان يمكن أن تكون تلك هى النهاية، لولا أن "فاريل Farrell" اختار أن يعلن استقالته أولا فى "نيويورك تيمز". اتصل بالجريدة فى وقت متأخر من ليلة الإثنين ٢٧ أغسطس ١٩٥٦ ويبدو أنه كان فى حالة عدم توازن بسبب الشراب. أبدى اعتراضه على اللجنة الأمريكية لفشلها فى أن تكون متماسكة كمؤسسة جماهيرية، ولعجزها عن القيام بشىء بخصوص الرقابة فى الولايات المتحدة، ولعدم اهتمامها بالحريات المدنية فى أمريكا، ولميوعة موقفها من قضية "مكارثى". واختيرت "ديانا تريللنج – Diana Trilling" بواسطة مجلس الإدارة ، لقبول استقالة "فاريل – Farrell"، ونفذت ذلك برسالة كانت كلها احتقار شديد.

وفى "پاريس" قوبل خبر استقالة "فاريل" باستياء شديد من "مايكل چوسلسون" الذى كتب غاضبا: " لا نستطيع أن نفهم لماذا لم تستخدم اللجنة مهلة الأربع والعشرين ساعة بين تلقى "مسز تريللنج" للاتصال، وإبلاغ الموضوع للصحافة، حتى تعطى "چيم فاريل" فرصة لسحب بيانه الأصلى واستبداله ببيان عن استقالته، يمكن أن يكون مناسبا لكل من يهمه الأمر"(٥٢).

كـان الكيل قـد طفح. عندمـا تلقى "إيرڤنج براون" رسـالة تطلب منه دفع مستحقات ثلاث سنوات متأخرة للجنة الأمريكية، تجاهل الأمر بكل بساطة. انسحب "چنكى فليشمان" من مجلس إدارتها فى أكتوبر ١٩٥٦ مبررا ذلك بانشغاله الشديد بعملية "پاريس"، وفى ٣١ يناير ١٩٥٧ كتب "سيدنى هوك" إلى "نابوكوف" يقول: "إن اللجنة الأمريكية قررت أن تعلق حياتها التنظيمية النشطة بسبب صعوبات مالية.

(١٥)

صبية "رانسوم"(*)

فى رأيى أن الـ "CIA" لم تنهمك فقط فى حرب باردة ثقافية بالأسلوب المجرد والعملى، وإنما كان أمامها أهداف محددة، وكان لها مبدأ محدد... كانت الـ"CIA" تسعى من أجل ثقافة راقية.

"ريتشارد ايلمان"

فى سبتمبر ١٩٥٤ تسلم "كورد مايور - Cord Meyer" قسم المنظمات الدولية "IOD" من توم "برادن" الذى تقاعد(١) من الـ "CIA" وانتقل إلى "كاليفورنيا" ليحرر جريدة اشتراها له "نلسون روكفلر- Nelson Rockefeller" ورث "مايور" منظمة تمثل التركيز الأكبر والوحيد للأنشطة السياسية والدعائية السرية للـ "CIA" التى كانت قد أصبحت مثل الأخطبوط(٢). إلى جانب أن ذلك تم فى جو كان يتجه لأن يصبح أكثر ملاءمة للنشاط السرى، كما يوضح تقرير "سرى للغاية" قدم للرئيس "إيزنهاور" فى الشهر نفسه: "ما دامت هى سياسة قومية، فهناك مطلب آخر مهم لأن تكون منظمة سرية شبه عسكرية، سياسية ونفسية أكثر تأثيرا، وأقوى تماسكا، بل وتكون أكثر عنفا من تلك التى لدى الأعداء إذا لزم الأمر. ولا ينبغى السماح لأحد بأن يقف فى طريق تحقيق هذه المهمة. من الواضح الآن أننا نواجه عدوا عنيدا، هدفه المعلن هو السيطرة على العالم بأية وسيلة ومهما كان الثمن. لا توجد قواعد لهذه اللعبة، وإذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تبقى على قيد الحياة فلا بد من إعادة النظر فى مفاهيم أمريكا القديمة عن "اللعب النظيف".. وربما يكون من الضرورى أن يحاط الأمريكيون علما بهذه الفلسفة الكريهة ويفهموها.. ويؤيدوها"(٣).

على أن أهمية الـ "IOD" قسم المنظمات الدولية - لم يكن يعبر عنها فقط بحجم الموظفين الذين يعينون به. كان "توم برادن" قد حاول على قدر ما يستطيع أن يشجع مساعده ويحفزه على العمل، ولكنه كان يُواجَهُ منه بكل لا مبالاة وعدم اكتراث،

(*) رانسوم - Ransom هو الشاعر "جون كرو رانسوم" و"الصبية" إشارة إلى مجموعة الشعراء الذين أخذهم تحت جناحه فى "كينيون كولدج" التى كان يقوم بالتدريس فيها عام ١٩٣٨ (المترجم)

"كان اسمه المقدم "بافنجتون – Buffington"، وكما يقول "برادن" عنه: "كان يتقدم بمذكرات مكتوبة في كل مكان لكنه لا يفعل شيئا". "كان خبيرا في إضاعة الوقت، لا يفعل أي شيء على مدار اليوم. يأتي في التاسعة، يعلق قبعته، يقرأ "نيويورك تيمز" ثم يعود إلى البيت"(٤). وفي محاول هزلية لمتابعة هذه النوعية من كبار المسئولين الذين كانوا يجيئون إلى "باريس" كان "جوسلسون" وزملاؤه المقربون يشيرون اليهم بـ"جورج الأول" و"جورج الثاني" و"جورج الثالث" وهكذا. كان "لي وليمز" هو "جورج الرابع" كما كان يعرف أيضا – على سبيل المزاح – بـ "النيكل والدايم" وهو تنويع على اسمه الكودي، وأحيانا كان يدعى بـ "مستر روشستر". كان "وليمز" يترك عن نفسه انطباعا أفضل منه لدى معظم الذين سبقوه. كان ملما بثقافتين بيروقراطيتين: ثقافة الـ "CIA" وثقافة المنظمة، وكان هناك تناقض بوهيمي بيِّنٌ في ذلك. يقول "وليمز": أذكر أنني كنت أقود السيارة مع كورد (مايور) "في باريس" ذات مرة بعد لقاء مع "مايك" عندما التفت "كورد" إليَّ وقال "أنت تعرف يا" لي "أن" مايك " كان يحبك فعلاً. "ابن القحبة! كن يبدو مندهشا. لكن "مايك" يحبني لأنني لم أحاول قط أن أعلمه كيف يقوم بواجبه، كنت أجلس تحت قدميه، كنت أحترم رغباته"(٥). لكن حليف "جوسلسون" الحقيقي كان هو "لورانس دونيقي"، والذي كان يريد أن يعود إلى بلاده بعد أن قضى عشر سنوات في أوروبا. وبعد تعيينه في وظيفة سرية جديدة في مكتب "إذاعة أوروبا الحرة" في "نيويورك" غادر "باريس" في أواخر عام ١٩٥٣ .

لم يكن "دونيقي" نموذجا سهلا للاحتذاء، وجاء بعده "جوسلسون" الذي كان يرى أن رجال المخابرات التابعين للمنظمة مجرد "سعاة". تقول "ديانا "جوسلسون": "في بداية عمل الـ "CIA" كان هناك أشخاص مثيرون للاهتمام، أكفاء، مثل "لورانس دونيقي" كانت قلوبهم في المكان الصحيح. لكنهم أصبحوا فيما بعد أقل اهتماماً وأقل أهمية.. وقل إعجاب "مايكل" بهم. كان أحد رجال المخابرات يظهر من وقت لآخر وكنت أرى أن "مايكل" يحاول أن يفك الارتباط بهم لكنهم كانوا متمسكين بالعمل. لم يكن "جوسلسون" يطلب منهم أشياء أساسية. كان صديقا لهم يتحدث معهم عن أسرهم وأعمالهم وأعتقد أنهم كانوا معجبين به. لكن "مايكل" كان مصرا على حماية المنظمة من الوكالة، ومن احتمال افتضاح أمر العلاقة بينهما"(٦).

وفي تقدير "ديانا" أن العلاقة بين "مايكل" وزملائه في الوكالة أصبحت أشبه بالتمثيلية: " وحيث إنهم كانوا يريدون أن يظهروا بمظهر المسيطر، فإن "مايكل" كان يرحب بأية فرصة لكي يطلعهم على التطورات، وكان يساعد على استمرار ذلك الوهم لديهم". "ديانا" التي كانت تسهر على راحة كبار المسئولين بتنظيم حفلات الكوكتيل

الإجبارية عندما يأتون إلى مسكنهم، كانت فيما بعد تعتبرهم "شرا لابد منه". "كانت خادمتي أكثر أهمية منهم بالنسبة لي"(٧).

كانت إحدى مشكلات "كورد مايور" هي صعوبة اجتذاب عدد من موظفي الوكالة إلى إدارته، ولم يكن السبب هو قلة عدد المرشحين لذلك. في منتصف الستينيات، كانت الـ"CIA" تتباهي بقدرتها على أن يكون لها عملاء في أية كلية. كان ٥٠٪ منهم من الحاصلين على تقديرات عالية و٣٪ من الحاصلين على الدكتوراه الأمر الذي جعل أحد المسئولين في وزارة الخارجية يقول: "هناك عدد من المثقفين الليبراليين في كل بوصة مربعة من الـ "CIA" أكثر مما هو هناك في أي مكان آخر من الحكومة". لكن هذه النماذج الجامعية لم تلتحق بالوكالة لكي تقوم بما كان يمكن القيام به في الحرم الجامعي. كانوا يبحثون عن المغامرة. يقول مسئول الـ "CIA" دونالد چيمسون - Donald Jameson" كانت النظرة إلى الأشخاص الموجودين في الـ"IOD" - قسم المنظمات الدولية - من قبل كثيرين في الوكالة، هي إنهم: "زغب جانبي" وخاصة أولئك الذين كانوا يشعرون بأن ما يقومون به مجرد هراء، مثل النشاط في العمل السري وتجنيد الجواسيس والحصول على وثائق.. إلخ(٨) ويؤكد "لوارنس دونيڤي": "كان بعض العاملين في الـ "CIA" يرون أنه ليس من الصواب إنفاق كل تلك المبالغ على أولئك اليساريين"(٩). لذا بدأ " كورد مايور " ينظر في اتجاه آخر.

يقول "لي وليمز": "كورد" جاء بنوعية ثقافية فريدة، كانت له صلات قوية بالمجتمع الثقافي في أمريكا، وكان يكن احتراما كبيراً لرجال الأدب والفكر"(١٠). عندما التحق "مايور" بجامعة "ييل" في عام ١٩٣٩ كان يدرس الشعر الإنجليزي "بدءا من شعراء الميتافيزيقا في القرن السابع عشر إلى الشعراء المحدثين مثل "ييتس - Yeats" و"ت. اس. إليوت - T.S. Eliot" تحت إشراف البروفيسور "ماينارد ماك - Maynard Mack" الذي ترك فينا احتراما شديدا لعظمة ذلك الإنجاز، وطموحا كبيراً في كثير منا لكي نحاول أن نكتب مثلهم"(١١). حاول "مايور - Meyer" أن يكتب الشعر ونَشَر بعض القصائد "المقبولة" في مجلة "ييل ليت - Yale Lit" التي أصبح محررها فيما بعد.

تخرج "مايور" في عام ١٩٤٢ بامتياز في الأدب الإنجليزي، لكن الحرب أحبطت طموحاته الأدبية، حيث قتل فيها شقيقه التوأم، وفقد هو نفسه إحدى عينيه في "جوام" عندما انفجرت قنبلة يابانية تحت قدميه (بعد ذلك كان اسمه الكودي في

الـ "CIAسيكلوب – Cyclop (*) ثم كتب عددا محدودا من المقالات وأصدر مذكراته (بعنوان : فى مواجهة الحقيقية) فى عام ١٩٨٠.

وكمحرر لمجلة "بيل ليت"، كان "مايور" يسير على خطى "چيمس چيسس أنجلتون – James Jesus Angleton الذى أصبح الرئيس الأسطورى للمخابرات المضادة فى الـ"CIA" كان "أنجلتون" شخصية أدبية راديكالية، وهو الذى قدم "إزرا باوند– Ezra Pound لجامعة "بيل" وأسس مجلة "فيوريوزو – Furioso للشعر (ظهر اسمه كمحرر للمجلة على الترويسة حتى عندما كان رئيسا للتجسس المضاد فى روما). كان "أنجلتون" هو وسيلة الاتصال الرئيسية فى ما أصبح يعرف بـ "المصدرp" تشير إلى البروفيسور) وهو يصور علاقة الوكالة برابطة زملاء الدراسة فى الجامعات العريقة. كان من بين الأعضاء البارزين فى "المصدر P وليم سولان كوفين – William Solane Coffin" أحد خريجى "بيل"، وكان "آلان دالاس" هو الذى جنده. يقول "كوفين" وهو يتذكر فيما بعد قراره بالالتحاق بالوكالة: "ستالين" جعل "هتلر" يبدو مثل فرد فى فريق كشافة. كنت شديد العداء للسوفيت. وفى هذه الحالة الذهنية، كنت أرقب الحرب الكورية، لكننى لم أتابعها عن كثب أو أسأل عن أسبابها. وعندما تخرجت فى "بيل" عام ١٩٤٩ فكرت فى أن التحق بالـ "CIA" لكننى التحقت بدلا من ذلك بدراسة اللاهوت. وبعد عام فى معهد اللاهوت، وعندما كان شبح الحرب مع الاتحاد السوفيتى يلوح فى الأفق، تركت المعهد للانضمام إلى الـ "CIA" آملا أن أكون مفيدا فى المجهود الحربى. كانت الـ "CIA" تقوم بتمويل اليسار غير الشيوعى: كانت تنفق عن سعة، فى تلك الأيام لم يكن هناك أى خلاف بينى وبين السياسة الأمريكية، ولكن باستعادة الأحداث، أجد أننى لم أكن بتلك البراءة أو النقاء"(١٢). كانت قائمة الذين جندهم "كوفين" لرابطة الجامعيين تضم: "آرشى روزفلت – Archie Roosevelt"، الذى كان قد درس الإنجليزية فى "هارفارد" تحت إشراف "موريس بورا – Maurice Bowra" عميد "وادام كولدج – Wadham College" الذى كان معارا من "أكسفورد" لمدة عام) و"كيرميت (كيم) روزفلت – Kermit (Kim) Roosevelt"، ابن عم "آرشى" الذى كان قد سبقه إلى "جورتون سكول" و"هارفارد" بسنوات قليلة.

وكان البروفيسور "نورمان هولمز بيرسون –Norman Holmes Pearson" مصدر آخر من مصادر الاتصال ومثالا للمصدر P) وهو عالم إنسانيات محترم، اشتهر بسبب تحريره لكتاب "شعراء اللغة الإنجليزية"، وهو كتاب من خمسة أجزاء صادر عن "ڤيكنج – Viking"، قام بتحريره مع "دبليو. اتش. أودن – W.H. Auden"،

(*) واحد من جيل العمالقة ذو عين واحدة فى وسط الجبين ، كما جاء فى الأساطير اليونانية (المترجم).

وكان عضوا فى جمعية الدراسات الأمريكية وجمعية اللغة الحديثة ومجلس أمناء مؤسسة "براير- Bryher" ومنفذ وصية تركة الشاعر "H.D". كان "پيرسون أيضا ممن يعملون مع الـ " CIA-OSS مكتب الخدمات الاستراتيجية والوكالة - كما قام بتدريب كثير من العقول الواعدة فى "ييل" من بينهم "أنجلتون - Angleton" و"ريتشارد إيلمان - Richard Ellmann " الذى قام بتجنيده لـ"OSS"(١٣). پيرسون" نفسه كان يعمل مع الوحدة "X-2" فرع التجسس المضاد"، فى الـ"OSS" وعمل فى "لندن" أثناء الحرب تحت قيادة "كيم فيلبى- Kim Philby" الذى كان يصفه فيما بعد بأنه "ساذج". أشرف "پيرسون" أثناء الحرب على تجميع الملفات الخاصة بمليون عميل من عملاء العدو ومنظماته، وكان يرى أن ذلك عمل لابد من استكماله بعد الحرب، بالرغم من مخالفته لمفاهيم "چيفرسون" التقليدية عن الحكم. لكن مثل تلك الاعتراضات الغريبة تم التغلب عليها بسرعة، حيث أصبح لمصطلح "العدو" تعريفا ليبراليا جديدا"(١٤) وبعد عودته إلى "ييل" رأس "تنمية وتطوير الدراسات الأمريكية فى الداخل والخارج. ومثل دراسة المجالات الخارجية، كانت تلك ذات أهمية واضحة، لأنها ساعدتنا على فهم قدرتنا على القيام بدورنا بعد الحرب كحاكم للعالم، وعززت قدراتنا الثقافية بين المحكومين."(١٥). واتساقا مع هذه النظرة جاءت مقدمة "پيرسون" لطبعة كتاب "والدن" من "تأليف "ثورو - Thoreau" ـ يث قلل راديكالية الفرد الأمريكى العظيم إلى أدنى مستوى، وحاول أن يحرره من أى ارتباط بالفوضى، مؤكدا أن كتاباته كانت دعما لنظام حكم أفضل و "رمزا للحرية الفردية التى نحب أن نعتقد أن نمط الحياة الأمريكى يعتمد عليها".

كان "چيمس چيسس أنجلتون" هو أشهر من أخذهم "پيرسون" تحت جناحه. "أنجلتون" من مواليد "إيداهو" فى ١٩١٧ أُرسلَ فى صباه إلى "مالڤرن كولدچ - Malvern College" فى "ورسسترشاير" حيث بذل قصارى جهده ليكون "إنجليزيا أكثر من الإنجليز". استوعب، آداب سلوك العالم القديم التى لم تخذله قط. والحقيقة أن السنوات جعلت منه شخصية أوروبية (كان يقضى إجازات طويلة فى إيطاليا أيضا) واعترضت خلفيته الأمريكية وجعلته يتكلم الإنجليزية بلكنه بريطانية"(١٦). كان فى "ييل" فى الفترة من ١٩٣٧ إلى ١٩٤١ حيث عمل فى مجلة "ييل ليت" إلى جوار "ماك چورچ بندى - McGeorge Bundy"، الذى سيصبح مستشاراً للأمن القومى -فيما بعد- و"والتر ساليڤان - Walter Sullivan" الذى أصبح - فيما بعد- محررا علميا لـ"نيويورك تيمز" والشاعر "إى. ريد ويتيمور ا-بن -E.Reed Whittemore Jr."، وفى عام ١٩٤٨ التقى "أنجلتون" بالشاعر والناقد "إزرا پاوند - Ezra Pound" فى "رايا للو" وأصبحا صديقين حميمين. وكان "پاوند" يصفه -فيما بعد- بأنه "أحد المعقود

عليهم أمال كبار فى الصحافة الأدبية فى الولايات المتحدة". عندما كتب "أنجلتون" وصيته فى عام ١٩٤٩ ترك "زجاجة من الخمر الفاخر "لـ "إزرا پاوند"، و"إى كمنجز – ee Cummings" وشعراء أصدقاء آخرين من مجلة "فيوريوزو – Furioso" وأنهى ما كتبه بما يأتى: "أستطيع أن أقول هذا الآن، وهو أننى أؤمن بروح المسيح وبالحياة الأبدية، وبهذا النظام الاجتماعى المضطرب الذى يكافح أحيانا دون هدى للحفاظ على حق الحرية، والتعبير عن الروح. باسم المسيح أغادركم". وبالرغم من هذه المشاعر، يتذكر "ريد ويتيمور" أن "أنجلتون" (كانت أمه مكسيكية) كان يشعر بالضيق بسبب اسمه الأوسط، لأنه كان يوحى بأنه ليس من الطبقة العليا الإنجليزية، وكانت تلك هى الصورة التى يريد أن يظهر بها"(١٧).

وكصاحب خبرة كبيرة، ولكونه ضليعا فى التآمر منذ العمل فى الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيجية – حمل "أنجلتون" تجربته معه إلى الـ "CIA" حيث أبدى قدرة فائقة فى تدبير المكائد البيزنطية. كان أول نجاح رئيسى له هو التخطيط والتنسيق للحملة الأمريكية السرية لضمان نجاح الديمقراطيين المسيحيين فى انتخابات ١٩٤٨ فى إيطاليا. تلك الحملة التى كان "چورچ كينان – George Kennan" و"ألن دالاس" يتابعانها ويدعمانها، كانت هى أول عمل أمريكى ناجح فى الحرب الباردة السياسية. وكما يقول "كيم فيلبى – Kim Philby" فقد رُقِّى "انجلتون" رئيسا لمكتب الـ "CIA" للعمليات الخاصة فى عام ١٩٤٩، وظل على مدى عشرين عاما مسئولا عن مجموعة العاملين فى المخابرات المضادة، ومسئولا عن كافة الاتصالات مع مخابرات الحلفاء منذ عام ١٩٥٤. كما كان يدير جماعة مستقلة تماما من العاملين فى الصحف يقومون بعمليات شديدة الحساسية والخطورة. كان المعاصرون للـ"CIA" لا يعرفون شيئا عن تلك المجموعة التى كانت تعمل تحت غطاء شديد السرية، وكان "أنجلتون" يحتفظ بكل أسرارها فى خزانة فى مكتبة لا يصل إليها سواه.

كان "أنجلتون" خبيرا فى النباتات وصيد الفراشات والتصوير والأحجار الكريمة والجلود، ومحبا للأوبرا الإيطالية ومعجبا بـ "پول نيومان – Paul Newman" و"روبرت ردفورد – Robert Redford" و"مارلون براندو – Marlon Brando" و"پيتر سيللرز – Peter Sellers" و"شيرلى ماكلين – Shirley Macline" ومباريات الكريكت، وكرة القدم الأوروبية، وباختصار.. كان "أنجلتون" شخصية استثنائية. وكما قالت له "كلير بوث لوس – Clare Booth Luc": "لا شك فى أنك أبرز شخصية مثيرة للاهتمام، وجذابة، أنجبها عالم المخابرات. أنت أسطورة حية"(١٨). قامة طولها ستة أقدام تقريبا، وثياب داكنة اللون دائما .. كان "انجلتون" كما يصفه أحد المعجبين به "له

هيئة" بايرون "نحيلا ومهزول الفكين"، كان صورة صادقة "للشاعر - الجاسوس". ومصدر إلهام لأساطير كثيرة عن الـ "CIA" كامتداد للتقاليد الأدبية الليبرالية في أمريكا.

جذبته شبكة "كورد مايور" واتصالاته الواسعة، أو "المصدرP" إلى "كينيون كولدچ" حيث كان يقوم بالتدريس هناك شاعراه المفضلان "ألن تيت - Allen Tate" و"چون كرو رانسوم - John Crowe Ransom" وهنا، كان أن أسس "رانسوم" في عام ١٩٣٨ مجلة "كينيون ريڤيو - Kenyon Review" وهي المجلة التي شكلت ذائقة جيل كامل. هنا أيضا كان تجمع عدد من المواهب في "دوجلاس هاوس - Douglass House"، وهو مبنى على الطراز القوطي في وسط الحرم الجامعي، كان يعتبر مكانا نموذجيا لجماعة من الشعراء الذين أخذهم " چون كرو رانسوم" تحت جناحه،.هذه المجموعة التي كانت تسمى بـ "صبية رانسوم" كان من بين أعضائها: "روبي ماكولي - Robie Macauley" و"راندال چاريل - Randall Jarrell" و"چون طومسون - John Thomson" و"ديڤيد ماكدويل - David Macdowell" و"بيتر تيلور - Peter Taylor" والشاعر الأكبر منهم "روبرت لويل - Robert Lowell" الذي كان عضوا في الكلية(١٩).

عندما كان طالبا في "أوليڤيت كولدچ - "متشجن" في عام ١٩٣٧، استمع "روبي ماكولي" إلى محاضرات "كاترين آن پورتر - Catherine Anne Porter" و"ألن تيت - Allen Tate" وشاهد "فورد مادوكس فورد - Ford Madox Ford" وهو يجول أرجاء الحرم الجامعي " مثل محارب قديم في حرب منسية"، (كتب "ماكولي" -فيما بعد- مقدمة لطبعة ١٩٦١ من كتاب فورد "نهاية العرض")، وأثناء الحرب خدم "ماكولي" أربع سنوات مع الوحدة "G-2" في فيلق الاستخبارات المضادة في جيش الولايات المتحدة. كان عميلا مختصا بمطاردة واصطياد النازيين ، وقد كتب عن هذه التجربة -فيما بعد- في مجموعة قصص قصيرة بعنوان "نهاية الشفقة " حصل بها على جائزة الكتابة الإبداعية من مجلة "فيوريوزو - Furioso" وبعد حصوله على درجة علمية في الدراسات العليا من جامعة "ايوا - Iowa"، عاد إلى "كينيون كولدچ" لينضم إلى "چون كرو رانسوم" كمساعد له في "كينيون ريڤيو". وفي أغسطس ١٩٥٣ أبلغ "رانسوم" أحد زملائه: "لدى آمال كبار في أن أجعل من "روبي" زميلا إذا لم يلتحق بعمل في الـ "CIA" كما نما إلى علمي"(٢٠). كان "كورد مايور" شخصيا قد عرض على "ماكولي" وظيفة في قسم المنظمات الدولية "IOD"، وبعد أن فكر في العرض في الصيف، قبله". ويقول إن "كورد" جنده لكي يعمل مع "چوسلسون" وأعتقد أنه فعل ذلك لأنه وجد أنه يتكلم اللغة الصحيحة"(٢١).

حصل" مايور: على الصبى الثانى من "صبية رانسوم" عندما جند (چاك) طومسون – John Jack Thompson" الذى أصبح مديرا تنفيذيا لمؤسسة "فارفيلد" فى عام ١٩٥٦، وهو المنصب الذى شغله متعاقدا مع الـ "CIA" لمدة تزيد عن عشر سنوات. وبعد "كينيون" كتب "طومسون" عددا من المقالات المدرسية ومارس درجة من النفوذ فى أوساط "نيويورك" الأدبية. ويتذكر صديقه المقرب "چاسون ابيشتين – Jason Ep-stein"أن "چون كرو رانسوم" وتلك المجموعة الغامضة قد التقطوه، وبعد ذلك التقطه "ليونيل" و"ديانا تريللنج" فى "نيويورك" حيث كان "طومسون" يقوم بتدريس الإنجليزية فى جامعة كولومبيا". "كان آل تريللنج، وهما من المتنفجين، واقعين فى هوى "طومسون" وزوجته، وهكذا اقتراح اسم "چاك" رئيسا لمؤسسة "فارفيلد"، ربما لأنه (تريللنج) كان يريد أن يحصل منها على أموال لصالح "اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية"(٢٢). راقت الفكرة لـ "طومسون" فى ذلك الوقت، وقال إن "الـ" ك.ج.ب" كانت تنفق الملايين، لكننا أيضا كان لنا أصدقاؤنا. كذا نعرف من يستحق ومن لا يستحق، وكنا نعرف المادة الجيدة، وكنا نحاول أن نتجنب الأسلوب الديمقراطى الردىء فى أن نبعثر المعونات على واحد يهودى، وواحد أسود، وامرأة، وواحد من الجنوب. كنا نحاول أن نصل إلى أصدقائنا، الناس المتفقين معنا والذين يحاولون القيام بأعمال جيدة"(٢٣). وبالرغم من تعاونه الطويل مع الـ "CIA" إلا أن المعلومات التى كتبت عن "طومسون" فى "دليل الأساتذة الأمريكيين" تحت مادة: "سياسة" تقول إنه كان راديكاليا. وإلى جانب "طومسون" و "ماكولى"، كان هناك عضو آخر فى جماعة "دوجلاس هاوس" وكان "كورد مايور" يعتبره ثروة، ولكن استخدامه له كان أمرا يشبه الكوميديا السوداء. كان بالنسبة لـ "رانسوم": "أكثر من مجرد طالب، كان مثل ابنى". وكان اسمه "روبرت لويل".

ومن فصول الدراسة الأقل مستوى فى مدرسة تجريبية للبنين فى "سانت لويس – ميسورى"، أضاف "كورد مايور" الروائى الشاب "چون هنت – John Hunt" إلى قائمة مجنديه الجدد. كان "هنت" من مواليد "ماسكوچى – Muskogee" آوكلاهوما – فى عام ١٩٢٥، درس فى "لورانس ڤى – Lawern~eville" فى "نيو جيرسى" قبل أن يجند فى سلاح المارينز فى عام ١٩٤٣. سُرِّحَ من الخدمة برتبة "ملازم ثان" فى ١٩٤٦ فالتحق بـ"هارڤارد" بمنحة دراسية فى نفس العام. وهنا عمل محررا لمجلة "ستيودنت پروجرسڤ Student Progressive مطبوعة "اتحاد هارڤارد الليبرالى". وبعد تخرجه فى عام ١٩٤٨ متخصصا فى الأدب الإنجليزى واللغة اليونانية، تزوج فى فصل الخريف وانتقل إلى "پاريس" حيث بدأ يكتب الأدب الروائى، وحضر محاضرات فى السوربون ووجد نفسه سعيدا ومفتونا بنزوات الأمريكى فى "پاريس" مثل

"هميجنواى". وبعد ميلاد طفلة له فى يوليو ١٩٤٩ عاد إلى "نيويورك" ليدخل "ورشة الكتاب" فى جامعة "ايوا" حيث قام بالتدريس فى قسم الآداب الكلاسيكية، وهنا سوف يلتقى بـ "روبرت ماكولى". وفى ١٩٥١ التحق "هنت" بـ "كلية توماس چيفرسون" فى "سانت لويس" حتى يونيو ١٩٥٥ عندما قبلت دار نشر "أتلانتك ليتل بروان" أن تنشر روايته "أجيال من الرجال" التى كان قد بدأ كتابتها فى "پاريس". فى ذلك الوقت تقريبا، كان أن جنده "مايور" ضابط حقيبة لمؤتمر الحرية الثقافية.

نتيجة لضغط العمل الشديد بالإضافة إلى مزاجه الحاد، بدأت صحة "مايكل چوسلسون" تتأثر. وفى أكتوبر ١٩٥٥ أصيب بأول أزمة قلبية. كان آنذاك فى السابعة والأربعين. وهكذا قرر "مايور" أن يرسل الملازم ثان "چون هنت" ليخفف عنه العبء. وهناك كانت التمثيلية الغريبة وهى أن يقوم "چوسلسون" بإجراء مقابلة شخصية رسمية مع "چون فارار – John Farrar صاحب "مؤسسة فارار شتراوس" " لقدراته الإدارية وتفكيره الذكى وشعوره بالمسئولية إزاء ما نؤمن به من أفكار". وكان "تميوثى فوت – Timothy Foot" مساعد رئيس تحرير "تايم / لايف" فى پاريس واثقا من أنه "مفيد جدا لأية مؤسسة جيدة هنا" (كذا)، ويضيف أنه "شديد الإيمان بالمسئوليات الأمريكية عبر البحار، لكنه لا يشعر بأن الولايات المتحدة ينبغى أن تعتذر عن جهودها أو نفوذها فى الدول الأخرى"(٢٤). أجرى له "چوسلسون" المقابلة فى فبراير ١٩٥٦، وعين "هنت" بشكل رسمى فى سكرتارية المنظمة بعد فترة قصيرة. والمفترض أن يكون طلب الوظيفة وخطابات التزكية جزءا من غطاء "هنت" وأن تكون كلها موجودة فى ملف خدمته حتى يبدو أن تعيينه قد تم بعيداً عن اللجنة.

كانت المنظمة بالنسبة لـ "هنت" مثل بحر "ميلڤى – Melville" «بيل» جامعتى... وهارڤارد جامعتى". وبالرغم من أنه لم يتوقع أن يحقق مثل ذلك النفوذ الذى حققه "چوسلسون" بعد سنوات من الإدارة الجيدة والمتقنة والدقيقة للدولارات وللأمزجة، إلا أن المنظمة قد أفادت بدرجة كبيرة من ضخ الدماء الجديدة. كان مجىء الأفراد الذين جندهم "مايور" بداية مرحلة جديدة فى علاقة المنظمة بالـ"CIA"، إذ إنه وضع نهاية لندرة المسئولين الملائمين للوظيفة، كما زود "چوسلسون" بمعاونين مناسبين ثقافيا لمتطلبات المنظمة. كانت العلاقة بين "چوسلسون" و "ماكولى" بخاصة علاقة ممتازة، كانا يخرجان فى رحلات بالسيارة مع زوجتيهما و أحيانا كان "هنت" وزوجته يخرجان معهم. يظهرون فى الصور على الشاطئ فى استرخاء وقد لفحت الشمس وجوههم، كما يبدو "ماكولى" و "هنت" فى هيئة الأمريكى التقليدى فى الخمسينيات: الشعر القصير والبنطلون الكاكى ونظارة الشمس ذات الإطار الاسود. وعندما يعودان

إلى العمل كانا عادة يتمازحان .. على حساب الوكالة، وعندما كشف "سكوت تشارلز – Scott Charles"، عميل الـ"CIA"، والذى كان قد وصل حديثا عن أنه كان يسلك طريقا مختلفة إلى المكتب كل يوم خشية أن يكون متبوعا وكان "چوسلسون" و"ماكولى" و"هنت" يعتبرون ذلك سلوكا هستيريا مضحكاً.

تقول "ديانا چوسلسون" التى كانت صديقة لـ "ماكولى" منذ عام ١٩٤١: "لم يكن "روبى ماكولى" يفكر مثلهم (تقصد الـ"CIA" أو يتصرف مثلهم، لم يكن "ألكس" الشكاك أو شديد البراعة". كان هناك شيء واحد فقط خطأ مع "مايكل"، وهو أنه كان لا يرد عندما يسأله "مايكل" بغضب أو يشرح شيئا بغضب فى أى موقف، كان غضب "مايكل" يتصاعد ويرتفع ضغط دمه ويكرر ما يقوله، بينما "روبى" جالس لا يقول شيئا، قلت له ذات مرة إنه لا يتعامل مع "مايكل" بالأسلوب المناسب، وإنه لابد من أن يقول شيئا ولا يتركه يغلى هكذا"(٢٥).

عملية التجنيد التى قام بها "مايور" أظهرت التزاما قويا بالمنظمة ولكن ذلك كان نعمة ونقمة فى الوقت نفسه. وصول "وارن · انشل – Warren Manshel" فى عام ١٩٥٤ مثلا، لم يرق لـ "چوسلسون" حيث كان يشعر بأن وجود الوكالة فى جهاز المنظمة لم يكن متكافئا. وتقول "ديانا چوسلسون" إن "مانشل" كان قد أرسل من الـ "CIA" لكى يكتب لهم تقارير عن المنظمة. تم زرعه فى جماعة "مايكل" الذى كان عليه أن يجد له غطاء ما، وكان ذلك جزءاً من سلسلة تحولات فى العلاقة خارج جماعة العاملين وعلى مايكل أن يتحمله"(٢٦)، كان عليه أيضاً أن يتحمل "سكوت تشارلز– Scott Charles" الذى زرعوه فى مكتب "باريس" كمراجع حسابات. تقول "ديانا" "لكننى كنت معجبة به. وبعد موت "مايكل" قمت بتحرير كتابه الإرشادى عن چنيف"(٢٧).

فى منتصف الخمسينيات كان ولاء "چوسلسون" الأساسى للمؤتمر الذى كان يعتبر متطلباته تسبق متطلبات "CIA" كان يشعر بأن المنظمة لا تحتاج إلى الوكالة إلا من أجل الدعم المالى (وكان "كورد مايور" يراقب الدولارات جيدا فقام بتعيين "كن دونالدسون – Ken Donaldson" وهو محاسب من الـ "CIA" فى المنظمة ليكون مراقباً عاماً للحسابات فى لندن) لدرجة أنه كان يحاول أن يحرر المنظمة من الاعتماد المالى على الوكالة عن طريق مفاتحة "مؤسسة فورد" فى ذلك بشكل شخصى. وحيث إن "مؤسسة فورد" كانت قد دعمت المنظمة بمبالغ تقدر بملايين الدولارات حتى منتصف الخمسينيات، فقد كان من المتوقع أن توافق على تحمل العبء المالى كله، لكن وكالة المخابرات المركزية "CIA" رفضت أن تخفف من قبضتها على المنظمة، وفشلت مساعى

"چوسلسون" مع مؤسسة فورد" من البداية.

تزايد تغلغل الـ "CIA" فى الحياة الثقافية للمرحلة بدلاً من أن ينكمش، فكتب "دونيڤى" من نيويورك إلى "چوسلسون" بأفكار لمناقشتها فى "انكاونتر" من بينها موضوع " ضمير الفرد فى مواجهة متطلبات السلطة" وهو ما أوصى به "چوسلسون" وأحاله إلى "سپندر" و"كريستول" على الفور. ويبدو أنهما كانا يجهلان كل شئ عن الاهتمام الخاص الذى يوليه "چوسلسون" لتعقيدات موضوع كهذا. رجال الوكالة الآخرون لم يستطيعوا مقاومة جاذبية القلم، فواصل "چاك طومسون – Jack Thompson" الكتابة للصحف المدرسية مثل "هدسون ريڤيو – Hundosn Review"، وفى عام ١٩٦١ نشر "دراسة مهمة عن الشعر الإنجليزى بعنوان "تقعيد البحور الشعرية الإنجليزية". وكان "روبى ماكولى" يكتب لـ "كينيون ريڤيو – Kenyon Review" و"نيوريپابليك – New Republic" و"أيريش يونيڤرستى ريڤيو – Irish University Review" و"پارتيزان ريڤيو – Partisan Review" و"نيويورك بوك ريڤيو – New York Book Review" وأثناء فترة عمله مع الـ "CIA" واصل الكتابة الروائية التى كان من أهمها: "أقنعة الحب" – ١٩٥٤– و"نهاية الشفقة "وقصص أخرى– ١٩٥٨.

كما نشرت شركة "هودر آند ستوتون – Hodder And Stoughton" فى "لندن" كتابا عن أفغانستان من تأليف "إدوارد اس. هنتر– Edward S.Hunter" أحد العاملين فى الـ "CIA" والذى كان يستخدم اسماً آخر لكاتب حر، وقام بجولة فى آسيا الوسطى لعدة سنوات. كما نشر "فردريك پرايجر – Frederick Prä_ger" أحد خبراء الدعاية فى سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى فى ألمانيا بعد الحرب، نشر ما بين ٢٠و٥٠ مجلدا كانت الوكالة مهتمة بها غاية الاهتمام، سواء من ناحية الكتابة أو النشر أو التوزيع، وقال "پرايجر" إنهم كانوا أحياناً يعوضونه مباشرة عن نفقات النشر ويُؤَمّنون أحياناً شراء عدد من النسخ من خلال إحدى المؤسسات.

كتب أحد كبار المسئولين عن العمل السرى فى ال "CIA" الكتب تختلف عن كل وسائل الدعاية الأخرى أساسا، لأن كتاباً واحداً يمكن أن يغير توجهات وسلوك قارئ بشكل لا يتحقق عن طريق أى وسيلة أخرى، الأمر الذى يجعل الكتب أهم سلاح فى استراتيجية الدعاية (بعدية المدى)"(٢٨)، كان برنامج الكتب السرية فى الـ"CIA" يسير ونصب عينيه السياسة التالية –كما يقول المصدر نفسه– : نشر الكتب أو توزيعها فى الخارج دون الكشف عن أى تأثير أو نفوذ للولايات المتحدة، وذلك عن طريق دعم المطبوعات الأجنبية والناشرين بشكل سرى. نشر الكتب التى لا يظهر بها أى أثر لعلاقة واضحة بحكومة الولايات المتحدة، وخاصة إذا كان موقف الكاتب

"دقيقاً" أو حساساً. نشر الكتب لأسباب عملية، بصرف النظر عن قيمتها التجارية. حفز ودعم المؤسسات المحلية أو العالمية لنشر الكتب أو توزيعها. الحفز على تأليف الكتب السياسية بواسطة مؤلفين أجانب غير معروفين، إما عن طريق دعم الكاتب مباشرة إذا توفرت إمكانيات الاتصال السرى، أو بشكل غير مباشر عن طريق الوكلاء أو الناشرين.

وفى عام ١٩٧٧ زعمت "نيويورك تيمز" أن الوكالة كانت متورطة فى نشر ما لا يقل عن ألف كتاب(٣٠). لم تعلن الوكالة أبدا عن قائمة مطبوعاتها، ولكن المعروف أن الكتب التى كان لها يد فيها كان من بينها كتاب "لاسكى" "الثورة المجرية" وترجمة "الأرض الخراب" و"الرباعيات الأربع" لـ "إليوت". وبالطبع تلك الكتب التى كان تنشرها "منظمة الحرية الثقافية" أو الأفرع التابعة له بما فيها المجموعات الشعرية وكتاب "هربرت لوتى – Herbert Luthy" الماضى الحاضر: صراع الأفكار من "كالفن" إلى "روسو"، وكتاب "باتريشيا بليك – Patricia Blake" منتصف الطريق إلى القمر: كتابات جديدة من روسيا" صادر فى ١٩٦٤ عن مطبوعات "إنكاونتر"، وكتاب "الأدب والثورة فى روسيا السوفيتية" من تحرير "ماكس هايوارد – Max Hayward" و"ليوپولد لابدز – Leopold Lapedzs "صادر فى ١٩٦٣ عن مطبوعات جامعة اكسفورد، وكتاب "كوت جيلنسكى" التاريخ والأمل: "التقدم فى الحرية"، وكتابا "برتراند دو چوڤينيل – Bertrand de Jouvenel" فن الحدس" و"المائة زهرة" من تحرير "ماك فاركوهار – Mack Farquhar"، ورواية السيرة الذاتية: "قبل زمنى" من تأليف "نيكولو تاكى – Nicolo Tucci"، ورواية "الإيطاليون" من تأليف " بارزينى – Barzini"، ورواية "زيڤاجو" من تأليف "پاسترناك – Pasternak"، وطبعات جديدة من كتاب "الأمير" لـ "ماكياڤيللى – Machiavelli" كما تم ترجمة أعمال "تشيخوف – Chekov" عن طريق "شركة تشيخوف للنشر" وتوزيعها على نطاق واسع. كانت "شركة تشيخوف" تتلقى دعما كبيرا من الـ "CIA" منذ فترة قصيرة .

وإلى جانب "چون هنت – John Hunt" الذى كانت الكتابة مهنته الأولى، كانت الوكالة تتباهى بوجود عدد كبير من الروائيين النشطين فى صفوفها. فى "پاريس" كان بيتر ماتيسين – Peter Matthiessen" خريج "جامعة ييل" والذى سوف يشتهر فيما بعد بسبب كتابه "نمر الثلوج". شارك "ماتيسين" فى تأسيس "پاريس ريڤيو" والكتابة لها، كما كتب رواية "الأنصار" أثناء عمله مع الـ "CIA" ومن بين الآخرين الذين جندهم "كورد مايور" كان هناك "تشارلز ماكارى – Charles McCarry" والذى كان بعد ذلك بمثابة الرد الأمريكى على "چون لوكاريه – John Le Carre". كما كان

هناك "چورچ ميشنر – George Michener" الذى تشمل أعماله عناوين متواضعة مثل "پولندا" و"ألاسكا" و"تكساس" و"الفضاء". كان "ميشنر" قد عمل مع الـ "CIA" لفترات مختلفة فى منتصف الخمسينيات. استغل "ميشنر" عمله ككاتب، ليكون غطاء للتخلص من الراديكاليين الذين تسللوا إلى إحدى العمليات التى قامت بها الـ "CIA" فى آسيا، ولذلك وضعوه فى "مؤسسة آسيا". وكان يقول فيما بعد: "لا ينبغى للكاتب أن يكون عميلاً سرياً لأى شىء أو لأى شخص".

ثم كان هناك "هووارد هنت – Howard Hunt" مؤلف روايات مثل "شرق الوداع" و"حد الظلام" و"غريب فى المدينة" (التى حققت له منحة من مؤسسة ججنهايم – Guggenheim" عندما كان "هنت" يعمل مع "ويزنر" فى الـ "OPC" مكتب تنسيق السياسات – كان عليه أن يكتب بعض الأعمال لمؤسسة فاوست – "Fawcett" للنشر. وفى المكسيك، كان مسئولا عن كتاب الكاتب والمفكر الماركسى الـ "كامپسينو – EL Campesino" الحياة والموت فى الاتحاد السوڤيتى" وهو من أوائل كتابات البوح الشخصى عن فظائع "ستالين"، التى خرجت من أمريكا اللاتينية. وقد تُرجم الكتاب وتم توزيعه على نطاق واسع بمساعدة الـ"CIA". كما عين "وليم باكلى – William Buckley" رجل المخابرات، لمساعدة مثقف آخر هو الماركسى الشيلى "ايودوكيو راڤينز – Eudocio Ravines" للانتهاء من كتابة "طريق بينان" الذى لا يقل أهمية.

وفى أواخر ١٩٦١، التحق "هووارد هنت" بـ "إدارة العمليات المحلية" وكانت حديثة الإنشاء ويرأسها "تريسى بارنز – Tracy Barnes كان "بارنز" الذى سبق له أن عمل نائبا لمدير الـ "PSC" هيئة الاستراتيچية النفسية –، من أشد المؤيدين لاستخدام الأدب كسلاح مضاد للشيوعية، كما عمل بكل عزم لتقوية برنامج النشر التابع لـ "CIA" وفيما بعد، كتب "هووارد هنت" يقول: "الإدارة الجديدة كانت تقبل الأفراد والأعمال والأفكار المرفوضة فى أى مكان آخر داخل الـ"CIA"، كما أن كل مشروعات الأعمال السرية التى جاءتنى كانت خاصة بالنشر وبالمطبوعات. كنا ندعم كتبا "مهمة"، منها على سبيل المثال: "الطبقة الجديدة" من تأليف "ميلوڤان دچيلاس – Milovan Djilas" (وهو دراسة دقيقة عن الأوليچاركيات(*) الشيوعية)، أحد الكتب التى كانت مدعومة من مؤسسة "فردريك إيه، پرايچر – Fredrick A.Praeger"(٣١).

وكما يقول "هارى هيوبارد – Harry Hubbard" فى رواية "مايلر" شبح هارلوت": "كنت تحت أى اسم وهمى أقوم بالمساعدة فى كتابة روايات موالية

(*) أنظمة الحكم التى تهيمن عليها جماعات صغيرة، هدفها الأساسى الاستغلال وتحقيق المنافع الذاتية – (المترجم).

الـ .."CIA" إلى جانب مراجعة كتاب مدرسى أو كتابين.. وهذا غير كتابة موضوع لمجلة عن البغض الجديد للخطر الشيوعى القديم". حتى كتب السفر الإرشادية، كان يمكن أن يفيد منها عملاء الـ "CIA" حيث كان عدد كبير منهم يطوف بأرجاء أوروبا مستخدما الدليل الإرشادى المعروف "فودور" ﻏطاء لنشاطه، "ايوچين فودور- Eugene Fodor" الذى كان ملازماً فى الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيچية - فى السابق، كان يدافع فيما بعد عن هذا السلوك، قائلاً: إن المساهمين فى أنشطة الـ "CIA" كانوا كلهم من كبار المحترفين ذوى الكفاءة العالية، لم نكن نسمح أبدا بتهريب السياسة فى الكتب"(٣٢). كما كان "ليمان كيركپاتريك- Lyman Kirkpatrick" المساعد التنفيذى لمدير الـ "CIA" يكتب مقال "جيوش العالم" كل عام للموسوعة البريطانية التى كان يمكلها "وليم بنتون - William Benton" مساعد وزير الخارجية للشؤون العامة. وأحيانا، كانت مراجعات الكتب فى "نيويورك تيمز" وغيرها من المطبوعات المحترمة يقوم بها كتاب متعاقدون مع الـ"CIA" كان عميل الوكالة "چورچ كارڤر - George Carver" يوقع مقالات باسمه فى مجلة "فورين أفيرز" (الشؤون الخارجية) - بالرغم من أنه لم يكن يتذكر اسم مستخدميه - وفى إنجلترا، كان "مونتى وودهاوس - Monty Woodhouse" يكتب المقالات لـ:"انكاونتر" وملحق "التميز" الأدبى(TLS).

لم تكن ظاهرة "الكاتب الجاسوس" أو "الجاسوس الكاتب" جديدة. "سومرست موم - Somerset Maugham" استخدم مكانته الأدبية كغطاء لمهام للمخابرات البريطانية فى الحرب العالمية الأولى، مجموعته من قصص السيرة الذاتية بمثابة إنجيل لضباط المخابرات. "كومتون ماكنزى - Compton Mackenzie" كان يعمل لحساب الوحدة "MI5" فى الثلاثينيات وحاكمته حكومة جلالة الملكة؛ لأنه كشف أسماء أفراد من الـ "SIS" جهاز المخابرات السرية - فى كتابه : مذكرات بحر "إيجه". "جراهام جرين - Graham Greene" استمد كثيراً من مادته الروائية من تجربته كعميل سرى للوحدة "MI5" أثناء الحرب العالمية الثانية.. ويقال بعدها، وقد أشار هو نفسه ذات مرة بكل تفاخر أنها - أى الوحدة "MI5" "أفضل وكالة سفريات فى العالم".

وتقول "كارول برايتمان - Carol Brightman": المثقفون، أو لعله نمط معين منهم، مغرمون دائماً بأجهزة المخابرات. هى تجربة الشعور بكبر السن والارتباط بأجهزة وخاصة فى جامعات معينة مثل "ييل"(٣٣). وبالنسبة للروائى "ريتشارد ايلمان - Richard Elman" وهو غير "ريتشارد إيلمان - Richard Ellman" كاتب سيرة

"چويس – Joyce"، كان هناك أيضا اهتمام أدبى مشترك: "لابد من أن نضع ما هو مشترك بين أولئك الناس موضع الاعتبار، كلهم مسيحيون على طريقة "ت. اس. إليوت – T.S. Eliot" البعيدة عن التعصب. كانوا يؤمنون بسلطة عليا، حقيقة عليا، تبارك حملتهم المعادية للشيوعية وللإلحاد."ت. اس. إليوت – T.S.Eliot" و"پاوند – Pound" وغيرهما من الحداثيين كانوا يحتكمون إلى حساسيتهم النخبوية. الـ "CIA" عهدت بترجمة عمل "إليوت" الرباعيات الأربع " وكانت تلقى النسخ من الطائرات على روسيا. كان أولئك رجال مثل "شو – Shaw" و"ويلز – Wells، لا يرحبون بـ "قرن الإنسان العام" الاشتراكى، كانوا يريدون الإنسان غير العام والثقافة. ولذلك لم يكونوا يضعون الأموال فى الثقافة طوعاً أو كرهاً"(٣٤).

وصل الأمر إلى درجة أن " ألن جنسبرج – Allen Ginsberg" كان يتخيل أن "ت. اس. إليوت – T.S. Eliot" كان جزءاً من مؤامرة أدبية اعتلاها صديقه – صديق إليوت – چيمس چيسس أنجلتون – James Jesus Angleton" وفى صورة وصفية بعنوان "ت. اس. إليوت "دخل إلى أحلامى"، كتبها فى عام ١٩٧٨، يتخيل "چنسبرج": "على الذيل المروحى لقارب متجه إلى أوروبا، كان "إليوت" مضطجعاً مع مسافرين آخرين على مقاعد السطح، خلفهم سماء زرقاء مليئة بالسحب وأرضية حديدية تحتنا، قلت: "وأنت شخصياً ما رأيك فى سيطرة الـ "CIA" على أصحاب المواهب الشعرية. ألم يكن "أنجلتون" صديقك على أى حال؟ ألم يخبرك بخطته لإعادة إحياء البنية الفكرية للغرب ضد ما يقال إنه "الستالينية"؟ كان "إليوت" يستمع باهتمام – وأدهشنى أنه لم يستغرب ذلك،" "حسن! هناك كثير من الذين يتنافسون على السيطرة سياسياً وأدبياً.. زعماؤكم مثلا، الثيو صيوفيون الذين يرقدون على الطاولات، الجدليون، قارئو أوراق الشاى، الأيديولوچيون، أعتقد أننى كنت واحدا من أولئك فى منتصف العمر، لكننى كنت أعرف فعلاً مؤامرات "أنجلتون" الأدبية، كنت أتصور أنها تافهة – حسنا! أو حسنة النية، ولكنها ليست ذات قيمة بالنسبة للأدب"، قلت: "أعتقد أنه كان لها بعض الأهمية بما أنها أنعشت أعمال كثير من المثقفين وحققت الاستمرار للمفكرين فى الأكاديمية، أولئك الذين أثروا على الصوت الثقافى للغرب.. وبعد كل شىء، فإن الصوت الثقافى لابد من أن يكون ثورياً، أو على الأقل راديكالياً يبحث عن جذور المرض والميكانيكية والسيطرة بواسطة الاحتكار غير الطبيعى.. وكانت الحكومة تدعم "تلاميذ الحرب" عن طريق بعض المؤسسات، إن دعم مجلات مثل "إنكاونتر" التى تبنت الأسلوب "الإليوتى" كوسيلة لاختبار وقياس الإجادة والكفاءة، فشلت فى أن تخلق ثقافة فردية حرة بديلة، وبدلاً من ذلك كان لدينا أسوأ ما فى الإمپريالية الرأسمالية"(٣٥).

كان الدفاع عن الثقافة الراقية التى رفع رايتها أشخاص مثل "أنجلتون" يتم بطريقة آلية. "إيرفنج كريستول" قال ذات يوم: لم يخطر ببالنا أبداً أن نستهجن أى شيء على اعتبار أنه "نخبوى". كنا نحن النخبة، القلة السعيدة، التى اختارها التاريخ لهداية رفاقنا نحو تحرير علمانى"(٣٦). هذه النخبة التى نشأت على الثقافة الحداثية، كانت تقدس "إليوت" و"ييتس" و "چويس" و "پروست"، كانوا يرون أن من واجبهم "ألا يعطوا الجمهور ما يريد أو ما يعتقد أنه يريد، ولكن ما ينبغى أن يحصل عليه وذلك من خلال أكثر أعضاء تلك النخبة ذكاء"(٣٧). بمعنى آخر، لم تكن الثقافة الراقية مهمة كخط دفاع ضد الشيوعية فقط، وإنما أيضا باعتبارها المعقل الحصين ضد مجتمع جماهيرى متجانس قسراً، ضد ما كان "دوايت ماكدونالد – Dwight Macdonald" ينظر إليه فى فزع على أنه "رشح الثقافة الجماهيرية الذى بدأ فى الانتشار"(٣٨).

أمـا التناقص الظاهرى فى الدفـاع عن الديمقـراطيـة، والذى رفع لواءه الأرستقراط، والذين كانوا متشككين فيها بالضرورة، هذا التناقص من الصعب تجاهله. اتخذوا لأنفسهم وضع نخبة من الأمراء يسدون الطريق على البربرية، كانوا حداثيين يخافون من الحداثة وحدَّها المغلف بالدم. فى خطبة وداع أمام "كينيون كولدج" فى ١٩٤٠، عَبَّر "روبرت لويل – Robert Lowell" عن أسوأ مخاوف هذه الأرستقراطية: " كلكم يعلم أن المتعلقين بالقديم والقوطيين الهمج وهو يزحفون بأسلوبهم الجبان لكى يقطعوا أوصال الحضارة، سيصلون إلى قصور المعرفة الذهبية، سيصلون فى نهاية المطاف إلى "ميلتون – Mliton" و"جروتون – Groton"، و"سان پول – St. Paul" و"سان مارك – S Mark" والتلاميذ الذين ليسوا آدميين ولا مثقفين، سوف يفعلون ما يفعلونه الآن، والقوطيون والمحافظون الضجرون سيطردون ذكور النحل من الخلية، ولن تبقى هناك أوصال للدم الجديد، وسوف يرتد العالم إلى دوراته فى التقهقر والتقدم والتكرار، تلك الدورات التى لا تعرف الكلل."(٣٩).

ولأنهم كانوا مقتنعين بأنهم لابد من أن يدعموا دفاعاتهم ضد الخراب القادم، كان أولئك هم جامعو الفراشات الذين قرروا فى عام ١٩٤٩ أن يمنحوا "إزرا پاوند – Ezra Pound" جائزة "بوللنجن – Bollingen" للشعر عن عمله "أناشيد بيزا". وهناك نادرة تروى عن "پول ميلون – Paul Mellon"، أحد رجال البر والإحسان والذى كان يشكو لـ "ألن تيت – Allen Tate" و"چون كرو رانسوم – John Crowe Ransom" من كون كثير من الكتاب يساريون. كان "ميلون" نفسه يتمتع بذوق متقدم فى الفنون، ولكنه كان محافظاً فى السياسة، وكان ذلك أمراً لابد منه بالنسبة لمولى الحرب الباردة. وكان رد "تيت" هو أن الكتاب دائماً فى احتياج، فلماذا لا يخصص "ميلون"

بعض الأموال للمنح والجوائز مثلا، الأمر الذى « يجعل المتلقين أكثر سعادة وأقل ميلاً لأن يصبحوا ثوريين، فخصص "ميلون" جائزتين، "بوللنجن و "ميلون" قيمة كل منهما عشرون ألف دولار.

وسأل "ريتشارد إيلمان – Richard Elman" لماذا اقترحوا اسم "پاوند" للجائزة؟": لأنه يمثل قمة الثقافة الراقية التى كانوا يحاولون أن يحافظوا عليها ويشجعوها"(٤٠). وأثارت الجائزة جدلاً واسعاً، ليس فقط لأن "پاوند" كان نزيل مصحة نفسية آنذاك، ولكن أيضا لأنه كان الأمريكى الوحيد الذى اتهم بالخيانة فى الحرب العالمية الثانية. كانت البرامج التى يقدمها من إذاعة "موسولينى" تتضمن تقريعاً مطولاً ولاذعاً ضد الرئيس "روزفلت". كان "پاوند" يقول إن كتاب "كفاحى" (كتاب هتلر)، تحليل ذكى للتاريخ كما كان يعتبر مؤلفه "قديساً وشهيداً" مضى على خطى "چان دارك". قال إن أمريكا محتلة بالهوام والحشرات الطفيلية". وكتب "كارل شاپيرو – Karl Shapiro" محرر مجلة "شعر" يقول إنه كان "المعترض الوحيد على منح "پاوند" جائزة "بولنجن"، إلى جانب "پول جرين – Paul Green" الممتنع عن التصويت. أما "إليوت" و"أودن" و"تيت" و"لويل" فقد صوتوا جميعا لصالح منحه الجائزة. إنهم جماعة من الفاشست". وعندما هاجم "وليم باريت – William Barret" قرار لجنة التحكيم، تحداه "ألن تيت" ودعاه للمبارزة.

أجج قرار منح "پاوند" الجائزة منازعات "الفن ضد السياسة"التى كانت قائمة منذ الثلاثينيات، وبدا أن ذلك كان يؤكد أن معظم اليسار كان يخاف" أن تكون هناك نزعة بين أولئك الذين يصفون أنفسهم بالليبرالية لأن يصفحوا عن التسويات التاريخية التى قادت معظم الفنانين (أو يتجاهلوها على الأقل) – وكان عدد كبير منهم يعيش آنذاك فى دعة فى أمريكا – والآن يستخدمون مواهبهم فى تملق ومداهنة الفاشية. وفى وقت كان الفن والفنانون مسيسين فيه، لم يكن يكفى القول – كما قالت لجنة التحكيم فى جائزة "بوللنجن" إن – " السماح لاعتبارات أخرى غير الإنجاز الشعرى بأن تنحرف بالقرار، يدمر قيمة الجائزة، كما أنه، من ناحية المبدأ، يتغاضى عن الفهم الموضوعى للقيمة التى ينبغى أن يقوم عليها المجتمع المتحضر"(٤١). كيف يمكن أن يكون الفن مستقلا من ناحية ومتورطا فى خدمة السياسة، عندما يكون ذلك ملائماً، من ناحية أخرى؟

(١٦)

"شخبطة"(*) اليانكى

أستطيع أن أرسم أفضل من أى شخص آخر.
چاكسون پولوك
" فى حلم دى كوونج"

أثناء فترة رئاسته كان "هارى ترومان – Harry Truman" يحب أن يستيقظ مبكرا ويتجه إلى "الجاليرى" القومى، يصل قبل أن تستيقظ المدينة، يهز رأسه فى صمت للحارس الذى كان واجبه المحدد هو أن يفتح الباب من أجل جولة الرئيس اليومية فى أرجاء القاعة. كان "ترومان" يستمتع بتلك الزيارات ويسجلها فى يومياته. فى عام ١٩٤٨، وبعد أن راح يحدق فى الأعمال الفنية لـ "هولبين – Holbein " و"رمبرانت – Rembrandt" سجل الملاحظات التالية: "متعة كبيرة أن تنظر إلى مثل هذا الكمال الفنى.. ثم تفكر بعد ذلك فى أمر المحدثين الكسالى.. المختلين عقليا. كأنك تقارن بين "المسيح" و "لينين". كان "ترومان" يعبر علنا عن مثل تلك الأحكام قائلا: إن الرسامين الهولنديين الكبار "يجعلون غيرهم من الرسامين غير البارعين، ومن أولئك الذين يرسمون دون إتقان هذه الأيام، يظهرون على الصورة التى هم عليها".

وباحتقاره للمحدثين، كان "ترومان" يعبر عن رأى كثير من الأمريكيين الذين كانوا يربطون بين التجريب - وخاصة الفن التجريبى - ودوافع الانحطاط والتخريب. أولئك الطليعيون الأوروبيون الذين فروا من حذاء الفاشية العسكرية الثقيلة، كانوا مروعين الآن عندما وجدوا أنفسهم فى أمريكا... وأى أمريكا! أمريكا حيث تُرْكَلُ الحداثة مرة أخرى. وكان ذلك بالطبع متسقا مع الأصولية الثقافية لشخصيات مثل "مكارثى" كما كان جزءا من العملية المرتبكة والمربكة. فأمريكا التى تدافع عن حرية التعبير فى الخارج، كانت تضن بمثل تلك الحريات فى الداخل. فى "الكونجرس" قام "چورچ دونديرو George Dondero" وهو نائب من "ميسورى"، ليعلن أن الحداثة ليست سوى جزء من مؤامرة عالمية لإضعاف قوة أمريكا. وقال "دونديرو": "الفن الحديث كله شيوعى"، ثم انتقل بعد ذلك ليتناول كل تجلياته بتفسيرات مشينة:

(*) عنوان هذا الفصل فى الكتاب هو الرسوم "Yanqui Doodles" و Doodles أو الخطوط التى تجرى بها يد الشخص بطريقة غير واعية أثناء الانشغال بشىء آخر أو التفكير فى موضوع آخر و"شخبطة" هى أقرب كلمة للتعبير عن المعنى – (المترجم).

"التكعيبية – Cubism" تهدف إلى التخريب عن طريق الفوضى المخططة، "المستقبلية – Futurism" تسعى إلى التخريب عن طريق خرافة الآلة، "الدادائية – Dadaism" تهدف إلى التخريب عن طريق السخرية، "التعبيرية – Expressionism" تهدف إلى التخريب بمحاكاة البدائى والمخبول، "التجريدية Abstractionism" تسعى إلى التخريب بخلق نوبات جنون عابرة، "السيريالية– Surrealism"تسعى إلى التخريب بنفى العقل"(١).

هذا التقويم العصابى الذى قدمه "دونديرو" وجد صداه لدى زمرة من الشخصيات العامة، الذين دوى استهجانهم الشديد فى قاعة "الكونجرس" وفى الصحافة المحافظة، وتصاعد هجومهم ليبلغ أحيانا حد الادعاء بأن الفنانين المغرقين فى الحداثة، يتم استخدامهم بشكل غير مباشر كأدوات فى يد "الكرملين"، كما راحوا يؤكدون أحيانا على أن الرسوم التجريدية ليست سوى خرائط سرية تحدد مواقع الدفاعات الاستراتيجية الحصينة للولايات المتحدة"(٢). كما صرح أحد الخصوم بأن "الفن الحديث فى حقيقته وسيلة من وسائل التجسس "وأنك" إذا عرفت كيف تقرأ تلك الأعمال، فسوف تكشف لك لوحات الفن الحديث عن نقاط الضعف فى تحصينات الولايات المتحدة وعن مواقع المنشآت الحيوية مثل "سد بولدر".

لم يكن ذلك هو الزمن المواتى للمحدثين. وكان أكثر من تعرضوا لهجوم حزب "دونديرو"، جماعة من الفنانين ظهروا فى أواخر الأربعينيات وكانوا يعرفون بـ"التعبيريين التجريديين – Abstract Expressionists" والواقع أنهم لم يكونوا "جماعة" بالمرة (كان "دى كوونج de Kooning" قد حذر ذات يوم قائلا: إنها كارثة أن نعطى أنفسنا اسما) وإنما زمرة من الرسامين المختلفين، أكثر ما يربط بينهم هو الميل إلى المغامرة الفنية. وأكثر من أية فكرة فنية مشتركة. لكن ماضيهم كان واحداً تقريبا: كان معظمهم قد عمل فى مشروع الفنون الفيدرالى فى إطار برنامج "روزفلت" المعروف بـ "الخطة الاقتصادية الجديدة"(*)، من أجل إنتاج فن مشمول برعاية الدولة والتورط فى السياسة اليسارية. كان الأبرز بينهم هو "جاكسون پولوك – Jackson Pullock" الذى كان قد شارك فى الثلاثينيات فى الورشة الشيوعية لفنان الجداريات المكسيكى "ديفيد الفالو سيكيروس– David Alfalo Siquiros" كما كان "ادولف جوتليب– Adolf Gottlieb" و"وليم بازيوتس – William Baziotes" وكثيرون من فنانى "التعبيرية التجريدية" الآخرين من الشيوعيين النشطاء. أما كون تلك الجماعة ليست

(*) New Deal

ذات صلة رسمية باليسار، فلم يكن أمراً مهما بالنسبة لـ "دونديرو" وأعوانه. لم يكن "دونديرو" يستطيع، ولا كان مستعدا لأن يفصل بين سيرة الفنان الشخصية وعمله، فَدَمَجَ التاريخ السياسي للفنان بتعبيره الفنى وقرأهما قراءة واحدة.. ولعن كليهما(٣).

وبينما كان "دونديرو" يرى فى "التعبيرية التجريدية" دليل مؤامرة شيوعية، كانت صفوة أمريكا الثقافية ترى فيها فضيلة مناقضة لذلك: كانت فى نظرهم تعبيرا عن أيديولوچية مضادة للشيوعية، أيديولوچية الحرية، أيديولوچية المغامرة الحرة.. الخاصة، ولأنها لم تكن تصور أشخاصا أو أشكالا، ولأنها كانت صامتة سياسيا، فإن "التعبيرية التجريدية" كانت نقيض "الواقعية الاشتراكية". كانت بالتحديد، هى ذلك النوع من الفن الذى يحب السوفيت أن يكرهونه. بيد أن المسألة كانت أبعد من ذلك. كانت "التعبيرية التجريدية"، كما قال المدافعون عنها: اقتحاما أمريكيا واضحا للمشهد الحداثى. منذ عام ١٩٤٦ كان النقاد يحتفون بالفن الحديث لأنه "مستقل ومعتمد على نفسه وتعبير صادق عن الإرادة والروح والشخصية القومية. ويبدو أن الفن الأمريكى بشخصيته الفنية لم يعد مستودعا للمؤثرات الأوروبية، وأنه ليس مجرد عملية مزج بين المدارس الأجنبية، وتجميع وتكوين واستيعاب بدرجة من الذكاء أكبر أو أقل"(٤).

وصعد "چاكسون پولوك" ليكون ممثلا لذلك الكشف القومى الجديد. يقول عنه زميله الفنان "بد هوبكنز – Budd Hopkins" كان هو الرسام الأمريكى العظيم"، "لو تخيلت شخصا كهذا، فلا بد –بداية– من أن يكون أمريكيا حقيقيا وليس أوروبيا تم استزراعه هنا. ولابد من أن يكون فيه كل الفضائل الأمريكية القتالية ـ لابد من أن يكون أمريكيا، خشنا، عنيفا، قليل الكلام ـ والأفضل لو أنه كان "كاوبوى". وهو – بالتأكيد– ليس شخصا شرقيا(*)، ليس من الذين ذهبوا إلى "هارڤارد". لا ينبغى أن يكون متأثرا بالأوروبيين بقدر ما هو متأثر بذوينا.. المكسيكيين والهنود الأمريكيين.. إلخ. لابد من أن يخرج من التربة المحلية وليس من "پيكاسو – Picasso" و"ماتيس Matisse" ولابد من أن يُسمح له بالخطيئة الأمريكية الكبرى.. خطيئة "هيمنجواى – Hemingway"وهو أن يكون سكيرا"(٥).

كان كل شىء فى "پولوك" هو المطلوب بالضبط. فهو قد ولد فى مزرعة للأغنام فى "كودى – يومنج "ودخل إلى المشهد النيويوركى مثل أى "كاوبوى". اللغة الخشنة، السُكْر الثقيل، جاء يشق طريقه اقتحاما من الغرب البرى. كان ذلك بالطبع هو ماضيه الأسطورى. والحقيقة أن "پولوك" لم يركب حصانا فى حياته حيث كان قد ترك

(*) المقصود أنه ليس من الشرق الأمريكى. (المترجم)

"يومنج" وهو طفل صغير. لكن الصورة كانت مناسبة جدا وأمريكية جدا.. ولم يكذبها أحد. روى الفنان "ويلم دى كوونج – Willem de Kooning" أنه رأى "پولوك" فى أحد أحلامه وهو يدفع باب أحد "البارات" كما يفعل أى "كاوبوى" على الشاشة، ثم يصيح بصوت عال: "أستطيع أن أرسم أفضل من أى شخص آخر". كان فيه شجاعة "مارلون براندو – Marlon Brando" وتمرد "جيمس دين – James Dean" كان "پولوك" تجسيدا للقوة والنشاط بعد "ماتيس" الرئيس الصورى العاجز للحداثة الأوروبية الهرمة، والذى لم يكن قادرا على الإمساك بالفرشاة فى ذلك الوقت. جاء "پولوك" بأسلوب جديد يعرف بـ "رسم الحركة – Action Painting" والذى كان يتضمن وضع قطعة كبيرة من "الكانڤاس" مفرودة على الأرض– ويفضل فى الخلاء– ثم يمطرها بالألوان والأصباغ. وفى تشابك وتداخل الخطوط العشوائى وسريان الألوان فى أنسجة "الكانڤاس" وعلى الحواف، كان يبدو مشغولا بإعادة اكتشاف أمريكا. وفى حالة من النشوة والاسترخاء اللتين كان يزيد منهما الشراب، كانت الحداثة بين يدى "پولوك" ضربا من الهذيان المروع. وبينما كان أحد النقاد يصفها بأنها "پيكاسو منصهرا"، هرع آخرون للاحتفاء بها باعتبارها: "انتصارا للفن الأمريكى" الذى يعبر عن ماهية أمريكا: القوية، الحيوية، الطليقة، الكبيرة. كانت النظرة إلى ذلك الفن باعتباره يدعم الأسطورة الأمريكية العظيمة عن الصوت المتوحد، الفرد الجسور، ذلك التقليد الذى كانت "هوليود" تمجده بأفلام مثل: "مستر سميث يذهب *إلى واشنطن*"، ثم "دستة أشرار" فيما بعد.. (كان فنانو "*التعبيرية التجريدية*" يصفون أنفسهم أحيانا بأنهم : "سريعو الغضب") وفى عام ١٩٤٨ كان الناقد الفنى "كليمنت جرينبيرج – Clement Greenberg" وهو نفسه رجل عنيف وسكير - يشتط فى دعوته للتوجهات الفنية الجديدة: "عندما يرى المرء كيف ارتفع مستوى الفن الأمريكى فى السنوات الخمس الأخيرة بظهور مواهب جديدة ممتلئة بالحيوية وبالثقة مثل "أرشيل جوركى – Arshile Gorky" و"چاكسون پولوك – Jackson Pollock" و"ديڤيد سميث – David Smith"، عندما ينظر المرء إلى ذلك، فلابد من أن يستنتج – وذلك أمر مدهش– أن المعالم الرئيسية للفن الغربى قد انتقلت أخيرا إلى الولايات المتحدة مع مركز جاذبية الإنتاج الصناعى والقوة السياسية"(٦)، وبعبارة أخرى فإن أمريكا لم تعد هى المكان الذى يشعر فيه الفنان بأن عليه أن "يهرب منه لكى ينضج ويكتمل فى أوروبا"(٧). وتعليقا على هذا الزعم أكثر مما هو اتفاقا معه، قال "چاسون ايپشتين – Jason Epstein" فيما بعد: "أمريكا– ونيويورك على وجه الخصوص" - أصبحت هى مركز العالم سياسيا وماليا، وبالطبع فإنها أصبحت المركز الثقافى أيضا. حسن! كيف يمكن إذن أن تكون قوة عظمى دون فن ملائم؟ لن تكون قوة

عظمى إن لم يكن لديك فن يتماشى معها، مثل "ڤينيسيا بدون تنتوريتو – Tintortto"أو "فلورنسا بدون جيوتو – Giotto" (٨).وبدأت فكرة أن تكون "التعبيرية التجريدية" حاملا للعبء الإمبريالى تترسخ. لكن ظهورها فى ذلك الوقت الملىء بالبغض السياسى والمعنوى، وضع من يمكن أن يكونوا مروجين لها فى مأزق كبير.

وبالرغم من الحماقة الواضحة فى احتجاجات "دونديرو – Dondero" إلا أنه حقق فى أواخر الأربعينيات نجاحا فى إفشال المحاولات المتوالية من قبَل وزارة الخارجية لاستخدام الفن كسلاح فى الدعاية. فى عام ١٩٤٧، حقق المحافظون انتصارا باكرا عندما أجبروا الوزارة على سحب معرض بعنوان: "تطور الفن الأمريكى" كان عبارة عن مجموعة أعمال مختارة مكونة من ٧٩ عملا "تقدميا"، من بينها أعمال لـ "جورجيا أوكيفى – Georgia O'Keeffe" و"أدولف جوتليب ـ Adolph Gottlieb" و"أرشيل جوركى – Arshile Gorky" وصل المعرض إلى "پاريس" ثم انتقل إلى "براغ" وحقق نجاحا كبيرا لدرجة أن الروس أرسلوا معرضا مضادا على الفور. كان المنطق الرسمى وراء تلك المغامرة هو " تبديد أى مفهوم لدى الجمهور الأجنبى عن الطبيعة الأكاديمية أو التقليدية للفن الأمريكى المعاصر"(٩). أو كما قال أحد النقاد فى الثناء على ذلك: "هذه المرة نحن لا نقدم "براندى" محليا فى زجاجات "كونياك"، ولا عصير عنب غير مسكر. نحن نقدم "خمرا حقيقة.. معتقة"(١٠).

وبصرف النظر عن تقديم قضية الفن الأمريكى، إلا أن المعرض كان إشارة على تراجعه الشائن، فقد لقى معارضة شديدة فى "الكونجرس" وتم شجبه واتهامه بالتخريب وبأنه "ليس أمريكيا" . وفى محاولة لكى يكشف عن قصد، خبث تلك النوعية من الفن، قال أحد الأعضاء: "هذا فن يريد أن يبلغ الأجانب أن الشعب الأمريكى قانط ومحطم وبشع وغير راضٍ عن قدره، ويتوق لتغيير نظام الحكم. لقد اختار الشيوعيون والمتعاطفون معهم فى تلك الخطة الاقتصادية الجديدة "أن يكون الفن إحدى وسائلهم فى الدعاية"(١١). وقال آخر: "أنا واحد من الأمريكيين المغفلين الذين يدفعون الضرائب من أجل هذه القمامة"، و "إذا كان أحد فى هذا المجلس يرى أن هذا النوع من التفاهة يمكن أن يحقق فهما أفضل عن الحياة الأمريكية فلا بد من إرساله إلى نفس المصحة العقلية التى جاء منها من قاموا برسم تلك الأشياء"(١٢). وأُلغِىَ المعرض. وبيعت الأعمال بتخفيض ٩٥٪ من ثمنها، على اعتبار أنها ممتلكات حكومية زائدة عن الحاجة، ولا لزوم لها. وردا على الاتهام بأن عددا كبيراً من الفنانين الممثلين فى المعرض كانوا ممن لهم علاقة باليسار السياسى، (وكان ذلك حينذاك شرطا ضروريا بالنسبة لكل طليعى محترم لنفسه) أصدرت وزارة الخارجية توجيها (جبانا) بعدم

مشاركة آى فنان أمريكي ممن لهم صلة بالشيوعية أو من المتعاطفين معها فى أى معرض على نفقة الحكومة. وبذلك "دخل مفهوم أن (الفن الطليعى فن غير أمريكى) ليصبح جزءا من السياسة الرسمية"(١٣).

والآن، كانت قد تسللت إلى خيال النخبة الثقافية تلك الصورة المرعبة للبرابرة على بوابات قصر الفن الراقى. استنكر "دوايت ماكدونالد – Dwight Macdonald" ذلك الهجوم على الفن واعتبره "بلشفية ثقافية – Kultur Bolschewismus"، وقال إنه بالرغم من طرح ذلك باسم الديمقراطية الأمريكية، إلا أنه فى حقيقته يمثل هجوما شموليا على الفنون. كان السوفيت ـ ومعظم أوروبا فى الواقع ـ يقولون: إن أمريكا صحراء ثقافية، ثم جاء تصرف أعضاء "الكونجرس" فى الولايات المتحدة لكى يؤكد تلك المقولة. وبالرغم من رغبتهم فى أن يظهروا للعالم أن لديهم فنا متكافئا مع عظمة أمريكا وحريتها، إلا أن خبراء الاستراتيجية وجدوا أنفسهم عاجزين عن دعم ذلك بسبب المعارضة الداخلية. فماذا فعلوا؟ كان لابد من اللجوء إلى الـ "CIA" وبدأ الصراع لتأكيد مزايا التعبيرية التجريدية ضد محاولات تشويهها.

وفيما بعد ذكر "برادن – Braden" لقد واجهنا متاعب كثيرة مع "دونديرو" عضو "الكونجرس". لم يكن يطيق الفن الحديث. كان يراه زيفا، كان يراه خطيئة، كان يراه قبحا. افتعل معركة حول الفن وجعل من الصعب على "الكونجرس" أن يوافق على بعض الأشياء التى كنا نود القيام بها ـ أن نرسل أعمالا فنية إلى الخارج، أن نرسل فرق الأوركسترا السيمفونى إلى الخارج، أن نصدر مجلات فى الخارج.. أن نفعل أى شىء! كان ذلك أحد أسباب اللجوء إلى السرية كان لابد من أن يكون العمل سريا، لأن شيئا لم يكن ليمر لو عرض للتصويت ديمقراطيا. لكى نشجع على الانفتاح .. كان لابد من أن نلجأ إلى السرية"(١٤). هنا مرة أخرى يتجلى التناقض البيِّن فى الاستراتيجية الأمريكية فى الحرب الباردة الثقافية: حيث إنه لكى تُرَوِّجَ لقبول فن تم إنتاجه فى ظل الديمقراطية (والمفترض أنه تعبير عنها) كان لابد من الالتفاف على العملية الديمقراطية نفسها.

ولجأت وكالة المخابرات المركزية "CIA" مرة أخرى إلى القطاع الخاص لكى تمضى نحو تحقيق أهدافها. معظم المتاحف والمجموعات الفنية فى أمريكا ـ كما هى الآن ـ ملكية خاصة، وتمول بشكل شخصى، ومتحف الفن الحديث "MoMa"(*). فى "نيويورك" واحد من أهم المتاحف الفنية الطليعية والمعاصرة. كان رئيسه على

(*) Museum of Modern Art.

مدى معظم سنوات عقدى الأربعينيات والخمسينيات هو "نلسون روكفلر – Nelson Rockeffeller" الذى كانت أمه "آبى أولدرتش روكفلر – Abby Aldrich Rockefeller" قد شاركت فى تأسيسه فى عام ١٩٢٩. (كان "نلسو يسميه "متحف مامى")، كان "نلسون" من أشد المتحمسين للتعبيرية التجريدية التى كان يشير إليها بـ "رسم المغامرة الحرة". مع السنوات، كانت مجموعة مقتنياته الشخصية قد زادت عن ٢٥٠٠ عمل بالإضافة إلى ألوف القطع الأخرى التى كانت تغطى أروقة وجدران مبانى "بنك تشيز مانهاتن – Chase Manhattan Bank المملوك لـ "آل روكفلر".

لم تكن مساعدة ورعاية الفنانين اليساريين ميدانا غريبا على "آل روكفلر". عندما هُوجِمَتْ "آبى أولدرتش روكفلر" بسبب قرارها مساعدة ودعم الفنان المكسيكى الثورى "دييجو ريڤيرا – Diego Rivera وكان قد هتف ذات يوم أمام إحدى السفارات الأمريكية: الموت لليانكى) عندما هوجمت وانتقدت بسبب هذا القرار، كان ردها هو أن "الحمر" سوف يكفون عن أن يكونوا "حمرا".. "إذا نحن منحناهم بعض الاعتراف الفنى". بعد ذلك احتضن المتحف معرضه الشخصى الأول فى عام ١٩٣٣، وهو المعرض الثانى فى تاريخ المتحف. قام "نلسون روكفلر" بالإشراف على مهمة تنفيذ "ريڤيرا" لجدارية فى "مركز روكفلر" الذى كان قد شيد حديثا. وعندما زار موقع العمل ذات يوم، لاحظ "روكفلر" أن أحد الأشخاص المرسومين يحمل ملامح "ڤلاديمير ايلتش لينين" التى لا تخطئها عين. طلب من "ريڤيرا" بأدب أن يزيله.. ورفض "ريڤيرا" بأدب أيضا. وبتعليمات من "نلسون" طوقت الجدارية بالحراس بينما الفنان يتسلم شيكا بكل المبلغ المتفق عليه (٢١٠٠٠ دولار) مع إخطار بإلغاء التكليف. وفى ٤ فبراير ١٩٣٤ كانت الجدارية التى قد أوشكت على الانتهاء يجرى تحطيمها بآلات ثقب الصخور.

وبالرغم من أن هذا القدر من الرعاية لم يكن كافيا، إلا أن المبدأ الذى كان وراءه لم يغب. فقد ظل رجال المؤسسة على اعتقادهم بأن الفنانين اليساريين جديرون بالدعم والمساعدة. فى مقال بعنوان "الفن الطليعى والكيتش(*)" وضع الناقد الفنى "كليمنت جرينبيرج" (الذى بذل جهدا كبيرا لوضع "التعبيرية التجريدية" على الخريطة) الأساس المنطقى لقبول الدعم والرعاية من أى راع مستتير. ذلك المقال الذى نشرته "پارتيزان ريڤيو" فى عام ١٩٣٩ سيظل هو القول الفصل فى نظرة الماركسية

(*) كلمة ألمانية معناها المادة الأدبية أو الفنية ذات المستوى الردىء، والتى يتم إنتاجها لإشباع ذوق العامة والدهماء، وقد أصبحت مصطلحا يشير إلى الفن أو الأدب الذى يتصف بالسوقية ولا يحمل قيمة حقيقية. (المترجم)

المعارضة للحداثة. كتب "جرينبيرج": الفن الطليعى" تم تجنبه من قبل الذين يخصهم هذا الفن فى الحقيقة، وأعنى بذلك الطبقة الحاكمة". فى أوروبا كان الدعم يأتى عادة عن طريق "نخبة من الطبقات الحاكمة... التى كان الفن الطليعى يتصور أنه منبت الصلة بها، لكنه ظل مرتبطا بها عن طريق حبل سرى من الذهب"(١٥). كما قال إن هذا الأسلوب نفسه لابد من أن يكون هو السائد فى الولايات المتحدة كذلك. وهنا يمكن أن نجد الصلة العميقة بين التعبيرية التجريدية والحرب الباردة الثقافية، حيث أن الـ "CIA" والرأسماليين من أصحاب المؤسسات الخاصة المتعاونين معها، كانوا يعملون كلهم على ضوء هذا المبدأ.

كان "توم برادن – Tom Braden" على نحو خاص- قد راق له اقتراح "جرينبيرج" بأن الفنانين التقدميين كانوا فى حاجة إلى دعم من النخبة ومن صفوة المجتمع، مثل أسلافهم فى عصر النهضة. قال: "لقد نسيت من هو "البابا" الذى كلف بإنشاء "كنيسة سيستين – Sistine Chapel"، ولكننى أعتقد أنه لو كان ذلك قد تُرِكَ لتصويت الشعب الإيطالى، لجاءت الردود سلبية": "إنها عارية"، أو "ليست تلك الطريقة التى كنت أتخيل بها الرب"... مثلا. لا أعتقد أن ذلك كان يمكن أن يمر فى البرلمان الإيطالى... لو كان هناك برلمان فى ذلك الوقت. كان الأمر يتطلب وجود "بابا" أو أى شخص آخر غنى يقدر الفن ويدعمه. وهكذا بعد قرون عدة، تجد الناس يقولون: "انظر! هذه هى "كنيسة سيستين".. أجمل إبداع على ظهر الأرض". وهى مشكلة واجهتها الحضارة منذ أول فنان وأول مليونير – أو "بابا" – قام بمساعدته، ومع ذلك، فإنه لولا أصحاب الملايين و"البابوات" لما كان لدينا هذا الفن"(١٦). وبتعبير "برادن – Braden"، فإن رعاية الفن كانت تحمل معها رسالة تعليم وتربية للناس لكى يقبلوا ما ينبغى أن يكون لديهم، وليس ما يريدون، أو يظنون أنهم يريدون. "عليك دائما أن تقاوم الجهلاء، أو دعنا نقولها على نحو مهذب: عليك دائما أن تقاوم الذين لا يفهمون"(١٧).

ويعلق الناقد "فيليب دود – Philip Dodd" قائلا: "هناك طريقة فاسدة للنظر إلى هذه المسألة"، وهى القول بأن الـ "CIA" كانت تتعامل مع الفن بشكل جاد. أهم شىء عند السياسيين عندما يهتمون بالفن هو أنه يعنى شيئا بالنسبة لهم، سواء أكان أولئك السياسيون فاشست أو سوفيت أو "CIA" وهكذا يمكن أن يكون هناك جدل مضاد يرى أن رجال الـ "CIA" كانوا هم أفضل نقاد الفن فى أمريكا فى الخمسينيات، لأنهم كانوا يرون الفن، الذى كان ينبغى بالفعل أن يكون كريها بالنسبة لهم – كانوا يرونه يصدر عن يساريين قدامى خارجين من عباءة السيريالية الأوروبية - ويبصرون ما فيه من قوة كامنة، وساروا معه. لم تكن تستطيع أن تقول ذلك عن

كثيرين من نقاد الفن فى ذلك الوقت"(١٨).

وقبل أن ينتقل "دونالد چيمسون – **Donald Jameson**" رجل المخابرات – إلى توضيح أكثر لتورط الوكالة، كان يقول مازحا: "بالنسبة للتعبيرية التجريدية أحب أن أقول: إن المخابرات المركزية هى التى اخترعتها برمتها، لمجرد أن ترى ما كان يحدث فى "نيويورك" وفى "سوهو" غدا"(١٩). "لقد أدركنا أن ذلك كان هو نوع الفن الذى ليس له أية علاقة بالواقعية الاشتراكية بل إنه جعلها تبدو أكثر ارتباطا بأسلوب معين وأكثر صرامة وضيقا مما كانت. هذه العلاقة كانت تتبدى فى بعض المعروضات. وفى تلك الأيام كانت "موسكو" شديدة الضراوة فى استهجانها لأى نوع من الخروج على النماذج الجامدة. هنا كان يمكن أن يدرك المرء أن أى شىء ينتقدونه بشدة هكذا، كان جديرا بالمساعدة والدعم. وبالطبع فإن أشياء من هذا القبيل كان يمكن أن تتم فقط عن طريق أجهزة أو عمليات الـ "**CIA**" لاستبعاد اثنين أو ثلاثة حتى لا يكون هناك أى تساؤل عن إجازة "چاكسون پولوك" مثلا، أو عمل أى شىء لإشراك أولئك الناس فى المنظمة - بإضافة أسمائهم فى نهاية السطر. ولا أظن أنه كانت هناك علاقة ذات أهمية بيننا وبين "روبرت مازرويل - **Robert Motherwell**" مثلا. وكان من المستحيل أن تكون وثيقة، والمؤكد أنها ما كان ينبغى أن تكون وثيقة أيضا. لأن معظمهم كانوا أناسا لا يكنون كبير احترام للحكومة بخاصة، ولا أى احترام بالمرة للـ "**CIA**" بكل تأكيد. وعندما يكون عليك أن تستخدم أناسا ممن يعتبرون أنفسهم أقرب إلى "موسكو" منهم إلى "واشنطن" فلا شك فى أن ذلك سيكون من الأفضل"(٢٠).

كان "متحف الفن الحديث – "**MoMa**" محافظا على مسافة تبعده عن الـ "**CIA**"، وبالتالى فإنه كان يقدم غطاء معقولا لمصالحها. والتفحص الدقيق للجان المتحف ومجالسه يكشف عن وجود صلات كثيرة له بالوكالة. أولا وقبل كل شىء، كان هناك "نلسون روكفلر – **Nelson Rockefeller**" نفسه، والذى كان يرأس وكالة المخابرات الحكومية المختصة بأمريكا اللاتينية أثناء الحرب تحت اسم "لجنة تنسيق الشئون الأمريكية المتبادل"–(*) "**CIAA**".

كانت هذه الوكالة ترعى - بين أنشطة أخرى - معارض "الرسم الأمريكى المعاصر" الجوالة، التى تعاقد "متحف الفن الحديث" على تنظيم تسعة عشر معرضا منها. وكأحد أمناء "صندوق إعانه إخوان روكفلر"، وهى مجموعة فكرية استشارية كانت الحكومة متعاقدة معها لدراسة الشئون الخارجية، كان "روكفلر" يرأس مجموعة

(*) Coordinator of Inter - American Affairs

من العقول المتنفذة فى تلك المرحلة عندما كانوا يرسمون سياسة أمريكا الخارجية. فى أوائل الخمسينيات كان يتلقى تقارير عن الأنشطة السرية من "آلان دالاس– Allen Dulles" و"توم برادن – Tom Braden" الذى قال فيما بعد: "أعتقد أن "نلسون – Nelson" كان يعرف كل شيء عما كنا نقوم به". كما يسلم بصحة ذلك تعيين "نلسون" مستشارا خاصا لـ "ايزنهاور" بخصوص استراتيجية الحرب الباردة فى عام ١٩٥٤ (خلفا لـ "سى. دى . چاكسون – C.D. Jackson وترأسه مجموعة التخطيط والتنسيق التى كانت تشرف على كافة قرارات مجلس الأمن القومى بما فى ذلك عمليات الـ "CIA" السرية.

كان أقرب أصدقاء "روكفلر" هو "چون (چوك) هاى ويتنى – John (Jock) Hay Whitney"، الذى كان أمينا لمتحف الفن الحديث لفترة طويلة كما عمل رئيسا لمجلس إدراته. كان "چوك" قد درس فى "جورتون" و"ييل" و"أكسفورد" وحول ميراثه الضخم إلى ثروة كبيرة عن طريق عدة شركات صغيرة، ومسرحيات "برودواى" وأفلام "هوليود". وكمدير لإدارة السينما فى الـ "CIAA" لجنة تنسيق الشئون الأمريكية المتبادلة - لدى "روكفلر" فى الفترة من ١٩٤٠ – ١٩٤٢، كان "چوك" يشرف على إنتاج أفلام مثل Saludas Amigos لدى "شركة ديزنى"، والذى كان يطفح بالحماس للعلاقات الأمريكية المتبادلة. التحق بالـ: "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيچية - فى عام ١٩٤٣، وأسره الجنود الألمان فى جنوب فرنسا فى أغسطس ١٩٤٤، وحملوه فى قطار كان متجها شرقا قبل أن يهرب بطريقة جسورة. وبعد الحرب أسس شركة "چى، اتش، ويتنى آند كومبانى – J.H.Whitney & Co." كشركة مساهمة تعمل على تشجيع نظام المؤسسات التجارية الخاصة بتقديم الدعم المالى للمشروعات الجديدة المتعسرة والتى قد تجد صعوبة فى اجتذاب رأس المال الاستثمارى عن طريق قنوات أكثر تحفظا"(٢١).

كان أحد أبرز شركائه هو "وليم اتش. چاكسون – William H.Jackson" أحد أصدقائه ولاعب "البولو" الذى تصادف أيضا أن كان نائبا لمدير الـ"CIA" كان "چوك" يشغل منصبا فى الـ "PSB" هيئة الاستراتيچية النفسية – ووجد "أكثر من طريقة لكى يكون مفيدا للـ "CIA"(٢٢).

كما كان "وليم بيردن – William Burden" الذى التحق بمتحف الفن الحديث رئيسا للجنته الاستشارية، مصدرا آخر من مصادر الاتصال. أما مسيرة "بيردن" فهى نموذج ملخص لمؤسسة الحرب الباردة. "بيردن" وزير دولة سابق لشئون الطيران، كما عمل لحساب لجنة روكفلر لتنسيق الشئون الأمريكية المتبادلة "CIAA"

أثناء الحرب، وحقق ثروة شخصية طائلة وشهرة كرأسمالي مغامر من الطراز الأول. كان عضوا في مجلس إدارة عدة هيئات شبه حكومية بما في ذلك: "مؤسسة فارفيلد" التابعة للـ"CIA". وكان رئيسا لها) وكان يبدو سعيدا بأن يكون رئيسا صوريا. في عام ١٩٤٧ عين رئيسا للجنة مقتنيات المتحف، وفي ١٩٥٦ كان رئيسا لمتحف الفن الحديث.

تحت رئاسة "بيردن"، كان "دارنونكورت – d'Harnoncourt رينيه" هو الذي يضع سياسة المتحف في كل ما يتعلق بالعمليات "بعد استشارات تتم بشكل روتيني"(٢٣). وقد أعطى ذلك لـ: "دارنونكورت" مجالاً لممارسة مواهبه في كافة الدوائر المحيطة بالمتحف. "دارنونكورت" الذي كان طوله ست أقدام وخمس بوصات، ووزنه ٢٣٠ رطلا، والمولود في "ڤيينا"، كان شخصية غير عادية "فهو سليل نبلاء من وسط أوروبا أصبحوا فيما بعد من كبار المسئولين وشاغلي المناصب العليا لدى حكام "دوقيات" "اللورين" و "كونتات" لوكسمبورج وأباطرة "هابسبورج"(٢٤). هاجر إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٣٢ وأثناء الحرب كان يعمل في قسم الفنون في لجنة تنسيق الشئون الأمريكية المتبادلة "CIAA" في ذلك الوقت اختاره "نلسون" ليعمل في المتحف الذي أصبح مديرا له في عام ١٩٤٩ . كان "دارنونكورت" يرى أن "الفن الحديث بتنوعه اللامحدود، وبحثه الذي لا يتوقف "هو": "الرمز الرئيسي" للديمقراطية، كما كان يمارس ضغطا علينا وعلى المؤتمر في الخمسينيات من أجل تمويل حملة ضد الشيوعية. وبالرغم من أن "برادن" كان يرى أن "الشباب الموجودين في المتحف. يحبون أن يتناولوا الأمور الداخلية، إلا أنه توصل إلى نتيجة مؤداها أن "رينيه دارنونكورت" لابد من أن يكون هو مصدر الـ "CIA" في المتحف. والمؤكد أن "دارنونكورت" كان يتشاور مع لجنة تنسيق العمليات التابعة لمجلس الأمن القومي (والتي حلت محل الـ "PSB" هيئة الاستراتيجية النفسية) كما كان يقدم تقاريره إلى وزارة الخارجية على نحو منتظم. هذه الصلات والعلاقات تقدم دعما مؤكدا للاعتقاد بأن "دارنونكورت" – مثل أسلافه - كان يتمتع بقدرة فائقة على أن يجعل نفسه ضروريا ولا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لعدد من الرعاة الذين كان عددهم يتزايد"(٢٥).

"وليم بالي – William Paley" الذي ورث شركة السيجار (إحدى الشركات التابعة للمنظمة) كان أيضا أحد أمناء "متحف الفن الحديث" وصاحب علاقات وصلات وثيقة بعالم المخابرات. كان صديقا شخصيا لـ "آلان دالاس – Allen Dulles" ولذلك جعل شبكة "CBS" التي يمتلكها تقدم الغطاء اللازم للعاملين في الـ"CIA"، وبترتيب

يشـبـه ذلك الذى وفـره "هنرى لوس – Henry Luce" فى إمـبـراطورية "تيم– لايف".
والجدير بالذكر أن "لوس" كان أيضا أحد أمناء "متحف الفن الحديث". وفى ذروة هذه العـلاقـة كـان مـراسلو شـبكة "CBS" يشـاركـون قـيـادات الـ "CIA" مـرة فى السنة – حفلات عشاء خاصة، كانت تتسع بالطبع لتقارير موجزة. حفلات العشاء تلك: "قضايا كبرى وحديث جيد حول مائدة الطعام وسيجار فاخر"كانت تتم فى بيت "دالاس" أو فى ناديه الخاص "أليبى – Alibi فى واشنطن. يقول أحد المسئولين فى شبكة " CBS"عن تورط "پـالى – Paley مع الـ"CIA" ذلك هـو الموضـوع الوحـيـد الذى خـذلتـه فـيـه ذاكرته"(٢٦).

وتتوالى الأسماء وتتوالى الروابط وسلسلة الاتصالات. " چوزيف ڤيرنر ريد – Joseph Verner Reed" مـثلا، كـان أحد أمناء "متـحف الفن الحديث" فى الوقت الذى كان فيه أحد أمناء "فارفيلد" أيضا. وكذلك كان "جاردنر كولز – Gardner Cowles" و"چنكى فليشـمان – Junkie Fleischman" .. و"كاس كانفيلد Canfield Cass" كما كانت "أوڤيتا كالپ هوبى– Oveta Culp Hobby" أحد الأعضاء المؤسسين لمتحف الفن الحديث، عضـوا فى "لجنة أوروبا الحرة"، وسمحت باستخدام مؤسسة أسرتها كقناة توصـيل لأمـوال الـ "CIA" وعندمـا كـانت وزيرة دولة للصـحـة والتـعليم والإنعـاش الاجتماعى فى إدارة "ايزنهاور" كانت مساعدتها هى "چوان برادن – Joan Braden" التى كـانت تعـمل من قـبل لدى "نلسـون روكلفر". كـانت "چـوان" متـزوجـة من "توم – Tom" كمـا أن "Tom" هـو الآخر كان قد عمل لدى "نلسون روكفلر" كسكرتير تنفيذى فى "مـتـحف الفن الحـديث" فى الفـتـرة من ١٩٤٧–١٩٤٩"، وذلك قـبل أن يلتـحق بالـ "CIA".

وكمـا قـال "جـور ڤيـدال – Gore Vidal" ذات مـرة: "كل شىء فى جـمـهـوريتنا اليـعقـوبية المفـاجـئة مندرج فى سلسلة من الروابط لدرجـة أنه لم يعـد هناك أى شىء يدهشنا". وبالطبع يمكن القول إن ذلك التوافق كان يعبر عن طبيعة القوة الأمريكية آنذاك. لمجـرد أن أولئك النـاس كـانوا يعـرفـون بعضـهـم الآخـر، ولمجـرد أنهـم كـانوا مرتبطين اجتماعيا (وحتى رسميا) بالـ "CIA" فإن ذلك لا يعنى أنهم كانوا متآمرين فى الترويج للفن الأمريكى الحديث، لكن دفء العلاقة بينهم كان يضـمن اسـتـمرار الزعم بأن "متـحف الفن الحديث" كانت له علاقة رسمية ببرنامج الحكومة السرى للحرب الباردة الثقافية. وقد قامت "إيـڤا كوكروفت – Eva Cockroft" بتمـحيص تلك الشـائعة فى ١٩٧٤ فى مـقـال أولى فى مـجلة "آرت فـورام – Art Forum" بعنوان "التـعـبيـرية التجريدية: سلاح الحرب الباردة "انتهت فيه إلى أن" الصلة بين سياسة الحرب الباردة

الثقافية ونجاح التعبيرية التجريدية ليست من قبيل المصادفة. لقد تم صياغتها فى حينها بأيدى بعض أهم الشخصيات الذين كانوا يرسمون سياسة المتحف ويشجعون على تكتيكات مستنيرة فى الحرب الباردة التى تستهدف المثقفين الأوروبيين"(٢٧). وفوق ذلك، أكدت "كوكروفت": "وبلغة الدعاية الثقافية، فإن أعمال كل من الجهاز الثقافى لـ "CIA" والبرنامج الدولى لمتحف الفن الحديث كانت متطابقة، بل ومدعمة لبعضها الآخر"(٢٨).

أما "لورانس دونيفى - "Lawrence de Neufville" فيقول: "لم يكن لى أية علاقة بالترويج لـ "پولوك" أو غيره، وأنا - حتى - لا أذكر متى سمعت به لأول مرة. لكننى أذكر أننى سمعت أن "چوك ويتنى - Jock whitney" و"آلان دالاس - Allen Dulles" وافقا على عمل شىء للفن الحديث بعد أن تخلت عنه وزارة الخارجية. وربما يكون ذلك معنى أن نقول: إن موقفى كل من الـ "CIA" والمتحف كانا يمثلان دعما متبادلا(٢٩). ولا يوجد دليل ظاهرى قاطع "Prima Faci" على أى اتفاق رسمى بين الـ "CIA" و"متحف الفن الحديث"، والواقع أنه لم تكن ثمة ضرورة لذلك.

أما المدافعون عن "متحف الفن الحديث"، فقد كانوا يهاجمون الزعم بأن دعم المتحف للتعبيرية التجريدية كان له علاقة ما بمحاولة تحسين صورة أمريكا فى العالم. وأحد دفوعاتهم لذلك هو أن المتحف كان قد أهمل الحركة وتجاهلها عند أول ظهور لها. كتب "مايكل كيملمان - Michael Kimmelman" فى رد بتفويض من المتحف يقول: "إن معارض التعبيرية التجريدية للفنانين المحدثين فى الداخل وفى الخارج أيضا، جاءت كلها بشكل عام فى أواخر الخمسينيات فقط، وعندما كان الجيل الثانى من الحركة قد جاء بعد جيلها الأول"(٣٠). والقول بأن "متحف الفن الحديث" قد أغفل ما كان أمامه، قول مخادع ويتجاهل حقيقة أن المتحف كان يقوم باستمرار وبشكل منظم باقتناء أعمال فنانى "التعبيرية التجريدية" منذ بداية ظهورهم. لقد حصل المتحف على أعمال لكل من "أرشيل جوركى - Arshile Gorky" و"الكساندر كالدر - Alexander Calder" و"فرانك ستيلا - Frank Stella" و"روبرت ماذرويل - Robert Motherwell" و"چاكسون پولوك - Jackson Pollck" وستيوارت ديفز - "Stuart Davis" و"أدولف جوتليب - Adolf Gottlieb" وذلك منذ عام ١٩٤١. وفى سنة ١٩٤٤ باع المتحف بالمزاد عددا من "الأعمال التى تنتمى للقرن الثامن عشر الموجودة لديه بغرض تمويل شراء أعمال من القرن العشرين". وبالرغم من أن حصيلة البيع كانت مخيبة للآمال، إلا أنه تم تدبير الأموال اللازمة لشراء "أعمال مهمة" لكل من "پولوك" و"ماذرويل" و"ماتا" وهكذا، وكما هو متوقع من "متحف الفن الحديث"، وخاصة إذا كان

متحفا يعترف بأنه" صاحب مسئولية أخلاقية تجاه الفنانين الأحياء، الذين يمكن أن يتأثر عملهم ومصيرهم، سواء بدعم المتحف لهم أم بدونه"(٣١). هكذا دخل الجيل الجديد من الرسامين الأمريكيين إلى حظيرته.

حدوث ذلك في وجه المعارضة الداخلية، كان يدل على رغبة صادقة فى تدعيم حق "التعبيرية التجريدية" فى الاعتراف بها كمدرسة فنية. وعندما قام بعض أعضاء لجنة مقتنيات المتحف، مدفوعين بالنقد المضاد فى الصحف، "يشككون – بقوة– فى قيمة بعض الأعمال التى تم شراؤها، بما فيها أعمال يقال إنها "تعبير تجريدى"(٣٢)، لم يكن لاحتجاجهم أى أثر، كما لم يعترض أحد على استقالة أحد الأعضاء احتجاجا على شراء عمل لـ "روثكو – Rothko". أما بالنسبة للجولات الخارجية، فقد اختيرت أعمال لكل من "مازرويل" و"چيورچيا أوكيفى" و"جوتليب" لمعرض "الرسم الأمريكى من القرن الثامن عشر إلى اليوم"، والذى افتتح فى "لندن" فى عام ١٩٤٦ قبل أن ينتقل إلى العواصم الأوروبية الأخرى. كانت تلك إحدى المرات الأولى التى تظهر فيها "التعبيرية التجريدية" فى معرض جماعى تحت رعاية رسمية (وكان الراعى الرسمى هو وزارة الخارجية ومكتب الإعلام العسكرى). وفى العام نفسه كان المعرض الذى أقامه "متحف الفن الحديث" (تحت عنوان: أربعة عشر أمريكيا) يضم أعمالا لكل من: "جوركى– Gorky"، و"مازرويل –Motherwell"، و"توبى – Toby" و"تيودور روزاك – Theodor Roszak". وفى عام ١٩٤٨ كان "لنكولن كيرستين – Lincoln Kirstein"أحد النشطاء السابقين فى "متحف الفن الحديث" يجأر بالشكوى فى "هاربر" من أن المتحف قد قام بواجبه "أكثر مما ينبغى.." بأن تحول إلى "أكاديمية للتجريد الحديث"، كما كان يصف فلسفته بأنها الارتجال كطريقة، والتشوية كصيغة، والرسم .. كتسلية يناور بها محترفو الزخرفة والباعة الأكثر إلحاحا"(٣٣). وفى عام ١٩٥٢ شن خمسون فنانا أمريكيا هجوما على "متحف الفن الحديث"، كان من بينهم "إدوارد هوبر – Ed-wardHopper" و"تشارلز بيركفيلد – Charles Burchfield" و"ياسو كونيوشى – Ya-suo Kuniyoshi" و"چاك ليفين – Jack Levine"، وأصدروا ما أصبح يعرف بـ"بيان الحقيقة". هاجموا المتحف لأنه "أصبح يبدو أمام النظرة العامة مرتبطا أكثر فأكثر بالفن التجريدى وغير الموضوعى" وهو "جمود" كان نابعا فى نظرهم –إلى حد كبير– من المتحف الحديث، ونفوذه غير المسئول فى أرجاء البلاد". وفى العام نفسه، شنت مجلة "ماسز آند مينستريم– Masses And Mainstream" الشهرية الشيوعية هجوما ساخرا لاذعا على الفن التجريدى، وعلى "ضريحه" متحف الفن الحديث، وذلك فى مقال تعريفى تحت عنوان نبوئى مخيف "دولارات وشخبطة عبثية وموت".

لكن هل يمكننا أن نقول: إن "متحف الفن الحديث" ظهر في الصورة متأخرا؟ عندما أخذ "سيدني چانيس - Sidney Janis" المعرض الجماعي "الفن الطليعي الأمريكي في "پاريس" إلى "جاليري فرنسا - Galerie de France" في أواخر عام ١٩٥٢، فشل المعرض فشلاً ذريعا. كانت الكتابات النقدية عنه فاترة في أفضل الأحوال وعدائية في معظمها. لم يشتر أحد لوحة واحدة. وكان تعليق "چانيس": "مازال الوقت باكرا". لم يكن لدى أصحاب قاعات العرض الخاصة الذين يدافعون عن "مدرسة نيويورك"، لم يكن لديهم أدنى شك في أنها كانت مدينة للاعتراف الباكر بها من قبل "متحف الفن الحديث". يقول "صمويل كوتز - Samuel Kootz" صاحب "جاليري كووتز": "لابد من أن أقول: إن "متحف الفن الحديث" كان من أوائل الذين قبلوا أناسا مثل "مازرويل - Motherwell" و"جوتليب - Gottlieb" و"بازيوتس - Baziotes" وكان (ألفرد) "بار - Barr" أحد المتحمسين بشكل خاص لأولئك الفنانين الثلاثة، ونقل حماسته لأشخاص مثل "بيردن - Burden" أو"نلسون روكفلر - Nelson Rockefeller" وغيرهما من الحداثيين بين الأمناء"(٣٤).

كان دفاع "ألفرد بار - Alfred Barr" عن "التعبيرية التجريدية" سببا أساسيا في نجاحها، حيث كان أبرز صناع الذائقة الفنية في ذلك الوقت. "بار - Barr" من مواليد ١٩٠٢ في "ديترويت"، التحق بجامعة "پرنستون - Princeton" في عام ١٩١٨، وشب مولعا بالفن والتاريخ العسكري ولعب الشطرنج، (الأمر الذي يعكس اهتمامه بالاستراتيچية والتكتيك). في عام ١٩٢٩ وبدعوة من "أبي أولدرتش روكفلر - Abby Aldrich Rockefeller" أصبح "بار" أول مدير لمتحف الفن الحديث، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى عام ١٩٤٣ عندما حل محله "رينيه دارنونكورت". ظل "بار" محتفظا بمكتب له في المتحف، وفي فبراير ١٩٤٧ عين مديرا لمقتنيات المتحف. يصفه "دوايت ماكدونالد - Dwight Macdonald" في صورة قلمية نشرتها "نيويوركر" بأنه "كان خجولا، ضعيف البنية، خفيض الصوت، له سحنة المثقفين، صرامة وجهه بأنفه الذي يشبه المنقار، والتي لا يخفف منها سوى تلك الابتسامة الغامضة التي يراها المرء على التماثيل الإغريقية القديمة، أو على تلك الملامح المتشابكة لمحلل نفسي". لكن "ماكدونالد" لاحظ أنه كان هناك في "بار" ما هو أكثر من كونه "مجرد پروفيسور عجوز آخر شارد الذهن. فهو بأسلوبه الهادئ والمستقيم كان أكثر من مجرد سياسي.. "يد ألفرد بار" الإيطالية(*) المرهفة كان لها دور في خلق جو من الضغينة في المتحف حيث لم تكن الأشياء بالضرورة على الشكل الذي تبدو به، لدرجة أن تجعل أحد الفنانين يقول - مذهولا - عن المكان: إنه "منزل السر"، إن لم يكن بيت البهجة". ويواصل

(*) المقصود باليد الإيطالية هنا هو شدة الذكاء والمهار... والخبث في إدارة الأمور. (المترجم)

"ماكدونالد" ليقتبس من "پيجى ججنهايم – Peggy Guggenheim" التى قالت مرة عن "بار" إنها "تكره أسلوبه الحذر"، ومن ناقد آخر كان يرى فى "ألفرد" شيئا من صفات "الچيزويت" .. لكن بينما كان "الچيزويت" يمارسون خداعهم الأعظم من أجل المجد، فإن "بار" كان يناور ويخادع باستمرار من أجل "المجد الأعظم للفن الحديث والمتحف"(٣٥).

هناك دليل على لعب "اليد الإيطالية" لـ "بار"، وراء استراتيجية متحف الفن الحديث، فى تلك الفترة التى كانت السياسة طاغية فيها على كل شىء. فهو، كجزء من مناورته لتهدئة المعارضة للمتحف بسبب تكريسه للتعبيرية التجريدية، كان يتبع سياسة ذات شقين وغير معلنة – ربما من باب اللباقة أو الدبلوماسية – ولكنها واضحة، وذلك بالنسبة لبرنامج المعارض فى المتحف"(٣٦). وهكذا لم يكن هناك أى نقص فى المعروضات التى تخدم الذوق السائد للأعمال الرومانسية أو النموذجية، مما جعل أحد النقاد يقول: إن المتحف "أقل اهتماما بفن زماننا"، مما هو بفن "زمن أجدادنا"(٣٧). لكن "بار" كان يقتنى فى الوقت نفسه أعمالا من "مدرسة نيويورك" ويجرى اتصالاته بشكل مستمر من أجل الحصول على دعم مؤسسى أوسع. كان هو الذى أقنع "هنرى لوس – Henry Luce" صاحب "تايم – لايف" بأن يغير سياسته التحريرية بالنسبة للفن الحديث، بعد أن كتب له رسالة يقول فيها: إنه لابد من أن يحظى بحماية خاصة، بدلا من توجيه النقد له كما يحدث فى الاتحاد السوڤيتى، لأن ذلك فى النهاية هو التعبير الفنى الحر"(٣٨). وهكذا فإن "لوس" الذى كانت على طرف لسانه دائما عبارة " صحة أمريكا الثقافية" انحاز إلى جانب مصالح "بار" و"متحف الفن الحديث". فى أغسطس ١٩٤٩ خصصت مجلة "لايف – Life" صفحتى الوسط لـ: چاكسون پولوك – Jackson Pollock"، مما جعل الفنان وعمله يصلان إلى كل طاولة فى مقاهى أمريكا. هذه التغطية (بالإضافة إلى الجهد الذى بذله "بار") كان لها دخل كبير فى إنقاذ هذا الفن من الإهمال.

ولكن أبرز ما يصور مصير "مدرسة نيويورك" هو إعادة الأعمال من "متحف الفن الحديث" إلى أوروبا. فتحت رعاية "البرنامج الدولى" الذى أنشئ فى ١٩٥٢ بمنحة سنوية من "روكفلر برذرز فاند" مقدارها ١٢٥٠٠٠ دولار لمدة خمس سنوات، بدأ المتحف فى تنفيذ برنامج تصدير هائل للتعبيرية التجريدية. كان "بار" نفسه يشير إلى ذلك البرنامج باعتباره شكلا من أشكال "الدعاية الخيرة للمثقفين الأجانب"(٣٩). (كما وصفه مسئول آخر بالمتحف بأنه استثمار ضخم فى اتجاه التفاهم الأجنبى)، كان مدير البرنامج هو "پورتر ماكراى – Porter McCray" الذى تخرج فى "ييل"،

وأحد أعضاء جماعة "نلسون روكفلر" التى كانت مسئولة عن المخابرات فى أمريكا الجنوبية. فى ديسمبر ١٩٥٠، حصل "ماكراى" على إجازة لمدة عام من عمله كمدير لإدارة المعارض المتنقلة فى "متحف الفن الحديث"، ليعمل ملحقا فى الخارجية الأمريكية. وعين فى القسم الثقافى فى "مشروع مارشال" فى "پاريس". كتب "رسل لينز – Russell Lynes" عن هذه النقلة فى كتابه عن تاريخ "متحف الفن الحديث" يقول: والآن كان العالم كله أمام المتحف. وكان يسعده أن يكون ذلك فى متناوله (أو على الأقل العالم خارج الستار الحديدى) لكى يهديه إلى عقيدة جديدة ـ بالرغم من أن العقيدة التى كان يصدرها هذه المرة كانت نبتا محليا، ولم تكن تلك المستوردة من أوروبا، والتى كانت رسالته فى الماضى"(٤٠). وفى فرنسا، شاهد "ماكراى" لأول وهلة، الأثر السيئ لقيام وزارة الخارجية (رسميا) باستبعاد الفنانين اليساريين (كما يقال)، "الأمر الذى خلف ثغرة فى الاهتمامات والأنشطة الأمريكية التى كان من المتسحيل أن يفهمها الفرنسيون، بل وتصب فى خدمة الشيوعيين وتبدو مبررا لاتهام أمريكا بالفشل فى المشاركة فى القيم الأساسية للحضارة الغربية"(٤١)، على حد تعبير أحد المسئولين فى السفارة الأمريكية. وعاد "ماكراى" إلى "متحف الفن الحديث" فى مهمة لمحاولة تصحيح هذا الانطباع. وفى عهده، زادت عمليات الإعارة للمعارض الجوالة بشكل كبير "ولدرجة مقلقة"، كما جاء فى أحد التقارير الداخلية، حيث بقى المتحف " محروما من معظم أفضل اللوحات الأمريكية لمدة ١٨ شهرا". وبحلول عام ١٩٥٦ كان "البرنامج الدولى" قد نظم ثلاثة وثلاثين معرضا دوليا، من بينها مشاركة الولايات المتحدة فى "بينالى ڤينيسيا" (وكانت هى الدولة الوحيدة الممثلة) وفى الوقت نفسه زاد معدل إعارة الأعمال لسفارات وقنصليات الولايات المتحدة بشكل كبير.

ويقول "والدو راسماسن – Waldo Rasmussen" مساعد "ماكراى" إنه "كانت هناك سلسلة من المقالات تربط بين البرنامج الدولى لمتحف الفن الحديث والدعاية والسياسة، كما كانت هناك إيحاءات بأن له علاقة بالمخابرات المركزية "CIA"، وحيث إننى كنت أعمل هناك طوال تلك السنوات، فإننى أستطيع أن أقطع بأن ذلك لم يكن صحيحا". التركيز الرئيسى للبرنامج الدولى كان على الفن، لم يكن على السياسة، ولم يكن على الدعاية. والحقيقة أنه كان من المهم بالنسبة لمتحف أمريكى أن يتجنب اقتراح الدعاية الثقافية، ولهذا السبب لم يكن من المفيد دائما أن تكون هناك صلات بالسفارة الأمريكية أو بشخصيات رسمية حكومية، لأن ذلك كان من شأنه أن يوحى بأن المعارض دعاية.. بينما هى لم تكن كذلك"(٤٢).

لم يكن "متحف الفن الحديث" متحررا من الدعاية ولا من الشخصيات الحكومية، فعلى سبيل المثال: عندما قبل عقداً لتزويد "مهرجان الروائع " التابع لمنظمة

الحرية الثقافية فى "پاريس" فى عام ١٩٥٢ بمعروضات فنية، فإنه فعل ذلك تحت رعاية الأمناء الذين كانوا على علم تام بدور الـ "CIA" فى تلك المنظمة. والأكثر من ذلك أن أمين المعرض "چيمس چونسون سوينى - James Johnson Sweeney" (عضو اللجنة الاستشارية لمتحف الفن الحديث واللجنة الأمريكية للحرية الثقافية)، أشاد علنا بالقيمة الدعائية للمعرض عندما قال: "سوف نعرض روائع لم يكن بالإمكان أن تُنْتَج أو أن يسمح بعرضها فى أنظمة شمولية مثل ألمانيا النازية أو روسيا السوفيتية والدول التابعة لها اليوم"(٤٤). كما كان "ألفرد بار" يؤكد على فكرة أن الفن التجريدى مرادف للديمقراطية وأن ذلك "يحسب لنا"، وكان "بار" يستعير عبارات خطاب الحرب الباردة عندما قال، "إن استقلالية الفنان الحديث وحبه للحرية ليس مسموحاً بها فى ظل الاستبداد، والفن الحديث لا يصلح كوسيلة دعاية لديكتاتور"(٤٥).

وكانت جولة "١٢ رساما ونحاتا أمريكيا من المعاصرين"(٤٦) فى عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ أكثر أهمية من "معرض الروائع" الذى نظمه "نابوكوف" كما كان أول معرض يكرسه "متحف الفن الحديث" بكامله لـ "مدرسة نيويورك". تم افتتاح المعرض فى المتحف القومى للفن الحديث فى "پاريس"، وكان أول معرض متميز للفن الأمريكى يقام فى متحف فرنسى على مدى أكثر من ١٥ عاما. ولدرء الاتهام- مسبقا- بأنه كان رأس حربة فى "غزو ثقافى" لفرنسا (التى كان لا يمكن التقليل من شوفينيتها الثقافية)، لدرء هذا الاتهام مسبقاً، زعم "متحف الفن الحديث" أن المعرض جاء بناء على طلب متكرر من المتحف المضيف. والحقيقة أن العكس هو الصحيح، ففى رسالة رسمية من السفارة الأمريكية فى "پاريس" نقرأ: "فى أوائل فبراير ١٩٥٣ طلب المتحف (MoMA) من قسم العلاقات الثقافية فى السفارة أن يبحث مع "چان كاسو - Jean Cassou" مدير المتحف القومى للفن الحديث فى "پاريس" إمكانية إقامة هذا المعرض. ولكن "مسيوكاسو" كان قد انتهى من وضع خطة المعارض حتى ربيع ١٩٥٤، وعندما علم أن هذا المعرض يمكن أن يقام، أعاد ترتيب خطته، وأجَّل معرضا للرسام البلچيكى "انسور - Ensor" كان مدرجا فى الخطة"(٤٧). كانت الرسالة تتضمن شكوى من عدم قدرة السفارة على اتخاذ أية خطوة بشأن هذا الطلب بسبب عدم وجود أى برنامج فنى تحت رعاية حكومة الولايات المتحدة. وتواصل الرسالة، "أما فى حالة" معرض الفن الأمريكى المذكور، فإن المشكلة قد تم حلها عن طريق"نلسون روكفلر فاند- Nelson Rockefeller Fund" الذى خصص معونة لمتحف الفن الحديث فى "نيويورك" لاستخدامها فى المعارض الدولية"(٤٨).

ولأنها لم تكن تستطيع القيام بأى دور رسمى فى المعرض، اكتفت السفارة الأمريكية بدور منسق الاتصالات بين "متحف الفن الحديث" ومضيفيه الفرنسيين الذين كان من بينهم "الجمعية الفرنسية للعمل الفنى" والتى كانت تتبع كلا من وزارة الخارجية ووزارة التربية الوطنية. قدمت الجمعية منحة كبيرة لعمل كتالوج على مستوى رائع وعمل ملصقات... وكل "الدعاية اللازمة للمعرض". وهى علاقة أوصلة مثيرة: فقد كانت الجمعية أيضا إحدى الجهات المانحة لمنظمة الحرية الثقافية، وكان مديرها "فيليب ارلانچر – Philippe Erlanger" فى رأى "چنكى فلشمان"– أحد "أولئك الناس الأكثر تعاونا ومساعدة لنا فى فرنسا فى كل مرة كنا نلجأ إليه لحل أية مشكلة خاصة بالمنظمة"(٤٩). والحقيقة أن "ارلانچر" كان أحد ضباط الاتصال فى الـ "CIA"والمعينين فى الخارجية الفرنسية. وعن طريقه استطاعت "منظمة الحرية الثقافية" (ومتحف الفن الحديث فى هذه المرة) أن يضمنا قناة لتوصيل الدعم الفرنسى الرسمى لصالح النشاط الدعائى.. وكان "رينيه دارنونكورت" الذى يعلق أهمية كبيرة على المعرض، على علم بهذه الصلة. وعلقت بعض عناصر الصحافة الفرنسية منتقدة المناورات السياسية وراء هذا العرض، وظهرت تعليقات وتلميحات عن عدم الثقة به، وأثارت الشك حول المتحف القومى للفن الحديث . وبأنه أصبح بمثابة قاعدة متقدمة جديدة على حدود الولايات المتحدة، وأن الرسامين المشاركين فى المعرض هنا هم "رُسُلُ" مستر "فوستر دالاس – Foster Dulles" الإثناعشر".

وفى الوقت الذى كان يستعد فيه معرض "اثنا عشر رساماً ونحاتاً أمريكيا معاصراً" للانتقال إلى مكان آخر (سافر المعرض إلى "زيورخ" و "دوسلدورف" و"ستوكهولم" و"أوسلو" و"هلسنكى")، كان متحف الفن الحديث يستعد للمشاركة فى معرض آخر يضعه فى علاقة مباشرة مع "منظمة الحرية الثقافية" مرة أخرى. فى رسالته إلى "نابوكوف" بتاريخ ٩ إبريل ١٩٥٤ كتب "مونرو ويلر – Monroe Wheeler" لمدير المعارض والمطبوعات فى "متحف الفن الحديث" ليؤكد له أن "لجنة التنسيق لدينا قد وافقت على أن نتعاون – قدر الاستطاعة – مع فكرتكم لإقامة معرض رسوم لبعض الفنانين فى المرحلة العمرية ما بين ١٨ و٣ سنة. وأود بهذا الخصوص أن أقترح عليكم ضم السيد: "أندرو كارندوف ريتشى – Andrew Carnduff Ritchie" مدير الرسم والنحت إلى اللجنة الاستشارية الدولية لديكم"(٥٠).

وكان من ثمار هذا التنسيق معرض "الرسامين الشبان" الذى أقيم فى "الجاليرى القومى للفن الحديث فى "روما" ثم انتقل إلى "قصر الفنون الجميلة" فى "بروكسل" و"المتحف القومى للفن الحديث" فى "پاريس" و"معهد الفن المعاصر" فى

"لندن". وعرض فيه ١٧٠ عملا كانت كلها تقريبا تجريدية. "ريتشي" الذى كان يعتقد أن الفنانين الذين يرسمون بالأسلوب التجريدى كانوا يردون - على نحو ما - على "ضعف وربما عقم معظم الأعمال الرمزية غير الشيوعية"، قام باختيار أعمال لكل من "ريتشارد ديبينكورن – Richard Diebenkorn" و"سيمور درامليفتش – Seymour Drumlevitch" و"جوزيف جلاسكو – Joseph Glasco" و"جون هلتبيرج – John Hultberg" و"إيرفنج كريسبرج – Irving Kriesberg" و"تيودوروس ستاموس – Theo-doros Stamos". وهكذا كان "ريتشي" يقدم للجمهور الموجة الثانية من "التعبيرية التجريدية" فى الوقت الذى كان ما زال يتعرف فيه على الموجه الأولى.

وكالعادة خصصت "منظمة الحرية الثقافية" جوائز مالية كبيرة لأفضل ثلاث لوحات (تَشَارَك "هلتبيرج" فى الجائزة الأولى لأفضل لوحة مع كل من " چيوڤانى دوڤا – Giovanni Dova" و"آلان رينولدز – Alan Renolds" وحصل كل منهم على ألف فرانك سويسرى – ما يعادل ٢٠٠٠ دولار - تبرع بها "فليشمان"). أما تكاليف تنظيم المعرض وتنقلاته والدعاية له على مدار جولته التى استمرت عاما، فقد جاءت من "مؤسسة فارفيلد". وكان البرنامج الدولى التابع لمتحف الفن الحديث هو الذى يقوم بتنفيذ جدول نقل الأعمال المشاركة من وإلى أوروبا بفضل المساعدة المالية الممنوحة من "روكفلر برذرز فاند– Rockefeller Brothers Fund"، كما قامت وسائل الإعلام التابعة لمنظمة الحرية الثقافية بتضخيم أثر المعرض. خصصت مجلة "بريف – Preuves:" نصف صفحات عدد سبتمبر ١٩٥٦ للمعرض، كما نشرت تقريرا عالميا عن الرسامين الشبان وعن التجريد فى مواجهة الفن الرمزى(٥١). أما "جوسلسون" الذى كان يجزم بأن "قضايا الفن الحديث هى إحدى هواياتى" فقد قدم التقرير الذى نشرته المجلة لـ "نلسون روكفلر– Nelson Rockefeller" قائلا: إنه من بين أهم الموضوعات التى يجرى مناقشتها فى "باريس" اليوم(٥٢).

وبفضل التعاون مع "منظمة الحرية الثقافية"، أصبح "متحف الفن الحديث" يستطيع الوصول إلى أرقى المؤسسات الفنية فى أوروبا. كان من بين أعضاء لجنة الفنون فى المنظمة مدراء "قصر الفنون الجميلة" فى "بروكسل" و"متحف الفن الحديث" فى سويسرا، و"معهد الفن المعاصر" فى "لندن" و"متحف القيصر فردريك" فى "برلين" و"المتحف القومى للفن الحديث" فى "باريس": و"متحف ججنهايم" (فى نيويورك وڤينسيا) و"الجاليرى القومى للفن الحديث" فى "روما". وبفضل ارتباطها بالقوة الاقتصادية لمتحف الفن الحديث (وبمؤسسة "فارفليد" من خلف الستار طبعا) استطاعت تلك اللجنة أن يكون لها مجال واسع للتأثير على الذائقة الفنية لأوروبا كلها.

وكما كتب أحد النقاد تعليقا على معرض الرسامين الشبان: "لقد جاء هذا المعرض متوافقا مع الذوق السائد لتيارات الفن التجريدى المختلفة، ولم يكن مفاجئا لها. وكان سبب ذلك هو تشكيل لجنة التحكيم. كل أعضاء اللجنة تقريبا من مدراء المتاحف وهكذا لم يكن متوقعا أن نرى أفضل مما لديهم"(٥٣).

ولا يوجد شك كبير فى أن تكون هذه الأفكار والآراء السائدة قد تم صياغتها طبقا لأجندة سياسية وليس فنية فقط. كانت أجندة تم التصديق عليها من الرئيس "ايزنهاور" شخصيا والذى كان يدرك قيمة الفن الحديث - بخلاف "ترومان" من قبله - ويعتبره" من ركائز الحرية" . وفى خطاب له أثنى فيه على عمل "متحف الفن الحديث" أعلن "ايزنهاور": "ما دام الفنانون يشعرون بحرية شخصية مطلقة، وما دام الفنانون عندنا يبدعون بإخلاص واقتناع، فسوف يكون هناك دائما حوار صحى وتقدم فى الفن.. والأمر مختلف جدا فى الأنظمة الاستبدادية. عندما يكون الفنانون عبيدا .. وأدوات فى يد الدولة، وعندما يتحول الفنانون إلى أبواق دعاية لقضية ما، يُعْتَقَلُ التقدم، ويُدَمَّر الإبداع والعبقرية"(٥٤). هذه المشاعر نفسها، كان يرددها "أوجست هكشر– August Heckscher" وهو رئيس سابق للبرنامج الدولى فى "متحف الفن الحديث"، والذى كان يزعم أن نشاط المتحف كان "وثيق الصلة بالصراع الرئيسى فى هذا العصر، صراع الحرية ضد الاستبداد، فنحن نعلم أن الاستبداد عندما يسود– سواء أكان ذلك فى ظل الفاشية أم الشيوعية– يـ م تدمير الفن الحديث ونفيه"(٥٥).

وكان "چورچ كينان – George Kennan" يدعو إلى أيديولوچية "الفن الحر" هذه ويحث عليها. وها هو ذا يتحدث لجمهور من نشطاء "متحف الفن الحديث" فى عام ١٩٥٥ فيقول لهم إن من واجبهم "تصحيح بعض انطباعات العالم الخارجى عنا، وهى انطباعات بدأت تؤثر على وضعنا الدولى بشكل مهم"(٥٦)، ويقول: "هذه الانطباعات السلبية متعلقة بالثقافة أكثر منها بالأحوال السياسية". أما النقطة الثانية التى أثارها فجاءت مفاجئة ومذهلة للجميع."إن أصحاب الأنظمة الشمولية قد أدركوا أنهم إذا ظهروا على أنهم يتمتعون بثقة وحماسة الفنانين، فإن بإمكانهم أن يزعموا أنهم صنعوا حضارة مليئة بالأمل، وجديرة بالتصديق.. وأنا أرى أنه من المؤسف أن يكونوا قد توصلوا إلى ذلك الإدراك قبل الكثيرين منا"(٥٧). ويتساءل "كينان – Kennan" عن طبيعة المهمة التى تنتظرهم: "علينا أن نُرِى العالم الخارجى أن لدينا حياة ثقافية وأننا أيضا مهتمون بها، وأننا حريصون عليها بما يكفى ونشجعها هنا فى الداخل، وحريصون على إثرائها بالتعرف على الأنشطة المماثلة لها فى أى مكان آخر. وإذا كان بالإمكان نقل هذه الانطباعات بقوة كافية وبنجاح إلى الأقطار الأخرى خارج

حدودنا، فإننى أؤكد أن ذلك أفضل من استخدام كافة وسائل الدعاية السياسية الأخرى لما تحققه من أهداف"(٥٨).

فى هذا الإطار، لابد من أن ننظر إلى دعم "منظمة الحرية الثقافية" للرسم التجريدى والتجريبى وتفضيله على الرسوم التمثيلية الواقعية. ومن تصريحات "توم برادن" و "دونالد چيمسون" يتضح أن الـ "CIA" كانت تشعر بأن لها دورا لابد من أن تقوم به لتشجيع تقبل هذا الفن الجديد. كما تكشف سجلات "مؤسسة فارفيلد" عن أن الوكالة كانت تعبر عن هذا الالتزام عن طريق الدولارات. فإلى جانب دعم معرض "الفنانين الشبان"، تم تمرير منح وتبرعات وإعانات كثيرة من "مؤسسة فارفيلد" إلى "متحف الفن الحديث" من بينها ٢٠٠٠ دولار للمجلس الدولى التابع له فى عام ١٩٥٩ بغرض شراء كتب عن الفن الحديث للقراء فى "پولندا".

وهناك دليل أخر لا يقبل النقض على أن وكالة المخابرات المركزية "CIA" كانت جزءاً مهما وأساسيا من آلة تكريس "التعبيرية التجريدية". بعد معرض "الفنانين الشبان" فى ١٩٥٥-١٩٥٦ مباشرة، بدأ "نيكولاس نابوكوف" خطة للمتابعة. وبالرغم من البداية المتعسرة إلا أن الاقتراح تمت الموافقة عليه فى أوائل ١٩٥٩. كان "چنكى فليشمان" فى ذلك الوقت هو رئيس لجنة الموسيقى والفنون فى "منظمة الحرية الثقافية" إلى جانب عضوية المجلس الدولى للفنون فى "متحف الفن الحديث" (وهو صيغة متطورة وأشمل من البرنامج الدولى) وهو الذى عقد الصلة بين المنظمتين. مرة أخرى كان على "متحف الفن الحديث" أن يختار المساهمات الأمريكية فى المعرض وكان معظمها من الأعمال التى كانت قد أرسلت بالفعل إلى أوروبا للمشاركة فى "بينالى باريس". وفى نهاية العام كانت سكرتيرة "نابوكوف" تبلغ "چنكى فليشمان" بأن أخبار المعرض المنوى إقامته قد اجتاحت الدوائر الفنية كالإعصار. كل فنان شاب فى "باريس"، كل مدير جاليرى، كل ناقد فنى (كذا).. كلهم يتصلون - بالمنظمة - تليفونيا لمعرفة التفاصيل. سيكون قنبلة مدوية"(٥٩).

المعرض الذى كان فى الأصل تحت عنوان Sources Poetiques de La Peinture Actuelle" المصادر الشعرية للرسم المعاصر "تم افتتاحه فى النهاية فى يناير ١٩٦٠، فى "متحف الفنون الزخرفية، فى "اللوفر" تحت عنوان أكثر استفزازا وهو: خصومات عدائية - Antagonismes". وسيطرت على المعرض أعمال لكل من: "مارك روثكو - Mark Rothko" وكان موجودا فى فرنسا آنذاك) و"سام فرانسيس - Sam Francis" و"ييڤ كلين - Yves Kline" فى أول عرض له فى باريس) و"فرانز كلين - Franz Kline" و"لويز نيڤلسون- Louise Nevelson" و"جاكسون پولوك -

"Jackson Pollock" و"مارك توبى – Mark Tobey" و"چوان ميتشيل – Joan "Mitch-ell معظم الأعمال جاءت إلى "پاريس" من "ڤيينا" حيث كانت المنظمة تعرضها هناك فى إطار حملة نظمتها الـ "CIA" للتشويش على مهرجان الشباب الشيوعى فى عام ١٩٥٩، هذا المعرض كلف الـ "CIA" مبلغا وصل إلى ١٥٣٦٥ دولارا ولكنهم كان لابد من أن يقدموا أكثر من ذلك من أجل معرض "پاريس" الموسع، فكانت هناك عشرة آلاف دولار أخرى "مغسولة" عن طريق "مؤسسة هوبلتزل – Hoblitzelle Founda-tion"، أضيف إليها عشرة أخرى من "الجمعية الفرنسية للعمل الفنى".

وبالرغم من أن الصحافة أولت معرض: "خصومات عدائية – Antagonismes" "اهتماما زائدا"، إلا أن المنظمة كانت مضطرة للاعتراف بأن المراجعات النقدية كانت "مليئة بالضغينة بشكل عام". وبالرغم من اكتساب بعض النقاد الأوروبيين إلى جانب "الأصداء الرائعة" و"ذلك العالم الساكن المشوش" للتعبيرية التجريدية، إلا أنه كان هناك كثيرون ممن أصابهم الارتباك والغضب. ففى "برشلونة" كتب ناقد فى تعليقه على "الرسم الأمريكى الجديد" الذى طاف به "متحف الفن الحديث" أوروبا فى ذلك العام، كتب يقول: إنه رُوِّعَ عندما علم أن قطعتين (واحدة لـ "چاكسون پولوك" والثانية لـ "جريس هارتيجان – Grace Hartigan" كان حجمهما كبيرا جدا لدرجة أنهم اضطروا لقطع الجزء العلوى من الباب بمنشار لكى يتمكنوا من إدخال اللوحتين إلى مكان العرض. أما مجلة "لالير بلچيك" فقالت: إن اللوحتين هما "الأضخم فى العالم" وأبدت قلقها لأن "هذه القوة التى يتم استعراضها فى خضم سعار الحرية المطلقة تبدو فى الحقيقة مدا خطرا. إن رسامى التجريد ... نا وجميع الفنانين الأوروبيين "غير الرسميين" يبدون أقزاما أمام القوة المقلقة لتلك الكائنات الخرافية الطليقة"(٦٠). وكثرت الإشارة إلى الحجم والعنف والغرب المتوحش، "كما لو كان النقاد قد أمسكوا بالكتالوج الخطأ وظنوا أن اللوحات قد رسمها "ويات أيارپ – Wyatt "Earp" أو "بلى الصغير"(٦١).

لم يكن الفنانون الأوروبيون وحدهم هم الذين شعروا بأنهم أقزام أمام "التعبيرية التجريدية" الضخمة. فيما بعد، كتب "آدم چوپنيك – Adam Jopnik" "الأعمال المائية التجريدية المبالغ فى حجمها، أصبحت هى الأسلوب الوحيد للمتحف الأمريكى، مجبرة جيلين من فنانى الواقعية على أن يقبعوا فى الأقبية ينتجون "طبيعة صامتة" مثل الأعمال السرية"(٦٢). ويقول "چون كاناداى – John Canaday" إنه فى إبريل ١٩٥٩، "كانت "التعبيرية التجريدية" فى ذروة انتشارها لدرجة أن أى فنان غير معروف يريد أن يعرض فى "نيويورك" لم يكن باستطاعته أن يجد قاعة إلا إذا كان

يرسم بأسلوب مستوحى من أحد أعضاء "مدرسة نيويورك"(٦٣). ويقول "كانادای" إن النقاد "الذين كانوا يقولون إن التعبيرية التجريدية كانت تسيء إلى نجاحها الخاص، وإن العربدة الاحتكارية قد قطعت شوطا بعيدا"، أولئك النقاد كانوا يجدون أنفسهم فى "موقف مؤلم"، (كان يزعم أن عدم تذوقه لأساليب "مدرسة نيويورك" جعله يتلقى تهديدات بالقتل)(٦٤). يقول "بيجى ججنهايم - **Peggy Guggenheim**" بعد عودته إلى "نيويورك"، وبعد غيبة أكثر من عشر سنوات: "صُعِقْت، الحركة الفنية بكاملها أصبحت مشروعا تجاريا ضخما".

أما "متحف الفن الحديث" الذى يصفه أحد النقاد بأنه "الكارتل الذى يحتضن الحداثة"، فقد كان متمسكا تماما بدوره التنفيذى لصنع تاريخ للتعبيرية التجريدية. هذا التاريخ المرتب والمنظم، خفض ما كان ذات يوم مثيرا وغريبا، إلى صيغة أكاديمية.. صيغة معترف بها، إلى فن رسمى **Art Officiel** وهكذا، بعد تكريسه فى المرجعية الفنية، كان أكثر أشكال الفن حرية يفتقر إلى الحرية. فنانون أكثر وأكثر.. أصبحوا ينتجون أكثر وأكثر.. أعمالا أكبر وأكبر.. خاوية أكثر فأكثر.! هذا الاتساق الأسلوبى الذى وضع "متحف الفن الحديث" مواصفاته والعقد الاجتماعى الذى كان جزءا منه، هما المسئولان عن الوصول بالتعبيرية التجريدية إلى حافة "الكيتش - **Kitsch**" يقول "جاسون ابيشتين - **Jason Epstein**" كان شيئا يشبه ملابس الإمبراطور، تعرضها فى الشارع وتقول: "هذا فن رائع"، وسوف يوافق الناس على قولك. فمن ذا الذى يمكنه أن يقف أمام "كليم جرينبيرج - **Klim Greenberg**" أو - فيما بعد - أمام " آل روكفلر" الذين كانوا يشترون تلك الأعمال لأروقة مصارفهم لكى يقول: "هذه أعمال رديئة"(٦٥). وربما كان "دوايت ماكدونالد - **Dwight Macdonald**" على حق عندما قال: "قليل من الأمريكيين هم الذين يمكن أن يعترضوا أمام مائة مليون دولار!"(٦٦).

لكن ماذا عن الفنانين أنفسهم؟ ألم يعترضوا على خطاب الحرب الباردة (الذى كان "بيتر فوللر - **Peter Fuller**" يسميه: الغسيل الأيديولوجى)، والذى كان عادة ما يصاحب عرض أعمالهم؟ أحد الملامح الغريبة للدور الذى لعبه الفن الأمريكى فى الحرب الباردة الثقافية، ليس فقط أنه أصبح جزءا من تلك المؤسسة، بل لأن حركة كانت تعلن عن نفسها أنها ليست سياسية، أصبحتْ مسيسة هكذا وعلى نطاق واسع. كان الفنان "پول بيرلن - **Paul Burlin**" قد أعلن أن "الفن الحديث هو حصن التعبير الفردى الخلاق بعيدا عن اليسار السياسى وشقيقه الدموى اليمين"(٦٧). وعند الناقد "هارولد روزنبرج - **Harold Rosenberg**" كان فن ما بعد الحرب يتبعه "خيار سياسى

بالتخلى عن السياسة". "إلا أنه فى رد فعله الحاد ضد السياسة، وبتصوره المزعوم للايديولوچيات المتنافسة على أنها قد أفرغت نفسها وبددت المتحمسين لها... فإن الرسامين الجدد ومؤيديهم أصبحوا بالطبع منغمسين فى قضايا اليوم"(٦٧).

هل كانت أعمالهم فى خصام - وبشكل تام - مع الوظيفة الاجتماعية والسياسية التى وُضعت من أجلها؟ فى تقديمه لـ "كتالوج" المعرض الأول للفنانين الأمريكيين المحدثين" عام ١٩٤٣ كتب "بارنيت نيومان - Barnet Newman" لقد تلاقينا كفنانين أمريكيين محدثين لأننا نستشعر الحاجة لأن نقدم للجمهور قواما فنيا يعكس بقدر كاف أمريكا الجديدة التى تحتل مكانا اليوم، وأمريكا تلك التى نأمل أن تصبح المركز الثقافى للعالم"(٦٩). فهل حدث أن أسف "نيومان" أو ندم لهذا المضمون القومى؟ كان "ويلم دى كووننج - Willem de Kooning" يرى أن هذه النزعة الأمريكية American - ness "عبء أكيد"، ويقول : "إذا كنت تنتمى إلى دولة صغيرة فلن يكون لديك هذا الشعور. عندما ذهبت إلى الأكاديمية وكنت أرسم من النماذج العارية، كنت أنا الذى يرسم وليس "هولاند". أنا أشعر أحيانا بأن الفنان الأمريكى لابد من أن يكون مثل لاعب "البيسبول" أو شيئا من هذا القبيل - يشعر بأنه عضو فى فريق يكتب التاريخ الأمريكى" (٧٠). بيد أن "دى كوننج" كان فخورا بتسلمه ميدالية الرئيس فى عام ١٩٦٣. أما "چاكسون پولوك" - الذى لقى مصرعه على عجلة القيادة فى سيارته "الأولدز موبيل" قبل أن يواجه خيار قبول أو رفض مثل ذلك التكريم - فكان يقول: "إن فكرة وجود فن أمريكى منعزل تبدو فكرة سخيفة بالنسبة لى، تماما مثلما تبدو فكرة صنع علِم رياضيات أو فيزياء أمريكى.. سخيفة كذلك"(٧١).

كما أن "روبرت ماذرويل"، الذى كان سعيدا فى البداية لكونه جزءا من "مهمة وضع الرسم الأمريكى على قدم وساق مع الرسم فى أى مكان آخر"، فكان يرى فيما بعد أنه "من الغريب أن تصبح سلعة ما أقوى من الذين يصنعونها"(٧٢). وفى رفضه للمزاعم القومية عن "التعبيرية التجريدية" فى السبعينيات، كان يؤيد الفنان التجريدى الإنجليزى "پاتريك هيرون - Patrick Heron" عندما تحدى حق أمريكا فى ممارسة احتكار الزعامة الثقافية، وكتب عن جهود "هيرون" الجسورة: " إن جيلك فى انجلترا قد قام بجهد بطولى للوصول إلى ما هو أبعد من فن السادة، الذى لم يُعْطَ ولا يُعْطَى الآن ما يستحق بسبب عدم تسامح" نيويورك" بالنسبة لجيلكم فى بريطانيا". ويضيف "ماذرويل" أنه كان يتطلع إلى "تاريخ غير شوفينى للفن الحديث". وينهى عباراته بالتأكيد لـ"هيرون" أنه "ليس كل الأمريكيين منغوليين"(٧٣).

كان "مازرويل" عضوا فى "اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية"، وكذلك كان "بازيوتس – Baziotes" و"كالدر – Calder" و"پولوك – Pollock" بالرغم من أنه كان تحت التأثير الشديد للشراب عندما انضم إليها). الرسام الواقعى "بن شان – Ben Shahn*" رفض الانضمام إليها وكان يشير إليها باسم بذىء(*). أما "مارك روثكو – Mark Rothko" و"أدولف جوتليب – Adolf Gottlieb"، وهما من المتعاطفين مع الحركة فقد أصبحا من أشد أعداء الشيوعية أثناء الحرب الباردة. فى عام ١٩٤٠، ساعدا فى تأسيس "اتحاد الرسامين والمثّالين المحدثين" الذى بدأ بإدانة كافة التهديدات والأخطار المحدقة بالثقافة من قبل الحركات السياسية القومية والرجعية. فى الأشهر التالية، أصبح ذلك الاتحاد عميلا نشطا فى مكافحة الشيوعية فى عالم الفن . كان يحاول أن يفضح نفوذ الحزب فى كافة المؤسسات والمنظمات الفنية. تزعم "روثكو" و"جوتليب" تلك الجهود بهدف القضاء على الوجود الشيوعى فى عالم الفن، وكان إخلاصهما لذلك الهدف قويا لدرجة أنهما استقالا عندما صوت الاتحاد لصالح إيقاف نشاطه السياسى فى ١٩٥٣.

أما "أد رينارد – Ad Reinhardt" فكان هو فنان "التعبيرية التجريدية" الوحيد الذى واصل ارتباطه والتصاقه باليسار، ولذا تم تجاهله من قبل عالم الفن الرسمى حتى الستينيات. وقد جعله ذلك فى موضع من يستطيع أن يشير إلى التناقضات والتقلبات فى حياة وفن أصدقائه السابقين الذين انتقلت جلسات سكرهم المسائية من حانة "سيدار" إلى البيوت فى "هامتونز – Hamptons" و"پروفيدنس Providence" و"كيپ كود – Cape Cod" والذين استبدلت بملامحهم فى صور مثل "الغاضبون" فى الخمسينيات ملامح أخرى فى مجلة "ڤوج – Vogue" تجعل أولئك الغاضبين أكثر شبها بالسماسرة فى سوق التعبيرية التجريدية :" أدان "رينارد" بشدة زملاءه الفنانين لرضوخهم لمغريات الجشع والطموح، ونعتهم بأوصاف تهكمية عنيفة لدرجة أن "نيومان" رفع قضية ضده، ولم يكتف "رينارد" بذلك بل قال إن المتحف لابد من أن يكون بيتا للكنوز النفيسة .. وضريحا، وليس مكتبا لعقد الصفقات أو مركزا ترفيهيا"(٧٤). وشبه النقد الفنى "بهديل الحمام " وسخر من "جرينبيرج": "البابا - الدكتاتور"، وكان "رينارد" هو فنان التعبيرية التجريدية الوحيد الذى شارك فى المسيرة المطالبة بحقوق السود فى "واشنطن" فى أغسطس ١٩٦٣.

من الصعب تأييد الزعم الذى يقول: إن فنانى التعبيرية التجريدية " تصادف أنهم كانوا يرسمون **فى أثناء** *الحرب الباردة* وليس **من أجل** *الحرب الباردة*"(٧٥).

(*) تعرف اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية "American Committee for Cultural Freedom" اختصارا بـ"ACCF"، فكان هو يقول "ACCFUCK" المترجم.

فتصريحاتهم الشخصية وانحيازاتهم السياسية فى بعض الأحيان ترخص الزعم بعدم ارتباطهم الأيديولوچى، ولكن أعمال فنانى "التعبيرية التجريدية" ينبغى تناولها فقط فى إطار التاريخ السياسى التى جاءت فى سياقه. "التعبيرية التجريدية" مثل "الچاز" كانت - وما زالت - ظاهرة إبداعية موجودة بشكل مستقل ومنتصر، نعم، بصرف النظر عن الاستقلال السياسى لها. يقول "فيليپ دود - Philip Dodd" لا شك فى أننا محتاجون لأن نفهم كل الفن فى علاقته بعصره. ولكى نفهم "التعبيرية التجريدية" نحن فى حاجة لأن نفهم كيف صنعت فى لحظة غير عادية من العلاقات الأمريكية الأوروبية. فعلى مستوى سياسى، كان ذلك جيل من الراديكاليين دفع بهم التاريخ إلى الشاطئ، وعلى مستوى قومى، فإنهم ظهروا بالضبط فى اللحظة التى أصبحت فيها أمريكا هى القوة الثقافية الكبرى فى فترة ما بعد الحرب. هذه الأمور كلها لابد من فهمها لكى نستطيع أن نُقَوِّمَ إنجازاتهم. لكن فنهم لا ينبغى التخفيض أو التقليل من قيمته بربطه بتلك الظروف. صحيح أن الـ "CIA" كانت متورطة، وإننى لآسف وحزين، بقدر ما هو آسف وحزين أى شخص آخر، لكن ذلك أيضا لا يفسر لنا لماذا أصبحت "التعبيرية التجريدية" مهمة. كان هناك شىء ما فى الفن نفسه، مكنها من أن تنتصر.

لقى "چاكسون پولوك - Jackson Pollock" مصرعه فى حادث سيارة فى ١٩٥٦، فى الوقت الذى شنق فيه "أرشيل جوركى - Arshile Gorky" نفسه. "فرانز كلين - Franz Kline" سوف يواصل تدمير صحته بالإفراط فى الشراب لكى يلقى حتفه بعد ست سنوات. "ديڤيد سميث - David Smith" مات فى ١٩٦٥ بعد حادث سيارة. وفى ١٩٧٠ قطع "مارك روثكو - Mark Rothko" أوردته لينزف ويموت على الأرض فى الاستوديو الخاص به. بعض أصدقائه يرون أنه قتل نفسه لأسباب من بينها أنه لم يستطع أن يتواءم مع تناقضات تدفق المكافآت المالية عليه بسبب أعماله "التى كانت تعوى بمعارضتها للمادية البرجوازية".

يقول الراوى فى رواية "موهبة همبولت": "الوطن فخور بشعرائه الراحلين، إنه يشعر بالرضا التام لشهادة الشعراء بأن الولايات المتحدة قوية جدا، كبيرة جدا، كثيرة جدا، صارمة جدا، وأن الواقع الأمريكى طاغ جدا ولا يمكن مقاومته. ضعف القوى الروحية يبدو فى الطفولية، فى الجنون، وفى يأس أولئك الشهداء... وهكذا يحظى الشعراء بالحب، لكنهم محبوبون لأنهم لا يستطيعون أن يصنعوا ذلك هنا... إنهم موجودون، يبددون ظلام هذه المتاهة المخيفة"(٧٧).

(١٧)
الوصاية على الأخلاق والقيم

في عام ١٧٨٧، وفى أحد الفنادق الصغيرة بالقرب من "مولا – Moulins، كان رجل عجوز – أحد أصدقاء "ديدرو – Diderot" يحتضر، بعد أن كان الفلاسفة قد أفسدوا أفكاره. القساوسة المحليون، الذين كانوا فى حيرة من أمرهم .. حاولوا .. وجربوا كل شىء .. لكن بلا جدوى. رفض الرجل الطيب الطقوس الأخيرة وقال إنه مؤمن بوحدة الوجود. "مسيو" "دو رولبو – de Rollebon" الذى كان مارا بالمصادفة، وكان لا يؤمن بشىء، تراهن مع كاهن "مولا" مؤكدا أن بإمكانه أن يعيد ارجل المحتضر إلى المعتقدات المسيحية فى أقل من ساعتين. قبل الكاهن الرهان .. . وخسر! تسلمه الرجل فى الثالثة صباحا، اعترف المريض فى الخامسة، ومات فى السابعة. قال الكاهن لـ"مسيو دو رولبو": "لابد من أن تكون قوى الحجة قادرا على الإقناع لكى تهزم رجالنا" قال "مسيو دو رولبو": لم أناقش .. ولم أجادل .. لقد جعلته يخاف جهنم".

(چان پول سارتر)

"الغثيان"

بينما كان استخدام "التعبيرية التجريدية" يتسع كسلاح من أسلحة الحرب الباردة، أطلقت أمريكا اكتشافاً جديداً أكثر كفاءة ـ الرب! الإيمان الدينى بالقانون الأخلاقى كان قد تم الإبقاء عليه فى دستور الولايات المتحدة فى ١٧٨٩، ولكنها اكتشفت –والحرب الباردة فى ذروتها– أهمية ترسل صيحة التهليل ونداء: المجد لله! كان "الرب" فى كل مكان: كان هناك فى مائة ألف بالون محملة بالأناجيل التى تم إرسالها عبر الستار الحديدى عن طريق "مشروع بالون الإنجيل" فى عام ١٩٥٤. فقد طبع شعاره على مرسوم "الكونجرس" الصادر فى ١٤ يونيو ١٩٥٤ الذى وَسَّعَ قسم الولاء لكى يتضمن عبارة "أمة واحدة تحت راية الرب" وهى عبارة كان "إيزنهاور – Eisenhower" يرى أنها أعادت تأكيد "تغلغل الإيمان الدينى فى تراث ومستقبل أمريكا، وبذلك سوف تقوى باستمرار من تلك الأسلحة الروحية التى ستكون أقوى مصادر

وطننا في السلم والحرب"[١]. وبدأت صورته تظهر على الدولار بعد أن قرر "الكونجرس" في عام ١٩٥٦ أن تصبح عبارة "نحن نثق بالرب" هي الشعار الرسمي للدولة.

وتساءل مؤرخ أمريكي: "لماذا ينبغي علينا أن نضع لأنفسنا خطة خمسية إذا كان "الرب" قد أعد لنا خطة ألفية؟"[٢]. تحت شروط هذا المنطق، كان لابد من إخضاع القوة السياسية لتراث مسيحي قديم هو "إطاعة قانون الرب". وبإعمال السلطة الأخلاقية الجوهرية، حصلت أمريكا على تصديق قاطع على "قدرها الجلي". أولئك الذين اختارهم القدر، كان يتم تعليمهم مثل التلاميذ في "مدرسة جروتون" أن "الأديان كلها وعلى مدار التاريخ كانت تمجد من يقومون بتدمير العدو. القرآن، الميثولوجيا الإغريقية، العهد القديم ... القضاء على العدو هو الشيء الصواب الذي يجب القيام به. هناك بالطبع بعض القيود على الغايات والوسائل. إذا عدت إلى الثقافة اليونانية لكي تقرأ المؤرخ "الأثيني" "ثيوكيديس – Thucydides"، ستجد أنه كانت هناك قيود على ما يمكن أن تفعله باليونانيين الآخرين الذين هم جزء من ثقافتك، بينما لا توجد أية قيود على ما يمكن أن تفعله بشخص من الفرس. فهو بربري. والشيوعيون برابرة"[٣].

كان الوازع الديني دافعا لأقطاب الحرب الباردة مثل "آلان دالاس – Allen Dulles" الذي نشأ على تقاليد الكنيسة المشيخية. والذي كان مغرماً بأن يقتبس من الإنجيل استخدامه للجواسيس. (بواسطة: يوشع – Joshua" في: "أريحا – Jericho) "عندما انتقلت الـ "CIA" إلى مقرها الكبير في غابات فرجينيا في عام ١٩٦١ عمل "دالاس" على أن تنقش عليه عبارة كان يحب أن يرددها دائماً، وهي مقتبسة من الإنجيل: "ولسوف تعرف الحقيقة، ولسوف تجعلك الحقيقة حراً" (يوحنا: ٣٢ – ٨). وكان "هنري لوس – Henry Luce" وهو ابن مبشرين أمريكيين– مغرماً بالاعتماد على نفس المرجع المقدس "الوعد المسيحي العظيم هو: "ابحث وسوف تجد Seek and ye shall find..." هذا هو الوعد والفرض الذي قامت عليه أمريكا". كان "لوس – Luce" نادراً ما يتخلف عن الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، وكان من النادر كذلك أن يذهب للنوم قبل أن يصلي راكعاً على ركبتيه. زوجته "كلير بوث لوس – Clare Booth Luce" تحولت إلى الكاثوليكية الرومانية بعد مصرع ابنتها "آن – Anne" في حادث سيارة عام ١٩٤٣. كان ذلك أشهر تحول (ديني) في البلاد ذاع أمره بين الناس، كما كان دافعاً لسخرية البعض. وهناك طُرْفَةُ تروى كثيرا، وهي أن "البابا" قطع نقاشاً مذهبياً مع "مسزلوس – Mrs Luce "عندما كانت سفيرة لأمريكا في إيطاليا: لكي يذكرها..

:"لكننى أيضا كاثوليكى يا سيدتى". كانت "مسز لوس" ترى أنه لابد من أن يحسب لها أنها هى التى أقنعت "إيزنهاور – Eisenhower" بأن يصبح مشيخيا (من أتباع الكنيسة المشيخية) أثناء حملته الانتخابية عام ١٩٥٢(٤).

كتب أحد كتاب سيرته يقول عنه: "لا المصلحة ولا المجد الشخصى كانا يدفعان "لوس" بقوة مثلما كانت تدفعه حوافزه التبشيرية لإصلاح أبناء وطنه، وكان يمارس قوته بشكل مخلص، إن لم يكن بسبب إيمان مشترك بأنه كان يعرف ما هو خير بالنسبة لهم"(٥). كان كله ثقة فى أن "قدرة أمريكا على التعاون الناجح ترجع – بشكل مباشر – إلى اعتماد دستورنا على الرب وثقته به". كما كان يعتقد أنه "ليس هناك دولة فى التاريخ القديم باستثناء إسرائيل القديمة ومعدة– هكذا بوضوح– لمرحلة خاصة من هدف الرب النهائى"(٦). كانت الحرب الباردة بالنسبة له حرباً مقدسة، التزمت فيها مؤسسة "تايم" بـ "الغرض والهدف الرئيسى وهو: هزيمة الشيوعية فى أنحاء العالم". سأل ذات مرة المدراء التنفيذيين فى مؤسسة "تايم": "هل هذا هو إعلان حرب خاصة؟، وإذا كانت هكذا .. ألا يمكن أن تكون غير قانونية.. وربما مجنونة؟ ربما! لكن هناك سوابق قوية وحاسمة لإعلان الحرب الخاصة"(٧).

كان "رينولد نيبور– Reinhold Niebhur" هو عالم اللاهوت المفضل بالنسبة لـ "لوسى"، وكان "نيبور" راعياً شرفياً لمنظمة الحرية الثقافية وأحد المدركين جيداً لأهمية الحرب الباردة. كان يرى أن إقامة توازن قوى ومحسوب جيداً، له أهمية كبرى، وأن تكون السياسة الخارجية هى المسئولية التامة لسلطة نخبوية، وكان "نيبور" بالطبع شخصية تتمتع بسلطة مناسبة لأعضاء تلك النخبة. من ناحية أخرى كان "مارتن لوثر كنج – Martin Luther King" يدعى أنه قد تعلم منه "إمكانية الشر". قدم "نيبور" بعض المادة اللاهوتية الليبرالية لقراء "تايم ـ لايف"، وحصل على موافقة "سيدنى هوك – Sidney Hook" لمتابعة إحياء مبدأ الخطيئة الأولى كأداة سياسية، وأن يجعل "الرب أداة من أدوات السياسة القومية"(٨). والحقيقة أنه مع الدافع الدينى الذى كان يشق طريقه فى كل بند من بنود الحرب الباردة الرئيسية، كان يبدو أن صرح القوة الأمريكية بُرمَّته فى الخمسينيات، كان يعتمد على افتراض أحادى رئيسى وهو أن: المستقبل سوف يحسم بين المعسكرين الكبيرين: أولئك الذين يرفضون الله وأولئك الذين يعبدونه"(٩). كان الرئيس "ترومان – Truman" قد حذر: "لا يجب أن نشعر بالارتباك أمام القضية التى تواجه العالم اليوم.. هى الاستبداد أو الحرية.. وربما أسوأ.. إن الشيوعية تنكر وجود الله ذاته"(١٠). إن صنع هذا المفهوم الذى اختزل تعقيد العلاقات الدولية ليكون صراعاً بين قوى النور وقوى الظلام ـ كان يعنى أن

خطاب السياسة الخارجية الأمريكية أصبح يعتمد على الفوارق التى تقاوم المنطق أو العقلانية. كتب "چورج سانتايانا – George Santayana" فى عام ١٩٥٦ يصف العملية الفلسفية التى أصبحت تلك التشوهات بموجبها مسيطرة على العملية التاريخية: الخيال الذى يبقى يسمى المعرفة، والوهم المترابط يسمى الحقيقة والإرادة المنظومة تسمى الفضيلة(١١).

مثل هذه التفرقة، تأثر بها الكاهن الشاب "بيلى جراهام – Billy Graham" الذى أفاض فى تفسير تحذيرات "ترومان" عن نظرية أن "الشيوعية.. الشيطان هو العقل المدبر وراءها .. أعتقد أنه لا يوجد تفسير آخر لمكاسب الشيوعية الضخمة التى يبدو أنهم يتفوقون علينا بها فى كل مناسبة، إن لم يكن لديهم القوة الخارقة والحكمة والذكاء"(١٢). أما "نورمان" مايلر – Norman Mailer" فقد استخلص تشخيصاً آخر مختلفاً: "إن مرض أمريكا السياسى الشديد هو أنها دولة تعتقد أنها أقوم أخلاقياً من الآخرين"(١٣).

فى هذا الجو من الجمود المذهبى، كان أن ظهر السيناتور "چو مكارثى – Joe McCarthy" بقوة. فى "البوتقة" يشبه "آرثر ميللر – Arthur Miller" ساحرات سالم" بفترة "مكارثى" ليصور ذنباً متشابهاً مع فارق زمنى يبلغ قرنين، "ذنب أن تكون هناك مشاعر غير مشروعة بالاغتراب وبالعداء للمجتمع العادى كما يعرفه أشد خصومه تقليدية، فبدون الشعور بالذنب ما كان يمكن أن تولد مطاردة الشيوعية فى الخمسينيات بمثل تلك القوة"(١٤). كان أهم شىء بالنسبة للمحكمتين هو إثبات أن هناك ذنباً عن طريق الاعتراف العلنى، وأن يقوم المتهم، كما هو متوقع، بإدانة شركائه ولعنهم إلى جانب الشيطان الأكبر، ويضمن ولاءه الجديد الأصيل بأن يلفظ العهود القديمة المقززة وحينذاك يُترك لكى يلتحق مرة أخرى بمجتمع المحتشمين الجديرين بكل احترام"(١٥). أحد الملامح الغريبة فى جلسات التحقيق أمام "لجنة مكارثى" هو أنها "لم تكن تهتم بالأسماء التى تقدم لها، بقدر اهتمامها باختبار صدق اعترافات الشهود. "ليزلى فيدلر – Leslie Fiedler" الذى لم يكتشف الدين مثل صديقه "إيرڤنج كريستول – Irving Kristol" إلا فى أوائل الخمسينيات، وصف العملية بأنها نوع من الطقس الرمزى، عندما قال: "إن الاعتراف فى حد ذاته ليس شيئاً، ولكن بدون الاعتراف.. لن نتمكن من الانطلاق من ليبرالية البراءة إلى ليبرالية المسئولية"(١٦). وقد استُدرِجَت "اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية" إلى رمزية الاعتراف العلنى، "إليا كازان – Elia Kazan" الذى ذكر أسماء البعض أمام "لجنة مكارثى" فى إبريل ١٩٥٢، كوفئ بعضوية اللجنة الأمريكية التى كانت سعيدة الآن بخوض معاركه نيابة عنه، ودفاعاً عن

"ستوديو الممثل" - الذى أنشأه "كازان" - ضد هجوم غلاة المعارضين للشيوعية. كان "صول شتين - Sol Stein" يقول بروح دينية: إن "كازان" يحقق "الدور الصحيح الذى يقوم به معارضو الشيوعية فى المسرح، والذى هو دور المبشرين لإخوانهم المتخلفين سياسياً، الذين أمضوا وقتاً طويلاً سعداء بحقيقة أن خدمة الجماعات القيادية فى هذا البلد، تضيف إلى قوة" الماموث "السوفيتى"(١٧).

كما كان "شتين" يحاول إقناع الآخرين بأن "أولئك الذين أخذوا جانب السوفيت فى الماضى يجب أن يُعْطَوا فرصة لتوجيه طاقاتهم للمؤسسات وللجهود المعادية للشيوعية بحق، إذا كان ذلك متسقاً مع قناعاتهم الحالية(١٨). وقال إن "كازان" كان لابد من أن يعطى مساحة لكى "يمنح المترددين فرصة للتوبة، ولكى تضاف مواهبهم إلى رصيدنا ضد عدونا المشترك"(١٩). ولم يكن ذلك كافياً لطمأنة جماعة الضغط المتطرفة ضد الشيوعية والتى كانت تشكو من أن "كازان" كان مستمراً فى العمل مع "الضالين"، مثل "مارلون براندو – Marlon Brando" و"فرانك سيلفيرا - Frank Silvera" و"لوى جيلبرت - Lou Gilbert" وفشل فى أن يستخدم "أياً من المعادين النشطين للشيوعية"(٢٠).

كما رأت اللجنة الأمريكية أنه من المناسب أن تقوم بتعيين المخبر الأمريكى الشهير "ويتاكر تشامبرز" لعضويتها التنفيذية، وهو الذى كانت شهادته سبباً فى القضاء على ما كان يقوم به "آلجر هس - Alger Hiss". كان "ويتاكر تشامبرز - Whittaker Chambers" قد أوصل فن الوشاية بالآخرين إلى ذروته - الأمر الذى استفز زميلاً من كبار المسئولين فى "تايم - لايف" (حيث كان يعمل "تشامبرز") أن يقول له فى حضور "لوس – Luce" أعتقد أن الفيلم السينمائى المفضل بالنسة لك هو فيلم "المخبر". وكتب "صول شتين" إلى "تشامبرز" مستشاراً، يقول إن تعيينه كان سبباً فى تدفق عدد من المكالمات التليفونية المجهولة عليه بعد منتصف الليل، تهدد بإزالة أعضاء اللجنة "من على وجه الأرض"، ويقول فى النهاية: "يا إلهى! أغلب الظن أن هذه الحماقة ستظل ملازمة لنا"(٢١).

وفى سيرته الذاتية التى أصدرها "تشامبرز" عام ١٩٥٢ بعنوان "شاهد عيان"، يقول: "كان أحد الموضوعات المطروحة للبحث، هو ما إذا كان هذا المجتمع المريض الذى ندعوه، بـ "الحضارة الغربية" يستطيع وهو موشك على الهلاك، أن ينجح فى صياغة إنسان يؤمن به لدرجة تجعله يضحى بكل عزيز لديه، بما فى ذلك حياته، من أجل الدفاع عنه"(٢٢). وقدم نفسه وكأنه مجرد أحد التابعين، وحصل "تشامبرز"، على مبلغ ٧٥٠٠٠ دولار مقابل "استخدام مقلاعة" من "ساترداى إيفننج بوست" ضد

الشيوعية، والتى قامت بنشر الكتاب على حلقات على امتداد ثمانية أسابيع. وبعد أن قرأ "أندريه مالرو ـ André Malraux" كتاب "شاهد عيان" قال لـ: "تشامبرز": أنت أحد الذين لم يرجعوا من الجحيم صفر اليدين"(٢٣).

وبفضل الله"، وشيطان الثروة ـ معاً ـ إلى جوارهم، استطاع الأمريكيون المعادون للشيوعية أن يجنو ما أصبح ثمار مهنة فرعية منتعشة. فى هوليود، كانت حملة تطهير الثقافة الأمريكية من كافة شوائب الكفر والإلحاد، تعمل تحت سيطرة "هيدا هوبر ـ Hedda Hopper" و"لويلا پارسونز – Louella Parsons" اللتين كانتا تكتبان فى عدة صحف وكأنهما مسئولتان عن الصحة الأخلاقية. كانتا تحصلان على رواتب ضخمة، "وصيتان على دير الأخلاق والقيم، شرطيتان تقفان على الأبواب لمنع الآثمين والعصاة، وغير الوطنيين والمتمردين على الاحتشام وآداب المجتمع وغير الجديرين باستنشاق الهواء النقى، مثل النماذج الرسولية على شاكلة "لويس ب. مايور – Louis B. Mayer" و"هارى كوهين ـ Harry Cohn" و"چاك وارنر – "Jack Warner" و"داريل زانوك – Darryl Zanuck" و"سام جولدوين – Sam Goldwyn" وغيرهم. ضراوة السيدتين ضد الشيوعية، لم يكن يعادلها سوى التطابق معها فى بعض ممارساتها"(٢٤).

وبالرغم من أن "هوبر ـ Hopper" و"پارسونز ـ Parsons" لم تعتبرا نفسيهما هكذا، إلا أنهما كانتا "مقاتلتين فى سبيل التحرر" وهى العبارة التى خططت لحملة سرية للغاية من قبل "الپنتاجون" والبحرية ومجلس الأمن القومى وهيئة تنسيق العمليات من أجل إدراج موضوع "الحرية" فى الأفلام السينمائية الأمريكية. وفى يوم الجمعة ١٦ ديسمبر ١٩٥٥، عقد رؤساء هيئات الأركان المشتركة اجتماعاً سرياً لمناقشة كيفية استغلال هوليود لفكرة "الحرية المقاتلة". وكان هدف "الحرية المقاتلة" كما يوضح تقرير "سرى للغاية" هو أن "توضح – بأسلوب بسيط – الظروف الحقيقية القائمة فى ظل الشيوعية، وكذلك الأسس التى يقوم عليها أسلوب الحياة فى العالم الحر"، وأن "توقظ الشعوب الحرة لكى تدرك حجم الخطر الذى يواجه العالم الحر، وخلق الدافع لدى تلك الشعوب من أجل مقاومة ذلك الخطر"(٢٥). وكما يقول المؤرخ الثقافى "كريستوفر سيمپسون – Christopher Simpson" كانت الفكرة هى صنع شعار سياسى يوحى لمعظم الناس بأن الانطباع قد انبثق تلقائياً، بينما الحقيقة هى أنه قد أُدخل إلى الثقافة عمداً. كانت عملية دعاية متقنة فى ذلك الوقت"(٢٦)، وتم اعتماد الحرية المقاتلة" أساساً لحملة عقائدية على أعلى المستويات. وفى العام التالى وجد "الپنتاجون"– أخيراً – صيغة محددة يستطيع أن يوصل بها رسالة تلك الحملة.

فى يونيو ويوليو ١٩٥٦، عقد ممثلو الأركان المشتركة عدة اجتماعات فى "كاليفورنيا" مع جماعة مختارة من بين رموز "هوليود" المخلصين لقضية مقاومة الشيوعية مثل "چون فورد – John Ford" و"ميريان كوپر – Merian Cooper" و"چون وين – John Wayne" و"وورد بوند – Ward Bond".

هذه الاجتماعات التى عقدت فى مكتب "چون فورد – John Ford" فى MGM كانت تستمر إلى ست ساعات. وكما جاء فى مذكرة بتاريخ ٥ يوليو ١٩٥٦ "قال مستر وين: "إن برنامج" الحرية المقاتلة "سوف يتم إدخاله بعناية شديدة ضمن الأفلام التى يقوم بإنتاجها "أفلام باك چاك"، ولكى يريهم نموذجا لذلك قام "وين" بدعوتهم جميعا إلى منزله فى "٤٥٧٠ – لويزا أڤينيو – إينسينو" فى المساء التالى. "بعد العشاء سيعرض فيلمى: "قابلون للإنفاق" و"الرجل الهادئ" مع تعليق لـ"مستر وين" و"مستر فورد" على الأسلوب الذى تم به إدخال وجهات نظر البحرية والعالم الحر فى الفيلمين"(٢٧).

وفى اجتماع آخر أشار "ميريان كوپر – Merian Cooper" إلى أن سلسلة من الأفلام التى قدمتها شركة "كورنيليوس ڤاندربلت ويتنى – Cornelius Vanderbilt Whitney" كانت تفتقر إلى موضوع... وإنه يتمنى لو أنها تضمنت ذلك (الحرية المقاتلة مثلا)، ثم قال إنه سيضعها فى الأفلام الأخرى"(٢٨). وتم اتخاذ الترتيبات اللازمة لكى يتم إبلاغ "ويتنى" بشكل منتظم. وكرجل صناعة ناجح، كان "كورنيليوس (سونى) ڤاندربلت ويتنى" مشاركاً فى ثروة "ويتنى" الطائلة التى آلت إلى ابن عمه "چوك – Jock" لكى يديرها. وكان مثل "چوك" قريباً من الـ"CIA" كان "تراسى بارنز – Tracy Barnes" ابن عمهما)، وكان على استعداد تام لمساعدة الوكالة: وبصفته أحد الأمناء سمح لمؤسسة "ويتنى ترست" أن تكون إحدى قنوات توصيل دعم الـ "CIA" كما كان أيضاً جزءاً من الفريق المسئول عن صياغة مبادرة حرب نفسية أطلق عليها اسم "الوكالة القومية للإعلام الأمنى". كان منتجاً مشهوراً (دخل مجال العمل مع ديڤيد سيلزنيك – David Selznick) وأنتجا معاً أفلام: "مولد نجم" و"ريبيكا" و"ذهب مع الريح") وفى عام ١٩٥٤ أسس شركة "سى. فى. ويتنى پكتشرز C. V. Whitney Pictures Inc."، وصرح: "أريد أن أقدم أفلاما يمكن وصفها بأنها "مسلسل أمريكى" لكى أجعل شعبنا يشاهد بلاده، ولكى أتأكد من أن بقية العالم يعرف المزيد عنا"(٢٩). كان أول فيلم فى هذا المسلسل الأمريكى هو "الباحثون" وتكلف إنتاجه ٢ مليون دولار وأخرجه "چون فورد – John Ford".

أثناء الحرب، كان "چون فورد" رئيسا لفرع التصوير الميدانى التابع لـ"OSS"

-مكتب الخدمات الاستراتيجية - كان عمله هو تصوير العمليات الخاصة التى تقوم بها مجموعات العمليات الخاصة والتخريب والمقاومة فى أوروبا المحتلة. وكان من بين مهامه المحددة تصوير الأفلام السرية التى تعرض على القادة ورؤساء الحكومات. وفى عام ١٩٤٦ أدمج شركة الإنتاج الخاصة به "Argosy Pictures" مع مساهمين آخرين . كان المستثمرون الرئيسيون - إلى جانب "فورد - Ford" و"ميريان كوبيرر - Merian Cooper" كانوا كلهم من كبار المسئولين فى الـ"OSS" "وليم دونوفان - William Donovan" و"أولى دويرنج - Ole Doering" عضو "شركة دونوفان للخدمات القانونية فى وول ستريت"، و"ديفيد بروس - David Bruce" و"وليم فاندربلت - William Vanderbilt" كان "فورد" متعاطفا تماما مع فكرة أن تقترح أجهزة ووكالات المخابرات الحكومية موضوعات لتقديمها لجمهور هوليود، وطلب منهم أن يتركوا "ست نسخ من كتاب "الحرية المقاتلة" لديه، وأن يرسلوا إليه اثنتى عشرة نسخة أخرى لكى يمررها إلى كتاب السيناريو لديه حتى يتعرفوا على ملامح ذلك المفهوم". بل إنه طلب حضور ممثل لرؤساء الأركان المشتركة إلى "پنساكولا - فلوريدا"، المكان الذى يصور فيه فيلم "أجنحة النسور" للمساعدة فى وضع عناصر "الحرية المقاتلة" فى الفيلم"(٣٠).

كان هناك بين من يساعدون على توصيل الرسالة: "ميريان كوپر" الذى كان قد حارب ضد "پانكو ڤيلا - Pancho Villa" كان "كوپر" "الملاح الجوى" قد ضرب فوق فرنسا بواسطة الألمان وأسقطوه عام ١٩١٨. وبعد أن أصبح منتجاً مع شركة "RKO" فى الثلاثينيات، كان مسئولا عن جمع "فرد آستير - Fred Astaire" و"جنجر روچرز - Ginger Rogers" لكى يعملا معاً. كان هناك أيضاً من ضمن طاقم العمل فى أجنحة النسور": "وورد بوند - Ward Bond" رئيس "اتحاد شركات السينما للحفاظ على المثل الأمريكية"، وهى مؤسسة مكرسة لطرد الشيوعيين من هذه الصناعة ومساعدة "لجنة الكونجرس المختصة بالنشاط المعادى لأمريكا" - HUAC(*). "بوند - Bond" هذا، كما يصفه واحد من الذين عرفوه: "كان على استعداد لأن يفعل أى شىء يجعله يشعر بالأهمية، حتى لو كان ذلك معناه أن يدوس على الناس بكل قوته". أما "فورد" (والذى كان هو شخصياً مستاء من قائمة "مكارثى السوداء)، فكان من عادته أن يقول: "دعونا نواجه الموقف. "وورد بوند" حثالة. لكنه حثالتنا المفضلة". وهكذا كان تجمع العمل فى "هوليود" مكوناً من أشخاص يعرفون بعضهم الآخر منذ عقود، وكان كل منهم يتطلع إلى الآخر من أجل مساندته وإقرار ما يقوم به.

(*) House Committee on Un - American Activities

هذه "الحرية المقاتلة"، ما كان يمكن أن تحدث إلا في أمريكا، واعية تماماً بما تشعر به من عبء إمبريالي. ولصياغة متطلبات (وتضحيات) "السلام الأمريكي - pax Americana"، كانت تلك الأفلام تحتفي بالخدمة العسكرية وبالجماعة وبإطاعة أمر القيادة، وبسيادة الأعمال الرجولية الجريئة. في هذا الإطار، كان "چون وين" (الذي عمل المستحيل لكي يتجنب الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية) قد أصبح هو نموذج الجندي الأمريكي، كما أصبح تجسيداً "للروح الأمريكية" .كان "الدوق" هو رجل الحدود الذي يروض العالم .. وفي عام ١٩٧٩ أصدر "الكونجرس" ميدالية تذكارية تكريما له . وكان النقش الموجود عليها يقول ... وبكل بساطة : "چون وين... أميركا" لكن أمريكا تلك، أمريكا التي يرمز إليها، كانت هي أمريكا المطاردة الحمراء والتحيز العرقي. ومثل البطل الملحمي في "چيم ماكلين الكبير" - ١٩٥٢ - ظهر في أحد أفلام الدرجة الثانية التي تصور كراهية الشيوعيين (وكان ذلك الفيلم تحية للجنة الكونجرس المختصة بالنشاط المعادي لأمريكا).

السينما، مثل الدعاية، تتعامل مع الخيال. ولكن هذا الخيال إذا تم تقديمه ببراعة، سوف يعتبره الناس حقيقة. ولكي تؤدي "هوليود" هذه الوظيفة جيداً، فقد أدركت منذ وقت طويل الحاجة إلى تقديم أعمالها بالشكل الذي يتناسب مع المزاج السياسي والاجتماعي. وهكذا انتقلت من إنتاج أفلام معادية للبلشفيك في العشرينيات والثلاثينيات إلى إنتاج أفلام تمجد روسيا كحليف في الحرب (أفلام مثل نجم الشمال، أيام المجد، أنشودة روسيا، والفيلم الشهير: مهمة في روسيا، الذي كان بمثابة عملية تبرئة لمحاكمات موسكو ومديح للروس كحماة للديمقراطية). انتقلت إلى إنتاج سلسلة متلاحقة من الأفلام المعادية للشيوعية في الخمسينيات: الكابوس الأحمر، الخطر الأحمر، غزو الولايات المتحدة، كنت شيوعياً لحساب الـ: FBI، كوكب المريخ الأحمر، الستار الحديدي، ابني چون، غزو سارقي الجثث. أما فيلم: "السير شرقاً في شارع بيكون" الذي تم إعداد السيناريو الخاص به وتمويله من قبل الـ "FBI"، فكان هو الفيلم المفضل بالنسبة لـ "چي. ادجار هوفر - J. Edgar Hoover". عناوين هذه الأفلام والتي كانت مثل مضمونها غير مقنعة، كانت تكشف كلها عن هاجس عصابي بخصوص الغريب... غير المعروف.. أو "الآخر". ومثلما تحول "كابتن أميركا" من محاربة النازيين إلى محاربة الشيوعيين، كذلك تحول توجه الأفلام الأمريكية جذرياً بالنسبة لألمانيا. والآن، أصبح العدو المهزوم يقدم في صورة مقاتلين أبطال وخصوم ذوي قيمة (رومل، ثعلب الصحراء (١٩٥٢)، مطاردة بحرية (١٩٥٥)، العدو في الطابق الأسفل (١٩٥٧). وكما أصبح أعداء يوم الاثنين هم أصدقاء يوم الثلاثاء، كانت "هوليود" تثبت كيف يمكنها أن تنزع علامة "طيب" أو "شرير" عن دولة

ما وتلصقها على دولة أخرى"(٣١).

وبينما كان مثل تلك الأفلام يحقق نجاحا مع جمهور محلى واقع تحت تأثير مزاعم عن الخطر الشيوعى مبالغ فيها، إلا أن الأفلام كانت قليلة التأثير فى السوق العالمية. كان الأمريكيون فى الداخل مقتنعين بأن "الروس قادمون وأن القنبلة سوف تلقى عليهم فى الليل قبل أن يمر وقت طويل"(٣٢). -وبالنسبة لأوروبا التى كانت ما زالت مجروحة بذكريات الفاشية، فإن الحقد الأحمق والعنف اللغوى فى أفلام هوليود المعادية للشيوعية لم يكن جذابا إلى حد بعيد. كان حظ أفلام "الكرتون" - والت ديزنى وأفلام المشاعر الطيبة مثل "إجازة رومانية و "ساحر أوز" حظاً أفضل - لكن هذه الجنة الخيالية لم تفتن الأوروبيين كلهم. كانت هناك بنود فى جميع الاتفاقيات التجارية تضمن زيادة فى حصة الأفلام الأمريكية التى تعرض فى دول مثل فرنسا. (بدأ ذلك باتفاقية "بلم - بيرنز: Blum - Byrnes" عام ١٩٤٦)، وكان مثل تلك الاتفاقيات يقابل بانتقاد شديد وسخط حاد فى الدوائر الثقافية الفرنسية لدرجة الشغب العنيف ومعارك الشوارع فى عام ١٩٤٨.

كان رد فعل خبراء الاستراتيجية الأمريكية بطيئاً حيال الاستياء الأوروبى بسبب واردات هوليود التى أتخمت السوق. لم يكن هناك أى تمثيل دبلوماسى فى "مهرجان (كان) السينمائى" عام ١٩٥١ ولا أى وفد رسمى من قيادات صناعة السينما الأمريكية أو الكتاب أو الفنانين أو الفنيين. وعلى العكس من ذلك، فإن الروس أرسلوا نائب وزير السينما إلى جانب المخرج الشهير "پودوڤكين - Pudovkin" الذى قدم خلاصة رائعة عن الإنجازات السوفيتية، وبعد أن تلقت حكومة الولايات المتحدة تقارير تفيد أن أمريكا قد ظهرت بمظهر "شديد الغباء" فى "مهرجان (كان)"، قررت الحكومة أن تُولى صناعة السينما اهتماماً أكبر.

وفى ٢٣ إبريل ١٩٥٣، وبعد تعيينه مستشاراً خاصاً للحكومة لشؤن السينما، دخل" سيسيل ب. دى ميل - Cecil B. De Mille" مكتب "سى. دى. چاكسون"، وبعد أسبوعين، كتب "سى. دى" إلى "هنرى لوس" أن "دى ميل يقف معنا تماماً، وهو مقتنع بقوة الفيلم الأمريكي فى الخارج. كما أن لديه نظرية، أنا متفق معها تماماً، وهى أن أفضل استخدام فَعَّال للأفلام الأمريكية ليس هو تقديم "صورة" كاملة تتطابق مع مشكلة معينة، وإنما الحرص والتأكد من أن "الشريط السينمائى العادى" يجب أن يحمل الخط الصحيح: الكلام الجانبى، تغير طبقة الصوت، حركة الحاجب.. كل ذلك يجب أن يتم بالشكل الصحيح. كما أخبرنى بأننى إذا أعطيته أية مشكلة فى أي وقت، تكون خاصة بدولة أو منطقة ما، فإنه يمكن أن يجد طريقة لكى يتناولها فى

شريط"(٣٣).

كان قبول "دى ميل" لأن يكون مستشاراً لهيئة السينما "MPS"(*) انقلاباً بالنسبة لخبراء الدعاية فى الحكومة الأمريكية. ومن خلال ١٣٥ مركزاً إعلامياً أمريكياً فى ٨٧ دولة، كانت هناك شبكة توزيع واسعة تحت تصرف هيئة السينما. وبفضل الدعم الحكومى الهائل، كانت بالفعل بمثابة "منتج" مع توفير كل التسهيلات التى يمكن أن تتاح لشركة إنتاج. وظفت الهيئة منتجين ـ مخرجين، منحتهم تصريحات أمنية على أعلى مستوى، وأسندت إليهم أفلاماً تقوم "بصياغة الأهداف التى تسعى الولايات المتحدة لتحقيقها"، والتى يمكن أن تصل على نحو أفضل إلى "الجمهور الذى تم تحديده سلفاً، والذى علينا نحن كوسيط سينمائى أن نكيفه"(٣٤). كما كانت تقدم المشورة للمنظمات السرية، مثل هيئة تنسيق العمليات، بخصوص الأفلام التى تصلح للتوزيع فى العالم. وفى يونيو ١٩٥٤ وضعت قائمة بسبعة وثلاثين فيلماً لعرضها وراء الستار الحديدى كان من بينها " "بيتربان"، "قصة جو سلسون" قصة "جلين ميللر"، صبى من أوكلاهوما"، "إجازة رومانية"، "نساء صغيرات"، المسرح العائم"، "تمرد كاينى" اذهب يا رجل (تاريخ جوابى هارلم)، "أليس فى بلاد العجائب"، "المجموعة التنفيذية".

كما كانت هيئة السينما "MPS" (*) تقوم بتنظيم مشاركة أمريكا فى مهرجان السينما فى الخارج، وبذلك ملأت الفراغ الذى حدث فى (مهرجان كان) عام ١٩٥١، وكان من الطبيعى أن تبذل الهيئة جهداً كبيراً لاستبعاد "منتجى السينما والأفلام التى لا تؤيد السياسة الخارجية الأمريكية، والتى كانت تعتبر ضارة أحيانا"و(٣٥)، من العرض فى المهرجانات الدولية.. وبدلا من ذلك كانت تدفع بأفلام مثل "قصة بوب ماثياس" (الفنانون المتحدون ـ ١٩٥٤)، وهو فيلم يصور أفضل وجه من الحياة الأمريكية -صبى صغير من المدينة مع أسرته، وحبيبته، وعمله، واهتماماته الرياضية- وكل العوامل التى ساعدت على ظهوره ليكون أحد الأبطال البارزين فى تاريخ الألعاب الأوليمبية .. إذا كان ذلك لا يعبر عن القيم الأمريكية التى نريد أن نعرضها على الشاشة، يكون علينا أن نبدأ البحث عن مجموعة قيم جديدة للترويج لها"(٣٦).

كان "سى. دى. جاكسون" يشعر بالحرج، وهو يحاول أن يقوم بعملية الاختيار، وهو يبحث عن حلفاء فى هوليود يفهمون جيداً" مشكلات الدعاية الخاصة بالولايات المتحدة"، لديهم الاستعداد لأن يُضمِّنوا "سيناريوهاتهم الأفكار الصحيحة

Motion Picture Service (*)

وبطريقة ذكية". في يناير ١٩٥٤ وضع قائمة بأسماء "الأصدقاء" المتوقع أن يساعدوا الحكومة: "سيسيل ب، دي ميل - Cecil B. De mille" و"سبيروس ب، سكوراس - Spyros P. Skouras" و"داريل زانوك - Darryl Zanuck" من شركة "فوكس - "FOX" و"نيكولاس شنك - Nicholas Schenk" رئيس "شركة "MGM" والمنتج "دور شاري - Dore Schary"، "بارني بالابان - Barney Balaban" رئيس شركة "بارامونت - Paramount" و"هاري وجاك وارنر - Harry and Jack Warner" و"جيمس آر. جرينجر - James R. Gringer"رئيس شركة "RKO"، ورئيس شركة "يونيفيرسال - Universal" ميلتون راكميل - Milton Rackmil" و"هاري كوهين - Harry Cohen" من "شركة ريببابليك - Republic" و"وولت و روي ديزني - Walt and Roy Disney" و"إريك جونستون - Eric Johnston" من اتحاد صناعة السينما.

لكن "سي. دي. چاكسون" كان لديه أهم من يستطيع الاعتماد عليهم في هوليود وهو "كارلتون ألسوب - Carleton Alsop" عميل الـ"CIA" كان "ألسوپ" يعمل في أستوديوهات "پارامونت" وكان منتجاً.. وعميلاً سرياً، ثم عمل في مجموعة "MGM" مترو - جولدين - ماير في منتصف الثلاثينيات، ثم مع "چودي جارلاند - Judy Garland" في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، وكان في الوقت نفسه قد التحق بورشة الحرب النفسية التابعة لـ "فرانك ويزنر - Frank Wisner"، وفي أوائل الخمسينيات كان يكتب "تقارير عن السينما" بشكل منتظم يقدمها للـ "CIA" ولهيئة الاستراتيچية النفسية "PSB". كانت تلك التقارير تهدف إلى خدمة احتياجين: أولا: رصد ومراقبة الشيوعيين والمتعاطفين معهم في "هوليود"، ثانياً: تلخيص إنجازات وإخفاقات إحدى جماعات الضغط السرية - وكان يرأسها "كارلتون ألسوب" - والتي كانت مسئولة عن إدخال موضوعات محددة في أفلام هوليود.

تقارير "ألسوپ" السرية مثيرة لمن يقرأها، فهي تكشف عن المدى الذي كان يمكن أن تصل إليه الـ "CIA" في تدخلها في صناعة السينما، بالرغم من ادعائها أنها لم تكن تسعى إلى مثل ذلك النفوذ. أحد تقارير، والمؤرخ في ٢٤ يناير ١٩٥٣، ركز على مشكلة النمطية في تصوير الشخصية السوداء في هوليود تحت عنوان "الزنوج في السينما". يقول "ألسوپ" في تقريره: إنه قد حصل على موافقة عدد كبير من المخرجين على أن يقدموا "زنوجا يرتدون ثياباً أنيقة، كجزء من المشهد الأمريكي، دون أن يبدو ذلك منافياً للذوق أو متعمداً. فيلم "الشراب المسكر" الذي يجرى تصويره الآن، لا يسمح - لسوء الحظ - بتقديم ذلك، لأن الأحداث تقع في الجنوب وسوف يظهر فيه زنوج المزارع. إلا أن ذلك سوف يتم تعويضه، على أيه حال.. وبدرجة ما، بوضع

رئيس خدم زنجى بشكل محترم فى منزل أحد المسئولين وأن يعبر الحوار الذى سيشارك به عن أنه رجل حر وأن بإمكانه العمل حيثما يريد"(٣٧). كما قال "ألسوپ" فى تقريره أيضاً إنه سيتم وضع بعض الزنوج فى المشاهد الجماعية "فى الفيلم الكوميدى كادى ـ Caddy" بطولة "چيرى لويس ـ Jerry Lewis". وفى التقرير نفسه، أشار "ألسوپ" إلى فيلم "رأس السهم" الذى أظهر – لأول مرة – الاستعداد لمناقشة معاملة أمريكا لـ "أپاتشى ـ Apaches" ولكن ذلك – كما قال "ألسوپ" – كان يمثل مشكلة خطيرة، "حيث إن الشيوعيين" يمكن أن يستخدموه لصالحهم. "ومما يدعو للسعادة، أنه بإجراء بعض التعديلات البسيطة فى هذا الجزء، قد تم التأكد من أن معظم المناظر المسيئة "قيام الجيش بشحن قبيلة كاملة من الأپاشى" وترحيلهم إلى "فلوريدا"، على غير رغبة منهم، مربوطين بسلاسل مثل الحيوانات) قد حذفت بالكامل أو تم تخفيفها بشكل واضح، بحيث لم يعد لها "أى تأثير" كما تم إدخال تغييرات أخرى بإعادة تسجيل الحوار، وبعد أن كان قد تم الانتهاء من الفيلم، ولم يواجه "ألسوپ" أى اعتراض من قبل منتج الفيلم "نات هولت" لأن تلك المقترحات كلها كانت تقدم له على أساس تجارى ووطنى"(٣٩).

الروس أيضاً لم يضيعوا أية فرصة للتأكيد على تاريخ أمريكا السيئ بالنسبة للعلاقة بين البيض والملونين. فى عام ١٩٤٦ وجد "چيمس بيرنز ـ James Byrnes" وزير خارجية "ترومان" ـ نفسه "مرتبكاً ومهزوماً" عندما حاول أن يحتج على رفض السوڤيت لحق التصويت فى البلقان، وذلك لأنه وجد السوڤيت يردون عليه بالقول ـ وكانوا محقين فى ذلك ـ "إن زنوج ولاية "مستر بيرنز" نفسه فى "كارولينا الجنوبية" لا يتمتعون بالحقوق نفسها"(٤٠). كانت الجهود التى يقوم بها "ألسوپ" فى هوليود جزءاً من حملة واسعة النطاق لطرد المزاعم السوڤيتية عن التفرقة فى أمريكا، وتدنى الأجور، وعدم المساواة أمام القانون، والعنف ضد الأمريكيين من ذوى الأصول الإفريقية، ومن جانبه كان "سى. دى. چاكسون" يريد أن يواجه القضية مباشرة، وكان يرى أنه "قد حان الوقت لأن نتوقف عن الشرح بأسلوب تلك البقعة السوداء على ثوبنا" وأن نواجه العالم "بكل جرأة"(٤١). ومن أجل هذا الهدف، قام خبراء الحرب النفسية فى لجنة تنسيق العمليات (بالتعاون مع وزارة الخارجية) بإنشاء لجنة سرية للتمثيل الثقافى، والتى كان واجبها الرئيسى هو التخطيط والتنسيق لجولات الفنانين الأمريكيين السود، وكان ظهور "ليونتين پرايس ـ Lenotyne Price" و"ديزى چيلسپى Dizzy Gillespie" و"ماريان آندرسون ـ Marian Anderson" و"وليم وورفيلد ـ William Warfield" وفرقة "مارتا جراهام ـ Marta Graham" للرقص، ومجموعة كبيرة من المواهب الأمريكية من السود، ومن متعددى الأجناس، كان ظهور أولئك على

المسرح العالمى فى تلك الفترة جزءاً من برنامج "التصدير" ذلك الذى كان يتم الإشراف عليه سراً. كذلك كانت الجولة الواسعة لـ "بورجى" و"بيس - Porgy and Bess" التى وصفها أحد خبراء الاستراتيجية السرية بأنها "الأوبرا الزنجية الشعبية العظيمة" والتى تنقلت عبر أوروبا الغربية وأمريكا الجنوبية، ثم فى الكتلة الشرقية على مدى أكثر من عشر سنوات، كان فريق العمل مكوناً من سبعين أمريكياً من أصول إفريقية، عرض حى يظهر فيه الزنجى الأمريكى كجزء من الحياة الثقافية الأمريكية"(٤٢).

والغريب أن بروز تلك الموهبة الأمريكية السوداء كان بنفس القدر الذى انحسر به عدد أولئك الكتاب الذين كانوا أو من عبروا عن الأوضاع المزرية للسود فى المجتمع الأمريكى، فى عام ١٩٥٥ نشرت مجلة "الأدب الأجنبى" الروسية قصتين قصيرتين للكاتب "إرسكين كالدويل - Erskine Caldwell" جعلتا الأمريكيين يختنقون وهم يتناولون إفطارهم. كتب "جون بوكر - John Pauker" من وكالة الإعلام الأمريكية USIA(*) يقول: "القصة الأولى عنوانها" مال فاسد "(كان عنوانها فى الأصل الإنجليزى: "طرح الريح" وهى قصة ليست مؤذية، إلا أن القصة الثانية شريرة: عنوانها: "جماهير من الرجال"، وتتناول الخداع العام وفقر الزنوج واغتصاب طفلة عمرها عشر سنوات فى مقابل ٢٥ سنتا"(٤٣). هذا القلق الذى أبدته "USIA"، اهتمت به اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية التى وعدت بالضغط على "كالدويل" لكى يكذب هذه القصة علناً. والآن، كانت اللجنة الأمريكية تردد الشكوى نفسها التى كان "سيدنى هوك - Sidney Hook" يرددها فى عام ١٩٤٩، وهى أن كتاب الجنوب يدعمون الأفكار السلبية عن أمريكا بالروايات التى يكتبونها، وهى روايات "الاحتجاج والتمرد الاجتماعى" والتفسخ الأمريكى والتفاهة"(٤٤). ولذلك قررت اللجنة أن "تمضى بدون الجنوبيين المتهمين بسفاح القربى. فأعمالهم تقدم صورة جزئية وملونة نفسياً عن أخلاقنا ومعنوياتنا"(٤٥). ولم يكن ذلك حكماً منفصلاً أو شخصياً، ولكنه كان الحكم الذى يراه كثير من خبراء الحرب الباردة بمن فيهم "إيريك جونستون - Eric Johnston" الذى قاد الهجوم على الجنوبيين من مكتبه فى هوليود: لن يكون لدينا المزيد من "عناقيد الغضب" ولن يكون لدينا المزيد من "طريق التبغ". لن يكون لدينا أفلام أخرى تعرض الجانب الأسوأ من الحياة الأمريكية(٤٦). وفى تلك الفترة انخفضت المبيعات من كتب "كالدويل" و"شتاينبك" و"فوكنر" و"ريتشارد رايت".

(*) United Staes Information Agency

بعد عودته إلى هوليود، كان "كارلتون ألسوپ" يقظاً لتصوير القذارة الأمريكية، ففى أحد التقارير، يحذر من "سيناريو" أعد على رواية بعنوان "المارد" من تأليف: "ادنا فيربر ـ Edna Ferber" كانت كما يقول لابد من مراقبتها لأنها تلمس القضايا الثلاث التالية.

١- تصوير غير متعاطف للأمريكيين الأغنياء القساة الأجلاف (أهالى تكساس).

٢- تشويه سمعة المكسيكيين فى تكساس على أساس عرقى.

٣- استغلال العمال المكسيكيين وتضخم ثروة الأنجلو ساكسون.

أما الحل عند "ألسوپ" فكان فى منتهى السهولة: "سوف أتدبر أمر أن يتم قتل أى شخص يحاول أن يعيد تنشيط ذلك فى "پاراماونت"(٤٧)، ولكنه نجح جزئياً، فقد قامت شركة "وارنر برذرز" وليس "پاراماونت" بإنتاج الفيلم، وهو آخر أفلام "چيمس دين ـ James Dean" عام ١٩٥٦.

واستمرت تقارير "ألسوپ" فى قياس درجة الحرارة السياسية فى هوليود لتفصيل العمل المعقد، لجعل المنتجين والأستوديوهات تقبل ما كانت الـ "CIA" تدعوه، بـ "صيغة هوليود" (٤٨). وتم التخلص من كل الأنماط والنماذج السلبية، وإدخال شخصيات روائية تعبر عن أمريكا سليمة مزدهرة، وأعلن "ألسوپ": لقد نجحنا فى حذف شخصيات الأمريكيين السكارى بشكل عام من أدوار مهمة، إن لم تكن الأدوار الرئيسية فى الأفلام التالية: "هودينى"، المخبر الأمريكى السكير": يحذف الدور تماماً، الفيلم قد يتطلب إعادة التصوير لكى يتم التصحيح، "أسطورة ألانكا": حذف مشاهد الإفراط فى الشراب بالنسبة للبطل الأمريكى من السيناريو، "مشية الفيل": الاحتفاظ بجو الشراب لأغراض تخدم الفكرة فقط، "لينجر والنمل": جارى حذف مشاهد الإفراط فى الشراب من دور البطل الأمريكى من السيناريو" (٤٩).

وبالنسبة لموضوع الأفلام التى تتعرض للدين، كان "ألسوپ" شديد الحساسية على نحو خاص: عندما بدأ أحد الأستوديوهات تحميض فيلم "ابنة ايوريو" لـ "أنانزيو ـ Annunzio" بالاشتراك مع "ألبرتو موارڤيا ـ Alberto Moravia"، كان "ألسوپ" مقتنعا بأنه سيكون "ضد الدين بنسبة مائة فى المائة"، وكان يتساءل بينه وبين نفسه، كيف يمكن إيقافه؟ أعتقد أن "الڤاتيكان" لابد من أن يفعل شيئا. لا تظن أننى أتكلم كثيراً عن توجه مؤيد للكاثوليكية والذى قد يكون له تأثير على رأيى، فى هذه المعركة التى تستهدف العقول، فإن أول خطوة يجب أن يتخذها الشيوعيون هى أن يفضحوا زيف الدين"(٥٠). كان فيلم "جيللار دى ديو" لـ "روبرتو روسيلليني ـ Roberto Rossel

"lini أكثر إزعاجاً، وكان يتناول حياة "سان فرانسيس"، كتب "ألسوب": "هذا فى الحقيقة شىء مهم، لأنك لا يمكن أن تتمنى شيئاً أكثر فضحاً للدين من ذلك. "سان فرانسيس" ورفاقه يتم تقديمهم بطريقة غاية فى التبسيط المخل لدرجة أنك تشعر بأنهم جماعة من المغفلين، وبعضهم شواذ جنسيا"(٥١).

كان "ألسوب" قد انضم إلى الـ "OPC" مكتب تنسيق السياسات، فى نفس الوقت الذى انضم فيه "فينيس فار ـ Finis Far وهو كاتب له علاقات واتصالات بهوليود وكان يعمل مع "چون أوهارا ـ John O'hara" وبعد تجنيدهما للعمل فى ورشة الحرب النفسية، كان "ألسوپ" و "فار" يعملان تحت رئاسة "هووارد هنت ـ Ho-ward Hunt" الذى كان يعمل فى الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيجية ـ قبل ذلك، والذى مكنه حبه للدعاية السوداء (قال بعد ذلك إن تفكيره كان هو الأسود) من العمل فى وظيفة يشرف فيها على برنامج دورات تدريبية فى الحرب السياسية والنفسية يتبع الـ"CIA".

بعد وفاه "چورچ أورويل ـ George Orwell "فى ١٩٥٠ بفترة قصيرة، قام "هووارد هنت ـ Howard Hunt بإرسال "ألسوپ ـ Alsop" و"فار ـ "Far" إلى إنجلترا لمقابلة ـ "سونيا ـ Sonia" أرملة الكاتب، لم يذهبا لمواساتها، وإنما ليطلبا منها التوقيع لهما على حقوق فيلم "مزرعة الحيوان"، بعد أن حصلت على وعد منهما بأن يرتبا لها لقاء مع بطلها "كلارك جيبل ـ Clark Gable". كتب: "هنت": "ومن هذه الزيارة، كان أن خرج فيلم الكرتون "مزرعة الحيوان" عن رواية "أورويل" الفيلم الذى مولته الـ "CIA" وقامت بتوزيعه فى أنحاء العالم"(٥٢).

وبعد الحصول على حق إنتاجه، راح "هنت" يبحث عن منتج يكون واجهة بدلاً من الـ"CIA"، فاستقر على "لويس دو روشمو ـ Louis de Rouchemont" الذى كان قد وظف "هنت" عندما قام بإنتاج "مسيرة الزمن"، المسلسل الوثائقى الذى كانت "مؤسسة تايم" هى المسئولة عنه(٥٣).

وبعد الاتصال بـ "هنت"، واستخدام الدعم المالى الذى قدمته الـ "CIA" عن طريق "ألسوپ" و "فار" بدأ "دو روشمو" إنتاج "مزرعة الحيوان" فى ١٥ نوفمبر ١٩٥١. وتم اختيار شركة: "هالاس وباتشلور لأفلام الكرتون"، للقيام بإنتاج أكبر فيلم "كرتون" فى زمنه (٨٠ فنى كرتون، ٧٥٠ مشهداً، ٣٠٠٠٠٠ لوحة بالألوان). كان "چون هالاس ـ John Halas" الهنغارى المولد قد جاء إلى إنجلترا وعمل فى فيلم "رجل الموسيقى" أول فيلم كرتون إنجليزى بالألوان كان "هالاس" يعمل هو وزوجته "چوى باتشلور ـ Joy Batchelor" وأنتجا أكثر من مائة فيلم حكومى لمكتب الإعلام

البريطانى المركزى، كان معظمها يروج لمشروع "مارشال" ولحلف شمال الأطلنطى ـ NATO.

كان "فردريك واربورج ـ Fredric Warburg" ناشر رواية "مزرعة الحيوان" شديد الاهتمام بإنتاج "هالاس" وكان يبلغ أصدقاءه فى "مؤتمر الحرية الثقافية" بتطور سير العمل بشكل منتظم، كما قام بزيارة الاستوديو عدة مرات فى ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ ليرى تتابع المناظر وليضيف اقتراحاته عن أى تغيير فى السيناريو (وربما يكون "واربورج" هو الذى اقترح أن يعطى الميجور العجوز، نبى الثورة، صوت ومظهر "ونستون تشرشل – Winston Churchil" وفى الوقت نفسه، كان يقوم بمراجعة طبعة جديدة من رواية "مزرعة الحيوان" لكى تنشرها "دار سيكر آند واربورج"، مع صور فوتوغرافية من فيلم "هالاس" و "باتشيلور".

كما قامت الـ "PSB" – هيئة الاستراتيجية النفسية ـ بمراجعة السيناريو أيضاً. وكما تقول مذكرة بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٢، كان لابد من إقناع موظفيها بالسيناريو لأنهم "وجدوا الموضوع مربكاً إلى حد ما، كما أن أثر القصة كما يعبر عنه التسلسل فى الكرتون.. كان غامضاً نوعاً ما. وبالرغم من وضوح الرمز، إلا أن الرسالة لم تكن كذلك"(٥٤). ومن الغريب أن يجىء نقد موظفى المخابرات الأمريكية ليردد نفس القلق الذى عبر عنه "ث. اس. اليوت ـ T . S. Eliot و"وليم إمبسون ـ William Empson"، وكان كلاهما قد كتب إلى "أورويل" فى عام ١٩٤٤ بخصوص الأخطاء وعدم الترابط فى الأمثولة الرئيسية لرواية "مزرعة الحيوان".

وتم حل مشكلة السيناريو بتغيير النهاية. ففى النص الأصلى لا يمكن التمييز بين الخنازير الشيوعية والرجل الرأسمالى، كلهم منجذبون فى بركة العفن ذاتها. أما فى الفيلم فيتم تجاهل ذلك التطابق بعناية لـ "بلكنجتون ـ Pilkington" و"فردريك ـ Frederick" وهما الشخصيتان الرئيسيتان واللذان يقصد بهما "أورويل" الطبقات البريطانية والألمانية الحاكمة، لا يمكن ملاحظتهما بسهولة)، وفى النهاية لا وجود لهما فى الكتاب. "المخلوقات فى الخارج كانوا ينتقلون فى الشبه من الخنزير إلى الإنسان، ومن الإنسان إلى الخنزير ثم من الخنزير إلى الإنسان مرة أخرى، ولكن التمييز بينهما كان مستحيلاً". مشاهدو الفيلم رأوا حلا مختلفا للعقدة، حيث إن منظر الخنازير هو الذى يفرض على الحيوانات الأخرى التى ترقب المنظر، أن تقوم بثورة مضادة ناجحة باجتياح المزرعة وبإزاحة الفلاحين (البشر) من المشهد، وترك الخنازير فقط تمرح فى ثمار الاستغلال، وينعكس ده ح الفساد الشيوعى مع التفسخ الرأسمالى.

وعندما اتجهت الـ "CIA" إلى رواية "أورويل" الأخرى (١٩٨٤)، اقترحت حريات أوسع. كان "أورويل" قد مات قبل أن يعطى حقوق إنتاج الفيلم، ولكن بنهاية عام ١٩٥٤ كانت تلك الحقوق قد آلت للمنتج "بيتر راثفون ـ Peter Rathvon". كان "راثفون" صديقاً جيداً لـ "جون فورد ـ John Ford"، وكان رئيسا لـ "ROK" إلى أن أزاحه "هووارد هيوز ـ Howard Hughes" فى عام ١٩٤٩و فى ذلك العام كون مؤسسة أفلام الحركة التى كرست نشاطها لإنتاج أفلام الحركة والتمويل. هذه المؤسسة و"راثفون" نفسه، كانوا على علاقة طيبة بالحكومة الأمريكية التى كانت تمول أفلام "وكالة أفلام الحركة" وكما يقول "لورانس دو نيفى - Lawrence de Neufville" فإن "هووارد هنت" هو الذى طلب تعاون "راثفون" فى إنتاج فيلم عن رواية "أورويل". وعن طريق مؤسسة "راثفون" كان بالإمكان توفير الدعم الحكومى لبدء إنتاج الفيلم"(٢٥) الذى ظهر فى ١٩٥٦ ببطولة "إدموند أوبراين ـ Edmond O'brien" و"جأن ستيرلنج ـ Jan Sterling" و"مايكل ردجريف Michael Redgrave".

رؤية "أورويل" الكابوسية للمستقبل كما عبر عنها فى "١٩٨٤" كانت تروق لخبراء الاستراتيجية الثقافية على عدة مستويات. وكالة المخابرات المركزية ـ "CIA" وضباط هيئة الاستراتيجية النفسية "PSB" الذين كان الكتاب بالنسبة لهم قراءة مطلوبة) فهموا تماماً فحصه لمخاطر الشيوعية، متجاهلين حقيقة أن "أورويل" كان يهاجم ويشجب المساوئ والمفاسد التى تمارسها كافة النظم المتسلطة، سواء من اليمين أو اليسار على مواطنيها. ورغم أن أهداف الكتاب كانت غاية فى التعقيد، إلا أن الرسالة كانت واضحة: فهى احتجاج ضد كل الأكاذيب، ضد كل أنواع الخداع والحيل التى تمارسها الحكومات، لكن خبراء الدعاية الأمريكيين كانوا حريصين على أن يجعلوها تسير فى مسار معاد للشيوعية، مما أدى بأحد النقاد لأن يقول: "مهما كان تفكير "أورويل" وهو يكتب هذا العمل، فإنه قدم للحرب الباردة أحد أكفأ خرافاتها.. فى الخمسينيات كانت "١٩٨٤" كتابا مليئا بالارتياب فى الثقافة الجماهيرية وخطورة العبودية الكونية عن طريق 'اجهل (رد فعل "ونستون" إزاء الأغنية الشعبية التى تؤديها المرأة البروليتارية بصوت مرتعش وهى تعلق غسيلها، يغلف هذا الخوف من الثقافة الجماهيرية وبلادتها المنومة)، ومرة أخرى كان هدفها السياسى أقل تحديداً عما هو عام: سوء استخدام اللغة والمنطق ـ "وهو ما كان يسميه "بيتر فانسيتارت – Peter Vancittart" بـ"التهديد الحقير للياقة السياسية ـ كان ينسب لنا كما ينسب لهم. ولم يكن ذلك التمييز واضحاً فى الفيلم.

كان التلاعب بأمثولة "أورويل" لكى تناسب تحيزات وافتراضات صانعى الفيلم،

متسقاً بالطبع مع تحيزات الحرب الباردة الثقافية، ولم يكن هناك سوى "صول شتين ـ Sol Stein" المدير التنفيذى للجنة الأمريكية للحرية الثقافية لتقديم البنية اللازمة لهذا التفسير الموالى، وكان "راثفون" يستشيره فى أمور كثيرة بخصوص السيناريو. كان لدى "شتين ـ Stein" الكثير الذى يمكن أن يقدمه. أولاً: لابد من أن يحتوى السيناريو على إشارات كثير للشمولية الموجودة فى الوقت الحالى، وبوقائع محددة، مثلا: اليوسترات الخاصة بـ"الأخ الكبير" لابد من أن تكون صوراً لشخص حقيقى وليست صورا كاريكاتورية لـ"ستالين"، وبمعنى آخر احتمال الوجود الحقيقى للأخ الكبير لا ينبغى التقليل منه بربطه بـ "ستالين" الذى كان قد مات"(٥٧). لا يجب أن يكون فى الفيلم أى كاريكاتير ويواصل "شتين": "وإنما مجرد استمرار لشىء يمكن أن نشهده اليوم مباشرة"، مثلا: "حيث يرتدى أعضاء الرابطة المعادية للجنس أوشحة على صدورهم"، كان "شتين" قلقا "لأن تلك الأوشحة لا تنطبق على أى شىء فى الحياة الشمولية كما نعرفها، وإنما بالأحرى للأوشحة التى يرتديها الدبلوماسيون فى المناسبات الاحتفالية"(٥٨). ولذلك اقترح "شتين" أن يرتدوا أحزمة السلاح بدلاً من ذلك. وكذلك، حيث وضع "أورويل" الأبواق فى الرواية: طلب "شتين" حذف المنظر: لأن الأبواق بالنسبة للأمريكيين كانت مرتبطة دائما بالأبهة الفارغة"(٥٩).

ولكن النهاية كانت هى أكثر ما أقلق "شتين" الذى قال لـ "راثفون": المشكلة بالنسبة للنهاية كما أفهمها هى أنها تنتهى بنغمة يأس تام: "ونستون سميث ـ Winston Smith" تسلب منه إنسانيته، ونجده وقد استسلم تماماً للدولة الشمولية، وأعتقد أننا اتفقنا على أن ذلك يقدم موقفاً بلا أمل، بينما يوجد بعض الأمل فى الواقع.. أمل فى عدم تغيير الطبيعة الإنسانية عن طريق الشمولية، وفى أن الحب والطبيعة يمكن أن ينجو من تجاوزات وانتهاكات "الأخ الكبير" الرهيبة"(٦٠). واقترح "ستين" على "راثفون" أن يستغنى عن النهاية التى وضعها "أورويل" لصالح الحل التالى: تقوم "چوليا ـ Julia" وتسير بعيداً عن "ونستون"و يمكن ألا يغادر "ونستون" المقهى أيضاً، وألا يذهب وراء "چوليا" وإنما فى الاتجاه العكسى. وبينما يمشى مكتئباً جزعاً فى الشارع، لا يمكنه أن يرى وجوه الأطفال، ولا حتى وجه تلك الطفلة التى تثرثر عن والدها، ولكن وجوه الأطفال الذين استطاعوا الاحتفاظ ببعض براءتهم الطبيعية.. يبدأ فى السير بخُطى أسرع، ويعلو صوت الموسيقى إلى أن يقترب مرة أخرى من البقعة المنعزلة، حيث وجد هو "چوليا" ملجأ من العالم الشمولى. ومرة أخرى نرى أوراق العشب، والرياح تلعب بالأشجار، وربما من خلال عينى "ونستون" نرى اثنين آخرين وقد استكنا معا. مثل هذه الأشياء بالنسبة لـ "ونستون" ولنا، تعبر عن الاستمرار الذى لا يستطيع الأخ الكبير أن يدمره. وأثناء خروج "ونستون" من هذا المنظر نسمع دقات

قلبه على شريط الصوت وهو لاهث. عندما يدرك ذلك الذى لا يستطيع الأخ الكبير أن يأخذه من الإنسانية وما سيظل دائماً فى تناقض وصراع مع عالم ١٩٨٤ . وربما لكى نثبت وجهة النظر هذه يمكن أن نرى "ونستون" ينظر إلى يديه: إصبعان فى كفة اليسرى وإصبعان فى اليمنى، وهو يعرف أن اثنين زائد اثنين تساوى أربعة. عندما يدرك ذلك، نواصل نحن الاستماع إلى دقات قلبه ومدلول ذلك هو أن القلب الإنسانى يدق بصوت أعلى.. بينما ينتهى الفيلم"(٦١).

وانتهى الأمر بوضع نهايتين مختلفتين للفيلم، واحدة للجمهور الأمريكى وأخرى للجمهور البريطانى. كلتاهما لم تكونا طبقاً لمقترحات "ستين" التى كانت أشبه بالسكارين، بالرغم من أن النسخة الإنجليزية كانت مطابقة لفكرة النهاية التى وضعها "ستين" حيث يلقى "ونستون" مصرعه بعد أن يهتف: "يسقط الأخ الكبير"، ثم تتبعه "جوليا" فى التو واللحظة. فى الكتاب، وفى تناقض مباشر، أنكر "أورويل" بشكل واضح إمكانية أن تعلو الروح الإنسانية على ضغوط الأخ الكبير. "ونستون" مقهور تماماً، روحه مكسورة - انتهى الصراع، فاز بالانتصار على نفسه. أحب الأخ الكبير. "تعليمات "أورويل" المحددة بعدم تغيير شىء فى الرواية على أى نحو، أهملت تماما.

كان الفيلمان "مزرعة الحيوان" و"١٩٨٤" جاهزين للتوزيع فى عام ١٩٥٩ . أعلن "صول ستين" أن لهما أهمية "أيديولوجية بالنسبة للجنة الأمريكية للحرية الثقافية"، ووعد بأن يكون توزيعهما على "أوسع نطاق ممكن"(٦٢). كما اتخذت خطوات كثيرة فى الوقت المناسب لكى يحظى الفيلمان باستقبال جيد، وقد تضمن ذلك التحضير لنشر مقالات افتتاحية فى صحف "نيويورك" وتوزيع عدد كبير من "الكوبونات لمشاهدة العرض بسعر منخفض".

ويمكن القول: إن "التزييف" قد حدث فى كل مراحل العمل: من النص إلى أن أصبح شريطاً وأن صناعة الفيلم فى حد ذاتها - وليس بالضرورة أن يكون ذلك بشكل خبيث - هى عملية ترجمة أو إعادة اختراع. فى مقالة عن "١٩٨٤" فى كتاب "لاعقلانية القسوة" يزعم "إسحق دويتشر - Issac Deutscher" أن "أورويل استعار فكرة روايته ١٩٨٤" وحبكتها وشخصياتها الرئيسية ورموزها والمناخ العام للقصة من رواية "نحن" للكاتب "يفجينى زامياتين - Evgeny Zamyatin" (٦٣). ومن ذكريات "دويتشر" الشخصية أن "أورويل" كان "مشغولاً بالمؤتمرات وأن تفكيره السياسى" صدمنى كعملية تسامى "فرويدى" لجنون الاضطهاد. ولأن "دويتشر" كان يقلقه نقص الحس التاريخى عند "أورويل"، وكذلك الرؤية النفسية للحياة السياسية، يضيف محذراً: "ربما يكون من الخطر أن نتعامى عن حقيقة وجود ملايين فى الغرب من الذين قد يميلون،

بسبب ما هم فيه من خوف وكرب، للهرب من مسئوليتهم الخاصة عن مصير البشرية، وأن يصبوا جام غضبهم ويأسهم على – البعبع الضخم – كبش الفداء، الذى حاولت رواية "أورويل" (١٩٨٤) أن تضعه أمام أعينهم.. مسكين "أورويل" هل كان يدور بخلده أن كتابه سيكون مادة مهمة وبارزة فى برنامج أسبوع البغض؟"(٦٤).

لكن "أورويل" نفسه لم يكن بريئاً تماماً من مناورات الحرب الباردة هذه. فهو على كل حال، كان قد سلم قائمة لإدارة البحث الإعلامى "IRD" تضم أسماء ٣٥ شخصاً باعتبارهم متعاطفين مع الشيوعية أو يشتبه أن يكونوا واجهات شكلية. كان من بينهم "كنجسلى مارتن ـ 'Kingsley Martin' رئيس تحرير "نيو ستيتسمان آند نيشن" (ليبرالى عنف وغير أمين بالمرة) و"پول روبسون ـ "Paul Robeson" شديد العداء للبيض ومؤيد لـ: "والاس ـ "Wallace" و"جى. بى. پريستلى ـ "J.B.Priestley" متعاطف بشدة، ربما تكون له ارتباطات تنظيمية، شديد العداء للولايات المتحدة) و"مايكل ردجريف "Michael Redgrave" ظهر فى فيلم ١٩٨٤)(٦٥). ولأن "أورويل" كان شديد الارتياب فى أى واحد تقريباً، فإنه ظل محتفظاً بالقرب منه بدفتر (حجم كوارتو) لعدة سنوات. فى عام ١٩٤٩ كان يوجد بذلك الدفتر نحو١٢٥ اسما، وأصبح بمثابة لعبة يحب "أورويل" أن يلعبها مع "كوستلر" و"ريتشارد ريز ـ "Richard Rees"، يقومون فيها بتقرير "المدى الذى يمكن أن يصل إليه أعداؤنا فى الخيانة"(٦٦). ويبدو أن معايير وضع الأسماء فى هذا الدفتر كانت فضفاضة كما هو فى حالة "ستيفن سپندر ـ "Stephen Spender" الذى رأى "أورويل" أن "ميله إلى الجنسية المثلية" كان جديراً بالتسجيل (كما قال أيضا إنه لا يمكن الاعتماد عليه، ومن السهل التأثير عليه"). الكاتب الواقعى "چون شتاينبك ـ "John Steinbeck" كان اسمه أيضا مسجلا لمجرد أنه "كاتب كذاب وساذج"، بينما حظى "أپتون سنكلير ـ "Upton Sinclair" بوصف "غبى جداً"، كما وصف "چورچ پادمور ـ "George Padmore" الاسم المستعار لـ "مالكولم نيرس ـ "Malcolm Nurse" بأنه "زنجى" و "ربما من أصل إفريقى" و "معاد للبيض" وربما كان على علاقة بـ "نانسى كونراد". أما "توم درايبيرج ـ "Tom Driberg" فكان صاحب نصيب وافر من النيران، فهو يمثل كل ما كان "أورويل" يحب أن يخاف. "شاذ جنسياً" و "هناك اعتقاد كبير بأنه عضو سرى" و "يهودى إنجليزى"(٦٧).

لكن ما كان يصفه "أورويل" بأنه قائمته الصغيرة، أخذ منحى آخر غير أن يكون لعبة، أصبحت له أبعاد جديدة وشريرة عندما تطوع للعمل فى الـ "IRD" إدارة البحث الإعلامى – وهى الذراع السرية لوزارة الخارجية (كما كان "أورويل" يعرف). وبالرغم من أن "آدم واطسون ـ "Adam Watson" رئيس الـ "IRD" سوف يدعى فيما

بعد "أن فائدته المباشرة هى أن أولئك أناساً يجب أن يكتبوا من أجلنا"، إلا أنه كشف أيضا أن "اتصالاتهم وعلاقاتهم بالمنظمات المدعومة من السوفيت ربما يجب الكشف عنها فى وقت لاحق"(٦٨). وبعبارة أخرى: معنى أن تكون قائمة "أورويل" فى يد فرع من أفرع الحكومة أعماله ليست خاضعة للمراقبة، فإن تلك القائمة تفقد أية محاولة لتبرئتها باعتبارها وثيقة خاصة. لقد أصبحت ملفا، من الممكن جدا أن يدمر سمعته وعمل بعض الشخصيات.

بعد خمسين عاماً، وقف "برنارد كريك ـ Bernard Crick" الكاتب الرسمى لقصة حياة "أورويل" يدافع بشدة عن "فعلة" "أورويل"، ويدعى أنها "لا تختلف عما يفعله المواطنون المسئولون هذه الأيام، عندما يقدمون معلومات لفرقة مكافحة الإرهاب عن أشخاص بينهم يعتقد أنهم من مفجرى القنابل التابعين لجيش تحرير إيرلندا ـ"IRA"كانت تلك أوقاتا صعبة فى أواخر الأربعينيات"(٦٩). وكان لهذا الدفاع صداه، كما كان يتردد بواسطة أولئك الذين يصرون على الإبقاء على أسطورة مجموعة ثقافية مرتبطة بعلاقاتها بـ "موسكو"، ومتحدة فى محاولة تحريضية لتمهيد الأرض للستالينية فى بريطانيا. لا يوجد أى دليل على أن أى شخص فى قائمة "أورويل" (على قدر ما أذيع منها)، كان متورطاً فى أى عمل غير قانونى. كما لا يوجد بالطبع، أى مبرر لذلك التشبيه بالإرهابيين الجمهوريين. أما "شاذ جنسيا"– فكانت هى التهمة الوحيدة التى حملت مخاطرة الإدانة الجنائية بالرغم من أن ذلك لا يبدو أنه أثنى "أورويل"عن استخدام الكلمة. لم يحظر القانون الإنجليزى عضوية الحزب الشيوعى، ولا أن يكون المواطن يهودياً أو عاطفيا أو غبيا. كتب "پيريجرين وورستورن ـ Peregrine Wors-thorne" فى نظر اليمين، لم يرتكب "أورويل" أى خطأ. رأيه فى هذه الأمور مصدق تماماً، ولذا فإنه إذا كان يعتقد أن الحرب الباردة قد أوجدت مبرراً لكاتب ما، لكى تجعله تواقاً لأن يبيع كاتباً آخر، فإن الأمر ليس سوى ذلك. انتهى النقاش، لكنها لا ينبغى أن تكون النهاية، إن عملاً غير شريف لا يصبح شريفاً لمجرد أن مرتكبه هو "چورچ أورويل"(٧٠).

ليس معنى ذلك أننا نقول إن "أورويل" كان مخطئاً فى قلقه بخصوص ما كان يسميه "*الأثر السام للأسطورة الروسية على الحياة الثقافية الإنجليزية*"(٧١). كان هو من بين كل الناس، يعرف ثمن الأيديولوچيا والتشوهات التى حدثت باسمها على يد "*الليبراليين الذين يخشون الحرية، والمثقفين الذين يشوهون الفكر*"(٧٢). لكنه بما فعل أثبت أنه خلط بين دور المثقف ودور الشرطى. كمثقف، كان "أورويل" قد استطاع أن يسيطر على جمهور واسع بسبب هجومه على "الولع" البريطانى بـ"روسيا"، وذلك

بمناظرة خصومه على صفحات "تريبيون" و"پوليميك" وغيرهما من الصحف والمجلات.

كتب في تقديمه لـ "مزرعة الحيوان": "إن كان لي أن اختار نصا لتبرير نفسي، فإنني اختار سطراً من "ميلتون": "بالقواعد المعروفة للحرية القديمة"، وشرح أن العبارة تشير إلى إيمانه القوى بالتقليد عميق الجذور.. "تقليد الحرية الثقافية والفكرية التي بدونها يصبح هناك شك في وجود ثقافتنا الغربية"- وأتبع ذلك بعبارة مقتبسة من "ڤولتير": "أكره ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله"(٧٣). قبل موته بأشهر قليلة، كان يبدو كأنه يقول: أكره ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله.. لكن ليس تحت أية ظروف. أما "ماري مكارثي - Mary McCarthy" في تعليقها على ما اعتبرته تحولا من "أورويل" في اتجاه اليمين فتقول: "إن موته صغيرا هكذا، كان نعمة كبرى".

(١٨)

عندما تتعلم الأسماك أن تصفر!

أصبحت الحرية سلسلة من الكليشيهات...

الكليشيه الذى يتم التأكيد عليه وهو "ليست

كل المجتمعات التى تبدو حرة.. حرة بالفعل كما تبدو".

والكليشيه الملتبس: "الحرية لا تتجزأ"

"دوايت ماكدونالد"

"أرجو الانتباه... أرجو الانتباه! والآن سوف تستمعون أعزائى إلى بيان اتحاد الكتاب المجريين. هنا اتحاد الكتاب المجريين. إلى كل كتاب العالم.. إلى كل علماء العالم، إلى كل اتحادات الكتاب، إلى كل الاتحادات العلمية، إلى النخبة المثقفة فى العالم.. ندعوكم جميعا لمساعدتنا ودعمنا. لم يعد هناك وقت طويل. أنتم تعرفون كل شىء. ليس ثمة ما يدعونا لتقديم تقرير لكم. ساعدوا المجر... ساعدوا الشعب المجرى.. ساعدوا الكتاب المجريين، العلماء، العمال، الفلاحين. ساعدوا مثقفينا! النجدة! النجدة! النجدة!".

الأحد ٤ نوفمبر ١٩٥٦، الثامنة وسبع دقائق صباحا. بعد دقائق من إذاعة هذه الرسالة، سكت "راديو بودابست". بعد أن تدفق إلى العاصمة تحت جنح الليل، بدأ الجيش السوفيتى عملية قمع وحشية لانتفاضة أكتوبر. وعلى مدى الأشهر القليلة التالية سوف يلقى القبض على ١٥٠٠٠ مجري، كما سيلقى القبض على ٥٠٠٠ آخرين دون محاكمة. وعندما كانت فرق الدبابات تدمدم فى شوارع "بودابست" الرئيسية، كان الاتحاد السوفيتى كأنه يعاقب العالم بسبب حكمه السيئ عليه - مات ستالين؟ تحيا الستالينية!

وبعد عقد من التآمر والتحليل وجمع المعلومات السرية ورسم الاستراتيجيات لتحرير الدول الأسيرة فى أوروبا، كانت أمريكا تقف ساكنة وربما مذعورة أمام استعراض العضلات الروسية. كتب "مانيز سبيربر- **Manes Sperber**" فى ١١نوفمبر وهو يشعر بالأسى: "لقد مات الثوار المجريون يأسا من العالم الحر الذى كان على استعداد لأن يشاركهم انتصارهم وليس نضالهم"(١). لكن مع الغزو الإنجليزى

الفرنسى الإسرائيلى للسويس، والذى حدث فى نفس الوقت، وجد "إيزنهاور" نفسه منغرزا فى وحل الأخلاق، محاطا بالعدوان الإمبريالى المماثل.

لكن السويس، لم تكن هى فقط التى أصابت أمريكا بالشلل: بينما كان خبراء الاستراتيجية فى الحكومة الأمريكية، وخبراء المخابرات قد أمضوا سنوات فى التخطيط من أجل حدث مثل تلك الانتفاضة المجرية، إلا أنه كان شيئا أشبه بالوهم أو المباراة التجريدية التى انقلبت لتكون عديمة الفائدة فى وجه الواقع. "عملية البؤرة" التى كانت الـ "CIA" تتصور أنها تراقب بها الشئون المجرية منذ أوائل الخمسينيات، اتضح أنها كانت عملية عاجزة عن الرؤية الواضحة. "لورانس دونيڤى" الذى كان قد عين فى إذاعة أوروبا الحرة فى ١٩٥٤ يتذكر أنه فى أول شهر له هناك، سأل: "وماذا يحدث لو أن رجلا يرتدى معطف المطر جاء إلى هنا ليقول: لقد استمعنا إلى كل تلك المادة، ونحن جاهزون للقيام بثورة؟". وناقشوا ذلك فى اجتماع خاص لمجلس الإدارة ولم يعرفوا كيف يتصرفون. كان بيتا للتسلية، وقد قلت لهم ذلك. كانوا كلهم مشغولين ويعتقدون أنهم يقومون بعمل جيد، بينما لم يكن هناك من يقوم بأى تدبير حقيقى. وفجأة.. دهمتهم الأحداث"(٢).

أثناء انتفاضة أكتوبر، كانت "إذاعة أوروبا الحرة" تشجع الثوار باستمرار. ويقول البعض إنه كانت هناك وعود بالمساعدة بالسلاح رغم أن الـ "CIA" أنكرت ذلك ومازالت تنكره بشدة – ولكن، كما يقول "دونيڤى" فإن الوكالة لم تكن فى حاجة لأن تنكر ذلك. لأنها – وهذا شىء لا يمكن تصديقه – لم يكن لديها أية فكرة عما يقوم القسم المجرى بإذاعته. وقال: كانت العملية كلها دجل وتضليل. كانت إذاعة أوروبا الحرة ترسل إشارات، بشكل منتظم، إلى "واشنطن" و "ميونخ" بخصوص ما تذيعانه، لكن ذلك كله كان وحلا فى عيوننا، لأنهم – وببساطة – كانوا يتجاهلون إرشاداتهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن حكومة الولايات المتحدة كان بينها وبين البريطانيين ترتيبات لرصد وترجمة ما تبثه إذاعات أوروبا الشرقية. لكن الغريب أن أحداً لم يترجم "إذاعة أوروبا الحرة"، ولذلك فإن "واشنطن" لم تكن تعرف ما يبث فى إذاعتها. وما كان ينبغى للـ "CIA" أن تنكر المادة المجرية المذاعة، لأنهم – ببساطة – لم يكونوا على علم بها(٣). المادة المجرية، فى تلك الأيام الحرجة من أكتوبر ١٩٥٦ اختفت من "إذاعة أوروبا الحرة".

وعندما تأكد فشل ثورة أكتوبر، فر الألوف من المجريين إلى النمسا هربا من الانتقام السوڤيتى، وتدفقوا عبر الحدود، وقصد معظمهم "ڤيينا". ومرة أخرى لم يكن الأمريكيون مستعدين. كتب "چو سلسون" إلى "شيپارد ستون – "Shepard Stone

فى "مؤسسة فورد" محذرا من أن الموقف الخاص باللاجئين قد وصل إلى درجة من الفوضى التى لا تحتمل. مكتبنا فى "ڤيينا" بالإضافة إلى العائدين من هناك فى الأيام القليلة الماضية يتحدثون عن كارثة وشيكة إذا لم يتم اتخاذ خطوات مهمة على الفور"(٤). وفى "ڤيينا" أيضا، كان هناك "فرانك ويزنر" الذى كان قد وصل من "واشنطن" فى الوقت المناسب ليشهد حطام الثورة الفاشلة. كان حزن "ويزنر" شديدا، وبدأ يفرط فى الشراب. وعندما كان قد وصل إلى محطته الثانية "روما"، كان رجال الـ "CIA" يبذلون كل ما فى وسعهم للخروج من هذه الأزمة. فى "أثينا"، تناول وجبة قواقع نيئة فأصيب بالتهاب فى الكبد وبالحمى والهذيان. وكانت أسرة "ويزنر" وأصدقاؤه يعزون تدهوره الأخير كنائب لـ "آلان دالاس"، إلى الارتباك الانفعالى بسبب أحداث ذلك الخريف. وفى عام ١٩٥٨ أصيب بانهيار عصبى لكى يتم استبداله كنائب لـ "دالاس"(٥).

وهرع "ميلڤن لاسكى" هو الآخر إلى موقع الأحداث، كان يتنقل كالمكوك بين "ڤيينا" والحدود المجرية فى حالة من القلق والتوتر. وبينما كان "ويزنر" قد وجد نفسه فى موطن عذاب روحى وعقلى خاص، كان "لاسكى" فى حالة انتعاش وشعور بالرضا لتحقق نبوءته. ويتذكر: "المجر.. حسن!، لقد تم ذلك نيابة عنا. أقصد أنه لم يكن عليك أن تدفع قرشا واحدا. كان ذلك تبريرا للتحليل، تحليلنا الذى كان يرى أن الشمولية مهزلة. ووضع الحرية، الحرية البرجوازية ثابتة على أجندتنا"(٦). وبالتعاون والتنسيق مع "فردريك توربيرج – Friedrich Torberg" الذى أصبح مكتبه فى "فورام – Forum" هو المقر الرئيسى غير الرسمى لحملة "منظمة الحرية الثقافية" الخاصة بـ "المجر"، بالتعاون والتنسيق معه، أنشأ "لاسكى" سجلا خاصا باللاجئين وبالطلاب الفارين، وعملا معا على إيجاد أماكن لهم فى الجامعات الأوروبية (بمعدل ١٥ فى اليوم). كما بدأ فى إعداد سجل وثائق "الثورة المجرية" (بمساعدة أصدقائه فى "إذاعة أوروبا الحرة" و "صوت أمريكا")، وهو كتاب أبيض صدر فى انجلترا عن دار "سكر آند واربورج" وفى الولايات المتحدة عن "برايجر".

وفى "باريس" كانت "منظمة الحرية الثقافية" تعمل مستقلة، ومكاتبها المزدحمة تعج بالنشاط. يقول "جون هنت – John Hunt" كان التوتر والانفعال قد بلغا أقصى مدى. كان كل شىء مثيرا ومقلقا"(٧). وكان "هنت" قد جاء إلى المنظمة قبل أشهر قليلة. ولجأت المنظمة إلى استخدام شبكة اتصالاتها وأفرعها التابعة، فقام مكتب "باريس" بتنسيق الاحتجاجات العامة من: "سنتياجو" إلى "الدانمرك" ومن "لبنان" إلى "نيويورك" ومن "هامبورج" إلى "بومباى". وفى "السويد" تمكنت اللجنة المحلية من

إقناع ثمانية من الحاصلين على جوائز "نوبل" بتوقيع برقية احتجاج إلى "المارشال بولجانين – Marshal Bulganin". ونظمت اللجنة الأمريكية مؤتمرا جماهيريا حضره "كوستلر" و"سيلوني" (كانوا يريدون أن يحضره "هيمنجواى"، كما أرسلوا إلى "چوسلسون" لكي يساعدهم للوصول إليه، لكنه رد عليهم: يحتمل أن يكون "هيمنجواى" فى أوروبا. مكانه غير معروف)، وبحلول شهر يناير ١٩٥٧ كان مكتب "باريس" يستطيع أن يقول فى تقرير له: "لم يحدث من قبل أن كانت أعمالا للجان الوطنية المختلفة على ذلك القدر من الترابط والقوة"(٨).

كانت إحدى النتائج الأخرى للأزمة المجرية، هى تكوين " أوركسترا المجر السيمفونى – Philharmonica Hungarica" بمجرد أن بدأت الدبابات السوفيتية قصف العاصمة المجرية. وبفضل منحة أولية مقدارها ٧٠٠٠٠ دولار أصبح الأوركسترا بؤرة قوية فى عملية الصراع الثقافى، ومازال إلى يومنا هذا يقوم بجولاته.

ولكن، ربما كان أكثر التطورات إثارة بالنسبة لـ "چوسلسون" و "قوات الصدام الثقافى"، هو خبر شجب "سارتر" العلنى للحزب الشيوعى ووصفه القيادة السوفيتية بأنها "جماعة تفوقت على الستالينية بعد أن أدانتها". كتب "سارتر" فى "اكسپرس – L'Express" بتاريخ ٩ نوفمبر ٥٦ يشجب السياسة السوفيتية منذ الحرب العالمية الثانية ويصفها بأنها "اثنا عشر عاما من الرعب والحماقة" . كما أدان "بشدة" التدخل فى المجر. وخص شيوعيى بلاده بقدر لا بأس به من الذم والطعن حيث أعلن: "لا يمكن، ولن يكون بالإمكان استئناف العلاقات مع من يديرون الحزب الشيوعى الفرنسى الآن. كل عبارة يتفوهون بها، كل تحرك منهم، هى حصيلة ثلاثين عاماً من الأكاذيب والجمود. مواقفهم هى مواقف أناس ليسوا مسئولين بالمرة"(٩). طبعت المنظمة آلاف النسخ من بيان "سارتر" وقامت بتوزيعها مع بيان لـ "كامو – Camus" الذى هدد بتزعم مقاطعة للأمم المتحدة إن هى فشلت فى التصويت لصالح الانسحاب الفورى للقوات السوفيتية من المجر، وأن يشجب علنا "إفلاسها وعجزها" إذا فشلت فى التوصل إلى ذلك القرار. وكان "چوسلسون" يلمح سعيدا: "يبدو أن هناك... عمليات انفصال وانشقاق فى صفوف المثقفين الفرنسيين على شكل ترتيب تنازلى: الشيوعيون، المتعاطفون، التقدميون، المعادون للمعادين للشيوعية، والآن هناك الشيوعيون المعادون للشيوعيين"(١٠). كما كان يقول إن "اللجنة الوطنية للكتاب: Comité National des Ecrivains" برئاسة "لوى أراجون Louis Aragon" والمدعومة من الشيوعيين "قد تم القضاء عليها بالفعل... ومن الممكن جدا أن نقول إن "الوهم"

الشيوعى قد تم تحطيمه". لكنه يضيف أيضا أن "الحزب الشيوعى الفرنسى كان يمكن أن يستغل هذا الموقف لولا ذلك التدخل المشئوم فى مصر"(١١).

والآن، كانت حقيقة أخرى قد وجدت مكانا لها فى تفكير "چوسلسون". فكما قال لأحد المراسلين الصحفيين: "من الواضح أنه إذا كانت أوروبا لا تريد أن تستسلم وترضخ، فلابد لها من أن تكون فى غنى عن مصادرها البترولية فى الشرق الأوسط، وربما يكون الرد هو برنامج بحث علمى موسع لاستبدال البترول بمصادر أخرى للطاقة"(١٢). كان "چوسلسون" يقصد الطاقة النووية بالتحديد. وكانت محاولات الحصول على الموافقة على القوة الذرية من أولويات السياسة الخارجية الأمريكية منذ فترة طويلة. ففى عام ١٩٥٢ كان "سى. دى. چاكسون" قد دون فى سجلاته: "جارى العمل فى مجلة "LIFE" لكتابة مقال بقلم "جوردون دين – Gordon Dean" لتخليص أمريكا من عقدة الذنب بسبب استخدامها للقنبلة الذرية"(١٣). كما كان "سى. دى. چاكسون" – مشاركا رئيسيا فى إعداد خطاب "ايزنهاور": "الذرة من أجل السلام" أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٨ ديسمبر ١٩٥٣، والذى اقترح فيه الرئيس تخفيضا للأسلحة الذرية من الجانبين، كما أوجز وسائل تحويل الاستخدامات العسكرية للطاقة الذرية وتوجيهها لخدمة أهداف مدنية. كان "سى. دى. چاكسون" نوعا من البشر لا يفوته استغلال أية فرصة للدعاية، وهكذا تقدم بمذكرة إلى "فرانك ويزنر" فى فبراير ١٩٥٤، اقترح فيها تطوير اقتراح "ايزنهاور" ليشمل "إعلان خطة لإقامة أول مفاعل ذرى فى برلين". وقال "چاكسون": "إن هناك أسبابا عملية، إلى جانب الأسباب الدعائية، للقيام بهذا العمل. فأى قدر ضئيل من الوقود، سواء أكان سائلا أم صلبا يستخدم فى "برلين" يدخل إلى المدينة عبر المنطقة التى يسيطر عليها السوفيت. وبالرغم من الكميات الاحتياطية التى قمنا بتخزينها، إلا أن حصارا جديدا سيكون فى غاية الخطورة"(١٤). وراح يبرر ذلك بقوله إن "المفاعل الذرى يمكن أن يوفر الطاقة الرئيسية المطلوبة لتأمين احتياجات المدينة تحت ظروف الحصار. كانت قيمة الدعاية "فى مواجهة الألمان والسوفيت" واضحة. والحقيقة أنه كدعاية، لن يكون من الضرورى اتخاذ "قرار نهائى بإقامة المفاعل الذرى فعلا. الفكرة يتم تسريبها كمجرد فكرة. ثم تقوم مجموعة مسح واستقصاء بالتجول حول "برلين" بحثا عن موقع مناسب، وتختار منطقة مهدمة، وتحاط بسور ويوضع لها حراسة وعلامات وإشارات غامضة، المشروع يمكن أن يظل عند مرحلة الإشاعة فى الوقت الحالى – مؤقتا – الأمر الذى سيكون جيدا مثل الشروع فى البناء تماما، من وجهة نظر أهالى"برلين" والمراقبين السوفيت"(١٥).

لم يكن لدى "چو سلسون" مثل هذا التفكير الماكيافيللى. كان بالفعل، وعن حق، مبهورا بفكرة "ايزنهاور": "طرق السيوف النووية وتحويلها إلى شفرات محاريث". كانت دوافعه مخلصة وإن كانت ساذجة. كتب فى رسالة إلى "نابوكوف من الواضح أن استخدام الطاقة الذرية سوف يغير قدر البشرية ومصير المجتمع جذريا. وأنا مقتنع تماما بأن ذلك سيكون بمثابة أغنية البجعة بالنسبة للماركسية، ولسوف يرسى أساسا فلسفيا وأيديولوچيا جديدا للبشرية، تماما مثلما أرست الثورة الصناعية أساس نظرية "ماركس"(١٧). رحب "چوسلسون" باقتراح "ايزنهاور" لتجميع كل مصادر الطاقة الذرية من أجل أغراض سلمية، واعتبرها ضربة عبقرية"، كما كان حريصا على الترويج للفكرة عن طريق صحف المنظمة، لكنه اصطدم بحائط اللامبالاة. فى شهر يناير ١٩٥٤ قال لـ "دو نيقى": حاولت بكل ما لدى من جهد أن نتبع اقتراح "ايزنهاور" بسلسلة من المقالات فى "پريڤ Preuves " ثم تنقلها عنها صحف أخرى فى أوروبا. ومن أسف أن أبرز ثلاثة علماء غير شيوعيين فى فرنسا رفضوا، متعللين بأعذار مختلفة.. وذلك هو المعتاد بالنسبة للأفكار الجيدة التى لا تستغل بشكل كامل، إما لأن الناس كسالى جدا، أو مشغولون جدا، أو ربما لأنهم لا مبالين"(١٨). وبالرغم من ذلك تظل إحدى الأفكار التى يمكن أن تغرس أملا جديدا وثقة جديدة بين بعض الأوروبيين الذين أصابهم اليأس". وأنهى "چوسلسون" رسالته قائلا: "أرجو إن كان لديك أية أفكار، ألا تحتفظ بها لنفسك"(١٩).

أما ما حدث بعد ذلك، فيقدم لنا صورة بليغة عن "شغل" البيروقراطية السرية من وراء ظهر منظمة الحرية الثقافية. رسالة "چوسلسون" تم نقلها إلى "سى. دى. چاكسون" فى البيت الأبيض. حولها "سى. دى" إلى "تريسى بارنز – "Tracy Barnes" فى الـ "CIA" مع اقتراح بدعوة "وليم تيلر– "William Tyler لكى يوقع مقاله باسم مستعار مناسب وكبير وهو "عالم أوروبى". كان "تيلر" مسئول علاقات عامة فى السفارة الأمريكية فى "پاريس" (بالرغم من أن مهامه المتعددة توحى بأن عمله فى السفارة كان مجرد غطاء). يقول "چاكسون": "بالرغم من أن "تيلر" كان يكتب لغة فرنسية أكاديمية سليمة تماما، إلا أنه كانت لديه ميزة أخرى وهى القيام بمراجعة مسودات أحاديثه بشكل يوحى بأنه كان يفهم تماما فلسفة الحديث". "چاكسون" أخبر "بارنز" بأن يعيد "فكرته إلى "چوسلسون" على وجه السرعة، لأنهم كانوا على وشك الانتهاء من تحضير عدد مجلة "پريڤ Preuves" (٢٠).

وبينما كان "چوسلسون" يعزز أفكاره من أجل أوروبا مسلحة بالطاقة النووية تحت ستار مفهوم الحرية الديمقراطية، كان "دوايت ماكدونالد" فى مصر، ليشهد

الإمبراطوريات الغربية وهى تسىء التصرف. كان موفدا من مجلة "انكاونتر" التى كان قد عين محررا مساعدا لها. "ماكدونالد" الذى كان يبدو، على رأى أحد الأصدقاء، مثل البروفيسور المجنون الذى يحمل شبكة لصيد الفراشات، كان متألقا فى عمله: كان قد انتهى للتو من تقريره الطويل عن "مؤسسة فورد" لحساب مجلة "نيويوركر"، كما كان سعيدا بفرصة العمل فى مجلة راقية مثل "انكاونتر". ولذلك كان من الغريب أن تفشل مهمته فى القاهرة ولا يستطيع أن يكتب تقريرا جيدا. والحقيقة أنه عندما سمع انفجار قنبلة بالقرب من الفندق الذى كان يقيم به، هرع إلى خارج المدينة حيث اختبأ لعدة أيام دون إجراء أى اتصال بمكتب المجلة. "ماكدونالد" الذى كان قد وصف إلقاء القبض عليه فى عام ١٩٤٠ بسبب المرابطة أمام السفارة السوفيتية فى "نيويورك" بأنه كان "مزاحا مسليا"، يبدو أنه كان قد فقد ميله إلى المخاطرة، حيث لم يحاول ولو لمرة واحدة أن يخرج من المدينة ليرى منطقة القتال. ويقول "لاسكى": "دفعنا مائتى جنيه ثمنا لتذكرة سفره، كما دفعنا نفقات إقامته بالفندق لكى يكتب لنا تقريرا عن "عملية السبويس"، لكن ماكتبه "ماكدونالد" لم يكن صالحا للنشر بأى شكل. لقد أصيب بالسكتة ككاتب هناك، ثم عاد... وكان يجلس فى المكتب شهرا وراء شهر... وليس هناك سوى سكتة الكاتب"(٢١).

كان تعيين "ماكدونالد" فى مجلة "انكاونتر" مثيرا للجدل منذ البداية. لم يكن "جوسلسون" راضيا قط عن رئاسة "كريستول" للتحرير، وكان الاثنان قد اختلفا وتنازعا منذ العدد الأول حول ما يجب أن تكون عليه المجلة. كان "جوسلسون" يشعر بأن "كريستول" شديد الاهتمام بقضايا الحرب الباردة، وكان يريد المزيد من التركيز على الجانب السياسى للمجلة. وكثيرا ما كان "جوسلسون" يقول لـ "كريستول": نحن لا نصدر مجلات ثقافية صرفة(٢٢)، ويقلقنى عدم فهمك لذلك (وهى ملاحظة تقترب من تبرير تعليق أحد النقاد أن "انكاونتر" كانت مجلة دعاية سياسية ذات ديكور ثقافى)، وكان "لاسكى"، كالعادة دائما، متفقا مع "جوسلسون": "فى منتصف الخمسينيات كنا قلقين لأن "انكاونتر" لم تكن تولى اهتماما كافيا للشئون السوفيتية وشئون الكتلة الشرقية. لكن "كريستول" لم يكن يريد أن يفعل ذلك - كان يشعر بخوف عصبى شديد من المناقشة الأيديولوجية"(٢٣). وبالرغم من محاولات كثيرة فى سلسلة من الاجتماعات فى "باريس"، لجعل "كريستول" يغير من أسلوبه، إلا أن "جوسلسون" كان قد فاض به الكيل فى أوائل عام ١٩٥٥، كتب "جوسلسون" بشكل غامض: "لعلك تتذكر أننا فى اجتماع اللجنة التنفيذية كنا كلنا متفقين على أن الفترة التى مرت على "انكاونتر" فى التغلب على المقاومة السرية وغير السرية، كانت فترة جيدة. لكن، الآن حان الوقت لأن نخطو خطوة أخرى إلى الأمام"(٢٤). لم يكن رد "كريستول" مسايرا.

كتب: "لابد من أن أقوم بالعمل بأسلوبى، وإذا اتضح أن أسلوبى غير كاف... فهناك دائما "حل نهائى"(٢٥).

وبينما أشار "كريستول" بشكل غير لائق إلى تراخيه، إلا أن "چوسلسون" كان قد خطا خطوة أخرى إلى الأمام حيث أعطى تعليماته فى هدوء إلى "نابوكوف" و"لاسكى" لكى يقوما بإكمال الجولة وطلب ترشيحات لمحرر بديل. "أشعيا برلين"، الذى كان يستشار دائما فى مثل تلك الأمور اقترح اسم "اتش ستيوارت هيوز – H.Stuart Hughes"، كما اقترح آخرون "فيليب هورتون– Philip Horton" وهو موظف سابق فى الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيچية – وأول رئيس لمركز الـ "CIA" فى پاريس فى عام ١٩٤٧ وكان يعمل فى مجلة "ريپورتر" عندما اقترحوا اسمه. فى الوقت نفسه، كان "سپندر" مشغولا يحاول أن يضعف من مكانة "كريستول". قال "چوسلسون": "فى رأيى أن رغبته الشديدة في التنافس لابد من أن تكون هي السبب، فهو يعتبر أى قرار نوعا من الصراع لابد من أن يحقق فيه انتصارا، إما بالاحتفاظ بالقرار لنفسه، أو بتحطيمه إذا كان من قبل زميله"(٢٦). وهكذا تأكد "چوسلسون" أن إزاحة "كريستول" لابد من أن تكون مفيدة: "لو ذهب "إيرڤنج"، سوف يمكننا أن نتناقش فى الأمور التى يمكن حسمها فورا، والتى يحولها إلى معارك طويلة"(٢٧). فى الوقت نفسه، كان "نابوكوف" يفكر فى مرشح آخر، وكتب إلى صديقه ومحل ثقته "ارتورو شليزنجر– Arthuro Schlesinger" يطلب منه إن كان بمقدوره و"بلباقة شديدة.. شديدة.." أن يستطلع رأى "دوايت ماكدونالد". كان "شليزنجر" شديد الحماس. وكذلك كان "مالكولم ماجردچ" الذى كان تعليقه أن "كريستول" شخص لطيف جدا، لكن لا فائدة ترجى منه، ولا يستطيع أن يصنع أى شىء هنا، وكان هذا التعليق يخفى ما كان "لاسكى" يزعم أنه "حقد بيولوچى – كان يعتقد أنه بربرى"(٢٨).

وافق "چوسلسون" على بحث إمكانية ذلك مع "ماكدونالد" فى "نيويورك"، وذهب للقائه هناك فى يونيو ١٩٥٥. كان الإثنان متفاهمين، لكن "چوسلسون" كان قلقا خشية ألا يمكن السيطرة على مزاج "ماكدونالد" العصبى فى داخل المؤتمر. كان يقول إن ماكدونالد "ذئب متوحد". وعندما علم "سيدنى هوك" بالاجتماع، هدد بالاستقالة من اللجنة التنفيذية، وقال إنه: "سوف ينسف المنظمة"(٢٩) لو تم تعيين "ماكدونالد". أما "كريستول" الذى لم يُبلَّغ بأى شىء عن تلك المفاوضات، فعبر عن شكوكه عندما علم أخيرا بأنه كان هناك تفكير فى "ماكدونالد" كبديل له. وقال بعد ذلك: "كان أمرا غريبا، فالمعروف عنه أنه كان فوضويا وسلاميا"(٣٠).

وعندما حان موعد عقد مؤتمر المنظمة "مستقبل الحرية" فى ميلانو (سبتمبر

١٩٥٥) لم يكن الأمر قد حسم بعد. أثناء ذلك الأسبوع فى منتصف سبتمبر، كان الفندق الذى ينزل به الوفد يفور بالمكائد. "ستيوارت هامپشاير – Stuart Hampshire" يتذكر عمليات التآمر السياسى أكثر مما يتذكر المناقشات نفسها. (والتى كانت مضجرة إلى أبعد حد فى رأى "هانا آرنت – Hannah Arendt" بينما كان "چورچ كينان – George Kennan" يتغنى بـ "استراتيچية الحرية" (وهو موضوع أثير لديه – الحرية شأنها شأن السياسة الخارجية– لابد من أن تنظم بشكل استراتيچى)، كانت غرفة "سيدنى هوك" بؤرة لخلية تُعَارِضُ تعيين "دوايت". وفى آخر الممر، كانت هناك غرفة نوم "شليزنجر" حيث يجتمع الفصيل المؤيد لتعيين "دوايت". ويتذكر "هامپشاير" أن "دوايت" كان مرفوضاً من "سيدنى هوك" فى الأساس. ولاحظت جيدا آنذاك أنه كانت هناك سيطرة مركزية.. كان الجهاز فى حالة عمل. بالقطع، كان يمكن أن يكون "دوايت" "فالت العيار" ولا يمكن السيطرة عليه.. ولا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يقول أو يفعل.. وما كان يمكنهم تحمل ذلك"(٣١).

لكن "شليزنجر" تدخل بكل ثقله: "دعمته، وكذلك دعمته الـ "CIA" وضغطوا على "چوسلسون" لكى يقبله.. ورضخ مضطرا"(٣٢). وفى النهاية تمت تسوية يُلْحَق بموجبها "ماكدونالد" بمجلة "انكاونتر" لمدة عام "كمحرر مشارك" ويظل "كريستول" كما هو فى موقعه. كتب "چوسلسون" يشرح هذا الترتيب لـ "ماجردچ" قائلا إنه قد أعطى "كريستول" جرعة قوية من المعاملة الصريحة التى تميل إلى الخشونة، بحيث يتوقع منه تغيراً أفضل فى مواقفه"(٣٣). وتواصلت عمليات الاصطياد والقنص، ووجد "چوسلسون" نفسه يكتب إلى "كريستول" غاضبا: "لا أستطيع أن أقطع رأسك إذا أنت لم تمد رقبتك. لا أعرف أين تضع الخط الفاصل بين النقد الذى تنشره والقضايا المبدئية(٣٤). واعترف "چوسلسون" لـ "دانيل بل – Daniel Bell" على انفراد: أحيانا أشعر بأن "إيرڤنج" سوف يغير أسلوبه عندما تتعلم الأسماك كيف تصفر"(٣٥).

كان "چوسلسون" بطبيعته شديد الارتياب فى "ماكدونالد". وبمجرد أن تأكد تعيينه (براتب ١٢٠٠ دولار إلى جانب المزايا الأخرى)، قدم "دوايت" مقالا لـ "انكاونتر" بعنوان: "لا معجزات فى ميلانو". تلميحاته إلى الإقامة المترفة للوفود، وعدم تركيزهم الواضح على مناقشات المؤتمر، جعلت "سپندر" و"كريستول" فى حيرة شديدة. وعلى عكس ما كان "ماكدونالد" قد توقع – قبل مجيئه إلى "لندن" كتب إلى "سپندر" أنه كان "فى غاية السرور" لما يسمعه عن رأى المؤتمر فى "انكاونتر"، سياستهم فى آن يرفعوا أيديهم عنها تبدو شيئا إيجابيا ونموذجيا–(٣٦). تمت مناقشة المقال مع "نابوكوف" و"بوندى" و"لاسكى" و"چوسلسون" قبل إعادته إلى "ماكدونالد" مع بعض التعديلات

المقترحة. وفي النهاية نشر في ديسمبر ١٩٥٥ بعد شهر من نشر مقال آخر، أفضل منه بكثير – لعالم الاجتماع المحافظ "إدوارد شيلز – Edward Shils". لكن هذا التدخل أو التطفل كان مقدمة لما سيجيء بعد ذلك.

على أثر أحداث ١٩٥٦ العنيفة، أخذت المنظمة شكلها وصيغتها. وبالرغم من أنه كان لا يُنْظَر إليها باعتبارها "منظمة من أجل الصراع الأيديولوچي، وفضح الجرائم والزيف والبحث والتقصي فقط"(٣٧)، إلا أن ذلك بالتحديد كان هو مجال تفوقها. وفي أكتوبر ١٩٥٧ استكملت ترتيبات إدارية رسمية كثيرة من أجل هذا النوع من النشاط، عندما رأس "لاسكي" عملية تشكيل "لجنة نشر المنظمة" التي قدمت معلومات وتحليلات مهمة في أنحاء العالم. والحقيقة أن "فورام وورلد فيتشرز – Forum World Features" كما أعيد تسميتها) كانت عملية سرية من عمليات الـ"CIA". كانت واجهتها مرة أخرى John Hay Whitney وسجلت الشركة بهذا الاسم: ديلاور كورپوريشن" مع مكاتب لها في "لندن". وبحلول الستينيات، كانت "فورام وورلد فيتشرز" قد أصبحت هي المطبوعة الأكثر توزيعاً وانتشاراً بين كل الخدمات الإعلامية المملوكة للـ "CIA".

ومع ذلك، استمرت المنظمة تحت الإشراف الدقيق لـ "چوسلسون" لتكون المنظمة الدولية المستقلة الوحيدة التي تعلي من قيمة الحرية. وكما يقول بيان لها: "كانت المسألة هي صنع مساحة من الحرية الثقافية نفسها، يمكن أن تنمو وتزدهر فيها الأعمال الأدبية والفنية والفكرية". "ولكي نواجه عالماً كان كل شيء فيه مسخرا لخدمة هدف سياسي وهو ما لا نقبله، كان من الضروري أن نخلق منابر يمكن التعبير منها عن الثقافة بمعزل عن السياسة، ودون خلط بالدعاية، منابر يكون الاهتمام المباشرة فيها هو الاهتمام بالأفكار والأعمال الفنية ذاتها"(٣٨). كان ذلك هو المعيار الذي يمكن على أساسه أن تنجح المنظمة أو أن تفشل في النهاية. وبالطبع، لم يتخل رعاة المنظمة السريون عن هدف الدعاية مطلقاً. كانت وظيفة "چوسلسون" هي التأكد من أن ذلك الدافع (الدعاية) غير ظاهر بالمرة، وكان يبدو أنه نجح في ذلك الوقت على الأقل: كان الناس يتدفقون على المنظمة ويقبلون عليها. ولو كان هناك "موضة" أن يكون المرء غير شيوعي، لقلنا إن الأمر كان يبدو هكذا آنذاك.

ومرة أخرى، كان الثمن الذي دفعه "چوسلسون" شخصيا، ثمناً باهظا. في أغسطس ١٩٥٧ أجريت له عملية جراحية دقيقة تضمنت تغيير شرايين في ساقه. وبينما هو يتماثل للشفاء حاول "ميلفن لاسكي" أن يبعث في نفسه البهجة بأخبار "معركة برخت" التي كانت المنظمة توجه مدفعيتها فيها ضد الشيوعيين من الذين

"يؤلهون" المليونير الشيوعى، فى مؤتمر عقد فى "برلين". استطاع أن يسجل انتصارا أخر فى السياسة الثقافية الألمانية". الأمر الآخر الذى كان يدعو للبهجة، هو أن "مؤسسة فورد" كانت قد أقرت منحة جديدة قدرها خمسمائة ألف دولار للمنظمة، وأن "مؤسسة روكفلر" كانت هى الأخرى تجدد منحها السخية.

لكن الكلمة الأخيرة فى ذلك العام كانت للسوفيت، الذين أطلقوا بنجاح أول قمر صناعى فى الرابع من أكتوبر. (سبوتنيك -١) الذى كان يزن أقل من ٢٠٠ رطلا (والكلمة معناها رفيق الطريق) كان له ثقله الكبير فى داخل الشئون العالمية. وبينما هو يصدر صوته عبر الكرة الأرضية، كان يصنع حالة من الذعر فى حكومة الولايات المتحدة. وكما قال "لاسكى" لأحد المراسلين الصحفيين: "أعتقد أن "سبوتنيك" قد قضى على شهرة "الأيقونوسكوب" إلى الأبد.. كان الأول فى الحرب، الأول فى السلم، الأول فى الاستخدام مع تعرجات الأرض (فى الجولف) لكنه الثانى بعد القمر"(٣٩). وعندما فشلت بعد شهر محاولة أمريكا لأن تطلق قمراً أصغر حجماً وسقط على الأرض وتحطم على مرأى من كاميرات العالم، كان طعم الهزيمة أكثر مرارة.

(١٩)

كعب "أخيل"

النفوذ، كان أول شيء اخطأت فيه الـ"CIA"، كان هناك قدر منه أكثر من اللازم.. كما كان من السهل جدا ممارسته وإساءة استخدامه.

"توم برادن"

فى أواخر الخمسينيات، كانت الـ "CIA" تعتبر مجلة "انكاونتر" رايتها، وهو ما كان متفقا مع تقويم "جوسلسون" من أن المجلة هى "أعظم مقدراتنا". وفى لغة الوكالة فإن أحد المقدرات هو "أى مصدر يكون تحت تصرفها لكى تستخدمه فى أية عملية أو لدعم أى دور(١). وكان مبدأ الوكالة العملى كما وضعه "توم برادن" ينص على أن المنظمات التى تتلقى دعم الـ"CIA"، لا ينبغى أن يكون مطلوبا منها بالضرورة أن تؤيد كل جانب من جوانب السياسة الأمريكية الرسمية(٢). كان ذلك يعنى أن أجندة تميل إلى اليسار يمكن أن تكون موجودة فى كيان مثل "انكاونتر". لكن، بينما هى "جناح يسارى بمعنى أنها تعبر عن بعض آراء اليسار، إلا أنها لم تكن منبرا يساريا بالمرة.. كما كانت تدعى"(٣) على حد تعبير الفيلسوف البريطانى "ريتشارد وولهيم– Richard Wollheim" أعتقد أن تأثيرها كان أنها تعطى الانطباع بأنها هى المنظور الكامل للرأى الذى كانوا ينشرونه. ولكن الثابت هو أنهم كانوا يتوقفون عن ذلك عند حدود معينة، وخاصة عند التعرض لأمور تتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية. وكان ذلك يتم بمهارة فائقة: كانت تنشر آراء توجه نقدا لأمريكا، لكنها لم تكن "نقدية" فى حقيقتها"(٤). وكان ذلك فى نظر "توم برادن" هو الأداء المتوقع من "انكاونتر": "كانت دعاية، بمعنى أنها لا تنحرف عادة عما تقوله وزارة الخارجية عن سياسة الولايات المتحدة الخارجية"(٥). وعندما سمح "برادن" بدرجة من المرونة، لم يكن يعنى بالتأكيد أن تكون "انكاونتر" حرة فى أن تشجب أى جانب أو كل جانب من جوانب السياسة الأمريكية الرسمية. وكان ذلك– بالضبط– هو المقرر لها أن تقوم به فى عام ١٩٥٨.

فى أوائل ذلك العام، ظهر "دوايت ماكدونالد – Dwight Macdonald" فى "نيويورك" بعد انتهاء فترة عمله فى "انكاونتر". ولكى يقطع رحلته، كان قد توقف لمدة شهرين فى "توسكانيا" (فى وسط إيطاليا) حيث غمره شعور بخصب وثراء التقاليد

الأوروبية. عندما عاد إلى "نيويورك" كانت صدمة بالنسبة له: حيث سباب سائقى التاكسى والأخلاقيات العامة "شديدة الرداءة". جلس يكتب معبرا عن مشاعر الاشمئزاز - إزاء العنف والبهرجة الزائدة، و"بشاعة" أمريكا، ذلك البلد الذى لايحمل سمة خاصة به، ولا إحساسا بماض أو حاضر، والحادب على انتزاع أكبر قدر ممكن من المال . كما أكد غاضبا أن الشعار القومى لا ينبغى أن يكون: "واحداً من كثرة": E pluribus Unum ولا "نحن نثق بالله" وإنما "أن أحصل على ما أريد رغم أنفك"(٦).

ما كتبه "ماكدونالد" كان مرثاة مطولة لبلد كان يراه فى حالة اضمحلال. ومع وجود كثير من المثقفين المتدافعين على العتبة لتبنى الثقافة الأمريكية، أعاد "دوايت"- الخارج على الجماعة -اكتشاف- دافع لأن يسجل موقفا ضد الميل الأمريكى". وفى شهر يناير أرسل أفكاره إلى مجلة "انكاونتر" فى مقال حمل عنواناً بسيطاً هو "أمريكا .. أمريكا ..". قَبِلَ "سپندر" المقال دون أن يقرأه جيدا - كما قال فيما بعد - لكن "ايرڤنج كريستول" أصيب بالرعب. كان يرى أن المقال يعبر عن سخط وغضب شديدين (على طريقة چون اوزبورن- (John Osborn)، وعن "جلد للذات" غير صحى، إلى جانب أن بناءه ردىء. ويقول "كريستول": كان "دوايت" صحفيا بارعا، لكنه كان فالت العيار تماما، وأحيانا يمكن أن يكون فى غاية الحماقة"(٧). ويضيف أنه بسبب كونه من بيئة موسرة منعمة، فإن "دوايت" كان يعرف شيئا عن أمريكا، كما أن العائق نفسه يجعله لا يفهم انجلترا التى يقارن بينها وبين أمريكا ويفضلها عليها فى مقاله. "إنه لم يعرف شيئا عن انجلترا، لم يذهب فى حياته لمشاهدة مباراة كرة قدم فى انجلترا، لم يذهب قط إلى مباراة "رجبى" فى انجلترا، معلوماته عن إنجلترا استقاها من أندية منطقة "سان چيمس" المختلفة، إنه ريفى أخرق... يقول "جروس - ڤينور سكوير:Gros -Venor Square"(*)، يا إلهى!(٨). وكان ذلك شيئا فظا من رجل اعتاد على ارتداء قبعة مستديرة سوداء، ويحمل مظلة وهو فى طريقه إلى العمل. كان "لاسكى" أيضا يرى أن المقال "ضعيف جدا"، وردد زعم "كريستول" بأن "ماكدونالد" لم يكن يعرف أى شىء عن أمريكا الحقيقية، لأنه كان "رجلا تخرج فى "ييل"، جاء من "جرينوتش فيلدچ"... وهما كل ما يعرف. وعندما جاء إلى انجلترا كان لديه كل المواقف والصيغ المبتذلة لأمريكى فى الخارج. أحب كل ما هو بريطانى. أحب الحانات وأسماء الشوارع والميادين...أحب كل شىء. أصابنا الارتباك. الأمريكيون لا يمكن أن يكونوا بمثل تلك السذاجة وذلك المستوى المنحط. كان مقالا مرعبا. أخبرت "مايك"

(*) يقصد أنه يلفظ الكلمة خطأ، حيث الصواب - كما يلفظها الإنجليز- هو "جروڤنر".

(چوسلسون) فى ذلك الوقت أن "دوايت" كان هو كعب أخيل فى المؤتمر، وكنت محقا فى ذلك"(٩). كان ذلك هو تعقيب "لاسكى" وهو يتكلم بكل ثقة.

ولكن خطيئة "ماكدونالد" كانت أخطر من مجرد نطق عبارة "جروڤنر سكوير" على النحو الخطأ. كانت المقالة ضعيفة كنقد لأمريكا المعاصرة. وكما هو واضح من عنوانها الزاعق أنها كانت مشحونة بالعاطفة أكثر مما هى دفاع جاد عن القيم الأمريكية. كانت تقارن أمريكا بانجلترا وإيطاليا على نحو يوضح ضعف "ماكدونالد" وميله لإضفاء المثالية على الثقافات الأجنبية. إلا أنه أيضا كان مقالا مناسبا، يستخدم قدرا كبيرا من المعلومات والبحث ويلمس تقريبا كل جانب فى الحياة الأمريكية، من تلك التى تهم من يقومون بالدعاية ويروجون لها. وحيث بدأ "ماكدونالد" يطيح بجميع الأبقار المقدسة، وكان ذلك شيئا غير مألوف، وكأنه كان قد قرأ فى مكان ما قائمة بكل النماذج السلبية التى كانت الأعمال السرية تهدف إلى استئصالها. أدان المادية المفرطة التى لا يقابلها أى تقدم روحانى، استنكر جرائم العنف، ولهاث الإعلانات وانعدام التميز بين نقاد الأدب، وتفشى التفرقة العنصرية. هاجم "چون فوستر دالاس" "الدجال، المزيف" والنموذج الدقيق للغلظة وللنفاق الأمريكى، وهاجم "هنرى لوس"، "عضو فريق الكشافة الذى يتصرف كعضو فى عصابة قطاع طرق"، وهاجم "نيكسون"– نائب الرئيس – لتصرفه الأخرق فى فنزويلا، والرئيس "ايزنهاور" لرجعيته، و"چورچ ووكر" نائب رئيس شركة "فورد موتورز" لأنه يتصرف مثل "حاكم شرقى"، وهاجم الاتحادات العمالية الأمريكية لاهتمامها بالعلاقات العامة أكثر منها بالصراع الطبقى، كما هاجم زعماءها: "ديڤيد دابنسكى– David Dubinsky" و"والتر رويثر – Walter Reuther" بسبب "عدم الاستقامة الأخلاقية"(١٠). وتستمر قائمة الخطايا الأمريكية المعاصرة، ويحمله عداؤه للسلطة الأمريكية المتفسخة إلى المزيد من الاشمئزاز والقرف: "عندما يسمع المرء الأوروبيين وهم يشكون من "أمركة" أوروبا، يتمنى لو أنهم جاءوا ليعيشوا هنا بضع أسابيع ليروا الأشياء على حقيقتها... حتى الروس السوڤيت، بالرغم من قسوتهم التى يحاولون تغطيتها بلباس الأيديولوچية، يبدو أنهم يتكلمون لغة مشتركة مع الشعوب الأخرى، وبأكثر مما نفعل"(١١).

وبالرغم من أن "كريستول" وجد المقال فى "منتهى السخف" إلا أنه وافق على نشره زاعما أنه لم يكن أمامه خيار آخر بعد أن قبله "سپندر". وبمجرد الموافقة عليه، كان مكتب "پاريس" قد حصل على نسخة منه. وعلى الفور، بدأت الضغوط على "سپندر" و"كريستول" لكى لا ينشراه وتم تحذيرهما بأن "چنكى فليشمان" كان قد قال إنه– سيضر بالمنظمة ويؤدى إلى وقف التمويل. وفيما بعد كان كريستول يزعم:

وبسهولة، أصبحت لا أميل إلى نشره حيث إنه لم يعجبنى بداية. كان "ستيفن" صعب المراس نوعا ما. وفى النهاية أبلغنا مكتب پاريس بأننا يمكن ألا ننشره إذا كان نشره سوف يعقد الأمور. بعد ذلك نشره "دوايت" فى مكان آخر وراح يشكو من الرقابة. إن رفض مقال لا يعنى بالضرورة وجود رقابة. على مدى حياتى، كنت رئيسا لتحرير مجلات كثيرة، ورفضت مقالات كثيرة، ولم أكن أعتبر ذلك نوعا من الرقابة"(١٢). كانت مسئولية "سپندر" هى أن يخبر "ماكدونالد" بأن نشر المقال مستحيل دون إجراء تعديلات جوهرية عليه. وبعد أن قرأه "سپندر" قال إنه كان يشعر بأنه مكتوب من وجهة نظر واحدة إلى جانب أنه شديد الانتقاد. وأضاف أن "نابوكوف" انزعج بشدة بعد قراءته. أما "ماكدونالد" فهاج وماج عندما علم بأن "السكرتير العام والمسئول الأكبر عن اللياقة والذوق العالمى" كان يقدم النصح والمشورة لمحررى "انكاونتر" واقترح على "ستيفين ايرفنجنيكو لاسمايك– **Stephen Irvingnicho Lasmike**" أو أى من الذين يتخذون القرار، بأن يقوم المحررون فور تلقيهم أية مادة خلافية باستشارة مكتب "پاريس" على وجه السرعة لمعرفة رأيهم"(١٣). وبالمصادفة، كان ذلك هو ما يفعله المحررون.

وهكذا عندما رفض "ماكدونالد" قبول أى حذف من المقال، صرف النظر عنه. قبلوه ثم رفضوه ثم قبلوه ثم رفضوه. وقبل وفاته بوقت قصير قال "سپندر" فى مقابلة صحفية: "أنا نادم على هذا المقال، وهو المقال الوحيد الذى لم ينشر فى "انكاونتر" نتيجة ضغط شديد جدا علينا من "منظمة الحرية الثقافية". هو المقال الوحيد فعلا. عندما ثارت المشاكل بخصوصه كنت أراه مقالا غبيا، وتصورت أننى لو كنت قد قرأته، لطلبت إجراء بعض التغييرات، أو لربما رفضته. وعندما أتذكر ذلك أجد أنه الشىء الوحيد الذى أندم عليه لأننى حتى لو كنت قد قرأت المقال ولم يعجبنى، فكان لابد من أن أصمم على رأيى: وهو أن ننشره لأننا قبلناه منه، أما السبب الوحيد لرفضه فكان عداؤه العنيف للتوجهات الأمريكية"(١٤).

لم يكن مكتب "پاريس" هو الجهة الوحيدة التى تدخلت. وكما تقول "ديانا چوسلسون" (التى تعتقد أن المقال كان كله عملية تحرر من الوهم)، فإن ذلك كان هو "المثال الوحيد على التدخل فى التحرير من قبل الـ "**CIA**"، وإن "مايكل" قاوم ذلك بشدة ولكنه لم يفلح"(١٥). ولكن ... كيف علمت الوكالة بالمقال أولا؟ وإذا كانت الوكالة لا تراجع مطبوعات المنظمة كما كان يعتقد المعنيون، فكيف وصل إليهم ذلك المقال إذن؟ كان "چوسلسون" يتلقى نسخا مسبقة مما سوف ينشر فى "پريف – **Preuves**"، كما كانت تصله – على الأقل– محتويات أعداد "انكاونتر" قبل نشرها.

لكن المؤكد أنه لم يكن من بين اهتماماته أن يمرر ذلك المقال العنيف إلى رؤسائه فى "واشنطن" كان "چوسلسون" دائما يفضل أن يتناول أية مشكلة بعيدا عن الوكالة التى أصبح اعتراضه على ارتباطها بالمنظمة يتزايد. ومما لاشك فيه أن "أمريكا... أمريكا" (مقال "ماكدونالد") كان قد تنقل فى أروقة و دهاليز "واشنطن". والاحتمال الأكبر أن يكون المقال قد وصل إلى هناك عن طريق مندوب الـ "CIA" فى المنظمة (وكان فى ذلك الوقت الضابط "لى وليمز").

وإذا كان العيب الوحيد فى المقال هو خضوعه الرخيص للعداء للتوجهات الأمريكية، فلماذا تعرض الوكالة مصداقية "انكاونتر" للخطر وهى "أثمن مقدراتها"؟ ولماذا تبذل كل ذلك الجهد من أجل قمعها؟ المؤكد أن تلك كانت فرصة لإظهار "صدق" "انكاونتر"، ولدحض وجهة النظر التى ترى أن المجلة لا توجه نقدا لأى قصور أمريكى، وكذلك لكى تعيد التوازن للصوت الذى كان يبدو شاذا أحيانا، كما قال بعض النقاد. وبالأحرى... إذا كان المقال "سخيفا" كما كان يزعم الكل، فما هو الضرر الذى كان يمكن أن يلحق بأحد غير كاتبه فى حالة نشره؟

وعلى عكس ما ذكرت "ديانا چوسلسون" فيما بعد، فإن "چوسلسون" فى الحقيقة كان ضد نشر ذلك المقال المزعج منذ البداية. كان يقول: إنه "أكثر مقال معاد لأمريكا قرأته فى حياتى" كما كان يقول إنه كان يليق به أن ينشر فى المجلة الأدبية السوڤيتية "ليتيراتورنيا جازيتا"[١٦]. كان يعرف أن "ماكدونالد" "من المحتمل أن يثير احتجاجا عنيفا ويطلق علينا رائحة كريهة ويهاجمنا علنا... لكننى مستعد لمواجهة ذلك". كانت بصماته واضحة على قرار رفضه النهائى، وكان نشر المقال يمكن أن يضر كثيرا بسمعة "انكاونتر" فى واشنطن، ويجعل "چوسلسون" يبدو خائنا على أقل تقدير. كانت مصداقيته هو نفسه معرضة للخطر ومحل شك[١٧].

كانت صفعة "ماكدونالد" مبررا للمتشددين فى العمل السرى، الذين كانوا يرون أن إدارة المنظمات الدولية مجرد شىء زائد، لا ضرورة له، والذين كانوا يسخرون من فكرة مساعدة وتحريض أشخاص أو منظمات من الذين يفترض أنهم أصدقاء أو "يحملون وجهة النظر نفسها". وقد عبر "ريتشارد هلمز – Richard Helms" نائب "ويزنر" ومدير الـ "CIA" فيما بعد عن هذا التشكك عندما قال أمام لجنة مختارة إن "من يقوم بالعمل السرى.. مدرب على أن يصدق أنك لا يمكن أن تعتمد على أمانة العميل بأنه سيفعل ما تريده منه بالضبط، أو أن يقدم لك تقريرا دقيقا، إلا إذا كنت تسيطر عليه قلبا وقالبا"[١٨]. وكانت ستبدو حماقة صرفة لو أن أحداً من العاملين فى الـ "CIA" كان قد توقع أن يروض "ماكدونالد" أو أن يدجنه، وهو المعروف بخروجه على

المؤسسة وتقاليدها.

كل هذه الحجج كانت للإلهاء عن السبب الرئيسى لاستبعاد مقال "ماكدونالد". كانت معاداة التوجهات الأمريكية أحد الأسباب. وفى حد ذاته وفى حدوده، كان يمكن التسامح مع ذلك. لكن قرار "ماكدونالد" بأن ينهى هجومه بموجز لمقال طويل يلخص أحد التقارير عن سلوك العسكريين الأمريكيين الذين وقعوا فى الأسر فى الحرب الكورية، كان خطوة شديدة الجموح. ذلك التقرير الذى كان "أيوچين كنكيد – Eugene Kinkead" قد نشر مقتطفات منه فى "نيويوركر" فى الخريف السابق، والذى كان قد صدر عن الجيش الأمريكى، ذلك التقرير كان اتهاما رديئا لسلوك أسرى الحرب الأمريكيين: لقد "أصبح من المتعذر السيطرة عليهم، كانوا يرفضون تنفيذ الأوامر، يسبون ويضربون الضباط أحيانا عندما يحاولون فرض أوامرهم.. فى ليالى الشتاء، كان بعض المساكين من المصابين بالدوسنتاريا يلقى بهم خارج المخيم، ويتركهم رفاقهم لكى يموتوا فى البرد". كان الجندى الأمريكى العادى يبدو ضائعا بدون حبوب الدواء أو حمام به ماء[١٩]. والأكثر مدعاة للإزعاج، هو أن التقرير كان يشير إلى مستوى عال من التعاون مع العدو وأفكاره. والمثير للدهشة والتعجب، هو أن الجيش نشر ذلك التقرير، الأمر الذى صنع كابوسا لخبراء الدعاية فى الحكومة[٢٠].

كان تضمن مقال "ماكدونالد" لتلك المعلومات والبيانات هو السبب الوحيد المقبول الذى كان يؤكد أن النشر فى "انكاونتر" كان لابد من أن يواجه برفض رسمى. وكان الجزء الأخير بالتحديد، هو سبب المشكلة. وبالرغم من ذلك، لم يكن أحد من الذين تورطوا بشكل مباشر فى إسقاط مقال "ماكدونالد" يستطيع أن يذكر قضية "كنكيد – Kinkead" بعد ذلك بسنوات. وقال "إيرفيج كريستول": "ليس لدى علم بأنه كان هناك انهيار معنوى بين الجنود الأمريكيين فى آخر فترة الحرب الكورية. ولو أن شيئا من ذلك حدث، فما كان لـ "دوايت" أن يعرف به. منذ متى كان له دراية بالحرب الكورية؟ كان يجلس فى "نيويورك" ليكتب لـ "نيويوركر"، لم يكن يعرف شيئا عن الحرب الكورية، لم يذهب إلى كوريا قط، ولا أعتقد أنه زار وحدة عسكرية فى حياته. أما بالنسبة لتمرد أو عصيان فى صفوف القوات المسلحة، فلم أسمع شيئا عن ذلك قط. ولا أتذكر أن مقال "دوايت ماكدونالد" كان به شىء من ذلك القبيل"[٢١].

وبالمثل، عندما سئل "ميلفن لاسكى" عن ذلك الموضوع لم يستطع أن يتذكر شيئا. ويمكن تفسير ذلك بأنه ليس سوى حالة من فقدان الذاكرة التاريخية الجمعى. عدم تذكر "كريستول" على وجه الخصوص لا قيمة له: عندما كتب إليه "چوسلسون" فى أكتوبر ١٩٥٨ (وكان المقال الشائن قد نشر فى مجلة "ديسنت – Dissent" وهى

مجلة على يسار "پارتيزان ريڤيو"، وكان "كريستول" قد ترك "لندن" ليعمل فى مجلة "ريپورتر" فى "نيويورك")، قال له "چوسلسون": والآن بالنسبة لمقاله الاستعراضى عن أمريكا، والذى كان من الخطأ أن تقبله أنت و "ستيفن" بداية، لابد من أنك تذكر أنك طلبت منه أن يعيد كتابته، وأن يحذف ذلك الجزء الخاص بـ "كوريا"، والذى كان قد ظهر بالفعل فى "نيويوركر". لكنه لم يفعل"(٢٢). وفى عام ١٩٥٢ كان "كريستول" مازال فى ورطة قضية "كنكيد – Kinkead" وهاجمه شخصيا فى مناظرة تلفزيونية(٢٣). وقد حظى باستحسان "چوسلسون" لذلك (وكان شيئا نادر الحدوث) وعلى إعجاب قراء "ريپورتر".

وبالتخلص من مقال "ماكدونالد"، أصبحت مصداقية الادعاء بأن دعم الـ"CIA" ليس مشروطا، عرضة للاهتزاز. ويزعم "لى وليمز" أحد المسئولين فى المنظمة أن "ذلك كله كان محاولة لخلق وسائل من المعروف أنها للتعبير عن القيم الغربية، قيم التعبير الحر والصريح. لم نمل عليهم ما ينبغى القيام به، لأن ذلك لن يكون متسقا مع التقليد الأمريكى. ولكن ذلك لا يعنى أنه لم يكن هناك موضوعات نريد أن نراها مطروحة للنقاش. لكننا لم نقل لهم، لم نلقن أحدا. كان من رأينا أن نترك الحوار يستمر، أن نترك الأصوات الحرة تجد مساحة للتعبير عن نفسها. لم تكن هناك توجيهات أو تحذيرات أو أوامر. ذلك كله كان بعيدا تماما عما نقوم به"(٢٤). وينفى "وليم كولبى – William Colby" أيضا وبشدة، الادعاء بأن صفا مثل "انكاونتر" كان متوقعا منها أن تكون بمثابة "صوت الدولار" بالنسبة للـ"CIA". لم تكن هناك أية سيطرة من الـ"CIA". كنا ندعم ولا نرأس، لا نوعز بما يجب فعله. تجلس مثلا كصديق وتناقش إذا ما كان ذلك السطر مثلا سيحمل معنى كذا أو كذا.. لكن لم يكن هناك فرض لأى شىء.. أو ادعاء بأن تلك تعليمات من "واشنطن".. لا.. لا.. هذا يمكن أن يحدث بالنسبة لـ "موسكو" لكنه لا يناسب "واشنطن"(٢٥).

كلاهما، الـ "CIA" والمثقفون الذين كانت تدعمهم، فعلوا الكثير دفاعا عن خرافة الغيرية هذه. قضية "ماكدونالد" توحى بحقيقة مختلفة. قال "چاسون ايپشتين إن" الـ "CIA" كانت تزعم أنها ترعى حرية التعبير، والحقيقة أن ذلك لم يكن صحيحا. عندما كتب "دوايت ماكدونالد" مقاله لمجلة "انكاونتر"، رفض المحررون نشره لأنهم رضخوا لما كانوا يعرفون أنه موقف المنظمة. وهذا لا يدل كثيرا على الاهتمام بحرية التعبير. كانت الـ "CIA" تروج لسياسة ولخط سياسى: كان ذلك هو ما تدفع من أجله وما تتوقع أن تحصل عليه. حرية التعبير لم يكن لها أية علاقة بالأمر"(٢٦). كان "ماكدونالد" نفسه يشير إلى "نابوكوف" و"چوسنسون" ويصف كليهما بأنه "متيرنخ

المكتب الأمامى" لـ"انكاونتر". وكان يلمح بطريقة جافة: "قد نتصور أن الولايات المتحدة هى "فنزويلا"، الكرامة الوطنية أمر شديد الحساسية. شىء بارع أن تكون الرقابة عن طريق منظمة للحرية الثقافية"(٢٧). عالم الاجتماع الأمريكى "نورمان بيرنبوم – Norman Birnbaum" تناول هذا الموضوع فى رسالة مفتوحة إلى "الكونجرس" قائلا إن التوجهات باستبعاد المقال من "انكاونتر" كانت "وقاحة وتعنتا"، وأظهرت بوضوح أن هناك فجوة بين ما تدعو إليه المنظمة وما تمارسه بالفعل: لقد ظلت "منظمة الحرية الثقافية" تقول للمثقفين: "إن الحرية لا تتجزأ"، وهذا صحيح. الحرية لا تتجزأ.. لابد من النضال فى سبيل ذلك وبالنسبة لكافة القضايا كبيرها وصغيرها، وأن يمتد ذلك ضد كل جمود واستبداد، بما فى ذلك جمود واستبداد من نصبوا أنفسهم أبطالا لها"(٢٨). ومضى "بيرنبوم" إلى أبعد من ذلك لكى يتهم المنظمة بإخضاع "الحرية" لمتطلبات السياسة الخارجية الأمريكية: يبدو أنه يؤمن بشىء قريب الشبه من رأى "ستالين" فى "الحقيقة": الحقيقة هى أى شىء يخدم مصالح الحزب"(٢٩). اتهام المنظمة بأنها أهانت القضية التى كانت تتظاهر بتبنيها، وبأنها خذلتها.. هذا الاتهام كان وقعه شديدا. "چوسلسون" كان ماكرا، وكان مقتنعا بأن الوسائل تبرر الغايات. ولكنه كان شديد الاضطراب بسبب الاتهام بأن المنظمة كانت تحدد "الحقيقة" على ضوء أوامر "چون فوستر دالاس" أو "ألن ولش دالاس". لقد تجنب القضية تماما عندما كتب ليشرح القصة كلها لـ "ماكدونالد" فى إبريل ١٩٥٨، وذلك فى رسالة كانت هزيلة وغير مقنعة: "لابد من أن تفهم أن "إيرڤنج" و"ستيفن" يجب أن يأكلا. وأنك يجب أن تتقاضى أجرا عن مقالاتك، وأن "انكاونتر" لابد من أن تكون قادرة على أن تقول ما هى مؤهلة لقوله جيدا دون أن تعرض مستقبلها للخطر"(٣٠). أما رد "ماكدونالد" فكان يقول إن: "حذف الملاحظات غير المحترمة عن أسلوب الحياة الأمريكى من "انكاونتر" خوفا من أن يوقف أى فاعل خير دعمه للمجلة، لابد من أن يكون أمرا مخزيا(٣١).

كان "نيكولا شياروموتى – Nicola Chiaromonte" قد أعلن فى العدد الثانى من "انكاونتر" أن "الواجب الذى لا يمكن أن يتهرب منه أى مثقف دون أن يمتهن نفسه، هو واجب فضح الأكاذيب، ورفض تسمية "الأكاذيب المفيدة" بأنها "حقائق". وبينما لم تقلص "انكاونتر" من دورها فى كشف الأكاذيب المفيدة التى كانت الأنظمة الشيوعية تدعم نفسها بها، إلا أنها هى نفسها (انكاونتر) لم تكن متحررة تماما من "فخ الأيديولوچيا"، من سيكولوچية الحرب الباردة المفسدة: "الكذب من أجل الحقيقة"، و"بصمتها عن أية قضية مثيرة للخلاف"، وبدبلوماسيتها الزائدة عن الحد وموقفها المتكتم من كل الزيف والادعاء الذى كان يتنامى على مدى السنوات فى جونا الثقافى كله"(٣٢). وبالصمت والدبلوماسية والتكتم، عطلت "انكاونتر" أثمن المفاهيم الفلسفية

الأوروبية – حرية التفكير والفعل المستقل، وفردت أشرعتها فى الوضع الملائم للريح السائدة.

كان يقال دائما إن "مقال أية مجلة يحمل ما يحمله من أفكار، وإن أى شخص يستطيع أن يناقش حججه وأن يتفق أو يختلف معه، ولا يمكن أن يكون ذلك شيئا سريا"(٣٣). صمت "انكاونتر" الغريب، إخفاؤها المتعمد لما هو تحت السطر الأخير، واستبعادها لمواد لا يرضى عنها الذين يدعمونها فى السر.. كل ذلك يوحى بأن العكس هو الصحيح. وكما عبر عن ذلك أحد المؤرخين: "السؤال الخاص باستقلالية "انكاونتر" لا يتعلق بما إذا كانت هناك تعليمات تصدر للمحررين من "واشنطن"، السؤال هو: من الذى اختار أولئك المحررين أصلا؟ ومن الذى وضع الحدود الواضحة للرأى "المسئول"، والتى كانت الاختلافات تناقش فى إطارها"(٣٤).

يقول "چاسون ايپشتين – Jason Epstein" مؤيد هذه الفكرة: "لم تكن المسألة هى شراء ذمم وإفساد كتاب وباحثين، وإنما كانت هى إرساء نظام قيم كيفى مصطنع يقدم من خلاله الأكاديميون، ويعين محررو المجلات، ويدعم الدارسون، وتنشر أعمالهم، وليس بالضرورة لأنهم جديرون بذلك – كان ذلك يراعى أحيانا – وإنما بسبب ولائهم"(٣٥).

كانت يد "چوسلسون" دائما فى "انكاونتر". هى التى رسمت الأغلفة التجريبية الأولى، كان يقرأ ويراجع مادة الأعداد الأولى، وظل يتلقى معلومات مسبقة عن المحتويات من المحررين. كان يوبخهم عند هبوط المستوى، ويتملقهم دائما لكى يطرحوا مقالات أو موضوعات معينة للمناقشة. كان أحيانا يبدو كأنه يأمر: أرسلوا تقريرا صحفيا عن اجتماع المؤتمر الآسيوى الذى سوف يعقد فى "رانجون" فى يناير ١٩٥٥، كما قال لـ "كريستول" – وبكل بساطة– "لابد من الكتابة عن هذا المؤتمر فى "انكاونتر"(٣٦). وأحيانا كان يصبح أكثر سخفا "لدى أمنية للعام الجديد: مناقشة من الدرجة الأولى لشكلة التعايش فى "انكاونتر". كثير من أصدقائنا، ومنهم "ماجردچ" و"ايرڤنج براون" لديهم الأمنية نفسها"(٣٧). أو أن يحث "سپندر" لكى يجعله يفتح الصفحات الأدبية أمام جيل جديد من الكتاب الأمريكيين مثل "صول بيلو – Saul Bellow" و"چى. دى. سالينجر– J. D. Salinger" و"ترومان كاپوت – Truman Capot" و"شيرلى آن جرو – Shirley Ann Grau". أو أن يشير على "كريستول" بأن ينشر دراسة نقدية عن كتاب "چورچ پاديمور – George Pademore" الإفريقية أو الشيوعية": "أعتقد أنه من المهم مراجعة هذا الكتاب فى "انكاونتر" بواسطة واحد من رجالنا"(٣٨). كان موقف "چوسلسون" من "پريف – Preuves" مثل موقفه من

"انكاونتر"، وكثيرا ما كان يجعل محررها "فرانسوا بندى - Francois Bondy "يشعر بالضيق والاستياء. فى يونيو ١٩٥٢ هدد "بندى" بالاستقالة إذا استمرت اللجنة التنفيذية فى مناقشة سياسة "پريف" فى غيابه، وادعائها حق إصدار تعليمات للتحرير.

وبنفس الدرجة، كان "چوسلسون" يبذل قصارى جهده ليحمى المجلة من تدخل الوكالة. لكن الزعم بأن استبعاد مقال "ماكدونالد" كان هو الحدث الوحيد من نوعه فى تاريخ "انكاونتر" ليس له سند. ولو أن ذلك صحيح لكان بالإمكان أن نستنتج أن محتويات "انكاونتر" كانت تناسب مطالب الوكالة، وبالتالى ما كان لها أن تمارس عليها حق الرفض. وقد وصف أحد النقاد هذه العملية بأنها "العلاقة الحتمية بين صاحب العمل ومن يعمل لديه، والتى تكون فيها رغبات الأول متضمنة فى أفعال الثانى"(٣٩). ولكن فى رأى "توم برادن"، فإن الوكالة قد تدخلت مرة واحدة على الأقل قبل ذلك: كانت تواجهنا مشاكل مع "انكاونتر" من وقت لآخر، وكنت أقول دائما: "دعوهم ينشرون ما يريدون"، لكن ذات مرة - وكان الأمر يتعلق بالسياسة الخارجية - أرسل إلى "لارى" (دونيقى) استفسارا عن مقال وكان لابد من أن نعترض على ذلك. أعتقد أنه كان يتعلق بسياسة الولايات المتحدة تجاه الصين. كانت "انكاونتر" سوف تنشر مقالا ينتقد سياسة الولايات المتحدة وكان هناك صراع محموم حوله فى المكتب. وأتذكر أننى ذهبت لكى أتكلم مع "آلان دالاس" ورفض أن يتدخل. كان كل ما قاله هو: "تصرف أنت". وفى النهاية استبعدناه، وأنا آسف لذلك"(٤٠). "مونتى وودهاوس - Monty Woodhouse" الذى كان على صلة بـ "دونيقى" فى ذلك الوقت، كان "على علم بأن "مؤتمر الحرية الثقافية" كان يستبعد مقالات معينة. لكننى لم أسمع أنه كانت هناك توجيهات بذلك فى أى مكان"(٤١). ولم يستطع "وودهاوس" أن يتذكر إن كان أعضاء جهاز المخابرات قد أطلعوا على مقال "ليزلى فيدلر - Leslie Fiedler" عن "آل روزنبرج" قبل نشره، لكن المحتمل أن يكون التدخل فى شأن بمثل تلك الأهمية لحكومة الولايات المتحدة قد استرعى انتباه الـ "CIA".

المقال الذى أشار إليه "برادن" ظهر على مكتب "چوسلسون" فى ٢٨ يوليو ١٩٥٤ وكان "سپندر" قد أرسله إليه من "لندن". كان المقال بقلم "إميلى هان - Emily Hahn". وكانت شخصية غريبة الأطوار وتكتب فى "نيويوركر"، وخبيرة لا خلاف عليها فى شئون الصين (كانت قد عاشت فى "هونج كونج" فى الثلاثينيات والأربعينيات، وأصرت على أن تصحب "چوزيف ألسوپ - Joseph Alsop" إلى وكر لتعاطى الأفيون، عندما زارها فى عام ١٩٤١، كلاهما وجد نفسه معتقلا فى نفس المعسكر فى

"هونج كونج" بعد الغزو اليابانى عام ١٩٤٢) كتب "چوسلسون" ردا يقول فيه: إنه.. وجده" مروعا، والمؤكد أنه لن يجعل لنا أصدقاء جددا فى انجلترا. سوف أحوله إلى "نيكولاس" و"فرانسوا" وسوف اتصل بك أو بـ "إيرڤنج" بشأنه قبل أن يصلك هذا الخطاب"(٤٢) بعد يومين، كتب "نابوكوف: إلى "كريستول" و"سپندر": "قبل أن نتكلم بخصوص مقال "مس إميلى هان"، دعنى أؤكد مرة أخرى بعض المبادئ التى اتفقنا عليها جميعا أثناء المحادثات التى دارت بيننا عندما بدأنا إصدار "انكاونتر"، وكذلك فى كل اجتماعاتنا بعد ذلك. لقد اتفقنا على أن جميع المقالات التى تتناول موضوعات مثيرة للجدل أو الخلاف لابد من أن تعرض علينا قبل أن يراها أى شخص من الخارج. اتفقنا على أن أحد المبادئ الأساسية لـ"انكاونتر" هو أن نعمل من أجل تحقيق فهم أفضل بين انجلترا وأمريكا. وبالتالى فإن كافة الموضوعات السياسية لابد من أن تناقش على أعلى مستوى ممكن، بحيث إذا حدث خلاف، لابد من أن يعرض بطريقة لا تسىء إلى المشاعر الوطنية لأى من ضفتى المحيط. كلنا قرأنا مقال "مس هان"... وكان لدينا كلنا نفس الانطباع السلبى عنه. فنحن نرى أن "مس هان" قد كتبت تقريرا خاطئا وسطحيا وغير دقيق عن وجهة نظر أمريكا تجاه الصين. ونرى أن مقال "مس هان" عدوانى فى أسلوبه وتوجهه ومضمونه"(٤٣). واتفق "بندى" مع "نابوكوف" فى الرأى على أن المقال كان مليئا "بالعسف والبذاءة الهيستيرية".

وبعد تحديد تلك البذاءات الهيستيرية، سأل "نابوكوف": والآن.. كيف السبيل للخروج من ذلك؟ لابد من أن نقترح عليك أن تحاول الحصول من "مس هان" على نسخة معدلة من المقال، تغير فيها تلك اللهجة وتحذف منها كل العبارات البذيئة. وإلى جانب "مس هان"، لابد من الحصول على مقال آخر يوضح وجهة النظر الأمريكية تجاه المشاكل الصينية، يكون على مستوى عال ومحترم، وبشكل أكثر إحكاما. وإذا لم يتحقق ذلك، أعتقد أننا لابد من أن نستبعد مقال "مس هان" ثم نثير هذه القضية المهمة فى وقت لاحق عن طريق أشخاص أكثر مسئولية من "مس هان"، يمثلون وجهة النظر الأمريكية"(٤٤).

وحيث إن كل ذلك النصح والتحذير لم يكن كافيا، برز نائب سكرتير عام المنظمة وعميل الـ"CIA" وارن مانشل – Warren Manshel يوم ١٩ أغسطس ليقدم مجموعة من التعديلات المقترحة على المقال. كتب: "كلنا هنا متفقون على أنه ليس من الحكمة أن ننشر المقال. وإذا كان من المستحيل التراجع عن التزامكم وترون أنه لابد من نشر المقال، فيجب إذن تغيير الأجزاء التالية، على الأقل، كشرط لنشره"(٤٥). وبعد ذلك كانت هناك قائمة طويلة بالأجزاء التى يجب تغييرها مع تعليقات تفصيلية بخط

"مانشل". لكنه حث المحررين على إعادة النظر، محذرا من "طهو "هان"لأوزتنا". ولم ينشر المقال. أما أسباب استبعاده والتى حجبت عن قراء "انكاونتر" والمشاركين فيها، فهى تدعم الاتهام الذى وجه فيما بعد، وهو أن أسلوب العمل فى المجلة كان يسير على النحو التالى: "إذا كانت الحقيقة غير مريحة للاتحاد السوفيتى... تنشر..، وإذا كانت الحقيقة غير مريحة للولايات المتحدة فلابد من تخفيفها"(٤٦).

(٢٠)

" ناتو " ثقافى

تقلب فى قبرك يا "مستر يرميلوف"،

لقد قبضت من الـ "CIA"!

"نيكولاس نابوكوف"

بعد أزمة "ماكدونالد" بوقت قصير، طلب من "ميلفن لاسكى" أن يخلف "إيرفنج كريستول" فى "انكاونتر". أما "جوسلسون" الذى كان دائما على إصراره باستبدال "كريستول"، فكان سعيدا لقبول "لاسكى" تولى الوظيفة فى "لندن". وحزم "كريستول" حقائبه. كان " جوسلسون" مطمئنا لأن الجانب السياسى للمجلة قد أصبح فى يد الشخص المناسب . لن يكون هناك أى عذر – أو احتياج – لتدخل الوكالة من فوق. لم يكد "لاسكى" يستقر على كرسى رئاسة التحرير حتى أبلغه "فردريك واربورج" بأن "الجمعية البريطانية للحرية الثقافية "British Society for Cultural Freedom" _هى التى كانت تدفع راتب "سپندر" "بالرغم من أن الجمعية لا وجود لها بالفعل"(١). بقيام "انكاونتر" برعاية المصالح التى أنشئت الجمعية من أجلها، توقفت الجمعية عن أداء دورها. لكنها كانت واجهة مفيدة للإعلانات التى كانت تقدمها المخابرات البريطانية "MI6"، والتى كان "ڤيكتور روتشيلد" قد أصبح الآن قناة توصيلها الرئيسية. وتكشف مراسلات "روتشيلد" و"واربورج" و"ماجردچ" كيف كانت الأموال (٧٥٠ جنيها استرلينيا كل ثلاثة أشهر) يتم تمريرها إلى حساب "روتشيلد" فى "بنك وستمنستر" (فرع برى سان ادموند)، ثم إلى الحساب الخاص لدى "سيكر آند واربورج"، قبل تحويلها إلى حساب الجمعية البريطانية لدى بنك "باركليز"، الذى كان "يمنح "انكاونتر" المبلغ نفسه. وفى يوليو ١٩٦٠ اقترح "فردريك واربورج" أن "يتم الدفع مباشرة من "روتشيلد" إلى "پانتون هاوس"(٢)، عنوان "انكاونتر"، بدلا من ذلك "الأسلوب الملتف" عن طريق جمعية لا وجود لها، مكونة من عضوين هما "مالكولم ماجردچ" و"اف .آر . واربورج".

والغريب أن راتب "سپندر" ظل ثابتا عند رقم ٢٥٠٠ جنيه فى السنة طوال فترة عمله فى "انكاونتر". وتتذكر "ناتاشا سپندر" أنه " لم يتغير على امتداد فترة

وجوده هناك، وربما كان ذلك سبب اضطراره للقيام بكل تلك الأعمال فى "أمريكا".

كان من نتائج ضآلة راتب "سپندر"، أنه كان عليه أن يجد وسائل أخرى لزيادة دخله، وخاصة بالاشتراك فى دائرة المحاضرات الدولية، وكان ذلك يعنى غيابه عن مكتب "انكاونتر"، الأمر الذى كان يناسب "لاسكى" تماما، ويعطيه المجال - دون إزعاج - لزيادة الجرعة السياسة فى المجلة. ويبدو أن "لاسكى" كان يريد أن يحرك المجلة لتصبح أكثر قربا من تلك المجموعة من مفكرى حزب العمل ومُنَظِّريه السياسيين، والذين كانوا قد اكتشفوا أنه "ربما كانت هناك اشتراكية عملية فى الولايات المتحدة، أكثر منها فى حزب العمال، هذا إذا كان المقصود بالاشتراكية رفاهة الفرد بدلا من الصراع الطبقى النظرى، وأن أحوال العامل الأمريكى أفضل نوعا ما من أحوال نظيره البريطانى، وأنه أكثر حرية منه. أو بمعنى آخر (فإنهم) كانوا فى عملية اكتشاف للرأسمالية الديمقراطية الديناميكية فى أمريكا"(٢).

كانت هيبة ونفوذ حزب العمال البريطانى قد بلغتا الذروة بنهاية الحرب العالمية الثانية، مما حقق له فوزا ساحقا فى الانتخابات العامة فى ١٩٤٥ وتمكن من إسقاط "تشرشل - **Churchill**". وبحلول شتاء ١٩٤٧ القاسى، كان الحماس قد فتر والحرب الباردة قد أحدثت صدعا كبيرا فى الحزب. انقسم اليساريون إلى فريقين: أحدهما معاد للستالينية، والآخر يميل إلى الاتحاد السوڤيتى، بينما كان اليمينيون عازمين على إيقاع الهزيمة بالشيوعية. كانت المجموعة الأخيرة ملتفة حول صحيفة "سوشياليست كومنترى - **Socialist Commentary**" وكان من أبرز أعضائها "دينيس هيلى - **Denis Healey**" و"أنتونى كروسلاند - **Anthony Crosland**" و"ريتا هندن - **Rita Hinden**" و"هيو جيتسكل - **Hugh Gaitskell**". كانت هذه المجموعة تعرف باسم "المراجعون - **Revisionists**" بسبب التزامها بتحديث حزب العمال، وكان التحديث يتضمن حذف المادة الرابعة الشهيرة عن التأميم، وكانت هذه الجماعة هى التى قدمت لـ "**CIA**" الخطاف الذى كانت تبحث عنه لكبح جماح الفكر السياسى البريطانى وترويضه بما يتناسب مع مخططاتها لأوروبا. هذه المخططات تم رسمها بوضوح فى وثائق متوالية لسياسة الولايات المتحدة لدمج التحالف الأطلنطى ومجلس الدفاع الأوروبى وإقامة سوق مشتركة، وهى أهداف كانت تتطلب من الدول الأوروبية أن تضحى بحقوق وطنية معينة لصالح الأمن الجماعى. ولكن انجلترا - على وجه الخصوص - تمسكت بتقاليدها فى السيادة، كما كان واضعو الاستراتيجية فى "واشنطن" يعرفون جيدا. كما تعبر عن ذلك - بأسف - نهاية تقرير لوزارة الخارجية: "من الصعب القول إن المملكة المتحدة يمكن أن تتخلى طواعية عن حقوق سيادية معينة

لصالح أمن جماعي، باستثناء تلك التي قد يجبرها عليها منطق الظروف"(٤).

أما جماعة الضغط الرئيسية لدفع فكرة أوروبا متحدة في شراكة مع أمريكا، فكانت هي "الحركة الأوروبية" وهي منظمة - مظلة، تغطي سلسلة من الأنشطة موجهة صوب التكامل السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي. هذه الحركة التي كان يوجهها و"نستون تشرشل - Winston Churchill" و"أڤريل هاريمان - Averell Harriman" و"پول هنري سپاك - Paul Henry Spaak"، كانت تعمل تحت الإشراف الدقيق للمخابرات الأمريكية، وممولة بالكامل من الـ "CIA" عن طريق واجهة وهمية تسمى "اللجنة الأمريكية لأوروبا الموحدة"، والتي كان أول سكرتير تنفيذي لها هو "توم برادن - "Tom Braden". أما الذراع الثقافية للحركة الأوروبية فكانت: "المركز الأوروبي للثقافة - Center Européen de la Culture" والذي كان يديره "دينيس دو روجمو - Denis de Rougemont". بالإضافة إلى ذلك بدأ "برادن" في ١٩٥٠ برنامجا ضخما للمنح الطلابية والاتحادات الشبابية، بما في ذلك "تجمع الشباب الأوروبي"(*) - "EYC" واستجابة لتوجيهات الـ "CIA" كانت تلك المنظمات هي الحافة الحادة لحملة دعاية واختراق، خُطِّطَ لها لنزع السم عن الحركات السياسية اليسارية، وخلق حالة من القبول للاشتراكية المعتدلة. أما بالنسبة للأمميين الليبراليين، المهتمين بفكرة "أوروبا متحدة" حول مبادئ داخلية وليس طبقا للمصالح الاستراتيجية الأمريكية، فلم يكونوا بالنسبة لـ "واشنطن" أفضل من المحايدين. كانت هناك تعليمات محددة لكل من الـ "CIA" والـ "PSB" هيئة الاستراتيجية النفسية" - "لتوجيه وسائل الإعلام والبرامج نحو تدمير هذه "البدعة" بالتحديد".

كانت الشخصية المركزية في هذه العملية كلها هي "چاي لڤستون - Jay Lovestone" رئيس "إيرڤنج براون"، والذي كان يحركه "چيمس چيسس انجلتون - James Jesus Angleton" منذ عام ١٩٥٥ كانت مهمة "لڤستون" هي اختراق اتحادات العمال الأوروبية حيث يستأصل العناصر المشكوك فيها، ويعمل على تصعيد القيادات المرضي عنها من "واشنطن". وأثناء تلك الفترة كان "لڤستون" يزود "انجلتون" بتقارير كثيرة وضخمة عن شئون اتحاد العمال في بريطانيا، والتي كان يكتبها بمساعدة معارفه ومصادر اتصالاته في الاتحاد وفي حزب العمال. وكان "انجلتون" يسمح لنظرائه في المخابرات البريطانية (القلة التي كان يثق بها) بأن يطلعوا على (المعلومات السرية) التي كان يحصل عليها "لڤستون". والحقيقة أن

(*) European Youth Campaign

أعوان "لفستون" (حتى وإن كانوا لا يعتبرون أنفسهم كذلك) فى دوائر حزب العمال البريطانى، هم الذين وجدوا أنفسهم فى صعود فى أواخر الخمسينيات. ولكى تشق الـ "CIA" طريقها بسرعة داخل هذه الجماعة، قامت بنشر وتوسيع نشاط "منظمة الحرية الثقافية"، فقام "جيتسكل - Gaitskell" برحلات على نفقته إلى "نيودلهى" و"رودس" و"برلين" وإلى مؤتمر "مستقبل الحرية" فى "ميلانو" فى ١٩٥٥ (والذى كان قد اجتذب أيضا كلا من "ريتا هندن - Rita Hinden" و"دينيس هيلى - Denis Healey" وبعد أن فقد "انتونى كروسلاند" مقعده فى البرلمان فى ١٩٥٥، اختاره "جوسلسون" للمساعدة فى التخطيط لندوات المنظمة الدولية تحت إدارة "دانيل بل - Daniel Bell" الذى جيء به من أمريكا لهذا الغرض. ("كروسلاند" هو مؤلف "مستقبل الاشتراكية" الذى كان يعتبر مخططا من أجل أوروبا متأمركة)(٥). وفى أوائل الستينيات، كان "جروسلاند" قد شق طريقه إلى المجلس العالمى للمنظمة. أما "ريتا هندن"، وهى أكاديمية من جنوب أفريقيا والتى كانت تعمل فى جامعة "لندن"، فكان "جوسلسون" يصفها بأنها، "واحدة منا"، وفى منتصف الستينيات كان لها دور حاسم فى الحصول على منحة من "جوسلسون" لتطوير مجلة "ڤنشر- Venture" التى كانت تصدرها "الجمعية الفابية- Fabian Society"، وكان التزام المجلة وإخلاصها لموضوع أوروبا القوية الموحدة قد أصبح مرادفا لتفكير "جيتسكل- Gaitskell"، كما أصبح "دينيس هيلى- Denis Healey" حليفا قويا آخر للمنظمة بعامة، ولمجلة "انكاونتر" بخاصة. كانت مؤهلات "هيلى" الأطلسية قد وثقت الصلة بينه وبين اليسار الأمريكى غير الشيوعى. (كما كان مراسلا لمجلة "نيوليدر"فى "لندن") بالإضافة إلى ذلك، كان "هيلى" واحدا من الذين يتلقون مواد الـ"IRD" إدارة البحث الإعلامى - ويقوم بتوزيعها على آخرين، وفى مقابل ذلك كان يزود الـ "IRD" بمعلومات عن أعضاء حزب العمال والاتحادات العمالية(٦).

كان "هيو جيتسكل- Hugh Gaitskell" زعيم حزب العمال، هو الشخصية الرئيسية بين أولئك الأعضاء الذين تقدم عنهم المعلومات، وبمجرد وصول "لاسكى" إلى "لندن"، ربط نفسه بتلك المجموعة الصغيرة من المثقفين، والتى كانت تجتمع فى منزل "جيتسكل" فى "فروجنال جاردنز - هامستيد". أما "جيتسكل" الذى كان قد تخصص فى الدعاية أثناء عمله فى فترة الحرب فى "الهيئة التنفيذية للعمليات الخاصة"، والذى كان وثيق الصلة بالـ "IRD"، فلم يكن جاهلا بارتباطات "انكاونتر" المؤسسية. وهكذا، فإنه عندما شن هجومه الشهير على اليسار المتعاطف فى مؤتمر حزب العمال الذى عقد فى "سكاربورو"، كان البعض يتساءل عن الذين يتعاطف معهم "جيتسكل". بعد المؤتمر كتب "لاسكى" فى تقرير إلى "جوسلسون" يقول: إن "جيتسكل" قد شكره

شخصيا بسبب دعم "انكاونتر" لسياسته. بل إنه قال: إن "انكاونتر" كانت محل إشادة فى المؤتمر وهو دليل على أنها كانت تحظى "بسمعة طيبة". وعندما هزم حزب العمال حزب المحافظين فى الانتخابات العامة فى ١٩٦٤ كتب "جوسلسون" إلى "دانيل بل": "يسعدنا جميعا أن يكون كثير من أصدقائنا فى الحكومة الجديدة"(٨). (كان هناك ستة من كتاب "انكاونتر" المنتظمين ضمن حكومة "ويلسون – Wilson" الجديدة) كان "لاسكى" هو الذى جعل "انكاونتر" أقرب إلى الأجندة السياسية لمموليها السريين. وكان الثمن باهظا كما يقول "ريتشارد وولهايم – Richard Wollheim" كان يمثل غزوا خطرا للحياة الثقافية البريطانية، وحمل مسئولية رضا كثير من المثقفين البريطانيين وحزب العمال عن سكوتهم عن حرب فيتنام"(٩).

كان الجانب الثقافى فى المجلة (ناهيك عن المكافآت العالية) هو الذى استمر فى اجتذاب أفضل الكتاب، ولذلك كانت الـ "CIA" ممتنة لـ "سپندر". يقول ستيوارت هامپشاير- "Stuart Hampshire" لولا ستيفن لما كتب أحد لـ "انكاونتر" بالمرة، كل المادة الجيدة كانت تأتى عن طريق "ستيفن". هو الذى أعطى المجلة احترامها "(١٠). والمؤكد أنها صنعت الكثير للحفاظ على سمعة المؤتمر كمؤسسة مكرسة للثقافة أساسا أكثر مما هى للسياسة.

لكن الحرب الباردة كانت تعوق باستمرار فكرة أن تكون الثقافة منفصلة عن السياسة. والواقع أن الصراع الثقافى "Kulturkampf" كان حيا ومتأججا كما يوضح لنا احتفال المؤتمر بالذكرى الخمسين لوفاة "تولستوى – Tolstoy"، فى صيف ١٩٦٠. كانت المخابرات الأمريكية شديدة الاهتمام منذ زمن بـ "تولستوى" كرمز لمفهوم الحرية الفردية. وهذا الاهتمام يعود إلى أيام الـ "OSS" مكتب الخدمات الاستراتيچية – عندما كان "إيليا تولستوى – Ilia Tolstoy"، المهاجر، وحفيد الكاتب الشهير، يعمل فى صفوف الـ "OSS". كما كان هناك أفراد آخرون من عائلة "تولستوى" على اتصال منظم بالـ "PSB" لجنة الاستراتيچية النفسية – فى أوائل الخمسينيات وكانوا يتلقون معونات من الـ "CIA" عن طريق "مؤسسة تولستوى" ومقرها "ميونخ". فى عام ١٩٥٣ كتب "سى. دى. چاكسون – C.D. Jackson" فى سجل الأداء اليومى أنه وعد أحد الذين يتلقون المعونة بأنه سوف يتصل تليفونيا بـ "فرانك لندساى – Frank Lindsay" بخصوص معونة لصالح "مؤسسة تولستوى". (كان "لندساى" هو نائب "ويزنر" السابق قبل أن ينتقل إلى مؤسسة فورد).

وفى ديسمبر ١٩٥٨ قام "كاس كانفيلد- Cass Canfield" بإبلاغ "نابوكوف" أن "مؤسسة فارفيلد" كان يهمها أن تدعم "احتفالا غربيا بـ" تولستوى" وذلك ردا على

احتفال آخر كان السوفيت يخططون له. وكان يتوقع - عن حق- أن الاحتفال السوفيتي سوف يدعى أن الكاتب العظيم من الذين بشروا بالبلشفية. كان "كانفيلد" مقتنعا بأن "التناقض بين الأسلوبيين سيكون واضحا لأى مفكر مستقل، وأنه سوف يحقق لنا دعاية كبيرة"(١١). وعهد إلى "نابوكوف" بأن يبتكر "ردا محترما على الدعاية الشيوعية". وأخذ ذلك شكل احتفال باذخ على جزيرة "سان جيورجيو الڤينيسية" فى يونيو ويوليو ١٩٦٠. حضر الاحتفالات عشرات الكتاب والمفكرين البارزين، وكان من بينهم "البرتومورافيا - Alberto Moravia" و"فرانكو ڤنتورى - Franco Vinturi" و"هربرت ريد- Herbert Read" و"ايريس ميردوخ - Iris Murdoch" و"جايا براكاش نارايان - Jayaprakash Narayan" و"جون دوس پاسوس- John DosPassos" كما وجهت الدعوة لستة عشر من المثقفين الروس ... الذين جاء بدلا منهم أربعة جواسيس.

وفيما بعد كتب "نابوكوف": "باستعادة الأحداث، من المضحك أن أتذكر مثلا منظر الروسيين: "أحدهما نحيل وطويل والثانى قصير وبدين، النحيل كان السكرتير العام لاتحاد الكتاب الروس، أما القصير، وكان اسمه "يرميلوف"، فكان شخصا بغيضا من مأجورى الحزب. كان كلاهما يقف فى الصف لاستلام الإعانة اليومية.. وبدل الانتقال، من سكرتيرى أو بالأحرى من السكرتير الإدارى لمنظمة الحرية الثقافية. جاءا أو لعلهما أرسلا لحضور مؤتمر لإحياء الذكرى الخمسين لوفاة تولستوى". وينهى "نابوكوف" هذه الذكرى بملاحظة مرحة: "تقلب فى قبرك يا مستر "يرميلوف لقد قبضت من الـ"CIA" (١٢).

قال "ڤى. اس. پريتشت - V. S. Pritchett" ذات مرة: "النفقات! أجمل كلمة فى الإنجليزية الحديثة. إذا كنا نبيع أرواحنا، فينبغى ألا نبيعها رخيصة". والذين لم يصطفوا لاستلام "الإعانة" فى "ڤينيسيا" كان يمكن أن يصطفوا من أجلها فى مناسبة أخرى رتبتها المنظمة فى "برلين" فى شهر يونيو، وهى: مؤتمر "التقدم فى الحرية". عندما كتبت "مارى مكارثى - Mary McCarthy" إلى "هانا آرنت"، وصفت لها الخصومات الشخصية والارتباكات الثقافية التى سيطرت على الاجتماع وصفا لاذعا: الحدث الرئيسى من ناحية الفضائح كان سلسلة من الصدامات العنيفة بين السيد "شيلز - Shils" و"وليم فيليس" بخصوص موضوع الثقافة الجماهيرية. أقسم لك أن "شيلز" نسخة من "دكتور پانجلوس Dr. Pangloss" مجردة من جاذبية وبراءة دكتور "پانجلوس". وقد قلت ذلك وبإسهاب عندما دخلت حلبة الصراع. ملمح آخر للاجتماع كان" (روبرت) أوپنهايمر" الذى اصطحبنى إلى العشاء فى الخارج والذى اكتشفت أنه ربما كان شخصا مجنونا.. وبشكل خطر. شك فى الآخرين، وجنون عظمة وإحساس

بأنه يحمل رسالة مقدسة. التفت "أوبنهايمر" ناحية "نيكولاس نابوكوف **Nabokov"** هكذا) وقال إن المؤتمر يدار "بدون حب". وبعد أن كرر ذلك عدة مرات قلت إننى أعتقد أن كلمة "حب" هذه يجب أن تكون مخصصة للعلاقة بين "الجنسين"، كان "چورچ كينان" موجودا وألقى كلمة ختامية مثيرة... كانت جيدة جدا (كان لابد من أن تسحق "مستر شيلز" وكل تلك الجماعة الشيطانية نهائيا)، لكن كانت هناك شائعة عن أنه مجنون هو الآخر، بالرغم من أن جنونه كان محدودا"(١٣). بالإضافة إلى هذه "الحماقات العامة" وغيرها، قالت "مارى مكارثى" إن "المؤتمر لم يكن جادا، كان لهواً وتسلية وقد استمتعت أنا شخصيا بتجمع الأصدقاء القدامى والجدد، والذى كان يتسم بروح الألفية السعيدة بما فى ذلك فصل الأغنام عن الماعز"(١٤).

كما أفاد من "كرم" الـ **"CIA"** فى ذلك العام أيضا مجموعة من الصحفيين وخاصة من قسم تبادل الوثائق والمعلومات الذى أنشئ ليكون "وسيلة منظمة ومفيدة لتوفير مادة ممتازة - لجمهور دولى عريض - كانت محدودة الانتشار حتى ذلك الحين"(١٥). وبالإضافة إلى دوره كمنفذ للمطبوعات التى كانت تصدرها المنظمة، فإن قسم تبادل الوثائق والمعلومات كان بمثابة مركز توزيع للصحف الثقافية الأخرى التى كان يراها جديرة بذلك. كان من بينها: "پارتيزان ريڤيو" و"كينيون ريڤيو" و"هدسون ريڤيو" و"سيوانى ريڤيو" و"شعر" و"مجلة تاريخ الأفكار" و"ديدالوس"- مجلة الأكاديمية الأمريكية الآداب والعلوم -، وكانت تلك المطبوعات تتلقى إعانات من مؤسسة "فارفيلد" تحت مظلة "مجلس المجلات الأدبية"، وذلك لتحسين توزيعها فى الخارج. وإلى جانب ذلك، فقد شارك "مجلس المجلات الأدبية" فى تقديم منح زمالة سنوية قدرها خمسة آلاف دولار لكاتب أمريكى. لكن.. ترى من الذى اختير لإدارة هذه المنحة؟ لم يكن سوى "روبى ماكولى - **Robie Macauley"**، الذى خلف "چون كرو رانسوم - **John Crowe Ransom"** فى تحرير "كينيون ريڤيو" فى يوليو ١٩٥٩(١٦). على مدى السنوات التى كانت "كينيون ريڤيو" مرتبطة فيها بالمنظمة، استطاع "ماكولى" أن يرفع توزيعها من ٢٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ نسخة، وكان يفاخر بأنه قد "وجد طريقة للربح لم تطرأ على بال "مستر رانسوم" من قبل"(١٧). لكن من جانب آخر، كانت المجلة تعانى من أسلوب عمل "ماكولى" كرئيس للتحرير :فترات غيابه الطويلة، وكانت أمرا حتميا بسبب عمله مع الـ **"CIA"** وطريقته التحكمية فى الإدارة (فى ١٩٦٣ ألغى مجلس مستشارى التحرير فجأة)، كان لهما تأثير سلبى شديد على المجلة، لكن على العكس من ذلك، كانت استفادة المنظمة كبيرة، وبحرصها على علاقتها بتلك المجلات الأمريكية المهمة، كانت المنظمة قادرة على أن تتباهى بمشروع النشر المشترك وعلى نطاق واسع وبتأثير لم يسبق له نظير فى تاريخ "مؤسسة تايم - لايف".

ويفسر "چون هنت" ذلك بقوله : لم نكن نقوم بعملية تسويق لاسم سلعة، لذا لم نحاول أن نتمسك باستخدام اسم المنظمة"(١٨). وهكذا لم يكن من السهل معرفة أن عدداً من تلك المجلات الكثيرة كان يتبع المنظمة. من بين تلك المجلات كانت هناك "حوار" مجلة المنظمة الصادرة بالعربية والتى ظهرت فى أكتوبر ١٩٦٢ وعلى صفحات عددها الأول مقابلة مع "ت. اس "اليوت ـ T. S. Eliot" ومقال لـ "سيلونى ـ Si-lone"يدعو فيه إلى استقلالية الكاتب واستقلالية الفن. جميع محاولات إخفاء ملكية المنظمة للمجلة باءت بالفشل، وبدأ الهجوم عليها فورا باعتبارها "حصان طروادة"، وقالت جريدة إسلامية إن المنظمة كانت تحاول أن تنشر نظرياتها الشريرة ببعثرة الأموال هنا وهناك وبإصدار مجلات جذابة، وبإقامة حفلات الاستقبال والمؤتمرات الكبيرة "وطالبت بفضح المنظمة ومقاطعتها"(١٩).

ومن بين المجلات الأخرى التى أصدرتها المنظمة فى الستينيات، كانت هناك مجلة "ترانزشن ـ Transition" فى أوغندة، والتى اجتذبت كتابا مثل "پول ثيرو ـ Paul Theroux" وحققت توزيعا عالميا وصل إلى ١٢٠٠٠ نسخة، وذلك قبل مداهمة مكتبها وسجن محرريها فى عام ١٩٦٨. وفى "لندن" صدرت مجلة "سنسرشب ـ Censor-ship" فى عام ١٩٦٤ برئاسة تحرير "موارى مندلن ـ Murray Mindlin" وكان شخصا انتقائى التفكير(*)، وهو الذى ترجم "عوليس" ـ رواية "چيمس چويس" ـ إلى العبرية، وكان مستشارو التحرير هم "دانيل بل" و"أرماند چاسپارد ـ Armand Jas-pard" من سويسرا، و"أنتونى هارتلى ـ Anthony Hartley" و"ريتشارد هوجارت ـ Richard Hoggart" و"اجنازيو سيلونى ـ Ignazio Silone" كانت المجلة تكلف المنظمة ٢٥٠٠٠ دولار فى السنة وتحقق خسائر فادحة. وعندما توقفت فى شتاء ١٩٦٧، كتبت "جوستيتسمان": "هذه أخبار سيئة بالنسبة للقراء والناشرين والفنانين فى كل مكان" أما "چوسلسون" الذى لم يكن أبدا على وفاق مع "موارى مندلن" فكان أقل ميلا للشعور بالأسى لتوقفها (وقال إن نجاحها النسبى كان يرجع فى جزء منه إلى موضوعات الجنس التى كانت تنشرها من وقت لآخر). أما مجلة "سنسرشپ ـ Cen-sorship" فكانت هى النموذج لمجلة "اندكس ـ Index" التى أسسها "ستيفن سپندر" عام ١٩٧٢ بمنحة ضخمة من "مؤسسة فورد".

بيد أن حالة مجلة "پارتيزان ريڤيو" تظل هى الأكثر إثارة للاهتمام من بين كل المجلات ذات الصلة بالمنظمة. كان "ليزلى فيدلر ـ Leslie Fidler" يمعن التفكير فى عام

(*) شخص يقتبس وينتقى أفكاره من مصادر شتى، والمذهب يسمى الانتقائية "Eclecticism" ـ المترجم.

١٩٥٦، وهو يتذكر تلك المجلة: كان اللغز الحقيقي بالنسبة لي هو كيف تسنى للسان حال جماعة صغيرة خاصة كتلك، أن تصبح أشهر مجلة جادة في أمريكا، وأن تصبح أكثر مجلة قراءة في أوروبا من بين كل المجلات الأمريكية ذات الطموح الثقافي"(٢٠). جزء من حل هذا اللغز كان هو التمويل. كما ألمح "فيدلر" ـ ممازحا ـ ساخراً ـ عندما قال إن "الدراسة المفصلة للصعود والهبوط الاقتصادي لـ "پارتيزان ريڤيو" (PR) يمكن أن تتسع لمقال كامل"(٢١). في الفترة من ١٩٣٧ إلى ١٩٤٣، كانت المجل تتلقى دعما من الرسام التجريدي "چورچ موريس "George Morris"، وبعد ١٩٤٨ كان "ألان. ب. دولنج ـ Allan B. Dowling" هو المصدر الرئيسي لدعمها المادي.

ظل "دولنج" حتى عام ١٩٥١ "يدعمها منفردا، وكان منذ ذلك التاريخ رئيسا للمؤسسة التي تصدرها وأحد المسهمين الكبار فيها"(٢٢). لم يذكر "فيدلر" شيئا عن "هنري لوس" الذي ظلت منحته السخية عام ١٩٥٢ في طي الكتمان، لكنه كان قد لاحظ، كما لاحظ آخرون، أن "پارتيزان ريڤيو": "يشار إليها في صحف واسعة الانتشار مثل "لايف" و"تايم" وبثقة كاملة في أنها سوف تلقى الصدى الذي يليق بها عند جمهورها العريض"(٢٣).

والمؤكد أنه لم يكن هناك أي ذكر لـ "CIA" التي حير المؤرخين طويلا تورطُها المزعوم في الصحف الثقافية الأمريكية المؤثرة. المعروف أن "پارتيزان ريڤيو" كانت تتسلم دولارات "مؤسسة فارفيلد" (عبر اللجنة الأمريكية) في أوائل ١٩٥٣ وكان "كورد مايور" هو الذي يحض على ذلك، كما تلقت منحة "لتغطية نفقات" من مؤسسة "فارفيلد" في أوائل الستينيات(٢٤). لكن ذلك لا يعتبر شيئا كبيرا بالنسبة لمجلة كانت تتعرض لأزمات مالية. في عام ١٩٥٧ أثير مرة اخرى موضوع الإعفاء الضريبي لمجلة "پارتيزان ريڤيو" في "إدارة إيرادات الدولة" والذي كانت المجلة تتمتع به: لم تكن المجلة عرضة فقط لفقدان هذا الوضع، بل إنه كان هناك حديث يدور عن جعل كل المسهمين في المجلة آنذاك، ومنذ عام ١٩٥٤ يدفعون الضرائب بأثر رجعي. وتعليقا على ذلك كتب "سي. دي. چاكسون" إلى "كورد مايور" يقول له: "أرى أن ذلك أمر لا يمكن احتماله"(٢٥).

واحتشد "سي. دي" و"مايور" من أجل قضية "پارتيزان ريڤيو". أول شيء فعلاه هو أنهما كتبا إلى فرع الإعفاء الضريبي في إدارة الإيرادات يزكيان المجلة، وعلى أثر ذلك قام "وليم فيليپس" بإبلاغ "سي. دي" بأن الاستجابة الأولية في إدارة الإيرادات كانت مشجعة، ثانيا: لجأ "سي. دي" إلى "آلان دالاس" مباشرة يلتمس مساعدته. وفي ١٢ نوفمبر ١٩٥٧ أرسل "سي. دي" مذكرة سرية إلى "دانيل بل" ينقل

إليه فيها موقف الـ "CIA" من المسألة: "ليس لديهم أى اهتمام بالمجلة سواء من ناحية دعمها ماليا أو استخدامها، وعلى أية حال فان رئيس تحريرها الحالى متعاطف ومتعاون مع منظمة الحرية الثقافية، والصعوبات المالية التى تواجه "پارتيزان ريڤيو (PR) قد تؤدى إلى تغيير فى إدارتها يكون ضارا بمصالح الـ "CIA" ولذلك فإن لهم مصلحة غير مباشرة فى أن يلقى طلب الإعفاء من الضرائب ردا إيجابيا"(٢٦).

كانت مشكلات "پارتيزان ريڤيو" قد نوقشت كذلك فى اجتماع "لجنة تنسيق العمليات" فى إبريل ١٩٥٦. وبعد رفع مذكرة للجنة السياسات والتخطيط فى وكالة الإعلام الأمريكية، طلبت "لجنة تنسيق العمليات" تبنى اقتراح يساعد على تنمية موارد "پارتيزان ريڤيو". وبدون تحديد اسم المؤلف (والمحتمل أن يكون "سيدنى هوك" عضو مجلس إدارة مطبوعات "PR" واللجنة الاستشارية والمتحدث الرسمى "باسم المجلة كما يقول "فيدلر")، اقتبس ممثل "لجنة تنسيق العمليات" من اقتراحه الذى يبدأ بـ"تعلمون أننى أشكو منذ وقت طويل من أن معونات التأسيس وغيرها من وسائل الدعم تقدم غالبا للمجلات الجديدة، لكن الصحف المضطلعة بالعبء، والمستعدة دائما فى ميدان مكافحة الشيوعية، مثل "نيوليدر" و"پارتيزان ريڤيو" لا تتلقى مساعدة بالمرة أو بالدرجة التى تستحق"(٢٧). ويقول مقدم الاقتراح إنه بعد محادثات مع "وليم فيليپس" يبدو أن أفضل ما يمكن عمله كان هو أن تتولى اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية اشتراكات "الهدايا" فى مجلات مثل "پارتيزان ريڤيو"، وأن تكون هى المسئولة عن توصيلها إلى المثقفين الأجانب الأكثر احتياجا إليها. لا أفكر فقط فى أولئك الذين يقفون معنا بقوة، وإنما أيضا فى ذلك الجيش الجرار من المثقفين غير الراضين عن الشيوعية، ولكنهم يعتبرون أمريكا على نفس الدرجة من الإمبريالية والمادية وقلة الثقافة وشبهة الهمجية"(٢٨). وينتهى التقرير بالقول: "... و أعتقد أن هناك قيمة لمثل هذا الاقتراح وخاصة إذا كان اهتمام الحكومة الأمريكية ليس واضحا بالنسبة للأهداف المحددة فى هذا التناول الأيديولوجى للمشكلة"(٢٩). وفى ظرف شهر، كانت "پارتيزان ريڤيو" قادرة على أن تعطى "اليزابيث بيشوپ ـ **Elizabeth Bishop**" منحة سخية مقدارها ٢٧٠٠ دولار، هذه الأموال جاءت من " مؤسسة فورد " وبمقدار ٤٠٠٠ دولار سنويا لمدة ثلاث سنوات، على أن يتم تخصيصها لدرجات الزمالة الأدبية. ربما يكون ذلك مصادفة، ولكن الغريب أنه بالرغم من طلب المساعدة المالية المتواصل، إلا أن "مؤسسة روكفلر" كانت ترفض كافة رجاءات وتوسلات المحررين على مدى السنوات العشر السابقة.

فى أوائل عام ١٩٥٨، سافر "وليم فيليپس" إلى "پاريس" حيث التقى و"مايكل

چوسلسون" لمناقشة مستقبل "پارتيزان ريڤيو"، وفي ٢٨ مارس ١٩٥٨ كتب "فيلپس" يسأل ما إذا كان "چوسلسون" قد "فكر في إمكانية تنفيذ بعض الأمور التي تحدثنا بشأنها أم لا؟[٣٠] وفي غضون أشهر قليلة كان قد تم إنعاش اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية من أجل غرض واحد وهو أن تكون الناشر الرسمي لـ "پارتيزان ريڤيو"، وهو الإجراء الذي دام لعشر سنوات تالية (كانت اللجنة الأمريكية في حالة احتضار منذ تعطيلها المشين والواقعي في يناير ١٩٥٧)، وتعليقا على هذا التطور - أن تكون اللجنة هي الناشر الرسمي للمجلة - أخبر "هوك": "چوسلسون" أنه "لم تكن هناك أية رغبة حقيقية في استمرار اللجنة الأمريكية إلا من أجل تسوية حالة المجلة (PR)، .. وسوف يفعل "فيلپس" كل ما يمكنه للحصول على معونة للـ"PR"[٣٠] "چوسلسون" نفسه كان يتذكر بعد ذلك أن اللجنة كان يمكن أن تختفي تماما لو أنها لم تقرر أن تدع محرري "پارتيزان ريڤيو" يستفيدون من الإعفاء الضريبي الذي منح لها، ومنذ ذلك كان "نشاط" اللجنة الوحيد هو ظهورها بمظهر الراعي للمجلة"[٣٢]. وبناء على هذا التقرير، فإن اللجنة الأمريكية لم تكن تقدم تمويلا لـ "پارتيزان ريڤيو"، لكنها أمَّنَتْ لها مخرجا ضرائبيا.

إلا أن "دانيل بل" يقول: "كانت پارتيزان ريڤيو" تتلقى دعما ماليا من "منظمة الحرية الثقافية" على مدى سنوات عدة، وكان ذلك في صورة اشتراكات لأفراد في الخارج، كانت المجلة تصلهم مجانا، وعلى قدر علمي فإن هذا التمويل ظل في طي الكتمان كذلك"[٣٣]. والآن، أصبح مصير "پارتيزان ريڤيو" مرتبطا بمنظمة الحرية الثقافية الأمر الذي رفع رقم مبيعاتها إلى معدل ثلاثة آلاف نسخة سنويا اعتبارا من ١٩٦٠ كانت توزع بواسطة المنظمة خارج الولايات المتحدة. وفي الوقت نفسه كانت المنظمة تقدم مساعدات مماثلة للمجلات الثقافية الأخرى التي كانت مرتبطة بها منذ فترة طويلة: "كينيون ريڤيو (١٥٠٠ نسخة)، "هدسون" ريڤيو (١٥٠٠ نسخة)، "سيواني ريڤيو" (١٠٠٠ نسخة)، "شعر" (١٥٠٠ نسخة)، "دايدالوس" (٥٠٠ نسخة) "مجلة تاريخ الأفكار: (٥٠٠ نسخة).كان شراء هذا العدد من النسخ يكلف المنظمة ٢٠٠٠٠ دولار سنويا. ووصل التزام المنظمة إزاء هذه المجلات والذي خطط له في البداية أن يستمر لمدة ثلاث سنوات، وصل إلى ٦٠٠٠٠ دولار بالإضافة إلى ٥٠٠٠ دولار أخرى للنفقات الإدارية. وتم التعاقد مع "فردريك واربورج" لتوزيع المجلة في انجلترا[٣٤]. كما تلقى "واربورج" أول رفض أيضا لتوزيع مجموعة مختارات صادرة عن "پارتيزان ريڤيو" بعنوان "الأدب والحداثة" كان يحررها "فيلپس" و "فيليپ راف"، كان المسهمون فيها كلهم تقريبا من الذين ارتبطوا ذات يوم بمنظمة الحرية الثقافية ومن بينهم: ("كويستلر" و"شيارومنتي"، و"ماري مكارثي"، و"الفرد كازين")

واستمرت ظروف "پارتيزان ريڤيو" في التحسن، ففي شهر مارس ١٩٦٠ كتب "كريستول" إلى "چوسلسون": قابلت "ويل فيليپس" ليلة أمس، وألح لي بطريقة غامضة أن مشكلات "پارتيزان ريڤيو" قد حلت تماما... بالرغم من أنه لم يعط أية تفاصيل. وقد بلغ به الأمر إلى أن يقول. إن لديهم الآن أموالا أكثر مما يحتاجون"(٣٥). لكن "فيليپس" كان يريد المزيد، فقد كان يسأل "چوسلسون" بعد عام: " لا أظن أن المنظمة بإمكانها أن يدفع ثمن تذكرتي، على سبيل المنحة، لرحلة إلى أوروبا في شهر يونيو الجاري لإنجاز أعمال ضرورية"(٣٦). وفي سنة ١٩٦٠ كتب متفاخرا: "لا أنا" ولا "راف" كنا نعتبر من الذين يمكن الاعتماد عليهم شخصيا وسياسيا "لكي ندعى لحفل إشهار المؤتمر كمنظمة دائمة في عام ١٩٥٠. ووصف الشخصيات التي حضرت بأنهم "مستهترون، وليس لهم جذور، وغير منضبطين، وغير مبالين بمعاداة الشيوعية"(٣٧). وفي تبادل للإهانات، كان "لاسكي" يصف "فيليپس" فيما بعد بأن الاستهتار من صفاته هو، وأنه "يصل إلى كل شيء عن طريق الغش والخداع". لماذا، بحق الجحيم، يوفد إلى پاريس؟. كل ما كان يفعله هو الجلوس في حانة الـ "دوماجو"(٣٨).

بعد ذلك كان "وليم فيليپس" يؤكد أنه ليس مدينا للمنظمة بأي شيء. وبينما يسلم بأنه كان "لاعبا ثانويا في لعبة الدعاية العالمية، إلا أنه كتب عن ذلك كنتيجة واقعية لعضويته في الهيئة التنفيذية للجنة الأمريكية التي لم يكن على دراية بأية من "سجلاتها ومحاضرها وحساباتها المالية"، كما يقول. كما يدعي أنه "صدم" - وربما شعر بالحسد - لمظاهر الثراء المفاجئ ولرؤية شقق مسئولي المؤتمر الفاخرة والاعتمادات الكبيرة للسفر والإنفاق وكافة الامتيازات الأخرى الخاصة بكبار المسئولين في المؤسسات الكبرى. وبالرغم من ذلك، فإن "پارتيزان ريڤيو" كانت تحاول دائما أن تقتصد في الإنفاق، وقد علمتني التجربة أن الفقر هو الحالة العادية للجماعات السياسية والمجلات الأدبية الجادة ". ويكمل": أما بالنسبة للدعم السري فيبدو لي أن ذلك يعتبر اعتداء على طبيعة أية مؤسسة ثقافية، وخاصة إذا كان التمويل عن طريق ذراع منظمة من أذرع الحكومة ذات الأجندة السياسية الخاصة"(٣٩).

كان للآخرين بالطبع وجهة نظر خاصة في التمويل السري. وبمجرد أن بدأت "پارتيزان ريڤيو" الإفادة من الصفقة مع "منظمة الحرية الثقافية" تلقت "نيوليدر" دعما سخيا متجددا من ممويلها السريين. في فبراير ١٩٥٦ كتب "سي. دي. چاكسون" إلى "آلان دالاس" يقترح جمع أموال لمجلة "صد ل ليڤيتاس - Sol Levitas" وكانت مؤسسة "تايم" تدعم "نيوليدر" بمبلغ خمسة آلاف دولار سنويا منذ عام ١٩٥٢ في

مقابل معلومات عن الأساليب والشخصيات الشيوعية على مستوى العالم، وخاصة فيما يتعلق بأنشطتهم داخل الحركة العمالية"(٤٠). لكن ذلك كان جزءا ضئيلا من المبالغ المطلوبة لكى تواصل المجلة صدورها. وبحساب "سى. دى. چاكسون" كان المطلوب هو ٥٠٠٠٠ دولار على الأقل، كى تظل قادرة على الاستمرار. قال لـ"دالاس": "إذا كانت المؤسسات الرأسمالية تستطيع أن تحشد كل ما لديها من حكمة لتقرر أن اللهجة الخاصة التى يتكلم بها "ليڤيتاس" إلى جماعة معينة من الناس هنا وفى الخارج، هى نغمة فريدة وفى غاية الأهمية، وتكون على استعداد لدعم ذلك ببضعة آلاف من الدولارات،فإننى أتمنى أن تتبنى هذا الاقتراح "ويبدو لى أن ذلك هو أفضل صيغة بالنسبة لنا و أن نحافظ على "ليڤيتاس" وندعه هو الأخر يأكل"(٤١). كان من السهل إقناع، "دالاس" كما حدث فى مناسبات سابقة، فكانت منحة من الوكالة لـ "نيوليدر". وبحلول صيف ١٩٥٦ كانت حملة "أنقذوا نيوليدر" قد تمكنت من جمع الـ "٥٠٠٠٠ دولار" التى كانت فى حاجة إليها. أو؛ ت وكالة الإعلام الأمريكية ١٠٠٠٠ دولار وكذلك كل من "مؤسسة فورد" و "مستر اتش. چى. هينز ـ **Mr. H.J.Heinz** ومؤسسة "تايم". أما العشرة آلاف الباقية فكانت: خمسة آلاف تبرع بها "فيليپ جراهام ـ **Philip Graham**" ناشر "الـ واشنطن بوست"، وخمسة آلاف أخرى سجلت على أنها "من عند الله!"(٤٢).

وكالعادة دائما، دخلت "منظمة الحرية الثقافية" فى الترتيبات الجديدة لكل من "پارتيزان ريڤيو" و"نيوليدر". التعاون مع المنظمة، الذى تمثل فى مطبوعات مشتركة واتفاقيات تحريرية رسمية وتبادل المعلومات والمعارف، كل ذلك جلب المزيد من الفوائد المادية للمجلتين. النشاط الواسع للمنظمة فى تلك السنوات، جعل منها أبرز معالم الحياة الثقافية الغربية ومن فوق منابر ندواتها ومؤتمراتها، وعبر صفحات المقالات والمراجعات الجيدة، استطاع المثقفون والكتاب والفنانون والشعراء والمؤرخون أن يجدوا جمهورا لأفكارهم لم يكن هناك أية منظمة أخرى يمكن أن تصل إليه باستثناء "الكومينفورم". كان مكتب "پاريس" مركز جذب للزائرين من كل أنحاء العالم، حتى إن القنبلة التى انفجرت فى الطريق إلى القاعة كانت حدثا اعتبره أحد الأعضاء شرفا كان متوقعا وتاريخا لا ينسى فى سجلات المنظمة(٤٣). وبالنسبة للجيلين الثانى والثالث من الأدباء الذين كانوا يريدون أن يصبحوا مثل "هيمنجواى"، كانت المنظمة قد أصبحت هو مستودع كل تلك الأساطير الرومانسية، وكانوا يجيئون فى جماعات لكى يجلسوا هناك"(٤٤).

كذلك أدى سطوع نجم المنظمة إلى بعض إمعان النظر غير المرغوب فيه. فى عام ١٩٦٢ كانت موضوعا لمحاكاة تهكمية مدركة، قدمها الناقد "كينيث تينان ـ

"Kenneth Tynan" وفريقه فى برنامج "كان ذلك هو الأسبوع الذى كان .." فى الـ "B.B.C" . بدأ الإسكتش هكذا: والآن إليكم لمحة ساخنة من الحرب الباردة فى الثقافة: هذا الرسم التخطيطى هو الكتلة السوفيتية الثقافية. كل نقطة على الخريطة تمثل أحد المواقع الثقافية الاستراتيجية ـ أماكن المسارح، مراكز إنتاج الأفلام، فرق الرقص تطلق "قذائف الباليه ـ Balletic Missiles"(*) العابرة للقارات، دور النشر تصدر طبعات ضخمة من الأعمال الكلاسيكية لملايين القراء المستبعدين. وبينما أنت تنظر إليها، يتواصل الاحتشاد الثقافى. لكن ماذا عنا نحن فى الغرب، هل لدينا القدرة الفاعلة على الرد فى حال قيام حرب ثقافية شاملة؟ "ويستمر الاسكتش": نعم! كانت هناك "منظمة الحرية الثقافية".. الطيب.. العجوز.. والتى استطاعت "بدعم مالى أمريكى أن تقيم عددا من القواعد الأمامية فى أوروبا وغيرها لتكون بمثابة رؤوس الرماح (القوة المتقدمة) فى الرد الثقافى. هذه القواعد متخفية ومتنكرة فى هيئة مجلات، وتحمل أسماء رمزية مثل "انكاونتر" التى هى اختصار لـ "استراتيجية قوة المواجهة ـ Encounterforec Strategy". وبعد ذلك يقدم الإسكتش متحدثا رسميا باسم المنظمة ليفاخر بمجموعة من المجلات التى كانت "نوعا من الناتو الثقافى" والتى كان هدفها هو الاحتواء الثقافى أو أن تكون "طوقا" حول الاشتراكيين المعتدلين كما يفضل البعض أن يقول. والحقيقة أننى لا أستطيع القول إنه كان لدينا هدف، أقول إنه كان لدينا رسالة تاريخية. جمهور القراء فى العالم.. لكن مهما حدث، فنحن فى المنظمة نشعر بأنة من واجبنا أن تظل قواعدنا مستعدة وفى حالة طوارئ على مدار الساعة، نراقب باستمرار ما يقوم به الآخر بدلا من إضاعة وقت ثمين فى تأمل أنفسنا"(٤٥).

كانت السخرية موجعة وتستند إلى بحث واستقصاء مؤكدين. وبينما أدان المتحدث الرسمى باسم المنظمة النزعة المادية المبتذلة لوزير الثقافة السوفيتى واستهجنها، ألا أن "تينان" جعلة يكشف ـ ودون أية لمحة تهكم ـ عن رعاة المنظمة المستنيرين". صندوق دعم منطقة ميامى – "سينسيناتى" و"مؤسسة هوبلتزل ـ تكساس" واللجنة السويسرية لمساعدة الوطنيين الهنغاريين".

وبالرغم من أن هذه الاشارة إلى ممولى المنظمة السريين لم تحقق هدفها النهائى، إلا أنها سببت أرقا شديداً لـ "جوسلسون" وأكدت مخاوفه وشكوكه بأن تكون الـ "CIA" هى نقطعه ضعف (كعب أخيل) المنظمة. كان التوتر فى العلاقة بين

(*) لاحظ التلاعب اللفظى بعبارة " Ballestic Missiles والتى تعنى القذائف البالستية (المترجم).

"چوسلسون" ورؤسائه فى الـ "CIA" فى حالة تصاعد منذ انهيار اللجنة الأمريكية فى أوائل ١٩٥٧ ، چوسلسون" الذى لم يكن - بسبب حدة طباعه - قادرا على أن يرقص مثل القرد على أنغام غيره، وجد نفسه الآن فى خلاف مع "كورد مايور" الذى كان يرفض أن يخفف من إحكام قبضته. "مايور" لم يفق قط من آثار تلك المعاملة "الكافكاوية" التى لقيها على أيدى أتباع "مكارثى" فى عام ١٩٥٣ . بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك سلسلة من المآسى الشخصية جعلته دائما مكتئبا وشرسا . وقصة مايور" القصيرة التى نشرها فى عام ١٩٤٦ بعنوان "أمواج الظلام" عن تجربته فى الحرب، والإصابة التى كادت تودى بحياته على شواطئ "جوام"، هذه القصة أيضا تصف التحرك المأساوى لحياته المستقبلية. فى عام ١٩٥٦ قتلت سيارة مسرعة ابنه "مايكل" (٩سنوات)، وبعد أقل من عام انفصل "كورد" عن زوجته "مارى پنكوت مايور - Mary Pinchot Meyer" (٤٦).

ومع تزايد عناده وشططه، أصبح "مايور" مدافعا عنيدا وشرسا عن أفكاره الخاصة التى كانت تتمحور حول عدم الثقة المرضى بكل من لا يوافق عليها . كان أسلوبه يميل إلى الجدل فى أحسن الأحوال، شديد المبالغة فى أسوئها، وربما عدوانيا. يقول "توم برادن": "كورد" دخل الوكالة شخصاً مثالياً نقياً، وتركها وهو أداة ضامرة فى يد "انجلتون" و "انجلتون" كان أستاذا فى السحر، كان يبتز ويستغل كل شىء فى المدينة بما فى ذلك أنا شخصيا، أى شئ قد يؤمن به "انجلتون"، كان "كورد" يؤمن به كذلك"(٤٧). "آرثر شليزنجر"، وهو صديق "مايور" القديم، وجد نفسه فريسة لذلك المثال الذى تحول إلى شرطى ثقافى - غاضب دائما -: "لقد أصبح شديد القسوة عديم المرونة، أتذكر أنه دعانى مرة واقترح أن نلتقى على مشروب معاً.

وهكذا دعوته أنا أيضا ردا على ذلك، وجلسنا نتحدث فى الطابق الأعلى من مسكنى. بعد سنوات، طلبت الاطلاع على الملف الخاص بى لدى " الـ"CIA". كانت آخر وثيقة فى الملف تقريرا عنى كتبه "كورد مايور". فى بيتى، وعلى كأسى، وكتب تقريراً عنى. لم أستطع أن أصدق(٤٨). ومثل شخصية "چيمس ستيورات" فى فيلم "هتشكوك": "النافذة الخلفية": انتهى الأمر بـ"مايور" و"انجلتون" وهما مرآتان تعكسان الانحراف الذى كانا يحاولان أن يرقباه.

فى أكتوبر ١٩٦٠ التقى "چوسلسون" و" ورد مايور" ومجموعة من الـ "IOD" قسم المنظمات الدولية - فى غرفة فى أحد فنادق "واشنطن". نشب نقاش حاد، وطبقاً لرواية أحد الشهود، قال زملاء "چوسلسون" فى الـ "CIA" له: "عليك بنفسك". "چوسلسون" الذى كانت تصفه "ديانا" بأن جسده سريع التأثر بحالته النفسية، شعر

بارتفاع شديد في الضغط وكأنه تلقى لطمة قوية على صدغية قبل أن يسقط على الأرض. يقول "چون طومسون ـ John Thomson" كان لا يستطيع أن يخفى مشاعره، يمكن أن يدخل فى جدل ثم يغمى عليه، ويصاب بأزمة قلبية، كان أوروبيا جداً"(٤٩). أما الأزمة القلبية فكانت حقيقية. فى الثانية صباحا حسب التوقيت المحلى، اتصل "لولاثام ـ Lou Latham". رئيس مكتب "باريس" (والذى كان فى "واشنطن" عندما حدث ذلك) ليبلغ "ديانا" بأن "چوسلسون" قد نقل إلى المستشفى بعد انهياره، سافرت "ديانا" على أول طائرة تغادر باريس فى ذلك الصباح، ومعها جينفر ـ Jenni-fer" ذات الأربع سنوات. توقفت "ديانا" لفترة قصيرة لكى تذهب إلى أحد الفنادق وتترك "جينفر" مع أمها (أم ديانا) قبل أن تنطلق إلى "مستشفى چورچ واشنطن الجامعى"، وهناك وجدت "چوسلسون" وقد وضع فى خيمة أوكسچين. على مدى الأسابيع القليلة التالية كانت إلى جواره لرعايته. كان "چوسلسون" يتعافى ببطء، وفى تلك الحالة وهو طريح الفراش أفيق مرة أخرى تحت إلحاح الواجب. تتذكر "ديانا": "طوال فترة وجوده فى المستشفى كان "مايكل" يعطينى تعليمات موجزة أقوم بتسجيلها ثم أذهب إلى باب غرفته وأبلغها إلى "لى وليمز" وغيره من البلهاء الذين كانوا يجيئون. كانت تسلية أن يقلب الطاولة عليهم"(٥٠).

وبينما كان "چوسلسون" ما زال تحت قناع الأوكسچين، استدار "بل ديوركى ـ Bill Durkee" نائب "مايور" نحو "لى وليمز" وهما يسيران فى أحد شوارع "واشنطن" ليقول له: "وها نحن قد أوصلناه إلى حيث نريده أن يكون"(٥١). بعد ذلك، عندما تستعيد "ديانا" ذكريات تلك السنوات، سوف تكتشف أن الوكالة بالرغم من تقديرها لـ "مايكل" بسبب ما كان يقوم به، إلا أنه كان شوكة فى جانبهم. كان يتصرف كما يتراءى له، وكان يقاوم كلما حاولوا فرض سيطرتهم. حاول "مايكل" أن يرضيهم بأن يقول لهم كل شئ عن كل ما كان يطبخ على جميع المواقد. وبسبب قوة شخصيته جعلهم لا يشعرون بعدم أهميتهم. كان صديقا لهم، يتحدث معهم عن أسرهم وأعمالهم، وكان لدى الانطباع بأنهم معجبون به ـ هذا الانطباع اهتز الآن ـ والآن أعرف تماما أن "ديوركى" كان يعبر عن عدد كبير منهم. لابد من أنهم كانوا مرتابين فى كل أولئك المثقفين، بالإضافة إلى كونهم أجانب، وكانوا يعانون من أنهم يستولون على الأموال كلها.. ويتمتعون بالقوة الأمريكية .. إلى جانب أن "مايكل" لم يكن من أبناء "ييل"، كان عميلاً، روسياً ويهودياً، وكان هو الذى يخالط المشاهير بمودة، وعلى قدم المساواة، وليس هم"(٥٢).

كان من الواضح أن صحة "چوسلسون" لن تمكنه من أن يبذل جهداً كبيراً مع المؤتمر أكثر من ذلك. فتم الاتفاق على أن ينتقل إلى "چنيف" بشكل دائم، حيث

يواصل عـمله مع المنظمـة.. ولكن من بعـيـد. وأن يتـولى "چون هنت ـ John Hunt" مسئولية إدارة مكتب "پـاريس" فى التعامل مع الوكالة. عندما جاء "هنت" إلى المنظمة فى عام ١٩٥٦، كان قد أمضى العامين الأولين مثل "عامل النظافة، لا يقول شيئاً. كان يراقب فقط ويتعلم"(٥٣). كان هـو الذى يقول ذلك غيما بعد. وبالتدريج، أصبح "ضـابط عمليات" كما قـال للمسئول التنفيذى الذى كان يعمل مع "مـايكل"، هذه الأدوار ظلت كما هـى طوال حياة المنظمة، لكن بالنسبة لـ "چـوسلسون" الذى كان يعمل من منزله فى "چـنيف" وبمسـاعدة سكرتيـر، وجد "هنت" نفسـه وقـد أصـبح صـاحب السـيطرة الإدارية علـى المقر القيادى فـى "پـاريس".

(٢١)

قيصر الأرچنتين

* لم أطلب منك قط أن تذهب إلى "موسكو" أو "روما"،
دعك من هذا العناء.. استدع ربات الفن.

و. ب. ييتس

(تلك الصور)

تولى "چون" "هنت" أمور مكتب "پاريس" فى الوقت المناسب. الإنفاق السخى على الفنون تحت إدارة "ايزنهاور" تبعه إعلان إدارة "كينيدى" عن الرغبة فى "علاقة منتجة" مع الفنانين، وقد شرح "كينيدى" ذلك عندما دعا١٥٦ شخصية لحضور احتفالات تنصيبه، (كان من أبرزهم "آرثر ميلر- Arthur Miller" و"أندرو ويث - Andrew Wyeth" و"إرنست هيمنجواى - Ernest Hemingway" و"مايس ڤان دير روهـ Mies Van der Rohe" و"ايجور ستراڤنسكى - Igor Stravinsky" و"پيير مونتوـ Pierre Monteux" و"پول هيندميث Paul Hindemith" و"أرشيبالد ماكليش - Archibald MacLeish و"روبرت لويل - Robert Lowell و"ستيورات ديڤيز - Stuart Davis. كتبت "اليزابيث بيشوپ Elizabeth Bishop" إلى "لويل" تقول: "لابد من أن الاحتفالات كانت شيئا هزليا، أشاهد أجزاء منها فى الأفلام الإخبارية، لكننى لا أحب تلك الأبهة التى تُذَكِّر بالإمبراطورية الرومانية. منصة استعراض التقرير مثلا تبدو مثل أقواس النصر"(١). لكن بالنسبة للكثيرين من أقطاب الحرب الباردة، فقد كان ذلك الجو الإمبراطورى ملهما كما قال أحد المعجبين لـ "كينيدى" فى أوائل عام ١٩٦١: "تماما كما كان يحدث فى العصور القديمة، كان المواطن الرومانى أينما حل يمكنه أن يهتف بكل فخر وكبرياء: "أنا مواطن رومانى:civis Romanus sum" وها نحن الآن مرة أخرى نستطيع أينما ذهبنا أن نهتف بكل كبرياء ورؤوسنا مرفوعة: أنا مواطن أمريكى "civis Americanus sum"(٢).

وفى ١١ مايو ١٩٦٢، دعى "روبرت لويل" ثانية إلى البيت الأبيض. كانت الدعوة هذه المرة على عشاء أقيم على شرف "أندريه مالرو - André Malraux" وزير الثقافة الفرنسى آنذاك، وأثناء الاستقبال كان "كينيدى" يمزح قائلا إن البيت الأبيض قد

أصبح بمثابة مقهى للمثقفين. لكن "لويل" كان متشككا وبعد عشاء البيت الأبيض كتب: "ثم تقرأ أن الأسطول السابع قد أرسل إلى مكان فى آسيا، ويعتريك شعور مضحك بعدم أهمية الفنان وبأن ذلك كان نوعا من بضائع تزيين الواجهة، وأن الحكومة كانت فى مكان آخر، وأن شيئا أكثر قربا من "البنتاجون" هو الذى يدير الدولة بالفعل.. أشعر بأننا نحن المثقفين نلعب دورا فيه كثير من الخيلاء والتفاهة.. لابد من أن نكون نحن الواجهة.. وليس البضائع التى تزينها"(٣).

كان هناك ميل متزايد من بعض المثقفين للنظر بارتياب إلى "كرم وإحسان الحكومة، إلا أنه كان نادراً ما يتم التعبير عن ذلك. لكن موضوع الفساد لم يقلق الـ "CIA" بشكل كبير، وهى التى كانت كل تلك العطايا والهبات توزع تحت إشرافها. يقول "دونالد جيمسون ـ Donald Jameson" أحيانا تجد نفسك عرضة للفتنة أو الغواية، وأعتقد أن أى شخص كان يشغل موقعا مهما فى المنظمة (منظمة الحرية الثقافية) كان يعرف على نحو أو آخر أن الأموال كانت تجىء من مكان ما، وإذا نظرت حولك لن تجد سوى اختيار منطقى واحد. وقد اتخذوا ذلك القرار. إن الاهتمام الرئيسى بالنسبة لمعظم المثقفين والكتاب فى الحقيقة هو كيفية الحصول على أجر عن عمل ما يريد أن يعمله. وأعتقد أنهم على وجه العموم يمكن أن يقبلوا أموالا مهما كان مصدرها. وهكذا كانت المنظمة وغيرها من الهيئات المشابهة – شرقا وغربا – تعتبر بمثابة ثدى كبير يمكن لأى شخص أن يأخذ رَضْعَة منه عندما يريد.. ثم يذهب ليقوم بعمله. وهذا فى رأيى أحد أهم أسباب نجاح المنظمة: لقد جعلت من الممكن أن تكون مثقفا حساسا.. وتأكل. والآخرون الذين كانوا يفعلون ذلك فى الواقع هم الشيوعيون"(٤).

وسواء أكانوا يحبون ذلك أم لا، سواء أكانوا يعرفونه أم لا، فإن العشرات من المثقفين الغربيين كانوا قد أصبحوا مرتبطين بالـ "CIA" عن طريق "حبل الذهب السرى". وإذا كان "كروسمان ـ Crossman" قد استطاع أن يكتب فى تقديمه لكتاب "الإله الذى فشل" أنه: "بالنسبة للمثقف أسباب الراحة المادية ليست مهمة نسبيا وإن أكثر ما يهمه هو الحرية المعنوية"، "يبدو الآن أن كثيراً من المثقفين لا يستطيعون مقاومة ركوب قطار الكسب غير المشروع ولو لمرة واحدة. بعض اجتماعات المنظمة" كانت فرصة للاستعراض والمظاهر فى الأساس، والحاضرون كانوا يذكرونك بمجتمع الوجهاء الذين يتنقلون بين "سان ترو پيز" فى الصيف و "سان مورتز" أو "جستاد" فى الشتاء كما كتب "ولتر لاكير ـ Walter Laqueur" الخبير بالشئون السوفيتية، والذى كان ممن يحضرون تلك الاجتماعات بانتظام. "كان هناك تنفج وحذلقة وخاصة فى

بريطانيا، المظهر الخارجي للدماثة والسلوك الراقي، الذكاء والثقافة الرفيعة المصحوبة بغيبة الجوهر، حديث المنصات الجامعية وثرثرة مقهى "كافيه رويال"(٥). "هذه الرحلات المترفة والباهظة لابد من أنها كانت متعة كبيرة لمن ينعمون بها على نفقة الحكومة"، لكنها كما يقول "چاسون ايپشتين" كانت أكثر من متعة لأنهم كانوا يذوقون طعم السُلْطة والنفوذ". "عندما كان المثقفون الزائرون يجيئون إلى "نيويورك" كانوا يدعون إلى حفلات فخمة": طعام باهظ الثمن في كل مكان، خدم وحشم، وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله، وأكبر بكثير مما كان يقدر عليه أولئك المثقفون، فمن ذا الذي لا يود أن يكون في مثل هذا الموقف؟ حيث أنت ملائم سياسيا وفي الوقت نفسه تكافأ جيدا من أجل الموقف الذي اتخذته. كانت تلك هي الفرصة المناسبة للفساد الذي جاء بعد ذلك"(٦).

أما الذين لم يكونوا يحصلون على المنحة اليومية في "نيويورك"، فكانوا يفيدون من مزايا "ڤيللا سير بيللوني" في "بيللاچيو" شمال إيطاليا. كانت تقع على رأس ناتئ في البحر بين بحيرات "ليكو" و"كومو" وكانت "أميرة ديللاتورا" وتاسو Principessa della Torre e Tasso" قد منحتها لمؤسسة روكفلر. ووضعت المؤسسة هذه "الڤيللا" تحت تصرف المنظمة كمكان غير رسمي لاستجمام الأعضاء المهمين - وكانت أشبه بالأماكن الخاصة بالضباط حيث يمكن لضباط الجبهة في الحرب الثقافية أن يستجموا لاستعادة طاقتهم وحيويتهم. الكتاب والفنانون والموسيقيون الذاهبون للإقامة هناك، كانوا يجدون في استقبالهم سائقا في "يونيفورم" أزرق اللون، يحمل على طية صدر سترته شارة صغيرة مكتوب عليها"V.S". أما الضيوف فلم يكونوا ينعمون بمثل ذلك المستوى من الخدمة، ولكن الإقامة كانت مجانية بالإضافة إلى الانتقالات والوجبات واستخدام ملاعب التنس وحمام السباحة. كتبت "هانا أرنت - Hannah Arendt" تصف لـ "ماري مكارثي - Mary McCarthy"أناقة المكان: "تشعرين وكأنك فجأة تقيمين في "قصر ڤرساي". يوجد ٥٣ خادما من بينهم المسئولون عن الحدائق.. يرأس العاملين هنا رئيس خدم منذ أيام الأمير، له وجه وأسلوب رجل مهذب من "فلورنسا" القرن الخامس عشر"(٧). وردت عليها "مكارثي" بأنها اكتشفت أن ذلك الجو المترف لم يكن يساعد على العمل الجاد. كانت "الفيللا" أيضا مكانا ملائما لعقد ندوة المنظمة "شروط النظام العالمي" بالاشتراك مع مجلة "دايدالوس - Daedalus" والأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم.

وكانت هناك إمكانية متاحة أمام قلة مختارة للمشاركة في رحلات بحرية في البحر الأبيض على يخوت "هانسي لامبرت - Hansi Lambert أو "چنكي فليشمان -

"Junkie Fleischmann" كانت "هانسى" مليونيرة من أصدقاء المنظمة، كما كانت تستضيف البعض فى منتجعها الشتوى فى "جستاد"). وكان "سپندر" وزوجته كثيرا ما ينزلان ضيوفا عليهما ("هانسى" و "فليشمان"). عندما حكى "سپندر" لـ "ارنست روبرت كيرتيوس- "Ernst Robert Curtius" عن رحلته البحرية من "كورفو" إلى "ايشيا" فى شهر أغسطس ١٩٥٥، قال الصديق الألمانى بكل بساطة: "كنت شيوعيا، والآن تبحر على اليخوت فى البحر الأبيض.. ها! ها! ها!"(٨). أما بالنسبة لمن كانوا يفضلون الطبيعة البرية، فكانت المنظمة ترتب لهم الإقامة فى أفخم الأماكن الأوروبية. فى "لندن" كان هناك فندق "كونوت"، وفى روما "فندق انجلترا"، "وفندق" جراند "فى كاب فيرات". وفى پاريس كان "ايرفنج براون" يستضيف الأصدقاء فى بيته، بعيدا عنه وطنه، فى الجناح الملكى فى فندق "بالتيمور".

بالرغم من تحفظات "روبرت لويل" على قبول رعاية الحكومة ونعمها، إلا أنه استطاع أن يكبح تلك التحفظات ويقبل تذكرة سفر بالدرجة الأولى إلى أمريكا الجنوبية قدمتها له المنظمة فى مايو ١٩٦٢، كانت صديقته العزيزة، "اليزابيث بيشوپ" التى تعيش فى "ريو دى چانيرو" تلح عليه منذ سنوات أن يأتى، والآن كانت إعانة المنظمة هى التى جعلته يتحرك. كانت "بيشوپ" سعيدة، كتبت: "رجال وزارة الخارجية فى البرازيل يتصرفون بغباء شديد وغالبا ما يرسلون روائيين وأساتذة ضئيلى القيمة وبلداء"(٩). كانت زيارة "لويل" مبشرة بأن تكون أكثر إمتاعا.

كانت المنظمة تحاول منذ عدة سنوات أن توسع نفوذها فى أمريكا الجنوبية. كانت "كوديرنوس - Caudernos" هى مجلته هناك، وكان يرأس تحريرها "چوليان جوركن - Julian Gorkin" كان "جوركن" قد أسس الحزب الشيوعى فى "ڤالينسيا" فى عام ١٩٢١ وعمل فى شبكة سرية لحساب "الكومنتيرن"، وتعلم - من بين أشياء أخرى - تزييف وثائق السفر. وعندما قطع علاقته بـ "موسكو" عام ١٩٢٩ زعم أن السوفيت حاولوا إقناعه بأن يعمل بالاغتيال. وقبل نهاية الحرب الأهلية الإسبانية، فر إلى المكسيك، المحطة التقليدية للبلشفيك الهاربين، ونجا هناك من خمس محاولات كانت تستهدف حياته، خرج من واحدة منها بثقب فى الجمجمة. وكمحرر لمجلة "كوديرنوس" كان واجبه هو أن يحاول وأن يخترق "عدم الثقة الكبير" فى أمريكا اللاتينية، حيث كانت الطريقة الوحيدة لتحقيق أثر جيد - كما يقول مازحاً - هى الهجوم المستمر على الولايات المتحدة والثناء على "سارتر" أو "پابلو نيرودا - Pablo Neruda". لم يلق "جوركن" أية مساعدة من الانقلاب الذى حدث فى "جواتيمالا" بدعم من الـ "CIA"(١٩٥٣) ولا من الثورة الكوبية (١٩٥٨). وفى أعقاب التدخل الأمريكى

في تلك المناطق كانت مرحلة غبطة وشعور بالسعادة بالنسبة لشيوعي أمريكا اللاتينية وحلفائهم"(١٠). لكن "جوركن" كان يصارع في وجه صعوبات جمة، واستطاع أن يهيئ للمؤتمر منفذا مهما في بيئة معادية.

وصل "لويل" إلى "ريودي چانيرو" مع زوجته "اليزابيث هاردوك ـ Elizabeth Hardwick" وطفلتهما هاريت ـ Harriet" ذات الخمس سنوات وذلك في الأسبوع الأول من يونيو ١٩٦٢ وكان في استقبالهم في المطار: "نابوكوف" و"اليزابيث بيشوب". سار كل شيء بشكل جيد إلى أن ركبت أسرة "لويل" الباخرة عائدة إلى "نيويورك" في أول سبتمبر وبقي هو ليكمل الجولة جنوبا إلى "پاراجواي و"الأرچنتين". كان يصحبه "كيث بوتسفورد ـ Keith Botsford" الممثل المتجول الدائم" للمنظمة في أمريكا الجنوبية، والذي كان "چون هنت ـ John Hunt" قد "زرعه" في الرحلة لكي يضع عينيه على الشاعر. (كان "بوتسفورد" هو "مقوِّد" أو زمام "لويل" بلغة الـ "CIA" . وكان أن بدأت المشاكل في "بيونس إيرس"، رمى "لويل" حبوب الدواء الخاصة بعلاج الاكتئاب وجنون العظمة، وشرب كمية كبيرة من الـ "مارتيني" في حفل استقبال في القصر الرئاسي وأعلن أنه "قيصر الأرچنتين" وأن "بوتسفورد" "نائبه". وبعد إلقائه لخطاب "هتلر" الذي أطرى فيه على "الفوهرر" وإيديولوچيا السوپرمان(١١)، تجرد "لويل" من ملابسه وصعد على تمثال للفروسية في إحدى ساحات المدينة الرئيسية. وبعد أن استمر على هذه الحال عدة أيام، تمت السيطرة عليه بأوامر من "بوتسفورد" وألبسوه سترة تكتيف(*) بالقوة، وأخذوه إلى إحدى المصحات وقيدوه من ساقيه وذراعيه بسيور جلدية وهم يحقنونه بجرعات كبيرة من "الثورازين". واكتمل امتهان "بوتسفورد" عندما أمره "لويل" من هذا الوضع، وضع "بروميثيوس مقيدا"، أن يصفر لحن "اليانكي الغندور" أو "نشيد الجمهورية للمعركة"(١٢).

في أواخر ذلك الشهر، اتصل "نابوكوف" بـ "ماري مكارثي" تليفونيا. كان صوته مرتعشا وضجرا وهو يخبرها بأن "لويل": "محجوز في مصحة للأمراض العقلية في "بيونس إيرس" وأن "مارلين مونرو ـ Marlyn Monroe" قد انتحرت بسبب علاقتها مع "بوبي كينيدي ـ Bobby Kennedy" وأن البيت الأبيض قد تدخل"(١٣). مشاركةً "نابوكوف" امتعاضه، انتهت "ماري مكارثي" إلى أن "عصرنا بدأ يشبه فيلما مرعبا عن آخر الأباطرة الرومان ونساء المكائد والمؤامرات المحيطة بهم، أما مسبح "بوبي كينيدي" فهو الحمام وما به من حليب الحمير"(١٤).

(*) القميص الخاص بمن يصابون بالهياج الجنوني ـ المترجم.

كان حادث "لويل" كارثة كاملة. "لويل" الذى كان المنظمة قد اختاره "كأمريكى متميز فى مواجهة الشيوعيين مثل "پابلونيرودا"، تبين أنه مبعوث من أجل لا شيء أكثر من خواص "الثورازين" الذى حقن به. تخلى عن ذويه بشكل سيئ (وبالمقابل فإن "بوتسفورد" تخلى عنه). والغريب ألا يتخلى "هنت" أو "چوسلسون" عن "بوتسفورد" وإنما ظلا يعتمدان على خدماته "كمندوب" لهم فى أمريكا اللاتينية. والأكثر غرابة من ذلك أنهم بعد أقل من عام فكروا فى إرسال "لويل" لتمثيل المنظمة فى إحدى المناسبات فى المكسيك، لكن "چوسلسون" أوقف ذلك خشية أن يهمل "لويل" تعليمات طبيبه المعالج كما فعل فى المرة السابقة.. إذ ليس هناك ما يضمن على الإطلاق أنه لن يلقى بعض الخطب المجنونة لصالح "هتلر"[١٦]. أما "بوتسفورد" الذى لم يكن لديه الرغبة فى تكرار التجربة السابقة، فحذر من إرسال "لويل" وتم الاتفاق على أن "روبرت بن وارن ـ Robert Pen Warren" و"نورمان پودهوريتز ـ Norman Podhoretz" مرشحين يمكن الاعتماد عليهما، لإرسالهما خلف ستار"تورتيللا".

وبالرغم من أن "چوسلسون" كان لديه شكوكه فى "بوتسفورد" (لست حتى واثقا من أنه يمكن أن ينقل وقائع أمينة)[١٧]، إلا أن نجم "بوتسفورد" ظل فى صعود فى داخل المنظمة[١٨]، باعتباره يحظى برعاية "هنت". والآن كان يقول لـ "هانت": إن المثقفين البرازيليين كانوا يعتبرون المنظمة "واجهة لليانكى"، واقترح أن تكون المنظمة أكثر حذرا وتواضعا و"بعدا عن الأنظار"، وألا تدعم سوى المشروعات التى تحظى أيضا بدعم محلى قوى. لكن "هنت" رفض ذلك التوجه، قائلا إنه لا ينبغى إهمال أية منطقة فى العالم فى الحرب ضد الشيوعية[١٩]. وفى هذا الإطار وبهذه الروح، كان لابد من حملة شرسة يتابعها "هنت" و"بوتسفورد" لزعزعة مكانة الشاعر "پابلو نيرودا".

فى أوائل عام ١٩٦٣، تلقى "هنت" معلومات سرية مفادها أن "پابلو نيرودا" كان مرشحا لجائزة نوبل للآداب لعام ١٩٦٤. . هذا النوع من المعلومات الداخلية كان نادرا، حيث المفترض أن تكون مداولات لجنة "نوبل" فى غاية السرية. ومع ذلك انطلقت حملة تجريح وشائعات ضد "نيرودا" فى ديسمبر ١٩٦٣. كان "هنت" حريصا على إخفاء دور المنظمة فى ذلك، ولذا عندما سأله "ايرڤنج كريستول" عن صحة ما يقال من أن المنظمة "تروج شائعات" عن "نيرودا"، كان رد "هنت" عليه –ممازحا– أن الجدل حول ترشيح الشاعر لجائزة نوبل شيء حتمى"[٢٠]. والحقيقة أن "هنت" كان قد بدأ تنظيم عملية الهجوم منذ فبراير ١٩٦٣، وكان "چوليان جوركن" قد كتب إلى "صديق فى ستوكهولم" بخصوص "نيرودا" وقال لـ "هنت" إن "ذلك الرجل على استعداد لإعداد

كتيب بالسويدية بعنوان "حالة نيرودا"(٢١). لكن "هنت" تشكك فى جدوى كتيب كذلك، وطلب من "رينيه تاڤرنييه- René Tavernier" أحد نشطاء المنظمة- إعداد تقرير موثق بالإنجليزية والفرنسية، وأن يكون جاهزا للتوزيع "على أشخاص معينين"(٢٢). وأكد "هنت" أنه لا ينبغى إضاعة الوقت إذا كان من الضرورى تجنب فضيحة منح جائزة نوبل لـ "نيرودا". وطلب من "تاڤرنييه" أن يعد التقرير بالتعاون مع "چوليان جوركن" و "صديقه" السويدى"(٢٣).

ركز "تاڤرنييه" فى تقريره على موضوع التزام "نيرودا" السياسى وقال إنه "من المستحيل الفصل بين "نيرودا الفنان" و "نيرودا الداعية السياسى"(٢٤). واتهم التقرير "نيرودا"، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى بأنه يستخدم شعره "كأداة" فى الصراع السياسى "الشامل والشمولى"، مضيفا أن ذلك هو فن ومهارة الرجل "المقاتل" الستالينى "المنضبط". كما استغل التقرير، على نحو جيد، حصول "نيرودا" على جائزة "سيده ستالين" فى عام ١٩٥٢، ووصف "تاڤرنييه" ذلك بأنه "خنوع شعرى"(٢٥).

أرسل "تاڤرنييه" مسودة المقال إلى "هنت" فى نهاية شهر يونيو. كان من رأى "هنت" أن المقال يحتاج إلى "تسخين" أكثر، وطلب من المؤلف التركيز على طبيعة التزام "نيرودا" السياسى، وبالذات على المفارقة فى موقفه الستالينى وضعف صلته بالجو الأكثر تسامحا فى روسيا المعاصرة. أنهى "هنت" تعليقه بنبرة أستاذية قائلا لـ "تاڤرنييه" إنه ينتظر أن يرى التقرير بعد تعديله فى خلال أيام قليلة"(٢٦). وتقول "ديانا چوسلسون": "من الواضح أنه كان لابد من أن يقوموا بحملة للحيلولة دون حصول "نيرودا" على جائزة نوبل. هذا مؤكد"(٢٧). وبناء على ذلك، كان "چوسلسون" قد كتب إلى "سلڤادور دو مادارياجا- Salvador de Madariaga" الفيلسوف، والراعى الشرفى للمنظمة يطلب تدخله. لكن "مادارياجا" كان واثقا بأن "ستوكهولم سيكون لديها رد سهل وقاطع فقد تم تكريم الشعر الشيلى بالفعل فى شخص "جابريلا ميسترال" وهذا هو كل شىء. ولن يكون بمقدور السياسة أن تصنع شيئا(*)" لكن السياسة بالطبع كان لها صلة كاملة بذلك.

لم يفز "نيرودا" بجائزة نوبل للآداب فى عام ١٩٦٤، بيد أنه لم يكن هناك ما يدعو على الإطلاق للاحتفال فى مكاتب المنظمة عندما أعلن عن اسم الفائز بها. كان

(*) Stockholm aurait une réponse facile et impeccable : on a déja couronne Nobel la Poésie chilienneen la personne de Gabriela Mistral. un point c'est tout . Et la politique n'y a rien a faire

"چان پول سارتر – Jean - Paul Sartre" الذى رفضها متباهيا. أما "نيرودا" فكان عليه أن ينتظر حتى عام ١٩٧١ لكى يحظى بتكريم الأكاديمية السويدية، وكان فى ذلك الوقت سفيرا لـ "شيلى" فى فرنسا، ممثلا لحكومة صديقه "سلڤادور الليندى – Sal-vador Allende" المنتخبة ديمقراطيا (والذى أسقط بشكل غير ديمقراطى وقتل فى عام ١٩٧٣ بمساعدة الذراع الطويلة ... الـ "CIA".

فى عام ١٩٦٢ وبعد أشهر قليلة من بناء سور "برلين" تلقى "نيكولاس نابوكوف" دعوة من "ڤيلى برانت ـ Willy Brandt" عمدة " برلين الغربية، ليكون مستشارا للشئون الدولية لدى مجلس الشيوخ فى "برلين". ويقول "ستيوارت هامپشاير : Stuart Hamp-shire" إن "برانت" و"نابوكوف" كانا على وفاق. كان الأمريكيون يمولون "برانت" وكذلك البرنامج الثقافى لـ "برلين". وكان "برانت" يشعر بالاطمئنان لذلك تماما ولم يكن لديه أية درجة من القلق. كان "نيكى ـ Nicky" محنكا ورفيع الثقافة ويعرف الأشخاص المناسبين، ولذا كان فى المكان المناسب تماما لكى ينظم شئون "برلين الثقافية"(٢٦). كانت برلين "الغربية بالنسبة لـ "نابوكوف" قد فقدت بعض "توهجها الكوزموپوليتانى" وبدا الوقت مناسبا لإعادة استثمارها فى اللعبة الثقافية". يقول "چون هنت ـ John Hunt" إن "نابوكوف" لم يكن مستعدا قط لأن يقبل العالم على حساب ما هو مقتنع به، وكان يبدو أنه فقد الاهتمام بالنماذج القديمة للحرب الباردة. خططه ومقترحاته بالنسبة لـ "برلين" التى كانت الآن مقسمة بحائط من الخرسانة، كانت تخلو من الخطاب القديم المعادى للشيوعية. كتب وهو فى حالة من الشعور بالدفء الذى أشاعته سياسة التهدئة ـ Détente - وذوبان الجليد بين الكتلتين: "كان من الواضح لى أنه فى لعبة كتلك، لابد من أن يحاول المرء أن يكسب دعم ومشاركة العلماء والفنانين والأدباء فى الاتحاد السوڤيتى والكتلة الاشتراكية"(٣٠). ولهذا الهدف صادق السفير السوڤيتى فى "برلين" الشرقية "پيوتر اندريڤتش أبراسيموف-Pyotr An-dreyetvich Abrassimov. كانا يقضيان الساعات معا فى السفارة السوڤيتية. وفى النهاية رضخ "ابراسيموف" لرجاءات "نابوكوف" الملحة بأن يكون الفنانون السوڤيت ممثلين فى "مهرجان برلين للفنون" والذى كان هو مديره أيضا. كان ذلك قرارا جرئيا بالنسبة لـ "ابراسيموف" وكانت المخابرات السوڤيتية تضع أعينها على "نابوكوف" وعن طريق جاسوس للـ "KGB"(*) كان مزروعا كمستشار لـ "برانت"، كان الروس يعرفون كل شىء عن علاقات واتصالات " نابوكوف" بالمنظمة المدعومة من الـ"CIA".

(*) جهاز المخابرات السوڤيتى (المترجم).

لم يكن "چوسلسون" سعيدا تماما بتعيين "نابوكوف" فى تلك الوظيفة الجديدة كما تقول "ديانا". أما "نابوكوف" الذى أصبح يقضى معظم وقته فى "برلين"، فقد بدا مبتعدا عن المنظمة، ولكن ليس بعيدا عن كشف حساب مصروفاتها. ولم يستطع "چوسلسون" الذى كان يدعو دائما إلى الحد من الإنفاق، أن يوقف تبذير "نابوكوف" وبذخه الفطرى. يقول "ستيوارت هامپشاير": " كان باهظ الذوق مكلفا، وكان لابد من أن ندفع من أجل ذلك"(٣١). لكن الصيغة التى تم الاتفاق عليها رسميا بين المنظمة ومكتب "برانت" وَفَّرتْ للمؤتمر فرصة أن يكون ممثلا فى أسابيع الاحتفالات - Berlin-er Festwochen. وفى عام ١٩٦٤ قام بتمويل حضور "جونتر جراس - Gunter Grass" و"دبليو. اتش. أودن - W.H.Auden" و"كينيث بوتسفورد - Kenith Botsford" و"كلينث بروكس - Cleanth Brooks" و"لانجستون هيوز - Langston Hughes" و"روبى ماكولى - Robie Macauley" و"روبرت پن وارن - Robert "Penn Warren" و"چيمس ميريل - James Merrill" و"چون طومسون - John "Thompson" و"تيد هيوز - Ted Hughes" و"هيربرت ريد - Herbert Read" و"پيتر راسل - Peter Russell" و"ستيفن سپندر - Stephen Spender" و"روچر كايلوا - Roger Caillois" و"پيير ايمانويل - Pierre Emmanuel" و"ديريك والكوت - Derek "Walcott" و"خورخه لوى بورخيس - Jorge Luis Borges" و"وولى شوينكا - Wole Soyinka". أما "چون هنت - John Hunt" و"فرانسو بندى" فحضرا كمراقبين.

لكن "چوسلسون" لم يستطع أن يبلع "استياءه أو أن يكظم غيظه بسبب ما كان يعتبره "خذلانا" من "نابوكوف" لهم. يقول "هامپشاير": "كان حاقدا، وكان يشير دائما إلى "جماعتى" من المثقفين. كان يتملقهم وبالتالى يتوقع منهم الولاء. وكان "نيكى - Nicky" جزءا من "جماعته" لكنه أصبح مهتما بشىء آخر. لذا غضب "چوسلسون" وكان يشعر بالألم"(٣٢). وبنهاية عام ١٩٦٤كان صبر "چوسلسون" قد قارب على النفاد، فكتب رسالة لاذعة يسأل فيها "نابوكوف" عن سبب طلبه من المنظمة أن تتحمل نفقات رحلة يقوم بها إلى "لندن" كان من الواضح أنها لمصلحة "برلين". ولأن "نابوكوف" كان يحصل على راتب سخى من المنظمة و كان "چوسلسون" قد سحب مبلغ ٣٠٠٠٠ دولار تقريبا من "مؤسسة فارفيلد" لتغطية نشاطه هناك على مدى أربع سنوات (كان من ضمنها ٢٤٠٠٠ لراتبه)، لذلك سأله "چوسلسون" لماذا لا يغطى نفقات رحلته من الـ ٥٠٠٠٠ مارك التى كان يحصل عليها من أموال دافعى الضرائب الألمان. ولأن "چوسلسون" كان يشعر بالغيظ الشديد لأن "نابوكوف" لم يبلغه بأى شىء عن زياراته لـ"أبراسيموف" فى القطاع السوفيتى، ولا عن زيارة "أبراسيموف" له فى منزله مع "روستروپوفتش - Rostropovitch"، أنهى "چوسلسون" رسالته إليه

بقوله: لا أريد أن أعرف أى شىء عما تقوم به. ولنوقف علاقتنا الرسمية إلى الأول من مايو (حيث كان من المقرر أن يلتقيا)، ودعنا نأمل ألا تكون أفعالك سببا فى تدمير صداقتنا"(٣٣). ولم يملك "چوسلسون" إلا أن يوجه إليه إهانة أخيرة فتمنى أن تكون عطلة عيد الميلاد "فرصة" لإعادة النظر وأن يقوم بوضع الألحان بدلا من "الجرى المجنون هنا وهناك والاندفاع -ربما- نحو الهاوية"(٣٤).

كانت سحابة سوداء تتجمع فى سماء العلاقة بين "چوسلسون" و "نابوكوف" عندما علم "چوسلسون" بأنه كان يخطط للقيام برحلة إلى موسكو" مع "ابراسيموف" لتأكيد مشاركة الفنانين السوفيت فى "مهرجان برلين". كتب إليه بحدة محاولا أن يثنيه عن القيام بالرحلة. وفى اللحظة الأخيرة أجهض "نابوكوف" الرحلة، لكنه طلب تفسيرا من "چوسلسون". كان التفسير متوقعا ولكنه جاء مبهما إلى أقصى درجة: "لم أكن للحظة واحدة قلقا على حياتك ولا على أية عواقب خاصة بعلاقتك بالمنظمة. صدقنى.. لقد كنت قلقا عليك شخصيا، وكنت أخشى أن تجد نفسك فى أى موقف حرج، ليس فى حينه ولكن ربما بعد عام أو اثنين من الآن. لا أريد أن أكتب عن ذلك، لكن.. تأكد أن ما فى ذهنى ليس شيئاً متوهم .. ولتضع فى اعتبارك أيضا أن لك أعداء كثيرن فى "برلين" ينتظرون الفرصة لطعنك بالسكاكين... فلمصلحتك الشخصية، من الأفضل أن تسحب الأرض من تحت أقدام أولئك الناس وأن تضع نهاية لثرثرتهم المؤذية"(٣٥). كان هناك ما هو أكثر من الضرر وراء اعتراضات "چوسلسون" على تحرك صديقه فى عمله الجديد: فقد أصبح "نابوكوف" مخاطرة أمنية. والآن كان "چوسلسون" يحذره: "يمكن أن تصبح، من حيث لا تدرى، أداة للسياسة السوفيتية فى ألمانيا، وقد قُمتَ فعلا بالخطوة الأولى فى هذا الاتجاه"(٣٦).

بعد هذه الرسالة بوقت قصير، فى مارس ١٩٦٤، نشأ موقف مقلق لدرجة بعيدة. ففى أثناء عملية تحقيق فى "الكونجرس" بخصوص الإعفاء الضريبى للمؤسسات الأمريكية الخاصة، والتى كان يقوم بها النائب "رايت پاتمان - Wright Patman" تسربت معلومات حددت أسماء عدد من تلك المؤسسات التى كانت مجرد واجهات تختفى الـ "CIA" وراءها. (كان عددها ثمانية، وعرفت باسم ثمانية "پاتمان") كانت تلك المؤسسات هى: "جوتام فونديشن - Gotham Foundation" و"متشجن فاند - Michigan Fund" و"پرايس فاند - Price Fund" و"أندرو هاميلتون فاند - "Andrew Hamilton Fund" و"بوردن ترست - "Borden Trust" و"بيكون فاند - "Beacon Fund" و"كنتفيلد فاند - Kentfield Fund." هذه المؤسسات اتضح أنها كانت مجرد "محطات بريدية" وليست أكثر من عنوان يتلقى أموال الـ "CIA" التى يمكن تحويلها بعد ذلك إلى

أى مكان آخر بشكل يبدو مشروعا. بعد تحويل المبالغ إلى المحطة البريدية، تتم "النقلة" أو "التمريرة" الثانية: المؤسسة الواجهة أو الوهمية تسهم فى مؤسسة شهيرة معروفة بنشاطها القانونى. هذه الإسهامات تسجلها المؤسسات الشهيرة فى حينها كموجودات، وذلك فى النموذج "990-A" مع ملف إدارة الإيرادات الداخلية الذى ينبغى أن تقدمه كل المؤسسات غير الربحية التى تتمتع بالإعفاء الضريبى. وهنا بالطبع، كان هذا الأسلوب أكثر عرضة لخطر اكتشافه. يقول "دونالد جيمسون - Donald Jamason" ربما لم تكن هناك وسيلة أخرى للقيام بذلك، لكن تلك المؤسسات كان المطلوب منها هو أن تحتفظ فى سجلاتها بكل الوثائق الضريبية وبكل ما يتعلق بها، بحيث عندما بدأ الناس فى كشفها، كان بالإمكان اللجوء إلى سجلات الضرائب ومقارنة كل الوثائق والربط بينها... وكان ذلك هو سوء الحظ بعينه"(٣٧).

وكانت "النقلة" الثالثة تتم عندما تقدم المؤسسة التى تعمل بشكل قانونى إسهامها إلى الجهة التى تحددها الـ "CIA". ويشرح "وليم هوبى - William Hobby" رئيس "هوستن پوست" وأحد أمناء "هوبى فونديشن" كيف كان يتم ذلك: "كان يقال لنا إننا سنتلقى إعانات معينة من الـ "CIA" ثم تصلنا رسالة من إحدى المنظمات ولنقل إن اسمها مثلا "XYZ"، تطلب فيها دعما. نقدم لها الدعم، لا نسأل عن أى شىء. كنا نعرف أن الـ "CIA" تعرف ما نقوم به"(٣٨).

ويوضح النموذج "990-A" الخاص بأربع مؤسسات عملية التمرير تلك، والمؤسسات هى "أم. دى. هوستن فاند" فى "هوستن" و "هوبلتزل فونديشن" فى "دالاس " و"ديفيد وجوزفين و وينفلد فونديشن فى "نيويورك"، و"جى. أم. كاپلاند فاند" فى "نيويورك". وهذه المؤسسات كلها كانت من "أصول وموجودات" الـ IOD - قسم المنظمات الدولية - فى الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤ تلقت "آندرسن فونديشن" ٦٥٠٠٠٠ دولار من الـ "CIA" عن طريق مؤسسات وهمية مثل "بوردن ترست" و"بيكون فاند"، وبعد ذلك قامت بصرف المبلغ نفسه لمؤسسة تسمى "صندوق دعم مؤسسة القضائيين الأحرار"، وفيما بعد كانت تعرف باسم "المجلس الأمريكى للجنة الدولية للقضائيين" كما تلقت "بايرد فونديشن " مبلغ ٤٥٦٨٠٠ دولار بين ١٩٦٠و١٩٦٤ عن طريق التمرير، ثم قامت بتوصيلها إلى برنامج للـ "CIA" فى الشرق الأوسط وأفريقيا. أما "كاپلاند فاند" التى عرفت بـ "المحسن الكبير" الذى تكفل بنفقات موسم "شيكسبير فى الحديقة" فى "نيويورك"، فقد قدمت ما يقرب من مليون دولار للمعهد الدولى للبحوث العمالية فى نيويورك، وكان المعهد يركز على مشروعات الـ "CIA" فى أمريكا اللاتينية بما فى ذلك "مشتل" للقيادات السياسية الديمقراطية يسمى "معهد

التربية السياسية" كان يديره "نورمان توماس - Norman Thomas و"خوسيه فيجيريس - Jose Figueres" في "كوستاريكا". كان التمويل يأتى من الـ "CIA" ويمرر إلى "كابلاند فاند" عن طريق قنوات معينة: (جونام - متشجن - اندروهاميلتون - بوردن - باريس - كنتفيلد) وهى ست قنوات من الثمانية التى فضحها تحقيق "باتمان". كان رئيس "مؤسسة كابلاند" ورئيس خزانتها فى الوقت نفسه هو "جاكوب إم. كابلاند" الذى يذكر أنه عرض خدماته على "آلان دالاس" فى عام ١٩٥٦، أما "مؤسسة هوبلتزل" فقد تلقت مبلغا مماثلا من الـ "CIA" بين عامى ١٩٥٩ و١٩٦٥، وقامت بتمرير معظمة (٤٣٠٧٠٠ دولار) إلى "منظمة الحرية الثقافية" مباشرة.

تسرب المعلومات الذى كشف عنه تحقيق "باتمان" أحدث ثغرة - وإن كانت محدودة - فى جدار غرفة التمويل السرى للـ"CIA". وإلى جانب المعلومات التى أصبحت متاحة للتفتيش فى إدارة الإيرادات الداخلية كانت قلة من الصحفيين قد استطاعت تجميع بعض أجزاء الموضوع. فى شهر سبتمبر ١٩٦٤ تساءلت مجلة "نيشن" اليسارية التى تصدر فى "نيويورك": هل ينبغى السماح للـ "CIA" بأن تمرر معونات لمجلات فى "لندن" و"نيويورك".. تصدر على أنها "مجلات رأى" وتنافس صحف الرأى المستقل؟ هل يصح أن تقدم المجلات المدعومة من الـ "CIA" مبالغ كبيرة عن قصائد مفردة لشعراء من أوروبا الشرقية وروسيا تشجيعا لهم على الانشقاق واللجوء السياسى، بواسطة ما يعتبر رشوة؟ هل هو عمل مشروع أو قانونى أن تمول الـ"CIA" بطريق غير مباشر، مؤتمرات واجتماعات وملتقيات وتجمعات مكرسة لـ "الحرية الثقافية" وغيرها من الموضوعات الأخرى المشابهة؟"(٣٩).

ويتذكر "كورد مايور" أن "القصة انتقلت إلى الصفحة الأخيرة من "نيويورك تيمز" وأثارت ضجة محدودة فى حينها بالرغم من أنها دفعتنا قلقين داخل الوكالة لأن نقوم بعملية مراجعة، وأن نحاول تحسين وتأمين عمليات التمويل"(٤٠). ويقول "لى وليمز": "كان من عادتنا أن نقوم بتدريبات عملية فى الوكالة ونسأل أنفسنا عما يمكن أن يحدث لو أنك نزعت الغطاء الخلفى للراديو وبدأت تنظر إلى كل تلك الأسلاك وإلى أين تؤدى. تعرف كيف يمكن أن يكون الأمر لو أن أحدنا ذهب إلى إدارة الإيرادات الداخلية وراجع أوراق إحدى المؤسسات التى تقدم دعما واكتشف عدم تطابق الأرقام. كان ذلك من الأشياء المقلقة عندما زادت الشائعات. تكلمنا فى ذلك وحاولنا أن نجد وسيلة لحماية الأفراد والمؤسسات الذين كان أ. ـهم على وشك الافتضاح"(٤١). لكن "هنت" و"چوسلسون"، وكانا فى "لندن" عندما تفجرت القصة - "چوسلسون" فى فندق "ستافورد" وهنت فى فندق "ديوك" - افتضح أمرهما فجأة. قالها "چوسلسون"

صريحة لـ "هنت": نحن فى ورطة".

كان "چوسلسون" مدركا للخطر قبل عملية "پاتمان" وكان الناس قد بدأوا "التلسين" فى حفلات الكوكتيل، إذ تقول "ديانا چوسلسون": "كان نصف المشكلة يكمن فى أن الناس فى "واشنطن" لم يستطيعوا أن يغلقوا أفواههم". كان "پول جودمان ـ Paul Goodman" قد ألح بشكل حاد إلى الحقيقة فى عام ١٩٦٢ عندما كتب فى مجلة "ديسنت ـ Dissent" يقول: إن "منظمة الحرية الثقافية" و"انكاونتر" من أدوات الـ"CIA" . وهناك قدر من الشك فى أن يكون "چوسلسون" قد تم إنذاره بعد عامين من عملية "پاتمان"، الأمر الذى يمكن أن يعلل رسالته الغامضة إلى "نابوكوف" فى شهر يونيو ١٩٦٤.

كان "چوسلسون" قلقا باستمرار ألا تكون عمليات تغطية نشاط المنظمة غير مُؤَمنة. وفى عام ١٩٦١ كان قد أقنع "كورد ماير" بضرورة إيجاد حصيلة من "الرعاة" الجدد. تقول "ديانا چوسلسون": "ردا على تخوفات مايكل والـ "CIA" فإنهم فكروا فى تنويع مصادر التمويل.. وحدث فعلا"(٤٢). وذهب "نابوكوف" إلى "نيويورك" فى فبراير ١٩٦١ ليتكلم مع أمناء المؤسسات والغريب أن أحداً لم يستجب له. ويبدو أن الرحلة كانت مجرد سحابة دخان لكى تجعل المنظمة وكأنها يبحث بنشاط، وعلنا، عن شركاء ماليين بينما كانت صفقات الغرف الخلفية تتم بين الـ "CIA" ومؤسسات أخرى. وفى عام ١٩٦٣ كان كشف حساب إيرادات المنظمة يتضمن مجموعة جديدة تماما من المؤسسات المانحة، كانت تلك المؤسسات هى: "كولت ـ Colt" و"فلورانس ـ Florence" و"لوسيوس إن. ليتاور ـ Lucius N. Littauer" و"شلتر روك ـ Shelter Rock" وكان المانح هو "دونالد سترالم ـ Donald Stralem" عضو مجلس إدارة مؤسسة فارفيلد ـ و"سونا بند ـ Sonnabend" و"سانن ـ Sunnen".

أما بالنسبة لمؤسسة "فارفيلد" فإن مصداقيتها كمؤسسة "مستقلة" كانت تضعف على نحو مضطرد. يقول "لوارنس دو نيقى": "كان من المفترض أن تكون غطاء.. لكنها كانت غطاء شفافا.. وكنا نسخر منها كلنا ونسميها مؤسسة "فارفتشد ـ Far-Fetched" بدلا من فارفيلد)، كنا نعرف كلنا من يقف وراءها. كان شيئا غريباً"(٤٣). كما كانت خسة وحقارة وبخل "چنكى فليشمان" الشخصية كأنها تؤكد الشائعات التى كانت منتشرة فى كل حفلات "واشنطن" و "نيويورك" بأنه لم يكن "الممول" الحقيقى لمنظمة الحرية الثقافية. بعد ذلك كان "نابوكوف" يقول لـ "چوسلسون" إن "چنكى" أبخل رجل غنى عرفته فى حياتى"(٤٤)، كما تتذكر "ناتاشا سپندر" أيضا أن "چنكى" كان مشهورا بالبخل، "كنا ذات يوم فى حفل عشاء فى

أحد فنادق "سينسيناتي" مع آخرين، وأخذنا منه "دايم" (عشر دولار) من أجل مكالمة تليفونية، وبينما نحن عائدون بالتاكسي قال لي "ستيفن": لابد من أن ترسلي إليه "الدايم" غدا صباحا". ظننته يمزح ولكنه لم يكن. وهكذا أرسلته إليه"(٤٥).

والآن، كان هناك اقتناع بأنه إذا كانت "مؤسسة فارفليد" ستقوم بدعم مشروعات أمريكية بشكل مستتر، فإن دور الـ "CIA" سيكون أقل ظهورا للعيان. وتقول "ديانا چوسلسون": "كانت "فارفيلد" تعمل في نشاطات أخرى لأنها كانت في حاجة إلى غطاء للمؤسسة في حال ما إذا تساءل أحد عما تقوم به"(٤٦). ويذكر تقرير "فارفيلد" عن الفترة من ١ يناير ١٩٦٠ إلى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ بعضا من مئات المنح التي قدمت خلال تلك المدة. كان من بين المتلقين: "المجلس الأمريكي للجمعيات العلمية" و"الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم" و"جمعية اللغة الحديثة" و"ورشة الراقصين" و"مهرجان عالمان" في "سپوليتو" في إيطاليا (مساهمات في النفقات العامة ومشاركات الطلاب الأمريكيين ونفقات الشاعر "تيد هيوز") و"معهد الدراسات المتقدمة في فنون المسرح" و"مسرح نيويورك الحي" و"معهد الموسيقى في نيويورك" و"اتحاد المجلات الأدبية الأمريكية" و"پارتيزان ريڤيو" (منحة لتغطية المصروفات) و"المعهد الدولي في مدريد" (منحة للحفاظ على المكتبات الشخصية لـ "لوركا" و"أورتيجا" و"فرناندو المالجرو). وتحت بند "السفر والدراسة" قدمت "فارفيلد" منحا دراسية للعشرات من بينهم "ماري مكارثي" (لإعداد انطولوچيا للكتابة الجديدة في أوروبا) والرسام الشيلي "ڤيكتور سانشيز أوجاز ـ Victor Sanchez Ojaz" والشاعر "ديريك والكوت ـ Derek Walcott" للسفر والتنقل في الولايات المتحدة و"پاتريشيا بليك ـ Patricia Blake" و"مرجريتا بيرـ نيومان: Margerita Buber- Neumann" و"ليونيل تريللنج ـ Lionel Trilling" لتغطية نفقات رحلة إلى پولندا وروما وأثينا وبرلين" و "ألفرد شيرمان ـ Alfred Sherman "الذي كان يكتب في "سپكتيتور ـ Spectator " (نفقات رحلة إلى كوبا).

أما المفارقة الساخرة فهي أن يكون اتساع مجال المنح التي كانت تقدمها "فارفيلد" هو الذي عرضها لانكشاف أمرها. في أعقاب ما أذاعته عملية "پاتمان"، لم يكن الأمر في حاجة إلى "كونان دويل" لاكتشاف الشخصية المدبرة التي تقف وراء المؤسسة. والمدهش أن لا أحد من الصحفيين على الإطلاق حاول أن يستقصي أو يتحرى الأمر". الـ "CIA" نظرت في أسلوب التمويل"، ولكن لدهشة اللجنة المختارة للتحقيق في الأمر، فإنها " لم تُعدْ النظر في إمكانية تعريض استقلالية المؤسسات الأمريكية المعنية للبحث، وذلك باستخدامها كأدوات لتوصيل التمويل لمشروعات العمل

السرى"(٤٧). وهو نفس الموقف الذى جعل "پاتمان" يسرب المعلومات التى اكتشفها فى المقام الأول. بعد ذلك كان رئيس "مجموعة العمل السرى والتقويم" يقول :"إن الدرس الحقيقى لـ "لطمة پاتمان" ليس هو أن نخرج من عملية استخدام المؤسسات كغطاء للتمويل، الدرس الحقيقى هو أننا محتاجون لأن نفعل ذلك بحرفية أكبر، وعلى نطاق أوسع"(٤٨).

كان هذا النوع من التفكير خطأ جسيما، كما ستوضح الأحداث التالية. "چوسلسون" لم يبد موافقته عليه بالتأكيد، كان يعرف أن أساليب التمويل السرية عرضة لأن تكتشف، وأنه كان يبحر بقارب مثقوب. تقول "ديانا چوسلسون": "كانت البحار تزداد هياجا والإبحار يزداد صعوبة.. إلا أنهم كانوا ما زالوا يبحرون.. ولكن فى حالة توقع للخطر"(٤٩). واعتباراً من أواخر ١٩٦٤ كان "چوسلسون" يحاول، بصعوبة بالغة - أن يوجه دفة "منظمة الحرية الثقافية" بعيدا عن المفاجآت المنتظرة وما يمكن أن تسببه من أضرار. فكر فى أن يغير الاسم. ومرة أخرى بحث إمكانية قطع الصلة المالية مع الـ "CIA" ليحل محلها بالكامل تمويل من "مؤسسة فورد". وقبل كل شيء كان قد حاول أن يوجه المنظمة بعيداً عن منظوره للحرب الباردة، وأن يخفض - إلى أدنى حد - إمكانية أن تكون أداة فى يد حكومة الولايات المتحدة فى الحرب الباردة. وفى شهر أكتوبر قال أمام اللجنة التنفيذية فى اجتماعها فى "لندن": "بكل صراحة، لا أريد أن أرى الحرب الباردة وقد أصبحت هى مبرر وجود المنظمة. لدى شعور -إلى حد ما- بأنها هى مبرر وجودها... وأصارحكم القول بأن ذلك لا يروق لى"(٥٠).

(٢٢)

أصدقاء القلم

نوع جديد من البشر، وصل إلى ذروة سعادته، لينهى الحرب الباردة التى حملها ضد من هم من لحمه ودمه.

ألن جنسبرج

(من يرفق بمن)

كان العام ١٩٦٤ عاما سيئا بالنسبة لمقاتلى الحرب الباردة. الأوهام التى اعتمدوا عليها كانت تتهاوى أمامهم باضطراد، أولا: صدر كتاب "الجاسوس العائد من الجليد". كتبه دبلوماسى صغير فى السفارة البريطانية فى "بون" فى خمسة أشهر، مستخدما الاسم المستعار "چون لوكاريه – **John Le Carré**" وبيع منه ٢٣٠٠٠٠ نسخة فى أمريكا، ثم مليونى نسخة من طبعة شعبية فى عام ١٩٦٥ بعد أن قدمته "پارامونت" فى شريط سينمائى. وأرجع "لوكاريه" أصول الرواية إلى "خيبة أمله الطويلة و غير المحتملة بخصوص المأزق الأيديولوچى بين الشرق والغرب". "ريتشارد هلمز– **Richard Helms**"، الذى كان مسئولا آنذاك عن عمليات الـ "**CIA**" السرية، لم يعجبه الكتاب. والآن، كان "لوكاريه" قد أصبح، مثل "جراهام جرين – **Graham Greene**"، نموذجا للمؤلف الذى تحب "الوكالة" أن تكرهه. (كانت رواية "جرين": "الأمريكى الهادئ" التى صدرت عام ١٩٥٥ قد أصابت مجتمع العمل السرى الأمريكى بالفزع). ويقول "فرانك ويزنر– **Frank Wisner**" عن "جرين" و"لوكاريه" إنهما كانا "نفس النسخة... النوع الحقود.. الناقم".

بعد ذلك جاء فيلم "ستانلى كوبريك – **Stanley Kubrick**" بعنوان "دكتور سترانچلوف" والذى كان بمثابة هجاء لجنون أيديولوچية الحرب الباردة. وفى رسالة نشرتها "نيويورك تيمز"، قال عنه "لويس ممفورد– **Lewis Mumford** " إنه أول بادرة تغير فى إغماءة الحرب الباردة التى كانت تقبض على بلدنا.. المريض هو بلدنا والمفترض أنه أخلاقى وديمقراطى، والذى سمح بصياغة وتنفيذ هذه السياسة دون أن يتظاهر حتى بعرضها للمناقشة(١).

ثم كان موت "سى. دى. چاكسون" فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٤، وهو أبرز مقاتلى

الحرب الباردة في أمريكا وأكثرهم تأثيرا، مات "چاكسون" في إحدى مستشفيات نيويورك. قبل ذلك بأيام، كان "ايزنهاور" قد طار من "جيتسبورج - پنسلفانيا" ليعود "سي.دي. چاكسون" الذى كان فى حالة مرضية حرجة. أما "أوركسترا بوسطن السيمفونى" المدين بشهرته لدعم "چاكسون" له فقد أقام حفلا تذكاريا له شارك فيه كل من "ڤيتيا ڤرونسكى - Vitya Vronsky" و"ڤيكتور بابن - Victor Babin " (كلاهما عازف منفرد) بتقديم مختارات من "موتسارت - Mozart" . وبعد ذلك أنشأت مدرسة الأوركسترا الصيفية "تانجلوود" منحاً وجوائز باسمه تخليدا لذكراه. كان عدد كبير من رعاة المنح والجوائز من خريجى تلك المدرسة الخاصة للحرب الباردة، والتى كان "سي. دى" يرأسها.

بحلول عام ١٩٦٤، كان أولئك الأشخاص قد أصبحوا مفارقة تاريخية تسير على قدمين، أعضاء فى نحلة أو شيعة منقرضة كان اختفاؤها - بالرغم من أنه لم يكن كاملا - يبدو مؤكدا بواسطة موجة من النفور والاحتجاج ضد القيم التى يمثلونها. كانوا مثل كثيرين: من "الطيور المتطايرة" - "Whibble Birds" ذلك المصطلح الذى اخترعه أحد مثقفى "نيويورك" لكائن خرافى "يطير إلى الداخل فى دوائر تضيق وتضيق إلى أن يطير ويدخل نفسه من فتحة شرجه... ويتلاشى تماما"(٢)، ومع صعود اليسار الجديد وحركة "البيتس - Beats"، دخل إلى المتن الثقافى الخارجون على قوانين الثقافة الذين كانوا يعيشون على هامش المجتمع الأمريكى حاملين معهم احتقارا شديدا لما كان يسميه "وليم باروز - William Burroughs" استبداد البيروقراط وأرباب العمل الاجتماعى والطب النفسى والاتحادات العمالية"(٣). وفى عمله الإبداعى "Catch - 22" كان "چوزيف هيللر - Joseph Heller" يرى أن ما تعتبره أمريكا صحة عقلية، ليس سوى الجنون الحقيقى. و"ألن جنسبرج - Allen Ginsberg" الذى نعى السنوات الضائعة فى قصيدته "عواء" فى عام ١٩٥٦ (رأيت أفضل العقول فى جيلى وقد دمرها الجنون) كان يدعو فى ذلك الآن إلى متع الشذوذ الجنسى وعزلة الهلوسة وتعاطى المخدرات. وبتناولهم لعقار الهلوسة "LSD"، وبالغناء والرقص المجنون وقراءة الشعر عراة، وبتوجيه العالم من خلال غشاوة "البنزدرين" والمخدرات، كان "البيتس" يستعيدون "وولت ويتمان - Walt Whitman" من بين الجثث الهامدة مثل "نورمان پيرسون هولمز - Norman Pearson Holmes" ويحتفون به كاول "هيپى". كانوا متمردين .. قذرين.. يحاولون إعادة الفوضى إلى النظام فى تعارض مع استحواذ فكرة الصيغة التى كانت تميز مجلات مثل "انكاونتر".

منزعجا غاية الانزعاج لهذه التطورات، كتب "سيدنى هوك" فى ٢٠ إبريل

١٩٦٤ إلى "چوسلسون": "فى أوروبا لديهم مسرح للعبث، وفى الوجودية فلسفة للعبث، أما فى أمريكا فإن أحدث تطور بين المثقفين هو "سياسة العبث"، وشعاراتها هى "تسقط أمريكا" و "أمريكا فاحت رائحتها الكريهة" و "عاش الجنس".. إلخ... إنه لشيء مثير حقا – "مايلر – Mailer"، "پدهورتز – Podhoretz" الخ، ولهم تلميذ جديد شديد الحماس – "مستر چاك طومسون – Mr. Jac Thomson" الذى أخشى ألا تكون فطنته أفضل من ذكائه"(٤). كان "طومسون" من الفطنة بمكان لكى يدرك أن الرأى قبل شجاعة الشجعان، وبقى فى مكانه كمدير تنفيذى لمؤسسة "فارفيلد".

شهد عام ١٩٦٤ أيضا أول عيد ميلاد لمجلة "نيويورك ريڤيو أوف بوكس New York Review of Books" بتوجيه من "چاسون ابيشتين" و"روبرت سيلڤرز" كان النجاح الفورى للمجلة إشارة واضحة على أن المثقفين الأمريكيين لم يكونوا كلهم سعداء بأن يكونوا بمثابة المصدقين على شرعية الحرب الباردة ويدورون فى فلك دولة الأمن القومى. ومع بدء تشظى الإجماع الحاكم، أعطت المجلة الإشارة لظهور فكر نقدى جديد، حيث كانت لديها الحرية لمناقشة قضايا تسكت عنها مجلات مثل "انكاونتر" المقيدة بنظام هناك إجماع عليه. وإذا كان الانطباع السائد آنذاك هو أن جميع مثقفى "نيويورك" قد حولوا أنفسهم، عن طريق السيمياء العكسية، من راديكاليين لامعين لكى يصبحوا مجرد معدن خسيس لـ "CIA" وبقية مؤسسة الحرب الباردة، فإن ذلك كان دليلا على العكس تماما. وفضلا عن كونهم مدافعين عن القوة الأمريكية، فقد كان أولئك مفكرون سارعوا نحو استعداد المجلة لشجب الإمپريالية كما كانت تشجب الشيوعية. ومما سبب رعبا كبيرا لـ "CIA" هو أنها أصبحت المنبر الرئيسى للمعارضة الثقافية لحرب ڤيتنام. ويتذكر "لى وليمز"، الذى كان أقل رضا عن الإجراءات التى اتخذت للتصدى للمجلة: " كان لدينا مشكلة كبيرة مع "الين" و "اليانج" فى جماعة "نيويورك ريڤيو"، وخاصة عندما أصبحت ضد ما يحدث فى ڤيتنام وأصبحت "يسارية" على ذلك النحو. ويضيف: "لم يكن موقف لكمة ولكمة مضادة"(٦).

لم يكن مايكل "چوسلسون" نفسه غير متقبل للروح الجديدة. وبالرغم من أنه كان يبذل جهدا كبيرا لإخفاء تحرره من وهم "الطرح الأمريكى" إلا أنه كان يعترف، بشكل غير معلن، بأنه فزع للشكل الذى اتخذه ذلك الطرح. بعد سنوات سيكتب: "...تجربة العمل "مع ومن أجل" "الجماعة" (قد أصبحت) صادمة بالفعل... فى الخمسينيات كانت الوعود التاريخية الأمريكية تعضد بواعثنا، فى النصف الثانى من الستينيات تآكلت قيمنا ومثلنا الفردية بتدخلنا فى ڤيتنام وبغير ذلك من سياسات الولايات المتحدة الخرقاء"(٧). فجوة الصواريخ المزعومة، رحلات "U-2" الفاشلة، خليج

الخنازير، أزمة الصواريخ الكوبية – كل هذه الحماقات الإمبراطورية أضعفت من ثقة "چوسلسون" ومن إيمانه بـ "القرن الأمريكى" وبالأجهزة الحكومية التى كان قد عهد إليها بتحقيقه. حتى "هارى ترومان" الذى كانت إدارته قد أنشأت الـ "CIA" فى عام ١٩٤٧، قال آنذاك إنه كان يرى "شيئا ما فى أسلوب أداء الـ "CIA" يلقى بغشاوة على الأوضاع التاريخية، وأشعر بأننا فى حاجة لأن نصحح ذلك"(٨). وفى فترة كانت قد بدأت تحتضن فكرة تخفيف حدة التوتر، والوفاق بين الكتلتين، بدأ "چوسلسون" أيضا يتطلع إلى إبعاد المنظمة عن تقاليد الحرب الباردة، ودفعه فى اتجاه حوار مع الشرق. ومن خلال علاقاته بـ"نادى القلم الدولى "PEN"، كان المنظمة متأهبا لذلك.

فى منتصف الستينيات، كان "نادى القلم الدولى" قد أصبح له ٧٦ فرعا فى ٥٥ دولة، كما اعترفت "اليونيسكو" رسميا بأنه المنظمة الأكثر تمثيلا للكتاب فى العالم. كان من واجبه كما هو محدد فى لائحته الوعد بتجنب التدخل فى "سياسة الدولة أو الحزب" تحت أى ظرف. كان ذلك الرفض للخضوع للانحياز أو الموالاة، بالإضافة إلى دفاع صلب عن حرية التعبير، كان ذلك وراء اتساع مجال عمل "PEN" فى سنوات الحرب الباردة. لكن الحقيقة هى أن الـ "CIA" بذلت كل ما تستطيع من جهد لتحويل "PEN" إلى منبر لخدمة مصالح الحكومة الأمريكية، وكان "مؤتمر الحرية الثقافية" هو الأداة المحددة لذلك.

كانت المنظمة تولى اهتماما كبيرا لـ "نادى القلم الدولى" منذ وقت طويل، بالرغم من قول "آرثر كويستلر" إن من يديرونه كانوا "جماعة من التافهين" الذين يقلقهم أن تكون الحملة من أجل الحرية الثقافية "تعنى زيادة الحرب الباردة اشتعالا"(٩). فى البداية، كانت جهود المنظمة موجهة نحو إبعاد مندوبى الكتلة الشرقية عن "PEN" خوفا من أن يخترقه الشيوعيون ويؤثروا على مناقشاته. وفى عام ١٩٥٦ كتب "نابوكوف" إلى "ريتشارد كروسمان – Richard Crossman" نحن مستعدون للحوار مع الكتاب الروس، مع الفنانين الروس، مع العلماء الروس. لكننا لا نريد أن نلتقى ولا أن نتكلم مع موظفين أو مسئولين سوفيت رسميين بدلا منهم.. ولسوء الحظ فإننا نجد أنفسنا دائما فى مواجهة ذلك النمط السوفيتى البيروقراطى صاحب العقلية البوليسية (نظرة جافة، أكتاف مفرودة، والبدلة الزرقاء المصنوعة من الصوف الخشن ذات البنطلون الفضفاض) الذى نريد أن نتجنبه"(١٠). وفى محاولة للتخلص من أولئك المحتالين الذين ينتحلون شخصيات غيرهم، أقامت المنظمة صلة ناجحة بـ "ديڤيد كارڤر – David Carver" سكرتير "PEN". وعندما وصلت إلى "چوسلسون" أخبار فى عام ١٩٥٦ تفيد أن الشيوعيين كانوا يخططون للقيام "بضغط قوى" فى "مؤتمر

نادى القلم الدولى" فى اليابان فى العام التالى، تمكن "چوسلسون" من أن يقنع "كارڤر" بسهولة "بأن تكون" بطارية القيادة " جاهزة للمعارضة. (وهم: "سيلونى – Si-lone" و"كوستلر – Koestler" و"سپندر – Spender" و"ميلوش Milosz"إلخ). "چون هنت – John "Hunt نفسه، والذى كان عضوا فى "نادى القلم الدولى" (انضم فى عام ١٩٥٦ بعد أن نشر روايته الأولى "أجيال من الرجال")، كانت بينه وبين "ديڤيد كارڤر" "علاقة صداقة"، وكان "كارڤر" وكيلا لمجلة "انكاونتر" –بشكل غير رسمى– ويقوم بتوزيع نسخ منها فى اجتماعات النادى. فى عام ١٩٦٤ ، وجد "هنت" أن العبء كان كبيرا على "كارڤر"، وأنه كان يحتاج إلى مساعدة. وهكذا ارتأت "المنظمة" أن تكون المساعدة فى شخص "كيث بوتسفورد– Keith Botsford"، الذى كان قد أضاع بعض الوقت ينتظر سدى فى أمريكا الجنوبية بعد "مقلب" "لويل – Lowell"، قبل أن يعود إلى الولايات المتحدة ليشارك "صول بيلو – Saul Bellow "رئاسة تحرير المجلة الأدبية "The Noble Savage" أو"الهمجى النبيل". والآن، ها هو ذا مرة أخرى هناك لكى يساعد صديقه "هنت"، وقد ظهر فى الوقت المناسب فى مكتب "PEN" فى "لندن" فى خريف ١٩٦٤. ويقول أحد النشطاء فى نادى القلم الدولى: "لم يدر بفكرى أبدا أن استغرب ظهور"بوتسفورد" هكذا فجأة، لكننى أفكر الآن فى ذلك . كان شيئا غريبا إلى حد ما"(١١).

كان القسم الفرنسى فى "PEN" يشعر بالغيظ الشديد عندما علم بتعيين "بوتسفورد"، وكتبوا إلى "كارڤر" يطلبون تفسيرا لذلك. ودفاعا عن هذا الاختيار قال "كارڤر" إنه كان قد عمل مع "بوتسفورد" لفترة ما، وفى ظل توافق تام وتعاون وثيق .... ومنصبه (يقصد منصب "بوتسفورد") بسيط وليس به أية تعقيدات. وقد عينته اللجنة التنفيذية الإنجليزية مساعدا ونائبا لى، وحيث إننى أجمع بين وظيفتى السكرتير العام للمركز الإنجليزى والسكرتارية الدولية، فمن الطبيعى أن أتوقع أن يساعدنى فى هذا المجال الواسع لعملى"(١٢). كان للفرنسيين أسبابهم الوجيهة للقلق. الشكوك بخصوص طبيعة صلات "بوتسفورد" بمنظمة الحرية الثقافية، وبخصوص علاقات هذه المنظمة، وبالتالى بالحكومة الأمريكية... كل ذلك جعلهم يخشون أن يكون الأمريكيون يحاولون الاستيلاء على "PEN". وكانوا محقين فى ذلك.

كان "كيث بوتسفورد" هو الذى اتصل تليفونيا بـ "آرثر ميلر – Arthur Miller" فى ١٩٦٥ ليقول له إنه يريد أن يذهب للقائه ومعه "ديڤيد كارڤر" . "ميللر"، الذى كان فى "پاريس" فى ذلك الوقت، كان يعرف "بوتسفورد" إلى حد ما من مجلة "الهمجى النبيل" (نوبل ساڤدچ) التى كان قد نشر فيها قصتين قصيرتين. ويتذكر "ميللر": وكان

آنذاك يقول أشياء عن "PEN" لم أتبينها جيدا". في اليوم التالي وصل "بوتسفورد" إلى "باريس" مع "ديفيد كارفر"، الذى دعا "ميللر" ليكون الرئيس القادم لـ"PEN". وبعد ذلك كتب "ميللر": "والواضح أنهم بذلك كانوا قد وصلوا إلى نهاية الخيط. كانت سياسة التهدئة الحديثة تستدعى محاولات جديدة لإظهار التسامح مع الاختلافات بين الشرق والغرب وتحملها بصدر رحب، وهو الأمر الذى لم يكن "PEN" قد اكتسب خبرة كافية للقيام به. كان المطلوب هو بداية جديدة، وكانت تلك البداية هى أنا"(١٣). ولكن - كما يقول "ميللر" - "كانت لدى شكوك بأنه يجرى استخدامى، وبدأت أتساءل بينى وبين نفسى ما إذا كانت وزارة خارجيتنا أو الـ "CIA" أو يد بريطانية مشابهة تقوم بإعداد هذه الطبخة الجديدة. قررت أن أطردهما. كان "PEN" يقف عقبة فى طريق مواقف الحرب الباردة المعادية للسوفيت. لكن... ومثل كل الحكومات الغربية فى ذلك الوقت، كان يحاول الآن أن يهتم وأن يعترف بأوروبا الشرقية كمجموعة من المجتمعات المستقرة لابد من أن يسمح لكتابها بالاتصال بالغرب". وقد قال "ميللر" لأحد المؤرخين: "جاء فى ذهنى - أن تكون الحكومة ربما كانت تريدنى أن أصبح رئيسا لنادى القلم الدولى "PEN"، لأنهم لم يكن لديهم وسيلة أخرى لاختراق الاتحاد السوفيتى، وربما تصوروا أن الذين سوف يسيرون ورائى يمكن أن يكونوا من رجالهم. لا أظن أنهم كانوا يتوقعون منى أن أفعل ذلك. أحد الأوائل الذين اتصلوا بى بخصوص -"PEN" لا أتذكر اسمه الآن - سيقول عنه الناس بعد ذلك إنه كان عميلا طوال الوقت، ولكننى الآن ليس لدى أى دليل على ذلك. كانت مجرد ثرثرة. كان الأمريكيون يريدون رئيسا أمريكيا لـ "PEN"، وكانوا على وشك أن ينجحوا فى ذلك. كان "كارفر" فى الواقع "يحاول جاهدا أن يأتى بـ"جون شتاينبك - John Steinbeck" الحائز على نوبل للآداب فى ١٩٦٢)، لكنه لم يفلح، وكان "آرثر ميللر" هو الاختيار الثانى. أما بالنسبة للفرنسيين، فكلا المرشحين لم يكن مناسبا. كانوا يريدون إبعاد الأمريكيين بأى ثمن. وبمجرد أن عرفوا بنية "كارفر" لأن يجد مرشحا أمريكيا، تقدم فرع "PEN" فى باريس بأحد رجالهم وهو الروائى الأمريكى اللاتينى الكبير، وعضو "PEN" المكتب الرئيس): "ميجويل انجل استورياس - Miguel Angel Asturias". كان "چوسلسون" يشير إليه بامتعاض: "فرس الحرب العجوز.. ذلك النيكاراجوى.. استورياس"(١٥). وكتب بشكل عاجل إلى "مانيه سپيربر - Manés Sperber"، الذى كان يعيش فى باريس آنذاك، يحثه على أن يلجأ إلى "اندريه مالرو - André Malraux" وزير ثقافة "ديجول" وصديق "منظمة الحرية الثقافية" القديم لكى يحول دون ترشيح "استورياس". كان "سپيربر" مترددا، فكتب يقول إن وزارة الثقافة لا علاقة لها بـ "نادى القلم الدولى" لأنه منظمة مستقلة. لكن "چوسلسون" كان مصمما، فقال له إن الكرامة

الفرنسية نفسها معرضة للخطر، ولابد من أن يكون للحكومة موقفا من ذلك. وزعم "چوسلسون" أنه "إذا تم انتخاب "استورياس"، فستكون كارثة"، كما أن ذلك سيكون مؤشرا على "نهاية صديقنا كارڤر"(١٦).

أما "كارڤر" الذى كان يحظى بدعم كامل من أصدقائه الأمريكيين، فقد واصل دفع مرشحه، وكتب رسالة مفتوحة من "٨" صفحات موجهة إلى أعضاء "نادى القلم الدولى" – "PEN" فى إبريل يتحدى فيها شرعية المرشح الفرنسى ويتهم الفرع الفرنسى بتزييف الحقائق، ويصف "استورياس" بأنه شخص لا يحمل أية مؤهلات مطلوبة لمنصب الرئيس. وبعد أن تلقى "لويس جالانتييه– Lewis Galantiere"، وهو أحد مقاتلى الحرب الباردة، وعضو اللجنة التنفيذية بالفرع الأمريكى لـ "نادى القلم الدولى"، بعد أن تلقى نسخة من رسالة "كارڤر"، قام بتحذير زملاءه وتنبيههم إلى أن "الهجوم الفرنسى لا يستهدف إفشال عملية انتخاب المرشح الأمريكى فقط، وإنما يستهدف أيضا الاستيلاء على السكرتارية العامة للمركز الرئيسى... وأنا أعتبر التحرك الفرنسى مثالا آخر على الصلف الحقير الذى يتملك الفرنسيين الرسميين "لأننى لا أشك فى أن ذلك يحظى بموافقة من مقر الخارجية الفرنسية – Quai d'Orsay"(١٧).

كانت اللجنة التنفيذية للفرع الأمريكى تضم أصدقاء كثيرين لمنظمة الحرية الثقافية غير "جالانتييه – Galantiere". كان اسم أحدهم بارزاً على نحو خاص على الأوراق الرسمية الخاصة بالفرع، وهو "روبى ماكولى– Robie Macauley" وبوجود "ماكولى" كانت الـ "CIA" تستطيع أن تقول إن لها رجلا يتمتع بسلطة تنفيذية فى الفرع الأمريكى. وكان ذلك يعنى أنه عندما قرر "كورد مايور" أن يرسله إلى "لندن" كضابط حقيبة لـ "IOD" قسم المنظمات الدولية – لدى "نادى القلم الدولى"، فإن اهتمامه بنشاطاته هناك سوف يبدو طبيعيا تماما. ولكى يتأكد من أن ذلك الغطاء كان محكما، فإن "ماكولى" كان زميلا لـ "ججنهايم – Guggenheim" و"زميلا لمركز أبحاث فولبرايت". وهكذا بوجود "بوتسفورد" و"ماكولى" فى "لندن"، ووجود "كارڤر" كجهة تلقى للدعم الذى يقدم للمنظمة (وبشكل أكثر وضوحا لدعم "فارفيلد"، استطاعت الـ "CIA" أن تحقق اختراقا ممتازا "لنادى القلم الدولى"). ووسط ضباب المعركة على منصب الرئيس، استطاع "كارڤر" و"بوتسفورد" أن يضعا خططا لمؤتمر "نادى القلم الدولى" الكبير القادم، والذى كان مقررا له أن يعقد فى "بلد – Bled" فى يوغوسلافيا، فى الأسبوع الأول من يوليو , ١٩٦٥ ووافق "چون هنت" على تمويل مجموعة من الكتاب لحضور المنظمة، كما صدرت تعليمات لـ "كينيث دونالدسون"

"مراقب عام الحسابات" التابع لـ "CIA" ومقره "لندن" بأن ينظم عملية "الدفع" لنادى القلم من حساب "منظمة الحرية الثقافية". وكان "چون هنت" هو الذى وضع قائمة الأسماء المقترحة للذهاب إلى المؤتمر بنفسه، مع نص شرطى صارم: "إذا كان أحد المرشحين لا يستطيع أن يذهب، فلابد من أن تحصل سكرتارية "نادى القلم الدولى" على موافقة المنظمة فى "باريس" على استخدام الدعم لإرسال شخص بديل(١٨). كانت قائمة "هنت" تضم: "ديڤيد روسيت – David Rosset" و"هيلموت چايسرتش – Helmut Jaesrich" الذى خلف "لاسكى" رئيسا لتحرير "ديرمونات") و"ماكس هايوارد – Max Hayward" و"سپندر – Spender" و"شيارومونتى – Chiaromonte" و"سيلونى – Silone". وباستخدام منحة أخرى منفصلة قدمتها "مؤسسة فارفيلد" تم تغطية نفقات سفر كل من "كارلوس فوينتس – Carlos Fuentes" و"وولى شوينكا – Wole Soyinka" (١٩). وقاموا مع غيرهم من الموفدين بانتخاب "آرثر ميللر" رئيسا جديدا لنادى القلم الدولى.

وبعد أن حقق " چون هنت" انتصارا فى مؤتمر النادى فى "بلد"، بدأ يعد لمؤتمر النادى القادم فى "نيويورك" فى شهر "يوليو" التالى. وستكون تلك هى المرة الأولى على مدى اثنين وأربعين عاما، التى يستضيف فيها الفرع الأمريكى مؤتمرا "لنادى القلم الدولى". مع هذه الظروف المواتية، قررت الـ "CIA" أن تستخدم القوة الكاملة فى ترسانتها للعمل السرى. كان على "منظمة الحرية الثقافية" أن تقوم بدور مهم (كانت قد قدمت ١٠٠٠ جنيه استرلينى لـ "كارڤر" فى يونيو ١٩٥٦ ليبدأ فى تنظيم" حملة "نيويورك التى تم تدقيق تفاصيلها مع "هنت" على الغداء فى مطعم "شانتيريل – Chanterelle "فى "برومتون رود – Brompton Road) وتدخلت "مؤسسة فورد" فى الوقت المناسب، وقدمت للفرع الأمريكى من نادى القلم الدولى منحة سخية (٧٥٠٠٠ دولار) فى يناير ١٩٦٦، كما دفعت "مؤسسة روكفلر" مبلغا إضافيا (٢٥٠٠٠دولار). كذلك مررت الـ "CIA" مبالغ مالية إلى الفرع الأمريكى عن طريق "آسيا فونديشن" ولجنة أوروبا الحرة". مع توفر هذه الاستثمارات كتب "چون هنت" إلى "ديڤيد كارڤر" فى ٩ فبراير ١٩٦٦ يقول إنه يرى أنه من الحكمة أن يحاول تقييد مسئوليتها القانونية"(٢٠).

ولتأمين ذلك، كان اقتراح "هنت" بأن توضع منسقة ندوات منظمة الحرية الثقافية "ماريون بيبر – Marion Bieber" إما فى مكتب "كارڤر" أو فى "نيويورك" لمدة ثلاثة أسابيع قبل وأثناء مؤتمر "PEN" وعلى نفقة منظمة الحرية الثقافية. "بيبر" التى كانت تعرف لغات مختلفة، والتى كانت تعمل فى "معهد التاريخ المعاصر" فى "لندن"

كانت ضليعة فى القيام بمثل تلك الحملات منذ عملها فى الخمسينيات كنائب للسكرتير التنفيذى لمنظمة الحرية الثقافية. وبوضع شخص بمثل هذا "المستوى المتميز" فى قلب الفرع الإنجليزى أو الأمريكى "لنادى القلم الدولى"، يمكن أن يثق "هنت" من أن مصالحه ستكون محمية ومصانة.

فى الوقت نفسه كتب "هنت" إلى "لويس جالانتييه" الذى كان رئيسا للفرع الأمريكى من "PEN" آنذاك، ليعرض عليه عرضا مماثلا: فمن أفضل من "روبى ماكولى - Robie Macauley" الذى كان قد عاد حديثا إلى "واشنطن"، والذى كان غطاؤه كمحرر لمجلة "كينيون ريفيو" المحترمة يعنى أنه فوق أى شك! وضع "ماكولى" تحت تصرف الفرع الأمريكى "لنادى القلم الدولى" كموظف يؤدى "أى خدمة" ولتسوية "أية مشكلة"(٢١). بالإضافة إلى ذلك، فقد وافق "هنت" على تحمل نفقات سفر المثقفين الغربيين البارزين (الذين يختارهم) لحضور المنظمة.

عُقِدَ مؤتمر "نادى القلم الدولى" الرابع والثلاثين فى الفترة من١٢ إلى ١٨ يونيو ١٩٦٦. وهنأ منظموه - العلنيون والسريون - أنفسهم لأن شرف استضافة المؤتمر كان يعنى أن "وصمة" فى سجل الولايات المتحدة قد أزيلت. ويصف تقرير عن المؤتمر - مع شعور بالبهجة - كيف أن "رفعة شأن الولايات المتحدة كضابط لسرعة الحضارة المعاصرة قد تأكدت بالنجاح فى عقد المؤتمر فى نيويورك". كان المنظمة يدور حول محور "الكاتب.. روحا مستقلة" وكان التركيز" على دور الكاتب فى المجتمع وهمومه ككاتب شيئا رفع من شأن بلادنا"(٢٢).

بيد أنه لم يكن هناك إجماع بين المراقبين على مثل ذلك الاستنتاج. فى محاضرة فى جامعة "نيويورك" ليلة افتتاح "مؤتمر نادى القلم"، وجه "كونور كروز أوبراين Conor Cruise O' Brien" ضربة جانبية لفكرة الاستقلال الثقافى. قال: "دكتور- چيكل" أو الموضوع العام للمؤتمر "الكاتب روحا مستقلة"... فى خطر لأن يتحول إلى "مستر هايد": "الكاتب كشخصية عامة". بينما كان يمكن اتهام الكتاب فى الماضى بأنهم "غرباء عن العواطف السياسية" (چوليان بندا - "Julien Benda"، فإنهم أصبحوا الآن عرضة لأن تغويهم أو أن تنسدهم")(٢٣). وراح "أوبراين" يلخص مقالا كان قد نشر حديثا فى "انكاونتر" يمتدح فيه "دينيس بروجان - Denis Brogan" المجلة لنضالها ضد "خيانة المثقفين"، العبارة "التى استخدمها "بندا - Benda " ليهاجم الكتاب الموهوبين الذين جعلوا من أنفسهم ناطقين رسميين وموظفى دعاية للقضايا السياسية. كان ذلك صدمة بالنسبة لـ "أوبراين" وتضليلا من مجلة "تليق ببنية السلطة السائدة". وبعيدا عن كونها مستسلمة أو فى حالة استرخاء سياسى، كان

"اوبراين" يرى أيضا أن "انكاونتر" تتبع خطا سياسيا بشكل منتظم، عنصره الأساسي هو "غرس توجهات في بريطانيا مؤيدة للسياسات والممارسات الأمريكية وراضية عنها"(٢٤). ونقلت "نيويورك تيمز" مزاعم "أوبراين" التي خيمت على مؤتمر "نادى القلم الدولي"، وأعطت إشارة البداية.. بداية نهاية "منظمة الحرية الثقافية".

(٢٣)

خليج الخنازير..

تذكر هيئة ماركس - السياسيون البرجوازيون فى الأربعينيات بعد عام ١٩٤٨ - الذين كان كل منهم يتعلق بسترة الشخص الذى يقف أمامه... ويحاول أن يركل من يتعلق بذيل سترته؟ حسن! كثير من ذيول السترات سوف يتمزق فى الأيام القادمة... ويساورنى القلق والخوف من أن تتسبب عملية تمزق ذيول السترات فى إصابة خصية أو خصيتين...

"جيمس فاريل"

الاتهام الذى وجهه "كونور كروز أوبراين- Conor Cruise O' Brien" بأن المثقفين الغربيين كانوا يخدمون "بنية السلطة"، كان لطمة قوية فى وقت كان الجنود الأمريكيون يموتون فيه فى ڤيتنام. كانت رائحة عفنة تنتشر فى الجو، ووجد عدد كبير من الشيوعيين المحترفين الملتفين حول "منظمة الحرية الثقافة" أنفسهم لا يستطيعون "الإفلات من الفخ الذى نصبته لهم الأفكار التى كانوا مقتنعين بها"(١). وباعتبارهم الرعاة الأمناء للقرن الأمريكى، فإنهم كانوا يعتقدون- مثل الكاتب الصحفى المحافظ "چوزيف ألسوپ - Joseph Alsop" أن حرب ڤيتنام "كانت هى الامتداد المنطقى والسليم لرؤية ومصير أمريكا بعد الحرب"(٢). كان "چاسون ايپشتين- Jason Ep-stein" يزعم "... تأتى ڤيتنام، وتصبح معاداتنا للستالينية معتادة على تبريرعدواننا. أولئك الناس يصبحون فى ترابط حقيقى الآن، لقد ضبطوا متلبسين: لابد لهم من أن يدافعوا عن ڤيتنام لأنهم التزموا بالخط المعادى للشيوعية طويلا، وإلا فإنهم يكونون معرضين لأن يخسروا كل شىء. لقد ساعدوا على أن تكون ڤيتنام ممكنة، وعلى أن تكون سياستنا مع الصين ممكنة، لقد ساعدوا على أن يجعلوا المعاداة الوحشية للستالينية مجسدة فى أشخاص مثل "مكارثى"، لقد أسهموا فى كساد الثقافة الفكرية فى هذا البلد"(٣).

هذا الاستنتاج نفسه، هو الذى يصل اليه "روبرت ميرى - Robert Merry" كاتب سيرة "الإخوة ألسوپ"، والذى يقول: "بعد سنوات، سيكون من المتعارف عليه أن

ننظر إلى الحرب كانحراف فى السياسة وكمأساة قومية، كان بالإمكان تجنبها لو أن القادة الأمريكيين كانت لديهم الرؤية الواضحة لتجنب الالتزام تماما. لكن ذلك سوف يتجاهل الحقيقة المركزية لتدخل أمريكا فى ڤيتنام، وأنه جاء امتدادا طبيعيا- وربما حتميا- للسياسة الأمريكية الكونية التى أرسيت فى فجر مرحلة ما بعد الحرب"(٤).

كتب السيناتور "وليم فولبرايت - William Fulbright" الذى تحول فى رحلة غير عادية من مفكر للحرب الباردة إلى معارض مخالف يجاهر علنا باستنكارها، كتب يقول: هناك، بدون مبالغة، ضباب عفن فى المدينة. لا أجد الكلمات التى يمكن أن أصف بها غباء ما نفعله"(٥). حمل "فولبرايت" حملة شعواء على "السلام الأمريكى - pax Americana" وعلى لا منطقية السياسة الخارجية، وقاد هجوم اليسار الجديد- الذى لم ينتم إليه قط- ضد ما كان يرى أنه إذعان غير ممحص فى السلطة الأمريكية، "لم يكن هناك سوى قلة من الأصوات المعزولة فى الفرع التنفيذى لحكومتنا أو فى "الكونجرس"، ارتفعت لتشير إلى احتمال أن تكون السياسة السوڤيتية فى أوروبا مدفوعة بالخوف على أمن الاتحاد السوڤيتى، أكثر مما هى بالتفكير فى السيطرة على العالم. وفى واقع الأمر، لم يكن أحد فى موقع السلطة على استعداد لقبول الافتراض بأن الشراسة السوڤيتية تعكس ضعفا أكثر منه قوة، زادت منه ذكريات عام ١٩١٩ عندما تدخلت القوى الغربية فى محاولة لخنق الوحش البلشڤيكى فى مهده، بالرغم من أنها لم تكن محاولة جادة. لقد شكلت سياستنا الخاصة دون الإفادة من الأحداث المناوئة(٦).

وبنفس الدرجة من الاقتناع، كان "نورمان مايلر - Norman Mailer" يقول إن حرب أمريكا فى "ڤيتنام": "هى ذروة تتابع طويل من الأحداث التى بدأت بشكل غير مسبوق قرب نهاية الحرب العالمية الثانية. كان هناك إجماع بين الكبار ومتوسطى العمر من "الواسپ - WASP" فى أمريكا - رجال دولة وموظفون وجنرالات وأدميرالات وصحفيون ومشرعون - على أن الشيوعية هى العدو اللدود للثقافة المسيحية، وأنه إذا لم تتم مكافحتها فى عالم ما بعد الحرب، فإن المسيحية نفسها سوف تفنى"(٧).

وبالمغايرة مع هذه الخلفية من الشقاق النقدى، كان أن بدأت "نيويورك تيمز" اهتماما بما هو مخبأ فى الدهاليز المظلمة للحكومة الأمريكية. ففى إبريل ١٩٦٦، كانت دهشة القراء كبيرة بسبب ما كشفت عنه من أسرار الـ "CIA". جاء فى أحد المقالات: "تشعب وتغلغل أنشطة الـ "CIA" فى الداخل والخارج يبدو بلا نهاية.. بالرغم من أن الأقمار الصناعية والإلكترونات والوسائل الأخرى قد أصبحت تقوم بمعظم

أعمال التجسس، إلا أنه يظل هناك تورط عميق من البشر الذين يضعون الوكالة فى مواقف دبلوماسية حرجة بإثارة كثير من القضايا المتعلقة بالسياسة والقيم الأخلاقية. وهذا هو سبب اقتناع عدد كبير من الناس بأن وحشا مثل وحش "فرانكشتاين" قد تم صنعه فى الـ "CIA" وأن أحدا لا يستطيع السيطرة عليه تماما. هل يمكن أن تعتمد حكومة شعب معتز بنفسه وشريف- إلى حد كبير- على العمليات "السوداء" و"الحيل القذرة" والأعمال العنيفة والخرقاء فى "دروب العالم الخلفية"؟ هل هناك نقطة يمكن عندها أن تواجه النار بالنار والقوة بالقوة والتخريب بالتخريب والجريمة بالجريمة، ويكون ذلك هو السائد والمقبول لدرجة ألا يبقى هناك أى تمييز بين الشرف والكبرياء وبين ما هو عكس ذلك؟ هذه التساؤلات وغيرها تمثل هما وقلقا لشعب الولايات المتحدة"(٨).

وفى ٢٧ إبريل ١٩٦٦، كرر مقال أخر ادعاءات "كونور كروز أوبراين" - التى أصبحت معروفة بشكل عام - بأن مجلة "انكاونتر" كانت تتلقى دعما من الـ "CIA". كان يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد لولا خطوة "لاسكى" المتهورة التى تلت ذلك. فقد نشر "مقالا بقلم "جورونوى ريز - Goronwy Rees"، وهو شخص وصف فيما بعد بأنه "صياد - سخيف وسيئ السمعة - فى مياه الحرب الباردة"(٩)، وبدلا من تفنيد اتهامات "أوبراين" ضد "انكاونتر" ورصدها، فإنه شهر به وشكك فى سلوكه عندما كان مندوبا للأمم المتحدة فى "الكونغو" قبل سنوات قليلة. وعلى الفور رفع "أوبراين" قضية سب وقذف ضد مجلة "انكاونتر". ولأن "لاسكى" لم يكن موجودا (كان فى رحلة إلى أمريكا الجنوبية)، ولأن "سپندر" كان فى الولايات المتحدة، فلم يكن هناك سوى "فرانك كيرمود- Frank Kermode" من "انكاونتر" لكى يواجه العاصفة. (كان "كيرمود" محررا مساعداً ولم يكن مقال "ريز -Rees" قد عرض عليه قبل النشر).

فى شهر مايو من العام السابق، كان "سپندر" قد كتب إلى "چوسلسون" يخبره بأنه قد عين مستشارا للشعر فى "مكتبة الكونجرس"، وهو المنصب الذى يعادل "شاعر البلاط" فى بريطانيا. كان من بين الذين سبقوه فى هذا المنصب "فروست - Frost" و"لويل - Lowell" ولكن "سپندر" كان أول شاعر غير أمريكى يحظى بهذا الشرف. فى البداية هاج "چوسلسون" وماج، وكتب إلى "ماجردج Muggeridge "يقول إن "سپندر" "لم يستطع أن يقاوم نداء أول غواية"(١٠). وتم الاتفاق على أن يتنازل عن راتبه الذى يتقاضاه من "انكاونتر" فى عام غيابه. لكن "چوسلسون" الذى كان حريصا على أن يحتفظ ببعض السيطرة المالية على "سپندر" قام بإجراء ما "من أجل

الاستمرار في رعايته بسخاء"[١١]. وقال لـ "ماجردج": إن ذلك كان أمرا "سريا للغاية". في الوقت نفسه، كان "سپندر" يرى أن "كيرمود" هو البديل المناسب له في فترة غيابه على الأقل.

كان "لاسكى" سعيدا بذلك التطور. كانت علاقته بـ "سپندر" دائما متوترة وبدت الآن على وشك التحسن. (كان من عادته أن يدعوه بـ "ستيـ.. فن.."، ربما تأنيبا للشاعر الذى لم يكن يكتب اسمه بحرف الـ "V" مثل الأمريكيين، حسب رواية كيرمود). كتب "لاسكى" يشكو إلى "چوسلسون": "بقدر ما كانت تلك السنوات الماضية جيدة ومليئة بالعمل وبنجاحات غير قليلة، إلا أن أسوأ ما فيها كان هو "ستفين" في المكتب المجاور، كم كانت تسعدنى أية بادرة لغيابه! وكم كانت الأمور تمضى هادئة آنذاك. في الماضى (في العام السابق، وقبل خمس سنوات) كنت استهين بفكرة إيجاد بديل. لكننى أغرق أحيانا في تأمل مرعب، كيف ستكون حياتى معه في السنوات القادمة. أن أكون مضطرا للحياة مع هذا الإزعاج الذى يسببه ضميره، الذى يعانى من الشعور بالذنب بشكل يومى، والذى يحقق أقصى مجد بأقل جهد. فهو لا يقوم بأى عمل سوى كتبه ومسرحياته وأشعاره ومقالاته ومراجعاته النقدية و أحاديثه الإذاعية... والاضطرار للعيش مع ذلك كله يجعلنى في حالة يأس. لا يهم أبدا أن أقوم أنا بكل شيء، بل إننى أحب ذلك. لكن ما يهمنى وما يشغلنى باستمرار هو ذلك الشعور بالغش... هل يستحق كل ذلك؟ هل علينا أن نعيش دائما في ظل نفاقه وعدم إخلاصه وشخصيته الشاذة؟"[١٢] وفي النهاية أصبح "چوسلسون" مقتنعا بوجهه نظر "لاسكى" وبأنه " كلما طال وقت بقاء "سپندر" في "لندن"، فإن فرص الصدام في "انكاونتر" تتزايد، وكذلك فرص ثرثرته مع أصدقائه في الخارج"[١٣].

لكن المقربين من "چوسلسون" كان لديهم شكوكهم حول "كيرمود" أيضا. وبالرغم من أن أحدا منهم لم يبلغ مبلغ "فيليپ لاركن – Philip Larkin" في نعته له بصفات سيئة شعرا ونثرا، إلا أن مديحهم له كان أشبه بالذم. كان "ادوارد شيلز – Edward Shils" يصفه بحدة بأنه "پروفيسور صغير متوسط القيمة"[١٤]. أما "روبى ماكولى – Robie Macauley" فقال لـ "چوسلسون" إنه لا يحبه كشخص بالرغم من أنه يستمتع بكتاباته. ورد "چوسلسون" على "ماكولى": "أشكر لك ملاحظاتك التى قدمتها لى عن "كيرمود" فأنا أيضا أحب كتاباته لكننى لم أقابله. ومما قلته عن شخصه أستطيع أن أستنتج أن هناك مشاكل قادمة بكل تأكيد... وفي الوقت نفسه إذا أثبت "كيرمود" أنه قوى بما يكفى فسيكون بإمكانه أن يحقق الكثير للمجلة لأن

الجزء الأدبى كله بما فيه القسم الخاص بالمقالات النقدية هو الأكثر ضعفا"(١٥). وفى الرسالة نفسها اعترف "جوسلسون" اعترافا خطيرا.." لدى متاعبى ومشاكلى مع "انكاونتر" وقد بدأت أضيق ذرعا بها. لم يسبق أن بحت بذلك لأحد باستثناء "ديانا" التى كان لديها نفس الشعور. أرى أن "نيويورك" "ريڤيو أوف بوكس- New York Review of Books" أكثر إثارة، وأشعر - حتى - بارتياح أكبر لمجلة "كومنترى - Commentary"(١٦).

وبالرغم من تحفظات جماعة "جوسلسون" القريبة منه، إلا أن "كيرمود" دعى رسميا لكى يشارك "لاسكى" رئاسة تحرير المجلة فى صيف ١٩٦٥. "كيرمود" الذى فهم أنه كان عليه أن يتولى الجانب الأدبى مع "لاسكى" الرئيس الذى لا ينافس، كان يرى أنه من الغريب ألا يختار "لاسكى" شخصا أكثر تأهيلا لذلك، شخصا يعيش فى "لندن" على الأقل. (كان "كيرمود" يعيش فى "جلوستر شاير" ويقوم بالتدريس فى بريستول) والحقيقة أن بعد "كيرمود" عن الإدارة اليومية للمجلة، جعله مرشحا مناسبا." فما كنت أتصوره معوقا، كان هو فى الحقيقة مؤهلى الرئيسى. فى مكان ما من عقلى أو قلبى، ممزوجا بمجرد شعور بالغرور،... وترددى فى أن أتغاضى عن الطريق الخطأ... كنت أعرف أننى أمارس عملى"(١٧). إلا أن "كيرمود" قبل العرض. وعلى الفور اكتشف أن عملية "انكاونتر" برمتها "كانت عملية" غامضة ". لم يتمكن من معرفة أى شىء عن توزيع المجلة أو طريقة تمويلها. لم يكن له رأى مهم فى إعداد المجلة، وسرعان ما استنتج أن "وجوده مثل عدمه"(١٨).

كان "كيرمود" مثل كل الآخرين، قد سمع الشائعات التى تتردد عن علاقة "انكاونتر" بالـ: "CIA". كما أن "سپندر" قال إنه أيضا كان قلقا بسبب تلك المزاعم، إلا أنه كان يشعر بالرضا لأن النفى الذى تلقاه من "جوسلسون" و"مؤسسة فارفيلد" لذلك، كان دليلا على عكس ما يشاع(١٩).

والحقيقة أن "كيرمود" عندما جاء ليشارك فى مجلس تحرير "انكاونتر"، كانت المجلة لم تعد تحت رعاية "منظمة الحرية الثقافية"، وإنما كانت تصدر عن "مجموعة ديلى ميرور - Daily Mirror Group" المملوكة لـ: "سيسل كنج - Cecil King". حسن! كانت الأمور تبدو هكذا من الناحية الرسمية على الأقل. كانت صفقة "كنج" قد تمت ردا على سلسلة مقالات تنتقد مجلة "انكاونتر"، كان من بينها مقال افتتاحى فى "صنداى تيليجراف - Sunday Telegraph"، أشار إلى معونات مالية سرية تأتى بانتظام من "وزارة الخارجية". كان مثل تلك التقارير يهدد بلا شك مصداقية "انكاونتر"، ومن هنا بدأ البحث عن ممول من القطاع الخاص فى بدايات عام ١٩٦٤.

وفى يوليو من العام نفسه، كان باستطاعة المحررين أن يعلنوا على صفحات "انكاونتر" أن الجوانب المالية والإدارية سوف تقوم بها فى المستقبل "المؤسسة العالمية للنشر International Publishing Corp". التابعة لـ "سيسيل كنج". وكجزء من هذه الصفقة، تم تأسيس "أمانة عامة" للإشراف والتحقق، مكونة من "ڤيكتور روتشلد – Victor Rotschild" و"مايكل چوسلسون – Michael Josselson" و"آرثر شليزنجر – Arthur Schlesinger". كان تعيين "شليزنجر" قد تم بالرغم من تحذير "شيلز – Shils" من أن ذلك سوف يختصر الوقت الذى ستصل فيه الصورة المحرفة للأحداث والتى ينقلها "سپندر" إلى "شليزنجر" ومن ثم منه إلى "عصابة نيويورك"(٢٠). أما "چوسلسون" فكان ينظر إلى المسألة من زاوية الكرم... بحجة أن "موت الرئيس كينيدى" الذى حدث قبل الأوان قد ترك "آرثر" بلا عمل، وكان من رأيى أنها ستكون لفتة طيبة من جانبنا أن نوفر له رحلة فى السنة إلى أوروبا لم يكن يستطيع أن يوفرها لنفسه"(٢١).

أما "مالكولم ماجردچ" فكتب إلى "چوسلسون" مستخفا بهذا الترتيب الجديد. "والآن أدرك أن اضطلاع "كنج" بالمسئولية المالية لن يغير شيئا. فهو (وربما إدارة الإيرادات الداخلية) سوف يفلس بدلا من منظمة الحرية الثقافية. وإلا فإن كل شىء سيبقى مثلما كان... لقد كنت مسئولا – جزئيا – عن البدء فى إصدار "انكاونتر"، وعليه فقد حاولت بطريقة عابرة أن أساعدها... (كانت ناجحة لكن هناك مخاطر بعينها نتيجة الظروف التى تأسست فيها). تورط جاء بعد موعده فى مرحلة منقضية من الحرب الباردة. ارتباط وثيق واضح بمنظمة الحرية الثقافية الذى– بالرغم من كونه أحد شروط خروجها إلى حيز الوجود– أصبح الآن غير مناسب، وغير ضرورى. وقد كنت أتمنى أن يوفر التغيير الذى حدث فى المسئولية المالية فرصة لتطويق تلك الأخطار. والآن.. أرى أننى كنت مخطئا"(٢٢).

وكما كان "ماجردچ" يعرف جيدا، فإن صفقة "كنج" احتفظت بـ"انكاونتر" فى قبضة المخابرات. وكبداية، لم تتخل "منظمة الحرية الثقافية" تماما – على عكس المزاعم المعلنة – عن السيطرة التحريرية، وذلك واضح من رسالة كتبها "چوسلسون": "أحد جوانب المشكلة كان فى الوصول إلى ترتيبات مع ناشرى بعض مجلاتنا. بمعنى أنه كان ينبغى علينا أن نجد ناشرين يمكن أن نثق بأنهم لن يتلاعبوا بمضمون المجلات العام أو توجهها، أو أن يستبدلوا المحرر ن الذين نختارهم. وبهذا الخصوص، كان من حسن حظنا أن وجدنا مؤسسات مثل "سيسيل كنج" فى إنجلترا ومثل "فيشر ڤيرلاج" فى ألمانيا (التى تسلمت "ديرمونات")، لكن أمثال أولئك الأشخاص أو

الناشرين نادرون"(٢٣). والحقيقة أن الصفقة التى أبرمت مع "كنج" كانت تنص على أن تظل "رواتب رئيس التحرير ومكافآت أحد المحررين المساعدين" مسئولية المنظمة. كما أوضح "چوسلسون" فى الاتفاق أن تلك "الأجور لم تكن فى الماضى جزءا من مصروفات منفصلة"(٢٤). أما باقى الإعانة المنتظمة لـ "انكاونتر" والتى يقدمها لها المؤتمر (١٥٠٠٠ دولار سنويا) فسوف يعاد توجيهه - كما قال چوسلسون - إلى شركة "انكاونتربوكس ليمتد - Encounter Books Ltd" وكانت الصفقة مع "فيشر فيرلاج" لها نفس المواصفات: ظاهريا، تسلمت "المؤسسة العلمية للنشر" مسئولية إصدار "دير مونات". والحقيقة أن المنظمة كانت ماتزال هى مالك المجلة بعد أن اشترت ٢٥ ٪ من أسهم تلك الشركة مقابل "منحة خاصة مقدارها ١٠٠٠٠ دولار". كانت تلك الأسهم" مودعة لدى وسيط لحساب المنظمة"(٢٥). وفى الحالتين، ظلت "منظمة الحرية الثقافية" هى الفيصل فى عملية التحرير، فى الوقت الذى كانت تحاول فيه أن تخفى نفوذها والتزامها المالى.

والأكثر من ذلك، أن "انكاونتر" وجدت نفسها أكثر اقترابا وارتباطا بالمخابرات البريطانية كما كانت دائما، وذلك بسبب وجود "ڤيكتور روتشيلد" و"السير وليم هايتر- Sir William Hayter"، ويعد ذلك "أندرو شونفيلد - Andrew Schonfield" ضمن مجلس الأمناء، ذلك الثلاثى الرهيب" كما كان يصفه "ماجردچ". قبل أن يصبح عميدا لـ "نيو كولدچ"، كان "هايتر- Hayte " قد عمل سفيرا لدى "موسكو" ثم وكيلا لوزارة الخارجية. وقبل ذلك أيضا، كان رئيسا لإدارة الاتصالات ورئيسا للجنة المشتركة للمخابرات فى المملكة المتحدة. وبحكم ذلك، كان يجتمع بالمسئولين عن التخطيط المشترك مع رؤساء الأركان لبحث كافة المسائل المتعلقة بالمخابرات، وزيارة كافة مراكز المخابرات البريطانية فى الخارج. وعلى نحو واضح، فإن الاقتراح الذى كان قد تقدم به "هايتر- Hayter" فى ديسمبر ١٩٤٨، ودعا فيه إلى تكوين فريق للحرب النفسية "لشن الحرب الباردة"، هو الذى ساعد على إقناع حكومة "أتلى- Atlee" بأن تنشئ الـ -"IRD"إدارة البحث الإعلامى-. كان "هايتر" معاصرا لـ "ريتشارد كروسمان- Richard Crossman" فى ونشستر ومعاصراً لـ "هيوجيتسكل- Hugh-Gaitskell" فى "نيو كولدچ". وكان مثلهما ديمقراطيا اشتراكيا متعاطفا إلى حد كبير مع الجناح العمالى الذى كانت "انكاونتر" - تحت رئاسة لاسكى- قد زرعته بدأب ومثابرة. كما كان "اندرو شونفيلد - Andrew Schonfield" مدير "المعهد الملكى للشئون الدولية" معروفا بشكل جيد لدوائر المخابرات. أما "ڤيكتور روتشيلد - Victor Rothschild" فكان هناك، بالطبع، باعتباره واجهة لوزارة الخارجية. كان أعضاء تلك الشبكة كلهم لا يشعرون بالغربة مع "سيسيل كنج"، والذى كان هو شخصيا "مصدر

معلومات واتصال منذ وقت طويل مع "MI5" كما يقول "پيتر رايت – Peter Wright" في كتابه "صائد الجواسيس"، الأمر الذى لابد من أن يكون قد جعله متعاطفا مع العمليات الثقافية السرية لـ "CIA".

لكن جهود "چوسلسون" لإبعاد مقدرات المنظمة عن الضرر باءت بالفشل. الآن كان الخرق قد اتسع على الراتق. وإذا كانت الشائعات قد انتشرت فى دوائر حفلات الكوكتيل فى "لندن" و "پاريس" و "نيويورك" على مدى سنوات، فإن تلك الشائعات كانت قد بدأت تصبح حقائق. وفيما بعد قالت "مارى مكارثى" لكاتبة سيرتها "كارول بريتمان – Carol Brightman" إن "چوسلسون" اعترض طريق رسالة كانت قد كتبتها لـ "نيويورك تيمز" فى عام ١٩٦٤ تقريبا، تؤكد على استقلالية مجلات المنظمة "لأنه كان يعرف أن ذلك لم يكن صحيحا". قال: "دعك من ذلك يا عزيزتى.. انسى". لماذا لم تطو الـ "CIA" خيمتها وتترك المنظمة الذى كانت قادرة على رعاية شئونها، وتهتم بأجهزتها الخاصة؟ أى صلف وأى غرور، كان وراء ذلك القرار المشئوم بالتمسك بالمؤتمر بينما كان "چوسلسون" نفسه يلتمس استقلاليته؟ تقول "ديانا چوسلسون": "لقد تمسكوا به لأنه كان أحد نجاحاتهم القليلة. لكنهم كان ينبغى أن يتركوه لو أنهم كانوا حقا حريصين على سلامته"(٢٦). لكن العمل السرى له قوة دفع بيروقراطية من الصعب كسرها. على مدى عقدين، كان مسئولو الـ "CIA" قد تم تكييفهم وتهيئتهم حسب نظام يستند إلى مشروع يشجع النمو أكثر من الانكماش. وباهتمامها الشديد بضخامة حجم "البنية التحتية" لأنشطتها السرية حول العالم، لم تدرك الوكالة أنها كانت تخاطر بزيادة احتمالات افتضاح أمرها. وبعد ذلك كان "توم برادن" يعلق قائلا: "هذا هو البلد الوحيد فى العالم، الذى لا يدرك حقيقة أن بعض الأشياء تكون أفضل عندما تكون صغيرة"(٢٧).

ويقول "چاسون ايپشتين" لا أحد كان من المفترض بالطبع أن يعرف من الذى يقوم بتمويل "منظمة الحرية الثقافية". لكن فى منتصف الستينيات، كان من لا يعرف يعتبر غبيا. الكل كان يعرف. كان مدير "مؤسسة فارفيلد" "چاك طومسون" فى ذلك الوقت صديقا حميما، وكنت أواجهه بذلك وأقول له: " دعك من هذا يا "چاك"! ولماذا تنكر؟ "، وكان يقول: "لا..لا..لا.. ليس صحيحا! ليس صحيحا بالمرة! نحن مجموعة مستقلة ولا علاقة لنا بالـ "CIA" وذات يوم، وبينما كان يتناول الغداء مع "سپندر"، قال "ايپشتين": "ستيفن! أعتقد أن تلك المجموعة كلها.. تتقاضى رواتبها من وكالة المخابرات المركزية "CIA"، ولم يقل لك أحد ذلك، ولابد من أن تعرف الآن ما يحدث". ورد عليه "سپندر": "سأفعل، وسوف أتكلم مع "چاك طومسون" وأعرف ما إذا كان

ما تقوله الآن صحيح أم لا". وفيما بعد كان "ايپشتين" يقول: "هكذا كانت تجرى الأمور. لم يكن أحد يريد أن يعرف كيف كان شكل تلك الرعاية. بيد أننى أعتقد أن الكل كان يعرف.. لكن أحدا لم يكن يريد أن يتكلم"(٢٩).

كان "سپندر" يتقصى تلك الشائعة منذ عام ١٩٦٤ على الأقل. والدليل على ذلك أن هناك رسالة من "چون طومسون" إليه بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٦٤ (قبل فضيحة "پاتمان" بثلاثة أشهر) ينفى فيها "طومسون" أن تكون "مؤسسة فارفيلد" واجهة سرية للحكومة الأمريكية"(٣٠). بعد عامين، كتب "سپندر" إلى "چنكى فليشمان" يثير التساؤل نفسه بخصوص التمويل. "فرانك پلات – Frank Platt" عميل الـ"CIA" ومدير "فارفيلد" حول رسالة "سپندر" إلى "چوسلسون" مع مذكرة مرفقة تقول: يؤسفنى أن تكون هذه الرسالة إلى "چنكى" قد أخذت وقتا طويلا لكى تصل إليك، لكنها أخذت دورتها". وبعد أن رأت الـ "CIA" رسالة "سپندر"، حينذاك فقط، أضاف "فليشمان" تكذيبه الشديد وكتب إلى "سپندر" أن "الشىء المؤكد بالنسبة لـ "فارفيلد" هو أننا لم نقبل قط أية معونات من أية جهة حكومية"(٣١). لكنها، بالطبع، كانت خدعة كبرى.

وطبقا لقصة روتها "مارى مكارثى"، فإن "سپندر" كان ذات يوم موضوع اعتراف غير عادى من "نيكولاس نابوكوف". زعمت "مكارثى" أن "سپندر" أخبرها بأنه عندما كان فى سيارة أجرة هو و"نابوكوف"، أن "نابوكوف" التفت إليه وأفشى السر.. وبعدها قفز من السيارة فى نفس اللحظة. وهذا ما سلمت به "كارول برايتمان" كاتبة سيرة "مكارثى" التى تقول: كانت تلك قصة نقلتها إلىّ "مكارثى" عن غيرها، لكنك يمكن أن تتصور أنها حدثت. يمكن أن تتوقع أن تكون أمور كتلك قد حدثت عشرات المرات وتكررت أكثر من مرة. ولابد من أن تكون ضربا من المزاح"(٣٢)، وبعد ذلك كانت "ناتاشا سپندر" تقول: "أعتقد أن "نابوكوف" كان يخدع "ستيفن" منذ البداية."(٣٣). والمؤكد أن "سپندر" كان على علم بتلك الشائعات منذ عام ١٩٦٤وربما من قبل ذلك كما توضح تقارير "وولهايم – Wollheim".

وبالرغم من ذلك، فإن "سپندر" قد أضاف توقيعه إلى جانب توقيعى "كريستول" و"لاسكى" فى رسالة إلى "نيويورك تيمز" بتاريخ ١٠ مايو ١٩٦٦ تقول: "لا نعرف شيئا عن أية تبرعات غير مباشرة.. فنحن سادة أنفسنا ولسنا جزءا من دعاية أحد"، ودافع عن "السجل المستقل لمنظمة الحرية الثقافية وعن الفنانين فى الشرق و الغرب ضد كل الأعمال الشريرة التى تقوم بها الحكومات بما فى ذلك حكومة الولايات المتحدة(٣٤). وبشكل غير رسمى، لم يكن "سپندر" متأكدا على الإطلاق من أن تلك

كانت هى الحقيقة كاملة. بعد ذلك كان "چوسلسون" مضطرا لأن يكتب: "كان لابد من أن أضيق ذرعا بكل الأصداء التى تتردد عن احاديثك فى أنحاء العالم. ويبدو أن "نيويورك تيمز" هى موضوعك الأثير هذه الأيام، وأنك تحرص على ذكرها مع كل من تتكلم معهم، والأكثر من ذلك هو ما يبدو من أنك تتطوع بإظهار موافقتك على مزاعم "نيويورك تيمز" (بخصوص دعم الـ "CIA" لـ "انكاونتر" دون أى ذرة من دليل"(٣٥).

وقبل أسبوع من نشر رسالة "كريستول - لاسكى - سپندر" كان "چون هنت" قد طار من "پاريس" إلى "نيويورك". توجه مباشرة إلى "پرنستون" حيث التقى و"روبرت أو پنهايمر - Robert Oppenheimer" لمناقشة مزاعم "نيويورك تيمز"، وإمكانية البحث عن طريقة ما لكى يوافق آخرون على توقيع رسالة تشهد باستقلالية المنظمة. كان "آوپنهايمر" سعيدا لأن يقدم خدماته. بعد ذلك كان "ستيورات هامپشاير" يقول: - وكان موجودا فى "پرنستون" فى ذلك الوقت - إن "اوپنهايمر" قد دهش لدهشتى! كما أدهشه أيضا أننى كنت مستاء بسبب ما كشفته "نيويورك تيمز". كنت مستاء.. نعم! كان هناك أشخاص قد وضعوا فى موقف صعب. لم يكن "أوپنهايمر" مدهوشا لأنه كان هو نفسه شريكا فى ذلك. كان يعرف جيدا. كان جزءاً من الجهاز. ولا أظن أن ذلك كان يؤرقه بالمرة. إذا كان تفكيرك إمپرياليا، كما كان الأمريكيون آنذاك، فإنك لن تفكر كثيرا ما إذا كان ذلك صواب أو خطأ. مثل الإمپرياليين البريطانيين فى القرن التاسع عشر. يمكن أن تفعلها"(٣٦). وصلت الرسالة إلى "نيويورك تيمز" فى ٤ مايو ونشرت فى ٩ مايو قبل يوم من رسالة "سپندر - لاسكى - كريستول". كانت موقعة من كل من: "كينيث جالبرايث - Kenneth Galbraith" و"چورج كينان - George Kennan" و"روبرت اوپنهايمر - Robert Oppenheimer" و"آرثر شليزنجر- Arthur Schlesinger" وجاء فيها أن "المؤتمر كان دائما كيانا مستقلا، ينطلق من رغبات أعضائه والمتعاونين معه، وقرارات لجنته التنفيذية"(٣٧). لكن الرسالة لم تنكر بشكل واضح صلة المنظمة بالـ"CIA"، الأمر الذى جعل "دوايت ماكدونالد - Dwight Macdonald" يعلق قائلا: "إن ذلك كان تهربا وليس كذبا، لكنه لا يحقق الغرض"(٣٨) وفيما بعد سوف يزعم "شليزنجر" أن الرسالة كانت من بنات أفكاره وأنه هو الذى اتصل بـ "أوپنهايمر" وبالآخرين يطلب تعاونهم. على أية حال، وبناء على الوقت الطويل الذى استغرقته المهمة، فلابد من أن يكون نص الرسالة قد عرض على "هنت" وتم الاتفاق عليه قبل أن ينصرف من عند "أوپنهايمر".

قلة قليلة هى التى كانت ترى الخدعة. "انجوس كاميرون - Angus Cameron" محرر مجلة Howard Fast لدى "ليتل براون"، (والذى كان قد استقال احتجاجا على

رفض الشركة نشر "سبارتاكوس" عام ١٩٤٩) كان له تعليق: "أعتقد أن الليبراليين بشكل عام، أناس يدعمون المؤسسة عن طريق الاهتمام بالنقاد الصغار الذين يمكن الاعتماد عليهم دائما لدعمها عندما تسوء الأمور. و "آرثر شليزنجر الابن، هو المثال التقليدى لذلك"(٣٩). كما أن الأوراق الموجودة فى أرشيفه الخاص تؤكده. لقد كان مصدرا، ومستشارا (إن لم يكن مستأجرا) وصديقا وزميلا محل ثقة لكل من: "فرانك ويزنر" و "آلان دالاس"، "كورد مايور". كان يراسلهم جميعا على مدى ما يزيد عن عقدين بشأن موضوعات تتراوح بين "اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية" و "انكاونتر" واستقبال رواية "دكتور زيفاجو" لـ "پاسترناك - Pasternak" كان يساعد الـ"CIA" لكى تجد تغطية للموضوعات التى تريد أن تسربها، ووافق ذات مرة على اقتراح "كورد مايور" بأن يتقدم هو (شليزنجر) باقتراح لمحرر إحدى المجلات الإيطالية لكى "ينشر سلسلة مقالات عن مشكلة الحريات المدنية داخل النظام السوڤيتى، تكون مواكبة للمقالات عن أوضاع الحريات المدنية فى الولايات المتحدة."(٤٠) ومن ذا الذى كان يمكن أن يشك فى نزاهة واستقامة "شليزنجر" العضو فى حكومة مطبخ "كينيدى"؟

فى خضم كل تلك المناورات، كان على "فرانك كيرمود" أن يرى واحدا من أكبر المستشارين الملكيين فى "لندن" لكى يستشيره بخصوص قضية السب والقذف المرفوعة من "أوبراين" ضد "انكاونتر". كانت توصية المستشار بأنه يمكن الدفاع اعتمادا على دفع قانونى خاص يعرف بـ "الحصانة المقيدة". ولكن صديقا لكليهما ("كيرمود" و"اوبراين") حث "كيرمود على ألا يستمر فى عملية التقاضى. كان "كيرمود" مترددا. بعد ذلك، كان مدعوا على الغداء فى "جاريك" مع "چوسلسون" وأخذ كلمة جادة، وهى أن ادعاءات "أوبراين" كانت عارية عن الصحة تماما. قال له "چوسلسون" "عمرى يسمح لى أن أقول إننى فى مقام والدك، وأنا لن أكذب عليك، كما لا يمكن أن أكذب على ابنى". ولكن المؤكد أن "چوسلسون" كان يكذب! بعد ذلك قالت "ديانا چوسلسون": كان "مايكل" مصرا دائما على حماية المؤتمر من الأقاويل المدمرة، وكذلك أنا. لم يكن لدى أية مشكلة فى أن أكذب بهذا الخصوص. كنا نتصرف بازدواجية"(٤١). وبعد ذلك سوف يكتب "توم برادن": الحقيقة كانت موجودة هناك من أجل المجموعة الداخلية، أما بالنسبة لمن هم خارجها فقد كان رجال الـ "CIA" قد تعلموا الكذب. يكذبون وهم فى كامل وعيهم. عمدا وعن قصد، دون أى شعور بالذنب كذلك الذى يمكن أن يشعر به معظم الناس عند أية كذبة متعمدة"(٤٢).

ماذا فعل "چوسلسون" غير اصطحابه "كيرمود" إلى غداء فى "جاريك كلب - Garrick Club"؟ أية محاكمة تكون "انكاونتر" طرفا فيها ستؤدى إلى الكشف عن أدلة

جديدة بخصوص تمويلها ونشرها، وهي أدلة كان يمكن أن تكون مصدر إزعاج شديد في ضوء النفي والإنكار الرسمي. ومع ذلك، فقد فشل "چوسلسون" في أن يضمن تسوية للموضوع بعيدا عن المحكمة. وبدلا من ذلك سمح لـ "كيرمود" بأن يستمر. كان "أوبراين" قد عرض أن يتنازل عن القضية في حال نشر اعتذار. وكان من سلطة "چوسلسون" - بالتأكيد - أن يوقف العملية كلها. لكنه لم يفعل.

في الوقت نفسه، اختار "كونر كروز أوبراين" أن يقيم الدعوى أمام محكمة "دبلن". أما الذي أصاب "كيرمود" بالرعب فهو أنه عرف أن قانون الحصانة المقيدة لم يكن معمولا به في أيرلندا. والآن.. كان من رأى المستشارين القانونيين لـ "انكاونتر" أن يهملوا الدعوى، حيث لم يكن للمجلة أية أصول ثابتة في أيرلندا. لكن قبل أن يفكر "كيرمود" في هذا الرأي، دهمته الأحداث بسرعة، الأمر الذي جعل دفاع "انكاونتر" لا لزوم له.

(٢٤)

المنظر من "رامپارتس"

كان هناك فتاة من نورفوك - ڤرچينيا تقاضى رجلا بدعوى الاغتصاب.

سألها القاضى: متى وقع ذلك الاغتصاب؟

قالت: تسألنى متى وقع أيها القاضى..

لماذا؟ عجبا! كان اغتصابا..!

اغتصاب! اغتصاب! اغتصاب.. طوال الصيف!

"مايكل چوسلسون"

فى مطلع عام ١٩٦٦ علمت الـ"CIA" أن مجلة "رامپارتس - Ramparts" ومقرها "كاليفورنيا" - كانت تواصل حملتها على شبكة المنظمات الوهمية التابعة للوكالة. وعلى الفور، قام "ريتشارد هلمز - Richard Helms" نائب المدير للتخطيط، بتعيين مساعد خاص "يقوم بجمع " معلومات عن "رامپارتس" بما فى ذلك أدلة على ما تقوم به من نشاط هدام، وتقديم مقترحات للـ "CIA" من أجل التصدى لذلك"(١). وبحلول شهر مايو ١٩٦٦، كان "هلمز" يغذى "البيت الأبيض" بالمعلومات السرية عن "رامپارتس" كجزء من حملة لتشويه سمعة المجلة ومحرريها والمسهمين فيها. كان معظم المادة التى يقدمها "هلمز" قد توفر نتيجة التنقيب فى سجلات الوكالة بالإضافة إلى "القذارات" الأخرى التى تفضل بها مكتب التحقيقات الفيدرالى "FBI".

"هلمز" الذى كان مقتنعا بأن "رامپارتس" مستخدمة كأداة بواسطة السوڤيت، طلب معلومات عن تمويلها، لكنه فشل فى الحصول على أى دليل يثبت التورط الأجنبى. وبعد فحص ملف "رامپارتس" كتب "پيتر چيسوپ - Peter Jessup" المساعد الرئاسى، مذكرة تحت العنوان الشهير: "صليب يمينى فى الهيكل اليسارى": "على ضوء تكريس "رامپارتس" لتلطيخ "الإدارة" وتشويه سمعتها ، وعلى ضوء الخلفية غير الواضحة لمن يقفون وراءها، لابد من التفكير فى أن تقوم جهة حكومية ما بتتبع الخيوط"(٢). وبعد أسبوع نشرت مجلة "هيومان إيڤنتس - Human Events"

حملة تشهير وتشنيع بعنوان "القصة الكاملة لمجلة رامپارتس". واتهمت الصحفيين العاملين بها بأنهم "متطفلون" وشخصيات شاذة" و"دمى يتحدث آخرون من خلالها" و"يساريون جدد.. ملتحون" و"متعلقون تعلقا مرضيا بشعار" "اخرجوا من ڤيتنام". ونشر المقال بتوقيع "ام. ام. مورتون – M. M. Morton" وهو اسم مستعار لأحد خبراء الأمن الداخلى، وكان يحمل كل الملامح التى تقول إنها: "دمغة" أحد مصانع الـ "CIA" كذلك كان الأمر نفسه بالنسبة لمقال نشرته مجلة "نيوز ويكلى – News Weekly" فى الأسبوع نفسه بعنوان: "من الذى يقف وراء "رامپارتس" حقيقة ؟ ". ومقال آخر فى "واشنطن ستار – Washington Star" . وكلاهما أعلن عن "شكوك خطيرة بخصوص "حسن نية رامپارتس" التى وصفت بأنها ليست فقط وعاء لتقليب النفايات ونبش الفضائح، وإنما بسوء نية كذلك."

على مدى أكثر من عام، بذلت الـ "CIA" كل ما يمكنها من أجل إسكات "رامپارتس". اعترف بذلك فيما بعد "إدجار أپلوايت – Edgar Applewhite" نائب المفتش العام عندما قال: "لقد استخدمت كافة الوسائل والحيل القذرة لكى نلحق الأذى بحساباتهم وتمويلهم. كان من يديرونها قابلين للابتزاز، وكنا نفكر فى أشياء مرعبة.. نفذنا بعضها. لم نكن مقيدين قط بكون الـ "CIA" ليس لها أى دور فى الأمن الداخلى فى الولايات المتحدة"(٤).

والمدهش، أن "رامپارتس" بقيت لكى تروى القصة، بالرغم من كل النوايا المرعبة التى كانت الـ "CIA" تضمرها لها. وحدث ما كانت تخشاه الـ "CIA" بالضبط. واصلت "رامپارتس" حملتها ونشرت تحقيقات عن العمليات السرية للوكالة. وما كشفت عنه المجلة فى ١٩٦٧ انتقل بسرعة إلى الصحف القومية... ثم تبع ذلك "عملية إفشاء أسرار أشبه بحفل مجنون"، الأمر الذى جعل أحد المعلقين يعقب قائلا: قبل مرور وقت طويل، سنكتشف أن كل جمعية سياسية فى أمريكا، أو مؤسسة خيرية، أو رابطة طلابية، أو فريق "بيسبول"... إنما هو واجهة لوكالة المخابرات المركزية"(٥). وبالطبع، لم تكن الواجهات الأمريكية المحلية فقط هى التى كشف عنها النقاب. وحيث إن تفاصيل رعاية الـ "CIA" لمنظمة الحرية الثقافية ومجلاتها قد ظهرت للعلن، فقد اتضح أيضا أن كل ما قاله "أوبراين" عن "انكاونتر" كان صحيحا. أما "سپندر" الذى كان لا يزال فى الولايات المتحدة وقت انفجار القصة، فقد دخل فى دوامة على الفور. وبعد أن فشل "چوسلسون" و "لاسكى" فى إخراجه منها واحتوائه، لجأ إلى "أشعيا برلين– Isaiah Berlin" المعروف بأن "له تأثير عليه يمكن أن يهدئ من مشاعره"، والذى كان (برلين) يعمل بالتدريس فى "سيتى يونيڤرستى" – نيويورك – فى ذلك

الوقت. كتب "چوسلسون" له فى ٨ إبريل : "عزيزى "أشعيا مينديلڤتش"، ما أود أن أناقشه معك لا يمكن أن يتم بشكل جيد على التليفون. أنا فى غاية القلق بسبب "ستيفن" و"انكاونتر"، وأخشى أن يكونا ضحايا للورطة الحالية، وخاصة إذا ظل "ستيفن" (مثل ناتاشا فى لندن) يصب الزيت على النار. أنا معجب بهما بالفعل، وهذا سبب قلقى. أعتقد أنه إذا كان هناك من يستطيع أن يؤثر على "ستيفن" فهو أنت. الموقف خطير بالفعل، لكن مستقبل "انكاونتر" لا يمكن تحديده عن طريق اتخاذ خطوات حاسمة تحت ضغط ما"(٦).

وكان رد "برلين": "هناك بالفعل مشكلة تتعلق بـ "ستيفن" و"انكاونتر"، أما "آرثر شليزنجر" الذى أبلغ "لاسكى" منذ وقت قصير بأن القضية قد ماتت هنا وأنه لا حاجة لعقد اجتماع بخصوص ذلك فى "لندن"، فأعتقد أنه متفائل إلى حد ما. ومهما كانت ردود الفعل هنا، فهناك احتمال بأن تستمر القضية فى غليانها فى لندن... حيث يقال إن "ستيفن" و"كيرمود" فى حالة اضطراب. ويبدو لى أنه مهما كان مستقبل "انكاونتر"، سيكون أمرا معقولا لو أننا نشرنا بيانا أو شيئا من هذا القبيل لكى نقول للقراء: إن محررى "انكاونتر" لم يكونوا على علم بمصدر المعونات التى كانت تتلقاها "منظمة الحرية الثقافية"، الأمر الذى سيكون صحيحا بالنسبة لمعظمهم على الأقل. أما إلى أى مدى كان "لاسكى" يعرف أو لا يعرف، فإننى لا أستطيع أن أحدد. على أية حال، أعتقد أنك لابد من أن توصى بعقد اجتماع للأطراف المعنية فى "لندن" بغرض تسوية المسألة. أما الاتصالات التليفونية عبر الأطلنطى لكل من "ستيفن" فى "شيكاغو" والآخرين فى "لندن" و"آرثر" فى "نيويورك" وأنت فى "چنيف".. إلخ.. إلخ، فلن تكون كافية. لن تستطيع رؤية الموقف ككل إذا لم يعقد اجتماع لحسم المستقبل المعنوى والفكرى والتنظيمى لـ "انكاونتر"(٧).

فى الوقت نفسه، كان دفاع "كيرمود" ضد قضية القذف قد فشل نهائيا. والأكثر من ذلك هو أنه كان مقتنعا بأن المجلة، بالرغم من أنها قد أصبحت تحت رعاية "سيسيل كنج" (وعلى نحو قانونى تماما) إلا أنها مازالت تحت سيطرة الـ"CIA" ومهما كان ذلك يتم بشكل مستور. كتب "كيرمود" إلى "لاسكى" يشكو إليه بالتفصيل، ويخبره بأنه " فى غيبة أى تفسير مقنع، لن أستطيع أن أواصل العمل معه. لم يرد على رسالتى لكنه جاء إلى "جلوسترشاير – Gloucestershire" لكى نتناقش بشأنها. وبعد السير لفترة طويلة... ساعة بعد ساعة حول الحديقة ومضمار الخيل روى لى القصة الكاملة، والتى كان يمكن أن تكون متوقعة عن علاقته بالمنظمة وتاريخ انكاونتر"(٨). كانت تلك هى لحظة اعتراف "لاسكى" المزعوم: اعترف لـ"كيرمود" بأنه

كان على علم بدعم الـ "CIA" منذ سنوات، لكنه - بالطبع - لم يكن يستطيع أن يقول ذلك علنا.

وبعد ذلك بفترة قصيرة جدا، وبعد إلحاح من "برلين" عُقِدَ اجتماع طارئ لأمناء "انكاونتر" حضره "لاسكى" و"كيرمود" و"سپندر" (الذى عاد بالطائرة من الولايات المتحدة) و "إدوارد شيلز" و "أندرو شونفيلد" و "وليم هايتر". التقوا فى غرفة خاصة فى "مطعم سكوت" فى "هاى ماركت" على مقربة من مكتب "انكاونتر". دافع "شيلز" و"شونفيلد" عن أعمال الـ "CIA" بينما أعلن كل من "كيرمود" و "سپندر" عزمهما الاستقالة. رفض "لاسكى" أن يستقيل وهاجم "سپندر" بلا هوادة واتهمه بالنفاق. بعد ذلك تفوه بالمفاجأة التى جاءت كالصاعقة. "سپندر" لابد أن يكف عن تشامخه بشأن تمويل الـ "CIA" وعليه أن يفكر فيما يلى: راتبه يُغَطَّى منذ سنوات من منحة مالية تقدمها وزارة الخارجية. ويتذكر "كيرمود" ذلك الموقف فيقول: "هاج "سپندر" وماج وقال إنه ذاهب لمشاهدة بعض الأعمال الفنية فى "الناشونال جاليرى" لتهدئة نفسه"(٩).

وتقول "ناتاشا" إن "سپندر" عندما عاد إلى منزله فى "سان چونز وود"، كان فى حالة غضب واختناق. كان "ميلڤن" تقريبا قد قال شيئا لـ "ستيفن" بخصوص راتبه، وقال "ستيفن" إنه لم يكن مفهوما بالمرة"(١٠). قرر "سپندر" أن يوضح الأمر مرة واحدة ونهائيا بالكلام مع "ماجردچ". " كان "مالكولم" مرؤوسا لـ "ستيفن" طوال ذلك كله. وحدث أن تكلم مع "كيتى - Kitty" التى أبلغته بأن "مالكولم" لن يستطيع أن يتحدث معه لأنه كان فى "اسكتلنده". فى تلك اللحظة، كان "مالكولم" يرقد منبطحا على وجهه فى هيكل دير "بندكتى" اسكتلندى، أثناء تصويره وهو يصلى فى برنامج تليفزيونى للـ "BBC" عنوانه "سرير خشن للرقاد". على أية حال، اتصل "مالكولم" بعد ساعة. فى ذلك الوقت كان "ستيفن" يغلى من الغيظ، وكنت أنا على التليفون الآخر، ولذلك سمعت ما قاله. قال "ستيفن": "مالكولم... لقد كنت تقول لى دائما إن راتبى يأتى من الـ "ديلى تلجراف" و "ألكساندر كوردا - Alexander Korda". وقال "مالكولم": "نعم يا بنى! لكنك لا تستطيع أن تراهن بكل ما لديك لكى تعرف المصدر الذى يأتى منه". تعرف ذلك المشهد فى "التسعة وثلاثين خطوة"، حيث يبحث عن الرجل ذى الإصبع الناقص؟ لحظة رهيبة .. حين يدرك من هو ذلك الرجل. كان ذلك هو شعورنا عندما اعترف "ماجردچ" بذلك فى النهاية"(١١). بعد ذلك قال "اريك بنتلى - Eric Bentley" لـ "سپندر" إن "لاسكى" أيضا كان على علم بالسر، "ميل - Mell" أخبرنى بأنه لا شىء فى الشائعات التى كنت أسمعها تتردد منذ سنوات. عندما بدأ

الهمس قبل عام، طلبت منه أن يقول "لا" صريحة ردا على رسالة واضحة.... وسكت. لم يستطع "ميل" أن يحافظ على حربه الباردة"(١٢). بعد انفجارة غضبه العنيفة ضد "سپندر" وإفشاء سر مصدر راتبه، أصبح "لاسكى" فى وضع قلق.

وبعد أن ضمن المساندة التامة من "سيسيل كنج" (الذى رفض المطالبة باستقالته قائلا: "من المؤكد أنها ستكون حماقة كبرى إذا فقدنا الطفل مع ماء الحمام"، اتجه "لاسكى" نحو "أشعيا برلين" فكتب إليه رسالة كلها تزلف فى ١٣ إبريل. تمنى ألا يكون قد أثقل عليه، "لكنك جزء من تاريخنا إلى حد كبير - أفراحنا، وللأسف، أتراحنا، كذلك. ولذا أشعر بأنك لابد من أن توضع فى الصورة"(١٤). وقال "لاسكى" إنه قد تم الاتفاق" على أننا يجب أن نضع نهاية للقصة بأن نصدر بيانا رزينا، وكذلك بتسوية قضية "أوبراين".. على نحو بسيط وبسرعة إن أمكن، على أساس دفع التكاليف لـ "أوبراين" ونشر الاعتذار الذى يطلبه فى عشرة أسطر. ولم لا؟ إن العواطف قد تتمرد، لكن العقل يملى". وأنهى "لاسكى" رسالته بأن طلب من الفيلسوف: "أتمنى أن تصلنى منك كلمة... بأفكارك ونصحك.. إذ أن لهما معنى كبيراً وعميقاً بالنسبة لى كما تعرف"(١٥).

كانت تلك كلمات مفرطة فى المديح لرجل كان كثيرون يحترمونه ويقدرونه حق قدره مثل "نبى". لكن "لاسكى" كان يحتقره سرا ويعتبره "شخصا مغرورا" و"لا رأى له"(١٦). كانت المشكلة مع "برلين" كما قال "لاسكى" هى أنه لم يكن "مجاهدا". هناك مجاهدون متقلبون ممن يقولون" أنا وبعدى الطوفان"، وهناك ذوو الفطنة والبصيرة. فى وطيس الحملة تشعر بأنك قد خذلت، وتريد أن تقول مثل "هنرى الرابع": "أين كنتم؟"(١٧). لكن "برلين" كان دائما هناك. الحكيم الذى تتجه صوبه كل نخبة "واشنطن" طوال تلك السنوات عندما خرجت لأول مرة بفكرة احتواء اليسار غير الشيوعى. هل يمكن أن يكون قد حاول ألا يعرف شيئا عن تورط الـ "**CIA**" فى ذلك؟ هناك دلائل أشبه بالنوادر توحى بأنه كان يعرف ، بالرغم من أنه لم يكن مستعدا للقيام بدور مؤثر. ويتذكر "ستيوارت هامپشاير - **Stuart Hampshire**" أن أعضاء مجتمع المخابرات اتصلوا به أكثر من مرة: "كانوا يتوددون إلى "برلين" باستمرار لكى يكون أكثر تورطا. أذكر أنهم اتصلوا به مرة فى "آسبن - كولورادو" - كانت الـ"**CIA**" هى التى دبرت كل شىء - لأنهم كانوا يعتقدون أنه الليبرالى النموذجى القادر على أن يرأس منظمة أو أخرى، لكنه قال إنه غير مهتم بذلك الأمر، واقترح "شخصا آخر"(١٨). وتقول رواية أخرى إن: "إحدى المؤسسات الأمريكية الكبرى، والتى كانت تريد أن يكون لها باع فى الفلسفة سألت "برلين": ماذا يمكن أن نصنع لكى نساعدك؟

البراجماتية قدمت إسهاما كبيرا ولكنها الآن قد أصبحت قديمة، أكل عليها الدهر وشرب – "Passé" – ما رأيك فى الوجودية؟ كان "برلين" – لفترة ما– يحلم بمقاهى باريس المدعومة من الـ "CIA"، لكنه قال لهم: إن كل ما كان يريده هو الورق والقلم و"المناقشات العارضة التى تحدث بالمصادفة"(١٩).

فى رسالته إلى "برلين" أرفق له "لاسكى" نص البيان الذى أعده الأمناء والذى كان من المقرر نشره فى عدد "انكاونتر" التالى. كان البيان يقول: "على ضوء ما نشر فى الصحف مؤخرا بخصوص استخدام بعض المؤسسات الأمريكية لمعونات الـ"CIA" فى دعم المنظمات الثقافية والتعليمية، نود أن ندلى بما يلى: لقد شعرنا بالقلق لما نشر عن أن الكثير من الأعمال الخيرية التى تقوم بها المؤسسات الأمريكية فى أنحاء العالم، لابد من أنه يعتمد على الإعانات الحكومية غير المباشرة والسرية. وقد كان ذلك أسلوبا غير حكيم وغير سليم كما أنه أمر مستهجن. ومن المؤلم أن نعرف أن بعض المنح التى كانت تصلنا فى الماضى من "منظمة الحرية الثقافية" فى "باريس"، والتى قبلناها بحسن نية، كان من ضمن تلك الإعانات المجهولة المصدر. ولقد أوضح الكتاب والمفكرون البارزون، الذين كانوا على علاقة مسئولة بالمنظمة فى "باريس"، أنه لم يكن هناك تدخل فى سياساتهم أو أنشطتهم من قبل أية جهة معروفة أو مجهولة. وقد كانت "انكاونتر" بدورها مستقلة منذ البداية، ومتحررة تماما من أى شكل من أشكال التدخل. كما أن محرريها فقط كانوا هم المسئولين عما ينشرونه، ولم يكن للمنظمة أى رأى بالمرة فى السياسة التحريرية فى أية مناسبة أو على أى نحو... وإن "انكاونتر" تواصل حريتها فى نشر ما تراه"(٢٠). لكن ذلك البيان لم ير النور!(٢١).

"برلين" الذى لم يكن يعرف شيئا حتى ذلك الحين عن تواطؤ "لاسكى" فى السر من وراء "انكاونتر" كما اعترف لـ "كيرمود" قبل أيام، قام بالرد على رسالة "لاسكى" بتاريخ ١٨ إبريل. وافق على قرار تسوية الموضوع مع "اوبراين" بعيدا عن المحكمة، ثم دلّهم بكل براجماتية – وربما بكل متعة الشماتة "Shadenfreude" على مخرج من تلك الورطة المعقدة: "يمكنكم أن تقولوا – بكل بساطة – إنكم قد لجأتم إلى "منظمة الحرية الثقافية" مثل كل المنظمات المحتاجة لمساعدة مالية، والمنظمة بدورها لجأت إلى مؤسسات أخرى تبدو من حيث الظاهر مؤسسات محترمة، وإن الهيئات التى تتلقى المساعدات ليس من عادتها أن تتحرى أو تفحص مصدر دخل المؤسسات المحترمة التى تقدم لها الدعم. إلا أنه منذ الكشف عن تلك الأسرار، أصبح هناك قلقا طبيعيا وترددا فى قبول مثل تلك المبالغ. هذا تقريبا ما أعلنته "مؤسسة آسيا" (واجهة أخرى من واجهات الـ (CIA)، وهو يبدو كافيا بالنسبة لى... والدور المناسب لـ "انكاونتر" هو

أن تقول بكل بساطة إنها كانت تجهل ذلك، وكونكم تصدرون مجلة أمينة بالرغم من حصولكم على منح من الـ "CIA" بشكل غير مباشر، فإن ذلك يجعلكم مثل منظمات أخرى عظيمة لم يكن متوقعا أن تعرف المصادر النهائية لتمويلها... أو شيئا من هذا القبيل. وسوف يتفهم ذلك كل من لديه عقل أو نية حسنة، أما من يفتقدون ذلك فسوف يواصلون تصيدهم على أى حال"(٢٢). ولم يذاجر على "برلين" أى شعور بالرفض الأخلاقى لعملية الخداع التى كان يصفها لهم... إن كان قد شعر بذلك! بل إنه استعار من خطاب المجتمع المفتوح لكى يدافع عما كان فى حقيقته محاولة إدارة ذلك المجتمع بواسطة جماعة مقصورة على نفسها.

بيد أن "برلين" اتجه اتجاها آخر فى العلن... وبسرعة. عندما ظهرت علاقة "انكاونتر" بالـ "CIA"، كان يتكلم عن المجلة بازدراء، وهاجم "چوسلسون" و"لاسكى" لأنهما "عرضا سمعة أشخاص محترمين للشبهة". ويؤكد كاتب سيرته "مايكل اجناتييف - Michael Ignatieff" أن "برلين" أصيب بصدمة مثل أى شخص آخر بسبب تلك العلاقة السرية، وأنه .. "بالتأكيد، لم يكن له علاقة رسمية أو غير رسمية بالمخابرات البريطانية أو الـ "CIA"(٢٣). وكتب "كريستوفر هتشنز - Christopher Hitchens" فى مراجعته لكتاب "إيجانتييف"، يسخر من هذا الزعم: "إذا أخذنا تنصل "انكاونتر" من المسئولية على علاته، فإن ذلك يكون معناه أن "برلين" كان غير مبال، وبشكل غير طبيعى، أو ربما أكثر غباء مما كنا نعتقد، أو لعله قد أضاع وقته فى "واشنطن". كان موقف "برلين" المزدوج نابعا من ولائه "للتفاهم" الأنجلو - أمريكى.. الغيبى.. والذى كان كما يقول "هتشنز": يحمل عادة طابع سياسة الواقع العملى وحساب كل شىء"(٢٤).

الأمناء الذين اجتمعوا فى "مطعم سكوت" لم يخرجوا بشىء، فدعى لاجتماع طارئ آخر فى عطلة نهاية الأسبوع يوم ٢١ إبريل، والذى جاء "آرثر شليزنجر" من "نيويورك" بالطائرة لكى يحضره. وطبقا لما تقوله "ناتاشا سپندر"، تقرر فى ذلك الاجتماع أن "لاسكى" لابد من أن يستقيل- ووافق- وأن يتم الإعلان عن ذلك فى بيان للأمناء تنشره "انكاونتر". بدأ "لاسكى" بشن "هجوم شخصى عنيف على "ستيفن" قائلا إنه ما كان ينبغى أن يعرف شيئا مما يدور. ولكن الحاضرين كلهم قالوا لـ "لاسكى" إن ذلك يعد خروجا على النظام وأنه لابد من أن يحذف من المضبطة"(٢٥)، كما تقول "ناتاشا". أما "إدوارد شيلز" فقال إنه سيجد عملا لـ "لاسكى" فى "شيكاغو". وفى الأسبوع التالى عاد "شيلز" بالطائرة وهو يتطلع إلى ذلك الهدف. لكن فى اليوم التالى للاجتماع كان "لاسكى" قد غير رأيه قائلا إنه ليس لديه أية نية للاستقالة، وإنه

لن يوافق على البيان بالمرة.

قبل ذلك الاجتماع بأيام قليلة، كانت "ناتاشا" قد تلقت اتصالا تليفونيا من "چوسلسون" فى "چنيف": "وطلب ألا أهز القارب وأكون كالشريك المخالف، ثم قال وأعاد القول أكثر من مرة كيف أنه كان يحاول أن يحمى "ستيفن". وأظننى قلت له: أى قارب؟ لا أعتقد أن "ستيفن" و "فرانك" كانا فى القارب نفسه مثل "ميل – Mel"(٢٦). وبعد أن فشل "چوسلسون" فى تهدئة "ناتاشا" و "ستيفن"، لجأ إلى تكتيك مختلف. وألمح لـ"چنكى فليشمان" أن "سپندر" وزوجته ربما كانا فى حاجة إلى إجازة، وذلك فى محاولة لإخراجهما من هذه المعمعة. لكنه لم ينجح فى ذلك. تقول "ناتاشا سپندر" وهى مغتاظة: "كنت فى حالة ثورة وانفعال مع "چنكى" عندما زاد الطين بلة وأرسل إلينا برقية يسأل إن كنا نريد أن نقضى أسبوعا على ظهر اليخت الذى يملكه أم لا؟. رددنا عليه ردا مهينا، وانتهى الأمر عند ذلك ولم نره بعدها(٢٧).

لم يسفر اقتراح "چنكى" عن شىء، ولذلك كتب "چوسلسون" إلى "ستيفن" مباشرة. قال أولا إن تعليقات "لاسكى" عن الدعم المالى السرى لوزارة الخارجية والتى أدلى بها فى اجتماع الأمناء قد أسىء فهمها وكان ذلك نتيجة للارتباك، وإن "لاسكى" كان يشير فقط إلى شائعات أزعجته كثيرا. "كنت أخشى أننا إذا أغضبناه أو ضايقناه بشدة، قد يفعل كما فعل مؤخرا فى اجتماع الأمناء. لقد حاولت أن أمنع ذلك على قدر استطاعتى، ومن هنا فإننى أرجو، وأتوسل إليك أنت و "ناتاشا" ألا تهزا القارب بقوة، كما أؤكد لكما أننى كنت أحاول فقط أن أحمى الجميع. لقد انزعجت جدا بعد أن علمت من "پريچيت لاسكى" أن "ناتاشا" قد زجرتها فى أحد الاحتفالات منذ فترة قصيرة". واستمر "چوسلسون" ليقول إن "ناتاشا سپندر" كانت تنتقد "لاسكى" علنا وبقسوة شديدة. وكتب: "لكننى على ضوء ما تَعَرَّضَت له، أغفر لها كل شىء. ويبدو أن تلك المناقشة معها قد أقنعتنى بأن الأمر لم يكن لمجرد أنها تبغض "ميل"، بل لأنها كانت تكرهه.. "كراهية مرضية"، وأسف لخشونة الكلمة"(٢٨)، ويواصل "چوسلسون" ليعتذر عن غضب "لاسكى" المتفجر ضد "سپندر" – لقد أخبرنى "ميل" "بأنه فى غاية الندم لأنه لم يتمكن من السيطرة على مشاعره" – وتوسل لـ "سپندر" ألا يستقيل. "مازلت على اعتقادى بأن "انكاونتر" إنجاز رائع فى الحقيقة، ولا أحب أن أراها تنهار... وتنهار بشكل شائن، إذا لم ينظر ثلاثتكم – إذ يبدو أن "ميل" هو الآخر سوف يستقيل – إلى ما حدث نظرة أكثر تفكرا وأقل انفعالا"(٢٩). وتخفيفا للوطأة، ألمح بشدة إلى أن "لاسكى" كان من المتوقع أن يغير عمله (أعتقد أنه ينبغى أن يبحث له عن وظيفة فى المجال الأكاديمى)، وأن الذكرى العاشرة لرئاسته لتحرير "انكاونتر"

والتى ستحل فى ١٩٦٨ ستكون توقيتا مناسبا "من الناحية النفسية" لكى يترك مكانه. كما كشف "چوسلسون" كذلك عن أنه "مر بلحظات يأس متكررة" بسبب المسألة كلها، لكن ذلك كان من منظور "مشكلة أكبر بكثير.. مشكلة أن يظل مواطنا أمريكيا فى وجه الحرب فى ڤيتنام". وأخيرا قال إنه لم يكن لديه دوافع خفية عندما احتفظ بسرية عملية التمويل: "كنت فى موقف يمكننى من أن أساعد الناس فى العالم لكى يقوموا بما كانوا يريدون القيام به، سواء أكان ذلك عن طريق تأليف الكتب أم الرسم أم متابعة دراسات معينة أم السفر متى وأين يريدون أم تحرير مجلات... كنت أجد متعة فى عمل ذلك كله، وإذا كنت تظن أن الـ "CIA" حصلت على شيء من ذلك... صدقنى إن قلت لك إن الحذاء كان فى القدم الخطأ"(٣٠).

فى ٨ مايو ١٩٦٧، نشرت "نيويورك تيمز" تقريرا على الصفحة الأولى تحت عنوان "ستيفن سپندر يترك انكاونتر". ونقل عن "سپندر" قوله "إنه كان قد سمع شائعات تتردد على مدى عدة سنوات بأن المجلة مدعومة بمعونات الـ"CIA" لكننى لم أستطع أن أؤكد أى شيء قبل شهر من الآن. وعلى ضوء ما أذيع من أسرار، والمزاعم التى يمكن أن تتوالى عن مصادر التمويل فإننى أشعر بأن أى محرر متورط -بعلم أو بدون علم- فى تلقى مثل تلك المعونات، لابد من أن يستقيل. وقد فعلت"(٣١). وكذلك فعل "كيرمود".. ليبقى زمام الأمور فى يد "لاسكى" وحده ممسكا بدفة المجلة... متعلقا بها، بالرغم من نداءات كثيرة لكى يستقيل، أمام ذهول وامتعاض "چوسلسون" الذى كان يعرف أن اللعبة قد انتهت. وفى وقت متأخر من ذلك المساء نفسه، أصدر "سيسيل كنج" بيانا: "نحن نرى أن "انكاونتر" بدون "مستر لاسكى" سوف تكون على نفس الدرجة من التشويق والإمتاع... مثل "هملت" بدون الأمير".

ويتذكر "ستيوارت هامپشاير": "عندما تفجر كل شيء، كنت فى "پورتوڤينو" مع "أشعيا برلين" وأصدقاء آخرين. أتذكر أن ستة منا... أرسلوا برقية دفاعا عن "ستيفن" الذى كان فى "لندن"، لكن "مارى مكارثى" رفضت أن توقع قائلة: أنتم تديرون ظهوركم لولدنا الصغير فى "نيويورك". تكدر "سپندر"، وتكدرت "ناتاشا" أكثر. وكان غيظهما شديدا من "لاسكى" تحديدا. لكن لماذا استغربا تصرفه ؟ هل كانا يتوقعان أن يستقيل ؟ أعنى، أن ذلك ليس ما كان يجب أن يفعله. بالقطع لا"(٣٢). بعد ذلك بأيام قليلة، كتب "ماجردچ" إلى "سپندر" يقول له: "شيء بشع أن يظل "ميل" فى الكرسى بالرغم من كل شيء"(٣٣).

بعد استقالة "سپندر" بأيام، ذهبت "ناتاشا" بصحبة صديق إلى مكتب "انكاونتر" لتجمع أوراقه وأشياءه الخاصة. فزعت عندما وجدت أن خزانة "ستيفن"

المقفولة كانت مكسورة. قالت سكرتيرة "لاسكى": نعم! لقد تعرضنا لحادث سرقة هنا في الأسبوع الماضى"(٢٤). أما "ستيورات هامپشاير" الذى كان قد طلب من "سپندر" أن يحتفظ "بسجل لكل شىء، وأن يكون له أرشيفه الخاص" فلم يفاجأ عندما علم بذلك فيما بعد. "كان الأمر واضحا"، كما قال.

(٢٥)

ذلك الشعور بالكرب والاكتئاب !

تظن أنك تشق طريقك، والحقيقة..

هى أنك أنت الذى يتم دفعه..

ميفيستوفيليس

فى "فاوست" جوته

فى ١٣ مايو، وبعد خمسة أيام من استقالة "سپندر" و"كيرمود"، وجد "مايكل چوسلسون" و"چون هنت" نفسيهما فى المكان الذى كان يتخذه "چوسلسون" مكتبا له فى الطابق الثانى من "بوليڤار هاوسمان". كان "چوسلسون" قد وصل من "چنيڤ" إلى "پاريس" بصحبة "ديانا" و"چينفر"، حيث كان قد ظل يخوض المعركة من شقته الأنيقة فى "پلاتو دوشامپل" لاحتواء النتائج غير المتوقعة. أما فى الشوارع أسفل "بوليڤار هاوسمان "فكانت المقاهى تفتح أبوابها لاستقبال المترددين على المتاجر والأسواق يوم السبت مع شمس الربيع. وفى مكان ما وسط أولئك المتسوقين، كانت "ديانا" قد أخذت "چينفر" لكى تشترى زيا خاصا ترتديه فى حفل الباليه المقام بمناسبة انتهاء الفصل الدراسى. لكنها كانت شاردة الذهن تسير عبر الزحام فى اتجاه "جاليرى لافاييت"، وهى تشعر بأنها هائمة منفصلة عن كل ما حولها.

وفى غرفة مجاورة لتلك التى كان "چوسلسون" و"هنت" جالسين فيها، كانت الجمعية العمومية لمنظمة الحرية الثقافية فى جتماع مغلق. كان الاجتماع الذى يترأسه "مينو ماسانى – Minoo Masani" (زعيم حزب المعارضة فى الهند) يضم كلاً من: ريمون آرون – Raymond Aron" و"دانيل بل – Daniel Bell" و"پيير إيمانويل– Pierre Emmanuel" و"لوى فيشر– Louis Fisher" و"أنتونى هارتلى – Anthony Hartley" و"ك. أى. بى. چونز– كوارتى – K.A.B.Johes - Quartey" و"إيزكيل مفاليلى – Ezekiel Mphahlele" و"نيكولاس نابوكوڤ - Nicolas Nabokov" و"هانز أوپرشت – Hans Oprecht" و"مايكل پولانى – Michal Polany" و"دينيس دو روچمو– Denis de Rougemont" و"يوشيهيكو سيكى – Yoshihicko Seki" و"إدوارد شيلز – Edward Shils" و"إجنازيو سيلونى – Ignazio Silone" و"مانيه سپيربر– Manes Sperber".

كانوا قد جاءوا من أركان المعمورة ومهمتهم التى لا يحسدون عليها هى إصدار حكم على "چوسلسون" و"هنت" (كانت استقالتيهما أمامهم على الطاولة) وتحديد مستقبل المنظمة. كانوا وهم جالسون مثل الملوك - الفلاسفة، يعرفون أن كلمتهم ستكون نهائية.

ويتذكر "چون هنت": "جلست أنا و "مايك" فى مكتبه معظم اليوم بجوار غرفة الاجتماع مباشرة، جلسنا وحدنا - ما الذى يمكن أن تفعله فى لحظة كتلك والمحكمة منعقدة فى الغرفة المجاورة؟"(١). كان "مايكل" يجلس صامتا ينقر على المكتب بأصابعه النحيلة - ذات الأظافر المشذبة جيدا - كان يبدو مرهقا من أثر عقدين قضاهما فى العمل بلا هوادة، مرهقا من الانتظار هنا منذ الصباح. شعره مفروق على الجنب وممشط عبر قبة رأسه ليكشف عن جبهة بارزة وعينين صغيرتين يستقر فى الوسط منهما تماما بؤبؤان أسودان كبيران!

فى الوقت نفسه، كان "المحلفون" يناقشون الأدلة. على مدى عقدين، كان "مايكل چوسلسون" يتمسك بكذبة ضخمة ويحافظ عليها، ومع "چون هنت" كمذنب ثانوى، تورط فى الخداع لنصف الوقت فقط. كانت خطورة إخفاء الأمر لها أثر مباشر على تورط مئات الأشخاص. والأكثر من ذلك هو أنها كانت تمثل ورطة أخلاقية ومعنوية لن يكون الخروج منها سهلا. كلا الرجلين أدلى بأقواله عن علاقته بالـ"CIA"، وعلاقة الـ "CIA" بالتالى بمنظمة الحرية الثقافية. قبل "چوسلسون" أن يتحمل المسؤلية كاملة عما كان لا زال يراه كذبة ضرورية. أما ازدراء الجمعية العمومية فلم يكن مضموناً على الإطلاق. "پولانى" و "سيلونى" دافعا عن "چوسلسون" و"هنت"، وحثا الجمعية العمومية على اتخاذ "وقفة قتال". قال "سپيربر" ما معناه: "إلى الجحيم بكل ذلك، لا يهمنا ما تقوله "نيويورك تيمز". لقد ساعدنا فى إقامة ذلك وإدارته على مدى خمسة عشر عاما، وقد تعاملنا مع أشياء أصعب من ذلك فى حياتنا السياسية، فلنستمر كما كنا من قبل إذا كان هناك دعم لذلك"(٢). -لكن .. لم يكن هناك دعم. أما "آرون" و"إيمانويل" - بخاصة - فكانا لابد من أن ينظرا إلى المسألة بشكل مختلف قليلا. فهما كفرنسيين، ينتميان إلى منظمة موجودة فى "پاريس" وملطخة بصلاتها بالـ"CIA"، أصبحت سمعتهما معرضة للخطر. وفيما بعد قال "هنت": "كان لهما نصيب كبير فى ذلك"(٣). "آرون"، فى الحقيقة، كان شديد الضيق بالمسألة المطروحة أمامه لدرجة أنه انسحب غاضبا وبشكل حاد من الاجتماع، وصَفَقَ الباب خلفه وهو يغادر الغرفة.

حتى وقت الغداء، لم يكونوا قد اتفقوا على شىء، وبناء على اقتراح من "ماساني" قرروا استراحة قصيرة. وبعد العودة إلى الاجتماع مرة أخرى بعد الظهر، استمروا في مناقشاتهم. وفى النهاية، ظهر "نابوكوف" و "دو رجمو" أمام "چوسلسون" و"هنت" فى الساعة السادسة وفى يديهما مسودة بيان المنظمة. تقول "ديانا" : قرأوه علينا أنا و"مايكل" و"هنت" - كانت "ديانا" قد تركت "چينفر" مع صديق - يبدى إعجابه بتنورتها القصيرة - لكى تكون بجوار زوجها. تقول "ديانا": "كان شيئا مؤسفا، لم يكن هناك أية إشارة إلى ما قام به "مايكل" أو "چون". اعترى وجهيهما شحوب بالغ. وخرجا. سألنى "نيكولاس" و"دينيس": "ما رأيك؟" قلت: "أعتقد أنه شىء حقير".. وأعتقد أننى كنت أبكى"(٤). وتساءلت "ديانا" من خلف دموعها الحارة، لماذا لم يذكروا أى شىء عن إخلاص "مايكل" وتفانيه من أجل قضية الحرية الثقافية؟ لماذا أنكروا حقيقة أنه لولا "مايكل" و "چون" لما كانت هناك منظمة بالمرة؟ أهكذا يرد المثقفون الجميل للرجل الذى يعرفون أنهم مدينون له؟! يهربون عند أول بادرة لحدوث مشكلة؟ ألا يوجد أحد على استعداد لأن يقف ويقاتل؟ عند هذا الحد، أمسك "نابوكوف" وكان مغرما بالحركات الاستعراضية - بصدره وبدأ فاصلا - حقيقيا أو غير حقيقى - من أزمته القلبية. هُرِعَ أحد الأشخاص لإحضار كوب ماء وأسبرين. وإذا لم تكن نوبة الإغماء فى ذلك الوقت حقيقية، فلابد من أن ارتباكه كان حقيقيا. ماذا كان يمكن أن يتوقع "مايكل"؟ كان أولئك هم أصدقاؤه الذى ضللهم على مدى تلك السنوات. أخفى حقيقة أنه كان يعمل لحساب الـ "CIA" وأن "منظمة الحرية الثقافية" كانت نتاج عملية سرية من عمليات الوكالة. من أى معدن.. تراه قد صنع حتى يبدى هذا التذمر لما أصابه من أذى؟! هل كان يصدق نفسه بالفعل، ويعتقد أنه شخص أجرموا فى حقه أكثر مما كان هو مجرما؟ فجأه.. بدأ "نابوكوف"، الذى كان مصيره مرتبطا ارتباطا وثيقا بـ"چوسلسون"، بدأ يرى بشكل أكثر وضوحا. كانت تلك هى حياة "مايكل"، وكان ذلك هو ما يعتقده.. ولم يكن هناك ما هو أكثر من ذلك!

أنزعج "نابوكوف" و"دو روچمو" لفكرة أنهما لم يحسنا التصرف، ووعدا "ديانا" بأنهما سيحاولان إقناع الجمعية العمومية بإعادة صياغة البيان. وبعد أن سكن غضبها، خرجت لتبحث عن "مايكل" و"چون". بعد فترة وجيزة كانا يستمعان للبيان بعد مراجعته وتعديله.. وفى اليوم التالى كان قد وجد طريقه إلى الصحافة العالمية.

"الجمعية العمومية.. تبدى عميق أسفها، إذ أن المعلومات التى نقلت إليها قد أكدت ما قيل من أن معونات وكالة المخابرات المركزية قد استخدمت.. وأن السكرتير التنفيذى قد رأى أنه من الضرورى قبول تلك المعونات دون إخطار أى من زملائه.

والجمعية تؤكد اعتزازها بإنجازات المنظمة منذ تأسيسها فى عام ١٩٥٠، وتود أن تعبر عن اقتناعها بأن أنشطتها كانت بعيدة تماما (متحررة تماما) من أى نفوذ أو ضغط من أية جهة كانت تدعمها ماليا، كما تؤكد ثقتها فى استقلالية ونزاهة كل من تعاونوا فى هذا العمل. وقد أدانت بشدة، الأسلوب الذى خدعت به الـ "CIA" المعنيين، الأمر الذى جعل كل جهودهم عرضة للمساءلة. وقد أعلنت الجمعية أن تأثير عمل كهذا يقصد إلى تسميم منابع الخطاب الثقافى. كما أدانت الجمعية، تماما، استخدام مثل تلك الوسائل فى عالم الأفكار، قد نظرت الجمعية فى الاستقالة المقدمة من كل من "مايكل چوسلسون" و "چون هنت"، كما عبرت عن عرفانها لهما مجددا، لأنهما بالرغم من كل الصعوبات التى نجمت عن أسلوب تمويل أنشطة المنظمة، إلا أنهما استطاعا أن يحافظا على استقلاليتها ونزاهتها الفكرية، وبناء عليه فقد طلبت منهما الاستمرار فى أداء مهامهما(٥).

كانت صيغة البيان مراوغة فى أمور عدة. **أولا**: الجمعية العمومية كانت **قد قبلت** استقالة "چوسلسون"، وأكد ذلك فيما بعد كل من "ديانا چوسلسون" و"چون هنت" الذى قال: فهمت أن "مايك" وبالرغم من أى شىء يقوله محضر الاجتماع، كان قد أخبر بالفعل بأنه لا يمكن أن يبقى فى موقعه. أما أنا فكنت - فى نظرهم - ضمن تصنيف آخر، ولذا لم ينطبق على ذلك"(٦). **ثانيا** والأهم: لم يكن كافيا أن يقال: إن "چوسلسون" قد قبل معونة الـ "CIA" دون إخطار أى من زملائه. وقد كشف "هنت" عن ذلك فيما بعد عندما قال: "أستطيع أن أقول لك إن الكثير من الشخصيات المهمة فى المنظمة كانوا يعرفون الحقيقة.. لأن حكوماتهم كانت قد أخبرتهم. "آرون" كان يعرف، ومن الواضح أن "مالرو" كان يعرف. وكذلك "ماجردچ" و"واربورج" اللذان أخبرتهما "MI6" بعد أن توصلت الوكالتان إلى اتفاق بشأن "انكاونتر"(٧).

أما "لورانس دونيڤى" فقال: "ومن الذى لم يكن يعرف؟ أنا أحب أن أعرف، كان سرا مكشوفا". إن قائمة الذين كانوا يعرفون - أو يظن أنهم كانوا يعرفون - طويلة جدا. "ستيوارت هامپشاير" و"آرثر شليزنجر" و"إدوارد شليز" (الذى اعترف لـ "ناتاشا سپندر" إنه كان يعرف منذ عام ١٩٥٥) و"دينيس دو روچمو" و"دانيل بل" و"لوى فيشر" و"آرثر كويستلر" و"چنكى فليشمان" وفرانسوا بندى" و"چيمس بيرنهام" و"ڤيلى برانت" و"سيدنى هوك" و"ميلڤن لاسكى" و"چاسون ايپشتين" و"مارى مكارثى" و"پيير ايمانويل" و"ليونيل تريللنج" و"صول ليڤيتاس" و"روبرت اوپنهايمر" و"صول شتاين" و"داويت ماكدونالد" - لم يكونوا كلهم "مدركين تماما" بمعنى أنهم لم يكونوا مشاركين نشطين فى عملية الخداع لكنهم كلهم كانوا يعرفون... ومنذ مدة

طويلة. وإذا كانوا لم يعرفوا فهم مذنبون لأنهم لم يحاولوا أن يعرفوا. ويزعم "هنت" أن "مايك" حاول أن يقول للبعض لكنهم قالوا إنهم لا يريدون أن يعرفوا". "كانوا يعرفون، ويعرفون بالقدر الذى يريدون، ولو أنهم عرفوا أكثر فإنهم كانوا يعرفون أيضا أن عليهم أن يخرجوا من ذلك... ولذا كانوا يرفضون أن يعرفوا"(٩). الشاعر الاسترالى "چيمس ماكولى – James McAuley" والمحرر المؤسس لمجلة "كوادرانت – Quad-rant" حضر كمراقب. ولا حظ تناقضا بين رغبتهم في:

١- أن يساعدوا "مايك" بحكم الصداقة، وبأمانة، لان أحدا منهم لم يتعرض بالفعل لخداع كبير.

٢- أن يتخذوا موقفا معلنا من البراءة المزعومة"(١٠). "شانتال – Chantal" زوجة "هنت" والتى كانت قد عملت فى وزارة الثقافة الفرنسية، ثم عملت لفترة قصيرة مع المنظمة، كانت تستبعد، رافضة، مثل ذلك التشوش الأخلاقى: "كل واحد فى فرنسا، فى محيطى على الأقل كان يعرف الحقيقة عن الذين يقفون وراء المنظمة. كلهم كانوا يتكلمون عن ذلك وكانوا يقولون: لماذا تريدين الذهاب للعمل هناك؟! إنها الـ "CIA"الكل كان يعرف، ربما باستثناء من كانوا يعملون لحسابها.. كما يبدو. أليس ذلك غريبا. لقد كنت أعتقد ذلك دائما"(١١). وتقول "ديانا چوسلسون": معظمهم أنكر أنه كان يعرف أى شىء. كلهم كذابون!"(١٢).

لكن ماذا عن "نيكولاس نابوكوف" الذى قطع كل خطوات الرحلة إلى جوار "چوسلسون" منذ الأيام الأولى فى "برلين" وصولا إلى ذلك الشجب الفضائحى فى "پاريس"؟ هل كان يصدق بالفعل دحضه الغاضب للاتهامات بتدخل الـ "CIA" عندما قال: "أنا أرفض كل شىء وأكذبه، "منظمة الحرية الثقافية" لم يكن لها أية صلة مباشرة أو غير مباشرة بالـ "CIA"... وكل شىء كان من تدبير السوڤيت"؟(١٣). هل كان يمكن لأحد أن يصدق – عن حق – أن "نابوكوف" لم يكن قد أحيط علما – أو أن يكون هو الذى اكتشف – بأن "مدافع غابات ڤرچينيا الثقيلة كانت تقف وراء ذلك كله" (بنص كلماته)؟. حكاية "مارى مكارثى" التى أفشى فيها "نابوكوف" السر لـ "سپندر" فى سيارة أجرة فى "لندن" توحى بغير ذلك. كذلك فإن "شانتال" تتذكر "نابوكوف" الذى قال لها: "بهمسات تآمرية على "غداء ذات يوم" إنه كان يعرف جيدا. وفيما بعد ذكر "ستيورات هامپشاير" بسخرية أن "نابوكوف" لم يصبه أى ضرر حقيقى بسبب إفشاء تلك الأسرار". وعندما وقف نابوكوف أمام "چوسلسون" فى يوم ١٣ مايو التعس، يلوح أمام وجهه بقرار إدانته لأنه خدع زملاءه، لم يخطر بباله للحظة أنه لم يكن الشخص المناسب لإصدار مثل ذلك الحكم.

فى مذكراته، ذم الخطأ الشديد والذى لم يكن هناك مبرر له فى طريقة التفكير (أو غيبة التفكير) التى سبقت اتخاذ القرار بتمرير مبالغ من الـ "CIA" إلى المؤسسات الثقافية"(١٥). وأضاف أن ذلك كان خطأ فادحا، وخاصة عندما يفكر المرء فى أن الحرب الثقافية كانت هى أعنف الحروب وأكثرها تعقيدا منذ أوائل القرن الثامن عشر، وأن ذلك الخطأ وقع فى بلد معتاد على تقليد عمره قرن، لما كان يصفه "كامو – Camus" بـ"الصيغ الأخلاقية للتفكير السياسى". وإلى الآن، مازلت أشعر بالألم عندما أفكر فى تلك "الكدمات الطائشة واللاأخلاقية"، وأن بناء رائعا شيده بالحب والرعاية رجال ونساء يتمتعون بالذكاء والنقاء والإخلاص والتفكير الحر، تم جرهم إلى الوحل وتدميرهم بسبب العجرفة، والصلف القديم: التصرف الأخرق"(١٦). أما على انفراد، فلم يكن "نابوكوف" يبوح بشىء من ذلك السخط الأخلاقى. فقد قال لأحد المراسلين الصحفيين: لا أشعر بأن المرء لابد من أن يعتذر عن تمويل الـ"CIA" للمنظمة. كان الكثيرون منا يشكون أن هناك تمويلا من هذا النوع، وكان ذلك هو "حديث المدينة" فى كثير من العواصم فى أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا. التمويل ليس هو: جوهر الموضوع. المهم هو ماذا حققت المنظمة؟"(١٧).

فى غمرة شعوره بأنه "أيوب" معاصر، وبأنه الرجل الكامل والمستقيم.. الذى يعانى بسبب فضائله، غادر "چوسلسون" "پاريس" بعد المرور على أطبائه. ثم التقى و "مكچورچ بندى – McGeorge Bundy" ربما لكى يناقش معه تورط الـ"CIA" الضمنى نتيجة افتضاح تلك الأسرار (كان "بندى" طبقا لما ذكرته الـ "واشنطن پوست" هو المشرف على عمليات الـ "CIA" فى عهد إدارتى "كينيدى" و"چونسون"). وبعد عودته إلى "چنيڤ"، وقبل أن يفرغ "چوسلسون" حقائبه، كان أن انفجر البركان. فى أعقاب اعتراف الجمعية العمومية بأن الـ "CIA" كانت تمول المنظمة، وجدت الصحف فى جميع أنحاء العالم ميدانا يوميا للكتابة. أصيب "چوسلسون" بانهيار، وترك "ديانا" ترد على سيل الاتصالات التليفونية الغاضبة. كتبت إلى "سپندر" وزوجته تقول إن: صراع چوسلسون المتواصل ليل نهار، تحت ضغط وعناء مستمرين، محاولا إنقاذ ما يمكن إنقاذه من عمل المنظمة على أى نحو، هذا الصراع يجعلنى دائما فى حالة قلق.... الورطة قائمة... وهى شىء يشبه الهيدرا"(*)(١٨). كانت فى حالة قنوط تام. "أريد أن أجد مخرجا، حياة جديدة" وألا يكون لها أية علاقة بأولئك الناس مرة أخرى إلا على أساس من الصداقة.. "مع الأصدقاء منهم"(١٩).

(*) الهيدرا – "Hydra" فى الأساطير اليونانية، ثعبان خرافى (قتله "هرقل") له رؤوس متعددة، تنمو من جديد إذا قطعت واحدة منها. (المترجم)

لكن قضية الثقافة نفسها كانت قد أصبحت ملتبسة. وكتبت "ناتاشا": "عزيزى "مايك"، إنه الجانب الإنسانى... ذلك هو الحزن، وعندما أنظر خلفى على ضوء المعرفة الحالية، أرى أن كل شخص كان سجين ذلك الوضع و بدرجات وعلى أنحاء مختلفة. لابد من أن الأمر كان مؤلما بالنسبة لك عندما كنت مضطرا لأن تخدع أصدقاءك الذين كنت مخلصا لهم وخيرا معهم دائما. لكننى على ثقة من أنه كان لابد من أن تتوقع الـ "CIA" ذلك، حيث إن تبعاته فى المعاناة الشخصية والعلاقات لا نهاية لها، وإذا كان المرء يهتم كثيرا كما يفعل، فلابد من أنه سوف يحزن على الثقة المحطمة والتى لا يمكن استعادتها. ولذا نعود إلى حقيقة أنه إذا حجب زميل معلومات عن أصدقائه، فهو بذلك الفعل إنما يسرق حريتهم وشرفهم مما يؤدى إلى تدمير ثقتهم... وفى النهاية لابد من أن يعانى كثيرون. أتوقع أن تكون أنت أيضا قد استرحت لخروجك من موقف زائف سلبك حق أن تكون مخلصا لأصدقائك... إن الخطأ الحقيقى يكمن فى الصمت الذى فرضته عليك الـ"CIA" من وجهة نظرهم)، والذى كان يتطلب أن تعامل أصدقاءك على ذلك النحو. كان ذلك هو الذى أجبرك على أن تتبنى نفس الأخلاقيات مثل الشيوعيين . ومن هنا تجعل أساليبهم فى الغرب مثل أساليب الشرق فى هذا المجال"(٢٠).

استمرت "عاصفة القاذورات" – كما سيطلق عليها "جوسلسون" فيما بعد – دون أن تهدأ. أما غير المعقول والذى لا يمكن أن يصدقه أحد، فهو أن "توم برادن" كان هو الذى يدفع العاصفة نحو احتدام جديد، عندما كتب مقالا لـ "ساترداى إيفننج بوست – Saturday Evening Post"، ظهر المقال بعنوان "أنا سعيد لأن الـ "CIA" لا أخلاقية" فى عدد ٢٠ مايو. ويقول "برادن" إنه كتبه لتصحيح "مسلسل الهراء والسخافات المضللة" التى تظهر فى الصحف. لكن "برادن" فعل ما هو أكثر من تصحيح المعلومات غير الدقيقة: فقد تطوع بتقديم معلومات سرية ما كان يمكن الكشف عنها بأية وسيلة أخرى – قدم دليلا دامغا لكى يضع نهاية لكل اللبس (ولأية إمكانية للنفى أو الإنكار). ولكى يوضح كيف كان أولئك المنتمون لليسار فى أوروبا الخمسينيات "هم الوحيدون المهتمون بمكافحة الشيوعية"(٢١)، لكى يوضح ذلك قدم تقريرا مفصلا عن محاولات الـ "IOD" قسم المنظمات الدولية – مع المسئولين فى اتحادات العمال الأمريكية، بل إنه اتهم "ڤيكتور رويثر – Victor Reuther" بإنفاق أموال الـ "CIA" دون تعقل"، وأكد أن الأموال اللازمة "لإصدار انكاونتر" جاءت من الـ"CIA"، ثم راح يدعى أن "أحد العملاء أصبح رئيسا لتحرير انكاونتر"، وأضاف أن عملاء الـ "CIA" الذين تم زرعهم بهذا الأسلوب "لم يقترحوا فقط مخططات وبرامج على القيادات الرسمية للمنظمات، وإنما كانوا يقترحون كذلك وسائل وأساليب لحل

مشكلات الميزانية الحتمية. "لماذا لا تفكرون فى إمكانية الحصول على الأموال المطلوبة من "المؤسسات الأمريكية؟" وكما كان العملاء يعرفون، فإن المؤسسات المدعومة ماليا من الـ "CIA" كانت فى غاية السخاء عندما كان الأمر يتعلق بالسياسة القومية"(٢٢). وفى سرده لقائمة الواجهات السرية التى أنشأها الـ "IOD" قال "برادن" إنه "بحلول عام ١٩٥٣ كنا ندير، أو نمارس نفوذا على مؤسسات عالمية فى جميع المجالات"(٢٣). ندير؟! نمارس نفوذا؟! والمؤكد أنه لو كان يريد أن يقول "ندعم" أو "نقدم المشورة".. لكتب ذلك. بيد أن ذلك كان هو الخيط الرسمى الذى كانت الوكالة تغزله دائما...

كان لمقال "برادن" أثره فى تدمير ارتباطات الـ "CIA" السرية باليسار غير الشيوعى مرة وإلى الأبد. ما الذى وسوس له إذن أن يكتب ذلك؟ كان تفسيره هو أن صديقه القديم "ستيوارت ألسوب Stuart Alsop" قد اتصل به تليفونيا فى كاليفورنيا وطلب منه أن يكتب مقالا لـ "ساترداى إيڤننج پوست" يضع الأمور فى نصابها. يقول "برادن": أعتقد أننى كنت اعتبر تلك عملية إدراك للتاريخ، كنت مازلت فى البداية ولم يكن قد مر عشرون عاما، وكانت هناك أمور لا تزال مستمرة، كما كنت أعتقد أن الأمور قد أصبحت تدعو للسخرية وأن الوقت قد حان لإيقاف ذلك العرض الهزلى"(٢٤). بدأ "برادن" كتابة مسودة المقال فى أوائل مارس. وعلى مدى ثلاثة أشهر كان لديه متسع لكى يقوم بتنقيحه. تشاور مع "ألسوپ" عدة مرات بالتليفون، وأرسل عدة "بروڤات" كانت كل واحدة منها أكثر كشفا وفضحا للأسرار من سابقتها.

كان "برادن" نفسه يزعم أنه يريد أن "يضع الأمور فى نصابها" ويصحح التاريخ ويزيل الأكاذيب. لكنه فى مقاله أخفى الأسماء السرية عمدا وأعطى نفسه اسم "وارن چى هاسكنز – Warren G. Haskins" بينما كان الاسم هو "هومر د. هوسكنز – Homer D.Hoskins"، فلماذا كان حريصا على الحفاظ على الأسماء السرية "الحقيقية" وسط تلك العملية المثيرة؟ هل كان يفكر فى "تعهد السرية" الذى كان العميل يوقع عليه عند حلف اليمين؟ عندما سئل عن "تعهد السرية" ذاك، قدم إجابة غريبة: "كان بإمكانهم أن يذكرونى بذلك التعهد، لكننى كنت قد نسيت حتى أننى وقعته. لم أكن أعرف أننى وقعت تعهداً من هذا القبيل.. لم أكن أتذكر. ولو أننى تذكرت لما فعلت ذلك"(٢٥). ويقول "لورانس دونيڤى": "... أما إذا قيل إن "توم" كان يتصرف حسب القواعد كشخص متقاعد يريد أن يحصل على موافقة على ما كتبه، فأنا لا أعتقد أنه كان يتصرف طبقا للقواعد"(٢٦).

وهناك سيناريو آخر. سيناريو يميل إليه عدد كبير من عملاء الـ "CIA" وحتى برادن" نفسه. يقول "چون هنت": "إن برادن كان رجلا من داخل المؤسسة، وكان

يعرف كل شيء عن "تعهد السرية". كان ذلك التعهد يطبق في الماضي، ولو كان "برادن" بالفعل يتصرف هكذا من نفسه، لكان لابد من أن يشعر بالخوف. أعتقد أنه كان أداة في سلسلة ممن كانوا يريدون التخلص من اليسار غير الشيوعي. لا تبحث عن قاتل وحيد، هذا جنون، بالضبط كما هو الحال في اغتيال "كينيدي". كانت هناك جهات كثيرة مهتمة بذلك. وبرادن " كتب في حد د معينة وإلى مدى معين. ربما يكون (ريتشارد) "هلمز" قد استدعاه وقال له: "لدي عمل لك". أعتقد أنه كان هناك قرار بعملية لتفجير المنظمة وبرامج أخرى. تكلمت مع "مايك" بخصوص مقال "برادن"، ورجحنا أن يكون جزءا من عملية منسقة ومصرح بها لإنهاء تحالفا لـ "CIA" مع اليسار غير الشيوعي. لكننا لم نصل إلى أغوارها"(٢٧).

كان "چاك طومسون" أيضا يفكر في نفس الاتجاه. "هناك أسلوب قديم وهو أنك إذا كنت تريد أن تندد بعملية، فلابد من أن تفجرها. ولدى سيناريو متخيل: الرئيس "چونسون" جالس على مكتبه في المكتب البيضاوي يقلب في بعض الأوراق. يجد نسخة من مجلة "انكاونتر". "هه! ما هذا ؟". فيرد شخص ما عليه: هذه مجلتك يا سيدي الرئيس!" فيقول "چونسون": "مجلتي؟ مجلتي!"، هؤلاء الرجال يعتقدون أن حربي "**خطأ**" ويكتبون في **مجلتي**؟"... وهذا ما حدث"(٢٨).

يبدو سيناريو "طومسون" الخيالي جديرا بالتأمل. كان "ليندون باين چونسون – Lyndon Baines Johnson" رجلا من الثلاثينيات، صبي تكساس الفقير الهائم في عالم أبناء الشرق الأمريكي المتقدم، لا يتعامل مع أي من أولئك المثقفين، لا إحساس بأي سحر أو رونق مما كان يحيط بفترة "چاك كينيدي" الأثينية. فكرة "چونسون" عن احتفال ثقافي كانت محدودة بشيء يمكن أن يبعث البهجة في نفوس السيدات". قبل عامين من ظهور مقال "برادن"، وفي ١٤ يونيو ١٩٦٥، كان المثقفون الأمريكيون قد حولوا احتفالا بالفنون في البيت الأبيض (كان مستشارو الرئيس قد تصوروا أنه يمكن أن يكون وسيلة لتهدئة المعارضة للحرب) إلى منبر غاضب عن قضية حرب ڤيتنام. كان "روبرت لويل" (وقد تم تسجيل ذلك في حينه في ملفه لدى الـ "FBI" قد رفض الدعوة لحضور الاحتفال، كما رفضها كذلك "ادموند ويلسون – Edmund Wilson"، وبغلظة أذهلت "إريك چولدمان" منظم المناسبة. حضر الاحتفال "دوايت ماكدونالد"، لكنه جاء حاملا عريضة تأييد لـ "لويل" وشجب السياسة الأمريكية، وكانت العريضة موقعة من "هانا آرنت" و"ليليان هيلمان" و"الفرد كازين" و"لاري ريڤرز" و"فيليپ روث" و"مارك روثكو" و"وليم ستيرون" و"ماري مكارثي" (التي لم تكن مدعوة أصلا)، وأثناء العشاء تمكن "ماكدونالد" من أن يجمع تسعة توقيعات أخرى، الأمر

الذى سوف يؤدى إلى اشتباك عنيف بينه وبين "تشارلتون هستون"، الذى اتهم "ماكدونالد" بافتقاره لمبادئ "السلوك المهذب" وسأله: "هل أنت معتاد على توقيع عرائض ضد مضيفك فى بيته؟"(٢٩). أما "جونسون" فأصبح يشعر بعد ذلك بأن البيت الأبيض قد استولت عليه "عصابة من الخونة"(٣٠).

كان ذلك الحدث كارثة مطبقة، وأضاف رد فعل الرئيس "جونسون" إزاءها "مزيدا من الأحجار إلى الحائط الذى ارتفع بينه وبين تلك الجماعات"، كما يقول "إريك جولدمان". ويضيف: " ولكن لحسن الحظ أن معظم القصة ظل مجهولا. لكن ما تسرب منها كان يكفى ليجعل ذلك الحائط صلبا لا يمكن النفاذ منه، مثل ذلك الحائط الصخرى ذى السلك الشائك بين برلين الشرقية والغربية"(٣١). ونقل عن "جونسون" قوله إنه كانت هناك مؤامرة بين "أولئك الناس" لإهانته هو ومكتبه و"للإضرار ببلادهم فى وقت أزمة"(٣٢)، وإنهم "أولاد قحبة" و"أغبياء" و"خونة"، قاموا بتفجير حدث ثانوى فى "موقف لا أهمية له". كما قال الرئيس لاثنين من مساعديه: "ريتشارد جودوين – Richard Goodwin" و"بيل مويرز– ill Moyers " بأنه "لن يكون لى علاقة أكثر من ذلك بالليبراليين ولن يكون لهم علاقة بى، كلهم يتبعون الخط الشيوعى – الليبراليون، المثقفون، الشيوعيون... كلهم سواء"(٣٣).

أما "جيمس بيرنهام – James Burnham الذى كان قد ساعد فى ربط "منظمة الحرية الثقافية" بالـ "CIA" فى الأيام الأولى، والذى كان يفعل ذلك لصالح سياسة واقعية محافظة، فقد وجد فى تلك التداعيات المدمرة دليلا على ما كان يحذر منه طويلا، وهو أنه عيب أساسى فى فكر الـ "CIA" كتب: " لقد قامت الـ"CIA" بمعظم تلك الأنشطة من منظور اليسار غير الشيوعى. كان تقدير الـ "CIA" لليسار الشيوعى على أنه قوة معادية للشيوعية يمكن الاعتماد عليها، وعلى أنه قوة إن لم تكن فى عملها موالية للغرب ولأمريكا، فهى على أية حال ليست معادية للغرب ولا لأمريكا. وهذا تقدير سياسى خاطئ. اليسار غير الشيوعى لا يعتمد عليه. اليسار غير الشيوعى أصابه الوهن تحت ضغط الأحداث الحرجة. جزء كبير فى هذا البلد– كما فى غيره – تحول إلى موقف مضاد لأمريكا، واليسار غير الشيوعى كله تقريبا قد خفف من حدة مواقفه تجاه الشيوعية والدول الشيوعية. وهكذا، فإن الانهيار التنظيمى ناجم عن الخطأ السياسى. هذا الخطأ السياسى هو الاعتماد الجازم بأن الصراع الكونى ضد الشيوعية يجب أن يعتمد على اليسار غير الشيوعى، وهو الاعتقاد الذى فرضه "آلان دالاس" على الـ "CIA". كوبا، وجمهورية الدومينكان، وفيتنام قبل الجميع، كلهم وضعوا اليسار غير الشيوعى وممارساته أمام اختبار حاسم. قطاع كبير من

المنظمات والأفراد الذين تعهدتهم الـ "CIA" تحت هذا التصنيف "اليسار غير الشيوعى"، انتهى بهم الأمر لأن يضعفوا إرادة الأمة وأن يعوقوا ويخربوا أمنها"(٣٤). وفكرة أن يكون "ليندون چونسون" قد فكر فيما بعد أن يفك علاقة الـ "CIA" باليسار غير الشيوعى ليست مستبعدة.

أهم مفتاح لتفسير ما حدث هو موضوع تعهد "برادن" السرى. فى تمام الساعة الثانية مساء الأربعاء ١٩ إبريل ١٩٦٧، كتب: "وولت روستو – Walt Rostow" المساعد الخاص للرئيس "چونسون" "مذكرة سرية" له تقول باختصار: "أعتقد أنك على علم بمقال "برادن" القادم عن الـ "CIA" والذى ستنشره "ساترداى إيڤننج پوست". هنا القصة كاملة من "ديك هلمز". وظهر مقال "برادن" فى العدد الذى صدر فى ٢٠ مايو ١٩٦٧، أى بعد شهر كامل من إخطار "روستو" للرئيس. أما "ريتشارد هلمز" الذى كان آنذاك مديرا للـ"CIA"، فكان – كما يقول "روستو" – على علم بالمقال وبمضمونه بالطبع. كان لدى الـ "CIA" الوقت الكافى لكى تعمل التعهد السرى مع "برادن" وتمنعه من نشر المقال.

ذكريات "روستو" عن هذا الموضوع لم تكن مؤكدة. "كنت أعرف "برادن" من الناحية الاجتماعية فقط كشخص طيب المعشر يمكن التحدث معه. لا أتذكر شيئا عن تلك المذكرة. ولا أتذكر مقاله". ويضيف: "أظن أن "هلمز" أخبرنى، وأظن أننى أخبرت الرئيس. لكنها لم تكن عملية كبيرة. لم تترك أثرا على فى ذلك الوقت"(٣٥). لماذا اهتم إذن "روستو" بأن يكتب مذكرة سرية للرئيس عن شىء لم يترك أثرا عليه...؟ يجيب "روستو" عن السؤال بشكل متناقض: "أى شىء يمكن أن يثير قضية سياسية.. يمكن أن يكون له أثره على الرئاسة.. ولابد من أن أحيطه علما به"(٣٦).

والحقيقة أن "روستو" و"هلمز" كان لديهما مناسبات عدة لكى يحيطا الرئيس علما بأشياء كثيرة. بناء على اقتراح من "روستو"، كانت قد وجهت الدعوة لـ"هلمز" لحضور غداء الثلاثاء، وهو أهم اجتماع على مستوى عال خاص بالأمن القومى فى سنوات "چونسون"؛ "لأننى كنت أعتقد أن الرئيس لابد من أن يكون لديه رجل مخابرات يستطيع أن يتشاور معه."(٣٧) كان موضوع ڤيتنام هو الموضوع الوحيد تقريبا، الذى يسيطر على مناقشات ذلك الغداء الأسبوعى فى عام ١٩٦٧.

وسؤال آخر: لماذا كانت الـ "CIA" مهتمة إلى ذلك الحد بما تنشره "رامپارتس" ولدرجة القيام بعملية مخابراتية كاملة، بينما لم تحاول أن توقف "برادن"؟ يقول "برادن": أعتقد أنه.. من المحتمل جدا أنهم كانوا يريدون التخلص من ذلك كله. ربما كان "ستيوارت "ألسوپ" على علم بذلك. كنت أعتقد أنهم فى ذلك الوقت

كان لديهم فى الوكالة من يريدون التخلص من أشياء كتلك... انكشف أمرها"، الكل كانوا يعرفون - من يقع ذلك فى دائرة اختصاصهم، وأشخاص مثل "روستو" من المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن كل تلك الأشياء كانت واجهات للـ"CIA" وكان فى ذهنى دائما أنهم يريدون أن يقتلوها، لكننى لا أستطيع أن أثبت ذلك"(٣٨).

كان "ستيوارت ألسوپ" عميلا للـ "CIA" كما يقول أحد كبار المسئولين فى الوكالة. مصادر أخرى تقول إنه كان مفيدا للوكالة فى المحادثات مع المسئولين فى الحكومات الأجنبية - يسأل أسئلة كانت الـ "CIA" تريد أن تحصل على إجابات عنها، يعطى معلومات مضللة لصالح الولايات المتحدة، ويُقَوِّم فرص تجنيد الـ "CIA" لبعض الأجانب فى المراكز الحساسة. "چوزيف" شقيق "ستيوارت" يرفض الزعم بأن شقيقه كان عميلا ويصف ذلك بأنه "هراء". يقول" "كنت أقرب للوكالة من "ستو - Stew " بالرغم من أنه كان قريبا جدا"(٣٩). لكنه يواصل: "أستطيع أن أقول إنه قام ببعض المهام - قام بالشيء الصحيح كأمريكى... كان الآباء المؤسسون للـ "CIA" أصدقاء لنا.. كان جوا اجتماعيا. لم أتسلم دولارا واحدا، لم أوقع تعهدا بالسرية. لم يكن مطلوبا أن أفعل ذلك. قمت بعمل أشياء عندما كنت أرى أنها الأشياء الصحيحة التى ينبغى القيام بها. أسمى ذلك: القيام بواجبى كمواطن. لم تفتح الـ "CIA" نفسها على من لا تثق بهم. كنا أنا و "روستو" محل ثقة.. وأنا فخور بذلك". كان "ستيوارت ألسوپ" يشير إلى "دالاس" وجماعته بـ "الشرقيين الشجعان" ويعبر عن سعادته لأنه شريك فى تلك المؤسسة المتماسكة.(٤٠).

لكن مقال "برادن" لم يحقق النتيجة المتوقعة بالنسبة لجانب شديد الأهمية. زعمه بأن الوكالة قد قامت بزرع عميل فى "انكاونتر" كان المقصود منه فقط هو فضح ذلك العميل والتعجيل باستقالته. وبعد ذلك فصَّل "برادن" المسألة. هذا الرجل "كان أحد عملائنا، صاحب إنجاز ثقافى متميز، وقدرة فائقة على الكتابة، وكنا نحن الذين ندفع راتبه"(٤١). وهكذا وجد "إيرڤنج كريستول" نفسه فى الورطة مباشرة، كان فى ذلك الوقت مشاركا لـ "دانيل بل" فى رئاسة تحرير صحيفة اسمها "ذى پبليك انترست - The Public Interest" كانت قد صدرت بفضل منحة سخية من "چوسلسون" مقدارها عشرة آلاف دولار". وقال فيما بعد: "عندما نشر "توم برادن" ذلك المقال وقال إن هناك عميلا للـ "CIA" فى "انكاونتر" كنت فى غاية الغضب لأننى كنت أعرف جيدا أننى لم أكن عميلا للـ "CIA". كما كنت متأكدا من أن "ستيفن سپندر" لم يكن عميلا أيضا. ولا أعرف ماذا كان فى ذهن "مستر برادن" عندما كتب ذلك المقال(٤٢). أما "سپندر" فقال: "لا أصدق أنه كان "كريستول" كما أعرف أننى لم أكن ذلك الرجل"(٤٣).

وهكذا بقى "لاسكى". بعد سنوات كان يتهكم بازدراء على زعم "برادن" كما هو متوقع، ويصفه بـ العجوز.. الغبى.. الخرف"، ويصف العملية كلها بأنها مثل ميلودراما "چيمس بوند" ويقول " لم أحرر فى حياتى مجلة للـ"CIA"، ولن يحدث"(٤٤). من كان إذن عميل الـ"CIA"؟ يرد: "أنت؟ أنا؟ من؟ اسمعى.. لقد فعلنا ما فعلناه... لا... لا... لا... ! كانت "فانتازيا" ولا يجب أن يأخذها المؤرخون على محمل الجد"(٤٥). لكن "برادن" - وبعد ثلاثين عاما - كان قاطعا فى ذلك الأمر. لم تكن هناك أية "فانتازيا"!.

"چوسلسون" وزوجته لحق بهما دمار بالغ بسبب خيانة "برادن". كتبت "ديانا": "كنت أحتفظ دائما بذكريات طيبة عنك فى سباق الدراجات الذى استمر ستة أيام.. إلخ، هذا إلى جانب تقدير شديد لأدائك الرائع، الأمر الذى يجعلنى أشعر بحزن شديد لخيانتك "مايك" وزملاءه وغدرك بهم فى مقالك. بيانك الزائف والذى ينطوى على توريط لـ"إيرڤنج" والذى يبدو أنك نسيت تماما أنه لم يكن له أى دخل.. هذا البيان صنع جوا من البلبلة والمعاناة الشخصية التى لا أظن أنك يمكن أن تتصورها. بالرغم من أنك قد تدرك أنك وجهت ضربة قاضية لمجلة جيدة.. وكما أعرف من واقع تجربتى التى عشتها على مدى تلك السنوات المرهقة، وكما أنه لابد من أنك تعرف جيدا أيضا يا "توم": لو أن هناك رجلا وكان عميلا حرا، يعمل فقط طبقا لما يمليه عليه ضميره، لكان ذلك الرجل هو "مايك"(٤٦). وأنهت "ديانا" رسالتها بأن توسلت إلى "برادن" أن ينشر اعتذاراً ويسحب بيانه الذى يقول إن "چوسلسون" كان قد زُرِعَ فى المؤتمر".. لكن رسالتها لم تلق ردا.

الغريب أنه بالرغم مما يمكن أن يسمى "ارتباكا" من الناحية الفنية، إلا أن ذلك لم يكن سببا فى قلق كبير فى الوكالة، التى كانت تعتبر ما حدث "ليس أسعد شىء بالضرورة"(٤٧). خرج "توم برادن" من المسألة دون أى لوم رسمى. الأكثر من ذلك أن العملاء الذين كانوا متورطين فى برنامج اليسار ير الشيوعى، والذى تفجر، لم يحدث لهم شىء. "كورد مايور" وجماعته تحركوا كلهم بسرعة إلى مواقع أهم وأفضل (مايور أصبح مسئولا عن مركز الـ "CIA" فى لندن وعن كل عملياتها فى أوروبا الغربية) أما الذين كانوا قد جُنِّدُوا من اليسار غير الشيوعى فقط، فكانوا هم الذين يمكن أن يستغنى عنهم. "روبى ماكولى" تعرض لبعض المتاعب والتحرشات، وفى النهاية "ضغطوا عليه لكى يستقيل" كما تقول "ديانا چوسلسون". ترك الوكالة، ومجلة "كينيون ريڤيو"، ليعمل محررا فى "پلاى بوى". "چون طومسون" الذى كان قد بدأ مغازلة اليسار الجديد فى منتصف التسعينيات، تم إسقاطه مما كان يسميه "سفينة الحلوى الجميلة".

قال لـ "چوسلسون" وزوجته إن الكتابة الأمريكية فى عام ١٩٦٨ كانت كلها عن ڤيتنام، وما ليس عن ڤيتنام كان يتجه نحو تناول الأمريكيين الأفارقة (بالرغم من أن الكلمة التى استخدمها كانت كلمة استعمارية)(٤٨). أما "چوسلسون"، فبالرغم من أنه كان قد استقال من الـ "CIA" قبل اجتماع الجمعية العمومية فى ١٣ مايو بوقت قصير، إلا أن تسوية وضعه كانت مجحفة (تقول "ديانا" إنه قد استقال بداية لكى يحافظ على المؤتمر، ولكى يقول إذا سئل، إنه لم يعد يعمل مع الوكالة)(٤٩). خسر "چوسلسون" كثيرا بعد استقالته. كان معاشه ضئيلا ولا يتناسب مع الجهد الذى قام به. فى عام ١٩٦٥ عمل لدى "مؤسسة فارفيلد" مديرا للعمليات الدولية لمدة عامين براتب ٢١٠٠٠ دولار كان يدفع له على ١٢ قسطا. والآن، من ناحية المبدأ على الأقل، لم يكن للـ "CIA" أية التزامات مالية تجاه "چوسلسون". ولكن "فرانك پلات" و"چون طومسون"، إدراكا منهما أنه قد خرج خالى الوفاض، دبرا له معاشا تقاعديا قدره ٣٠٠٠٠ دولار سنويا، يدفع من احتياطى رأس مال "فارفيلد". وكما يقول "طومسون" فإن ذلك الاحتياطى كان يصل إلى مليون دولار. لم يكن ممكنا إعادة تلك الأموال إلى المانحين، ولذا اقترح "طومسون" توفيرها على الفور(٥٠). كانت المكافأة التى حصل عليها "چوسلسون" شيئا ضئيلا من "منحة نهاية الخدمة" فى "فارفيلد". ولا يوجد فى السجلات أية بيانات عن توزيع المبلغ المتبقى.

قبل أن نكشف "رامپارتس" عن الأسرار المتعلقة بدعم الـ "CIA" كان السيناتور "مايك مانسفيلد – Mike Mansfield" قد طلب إجراء تحقيق واسع فى "الكونجرس" بخصوص التمويل السرى للوكالة. لكن الرئيس "چونسون" اختار بدلا من ذلك أن يشكل لجنة ثلاثية مكونة من "نيكولاس كاتزنباخ – Nicholas Katzenbach" وكيل وزارة الخارجية، و"چون جاردنر – John Gardner" و"ريتشارد هلمز – Richard Helms" مدير الـ "CIA". وانتهى التقرير الذى كتبته اللجنة، والصادر فى ٢٩ مارس ١٩٦٧ إلى أنه "يجب أن يكون من سياسة الحكومة الأمريكية ألا تقوم أية وكالة فيدرالية بتقديم أية مساعدات مالية سرية، أو أى دعم مباشر أو غير مباشر لأى من مؤسسات الدولة التعليمية أو المنظمات التطوعية الخاصة"(٥١). وحدد التقرير تاريخ ٣١ ديسمبر كحد أقصى لإنهاء كافة عمليات التمويل التى تقوم بها الوكالة. كان ذلك بغرض إعطاء الوكالة فرصة لتقديم عدد من المنح السخية النهائية" – وهو أسلوب يعرف بـ "التمويل المكثف" – لعدد كبير من عملياتها. (فى حالة إذاعة أوروبا الحرة، كان ذلك يكفى لاستمرارها لمدة عامين).

وكان يشار إلى تقرير "كاتزنباخ" على نطاق واسع باعتباره الأداة التى نهت

بها الحكومة الـ "CIA" عن ممارسة هذا النشاط فى المستقبل. لكن الـ "CIA" كان لها تفسيرها المختلف لما يمكن عمله فى مرحلة ما بعد "كاتزنباخ". وطبقا لتقرير اللجنة المختارة بخصوص أنشطة المخابرات الحكومية فى ١٩٦٧، وزع "ديزموند فيتزجيرالد – Desmond Fitzgerald" نائب المدير للتخطيط، التوجيه التالى على كل الضباط العاملين فى الميدان بعد نشر التقرير:

(أ) العلاقات السرية مع المؤسسات التجارية الأمريكية ليست –أكرر– ليست ممنوعة.

(ب) التمويل السرى الخارجى للمنظمات الدولية الموجودة فى الخارج مسموح به"(٥٢).

وبعبارة أخرى، فإن شيئا لم يتغير فى مجال العمليات السرية الدولية. وهكذا، عندما قررت الـ "CIA" أن تواصل دعمها لمجلة "فوروم وورلد فيتشرز – Forum World Features (وهى منتج فرعى من منتجات منظمة الحرية الثقافية) بعد عام ١٩٦٧، استطاعت أن تقوم بذلك دون أية عوائق. وذلك لأن "چونسون" بالرغم من تبنيه "تقرير كاتزنباخ" كسياسة حكومية رسمية، إلا أنه لم يصدر كأمر تنفيذى أو يقنن كتشريع. لم يكن له صفة قانونية. بقراءة ما بين السطور (ويلاحظ أنه ليس هناك سطر أخير) رأت افتتاحية مجلة "نيشن – Nation" أن التقرير كان "حيلة مساعدة"، و "تهربا واضحا"، وأنهت المقال بالقول : إن شعار "مستر چونسون" المدوى، المجتمع العظيم، يبدو مثل واحد من تلك العبارات اللامبالية لملوك البوربون"(٥٣).

بعد عشر سنوات، انتقد "استجواب حكومى" أن تكون "معظم القيود التى وضعتها الـ "CIA" استجابة لأحداث ١٩٦٧ تبدو وكأنها إجراءات أمنية، تهدف إلى منع إفشاء أسرار من أى نوع فى المستقبل، وقد تؤدى إلى إفشال عمليات حساسة للـ "CIA" وهى لا تمثل إعادة نظر فى الحدود التى لا ينبغى تخطيها فى مجتمع حر(٥٤).

(٢٦)

صفقة خاسرة

فى هذا العالم الردىء، يكون الشىء حقيقيا أو
زائفا حسب لون المنظار الذى تنظر من خلاله .

"كالديرون دى لا باركا"

على امتداد الفترة المتبقية من عام ١٩٦٧، وفى عام ١٩٦٨ كان "چوسلسون" فى حالة من الإرهاق النفسى والجسدى، يجد حوله كل يوم ما يذكره بما أحدثته أعماله من ارتباك ومرارة. كتب "چايا پراكاش نارايان – "Jayaprakash Narayan" رئيس الفرع الهندى لمنظمة الحرية الثقافية: " لا أستطيع أن أتصور كيف لشخص يؤمن بالحرية وبالمجتمع المفتوح وبالتطابق الأخلاقى بين الوسائل والغايات.. كيف لشخص كهذا أن يعتبر قبول معونات وتبرعات من مؤسسة للتجسس العالمى أمرا مقبولا ! لم يكن كافيا الحكم بأن المنظمة كانت تعمل مستقلة.. لم تكن الوكالة تفعل سوى ما كانت تراه مفيدا لها"(١). أما "ك. ك. سنها – "K. K. Sinha" فكتب ليعلن أنه سيترك المكتب الهندى " لو كان لدى أية فكرة عن وجود قنبلة موقوتة مخبأة فى المركز الرئيسى فى "پاريس"، لمَا اقتربت من المنظمة"(٢). وبالنسبة للبعض كان هناك متفجرات حقيقية للتعامل معها. فى " اليابان"، أُلقيت قنبلة على منزل أحد الأعضاء النشطين فى المنظمة وكان عليه أن يطلب حماية الشرطة. فى "أوغندة" لم يكد "راچات نيوجى – "Rajat Neogy" يستنتج أن الضرر الذى سيلحق بمجلته "ترانزيشن – Transition" سيكون كبيرا، حتى ألقى القبض عليه ووضع فى السجن.

تقول "ديانا چوسلسون": "كان هناك ضحايا حقيقيون، وكان "مايكل" يشعر بالألم والندم، ويتساءل أحيانا بينه وبين نفسه ما إذا كان حكمه على الأمور صائبا منذ البداية أم لا. استبعدنا أسلوب "الغاية تبرر الوسيلة" لكننا اتفقنا فى النهاية على أن ذلك كان هو الشىء الصحيح الذى كان ينبغى عمله. بيد أن الضرر الذى لحق بسمعة الناس كان يسبب له كربا عظيما"(٣). وكما يقول "چون هنت": كان هناك أناس فى الهند وفى لبنان وفى آسيا وفى إفريقيا – رجال ونساء وجدوا أنفسهم وسط الإعصار. وكنت أعرف أن كثيرين منهم عانوا بشدة، ولم يكن هناك جدوى من أية

مناقشة أو تبرير لإزالة ذلك عنهم. راهنوا بشرفهم وبحياتهم.. ولا أنسى ذلك. إنك لا تستطيع أن تتجاوز الأزمة المعنوية باستخدام عبارات مثل "من أجل الصالح العام" أو "دهاء التاريخ" أو أى شىء من هذا القبيل. لكننى يمكن أن أعيد الكرة لو اتيحت الفرصة. يمكن أن تشعر بالندم.. لكنك ستقول إن الأمر يستحق "(٤).

فى أوروبا و أمريكا، وبعيدا عما كان يصفه "ك. ك. سنها" بأنه: "هدير الخطر القادم"، كانت ردود الفعل مختلطة. كان من رأى مايكل " پولانى" أن الضجة المثارة حول إفشاء سر الـ "CIA"، هى ضجة "حقيرة". وقال: " كنت أتمنى أن أخدم فى الـ " "CIA" لو أننى كنت قد علمت بوجودها – فى السنوات التالية للحرب، وبكل سرور"(٥). ووصف "كويستلر" الضجة بأنها "عاصفة فى فنجان" وسوف تنتهى. أما "إيهودى مينوهن – Yehydi Menuhin" فزاد تقديره لـ "CIA" لارتباطها بأشخاص مثلنا"(٦). "چورچ كينان"، وعلى نحو متوقع نشر دفاعا مدويا يقول فيه: "لم يكن هناك ما يدعو لذلك اللغط حول أموال الـ"CIA"، لقد تسبب فى قدر من الألم أكثر مما ينبغى. لم أشعر قط بأى قدر من تأنيب الضمير بسبب ذلك. هذا البلد لا يوجد به وزارة للثقافة، وقد كانت الـ "CIA" مضطرة لأن تقوم بما تستطيع القيام به فى محاولة لملء هذا الفراغ. وينبغى أن يقدم لها الشكر، وليس الانتقاد، لقيامها بذلك"(٧).

أما فكرة تورط الـ "CIA" فى الحياة الثقافية للغرب، واعتبار ذلك" شرا لابد منه" فى الديمقراطية، هذه الفكرة كان مؤيدوها يتناقصون بشكل مضطرد. كتب "اندرو كوپكند – Andrew Kopkind" عن "الشعور الأكثر عمقا بالتحرر من الوهم الأخلاقى" يقول: "المسافة بين خطاب المجتمع المفتوح وواقع التحكم كانت أوسع مما قد يظن أحد. أى واحد ذهب إلى الخارج ضمن أية منظمة أمريكية، كان على نحو أو آخر شاهدا على نظرية أن العالم مقسم بين الشيوعية والديمقراطية، وأن أى شىء فى المنتصف بينهما يعتبر خيانة. كان يتم التأكيد على توهم الاختلاف: الـ "CIA" كانت تدعم اشتراكيى الحرب الباردة وفاشيى الحرب الباردة وسود وبيض الحرب الباردة. كانت عمومية ومرونة عمليات الـ "CIA" ميزات أساسية. لكنها كانت تعددية زائفة وكانت مفسدة تماما"(٨). هذا الوضع الذى تكرر كثيرا كان جذابا لبساطته الأخلاقية. لكنه كان بسيطا لدرجة مخلة. لم تكن المشكلة تكمن فى أن إمكانية الاختلاف كان قد قضى عليها بشكل نهائى (وكانت أفكار "كوپكيّن" نفسها دليلا على ذلك) أو فى أن المثقفين كانوا قد أجبروا أو أفسدوا (رغم احتمال أن يكون ذلك قد حدث)، ولكن المشكلة كانت فى أنه قد تم التدخل فى الأساليب الطبيعية للتساؤل الثقافى. كتب "چاسون ابشتين – Jason Epstein" أكثر ما كان يزعجنا هو أن الحكومة كانت

تبدو كمن يُسَيِّرُ قطارا تحت الأرض. يشغل مقاعد الدرجة الأولى منه مسافرون ليسوا من ركاب الدرجة الأولى عادة. الـ "CIA" و"مؤسسة فورد" من بين وكالات أخرى، أنشأوا وحولوا جهازا من المثقفين، اختيروا لمواقعهم فى الحرب الباردة كبديل لما يمكن أن يسمى بـ "سوق ثقافة حرة"، حيث الأيديولوچية أهم من الموهبة الفردية والإنجاز، وحيث كانت الشكوك فى الأفكار الراسخة تعتبر بداية التساؤل... وقد أصبح واضحا فى النهاية، فساد الصفقة التى عقدها المثقفون، وأنه لا يمكن أن يكون فى صالح الفن والأدب، ولا فى صالح البشرية نفسها، وجودهم فى خدمة إرادة أية دولة"(٩).

وفى مارس ١٩٦٧ كان "دوايت ماكدونالد- Dwigth Macdonald" يسأل "چوسلسون" غاضبا: "هل تظننى كنت أقبل أن أكون على كشف رواتب "انكاونتر" فى عام ١٩٥٦ - ١٩٥٧، لو أننى كنت أعرف بوجود أموال سرية من الحكومة الأمريكية وراء ذلك؟ لو أنك ترى ذلك فكلانا إذن لا يفهم الآخر. إن المرء ليتردد فى أن يعمل فى مجلة مدعومة من الحكومة بشكل علنى، وأعتقد أننى قد خدعت.. كنت مغفلا".

مغفلون أم منافقون؟ بالرغم من أن "ماكدونالد" احتك "بالمكتب الأمامى" عندما حذفوا مقاله فى عام ١٩٥٨ إلا أنه لم يتردد فى أن يسأل "چوسلسون" فى ١٩٦٤ إن كان بإمكانه إيجاد عمل لابنه فى الصيف أم لا. كان ذلك فى وقت قد سمع فيه كل من "هب ودب" شائعات عن علاقة المنظمة بالـ "CIA". ثم ماذا عن "سپندر" الذى انفجر باكيا فى صيف ١٩٦٧ أثناء حفل فى "إيڤاستون - شيكاغو" عندما تلقى الضيوف تأكيداته على براءته ببرودة وجفاء؟ يقول أحد الضيوف الأقل شهرة: "كانوا كلهم مثل رسوم "ديڤيد ليڤين - David Levine" الهزلية...: "دانيل بيل" وزوجته "پيرل كازن بيل"، "ريتشارد إيلمان"، "هانا آرنت"، "ستيفن سپندر"، "تونى تانر"، "صول بيلو" "هارولد روزنبرج"، "مسز پولانى"... كلهم كانوا متورطين مع المنظمة على نحو أو آخر. وبعد أن تناولوا "الأسپاجتى"، بدأوا غاضبين ينعت كل منهم الآخر بـ"السذاجة" لأنهم لم يعرفوا من الذى كان يقف وراء دعمهم، ولأنهم لم ينقلوا تلك المعلومات للآخرين". قالت "هانا آرنت" : "لم أثق يوما ما بـ "إيرڤنج". وقالت الشىء نفسه عن "ميلڤن لاسكى". أما "دانيل بيل" فدافع عن صديقيه بعنف. واحتدم الجدل. وبدأ "سپندر" يبكى. لقد استخدموه، ضللوه، لم يكن يعرف أى شىء.. لم يعرف قط.. كان البعض يقول إن "سپندر" كان ساذجا - Naïve، بينما كان يبدو على البعض الآخر أنهم يرونه "مدعى سذاجة - Faux Naïf"(١١).

يقول "ستيوارت هامپشاير": "كان "ستيفن" فى غاية الكدر. وكان الناس شديدى الوقاحة معه ويقولون لابد من أنه كان يعرف. أنا لا أعتقد ذلك. ربما لم يحاول

جـادا أن يعـرف، لكن الحـقـيـقـة أنه لم يكن يعـرف أى شىء عن الحكومـة أو المخابرات"[١٢]. أما "لورانس دونيڤى" فيتذكر الأشياء على نحو مختلف: "أعرف أشخاصا **يعرفون** أنه كان **يعرف** لكنك لا تستطيع أن تلومه على إنكار ذلك، لأن كل ما كنا نقوم به كان لابد من أن ننكره بشكل معقول.. وهكذا استطاع "سپندر" أن ينكره بشكل معقول"[١٣]. ويقول "توم برادن" : "رأيى عندما سمعت عن "سپندر" ومشاعره الجريحة بعد أن تفجر كل شىء - وربما كان لشعورى بالذنب دخل فى ذلك - هو أنه كان لابد له من أن يعرف. وأعتقد أنه كان يعرف"[١٤]. أما "ناتاشا سپندر" التى كانت تدافع دائما عن براءة زوجها فقالت فى النهاية: إن دوره كان مثل دور الأمير "ميشكين" فى رواية "الأبله".

مغفلون أم منافقون؟ عندما رأى "توم برادن" بيان الـ "پارتيزان ريڤيو" الشهير عن الـ "CIA" الذى كتبه "وليم فيليپس" ونشر فى صيف ١٩٦٧ ضحك مقهقها. كان البيان يقول: "نود أن نعلن عن معارضتنا للتمويل السرى الذى تقدمه الـ"CIA" للمطبوعات والمؤسسات الثقافية، وعن اقتناعنا بأن الدعم المنتظم الذى تقوم به الوكالة من شأنه أن ينزع الثقة - ثقافيا ومعنويا - عن تلك المطبوعات والمؤسسات. نحن لانثق بالمجلات التى يقال إنها مدعومة من الـ "CIA" ولا نظن أنها قد استجابت بالشكل الصحيح للتساؤل الذى أثير"[١٥]. وعندما نظر إلى التوقيعات قال "برادن" ببساطة: "لقد كانوا يعرفون.. طبعا"[١٦]. كان ن بين الموقعين (وعددهم ١٧): "حنا أرنت" و"وليم فيليپس" و"ريتشارد پورير" و"فيليپ راڤ" و"وليم ستيرون" و"أنجوس ولسون". وربما كان "چيمس فاريل" على حق عندما قال: "إنهم فى "پارتيزان ريڤيو" يخشون الشفافية كما يخشى الشيطان الماء المقدس"[١٧].

ومن "پلاتو دو شامپل" فى چنيڤ، المربع السكنى الذى لا يكسر الصمت فيه مرة واحدة فى الأسبوع سوى سوق الخضر، كان "چوسلسون" يرقب الأحداث بمرارة شديدة بعد أن غيرت المنظمة اسمها إلى "الاتحاد الدولى للحرية الثقافية"، ومضت بدونه تحت رئاسة مديرها الجديد "شيپارد ستون". وفى العام الأول بقى "چون هنت" بدعوة من "شيپارد ستون" لكى يساعد "فى أمور الميزانية". فى البداية كان "چوسلسون" يتصل كل يوم بالـ "ملازم ثان" السابق. يتذكر "هنت" أنه كان يقول: "دعنا نفعل هذا" أو دعنا نفعل ذلك"، وكنت أقول له: "اسمع يا "مايك" .. شيپارد هو المسئول الآن". كان أمرا محزنا. كان "چوسلسون" يواصل وكأن شيئا لم يتغير"[١٨]. ويقول "ستيفن سپندر" إن "چوسلسون" كان شخصية مأساوية. كان كالسفير الذى يبقى فى بلد ما أطول مما ينبغى، وبدلا من أن يمثل الذين أرسلوه إلى هناك، يبدأ فى

تمثيل الذين أرسل إليهم، وهذا هو سبب عدم السماح للسفراء بالبقاء طويلا فى الدول الأخرى لأنهم يميلون إلى التغير بنفس الطريقة، وأعتقد أن هذا النوع من التغير قد حدث مع "چوسلسون". وإذا نظرت إلى المسألة كلها باعتبارها عملية، فإن "چوسلسون" كان هو الأب الروحى، وكان يحبنا كلنا حقيقة، كما أنه كان رجلا مثقفا وله اهتمام كبير بالأدب والموسيقى..إلخ لكنه كان شخصا متنمرا فى الوقت نفسه.. مسيطرا ... يتحمل مسئولياته بجدية مخيفة ولا يستهين بها قيد أنملة. وأعتقد أنه شعر بالانكسار بالفعل عندما افتضحت المسألة كلها"(١٩).

أما "شيپارد ستون" المسئول التنفيذى فى "مؤسسة فورد"، والذى كان وسيطا لمنح ملايين الدولارات للمنظمة، فكان مرشحا من قبل "چوسلسون" لكى يخلفه. ولكن "چوسلسون" سرعان ما أدرك أنها كانت "غلطة" كما تقول "ديانا". تم استبقاء "مايكل" كمستشار. ولأن المنظمة كانت هى كل حياته فقد كتب مذكرات كثيرة.. لكن أحدا لم يستجب لها. كان الأمر صعبا بالنسبة لـ "شيپ" لأنه لم يكن يريد أن يكون صبيا لـ "مايكل" أو أن يكون رئيسا صوريا. لكن ذلك لم يتم بطريقة مهذبة. "چوسلسون" لم يوافق على أشياء قام بها "شيپارد" مثل تقليص الاتحادات الإقليمية التى لم تكن ذات أهمية بالنسبة له.. أو بعبارة أخرى.. الهند واستراليا وكل ما هو ليس أوروبيا. لم يكن لدى "شيپارد" أى اهتمام بذلك بالمرة، لم يذهب إلى هناك قط، كما كشف عن عدم فهمه للمثقفين. فى كل عام، عند عرض التقرير على "مؤسسة فورد" من أجل المعونة، كان "شيپ" يطلب من "مايكل" أن يقوم بذلك لأنه لايعرف كيف"(٢٠).

الآن، وبعد أن أصبحت المنظمة يتم تمويلها بالكامل من قبل "مؤسسة فورد"، كان يبدو أنها حققت الاستقلالية التى أفلتت من "چوسلسون". بيد أنه كانت هناك – كما يقول "هنت" – منافسة حادة وراء الستار بين الأجهزة البريطانية والفرنسية والأمريكية، من أجل الاستيلاء على قيادة المنظمة فى ذلك الصيف من عام ١٩٦٧. ويقول: "كان هناك خوف من أن يستولى جهاز من الأجهزة الصديقة، على إحدى هذه المنظمات التى كان وراءها تدخل أمريكى فى البداية. وكان الاعتقاد هو أن الأمريكيين السذج، الأغبياء، الهادئون، سيواصلون تقديم الأموال، بينما نقدم نحن الأوروبيين العقول، وسوف نقوم بعملية متقنة وندبرها"(٢١). وأخيرا حصل كل طرف على شريحة! مرشح الأمريكيين أصبح رئيسا ومديرا تنفيذيا. (على مدى عمل "شيپارد ستون" من المفوضية العليا فى ألمانيا، إلى مؤسسة فورد، والآن المنظمة.. كانت كلها مواقع ذات صلة بالمخابرات، وفى مذكراته يقول "ماركوس وولف" خبير التجسس فى ألمانيا الشرقية، إن "ستون" كان أحد كبار المسئولين فى الـ"CIA".

ووضع الفرنسيون رجلهم "بيير إيمانويل – Pierre Emmanuel" مديرا . كانت علاقته بالمكتب الثانى (المخابرات) تدور حولها شائعات منذ مدة. وبعد فترة، وضع البريطانيون رجلهم مديرا مساعدا . كان هو "آدم واطسون – Adam Watson "ضابط الاتصال بين الـ "SIS" جهاز المخابرات السرية – والـ "CIA" فى واشنطن فى أوائل الخمسينيات، وخبير الحرب النفسية ومنسق العلاقات السرية بين الـ"IRD"– إدارة البحث الإعلامى – ومنظمة الحرية الثقافية. كان كل شىء قد تغير.. إلا أن شيئا لم يتغير فى حقيقة الأمر.

لا شىء.. باستثناء الخصومات والتوترات التى كان "چوسلسون" يتباهى بأنه كان يستطيع احتواءها على مدى سنوات عدة. فساد وهشاشة الأمزجة المتأصلة فى تجمعات المثقفين أصبحت الآن هى المسيطرة على منظمة فقدت الحيوية والشعور بالهدف اللذين كانا سبب أهميتها فى ذروة الحرب الباردة. ومن موقعه فى "چنيف" لم يكن بمقدور "چوسلسون" أن يفعل شيئا لإيقاف المؤتمر الذى أعيد تشكيله، عن الإبحار صوب اضمحلاله الخاص. كان "نابوكوف" يكتب أحيانا بأخبار جديدة، وكان يصف سادته الجدد بـ "العرّابين" "إدوارد شيلز" الذى قطع صلته بالمنظمة فى ١٩٧٠ كان رأيه لا يقل سوءا . كان هو الذى قال إنه "شىء سيىء السمعة، مجرد مكان للدردشة لمجموعة من المثقفين المتخمين"(٢٢). فى رسالة أخرى إلى "چوسلسون" قال إنه ليس لديه أية أخبار عن المنظمة، بالرغم من أنه قد تلقى دعوة لمقابلة بعض "القياديين"، وإنه رفض بشدة(٢٣). كان انطباعه عن "ستون" مثل انطباع "سيدنى هوك"، وهو أن "ستون": "حمار ... يتصرف على نحو أخرق" و"غبى... يشغل موقعا ويحصل على مزايا لا يستحقها"(٢٤). ويقول "شيلز" إن الشىء الوحيد الذى كان "ستون" يفهمه عن الشئون العالمية هو كيفية إعداد حساب النفقات. لكن السؤال الذى كان يؤرق "شيلز"، والذى يقول إنه لم يستطع أن يجيب عنه، فهو: كيف استطاع الشيوعيون بالرغم من كل أعمالهم الشريرة، أن يحتفظوا بتلك الروح المعنوية العالية"(٢٥). وبوجود المجموعة القديمة التى لم تعد مهتمه بنشاط "الاتحاد الدولى للحرية الثقافية". وبعد أن فقد اهتمام من كانوا يدعمونه، صَوَّتَ الاتحاد على حل نفسه أخيرا فى يناير ١٩٧٩.

فى عام ١٩٥٩، كان "چورچ كينان" قد كتب إلى "نابوكوف" يقول أنه لا يعتقد "أن هناك جماعة من الناس عملت لكى تُبْقِى على عالمنا متماسكا فى هذه السنوات الأخيرة، أكثر مما عملت أنت وزملاؤك. فى هذا البلد تحديدا، فإن قلة من الناس هم الذين سيفهمون أبعاد وقيمة إنجازكم"(٢٦). ولعدة عقود، ظل "كينان" مقتنعا بأن

المبادئ الأساسية التى ساعد فى أن يقوم "السلام الأمريكى" عليها، كانت هى المبادئ الصحيحة. لكنه تنصل فى عام ١٩٩٣ من المعتقد الأحادى الذى كان يستند عليه ذلك ليقول: "لابد من أن أوضح أننى أرفض صورة أن نكون معلمين ومخلصين لبقية البشرية، أرفض أوهام تفوق فضائلنا، أرفض الثرثرة الحمقاء عن "القدر الجلى" أو "القرن الأمريكى"(٢٧).

كانت الأساطير المركزية للحرب الباردة مبنية على هذا الافتراض، وهو أن قَدَر أمريكا هو الاضطلاع بمسئولية القرن بدلا من أوروبا الممزقة.. سيئة السمعة. وأخيرا.. فإنه كان بناء زائفا. فى عام ١٩٦٢ كان "هارولد روزنبرج" قد كتب: "الحرب الباردة صراع وهمى بين مصالح حقيقية. النكتة فى الحرب الباردة هى أن كلا من الخصمين على علم بأن فكرة الأخر لن يكون بالإمكان مقاومتها إذا وضعت موضع الممارسة. الغرب يريد الحرية إلى المدى الذى تكون فيه الحرية مناسبة للملكية الخاصة وللربح. والسوفيت يريدون الاشتراكية إلى المدى الذى تكون فيه الاشتراكية مناسبة للدكتاتورية والبيروقراطية الشيوعية فى الحقيقة الثورات فى القرن العشرين هى من أجل الحرية و الاشتراكية.. السياسة الواقعية ضرورية... السياسة التى تتخلص مرة وإلى الأبد من خدعة أن الحرية ضد الاشتراكية"(٢٨). بهذه الكلمات، دان "روزنبرج" الازدواجية "المانوية"(*) التى حبس كلا الطرفين نفسه بواسطتها فى تشنج "لا للاثنين – Pas de Deux" تحت قبضة استبداد الصيغة".

"ميلان كونديرا – Milan Kundera" هاجم ذات مرة "إنسان اليقين"، وكان يتساءل: "ما هو اليقين؟ إنه فكرة قد تجمدت، تحجرت، وذلك هو سبب أن الروائى لابد له من أن ينزع النظام عن تفكيره بشكل منظم.. لابد من أن يركل المتاريس التى أقامها هو نفسه حول أفكاره". حينئذ فقط، كما يقول "كونديرا" سوف تنبثق "حكمة اللا يقين". تركة كشف أسرار ١٩٦٧ كانت نوعا من اللا يقين، بيد أنها لا تنطوى على حكمة "كونديرا". كانت نوعا من اللايقين الذى زرع لكى يحجب ما حدث أو لتقليل تأثيره إلى أدنى حد. شاعرا بالاستياء الشديد لما رآه من عدم الإحساس بالمسئولية بين أولئك المثقفين الذين "ساعدوا، أو حرضوا وشاركوا" فى "التلاعب الثقافى" الذى قامت به الـ "CIA"، اكتشف الروائى "ريتشار . إيلمان – Richard Elman" توجها سئما زائفا يجعل الأشياء كلها تبدو متشابهة، كما يتوقع المرء. نوعا من "كما يجب" من أجل الارتشاء والفساد، يرى العالم نموذجا للضجر بالضرورة. لا شىء يستحق

(*) نسبة إلى "مانى" الفارسى، الذى كان يدعو إلى عقيدة ثنوية قوامها الصراع بين النور والظلام. (المترجم).

الإدراك ولا أحد يستطيع أن يكون أمينا حقا"(٢٩). رواية "ريناتا أدلر – Renata Adler" الزورق السريع" وضعت يدها على الظلام الأخلاقى: الأذكياء من الناس عندما يكون عليهم مَمْسَك.. يقومون بإنكاره. وعندما يواجهون بدليل على أنهم أنكروه، يقولون إنهم فعلوه، ولم يكذبوا عنه، ولا يتذكرونه. لكن إذا كانوا قد فعلوه أو كذبوا عنه فإنهم يكونون قد فعلوه وأساءوا الكلام عنه باهتمام أكبر لكى يغيروا طبيعة الفعل والكذب تماما"(٣٠).

يقدم "بريمو ليڤى – Primo levi" فى "الغريق والناجى" "رؤية مشابهة وإن كانت أكثر تعقيدا من الناحية النفسية": "هناك .. أولئك الذين يكذبون بوعي، يزيفون الحقيقة نفسها، لكن أكثر من أولئك الذين يبعدون قليلا أو تماما عن الذكريات الحقيقية ويخترعون لأنفسهم حقيقة ملائمة.. الانتقال الصامت من الزيف إلى الخداع الماكر مفيد: أى شخص يكذب بحسن نية أفضل، يقول ما يقول على نحو أفضل، ومن السهل تصديقه"(٣١).

فإذا كان أولئك الذين شاركوا فى الحرب الباردة كانوا يصدقون ما كانوا يفعلونه، فلا يمكن إذن أن يقال إنهم كانوا يخدعون أحدا عن وعى. أما إذا كان ذلك كله خيالاً حقيقة مصنوعة، فإنه لا يقل صدقا. ذات مرة، قال أحدهم : لو أن كلبا بال على "نوتر دام" فإن ذلك لا يعنى أن هناك شيئا خطأ فى الكاتدرائية. لكن هناك قولا مأثورا آخر كان "نابوكوف" مغرما بترديده دائما: "لا يمكنك أن تقفز فى النهر وتخرج منه جافا". العملية الديمقراطية التى اندفع مقاتلو الحرب الباردة لكى يجعلوها مشروعة، قوضها افتقارها للإخلاص والصدق. "الحرية" التى نقلتها كانت عرضة للشبهة. لم تكن "حرة"، بمعنى أنها كانت فى خدمة الصيغة المناقضة لـ "الكذب الضرورى". إن مضمون الحرب الباردة كما رسمه المثقفون الأكثر جسارة فى "منظمة الحرية الثقافية" كان مضمونا تعمل فيه تحت عنوان الولاء التام لمثل أعلى. كانت الغايات تبرر الوسائل حتى وإن كانت تتضمن الكذب (مباشرة أو بالحذف) على الزملاء، كانت الأخلاقيات تحت إمرة السياسة. لقد خلطوا دورهم، تابعوا أهدافهم باللعب على حالة الناس الذهنية، اختاروا تحريف الأشياء على نحو معين على أمل تحقيق نتيجة معينة. كان ينبغى أن يكون ذلك عمل السياسيين. أما واجب المثقفين فكان ينبغى أن يكون هو فضح الاقتصاد الشديد الذى يمارسه السياسى بالنسبة للحقيقة، وتقتيره الشديد فى نشرها ودفاعه عن الوضع القائم.

فى سعيهم نحو فكرة مطلقة عن الحرية، انتهى بهم المطاف إلى تقديم أيديولوچيا أخرى، "مذهب الحرية – Freedomism" أو نرجسية الحرية التى تعلى من

شأن المذهب على التسامح مع الآراء الابتداعية المختلفة. يقول "أنتونى" فى "ضرير فى غزة: "وبالطبع فإن "الحرية الحقيقية" مسمى أفضل من "الحرية بلا زيادة Freedom Toutcourt" الحقيقة.. إنها إحدى الكلمات الـ حرية. ضمها إلى سحر "الحرية" وستكون النتيجة رائعة. *الفضوليون* لا يتكلمون عن الحقيقة "الحقيقية.. أعتقد أن هذا المسمى يبدو غريبا.. "الحقيقة الحقيقية.. لا .. واضح أن ذلك لن يستقيم .. إنه شىء أشبه بـ "برى برى" أو "واجا واجا"(٣٢).

الخاتمة

* بعض الناس عقولهم تتجمد

"ديڤيد بروس"

بعد انقضاء صيف ١٩٦٧، صيف الكوارث، حصل "نيكولاس نابوكوف" على تسوية مالية سخية مقدارها ٢٤٥٠٠ دولار من "مؤسسة فارفيلد"، وانتقل إلى "نيويورك" ليحاضر فى "سيتى يونيڤرستى" عن "الفنون فى بيئتها الاجتماعية"، وذلك فى إطار منحة دراسية تمت بمساعدة "آرثر شليزنجر". كان "نابوكوف" و"ستيفن سپندر" يتجاذبان أطراف الحديث.عن رفاقهما السابقين، ويمزحان عن إمكانية كتابة "قصة مسلية مثل قصص "جوجول" عن رجل اكتشف أنه كان يقبض من الـ"CIA"... مهما كان نوع العمل الذى يؤديه والشخص الذى يعمل لحسابه(١). ولكن "أشعيا برلين" حذرهما: "إن كنتما جادين فى ذلك، دعونى أنصحكما مخلصا ألا تفعلا. إن ذاكرة المرء ليست معصومة من الخطأ، وأقل ما يوصف به هذا الموضوع هو أنه حساس، ولا أعتقد أنكما تريدان أن تظلا إلى آخر العمر مركزا لشجار لا ينتهى.. لذا دعونى أنصحكما من كل قلبى بالابتعاد عن حقل الألغام هذا"(٢).

كان كثيرون يشتركون فى هذا التردد وعدم الرغبة فى نبش الماضى. "سپندر"، الذى كانت صداقته مع "نابوكوف" قد نجت من أزمة الشجار الذى حدث بينهما فى عام ١٩٧٢، سجل فى يومياته أنه كان قد حضر حفلا فى القنصلية الفرنسية فى "نيويورك" فى شهر مارس ١٩٧٦، تسلم فيه "نابوكوف" وسام جوقة الشرف" ويقول: "كان جوا مضحكا، عندما كان القنصل يلقى كلمته ويستعرض حياة "نابوكوف" كلها ويحاول أن يفصل فيها بين ما يقول إنه "الإبداع" وبين "الوظيفة". وبالرغم من أن الاحتفالات التى نفذتها "منظمة الحرية الثقافية" كانت مسجلة، إلا أنه كان يحاول الالتفاف على ذلك ببراعة وتفادى ذكر أية تفاصيل عنها - كان خواء الخطاب الفرنسى فى تلك المناسبات صريحا لدرجة تجعله يبدو صادقا إلى حد ما"(٣).

واصل "نابوكوف" عمله بالتدريس وتأليف الموسيقى فى السنوات الباقية من حياته. كان آخر مشروع مهم يقوم به هو أن يضع موسيقى لـ "باليه دون كيشوت" لـ "بالانشين - Balanchine"، والتى كانت تقدمها فرقة باليه "نيويورك سيتى". وعندما

كتب "أندرو پورتر – Andrew Porter" مراجعة نقدية لذلك العلمل فى مجلة "نيويوركر" كتب يقول: من أسف ألا يكون هناك شىء يمكن أن يقال عن الإعداد البائس الذى قام به "نيكولاس نابوكوف" إعداد قصير النفس، يتسم بالتكرار، ضعيف فى محاولته تحقيق أى قدر من الحيوية عن طريق العزف المنفرد على "الترومپيت" أو دق الأجراس"(٤). ويقول أحد الأصدقاء إن شعار "نابوكوف" كان يمكن أن يكون "واصل... تصل"، وربما كان قد ورث ذلك عن والده . كان ضابط مخابرات شاب قد التقى ذات مرة فى إحدى الحفلات فى "پاريس" بعد الحرب ووالد "نابوكوف" الذى كان فى التسعين من عمره آنذاك. "كان الرجل العجوز، مثل كل "آل نابوكوف"، ليبراليا أيام روسيا الإمبراطورية. رأيته وهو يتقدم نحو بعض السوفيت من ذوى الرتب العالية وهو يقول: "تعلمون أننى كنت دائما إلى جانب الشعب"، ثم يتحول إلى مضيفه فى الجانب الآخر من القاعة وعلى وجهه الابتسامة المتملقة ذاتها وهو يقول: "كنت أعرف جدك فخامة "الدوق" الأعظم "الكساندر ميخائيلوفتش".. كنت أعرفه جيدا". وكنت أتساءل بينى وبين نفسى كيف يمكن أن يكون أى شخص فى التسعين من العمر فى حاجة إلى مثل ذلك النفاق؟!"(٥).

مات "نابوكوف" عام ١٩٧٨، وبتعبير "چون هنت": "كانت جنازته مشهدا يروى. كل زوجاته الخمس كن هناك. "پاترتيشيا بليك – Patricia Blake" على عكازين بعد حادث أثناء التزلج على الجليد، كانت تردد "كأننى مازلت متزوجة منه". "مارى كلير – Marie - Claire" احتلت المقصورة الأولى فى الكنيسة كلها كما لو كانت مازالت زوجته. "دومينيك –Dominique " التى كانت زوجته عندما مات، قالت إنها كانت تشعر وكأنها ليست موجودة. كانت هى الوحيدة التى تخلفت عن الآخرين متراجعة. وكانت هناك امرأة أخرى انحنت فوق التابوت وحاولت أن تقبله فى فمه"(٦). وكانت تلك نهاية ملائمة لرجل عاش حياة متوهجة.

أما "چون هنت" فقد ترك الاتحاد الدولى للحرية الثقافية "IACF"(*) فى نهاية عام ١٩٦٨ كما هو مخطط. وفى احتفال أقيم سرا فى عوامة على "إلسين" منح ميدالية الـ "CIA" تقديرا لخدماته. ثم ظهر بعد ذلك كنائب رئيس تنفيذى لـ "معهد سولك" فى كاليفورنيا. أيد حرب ڤيتنام بشدة، وكان يرقب المشهد بأسى عندما بدأت أمريكا التى يعرفها تتداعى. أخبر "چوسلسون" بأنه كان يشعر بالغربة فى وطنه(٧). وبعد أن فكر فى العمل مع "روبى ماكولى" فى مجلة "پلاى بوى"، أصبح نائبا لرئيس

(*) International Association for Cultural Freedom.

"جامعة بنسلفانيا". وفى سنة ١٩٧٦ كتب مسرحية عن "آلجر هيس – Alger Hiss" والتى قدمت فى "مركز كينيدى"، وبعد ذلك تقاعد وذهب ليعيش فى جنوب فرنسا.

"إيرفنج كريستول" أسس "ذى پابليك انترست – The Public Interest" مع "دانيل بيل – Daniel Bell"، وفى عام ١٩٦٩ أصبح أستاذ كرسى "هنرى آر. لوس – Henry R. Luce" للقيم المدينية فى جامعة نيويورك. فى ذلك الوقت كان قد بدأ يعلن أنه من "المحافظين الجدد" وكان يُعَرِّف المحافظ الجديد بأنه "الليبرالى الذى داهمه الواقع". ربط نفسه بكل من "أميركان انترپرايز انستيتيوت – American Enterprise Institute" و"وول ستريت چورنال – Wall Street Journal"، وكان يعطى محاضرات مقابل أجر ضخم، وصار يدعى بـ: "القديس الحامى لليمين الجديد". كانت كتاباته تفصح أكثر فأكثر عن كيفية تحول ذلك الراديكالى الشاب لكى يصبح رجعيا عتيدا فى خصام مع العالم من حوله، بما فيه من حرية جنسية وتعددية ثقافية وطلاب ثائرين. أصبح مثل "لاسكى" ومثل كثيرين آخرين. أصبح مثل "رجل القرن العشرين" عند "آرثر كوستلر": "سياسيا مصابا بالعُصاب يحمل ستاره الحديدى الخاص بداخل جمجمته"(٨). فى عام ١٩٨١ كتب "رسالة مفتوحة إلى البنتاجون" ينعى فيها فشل الجنود الأمريكيين فى أن يقفوا فى "وضع الانتباه" بالطريقة الصحيحة أثناء عزف السلام الوطنى. ونادى بالعودة "للعروض العسكرية المنضبطة" لأن "لا شىء يعادل العرض العسكرى فى انتزاع احترام العامة للعسكريين"(٩). وعندما عاد بأفكاره إلى تدخل الـ "CIA" فى الأمور الثقافية كان يقول: "بالإضافة إلى أن الـ "CIA" كوكالة سرية – تبدو مليئة لدرجة كبيرة بمن يثرثرون ويفشون الأسرار، فإنه ليس لدى أسباب أكثر من ذلك لاحتقارها سوى القول بأنها مجرد "مكتب بريد"(١٠). أما عن "انكاونتر" فيقول: "أعتقد أنه شىء مثير، أن تكون المجلة البريطانية الوحيدة التى كانت جديرة بالقراءة فى ذلك الوقت مدعومة من الـ"CIA"، ولابد من أن يكون البريطانيون ممتنين لذلك"(١١).

"ميلفن لاسكى" ظل رئيسا لتحرير "انكاونتر" حتى توقفت عام ١٩٩٠، وفى ذلك الوقت، كان قليلون هم الذين يستطيعون تقديم شهادة إيجابية عنها. فى سنواتها الأخيرة، كانت تبدو صورة هزلية لبداياتها. أصبحت مكرسة، وبشكل روتينى، للتجارة بالحرب الباردة، مع كثير من التحذيرات الملحة ضد مخاطر نزع السلاح النووى"(١٢). "فرديناند مونت – Ferdinand Mount" المحرر المحافظ لملحق "التيمز" الأدبى، كتب مقال وداع لإنجازات "انكاونتر"، وحيا "ميلفن لاسكى" كـ "نبى لاكرامه له فى وطنه بالتبنى"(١٣). لكن ذلك التكريم المنعزل، لم يكن له أية قيمة بالنسبة لأولئك الذين كانوا يعتقدون أن "لاسكى" ربما كان لابد – من أن يبقى فى بلده.

بعد أن سحبت الـ "CIA" تمويلها، ظلت "انكاونتر" تنتقل من أزمة مالية إلى أخرى، وأمضى "لاسكى" معظم وقته فى تلك السنوات الأخيرة يبحث عمن يدعمها. وفى عام ١٩٧٦ كتب "فرانك پلات" (الذى استمر فى الـ"CIA"، إلى "چوسلسون" عن "صورة رائعة لـ..."ميل" مع اليمينى المتشدد رئيس إمبراطورية "كورز" للبيرة فى "دينيڤر" عندما عاد. (بشكل يجعل "هنت" العجوز يبدو اشبه بـ "جاس هل Gus Hull". كان يريد أن يستولى على المجلة لتكون ملكا له. طوال الوقت يرتدى قرابا من الجلد وبه مسدس عيار ٤٥مم. لا: شكرا يا مستر كورز! "(١٤). وبينما كان "لاسكى" يحاول أن يدبر الأمر، راح "پلات" يطلب دعما ماليا من "مؤسسة وليم ويتنى". وعندما ووُجه فيما بعد بدعم الـ "CIA" لمجلة "انكاونتر" قال "لاسكى" بحدة: "حسن! ومن الذى كان يمكن أن يقدم المال؟ تلك السيدة العجوز من "ديديوك / ايوا" التى تلبس الحذاء المطاطى الخفيف؟ هل يمكن أن تعطيك مليون دولار؟ حسن! أقصد الأحلام الكاذبة! من أين ستأتى الأموال؟"(١٥).

جميع رؤساء التحرير الإنجليز المشاركين مع "لاسكى" استقالوا: (سپندر، كيرمود ، نيجل دينيس، دى. چى. انرايت) باستثناء آخرهم وهو "انتونى هارتلى". بذل "لاسكى" قصارى جهده لكى يحتفظ بالبقية الباقية من المجموعة القديمة معا، فنظم لقاءً أخيرا" – "Last Encounter" فى "برلين" عام ١٩٩٢ احتفالا بانتهاء الحرب الباردة وترأسه. "كانت لحيته مدببة وحادة، يمكن أن تطعن أى رفيق طريق"(١٦)، التقى فى الاحتفال أقطاب الصراع الثقافى: –" Kulturkampf" إيرڤنج كريستول" وزوجته المؤرخة "جيرترود هيملفارب – Gertrude Himmelfarb" صاحبة الأفكار المحافظة، و"ادوارد شيلز" و"فرانسوا بندى" و"روبرت كونكوست" و"ليو لابدز" و"پيتر كولمان" ورجال ونساء من "إذاعة الحرية" و"إذاعة أوروبا الحرة".. صحيح أن بعضهم كان قد أصابه الوهن الجسدى، ولكن جذوة الحماس كانت لا تزال حية. كان ذلك كما قال "برنارد ليڤين" هو الجيش المتنوع العناصر، "الذى كان يحارب دون أن يطلق طلقة واحدة، كان يحارب من أجل الصدق وضد الكذب، من أجل الحقيقة وضد الأوهام، من أجل الصمود وضد الاستسلام، من أجل الحضارة وضد البربرية، من أجل الكلمة المسالمة وضد الضربة الوحشية، من أجل الشجاعة وضد الجبن... وباختصار.. كان يحارب من اجل الديمقراطية وضد الاستبداد. ولقد كنا على حق... تماما... وبالكلية، وبالبرهان، وبفرح وبصبر... وبكل صدق.. كنا على حق"(١٧). صفوف "جيش الصدق" هذا أضعفها الموت – "هوك" و"كوستلر" و"آرون" و"مالرو" و"نابوكوف" و"سپيربر". كما قل عددهم أيضا على يد "لاسكى" الذى لم يدع إلى

الاحـتـفـال "مـارجـوت وولزلي - Margot Walmsley ولا "ديانا چـوسلسـون" ولا "سـپندر" أو زوجته. أما اسـم "مايكل چوسلسون" فلم يأت ذكره مرة واحدة.

جيش "ليـڤين" "المتنوع العناصر" لم يذرف دمعة واحـدة عندما انفجـر النظام السوڤيتى فى النهاية، إلا أن "چـورچ إيربان - George Urban" المروج الإذاعى، كان يعبر عنهـم جميعـا عندما قال إنه يشعر "بغصة الهزيمة". شـريك قوى كان مفيدا لى على نحو ما، سقط على جانب الطريق. عدو متوقع خلف التلال نسمع به كثيرا ونادرا ما نراه قد أصبح - ويا للمفارقة - هـو مصدر إعادة الطمأنينة. كان جيدا أن يكون للمرء عدو كبير مثلما يكون له صديق كبير - فى ظروف السخط داخل صفوفنا - ولربما كان وجود العدو أفضل. الصديق كان صديقا، لكن العدو القوى كان حافزا. أم تراه انشغالى الطويل "بالديالكتيك" - كما كنت أتساءل دائما بينى وبين نفسى - هو الذى جعلنى دائما لا أتصور حياة أخرى غير الحياة المعادية؟"(١٨).

بعد سقوط حائط برلين بفترة قصيرة، اتصل أحد ضباط الـ"CIA" السابقين بـ"چـورچ إيربان - George Urban". كـان الضـابط يزعم أنه هو الذى كـان يدير مدرسـة الدعاية التابعـة للكرملين. سـأله "ايربان" : هل وجدتم كـتاباتنا فى "انكاونتر" مـفيـدة لكم كـمفـتاح يدلكم على مـا كان يـخطط له "العـدو"؟. وجاءت إجابة الضـابط السـابق: "مـفيـدة، مفيـدة طبعـا - لقد كـانت رائعة لدرجة أنك وزمـلاءك حـررتمونى تدريجـيـا من عـهدى وأيديولوچيـتى وحولتـمونى إلى منشق". وهـكذا ترى أن منهـاج "انكاونتـر" كـان مـقنعـا. فى البـداية يبـذر الشك.. ثم العـصـيـان.. ثم الانشـقـاق فى النهـاية.. الانشـقـاق الواضـح فى عـقل الجـاسـوس الكبـيـر"(١٩). روى "إير بان" هذا الحدث لـ "لاسكى" الذى أطربه أن يسمع أن العدو كان يقرأ "انكاونتر" و "يدرسـها": "كان شيئا مذهلا بالنسبة لى، ويالها من شهادة لصالحنا أن تكون الـ "KGB" كانت تسـتخدم ذلك الشـىء. كنا نشـعـر فى ذلك الوقت بأن رأس الحربة الأيديولوچيـة التى كنا نستخدمها نحن مقاتلى الحرب الباردة، قد أصابت الهدف. واليوم يتضح لنا أن ذلك كان صحيحا."(٢٠) أما "ناتاشا سپندر" فكان تعليقها على ذلك: "أمثال "لاسكى" كانوا يفكرون بالطريقة نفسها كما كان يفعل الروس. كانت المسألة بالنسبة لهم جميعا لعبة استراتيـچية. ظل "فرانك پلات" فى مؤسسة "فارفيلد" - مديرا لها - حتى عام ١٩٦٩ (عندمـا كان دعمـها قبل ١٩٦٧ مـازال مستمـرا) وفى سبتمبر ١٩٦٧ كان "پلاتر" بمثابة المسئول عن المقاصـة(*) ومسئول لجنة الكتاب السجناء التابعة لنادى القلم الدولى "PEN" فى "لندن". بعد ذلك بشـهرين قـال لـ "چوسلسـون" : "طلب منى

(*) المسئول عن تبادل الشيكات وتصفية الحسابات بين الجهات المانحة والبنوك والأطراف المستفيدة (المترجم).

كورت – Kurt (ڤونيجت – Vonnegut) و"چاك ماك" (مايكل سكاميل – Michael-Scammell) وآخرون، إن كنت أوافق على تولى الإشراف على لجنة الكتاب السجناء التابعة لنادى القلم الدولى، وأن أكون على اتصال بـ "سكاميل" فى "لندن" فى مجلة "اندكس – Index" عن الرقابة – الذى يقوم بذلك نيابة عن نادى القلم الدولى – المركز الرئيسى. وهو شىء أشبه بعمل المنسق. وافقت بالطبع. عمل مهم ومثير. سفر كثير"(٢٢).

فى الوقت نفسه، كان "پلات"، وبشكل منتظم، يغذى "چوسلسون" بأخبار ومعلومات عن الـ "CIA" التى كان يشير إليها بـ "مصنع الشوكولاته". بعد أن انكشف أمر "كورد مايور" كرئيس لمكتب لندن فى ١٩٧٥ (عندما طلب ٣٤ عضوا فى البرلمان من حزب العمال، طرده من البلاد)، كتب "پلات" مستفزا: "فى أرض العميان.. ربما يكون الأعور قد قرأ الكتابة على الحائط.. من يدرى؟" الوكالة فى ورطة شديدة وهذا هو كل ما أعرفه"(٢٣).

ويروى أحد الصحفيين أنه التقى و"مايور" فى إحدى الحفلات فى "چورچتاون" بعد ذلك، ويعبر عن دهشته لأنه وجده يرهق دبلوماسيا كنديا عجوزا بموضوع الانفصال الكندى. "الدبلوماسى الذى كان يعانى من علة مزمنة فى القلب، كان يبدو عليه الحزن، وبالرغم من ذلك استمر "مايور" فى إزعاجه دون فطنة أو ذكاء أو شفقة!". ذلك ما كتبه الصحفى عما رآه أمامه دون دراية بالأثر الموجع للمشهد الذى حدث بعد أكثر من شهر، والذى أصيب فيه "چوسلسون" بأزمة قلبية. وكما عبر عن ذلك مراقب آخر، فإن "جيل "مايور" وطبقته لم يتصوروا قط أنهم يمكن أن يكونوا مخطئين"(٢٤).

فى ٢٣ فبراير ١٩٨٣ تسلم "چيمس بيرنهام – James Burnham" ميدالية الرئيس للحرية" من "رونالد ريجان – Ronald Reagan"، الذى كان عمله فى السياسة قد انطلق تحت راية الحملة من أجل الحرية. كانت شهادة منحه الميدالية تقول: "منذ الثلاثينيات و"مستر "بيرنهام" يشكل فكر زعماء العالم. لقد غيرت ملاحظاته المجتمع كما أصبحت كتاباته أضواء هادية للبشرية فى سعيها نحو الحقيقة. إن الحرية والعقل واللباقة لم تشهد فى هذا القرن أبطالا كثيرين مثل "چيمس بيرنهام"(٢٥). بعد أسبوع، انتحر "آرثر كوستلر" فى شقته فى "لندن" على أثر جرعة زائدة من المسكنات والكحول. وماتت معه زوجته الثالثة "سينثيا چيفرز – Cynthia Jeffris" كان فى السابعة والسبعين وكانت تصغره بعشرين عاما. وفى عام ١٩٩٨ تم "رفع" كويستلر – بمعنى الكلمة – من مكانه، عندما أزالوا تمثاله النصفى من جامعة "أدنبرة" على أثر

ما كشفه كاتب سيرته "ديفيد سيزارانى – David Cesarani" عن اغتصابه للنساء. وكتب أحد النقاد بعد قراءة كتاب "سيزارانى" : "لقد ولى زمن "كويستلر" بعد أن انغمس فى صراعات قديمة وإنتاج زائد لا قيمة له وسلوك ردىء طوال حياته"(٢٦). مات "بيرنهام" عام ١٩٨٧ لكن روحه ظلت ترفرف عند "وليم باكلى" الذى كان "بيرنهام" يحرر مجلته "ناشونال ريفيو – National Review" وفى عام ١٩٩٠ اعلن "باكلى" أن "معارضة الولايات المتحدة الطويلة للشيوعية هى إحدى تجاربنا النبيلة.. عن حق"(٢٧).

استمر "توم برادن" فى عمل وظيفى ناجح ككاتب عمود صحفى وضيف مشارك فى برنامج الـ "توك شو(*) Crossfire" على شاشة الـ "CNN" وفى عام ١٩٧٥ بينما كانت لجنة حكومية تعد للقيام بأشمل مراجعة لأنشطة الـ "CIA" فى الولايات المتحدة، كتب "برادن" هجوما عنيفا عن وكالة تدعى الـ "CIA" تحدوها القوة والغطرسة والكذب. كتب: "ما حدث للـ "CIA" شىء مخز، كان يمكن أن تكون مكونة من بضع مئات من الباحثين الموهوبين يقومون بتحليل المواد المخابراتية، بضع مئات من الجواسيس فى مواقع رئيسية، وبضع مئات من العاملين المستعدين لتنفيذ مهام قليلة جريئة. لكن ما حدث – بدلا من ذلك – هو أنها أصبحت وحشا هائلا بشع الشكل، وأصبح لها ممتلكات فى أنحاء العالم وتدير طائرات وصحفا ومجلات ومحطات إذاعة وبنوكا وجيوشا وقوات بحرية، تقدم المغريات لوزراء الخارجية المتعاقبين وتقدم لرئيس واحد على الأقل – "نيكسون: Nixon" فكرة مثيرة هى: "مادامت آلة الخداع موجودة.. فلم لا نستخدمها؟"(٢٨). وأنهى "برادن" مقاله بتأييد فكرة حل الـ"CIA" ونقل مهامها الباقية (تلك المهام القليلة التى يمكن تبريرها) إلى إدارات أخرى. "يمكن مثلا نقل خبراء الدعاية والحرب النفسية إلى "صوت أمريكا". لم يحدث قط أن كان أمثال أولئك فى وكالة للعمل سرى"(٢٩). كما كتب: "ثمانية تكفى" وهى سلسلة مرحة عن أسرة أمريكية كل أعضائها من البيض، تم إعدادها تلفزيونيا، وهى التى أوحت فيما بعد بـ "جماعة برادى". وفى النهاية تقاعد ليقيم فى أحد المنازل فى "وودبردج/ فرجينيا" فى حراسة اثنين من الألزاس، ضخمى الجسم، وإن كان شكلهما صبيانى.

"لورانس دونيفى" ترك الـ "CIA" بعد فترة قصيرة من الثورة المجرية فى ١٩٥٦، عمل فى وظائف مختلفة قبل أن يستقر فى مهنة السمسرة فى الأوراق المالية.

(*) المعنى الأصلى لكلمة "Crossfire" هو النيران المتقاطعة، أى التى تطلق من أكثر من موقع ومربض لتتصالب وتتقاطع. وهى مستخدمة هنا بمعنى استعارى للتعبير عن الآراء المختلفة من أناس مختلفين. (المترجم).

ظل وفيا لـ"مايكل جوسلسون" الذى كان قد جنده على مدى تلك السنوات الماضية فى "برلين". عندما أجريت معه مقابلة - أثناء إعداد هذا الكتاب - فى منزله فى "كونيكتكت"، ضحك لفكرة كشف الغطاء عنه أخيرا. قال مازحا: "أعتقد أن الأولاد الكبار هنا فى مدينتى سيجدون فى ذلك مفاجأة ما"(٣٠) مات قبل أن يعرف رد فعلهم.

أما "وليم كولبى - William Colby" فذهب ليكون الرأس المدبرة لبرنامج "فوينكس - Phoenix" فى "ڤيتنام" والذى كان يتضمن تعذيب وقتل أكثر من عشرين ألف من قوات "الڤيت كونج - Vietcong". وكـ ـير للوكالة فى الفترة من ١٩٧٣ - ١٩٧٦، كان هو المسئول عن فصل "جيمس جيسس انجلتون - James Jesus Angleton". وتحت إدارته، كانت الوكالة تتعثر من فشل لآخر. وبعد تقاعده، ظل يحصد ثمار عمله فى التجسس ببيع خدماته كمستشار لرؤساء أجهزة المخابرات فى أوروبا الشرقية بعد سقوط الاتحاد السوڤيتى. مات فى إبريل ١٩٩٦ بعد أن سقط على رأسه فى مياه نهر "بوتوماك" المدومة.

بعد أن استقال "ستيفن سپندر" من "انكاونتر"، ارتبط باليسار الجديد، وأعاد اكتشاف توهجه الثورى. التقته "مارى مكارثى" مصادفة فى يونيو ١٩٦٨ فى أحد الاجتماعات فى "السوربون" كان يعقده الطلاب الثائرون. قالت لـ "حنا أرنت": "كان "ستيفن سپندر" جيدا فى كل شىء. تقابلنا كثيرا. اعتقد أنه يكفر عن ذنب الـ"CIA"(٣١)، والمثير للضحك أن المشكلة المعنوية قد انسحبت على منزله فى "پروفنس" - كان مبنى خربا عندما اشتروه وكانوا يقومون بتعميره على مهل من عائد محاضراته فى أمريكا والذى كان يتقاضاه وهو حزين.. فى الأيام الأولى كان يقول إنه "لا يمتلك" ذلك المنزل، وإن لا مانع لديه من أن تستولى عليه الثورة". وعندما كان يتكلم مع أحد الطلاب، وخاصة إذا كان ساخطا، "Enrage"، كان يقول له: "نعم! نعم! تستطيع أن تأخذ منزلى". كان يذهب بنقود لمجموعة أعضاء المقاومة الأمريكيين وكان قد رآهم يعيشون فى عزلة فى غرفة من إحدى الكليات، وكان يعتقد أنهم يتضورون جوعا"(٣٢). وفى عام ١٩٧٢ أسس مجلة: "Index On Censorship" بمنحة من "مؤسسة فورد". وفى عام ١٩٨٣ منح لقب "فارس".. كمواطن عريق فى جمهورية الأدب. فى السنوات الخيرة، اعترف "سپندر" بأن كثيرين كانوا يتكلمون معه عن ارتباط "انكاونتر" بالـ "CIA" على مدى السنوات، "لكن الأمر كان أشبه بمن يجىء ليخبرك بأن زوجتك تخونك. ثم تسألها بنفسك.. وعندما تنكر تصدقها وتقتنع بكلامها"(٣٣). "سپندر" لم يقرأ، ولم يشتر قط عددا آخر من "انكاونتر". وعندما مات فى ١٩٩٥ انكسرت إحدى الروابط الأخيرة بعقد الثلاثينيات، ذلك الفجر المائل إلى

الحمرة والذى كان ليتحول إلى أشد العصور سوادا. كانت أرملته "ناتاشا" تتذكر بحسرة: "يا لتلك السنوات الضائعة! كل ذلك الجدل والنقاش، كل تلك الانتكاسات!"...تتكلم عن ارتباط "ستيفن" بمنظمة الحرية الثقافية. قالت: "كان أثره عليه مدمرا، كان متعبا.. وضجرا.. من كل ذلك التشاحن ولم يكن لديه قط وقت لكتابة الشعر وكان ذلك أكثر ما يود أن يفعله"(٣٤).

"مايكل چوسلسون" مات فى يناير ١٩٧٨. وبالرغم من محاولات مستميتة لإيجاد عمل، إلا أن كل معاونيه السابقين كانوا قد تخلوا عنه. فى عام ١٩٧٢ رفضوا أن يمنحوه زمالة "المجلس الأمريكى للجمعيات العلمية". كتب "شيپارد ستون – Shepard Stone" إلى السيناتور "وليم بنتون – William Benton"، صاحب وناشر دائرة المعارف البريطانية، يرشح له "چوسلسون" ولكن شيئا لم يحدث. حتى شركة "چوسلسون" القديمة "چيمل ساكس – Gimel Saks" لم تجد له شيئا. مؤسسة "تايم" أخبرته بأنه لا مكان له لديهم بالرغم من "مؤهلاته غير العادية". وفى مارس ١٩٧٣ أُبلغ بأنه لم يرشح للزمالة لدى "چجنهايم"، كما رفضته أيضا مؤسسة "هوڤر للحرب والثورة والسلام".

قبل موته بثمان سنوات، عكف بالتعاون مع "ديانا" على كتابة قصة حياة الچنرال "باركلى دو توللى – Barclay deTolly" الذى حل محله "الفيلد مارشال كوتوزوف Kutuzov فى قيادة الجيوش الروسية ضد "نابليون" فى عام ١٨١٢. كان الميچور چنرال "نيكولاس دوتوللى" – Nicholas de Tolley أحد أبناء الچنرال، قد خدم مع سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى فى "برلين" ربما يكون "چوسلسون" قد التقى به وفتنته قصة قائد عظيم من "استونيا" لم يوف حقه، والذى كان "پوشكين – Pushkin قد كتب عنه:

عبثا! لقد حصد خصمك الانتصار

الذى زرع فى عقلك الكبير باكرا

وأنت، منسيا متحررا من الوهم راعى الحفل

لفظت نفسك الأخير، ربما احتقارا لنا ساعة الموت.

مرت جنازة "چوسلسون" فى شهر يناير ١٩٧٨ كحدث عادى هادئ. قال "لاسكى" وهو يكتب عنها لـ "هوك": "لو أنه كان قد مات عندما أجريت له عملية جراحية فى القلب قبل أربعة عشر عاما لكانت الجنازة قد تحولت إلى مناسبة أوروبية

وغربية، ولحضرها ألف شخص ليكونوا فى وداعه."(٣٥) وكما تقول "ديانا"، فإن "لاسكى" نفسه ظهر فى جنازة "مايكل" وسرق الأضواء"(٣٦). كان هناك أيضا مندوب عن الـ"CIA"، اختار تلك اللحظة ليقدم لـ "ديانا" ميدالية الخدمة الخاصة بـ "مايكل". تقول: "كان شيئا لا يليق - وكأنهم يقولون إنك قد قمت بذلك من أجل الميدالية ولا شيء أكثر. رفضت قبولها"(٣٧). استمرت "ديانا" مقيمة فى شقة "بلاتو دوشاميل" تحيط بها صور وتذكارات تلك الأيام المحمومة عندما كان يبدو لها "مؤتمر الحرية الثقافية" مثل الثورة الفرنسية أو "حركة أوكسفورد" أو الأيام المائة الأولى فى إدارة "كينيدى". قالت: "مايكل عاش من أجل المؤتمر، وفى النهاية مات من أجله. لكنه كان أفضل ما فى حياتى. كانت تلك سنوات رائعة."(٣٨).

ولكن ماذا عن تلك الرابطة الأخوية "Bruder bund"؟ ذلك "النادى الداخلى لأولئك الأقل عرضة للموت والأكثر حماسا، تلك القلة القليلة التى كانت تعرف ما كان ينبغى أن يعرفه كل شخص آخر ولكنه لم يحدث، تلك القلة التى كانت تصدر أحكامها السرية باسم عصر تنوير جديد؟". كانوا يريدون القيام بالدورين معا: السير مع الشيطان سرا فى الظلام، والسير فى ضوء الشمس"(٣٩)، كما يقول أحد المتمرسين في العمل مع الـ "CIA" كان التناقض كبيرا بالنسبة لكثيرين. كانوا من عمد الحرب الباردة كما كانوا من ضحاياها.. دمرتهم الالتباسات الأخلاقية للعبة الكبرى.

في السنوات الأخيرة من عمر "منظمة الحرية الثقافية"، أصبح "چاك طومسون" الذى كان قبل ذلك تحت حماية "چون كرو رانسوم" (انتهى به الأمر ممسكا بدفة "SS- Farfield" وهو الاسم الذى كانت الـ "CIA" تعرف به مؤسسة فارفيلد). انتهى به الأمر "وقد استحوذت عليه فكرة إنقاذ الأفارقة من الروس وكان يسافر إلى هناك كثيرا"، كما يقول "چاسون ايپشتين". "كان يقدم المنح الدراسية للطلاب والباحثين والمثقفين الأفارقة، وكانت حكرماتهم تسمح لهم بالذهاب بشرط ألا يعودوا، (كان يسعدهم أن يتخلصوا منهم). وهكذا فإن ما كان "چاك" يقوم به، دون أن يدرك، هو نفيهم. يمكن أن تتوقع أن تقع فى ورطة إذا صدقت مزاعم بلادك حرفيا"(٤٠). "فرانك ويزنر" انتحر فى ١٩٦٥ بعد عدة انهيارات عصبية لازمته بعد الثورة المجرية الفاشلة. ومن المنتحرين أيضا هناك "رويال تيلر - Royall Tyler" أحد أهم معاونى "آلان دالاس" الأوائل، ووضع نهاية لحياته فى ١٩٥٢، وهناك "چيمس فورستال - James Forrestal" وزير الدفاع بعد الحرب العالمية الثانية، وأحد الذين ساعدوا فى تنظيم العمل السرى الأمريكي والذى وضع نهاية لحياته فى عام ١٩٤٩ ، أما "فيليپ جراهام - Philip Graham" ناشر الـ "واشنطن پوست" أطلق النار على

نفسه فى عام ١٩٦٣ ، ويقول "چوزيف السوپ – Joseph Alsop" فى رسالته لـ "أشعيا برلين – Isaiah Berlin" وكأنه يكتب مرثيتهم جميعا: "كان مهيأً لكل النّجاح، وحققه على أوسع نطاق، بعد ذلك تحول النجاح إلى تراب ورماد فى فمه"(٤١).

وهناك حقيقة أكثر رعبا ودمارا وراء "الحنين إلى ماضى تلك "الأيام الذهبية" للمخابرات الأمريكية، ذلك الحنين الذى لم يختبره أحد أو يفحصه: الناس أنفسهم الذين قرأوا "دانتى – Dante" وذهبوا إلى "ييل" ودرسوا قيم الطهارة الأخلاقية.. هؤلاء الناس أنفسهم، هم الذين كانوا يجندون النازيين، ويتلاعبون بنتائج الانتخابات الديمقراطية، ويعطون عقار الهلوسة "LSD" لأشخاص دون دراية منهم، ويفتحون بريد آلاف المواطنين الأمريكيين، ويقلبون الحكومات، ويؤيدون الأنظمة الدكتاتورية، ويدبرون الاغتيالات، ويخططون لكارثة "خليج الخنازير". ويتساءل أحد النقاد: "باسم ماذا كان ذلك كله يتم؟ لم يكن باسم الأخلاق أو الفضائل المدنية.. بل كان باسم السيطرة!"(٤٢)

الهوامش والمصادر

The following archival collections were consulted:

AB/MoMA	Alfred H. Barr Papers, Museum of Modern Art, New York
ACCF/NYU	American Committee for Cultural Freedom Papers, Tamiment Library, New York University, NY
AWD/PU	Allen Welsh Dulles Papers, Seeley Mudd Manuscript Library, Princeton University
BC/FO924/PRO	British Council Records, Public Records Office, Kew, London
BCCB/FO924/PRO	British Control Commission, Berlin, Public Records Office, Kew, London
CCF/CHI	Congress for Cultural Freedom Papers, Joseph Regenstein Library, University of Chicago, Illinois
CDJ/DDE	C. D. Jackson Papers and Records, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
CIA.HSC/RG263/NARA	CIA History Source Collection, National Archives & Records Administration, Washington, DC
DM/STER	Dwight Macdonald Papers, Sterling Memorial Library, Yale University

FA/COL	Frank Altschul Papers, Butler Library, Columbia University, New York
GG/DDE	Gordon Gray Papers, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
GO/UCL	George Orwell Papers, University College, London
HL/COL	Herbert Lehman Papers, Butler Library, Columbia University, New York
IB/GMC	Irving Brown Papers, American Federation of Labor-Congress of Industrial Relations, George Meany Center, Washington, DC
IRD/FO1110/PRO	Information Research Department, Public Records Office, Kew, London
MJ/HRC	Michael Josselson Papers, Harry Ransom Humanities Research Center, Austin, Texas
MS/COL	Meyer Schapiro Papers, Butler Library, Columbia University, New York
NN/HRC	Nicolas Nabokov Papers, Harry Ransom Humanities Research Center, Austin, Texas
NSF/LBJ	National Security Files, Lyndon Baines Johnson Library, Austin, Texas
NSF/JFK	National Security Files, John F. Kennedy Library, Boston University
OCB/Cen/DDE	Operations Coordinating Board, Central File Series, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
OMGUS/RG260/	Office of Military Government United States, National Archives & NARA Records Administration, Washington, DC
PEN/HRC	International PEN Papers, Harry Ransom Humanities Research Center, Austin, Texas
SD.PPW/RG59/NARA	State Department, Political and Psychological Warfare, National Archives & Records Administration, Washington, DC
PSB/DDE	Psychological Strategy Board Records, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
PSB/HT	Psychological Strategy Board Records, Harry S. Truman Library, Independence, Missouri
RH/COL	Random House Papers, Butler Library, Columbia University, New York
SCHLES/JFK	Arthur M. Schlesinger, Jr., Papers, John F. Kennedy Library, Boston
SD.CA/RG59/	State Department, Cultural Affairs Office, National Archives & Records NARA Administration, Washington, DC
ENC/S&W/RU	Encounter Papers, Secker & Warburg, MS 1090, Reading University, Reading

WHO/DDE	White House Office, Office of the Staff Secretaries: Records 1952–1961/Cabinet Series, Dwight D. Eisenhower Library, Kansas
WHO/NSC/DDE	White House Office, National Security Council Staff Papers 1948–1961, Dwight D. Eisenhower Library, Kansas

All interviews, unless otherwise stated, were with the author

Introduction

1 Arthur Koestler, in Richard Crossman (ed.), *The God That Failed: Six Studies in Communism*, (London: Hamish Hamilton, 1950).
2 Saul Bellow, *Humboldt's Gift* (New York: Viking, 1975).
3 Arthur M. Schlesinger, Jr., *A Thousand Days: John F. Kennedy in the White House* (London: André Deutsch, 1965).
4 Ibid.
5 National Security Council Directive, 10 July 1950, quoted in *Final Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities* (Washington: United States Government Printing Office, 1976).
6 Ibid. [My italics.]
7 Archibald MacLeish, *New York Times*, 21 January 1967.
8 Tzvetan Todorov, 'The Communist Archives', *Salmagundi*, Summer 1997.

1 Exquisite Corpse

1 Willy Brandt, quoted in 'The Big Chill', *Sunday Times*, 5 January 1997.
2 Clarissa Churchill, 'Berlin Letter', *Horizon*, vol.13/75, March 1946.
3 Susan Mary Alsop, *To Marietta from Paris 1945–1960* (New York: Doubleday, 1975). See also Antony Beevor and Artemis Cooper, *Paris After the Liberation, 1944–1949* (London: Hamish Hamilton, 1994).
4 Nicolas Nabokov, *Old Friends and New Music* (London: Hamish Hamilton, 1951).
5 James Burnham, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy: The Congress for Cultural Freedom and the Struggle for the Mind of Postwar Europe* (New York: The Free Press, 1989).
6 Michael Josselson, 'The Prelude to My Joining The "Outfit"' (MJ/HRC).
7 Ibid.
8 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
9 Michael Josselson, op.cit.
10 Nicolas Nabokov, *Bagázh: Memoirs of a Russian Cosmopolitan* (London: Secker & Warburg, 1975).
11 Benno D. Frank, Chief, Theater & Music Control, OMGUS Education & Cultural Relations Division, 30 June 1947, 'Cancellation of

Registration for German Artists' (OMGUS/RG260/NARA).

12 Nicolas Nabokov, *Old Friends and New Music.*

13 Ibid.

14 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.

15 Michael Josselson, op.cit.

16 Nicolas Nabokov to Michael Josselson, 28 October 1977 (MJ/HRC).

17 At a meeting of the 'Referendary Commission at the Ministry for Education for Judging the Political Attitude of Artists, Singers, Musicians, Conductors, and Producers Performing Independently or Intended to be Employed in the Federal Theatres', Vienna, 25 March 1946, it was agreed that: 'The notorious shortage of first rate conductors makes it imperative that Karajan should work in Austrian musical life, especially at the 1946 Salzburg Festival, all the more so since invitations sent to four prominent conductors of world fame (Toscanini, Bruno Walter, Lord Beecham, Erich Kleiber) have, so far, been declined. There is no doubt, too, that Karajan must be classed as a first conductor of European competency.' (NN/HRC).

18 William Donovan, quoted in R. Harris Smith, *OSS: The Secret History of America's First Central Intelligence Agency* (Los Angeles: University of California Press, 1972).

19 Arthur Miller, *Timebends: A Life* (London: Methuen, 1987).

20 Gregory Bateson, Research & Analysis, OSS, to General Donovan, 18 August 1945 (CIA.HSC/RG263/NARA).

21 Richard Mayne, *Postwar: The Dawn of Today's Europe* (London: Thames & Hudson, 1983). Mayne's book is a vivid reconstruction of the physical and psychological conditions of post-Fascist Europe. I am indebted to his chapter on Berlin during the Allied occupation.

22 R. E. Colby, British Control Commission, Berlin, to Montague Pollock, 19 March 1947 (BCCB/FO924/PRO).

23 Alonzo Grace, Director, Education & Cultural Relations Division, 'Out of the Rubble: An Address on the Reorientation of the German People', Berchtesgaden, undated (OMGUS/ RG260/NARA).

24 W. G. Headrick, OMGUS Information Control Division, 'Facts About the US Information Centers in Germany', 19 August 1946 (OMGUS/RG260/NARA).

25 *Amerika-Haus Review*, July 1950 (OMGUS/RG260/NARA).

26 OMGUS Education & Cultural Relations Division, Theater & Music Section, 'Periodic Report', March 1947 (OMGUS/ RG260/NARA).

27 Lionel Royce, Theater & Music Section, OMGUS Education & Cultural Relations Division, to Hans Speier, Office of War Information, Washington, 12 May 1945 (OMGUS/RG260/ NARA).

28 Douglas Waples, Publications Section, OMGUS Information Control Division, 'Publications for Germany: Agenda for Pyschological Warfare Division and Office of War Information Conference', 14 April 1945 (OMGUS/RG260/NARA).

29 Ula Moeser, OMGUS Information Control Division, 'Political Education Program', undated (OMGUS/RG260/NARA).

30 Quoted in *Amerika-Haus Review*, July 1950 (OMGUS/RG260/NARA).
31 Ibid.
32 Ralph Burns, Chief, OMGUS Cultural Affairs Branch, 'Review of Activities', July 1949 (OMGUS/RG260/NARA).
33 Ibid.
34 George C. Marshall, Harvard Commencement Address, 5 June 1947, printed in *Foreign Relations of the United States*, vol.3, 1947 (Washington: United States Government Printing Office, 1947).
35 John Crowe Ransom, 'Address to the Scholars of New England' (Harvard Phi Beta Kappa Poem), 23 June 1939, *Selected Poems* (New York: Knopf, 1964).
36 Harry S. Truman, Address to Congress, 12 March 1947, printed in Harry S. Truman, *Memoirs: Year of Decisions* (New York: Doubleday, 1955).
37 Dean Acheson, quoted in Joseph Jones, *Fifteen Weeks* (New York: Viking, 1955).
38 Joseph Jones, ibid.
39 *Pravda*, 17 June 1947.
40 George Kennan, quoted in Walter L. Hixson, *George F. Kennan: Cold War Iconoclast* (New York: Columbia University Press, 1989).
41 Walter L. Hixson, ibid.
42 Dennis Fitzgerald, quoted in ibid.
43 Richard Bissell, *Reflections of a Cold Warrior: From Yalta to the Bay of Pigs* (New Haven: Yale University Press, 1996).
44 Quoted in Americans for Intellectual Freedom, 'Joint Statement on the Cultural and Scientific Conference for World Peace', March 1949 (ACCF/NYU).
45 Andrei Zhdanov, 'Report on the International Situation', *Politics and Ideology* (Moscow: 1949).
46 Ibid.
47 Melvin Lasky to Dwight Macdonald, 10 October 1947 (DM/STER).
48 Melvin Lasky, 'The Need for a New, Overt Publication', 7 December 1947 (OMGUS/RG260/NARA).
49 Ibid.
50 Ibid.
51 Melvin Lasky, 'Towards a Prospectus for the "American Review"', 9 December 1947 (OMGUS/RG260/NARA).
52 Jean Cocteau, quoted in Serge Guilbaut, 'Postwar Painting Games', *Reconstructing Modernism* (Cambridge: MIT Press, 1990).

2 Destiny's Elect

1 *Final Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities* (Washington: United States Government Printing Office, 1976). Hereafter, this report is referred to as 'Final Report of the Church Committee, 1976', after its chairman, Senator Frank Church.

2 Norman Mailer, *Harlot's Ghost* (London: Michael Joseph, 1991).
3 Quoted in *New York Times*, 25 April 1966.
4 William Colby, *Honorable Men: My Life in the CIA* (New York: Simon & Schuster, 1978).
5 Drew Pearson, quoted in R. Harris Smith, *OSS.*
6 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
7 Quoted in R. Harris Smith, op.cit.
8 Ibid.
9 Ibid.
10 Nicolas Nabokov, *Bagázh.*
11 George Kennan, quoted in Walter L. Hixson, *George F. Kennan.*
12 George Kennan (writing as 'X'), 'The Sources of Soviet Conduct', *Foreign Affairs*, vol.26, July 1947.
13 George Kennan, National War College Address, December 1947, quoted in *International Herald Tribune*, 28 May 1997.
14 Deborah Larson, *The Origins of Containment: A Psychological Explanation* (New Jersey: Princeton University Press, 1985).
15 National Security Council Directive 10/2, quoted in *Final Report of the Church Committee*, 1976.
16 Ibid.
17 Ibid.
18 Ibid.
19 Harry Rositzke, quoted in Evan Thomas, *The Very Best Men: The Early Years of the CIA* (New York: Touchstone, 1996).
20 Allen Dulles, quoted in Evan Thomas, ibid.
21 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
22 Harrison E. Salisbury, *Without Fear or Favor: The New York Times and its Times* (New York: Ballantine, 1980).
23 Edgar Applewhite, quoted in Evan Thomas, op.cit.
24 *Final Report of the Church Committee*, 1976. 'The winners in Wisner's office were the managers who could produce the most projects. His model was a law firm: the more clients, the more cases, the more reward.' Evan Thomas, op.cit.
25 William Colby, op.cit.
26 Michael Josselson, 'The Prelude to My Joining The "Outfit"' (MJ/HRC).
27 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
28 George Kennan to Nicolas Nabokov, 14 July 1948 (NN/HRC).

3 Marxists at the Waldorf

1 Arthur Miller, *Timebends*. For the Waldorf Astoria conference, see also Carol Brightman, *Writing Dangerously: Mary McCarthy and Her World* (New York: Lime Tree, 1993), and Nicolas Nabokov's colourful, though not entirely reliable, account in *Bagázh: Memoirs of a Russian Cosmopolitan.*
2 Lionel Abel, quoted in Leonard Wallock (ed.), *New York 1940–1965* (New York: Rizzoli, 1988).

3 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
4 Arthur Miller, op.cit.
5 Nicolas Nabokov, op.cit.
6 Arthur Miller, op.cit.
7 Dmitri Shostakovich, *Testimony: The Memoirs of Dmitri Shostakovich*, Solomon Volkov (ed.) (New York: Harper & Row, 1979). There remains some doubt as to the 'authenticity' of Shostakovich's memoirs. Published well before the era of *glasnost*, they are widely suspected of being used as propaganda by the Soviets. But propaganda or not, Shostakovich can be seen to represent a body of Eastern bloc artists who resented the simple-mindedness of some American anti-Communists.
8 Norman Mailer, quoted in Carol Brightman, op.cit.
9 Arthur Miller, op.cit.
10 It is unlikely, though not impossible, that Hoover had read the manuscript of *Spartacus*. In the FBI's campaign against American writers, questions of content were nearly always secondary to the status of the author. In Howard Fast's case, his record as a Communist Party member, and his appearance at the Waldorf conference were enough to secure Hoover's wrath. See Natalie Robins, *Alien Ink: The FBI's War on Freedom of Expression* (New York: William Morrow, 1992).
11 Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
12 Nicolas Nabokov, op.cit.
13 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
14 Nicola Chiaromonte, quoted in Carol Brightman, op.cit.
15 Arthur Miller, op.cit.
16 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.

4 Democracy's Deminform

1 Carol Brightman, *Writing Dangerously: Mary McCarthy and Her World* (New York: Lime Tree, 1993).
2 Ernest Bevin, 'Top Secret Cabinet Paper on Future Foreign Publicity Policy', 4 January 1948 (IRD/FO1110/PRO).
3 Robert Bruce Lockhart, *The Diaries of Robert Bruce Lockhart, 1939–1965*, Kenneth Young (ed.) (London: Macmillan, 1980).
4 Adam Watson, telephone interview, August 1998.
5 Sir Ralph Murray to Chief of Defence Staff, June 1948 (IRD/FO1110/PRO).
6 Adam Watson, telephone interview, August 1998.
7 Ernest Bevin, 'Top Secret Cabinet paper on Future Foreign Publicity', 4 January 1948 (IRD/FO1110/PRO).
8 Mamaine Koestler, *Living with Koestler: Mamaine Koestler's Letters 1945–1951*, Celia Goodman (ed.) (London: Weidenfeld & Nicolson, 1985).
9 As in George Babbitt, 'the eponymous anti-hero of Sinclair Lewis's brilliant 1922 novel who, in the midst of a mid-life crisis, is temporarily seduced from solid American values by the lure of Bohemian ways and

superficial radicalism', David Cesarani, *Arthur Koestler: The Homeless Mind* (London: William Heinemann, 1998). Cesarani's excellent biography gives a detailed account of Koestler's 1948 trip to the United States.

10 Arthur Koestler, quoted in Iain Hamilton, *Koestler: A Biography* (London: Secker & Warburg, 1982).
11 Jean-Paul Sartre, *Les Temps modernes,* October 1954.
12 Michael Warner, 'Origins of the Congress for Cultural Freedom', *Studies in Intelligence* vol.38/5, Summer 1995. An historian working for the CIA's History Staff, Warner has access to classified material unavailable to other scholars. As such, this article is invaluable. But it contains several errors and deliberate omissions, and should be read with that in mind.
13 Arthur M. Schlesinger, Jr., *The Vital Center: A Fighting Faith* (Cambridge: Riverside Press, 1949).
14 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
15 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
16 Robert Bruce Lockhart, op.cit.
17 Ibid.
18 Richard Crossman to C. D. Jackson, 27 August 1948 (CDJ/DDE).
19 HICOG Frankfurt, 'Evaluation Report', 1950 (SD.CA/RG59/ NARA).
20 Richard Crossman (ed.), *The God That Failed.*
21 Ignazio Silone, *Emergency Exit* (London: Gollancz, 1969).
22 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
23 IRD, Top Secret Cypher, 24 March 1949 (IRD/FO1110/PRO).
24 Ibid.
25 Anthony Carew, 'The American Labor Movement in Fizzland: The Free Trade Union Committee and the CIA', *Labor History*, vol.39/1, February 1998.
26 Quoted in Michael Warner, op.cit.
27 Robert Bruce Lockhart, op.cit.
28 Sidney Hook, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*
29 Sidney Hook, 'Report on the International Day of Resistance to Dictatorship and War', *Partisan Review*, vol.16/7, Fall 1949.
30 Ibid.
31 Michael Warner, op.cit.
32 Sidney Hook, 'Report on the International Day . . .' op. cit. [Hook's italics.]
33 Arthur Miller, *Timebends.*
34 Frank Wisner, quoted in Michael Warner, op.cit.
35 Ruth Fischer, quoted in Michael Warner, op.cit.
36 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
37 Michael Warner, op.cit.
38 Ibid.
39 Ibid.

5 Crusading's the Idea

1 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
2 Sidney Hook, *Politics*, Winter 1949.
3 Sidney Hook, 'The Berlin Congress for Cultural Freedom', *Partisan Review*, vol.17/7, 1950.
4 Nicolas Nabokov, *Bagázh*.
5 Ignazio Silone, quoted in Celia Goodman (ed.), *Living with Koestler*.
6 Ignazio Silone, 3 April 1930, printed in *La Stampa*, 30 April 1996.
7 Ignazio Silone, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
8 Arthur Koestler, quoted in Peter Coleman, op.cit.
9 Ernst Reuter, quoted in Congress for Cultural Freedom brochure, undated (CCF/CHI).
10 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
11 Mamaine Koestler, in Celia Goodman (ed.), op.cit.
12 James Burnham, 'Rhetoric and Peace', *Partisan Review*, vol.17/8, 1950.
13 Sidney Hook, op.cit.
14 James Burnham, op.cit.
15 Hugh Trevor-Roper, interview, London, July 1994.
16 André Philip, 'Summary of Proceedings', Berlin 1950 (CCF/CHI).
17 Melvin Lasky, interview, London, July 1994.
18 Hugh Trevor-Roper, interview, London, July 1994.
19 Sidney Hook, op.cit.
20 Arthur Koestler, quoted in Iain Hamilton, *Koestler*.
21 Edward Barrett, *Truth is our Weapon* (New York: Funk & Wagnalls, 1953). Barrett's sentiments were shared by many others. Arthur Koestler was once confronted by an American journalist who told him that 'people who had once been Communists should shut up and retire to a monastery or a desert island, instead of going around "teaching other people lessons"'. Barrett's reference to the usefulness of ex-Communists as 'informers' or 'tipsters', however, is interesting, an indication that the US government's secret strategy of embracing the Non-Communist Left was quick to establish itself.
22 Melvin Lasky, quoted in *Boston Globe*, 24 June 1950.
23 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
24 Hugh Trevor-Roper, interview, London, July 1994.
25 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
26 Mamaine Koestler, in Celia Goodman, op.cit.
27 Manifesto of the Congress for Cultural Freedom, July 1950 (CCF/CHI).
28 Ibid.
29 Quoted in Michael Warner, 'Origins of the Congress for Cultural Freedom', *Studies in Intelligence* vol.38/5, Summer 1995.

6 'Operation Congress'

1 Frank Wisner, 'Berlin Congress for Cultural Freedom: Activities of

Melvin Lasky', in Michael Warner, 'Origins of the Congress for Cultural Freedom', *Studies in Intelligence* vol.38/5, Summer 1995.

2 Michael Warner, op.cit. See also Evan Thomas, *The Very Best Men: The Early Years of the CIA* (New York: Touchstone, 1996), footnote on page 263.

3 Edward Shils, 'Remembering the Congress for Cultural Freedom', 1990 (unpublished proofs).

4 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.

5 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.

6 'All CIA operations had cryptonyms preceded by a two-letter "diagraph" for signals security.' Evan Thomas, op.cit.

7 George Kennan to Robert Lovett, 30 June 1948 (SD.PPW/RG59/NARA).

8 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.

9 E. Howard Hunt, *Undercover: Memoirs of an American Secret Agent* (California: Berkeley Publishing Corporation, 1974).

10 Miles Copeland, *National Review*, 11 September 1987.

11 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 2 February 1953 (CDJ/DDE).

12 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 11 September 1941 (MS/COL).

13 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.

14 Arthur Koestler, 'Immediate Tasks for the Transition Period', 4 July 1950 (IB/GMC).

15 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.

16 Manifesto of the Congress for Cultural Freedom, July 1950 (CCF/CHI).

17 Arthur Schlesinger to Irving Brown, 18 July 1950 (IB/GMC).

18 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.

19 Ibid.

20 Peter Vansittart, *In the Fifties* (London: John Murray, 1995).

21 Robert Bruce Lockhart, *The Diaries of Robert Bruce Lockhart, 1939–1965*.

22 James Simmons, 'The Ballad of Bertrand Russell', *Judy Garland and the Cold War* (Belfast: Blackstaff Press, 1976).

23 Giles Scott-Smith, *The Politics of Apolitical Culture: The Congress for Cultural Freedom and the Cultural Identity of Post-War American Hegemony 1945–1960* (unpublished Ph.D thesis, Lancaster University, 1998).

24 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.

25 Nicolas Nabokov, Address to the Congress for Cultural Freedom, Berlin, July 1950 (CCF/CHI).

26 C. D. Jackson to Tyler Port, 8 March 1950 (CDJ/DDE).

27 Nicolas Nabokov to Irving Brown, 6 December 1950 (IB/GMC).

28 Nicolas Nabokov to Irving Brown, 17 January 1951 (IB/GMC) Quite what the source of this extra remuneration was remains unclear. Soon, however, Nabokov's salary supplement was listed as an expense of the American Committee for Cultural Freedom, which in turn was supported by grants from the Farfield Foundation, a CIA front.

29 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', *Saturday Evening Post*, 20 May 1967.
30 William Colby, interview, Washington, June 1994.
31 Tom Braden, op.cit.
32 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
33 Ibid.
34 Ibid.
35 National Security Council Directive, March 1950, quoted in Scott Lucas, 'The Psychological Strategy Board', *International History Review*, vol.18/2, May 1996. See also, Trevor Barnes, 'The Secret Cold War: The CIA and American Foreign Policy in Europe 1946–56, part II', *The Historical Journal*, vol. 25/3, September 1982. Barnes reveals that the idea of a Kremlin masterplan for global domination was viewed with some suspicion by a group of CIA analysts. Project Jigsaw, a top-secret review of world Communism, set up in late 1949, concluded there was no such masterplan, even if the Kremlin did manipulate the Communist parties of other nations. Jigsaw was probably influenced by Kennan, who was rethinking his views about the USSR. But its conclusions were so unorthodox that they were smothered, even within the Agency itself.
36 Edward Barrett, *Truth is our Weapon.*
37 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994. Braden used another phrase: 'the battle for Picasso's mind'. Taken literally, this would of course have been a Sisyphean task. When Cleve Gray, a young American painter serving in the US army, followed the pilgrimage trail to Picasso's studio after the liberation, he arrived late morning to find Picasso in his underpants, having just got out of bed. Picasso stood by the side of the bed holding a copy of the Communist newspaper *L'Humanité* in one hand while he held out the other for Jaime Sabartès, his factotum, to thread it through a shirt sleeve, then he transferred the newspaper to the other hand while Sabartès pulled on the other sleeve. Picasso was just about to join the Communist Party, telling the world 'one goes to the Communist Party as to a spring of fresh water'. The scene is described in Antony Beevor and Artemis Cooper, *Paris After the Liberation, 1944–1949.*
38 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', *Saturday Evening Post*, 20 May 1967.
39 Arthur Koestler to Bertrand Russell, 1950, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*
40 Other Branch Chiefs were given responsibility for the IOD's burgeoning group of fronts, which Braden created in a punch for punch response to Soviet deviousness. He answered the Communist-backed International Association of Democratic Lawyers with the International Commission of Jurists; for the World Peace Council, there was the National Committee for a Free Europe; the Cominform-backed Women's International Democratic Federation was challenged by the International Committee of Women; the International Union of

Students by the CIA-infiltrated National Students' Association; the World Federation of Democratic Youth by the World Assembly of Youth; the International Organization of Journalists by the International Federation of Free Journalists; the World Federation of Trade Unions by the International Federation of Free Trade Unions.

41 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
42 Nicolas Nabokov, *Bagázh*.
43 Nicolas Nabokov to James Burnham, 6 June 1951 (CCF/CHI).
44 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
45 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
46 Nicolas Nabokov to James Burnham, 27 June 1951 (CCF/CHI).
47 Peter Coleman, op.cit.
48 François Bondy and Georges Altman to Michael Josselson, October 1950 (IB/GMC).
49 Nicolas Nabokov to Irving Brown, 3 September 1951 (IB/GMC).
50 There were strong reasons for trying to silence the anti-clericalist clamour of the Italian outfit. At this time, Lawrence de Neufville was involved in highly sensitive talks with the Vatican, as part of a CIA initiative to deploy Catholic trade unions throughout Europe as a counterforce to Communist-dominated labour groups. The potential embarrassment to the CIA of one of its 'assets' publicly criticizing the Church was great.
51 Nicolas Nabokov to James Burnham, 6 June 1951 (CCF/CHI).
52 Ibid.

7 Candy

1 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
2 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
3 Richard Bissell, *Reflections of a Cold Warrior.*
4 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
5 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
6 Ibid.
7 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
8 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
9 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
10 Walter Laqueur, 'Anti-Communism Abroad: A Memoir of the Congress for Cultural Freedom', *Partisan Review*, Spring 1996.
11 Ben Sonnenberg, interview, New York, February 1997. After he had been appointed Secretary of the British Society for Cultural Freedom in late 1952, Jasper Ridley was summoned to Paris to explain why he had concealed the fact that he had once belonged to the Communist Party. According to Diana Josselson, her husband 'had to clear Congress employees with the CIA', and this oversight had made him look 'very stupid' in Washington. Ridley's account of the arraignment which followed is chilling: 'Nabokov questioned me, but his questions and my answers were interrupted by Josselson, who walked around the room, barking out questions and interjections . . . he could have been an actor

playing the part of a domineering, bullying Soviet apparatchik.' Jasper Ridley, telephone interview, August 1997.
12 Michael Goodwin to Nicolas Nabokov, 15 January 1952 (CCF/CHI).
13 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
14 Nicolas Nabokov to Michael Goodwin, 19 December 1951 (CCF/CHI).
15 Michael Goodwin to Nicolas Nabokov, 31 December 1951 (CCF/CHI).
16 Jasper Ridley recalled a Spender who was capable of outright hostility. Visiting him at his house around this time to discuss some matter relating to the British Society for Cultural Freedom, he found Spender in steely mood, and his wife Natasha Litvin 'even more hostile; she went on playing the piano without greeting me or turning round to look at me'. Jasper Ridley, telephone interview, August 1997.
17 John Clews to Nicolas Nabokov, 27 June 1952 (CCF/CHI).
18 Jasper Ridley, telephone interview, August 1997.

8 Cette Fête Américaine

1 Nicolas Nabokov to Irving Brown, undated, 1951 (IB/GMC).
2 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
3 Nicolas Nabokov to Irving Brown, undated, 1951 (CCF/CHI).
4 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
5 Thomas Jennings, Public Affairs Officer, American Consulate, Marseilles, to State Department, 'Report on concerts of Smith College Chamber Singers in southern France', 11 August 1952 (SD.CA/RG59/NARA).
6 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
7 Susan Sontag, 'Pilgrimage', *The New Yorker*, 21 December 1987.
8 Nicolas Nabokov to Irving Brown, undated, 1951 (IB/GMC).
9 Albert Donnelly, Jr., to Julius Fleischmann, 15 November 1951 (ACCF/NYU). America was disposed to let the right kind of African-Americans 'out', but evidently not those who threatened to damage the interests of the US. When the Reverend Adam Clayton Powell, celebrated congressman and ex-Harlem minister, announced he was going to attend the 1955 Bandung Conference, C. D. Jackson attempted to persuade Nelson Rockefeller to block his visa request, on the basis that 'There was a time not so long ago when [Powell's] Communist flirtations were pretty shocking.' C. D. Jackson to Nelson Rockefeller, 28 March 1955 (CDJ/DDE).
10 James Johnson Sweeney, press release, 18 April 1952 (ACCF/NYU).
11 Quoted in American Embassy, Paris, report to State Department, 'Local Press Reaction to Congress for Cultural Freedom', 9 May 1952 (SD.CA/RG59/NARA).
12 Janet Flanner, 'Letter from Paris', *The New Yorker*, 20 May 1952.
13 Janet Flanner, 'Festival of Free World Arts', *Freedom and Union*, September 1952.
14 Guy Dumur, *Combat*, quoted in American Embassy, Paris, report to

State Department, 'Local Press Reaction to Congress for Cultural Freedom', 9 May 1952.

15 *Combat*, ibid.
16 Serge Lifar, ibid.
17 *Franc-Tireur*, ibid.
18 *L'Humanité*, ibid.
19 C. D. Jackson to Klaus Dohrn, 16 August 1956 (CDJ/DDE).
20 Janet Flanner, 'Festival of Free World Arts', *Freedom and Union*, September 1952.
21 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
22 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
23 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
24 C. D. Jackson to Francis Hatch, 5 September 1952 (CDJ/DDE).
25 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
26 Farfield Foundation brochure (CCF/CHI).
27 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
28 Tom Braden, telephone interview, October 1997.
29 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
30 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
31 Ibid.
32 Nicolas Nabokov, *Bagázh*.
33 Graham Greene, *The Quiet American* (London: Bodley Head, 1955).

9 The Consortium

1 Certificate of Incorporation of Committee for Free Europe, Inc., 11 May 1949 (CJD/DDE).
2 Dean Acheson, quoted in G. J. A. O'Toole, *Honorable Treachery: A History of U. S. Intelligence, Espionage, and Covert Action from the American Revolution to the CIA* (New York: Atlantic Monthly Press, 1991).
3 Certificate of Incorporation of Committee for Free Europe, Inc., op.cit. According to the Committee's 'Confidential Report on Friendship Stations', one of its major objectives was 'to increase disintegrating psychological pressures on the Soviet power center' and 'to forge new psychological weapons for an offensive cold war'. The report also argued that 'propaganda divorced from action ultimately recoils upon the user', a timely warning in view of what was to unfold in Hungary in 1956 (see below, Chapter 18).
4 Blanche Wiesen Cook, *The Declassified Eisenhower: A Divided Legacy of Peace and Political Warfare* (New York: Doubleday, 1981).
5 Harrison E. Salisbury, *Without Fear or Favor.*
6 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
7 National Committee for a Free Europe Inc., 'Report to Members', 5 Jan 1951 (CDJ/DDE).
8 Philip Barbour, Radio Free Europe Committee, to Frank Altschul, 'Report from Research Department', 23 March 1950 (FA/COL).

9 Henry Kissinger, *The White House Years* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1979).
10 Janet Barnes, quoted in Evan Thomas, *The Very Best Men*. The CIA gave Thomas unprecedented access for his book, as did the families of 'the very best men' of his title. Both as an historical study and as a collective biography, therefore, it is the most definitive account to date, and as such I am indebted to it.
11 William Colby, interview, Washington, June 1994.
12 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
13 J. M. Kaplan to Allen Dulles, 10 August 1956 (CDJ/DDE).
14 *Final Report of the Cox Committee*, 1952, quoted in René Wormser, *Foundations: Their Power and Influence* (New York: Devin-Adair, 1958).
15 *Final Report of the Church Committee*, 1976.
16 Ibid.
17 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
18 Cord Meyer, *Facing Reality: From World Federalism to the CIA* (Maryland: University Press of America, 1980).
19 Richard Bissell, *Reflections of a Cold Warrior*.
20 James Laughlin, quoted in Kathleen D. McCarthy, 'From Cold War to Cultural Development: The International Cultural Activities of the Ford Foundation 1950–1980', *Daedalus*, vol.116/1, Winter 1987.
21 Quoted in Kathleen D. McCarthy, ibid.
22 Irving Kristol to Stephen Spender, 25 March 1953 (CCF/CHI).
23 Kai Bird, interview, Washington, June 1994.
24 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
25 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
26 Neil Berry, 'Encounter', *London Magazine*, February–March 1995.

10 The Truth Campaign

1 Walt Rostow, telephone interview, July 1997.
2 C. D. Jackson, 'Notes of meeting', 28 April 1952 (CDJ/DDE).
3 Dwight D. Eisenhower, quoted in Blanche Wiesen Cook, *The Declassified Eisenhower*.
4 Charles Burton Marshall to Walter J. Stoessel, 18 May 1953 (CDJ/DDE).
5 Ibid.
6 Ibid.
7 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994. 'From the [CIA's] point of view this image is really of a dog being led on a very long leash. Central to its success with intellectuals, who were said to be committing themselves to freedom, and independence, was the Agency's calculation that some, if not most, should be permitted to remain "unwitting" because they were in basic agreement with Agency politics, or could be more cooperative and useful if permitted to act as if they were unwitting.' Richard Elman, *The Aesthetics of the CIA* (unpublished manuscript).

8 Raymond Allen, quoted in Scott Lucas, 'The Psychological Strategy Board', *International History Review*, vol.18/2, May 1996.
9 Psychological Strategy Board, 'US Doctrinal Program', 29 June 1953 (PSB/DDE).
10 Scott Lucas, op.cit.
11 C. D. Jackson, Log Files (CDJ/DDE).
12 Ibid.
13 C. D. Jackson to Henry Luce, 28 April 1958 (CDJ/DDE).
14 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 2 February 1953 (CDJ/DDE).
15 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
16 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
17 Ibid.
18 Ibid.
19 Ibid. Irving Brown's contacts were many and varied, and with such large cash sums at his disposal, he found himself dealing with some dangerous characters. Recently discovered documents reveal that the Federal Bureau of Narcotics was tailing Brown in the mid-1960s on suspicion of trafficking drugs (or money laundered from drugs' trafficking operations) to the US. The documents link Brown to notorious French crime bosses, and their Italian counterparts in the Mafia. Federal Bureau of Narcotics, memorandi, October 1965. I am grateful to Tony Carew for showing me these documents.
20 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
21 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.

11 The New Consensus

1 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
2 Irving Kristol, interview, Washington, July 1996.
3 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
4 Sidney Hook's contacts with the CIA and the Psychological Strategy Board are referred to in a letter from Gordon Gray to Hook, 4 October 1951 (GG/DDE). According to Lawrence de Neufville, Hook was 'a regular consultant to CIA on matters of mutual interest'. In 1955, Hook was directly involved in negotiations with Allen Dulles and Cord Meyer at the CIA to secure funding for the ailing American Committee for Cultural Freedom.
5 Sidney Hook, 'To Counter the Big Lie – A Basic Strategy', *New York Times Magazine*, 11 March 1951.
6 Elliot Cohen, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
7 Norbert Muhlen, quoted in Peter Coleman, ibid.
8 'Our Country and Our Culture', *Partisan Review*, May–June 1952.
9 Norman Podhoretz, *Making It* (London: Jonathan Cape, 1968).
10 William Phillips, quoted in Leonard Wallock (ed.), *New York*.
11 Lionel Trilling, quoted in Leonard Wallock, ibid.
12 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
13 Quoted in Leonard Wallock, op.cit.
14 Dwight Macdonald, 'Politics Past', *Encounter*, March 1957.

15 Michael Wreszin, *A Rebel in Defense of Tradition: The Life and Politics of Dwight Macdonald* (New York: Basic Books, 1994).
16 Philip Rahv, quoted in Hugh Wilford, *The New York Intellectuals* (Manchester: Manchester University Press, 1995).
17 Daniel Bell to John Leonard, editor, *Sunday Times Book Review*, 16 October 1972 (MJ/HRC).
18 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
19 Sidney Hook to Irving Brown, 31 October 1951 (IB/GMC).
20 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
21 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 2 February 1953 (CDJ/DDE).
22 Richard Fletcher, 'How CIA Money Took the Teeth out of British Socialism', in Philip Agee and Louis Wolf, *Dirty Work: The CIA in Western Europe* (New York: Dorset Press, 1978).
23 Tom Braden, telephone interview, June 1998.

12 Magazine 'X'

1 Jasper Ridley, telephone interview, August 1997. 'I fully agree the *New Statesman* is an important target, and must be dealt with systematically,' Michael Goodwin told Nicolas Nabokov, 15 January 1952 (CCF/CHI). Goodwin's efforts were not enough to satisfy his secret sponsors. Washington's interest in destroying the influence of the *New Statesman* was later taken up by the American Committee for Cultural Freedom, which despised the journal's 'spirit of conciliation and moral lassitude vis-a-vis Communism', and proposed the 'publication of "An Inventory of the New Statesman and Nation", exposing its line of compromise with totalitarianism, for world-wide distribution to English-reading intellectuals.' American Committee for Cultural Freedom, Memorandum, 6 January 1955 (ACCF/NYU).
2 Malcolm Muggeridge, *Like It Was* (London: Collins, 1981).
3 Tosco Fyvel to Irving Brown, 4 August 1951 (IB/GMC).
4 C. D. Jackson to William Griffin, 11 May 1953 (CDJ/DDE).
5 Kim Philby, *My Silent War* (New York: Grove Press, 1968).
6 Ibid.
7 Christopher Montague Woodhouse, *Something Ventured* (London: Granada, 1982).
8 Ibid.
9 Kim Roosevelt left the CIA in 1958, and went on to become a partner in a Washington PR firm representing, among other international clients, the government of Iran.
10 Stephen Spender, 'My Parents', in *Collected Poems, 1928–1985* (London: Faber & Faber, 1985).
11 Stephen Spender, *Journals, 1939–1983* (London: Faber & Faber, 1985).
12 Anita Kermode, interview, Devon, July 1997.
13 Stephen Spender, 'We Can Win the Battle for the Mind of Europe', *New York Times Magazine*, 25 April 1948.
14 Ibid.

15 Raymond Aron, 'Does Europe Welcome American Leadership?', *Saturday Review*, 13 January 1951.
16 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
17 Natasha Spender, telephone interview, August 1997.
18 Irving Kristol to Frederic Warburg, 26 February 1953 (ACCF/NYU).
19 Michael Josselson to Stephen Spender, 27 May 1953 (CCF/CHI).
20 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, July 1997.
21 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
22 Malcolm Muggeridge, 'An Anatomy of Neutralism', *Time*, 2 November 1953.
23 Malcolm Muggeridge, *Chronicles of Wasted Time: The Infernal Grove* (London: Collins, 1973).
24 Jasper Ridley, letter to the author, 31 October 1997.
25 Michael Josselson to Stephen Spender, 5 March 1953 (MJ/HRC).
26 Stephen Spender to Irving Kristol, undated (ACCF/NYU).
27 Irving Kristol to Stephen Spender, 26 March 1953 (ACCF/NYU).
28 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, July 1997.
29 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
30 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
31 Philip Larkin, in *Selected Letters of Philip Larkin, 1940–1985* (London: Faber & Faber, 1992).
32 John Thompson, telephone interview, August 1996.
33 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
34 Irving Kristol to Michael Josselson, 15 September 1953 (CCF/CHI).
35 Irving Kristol to Michael Josselson, 16 September 1953 (CCF/CHI).
36 Judge Irving Kaufman, quoted in *New York Times*, 5 April 1951.
37 Jean-Paul Sartre, quoted in Stephen J. Whitfield, *The Culture of the Cold War* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991).
38 Ben Bradlee, *A Good Life: Newspapering and Other Adventures* (London: Simon & Schuster, 1995).
39 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
40 Douglas Dillon to State Department, 15 May 1953 (CJD/DDE).
41 Bowen Evans, Office of Intelligence Research, to Jesse MacKnight, Psychological Strategy Board, 14 January 1953 (PSB/DDE).
42 Douglas Dillon to State Department, 15 May 1953 (CJD/DDE).
43 Charles Taquey to C. E. Johnson, Psychological Strategy Board, 29 March 1953 (CJD/DDE).
44 C. D. Jackson to Herbert Brownell, 23 February 1953 (CJD/DDE).
45 C. D. Jackson, 'Memo for the file', 27 May 1953 (CJD/DDE).
46 Handwritten notes of the Cabinet meeting, 19 June 1953 (WHO/DDE).
47 Ibid.
48 Ibid.
49 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
50 American Committee for Cultural Freedom to President Eisenhower, 13 June 1953 (CCF/CHI).
51 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.

52 Quoted in Hugh Wilford, *The New York Intellectuals.*
53 Leslie Fiedler, 'A Postscript to the Rosenberg Case', *Encounter*, October 1953.
54 Alger Hiss was a promising diplomat who, in 1949, fell under suspicion of being a Soviet spy in the State Department. Indicted by a federal grand jury for perjury, his case filled the newspapers and consumed America's body politic. He was finally convicted of perjury – though not of espionage – and sentenced to prison in January 1950 for five years.
55 Leslie Fiedler, 'A Postscript to the Rosenberg Case', *Encounter*, October 1953.
56 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 4 September 1940 (MS/COL).
57 Sidney Hook, quoted in Irving Kristol to Michael Josselson, 4 August 1953 (CCF/CHI).
58 E. M. Forster, quoted in Stephen Spender to Michael Josselson, 22 October 1953 (MS/COL).
59 Stephen Spender to Michael Josselson, ibid.
60 Ibid.
61 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
62 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, December 1997. Woodhouse was unable to recall where this scene had taken place. Woodhouse occasionally bumped into Spender at social gatherings. He was also a contributor to *Encounter*, though he was scrupulous in protecting his affiliations to MI6, both from its editors and, naturally, its readers.
63 Stephen Spender to Michael Josselson, 22 October 1953 (CCF/CHI).
64 Anthony Hartley, the *Spectator*, 9 October 1953. If Hartley had misgivings at this time, he must have persuaded himself that he was in error. In 1962, when he became foreign editor of the *Spectator*, half his salary was paid by *Encounter*, of which he eventually became co-editor, alongside Melvin Lasky. There was something of a pattern to this kind of conversion. Josselson tracked critics, whether of *Encounter* or the Congress generally, and devoted his energy to bringing them 'onside'. In 1955, only months after he had reported in the *New Statesman* that *Encounter* was 'viewed with suspicion, because it was so obviously subsidized and people wanted to know by whom, and who laid down its "line"', David Daiches featured as a contributor to *Encounter*, a small but significant gain in what Neil Berry describes as *Encounter*'s campaign 'to sap the *New Statesman*'s ideological hegemony'. Neil Berry, 'Encounter', *London Magazine*, February–March 1995.
65 Graham Hough, text of a broadcast for the Third Program, BBC Radio, May 1954 (CCF/CHI).
66 A. J. P. Taylor, *Listener*, 8 October 1953.
67 Mary McCarthy to Hannah Arendt, in Carol Brightman (ed.), *Between Friends: The Correspondence of Hannah Arendt and Mary McCarthy 1949–1975* (London: Secker & Warburg, 1995).

68 Richard Wollheim, telephone interview, December 1997.
69 Stephen Spender to Irving Kristol, 24 April 1954 (CCF/CHI).
70 Michael Josselson to Irving Kristol, 4 October 1954 (CCF/CHI).
71 Stephen Spender to Michael Josselson, 10 July 1955 (CCF/CHI).

13 The Holy Willies

1 Susan Mary Alsop, *To Marietta from Paris*.
2 Richard Rovere, quoted in Stephen Whitfield, *The Culture of the Cold War*.
3 Arthur Miller, *Timebends*.
4 William Colby, interview, Washington, June 1994.
5 Howard Fast, quoted in Natalie Robins, *Alien Ink*.
6 Quoted in Stephen Whitfield, op.cit.
7 Stephen Whitfield, op.cit.
8 Quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, *Advancing American Art: Painting, Politics and Cultural Confrontation* (Alabama: University of Alabama Press, 1989).
9 State Department and USIA cables, April–July 1953 (SD.CA/RG59/NARA).
10 American Embassy, Paris, to State Department, 20 April 1953 (SD.CA/RG59/NARA).
11 Tom Braden remembered being 'very alarmed' by the news that Thomas Mann was preparing to 'defect' back to Europe. Mann did indeed return to Europe, for good, in 1952.
12 Stephen Whitfield, op.cit.
13 Natalie Robins, op.cit.
14 Ibid.
15 Arthur Miller, op.cit.
16 Murray Kempton, quoted in Natalie Robins, op.cit.
17 Handwritten notes of the Cabinet meeting, 10 July 1953 (WHO/DDE).
18 Robert W. Merry, *Taking on the World: Joseph and Stewart Alsop, Guardians of the American Century* (New York: Viking Penguin, 1996).
19 Lyman Kirkpatrick, *The Real CIA* (New York: Macmillan, 1968).
20 Ibid.
21 Roy Cohn, *McCarthy* (New York: New American Library, 1968).
22 Arthur Schlesinger, interview, New York, June 1994.
23 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
24 Kai Bird, interview, Washington, June 1994.
25 James T. Farrell, quoted in American Committee for Cultural Freedom, 'Minutes of Planning Conference', 1 March 1952 (IB/GMC).
26 Dwight Macdonald, ibid.
27 Bertram Wolfe, ibid.
28 Boris Shub, ibid.
29 Richard Rovere, ibid.
30 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 14 March 1952, in Carol Brightman (ed.), *Between Friends*.

31 Ibid.
32 Ibid.
33 Max Eastman, 'Who Threatens Cultural Freedom in America?', 29 March 1952 (ACCF/NYU).
34 Ibid.
35 Richard Rovere, 'Communists in a Free Society', 29 March 1952 (ACCF/NYU).
36 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
37 Frank Wisner, Deputy Director CIA, to Deputy Assistant Director for Policy Coordination, in Michael Warner (ed.) *Cold War Records: The CIA Under Harry Truman* (Washington: Center for the Study of Intelligence, CIA, 1994).
38 Ibid.
39 Arthur Schlesinger to Nicolas Nabokov, 18 June 1951 (NN/HRC).
40 According to the *Final Report of the Church Committee*, 1976, 'back-stopping' was the CIA term for 'providing appropriate verification and support of cover arrangements for an agent or asset in anticipation of enquiries or other actions which might test the credibility of his or its cover'.
41 Tom Braden, telephone interview, October 1997.
42 Jasper Ridley, letter to the author, 31 October 1997.
43 T. R. Fyvel, 'The Broken Dialogue', *Encounter*, April 1954.
44 Leslie Fiedler, 'McCarthy', *Encounter*, August 1954.
45 Peregrine Worsthorne, 'America – Conscience or Shield?', *Encounter*, November 1954.
46 This 'McCarthy-as-man-not-phenomenon' line echoes the CIA view of how to approach the subject. It seems reasonable to assume that Nabokov was repeating Wisner's official 'guidance' on this subject, as indeed was Leslie Fiedler in his *Encounter* essay (op.cit.), which focused on McCarthy as a living gargoyle, 'his palsied head trembling'.
47 Nicolas Nabokov to Arthur Schlesinger, 21 April 1952 (ACCF/NYU).
48 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
49 John Steinbeck, quoted in Peter Vansittart, *In the Fifties*.
50 John Henry Faulk, quoted in Peter Vansittart, ibid.
51 Joseph and Stewart Alsop, 'Why Has Washington Gone Crazy?', *Saturday Evening Post*, 29 July 1950.
52 Ibid.
53 Sidney Hook, 'To Counter the Big Lie – A Basic Strategy', *New York Times Magazine*, 11 March 1951.
54 Irving Kristol, letter to *New York Times*, 10 August 1952 (ACCF/NYU).
55 Stephen Spender to Czesław Milosz, 12 October 1953 (CCF/CHI).
56 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
57 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
58 Michael Josselson to Shepard Stone, 12 January 1968 (MJ/HRC).
59 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 2 December 1952, in Carol Brightman, (ed.) *Between Friends*.

60 Roy Cohn, op.cit.
61 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
62 R. Harris Smith, *OSS.*
63 Ibid.
64 Cord Meyer, *Facing Reality.*
65 Ibid.
66 Dwight Macdonald, quoted in Michael Wreszin, *A Rebel in Defense of Tradition.*
67 Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, *Advancing American Art.*
68 William Fulbright, 'In Thrall to Fear', *The New Yorker*, 8 January 1972.
69 Richard Bissell, *Reflections of a Cold Warrior.*
70 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA?' *Saturday Review*, 5 April 1975.

14 Music and Truth, *ma non troppo*

1 Josselson decided to close *Science and Freedom* down in 1961. Kingsley Martin alleged that this was done in a fit of Cold War pique because the Committee on Science and Freedom was planning a public symposium on nuclear politics. Josselson was a passionate advocate of atomic power, and he might well have been hesitant about Polanyi's intentions. But Polanyi himself was showing all the signs of mental illness at this time, perhaps a nervous breakdown, so it's hard to tell. Josselson decided to sponsor a new and more scholarly quarterly, *Minerva*, to be edited by Edward Shils.
2 Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*
3 Ibid.
4 Michael Josselson to Walter Laqueur, 1 April 1955 (CCF/CHI).
5 Peter Coleman, op.cit.
6 James McAuley, 'Proposal for an Australian Quarterly Magazine', undated (IB/GMC). McAuley's successor was Peter Coleman, who in 1989 published *The Liberal Conspiracy*, which advertised itself as the full account of the Congress for Cultural Freedom. Yet Coleman also conceded that he had failed to acquire any 'significant news from official sources about the extent of the CIA's involvement'. In the absence of such information, he decided that 'the cloak-and-dagger questions of who paid whom, how, and for what' were insignificant enough to ignore altogether. As a former activist of the organization he writes about, Coleman is necessarily partisan, but his credentials as official historian of the Congress are impeccable, and *The Liberal Conspiracy* is an invaluable resource.
7 Peter Coleman, op.cit.
8 John Thompson, telephone interview, August 1996.
9 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
10 Melvin Lasky, 'Some Notes on Preuves, Encounter and Der Monat', April 1956 (CCF/CHI).
11 Ibid.

12 Ibid.
13 Robert Silvers, quoted in Carol Brightman, *Writing Dangerously*.
14 Al Alvarez, *New Statesman*, 29 December 1961
15 Conor Cruise O'Brien, *New Statesman*, 20 December 1962.
16 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
17 Malcolm Muggeridge, *New Statesman*, 19 May 1967.
18 Malcolm Muggeridge, *Esquire*, January 1973.
19 Herbert Read, 'Masterpieces of the Twentieth Century' address, Paris, April 1952 (ACCF/NYU).
20 Nicolas Nabokov, *New York Herald Tribune*, 8 February 1953.
21 Nicolas Nabokov to Julius Fleischmann, 6 May 1953 (ACCF/NYU).
22 *Musical America*, May 1954.
23 Susan Sontag, 'Pilgrimage', *The New Yorker*, 21 December 1987.
24 Pierre Boulez to Nicolas Nabokov, undated, 1954 (CCF/CHI).
25 Nicolas Nabokov to Julius Fleischmann, 7 September 1954 (CCF/CHI).
26 Enesco had expressed his desire to be buried in his homeland, Romania. But according to Diana Josselson, when Enesco died in May 1955, Nabokov and Josselson were involved in a frantic bid to prevent his body from leaving France. They succeeded, and Enesco was buried in Paris, at the Père Lachaise cemetery.
27 C. D. Jackson to Cecil Morgan, 26 March 1957 (CDJ/DDE).
28 C. D. Jackson to Theodore Streibert, Director, USIA, 28 July 1955 (CDJ/DDE).
29 C. D. Jackson to Allen Dulles, 20 May 1953 (CDJ/DDE).
30 Julius Fleischmann to C. D. Jackson, 17 February 1953 (CDJ/DDE).
31 C. D. Jackson to George Sloan, 17 March 1953 (CDJ/DDE).
32 American Committee for Cultural Freedom to Al Manuti, American Federation of Musicians, 21 February 1951 (ACCF/NYU).
33 American Committee for Cultural Freedom, 'Statement of Principles', 1953 (IB/GMC).
34 George F. Kennan, 'International Exchange in the Arts', printed in *Perspectives*, Summer 1956.
35 When Lasky discovered in 1956 that his research assistant on his White Book on Hungary (*The Hungarian Revolution*) had been a much-reviled Nazi, his first reaction was one of pragmatism: 'Oh my God, now they're going to tear into the book, it'll be smeared by his association.' But Lasky thought it best to do nothing: 'I swallowed my anxieties and left him on the project.' Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
36 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
37 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 25 July 1942 (MS/COL).
38 Arthur Schlesinger to James T. Farrell, 16 March 1955 (ACCF/NYU).
39 Clinton Rossiter to Sol Stein, 10 November 1955 (ACCF/NYU).
40 Jason Epstein, interview, New York, August 1996.
41 Hannah Arendt once described ex-Communists as Communists 'turned upside down'. The point that she and George Urban make is

that the Cold War was an adversarial cause, and as such, appealed to the radical image many intellectuals held of themselves. 'The vocabulary of opposition remained intact, the sense of a militant critique was preserved, even if its target had been switched from capitalism to communism.' Andrew Ross, *No Respect: Intellectuals and Popular Culture* (London: Routledge, 1989).

42 George Urban, *Radio Free Europe and the Pursuit of Democracy: My War Within the Cold War* (New York: Yale University Press, 1997).

43 Michael Josselson to Sidney Hook, 23 November 1955 (CCF/CHI).

44 Sol Stein to Norman Thomas, 27 April 1955 (ACCF/NYU).

45 Norman Thomas to Sol Stein, 28 April 1955 (ACCF/NYU).

46 Cord Meyer to Arthur Schlesinger, 16 May 1955 (SCHLES/BU). Although Schlesinger recalled only a social relationship with his CIA friends during these years, his own papers, deposited at the John F. Kennedy Library in Boston, indicate a deeper involvement. Schlesinger appears to have acted as Cord Meyer's line into the American Committee for Cultural Freedom, sending him minutes of its Executive Meetings, and generally keeping him informed of internal developments. How formal this arrangement was is unclear, but in a memo to President Kennedy, Schlesinger later acknowledged serving 'as a periodic CIA consultant' in the years since the Second World War. Arthur Schlesinger, 'Subject: CIA Reorganization', 30 June 1961 (NSF/JFK).

47 Michael Josselson to Irving Kristol, 7 April 1956 (CCF/CHI). Russell was certainly not senile, but he was showing signs of his will to 'live till ninety so that I can say all the wrong things'. In Josselson's mind, Russell could no longer say anything right, and by 1963, he was wondering hopefully whether 'the s.o.b.' would 'do us the favour of dying'. Michael Josselson to Edward Shils, 10 April 1963 (MJ/HRC).

48 American Committee for Cultural Freedom, open letter to Bertrand Russell, *New York Times*, 6 April 1956 (ACCF/NYU).

49 Congress for Cultural Freedom Executive Committee to American Committee for Cultural Freedom, 24 April 1956 (IB/GMC).

50 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 5 August 1941 (MS/COL).

51 James T. Farrell, letter of resignation, to Norman Jacobs, 28 August 1956 (MS/COL).

52 Michael Josselson to Norman Thomas, 27 September 1956 (ACCF/NYU).

15 Ransom's Boys

1 According to CIA mythology, 'retirement' is something of a misnomer. 'Once a CIA man, always a CIA man,' goes the mantra. The process by which people who left the Agency continued to remain faithful (and useful) to it was known as 'sheepdipping'. However, many would later allege that Braden did not fit this archetype; that he was, in fact, a whistleblower.

2 *Final Report of the Church Committee*, 1976.
3 Doolittle Study Group on Foreign Intelligence, quoted in Stephen Whitfield, *The Culture of the Cold War*.
4 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
5 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
6 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
7 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
8 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
9 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
10 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
11 Cord Meyer, *Facing Reality*.
12 William Sloane Coffin, quoted in Jessica Mitford, *The Trial of Dr Spock, the Rev. William Sloane Coffin, Jr., Michael Ferber, Mitchell Goodman and Marcus Raskin* (London: Macdonald, 1969). Coffin later returned to his original calling, and became chaplain at Yale University.
13 William Corson, *The Armies of Ignorance: The Rise of the American Intelligence Empire* (New York: Dial Press, 1997).
14 Doug Henwood, 'Spooks in Blue', *Grand Street*, vol.7/3, Spring 1998.
15 Ibid.
16 Tom Mangold, *Cold Warrior: James Jesus Angleton, The CIA's Master Spy Hunter* (New York: Simon & Schuster, 1991).
17 Ibid.
18 Clare Booth Luce, quoted in Tom Mangold, ibid.
19 Ian Hamilton, *Robert Lowell: A Biography* (New York: Random House, 1982).
20 John Crowe Ransom to David McDowell, 11 August 1953 (RH/COL). Ransom's insouciance at the news of his protégé's job offer from the CIA suggests that he may well have been Meyer's official unofficial 'line of contact' at Kenyon.
21 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
22 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
23 John Thompson, quoted in Richard Elman, *The Aesthetics of the CIA* (unpublished manuscript).
24 Timothy Foote to Michael Josselson, 5 March 1956 (CCF/CHI).
25 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
26 Ibid.
27 Ibid.
28 Chief of Covert Action Staff, CIA, quoted in *Final Report of the Church Committee*, 1976.
29 Ibid.
30 *New York Times*, 25 December 1977.
31 E. Howard Hunt, *Undercover: Memoirs of an American Secret Agent*. *The New Class* was published in collaboration with the Congress for Cultural Freedom.
32 Eugene Fodor, quoted in *New York Times*, 25 December 1977.
33 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.

34 Richard Elman, interview, New York, June 1994. Richard Elman also believed that 'the CIA's interest in imaginative literature and its creators and publishers has been depicted by some as misguided benevolence, or even a championing of Western values and human freedoms against the totalitarian mind, but it was also profoundly meant to be an Agency "dirty trick", the means of influencing consciousness, an attempt to "preempt", in Agency lingo.' Richard Elman, *The Aesthetics of the CIA*. See also Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', *New York Review of Books*, 20 April 1967, in which he claims that the CIA and its allies 'were not moved by a disinterested love of the intellect or by deep aesthetic convictions, they were interested in protecting and extending American power'.

35 Allen Ginsberg, 'T. S. Eliot Entered My Dreams', *City Lights Journal*, Spring 1978.

36 Irving Kristol, quoted in Peter Steinfels, *The Neoconservatives: The Men Who Are Changing American Politics* (New York: Simon & Schuster, 1979). As Christopher Lasch pointed out, the elitism of those intellectuals who had once been attracted to Leninism was in no way contradictory: 'even after they had dissociated themselves from [Leninism's] materialist content, they clung to the congenial view of intellectuals as the vanguard of history'. Christopher Lasch, 'The Cultural Cold War', *The Nation*, 11 September 1967.

37 Allen Tate, quoted in Marian Janssen, *The Kenyon Review 1939–1970* (Mijmegen: M. Janssen, 1987).

38 Dwight Macdonald, quoted in Andrew Ross, *No Respect*. Alexander Solzhenitsyn used a similar, if more graphic, metaphor when he described American popular culture as liquid manure seeping under the door.

39 Robert Lowell, Valedictory Address, Kenyon College, 1940, quoted in Ian Hamilton, op.cit.

40 Richard Elman, interview, New York, June 1994.

41 Bollingen judges, quoted in William Barrett, 'A Prize for Ezra Pound', *Partisan Review*, vol.16/4, 1949.

16 Yanqui Doodles

1 George Dondero, quoted in William Hauptman, 'The Suppression of Art in the McCarthy Decade', *Artforum*, October 1973. In 1957, George Dondero received a Gold Medal of Honor from the American Artists Professional League (AAPL), 'for his congressional exposure of Communism in art'. AAPL press release, 30 March 1957.

2 Harold Harby, quoted in William Hauptman, op.cit.

3 The Communist affiliations of these artists were carefully documented by the Committee on Un-American Activities, whose files were quoted in the Congressional Record of May 1947. The blacklist runs to over forty names, including William Baziotes, Stuart Davis, Arthur Dove, Adolph Gottlieb, Philip Guston and John Marin. House Congressional Record, 13 May 1947.

4 Frederic Taubes, *Encyclopaedia Britannica*, 1946.
5 Budd Hopkins, quoted in Frances Stonor Saunders, *Hidden Hands: A Different History of Modernism* (London: Channel 4 Television, 1995).
6 Clement Greenberg, 'The Decline of Cubism', *Partisan Review*, March 1948.
7 Robert Hughes, *American Visions: The Epic History of Art in America* (New York: Knopf, 1997).
8 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
9 Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, *Advancing American Art*. 'It was within [a] broad context of cultural diplomacy that "Advancing American Art" was formed and projected as one element in an international definition of American reassurance, stability, and enlightenment.'
10 Alfred M. Frankfurter, quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, ibid.
11 Quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, ibid.
12 Senator Brown, House Congressional Record, 14 May 1947.
13 Jane De Hart Mathews, 'Art and Politics in Cold War America', *American Historical Review*, vol.81/4, October 1976.
14 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
15 Clement Greenberg, 'Avant-Garde and Kitsch', *Partisan Review*, Fall 1939.
16 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
17 Ibid.
18 Philip Dodd, interview, London, July 1994.
19 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
20 Ibid.
21 E. J. Kahn, 'Man of Means', *The New Yorker*, 11 August 1951.
22 David Wise and Thomas B. Ross, *The Espionage Establishment* (New York: Random House, 1967).
23 Russell Lynes, *Good Old Modern: An Intimate Portrait of the Museum of Modern Art* (New York: Atheneum, 1973).
24 G. Hellman, 'The Imperturbable Noble', *The New Yorker*, 7 May 1960.
25 Ibid.
26 Quoted in Carl Bernstein, 'The CIA and the Media', *Rolling Stone*, 20 October 1977.
27 Eva Cockroft, 'Abstract Expressionism: Weapon of the Cold War', *Artforum*, vol.12/10, June 1974.
28 Ibid.
29 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
30 Michael Kimmelman, 'Revisiting the Revisionists: the Modern, its Critics, and the Cold War', *Studies in Modern Art 4* (New York: Museum of Modern Art, 1994).
31 Museum of Modern Art, Report of the Trustees, 1945, in Alfred Barr, *Painting and Sculpture in the Museum of Modern Art 1929-1967: An Illustrated Catalogue and Chronicle* (New York: Museum of Modern Art, 1977).

32 Ibid.
33 Lincoln Kirstein, *Harper's Magazine*, October 1948.
34 Samuel Kootz, quoted in Lynn Zelevansky, 'Dorothy Miller's "Americans" 1942–1963, *Studies in Modern Art 4* (New York: Museum of Modern Art, 1994).
35 Dwight Macdonald, 'Action on West 53rd Street', *The New Yorker*, 12 and 19 December 1953.
36 Lynn Zelevansky, op.cit.
37 Reviewing the retrospective show of 1943, 'Romantic Painting in America' (which included Bingham, Burchfield, Eakins, Homer and Watkin), Greenberg dismissed it as representing 'a period in which dry bones are being re-clad with flesh, corpses resuscitated and illusions revived by our failing nerves in every field of endeavor.' Clement Greenberg, 'Art', *The Nation*, 1 January 1944.
38 Alfred Barr to Henry Luce, 24 March 1949 (AB/MoMA).
39 Alfred Barr, introduction to *The New American Painting* catalogue, 1958. Fully illustrated, the catalogue was produced thanks to 'two generous donations – one from a British donor, who wishes to remain anonymous, and one from the USIA'.
40 Russell Lynes, op.cit.
41 American Embassy, Paris, to State Department, 11 June 1953 (SD.CA/RG59/NARA).
42 Waldo Rasmussen, interview, New York, June 1994.
43 Ibid.
44 James Johnson Sweeney, press release, 18 April 1952 (ACCF/NYU).
45 Alfred Barr, 'Is Modern Art Communistic?', *New York Times Magazine*, 14 December 1952.
46 The twelve artists were Jackson Pollock, Arshile Gorky, John Kane, David Smith, Ben Shahn, Alexander Calder, John Marin, Morris Graves, Stuart Davis, Edward Hopper, Ivan Albright, and Theodore Roszak.
47 American Embassy, Paris, to State Department, 11 June 1953 (NA, RG59). Jean Cassou was a crucial link man between the art establishments in New York and Paris. A minor poet appointed to direct the Musée National d'Art Moderne as a reward for his activities in the Resistance, he was an *haut fonctionnaire* who knew less about art than how to attach himself to politically significant groups, not least the Congress for Cultural Freedom.
48 American Embassy, Paris, ibid.
49 Julius Fleischmann to Bob Thayer, 25 February 1960 (CCF/CHI).
50 Monroe Wheeler to Nicolas Nabokov, 9 April 1954 (CCF/CHI).
51 The Congress's magazines provided a useful base for critics favourable to the new art. Michael Josselson was fully appreciative of the political significance of abstraction, which he believed to be democracy's answer to socialist (read 'social') realism. After a public debate in early 1954 at which Alberto Moravia was reported to have rallied to the Communist point of view regarding socialist realism, Josselson was

furious. He wrote immediately to Nicolas Nabokov, who was then in Rome, instructing him to organise a meeting at which Moravia's statements would be discredited, and Moravia himself would be showed up as a 'hypocrite'. Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 22 January 1954 (CCF/CHI). The following year, after reading an article by the *New Statesman*'s art critic John Berger, which criticized a London exhibition of Italian painters for excluding such realists as Renato Guttuso (whose work, wrote Berger, proved that 'it is neither necessary for a Western European artist to cut off his right hand and paint as though he were an old academician in Moscow, nor to cut off his left to feel at home in the Museum of Modern Art, New York'), Melvin Lasky wrote Josselson: 'If ever that devastating brochure on the *New Statesman and Nation* is ever [sic] done, it should include the credo of its art critic, party-liner John Berger, which is printed on p.180 of the issue of 5 February [1955]. Look at it – and tear your bloody hair out.' Melvin Lasky to Michael Josselson, 7 February 1955 (CCF/CHI).

52 Michael Josselson to Porter McCray, 8 October 1956 (CCF/CHI).
53 Press clipping (source unidentifiable), summer 1955 (ACCF/ NYU).
54 Dwight D. Eisenhower, 'Freedom in the Arts', MoMA 25th Anniversary Address, 19 October 1954, in *Museum of Modern Art Bulletin*, 1954.
55 August Heckscher, MoMA 25th Anniversary Address, ibid. Heckscher worked at the *New York Herald Tribune*, a Whitney-owned publication which consistently championed the Abstract Expressionists.
56 George Kennan, 'International Exchange in the Arts', Address to the Council of MoMA, 1955, printed in *Perspectives*, summer 1956.
57 Ibid.
58 Ibid. [my italics.]
59 Ruby D'Arschot to Julius Fleischmann, 28 October 1959 (CCF/CHI).
60 Quoted in Clifford Ross, *Abstract Expressionism: Creators and Critics* (New York: Abrams, 1990).
61 Quoted in Clifford Ross, ibid.
62 Adam Gopnik, 'The Power Critic', *The New Yorker*, 16 March 1998.
63 John Canaday, *New York Times*, 8 August 1976.
64 Ibid.
65 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
66 Dwight Macdonald, op.cit.
67 Paul Burlin, quoted in Serge Guilbaut, *How New York Stole the Idea of Modern Art* (Chicago: University of Chicago Press, 1983).
68 Alan Filreis, 'Beyond the Rhetorician's Touch: Stevens's Painterly Abstractions', *American Literary History*, spring 1992.
69 Barnett Newman, catalogue introduction to the *First Exhibition of Modern American Artists*, Riverside Museum, January 1943.
70 Willem de Kooning, quoted in Clifford Ross, op.cit.
71 Jackson Pollock, quoted in Clifford Ross, op.cit.
72 Robert Motherwell, quoted in Clifford Ross, op.cit.

73 Robert Motherwell to Patrick Heron, 2 September 1975. I am grateful to Patrick Heron for showing me this letter.
74 Ad Reinhardt, quoted in Annette Cox, *Art-as-Politics: The Abstract Expressionist Avant-Garde and Society* (UMI Research Press, 1982).
75 Giles Scott-Smith, *The Politics of Apolitical Culture: The Congress for Cultural Freedom and the Cultural Identity of Post-War American Hegemony, 1945–1960* (unpublished Ph.D thesis, Lancaster University, 1998).
76 Philip Dodd, interview, London, July 1994.
77 Saul Bellow, *Humboldt's Gift.*

17 The Guardian Furies
1 Dwight D. Eisenhower, quoted in Stephen Whitfield, *The Culture of the Cold War.* Whilst propagandists in the Eisenhower administration liked to talk of deploying spiritual weapons, the Department of Defense launched a programme of expenditure on a stockpile of nuclear and non-nuclear weapons amounting to $354 billion in less than six years.
2 Daniel Boorstin, quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, *Advancing American Art.*
3 Paul Nitze, quoted in Evan Thomas, *The Very Best Men.*
4 Eisenhower's ancestors had been Mennonites, but when they settled in Texas there was no Mennonite church, so they read from the Bible.
5 John Kobler, *Henry Luce: His Time, Life and Fortune* (London: Macdonald, 1968).
6 Ibid.
7 Ibid.
8 Sidney Hook, 'The New Failure of Nerve', *Partisan Review*, January 1953. In December 1951, the director of the Psychological Strategy Board recommended to Tracy Barnes of the CIA that Niebuhr be approached as a possible 'consultant' to the PSB. Gordon Gray to Tracy Barnes, 21 December 1951 (GG/DDE). This, combined with Niebuhr's position as chairman of the Advisory Committee of the Policy Planning Staff (which oversaw the creation of the CIA), meant that the theologian was ideally placed to 'to make God an instrument of national policy'.
9 Whittaker Chambers, *Witness* (Chicago: Regnery, 1952).
10 Harry S. Truman, Address to Congress, 12 March 1947, printed in Harry S. Truman, *Memoirs: Year of Decisions.*
11 George Santayana, quoted in Gore Vidal, *Palimpsest* (London: André Deutsch, 1995).
12 Billy Graham, quoted in Stephen Whitfield, op.cit.
13 Norman Mailer, *Armies of the Night* (New York: New American Library, 1968).
14 Arthur Miller, *Timebends.*
15 Ibid.

16 Leslie Fiedler, quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, op.cit.
17 Sol Stein to Aware, Inc., 28 January 1955 (ACCF/NYU).
18 Ibid.
19 Ibid.
20 Aware, Inc. to Sol Stein, 26 February 1955 (ACCF/NYU).
21 Sol Stein to Whittaker Chambers, 20 December 1954 (ACCF/NYU).
22 Whittaker Chambers, op.cit.
23 André Malraux, quoted in Stephen Whitfield, op.cit.
24 Arthur Miller, op.cit.
25 Joint Chiefs of Staff, 'Presentation of "Militant Liberty" to Chief of Naval Operations', 16 December 1955 (PSB/HT).
26 Christopher Simpson, interview, Washington, June 1994.
27 Joint Chiefs of Staff, 'Report of Conference in California in Connection with Cornelius Vanderbilt Whitney's "American Film Series" and "Militant Liberty"', 5 July 1956 (PSB/HT).
28 Ibid.
29 Cornelius Vanderbilt Whitney, quoted in ibid.
30 Joint Chiefs of Staff, ibid.
31 Arthur Miller, op.cit.
32 Gore Vidal, op.cit.
33 C. D. Jackson to Henry Luce, 19 May 1953 (CDJ/DDE).
34 Turner Shelton, Motion Picture Service, to Cecil B. DeMille, 11 May 1953 (CDJ/DDE).
35 Geoffrey Shurlock to Andrew Smith, Motion Picture Service, 28 September 1954 WHO/NSC/DDE.
36 Ibid.
37 Carleton Alsop, Hollywood Reports, 1953 (CDJ/DDE).
38 Ibid. Despite the stand taken by the National Association for the Advancement of Colored People against 'the stereotypical representation in films of Negroes as bumbling, comical characters', Hollywood made no positive advance in its treatment of African-Americans on screen. Indeed, between 1945 and 1957 the number of black movie performers declined from 500 to 125. In the 1953 film *Skirts Ahoy*, the black musician Billy Eckstein was forbidden to look at any white actress during his performance.
39 Ibid.
40 Walter L. Hixson, *Parting the Curtain: Propaganda, Culture and the Cold War, 1945–1961* (New York: Macmillan, 1997).
41 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 30 January 1956 (CDJ/DDE).
42 C. D. Jackson to Nelson Rockefeller, 14 April 1955 (CDJ/DDE). In the same letter, C. D. Jackson warned his CIA colleagues not to get the 'smarty pants' idea of using these artists as intelligence sources – 'I don't think that these people are emotionally capable of playing a double role' – but he did agree that 'After they return they can of course be skillfully debriefed.'
43 John Pauker, USIA, to Sol Stein, 20 October 1955 (ACCF/NYU).
44 Sidney Hook, 'Report on the International Day Against Dictatorship

and War', *Partisan Review*, vol.16/7, Fall 1949.

45 T. S. Colahan to Sol Stein, October 1955 (ACCF/NYU).

46 Eric Johnston, quoted in Walter L. Hixson, op.cit. US government propagandists were uniformly wary of Steinbeck, and indeed that whole school of American literature deemed to carry loaded social data. In July 1955, a psychological warfare expert urged the government to withdraw its sponsorship of the Museum of Modern Art's photographic exhibition, *The Family of Man*, because it portrayed American society 'in a *Grapes of Wrath* type of display of an old or wealthy upper class', and left 'the impression that all US laborers are downtrodden or exploited', and as such was 'a Communist propagandist's dream'. P. J. Corso, Operations Coordinating Board, July 1955 (OCB.Cen/DDE). One critic detected in all this a 'paranoid quest for decontamination'. Tom Hayden, quoted in Andrew Ross, *No Respect*.

47 Carleton Alsop, op.cit.

48 Reference to the CIA's 'Hollywood Formula' is made in C. D. Jackson's log journal for 15 May 1953. Although heavily censored by government classification experts, the entry is the only known documentary evidence that the CIA had developed a formal strategy for penetrating the motion picture industry. According to the diary, C. D. met that day with Tracy Barnes's deputy John Baker (de Neufville's recruiter), to discuss the CIA's 'Hollywood Formula', which appears to have been the concern of Baker, Barnes and Wisner, with Alsop as their man on the West coast.

49 Carleton Alsop, op.cit.

50 Ibid.

51 Ibid.

52 E. Howard Hunt, *Undercover: Memoirs of an American Secret Agent* (California: Berkeley Publishing Corporation, 1974).

53 De Rochemont had won favour as an independent producer with *House on 92nd Street*, in which valiant FBI agents did combat with German spies. The film was praised for its realistic – de Rochemont called it 'non-fiction' – restaging of an actual case from J. Edgar Hoover's files. According to one historian, de Rochemont 'had a career-long obsession with spies', a useful credential for someone who was about to work with several of them. Lawrence de Neufville, who met him in England during the filming of *Animal Farm*, recalled de Rochemont's excitement at 'hanging around with guys from the Agency, like he was in one of his own films'. Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.

54 Richard Hirsch, PSB, to Tracy Barnes, 'Comment on Animal Farm script', 23 January 1952 (PSB/HT).

55 Official financing for *1984* included a $100,000 subsidy from the United States Information Agency, to make what its chairman described as 'the most devastating anti-Communist film of all time'. Tony Shaw, *The British Cinema, Consensus and the Cold War 1917–1967* (unpublished manuscript).

56 Alan Sinfield, *Literature, Politics and Culture in Postwar Britain* (London: Athlone Press, 1997).
57 Sol Stein to Peter Rathvon, 30 January 1955 (ACCF/NYU).
58 Ibid.
59 Ibid.
60 Ibid.
61 Ibid.
62 Sol Stein, memo to the American Committee for Cultural Freedom, 11 January 1955 (ACCF/NYU).
63 Isaac Deutscher, 'The Mysticism of Cruelty', quoted in Alexander Cockburn, *Corruptions of Empire* (London: Verso, 1987).
64 Ibid.
65 George Orwell, in Peter Davison (ed.), *The Complete Works of George Orwell* (London: Secker & Warburg, 1998).
66 Richard Rees, quoted in Michael Sheldon, *Orwell: The Authorised Biography* (London: Heinemann, 1991).
67 George Orwell, in Peter Davison, op.cit. Orwell was fiercely anti-Zionist, believing that 'The Zionist Jews everywhere hate us and regard Britain as *the* enemy, more even than Germany.' For this reason, he advised IRD that it was 'bad policy to try to curry favour with your enemies', and warned them not to think that 'anti-anti-semitism is a strong card to play in anti-Russian propaganda'. George Orwell to Celia Kirwan, 6 April 1949 (IRD/FO1110/PRO).
68 Adam Watson, telephone interview, August 1998. [My italics.]
69 Bernard Crick, *Evening Standard*, 11 July 1996.
70 Peregrine Worsthorne, *The Spectator*, 29 July 1996.
71 George Orwell, 'The Prevention of Literature', *Polemic*, no. 2, 1945.
72 George Orwell, 'The Freedom of the Press', 1944, printed in *New Statesman*, 18 August 1995.
73 Ibid.

18 When Shrimps Learn to Whistle
1 Manès Sperber, 11 November 1956, quoted in Michael Josselson to Shepard Stone, undated (CCF/CHI).
2 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
3 Ibid.
4 Michael Josselson to Shepard Stone, undated (CCF/CHI).
5 Evan Thomas, *The Very Best Men*.
6 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
7 John Hunt, interview, Uzès, July 1997.
8 Quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
9 Jean-Paul Sartre, *L'Express*, 9 November 1956.
10 Michael Josselson to Shepard Stone, undated (CCF/CHI).
11 Ibid.
12 Ibid.
13 C. D. Jackson, Log Files (CDJ/DDE).
14 C. D. Jackson to Frank Wisner, 27 February 1954 (CDJ/DDE).

15 Ibid.
16 Richard Crockatt, *The Fifty Years War: The United States and the Soviet Union in World Politics 1941–1991* (London: Routledge, 1995).
17 Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 23 January 1954 (CCF/CHI).
18 Curiously, Eisenhower himself, who later observed that 'the proposals were revolutionary', offered scant follow-up to his address at the time. The proposals were rebuffed by the Soviets.
19 Michael Josselson to Lawrence de Neufville, undated (CDJ/DDE).
20 C. D. Jackson to Tracy Barnes, 5 January 1954 (CDJ/DDE).
21 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
22 Michael Josselson to Irving Kristol, 1 December 1955 (CCF/CHI).
23 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
24 Michael Josselson to Irving Kristol, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
25 Irving Kristol to Michael Josselson, quoted in Peter Coleman, ibid.
26 Stephen Spender to Michael Josselson, 10 July 1955 (CCF/CHI).
27 Ibid.
28 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
29 Not surprisingly, Michael Josselson was appalled at Hook's threat to expose the Congress. But Josselson held his ground, and defended the decision to appoint Macdonald in Kristol's place on the grounds that he 'had very good reason to be dissatisfied with Irving after having made every effort to nurse him along over a period of more than two years'. Michael Josselson to Sidney Hook, 18 August 1955 (CCF/CHI).
30 Irving Kristol, interview, Washington, July 1996.
31 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
32 Arthur Schlesinger, interview, New York, February 1997.
33 Michael Josselson to Malcolm Muggeridge, 19 September 1955 (CCF/CHI).
34 Michael Josselson to Irving Kristol, 10 December 1955 (CCF/CHI).
35 Michael Josselson to Daniel Bell, 29 October 1955 (CCF/CHI). The expression was borrowed from Nikita Khrushchev, who once gloomily predicted that only when shrimps learned to whistle would the Cold War end.
36 Dwight Macdonald to Stephen Spender, 2 June 1955 (CCF/CHI).
37 Congress for Cultural Freedom brochure, undated (CCF/CHI).
38 Ibid.
39 Melvin Lasky to Boris Shub, 6 November 1957 (CCF/CHI).

19 Achilles' Heel

1 *Final Report of the Church Committee*, 1976.
2 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', *Saturday Evening Post*, 20 May 1967.
3 Richard Wollheim, telephone interview, December 1997.
4 Ibid.
5 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.

6 Dwight Macdonald, 'America! America!', *Dissent*, Fall 1958.
7 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
8 Ibid.
9 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
10 Macdonald's attacks on the American labour leadership dated back to the 1930s, when he had dismissed them as 'sit-down-strikers-turned-bourgeois-pragmatists', completely absorbed into the capitalist system and its consumer culture. In his own journal, *Politics*, he had ridiculed Walter Reuther as a 'boyscout labor fakir'.
11 Dwight Macdonald, 'America! America!', *Dissent*, Fall 1958.
12 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
13 Dwight Macdonald to 'Stephenirvingnicholasmike', 16 April 1958 (DM/STER).
14 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
15 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
16 Michael Josselson to John Hunt, 27 May 1958 (MJ/HRC).
17 Josselson, though he liked Macdonald as a person, was always wary of his gadfly tendencies. When, in 1956, Spender revealed plans to commission a piece by Macdonald on the European Coal and Steel Community, Josselson warned Spender to give the idea 'a little more thought. [It] would be very sound if there was not the danger of his coming up with a completely destructive piece.' Spender subsequently dropped the idea.
18 Richard Helms, quoted in *Final Report of the Church Committee*, 1976.
19 Dwight Macdonald, 'America! America!', *Dissent*, Fall 1958.
20 Government officials had long known of the deplorable behaviour of American POWs, but had worked fastidiously to conceal the facts from a wider audience. On 23 April 1953, C. D. Jackson noted in his log file: 'Big telephone hassle today on indoctrinated Korean prisoners being returned. Got agreement from Dulles and [Walter Bedell] Smith that [it] should be advised that it was imperative for the Pentagon to see to it that all indoctrinated POWs should be kept in one place and . . . to release a story on this rather than let these indoctrinated jokers jump the gun on us.' C. D. Jackson Log Files (CDJ/DDE).
21 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994. Kristol had evidently forgotten his letter to Macdonald in which he wrote: 'I do wish you would reconsider the Korean episode.' Irving Kristol to Dwight Macdonald, 19 May 1958 (DM/STER).
22 Michael Josselson to Irving Kristol, 31 October 1958 (MJ/HRC).
23 Thirty years later, Kristol acknowledged that American soldiers stationed in Germany after the Second World War would have behaved appallingly but for the rule of military law. Asked if he would have expressed such doubts at the time, he replied, 'No. Out of loyalty, I wouldn't. I'm American, I'm a patriot.'
24 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
25 William Colby, interview, Washington, June 1994.

26 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
27 Dwight Macdonald, quoted in Hugh Wilford, *The New York Intellectuals.*
28 Norman Birnbaum, open letter to the Congress for Cultural Freedom, 3 November 1958, printed in *Universities and Left Review*, December 1958 (MJ/HRC).
29 Ibid. Birnbaum found it hard to believe 'that the defence of the west is in good hands when these consist of those New York Jews whose devotion to America is matched only by their conspicuous want of all the American virtues, aided by that section of the British intelligentsia – a large one, I fear – recruited from those boys who weren't good at rugby at boarding school.' Quoted in Hugh Wilford, op.cit.
30 Michael Josselson to Dwight Macdonald, 28 April 1958 (DM/STER).
31 Dwight Macdonald, letter to the editor, *Universities and Left Review*, 16 December 1958 (DM/STER).
32 Dwight Macdonald, quoted in Michael Wreszin, *A Rebel in Defense of Tradition.*
33 Derwent May, *The Times*, 2 July 1996.
34 Peter Steinfels, *The Neoconservatives.*
35 Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', *New York Review of Books*, 20 April 1967.
36 Michael Josselson to Irving Kristol, 6 December 1954 (CCF/CHI).
37 Michael Josselson to Irving Kristol, 23 December 1954 (CCF/CHI).
38 Michael Josselson to Irving Kristol, 9 August 1956 (CCF/CHI).
39 Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', *New York Review of Books*, 20 April 1967.
40 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
41 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, December 1997.
42 Michael Josselson to Stephen Spender, 28 July 1954 (CCF/CHI).
43 Nicolas Nabokov to Irving Kristol and Stephen Spender, 30 July 1954 (CCF/CHI). [My italics.]
44 Ibid.
45 Warren D. Manshel to Irving Kristol, 19 August 1954 (CCF/CHI).
46 Conor Cruise O'Brien, 'Journal de Combat', *New Statesman*, 20 December 1963.

20 Cultural NATO

1 Fredric Warburg to Melvin Lasky, 8 October 1958 (ENC/S&W/RU).
2 The correspondence relating to the Rothschild 'donations' to *Encounter* runs from June 1958 to October 1960 (ENC/ S&W/RU).
3 C. D. Jackson to Nelson Rockefeller, 18 November 1954 (CDJ/DDE).
4 Herbert F. Propps, American Embassy, London, 'Lack of Published Material on United Kingdom Willingness to Modify Sovereignty in the Interest of Collective Security', to State Department, 9 December 1952 (SD.CA/RG59/NARA).
5 Neil Berry, 'Encounter', *London Magazine*, February–March 1995.

6 As head of the Labour Party's International Department in 1948, Denis Healey helped to distribute IRD papers. He also sent regular reports on Communist activities in the European trade union movement to the department. Later, he acted as an intermediary in introducing useful East European émigrés to IRD officers (IRD/FO1110/PRO).
7 Melvin Lasky to John Hunt, 11 October 1960 (CCF/CHI).
8 Michael Josselson to Daniel Bell, 28 October 1964 (MJ/HRC).
9 Richard Wollheim, quoted in Neil Berry, op.cit.
10 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997. Similarly, Isaiah Berlin described Spender's role as lending *Encounter* its 'certificate of respectability to the English intelligentsia'.
11 Cass Canfield to Nicolas Nabokov, 23 December 1958 (CCF/CHI). The Soviets and the Americans tussled over many revered cultural figures during these years. Responding to what it called the 'spiritual vandalism' of the Soviets when they attempted, in 1952, to exploit the memories of Victor Hugo and Leonardo da Vinci as 'partisans of the Soviet way of life', the American Committee for Cultural Freedom claimed Hugo and da Vinci as apostles of free culture to whom the Soviet model would have been 'repugnant'.
12 Nicolas Nabokov, *Bagázh*.
13 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 20 June 1960, quoted in Carol Brightman (ed.), *Between Friends*.
14 Ibid.
15 Congress for Cultural Freedom press release, 1 July 1959 (CCF/CHI).
16 Macauley was at the time still a case officer for the Congress, and unable to take up his responsibilities at Kenyon. When he accepted Ransom's offer, he had just received the Kenyon Fellowship in Fiction, and 'had already made arrangements to spend that year abroad'. By autumn 1959, he still hadn't returned to Kenyon, leaving Ransom feeling 'mightily fagged out' and obliged to keep 'the home fires burning about seven weeks after my retirement waiting for Robie'. John Crowe Ransom, quoted in Marian Janssen, *The Kenyon Review*.
17 Robie Macauley, quoted in Marian Janssen, ibid.
18 John Hunt, interview, Uzès, July 1997.
19 Quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
20 Leslie Fiedler, 'Partisan Review: Phoenix or Dodo?', *Perspectives*, Spring 1956.
21 Ibid.
22 Ibid.
23 Ibid.
24 Farfield Foundation Annual Report 1962–1963 (CCF/CHI).
25 C. D. Jackson to Cord Meyer, 1 November 1957 (CDJ/DDE).
26 C. D. Jackson to Daniel Bell and Allen Grover, 12 November 1957 (CDJ/DDE).
27 Quoted in Edward Lilly, Operations Coordinating Board, to Arthur Vogel, United States Information Service, 9 April 1956 (WHO/NSC/DDE).

28 Ibid.
29 Ibid.
30 William Phillips to Michael Josselson, 28 March 1958 (CCF/CHI).
31 Sidney Hook to Michael Josselson, 8 December 1959 (MJ/HRC).
32 Michael Josselson to Shepard Stone, 12 January 1968 (MJ/HRC).
33 Daniel Bell to John Leonard, editor, *Sunday Times Book Review*, 16 October 1972 (MJ/HRC).
34 Warburg appears to have been less than energetic in his role as *Partisan Review*'s English distributor, leading the publisher Roger Straus, in his 'official' capacity as an 'adviser' to *Partisan Review*, to wonder 'what the hell you guys are doing about the distribution business that I discussed with your confreres'. Roger Straus to Fredric Warburg, 30 June 1959 (ENC/S&W/RU).
35 Irving Kristol to Michael Josselson, 9 March 1960 (CCF/CHI).
36 William Phillips to Michael Josselson, 10 May 1961 (MJ/HRC).
37 William Phillips, 'The Liberal Conspiracy', *Partisan Review*, Winter 1990.
38 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
39 William Phillips, 'The Liberal Conspiracy', *Partisan Review*, Winter 1990.
40 Time Inc.-New Leader contract, 14 May 1964 (CDJ/DDE). This contract followed the same template as the one drawn up in 1953.
41 C. D. Jackson to Allen Dulles, 21 February 1956 (CDJ/DDE).
42 William Furth to Henry Luce and C. D. Jackson, 'Confidential memo re. New Leader', 24 July 1956 (CDJ/DDE). Delegated to organize the drive was veteran Cold Warrior Frank Lindsay, formerly Deputy Chief of the CIA's Office of Policy Coordination, then a Ford Foundation executive and now a management consultant at McKinsey and Company.
43 Herbert Luthy to Michael Josselson, 19 February 1962 (MJ/HRC).
44 In some cases, the route was via the *Paris Review*, the journal founded by George Plimpton and CIA agent Peter Matthiessen in 1953. Nelson Aldrich worked as an editorial assistant there, before moving on to the Congress. Frances FitzGerald, daughter of the CIA division chief in charge of operations against Castro, worked at the *Paris Review* in the summer of 1962, then, after holidaying with the Wisners in Tangier, graduated to a job in the Congress. George Plimpton later stressed that 'the *Paris Review* never received any monetary aid from the Congress or any other agency of that sort and nor was there any evident political or sociological slant to anything Peter [Matthiessen] as an editor picked for the magazine. Frankly, I must say that I personally would have welcomed funds from the Congress to help keep us afloat. *Encounter*, *Preuves*, and other magazines supported by the Congress were superb publications – with no strings attached in terms of what was published that I could ever see. What a shame that these days it's all seen in such an ugly light . . . reputations tainted by association with the least of it. I guess we were lucky.' George Plimpton, letter to the

author, 27 August 1997.

45 Kenneth Tynan, 'Congress for Cultural Freedom', *That Was The Week That Was*, 1962.

46 Mary Pinchot Meyer was found dead on the towpath of a Washington canal in 1964, murdered in an apparently motiveless attack. She had been romantically linked to John F. Kennedy, and recorded her affair in a diary which CIA dirty trickster James Jesus Angleton stole from her house (after having picked the lock) the day after her death.

47 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.

48 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.

49 John Thompson, telephone interview, August 1996.

50 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.

51 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.

52 Diana Josselson, letter to the author, 4 April 1997.

53 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.

21 Caesar of Argentina

1 Elizabeth Bishop to Robert Lowell, 1 March 1961, quoted in Ian Hamilton, *Robert Lowell: A Biography.*

2 Frank Altschul to John F. Kennedy, 30 January 1961 (FA/COL).

3 Robert Lowell to Edmund Wilson, 31 May 1962, quoted in Ian Hamilton, op.cit.

4 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.

5 Walter Laqueur, 'Anti-Communism Abroad: A Memoir of the Congress for Cultural Freedom', *Partisan Review*, Spring 1996.

6 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.

7 Hannah Arendt to Mary McCarthy, 22 August 1972, in Carol Brightman (ed.), *Between Friends.*

8 Ernst Robert Curtius, quoted in Stephen Spender, *Journals.* Michael Josselson once complained that it was hard to get a meeting with Spender, who was always 'off on some cruise or lecturing somewhere else'.

9 Elizabeth Bishop to Marianne Moore, 17 August 1954, quoted in Ian Hamilton, op.cit.

10 John Mander, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*

11 Lowell had an obsessive and morbid interest in Hitler. Jonathan Miller, who stayed with him in New York in the late 1950s, remembered discovering that within the (suspiciously fat) covers of Lowell's copy of *Les Fleurs du Mal* was hidden a well-thumbed copy of *Mein Kampf.*

12 Ian Hamilton, op.cit.

13 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 28 September 1962, quoted in Carol Brightman, op.cit.

14 Ibid.

15 Keith Botsford, quoted in Ian Hamilton, op.cit.

16 Michael Josselson to John Thompson, 4 September 1963 (MJ/HRC).

17 Michael Josselson to John Thompson, 10 July 1964 (MJ/HRC).

18 Botsford's variety of jobs for the Congress included keeping an eye on

an outfit called Colombianum, a Jesuit-run organization which cultivated left-wing intellectuals in Latin America, run by a priest called Padre Arpa, whom Josselson described as 'a Jesuit Communist homosexual dressed in Dior'.

19 John Hunt to Keith Botsford, 29 March 1963 (CCF/CHI).
20 John Hunt to Irving Kristol, 23 December 1963 (CCF/CHI).
21 René Tavernier to John Hunt, 28 February 1963 (CCF/CHI).
22 John Hunt to René Tavernier, 1 July 1963 (CCF/CHI).
23 Ibid.
24 René Tavernier, 'Pablo Neruda', June 1963 (CCF/CHI).
25 Ibid.
26 John Hunt to René Tavernier, 1 July 1963 (CCF/CHI).
27 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997. The year 1963 also saw the CIA spend $3 million in an effort to influence Chile's general election, the equivalent of a dollar per vote, twice as much per voter as Goldwater and Johnson spent in the 1964 US presidential campaign. See Evan Thomas, *The Very Best Men*.
28 Salvador de Madariaga to Michael Josselson, 1 January 1963 (MJ/HRC).
29 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
30 Nicolas Nabokov, *Bagázh*.
31 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
32 Ibid.
33 Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 10 December 1964 (NN/HRC).
34 Ibid.
35 Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 29 June 1964 (MJ/HRC).
36 Ibid.
37 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
38 William Hobby, quoted in *Newsweek*, 6 March 1967.
39 Editorial, *The Nation*, 14 September 1964.
40 Cord Meyer, *Facing Reality*.
41 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
42 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
43 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
44 Nicolas Nabokov to Michael Josselson, 19 March 1977 (NN/HRC).
45 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
46 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
47 *Final Report of the Church Committee*, 1976.
48 Quoted in ibid.
49 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
50 Michael Josselson, quoted in Congress for Cultural Freedom, 'Minutes of the Executive Committee Meeting', London, October 1964 (CCF/CHI).

22 Pen Friends

1 Lewis Mumford, quoted in Stephen Whitfield, *The Culture of the Cold*

War.
2 Gwynne Nettler, quoted in Michael Wreszin, *A Rebel in Defense of Tradition.*
3 William Burroughs, quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, *Advancing American Art.*
4 Sidney Hook to Michael Josselson, 20 April 1964 (MJ/HRC). Hook was wrong, surely about Norman Podhoretz, who scorned the Beat rebellion as 'the revolt of the spiritually underprivileged and the crippled of soul'.
5 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
6 Ibid.
7 Michael Josselson, 'The Story Behind the Congress for Cultural Freedom', unpublished manuscript (MJ/HRC).
8 Harry S. Truman, 1963, quoted in *New York Times,* 25 April 1966.
9 Arthur Koestler to Michael Josselson, 24 July 1963 (MJ/HRC).
10 Nicolas Nabokov to Richard Crossman, November 1956 (CCF/CHI).
11 Elizabeth Paterson, interview, London, July 1997.
12 David Carver to Jean de Beer, Secretary General, French PEN, 10 March 1965 (PEN/HRC).
13 Arthur Miller, *Timebends.*
14 Arthur Miller, quoted in Natalie Robins, *Alien Ink.* Miller learned in 1986, when he finally managed to get his FBI dossier, that the reason he had been chosen was just as he had speculated: he was considered to be acceptable to both East and West, the perfect PEN president at a time when the organization's very existence was in grave question.
15 Asturias was in fact Guatemalan. He was an outspoken enemy of the Congress, and specifically of Botsford, whose 'games' in South America he heartily disapproved of.
16 Michael Josselson to Manès Sperber, 24 November 1964 (MJ/HRC).
17 Lewis Galantière to Members of the Executive Board, American PEN, 26 April 1965 (PEN/HRC).
18 Tim Foote to Kenneth Donaldson, 28 April 1965 (CCF/CHI).
19 According to PEN's own report of the Bled conference, the CIA's Free Europe Committee, of which Lewis Galantière was an active member, also provided money. Most likely, it was Allen Dulles who organized the grant. Dulles, although retired from the CIA, continued to play an active part in the Cold War machinery he had erected. Furthermore, he was himself a newly elected member of PEN.
20 John Hunt to David Carver, 9 February 1966 (CCF/CHI).
21 John Hunt to Lewis Galantière, 4 March 1966 (CCF/CHI).
22 PEN report, June 1966 (PEN/HRC).
23 Conor Cruise O'Brien, 'Politics and the Writer', 19 May 1966, printed in Donald H. Akenson (ed.), *Conor: A Biography of Conor Cruise O'Brien* (Montreal: McGill-Queen's University Press, 1994).
24 Ibid.

23 Literary Bay of Pigs

1 Robert W. Merry, *Taking on the World.*
2 Ibid.
3 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
4 Robert W. Merry, op.cit.
5 William Fulbright, 'In Thrall to Fear', *The New Yorker*, 8 January 1972.
6 Ibid.
7 Norman Mailer, *Armies of the Night.*
8 *New York Times*, 27 and 29 April 1966.
9 Karl Miller, *Dark Horses: An Experience of Literary Journalism* (London: Picador, 1998).
10 Michael Josselson to Malcolm Muggeridge, 25 June 1965 (MJ/HRC).
11 Ibid. Natasha Spender was later perplexed by Josselson's reference to such financial arrangements, which she said were never put in place.
12 Melvin Lasky to Michael Josselson, undated (MJ/HRC).
13 Michael Josselson, 'Memo for the Record: Talks with Muggeridge, London 25 and 28 February 1964', 3 March 1964 (MJ/HRC).
14 Edward Shils to Michael Josselson, 2 November 1967 (MJ/HRC).
15 Michael Josselson to Robie Macauley, 30 December 1965 (MJ/HRC).
16 Ibid.
17 Frank Kermode, *Not Entitled: A Memoir* (London: Harper Collins, 1996).
18 Ibid.
19 Richard Wollheim remembered confronting both Lasky and Spender with the rumour several years previously, when he had been asked to join the board of *Encounter*. 'We discussed it over dinner at some club, and I asked for assurance on the score of the rumours then circulating about the CIA. Lasky said, "Nothing easier. You can inspect the accounts, and see for yourself." And Stephen looked hugely relieved, and said, "See, there's no truth to it." But then Lasky added, "Of course, we're not going to do that. Because why should we open the books to every Tom, Dick and Harry who falls for some crazy rumour?"' At this, Stephen's jaw dropped. He was silent throughout the rest of the meal. Wollheim declined the offer to join the board. Richard Wollheim, telephone interview, December 1997.
20 Edward Shils to Michael Josselson, 28 February 1964 (MJ/HRC).
21 Michael Josselson to Malcolm Muggeridge, 27 April 1964 (MJ/HRC).
22 Malcolm Muggeridge to Michael Josselson, 9 June 1964 (MJ/HRC).
23 Michael Josselson to James Perkins, 20 July 1966 (MJ/HRC).
24 Michael Josselson to Cecil King, 10 May 1964 (MJ/HRC).
25 Michael Josselson to Ulrich Biel, 14 May 1964 (MJ/HRC).
26 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
27 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA?', *Saturday Review*, 5 April 1975.
28 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
29 Ibid.
30 John Thompson to Stephen Spender, 25 May 1964 (MJ/HRC).

31 Julius Fleischmann to Stephen Spender, 16 September 1966 (MJ/HRC).
32 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
33 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
34 Melvin Lasky, Irving Kristol, Stephen Spender, letter to *New York Times*, 10 May 1966.
35 Michael Josselson to Stephen Spender, 2 October 1966 (MJ/HRC).
36 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
37 Kenneth Galbraith, George Kennan, Robert Oppenheimer, Arthur Schlesinger, Jr., letter to *New York Times*, 9 May 1966.
38 Dwight Macdonald to Michael Josselson, 30 March 1967 (MJ/HRC).
39 Angus Cameron, quoted in Natalie Robins, *Alien Ink*.
40 Cord Meyer to Arthur Schlesinger, 1 February 1954 (SCHLES/JFK).
41 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
42 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA?', *Saturday Review*, 5 April 1975. Cord Meyer epitomized this sanguine attitude. In his memoirs he wrote: 'American assistance to democratic political parties and institutions seemed essential if a free and pluralistic society was to survive in Western Europe. The fact that our assistance had to be kept secret did not disturb me. The European political and cultural leaders who solicited our aid in their unequal struggle with the Soviet-subsidized apparatus made it a condition that there be no publicity, since the Communist propaganda machine could exploit any overt evidence of official American support as proof that they were puppets of the American imperialists. Discretion and secrecy were required if our assistance was not to be self-defeating.' Cord Meyer, *Facing Reality*.

24 View from the Ramparts

1 *Final Report of the Church Committee*, 1976.
2 *Ramparts*, like all other 'subversive' literature, found its most avid readers at FBI headquarters. A 25-page FBI memo analysed the 'topics and themes' of the magazine, presumably in order to make plans to harass it. A CIA report attached to the memo concluded that most of the writers listed in the *Ramparts* glossary had 'most frequently and most vehemently expressed major Communist themes in their published articles'.
3 Peter Jessup to Walt Rostow, 4 April 1967 (NSF/LBJ).
4 Edgar Applewhite, quoted in Evan Thomas, *The Very Best Men*.
5 Andrew Kopkind, 'CIA: The Great Corrupter', *New Statesman*, 24 February 1967.
6 Michael Josselson to Isaiah Berlin, 8 April 1967 (MJ/HRC).
7 Isaiah Berlin to Michael Josselson, 16 April 1967 (MJ/HRC).
8 Frank Kermode, *Not Entitled*.
9 Ibid.
10 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
11 Ibid.
12 Eric Bentley to Stephen Spender, undated. I am grateful to Natasha Spender for showing me this letter.

13 Cecil King to Michael Josselson, 28 April 1967 (CCF/CHI).
14 Melvin Lasky to Isaiah Berlin, 13 April 1967. I am grateful to Dr Henry Hardy for showing me this letter.
15 Ibid.
16 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
17 Ibid.
18 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
19 Ben Whitaker, *The Foundations: An Anatomy of Philanthropy and Society* (London: Eyre & Methuen, 1974). According to Christopher Hitchens, Isaiah Berlin 'may have been designed, by origins and by temperament and by life experience, to become one of those witty and accomplished *valets du pouvoir* who adorn, and even raise the tone of, the better class of court. But there was something in him that recognized this as an ignoble and insufficient aspiration, and impelled him to resist it where he dared.' Christopher Hitchens, 'Moderation or Death', *London Review of Books*, 26 November 1998.
20 Melvin Lasky to Isaiah Berlin, 13 April 1967.
21 In its place, buried on the back page of *Encounter*'s July 1967 issue, came an announcement of editorial changes at the magazine. Signed by the trustees, there was no mention of the CIA.
22 Isaiah Berlin to Melvin Lasky, 18 April 1967 (MJ/HRC).
23 Michael Ignatieff, *Isaiah Berlin: A Life* (London: Chatto, 1998).
24 Christopher Hitchens, 'Moderation or Death', *London Review of Books*, 26 November 1998. The exact nature of Isaiah Berlin's relationship with British and American intelligence will probably never be known. The British spy Robert Bruce Lockhart recorded several wartime meetings with the young Berlin, when he was working for the British government in Washington. Lockhart was under the impression that Berlin was working for the Psychological Warfare Executive, but Berlin's coterie have vigorously contested this. It has also been alleged that during the war, Berlin featured on the Secret Intelligence Service's (SIS) secret list, the Special Register, which meant he had rendered service to SIS in the past and had agreed to join it during wartime. Freya Stark, Graham and Hugh Greene, and Malcolm Muggeridge, were also said to be on the list. As for American intelligence, it can be said, at least, that Berlin enjoyed an informal relationship with the CIA, whose members were not shy of approaching the philosopher for his support, as recalled by Stuart Hampshire and Lawrence de Neufville, who said that Berlin was told of the Agency's involvement in the Congress for Cultural Freedom. None of this means that Berlin colluded with covert operators, but it does suggest a degree of proximity which, in and of itself, may reward further research.
25 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
26 Ibid.
27 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
28 Michael Josselson to Stephen Spender, 26 April 1967 (MJ/HRC).
29 Ibid.

30 Ibid.
31 Stephen Spender, quoted in *New York Times*, 8 May 1967.
32 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
33 Malcolm Muggeridge to Stephen Spender, 22 May 1967 (MJ/HRC).
34 Natasha Spender, telephone interview, August 1997.
35 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.

25 That Sinking Feeling

1 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
2 Manès Sperber, quoted by John Hunt, ibid.
3 John Hunt, ibid.
4 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
5 General Assembly of the Congress for Cultural Freedom, Press Release, 13 May 1967 (CCF/CHI).
6 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
7 Ibid.
8 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
9 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
10 James McAuley, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*
11 Chantal Hunt, interview, Uzés, July 1997.
12 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
13 Nicolas Nabokov, July 1966, unidentifiable clipping (CCF/CHI).
14 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
15 Nicolas Nabokov, *Bagázh.*
16 Ibid.
17 Nicolas Nabokov to J. E. Slater, 11 August 1971 (MJ/HRC).
18 Diana Josselson to the Spenders, 18 May 1967 (MJ/HRC).
19 Diana Josselson to Stephen Spender, 26 May 1967 (MJ/HRC).
20 Natasha Spender to Michael Josselson, undated (MJ/HRC).
21 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', *Saturday Evening Post*, 20 May 1967.
22 Ibid.
23 Ibid.
24 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
25 Tom Braden, telephone interview, October 1997.
26 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
27 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
28 John Thompson, telephone interview, August 1996.
29 Charlton Heston, quoted in Ian Hamilton, *Robert Lowell: A Biography.*
30 Carol Brightman, *Writing Dangerously.*
31 Eric Goldman, quoted in Ian Hamilton, op.cit.
32 Ibid.
33 Lyndon B. Johnson, quoted in Stephen Whitfield, *The Culture of the Cold War.*
34 James Burnham, 'Notes on the CIA Shambles', *National Review*, 21 March 1967.

35 Walt Rostow, telephone interview, July 1997.
36 Ibid.
37 Ibid.
38 Tom Braden, telephone interview, October 1997.
39 Joseph Alsop, quoted in Carl Bernstein, 'The CIA and the Media', *Rolling Stone*, 20 October 1977.
40 Joseph Alsop, quoted in Carl Bernstein, ibid.
41 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', *Saturday Evening Post*, 20 May 1967.
42 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
43 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
44 Melvin Lasky, interview, London, July 1994.
45 Ibid.
46 Diana Josselson to Tom Braden, 5 May 1967 (MJ/HRC).
47 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
48 John Thompson to Michael Josselson, 7 July 1968 (MJ/HRC).
49 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
50 John Thompson to Michael Josselson, 28 October 1967 (MJ/HRC).
51 *Final Report of the Katzenbach Committee*, quoted in White House press release, 29 March 1967 (NSF/LBJ).
52 Desmond FitzGerald, quoted in *Final Report of the Church Committee*, 1976.
53 Editorial, *The Nation*, 10 April 1967.
54 *Final Report of the Church Committee*, 1976.

26 A Bad Bargain

1 Jayaprakash Narayan to Raymond Aron, 22 June 1967 (CCF/CHI).
2 K. K. Sinha to John Hunt, 1 June 1967 (CCF/CHI).
3 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
4 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
5 Michael Polanyi, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*
6 Yehudi Menuhin to Nicolas Nabokov, 14 May 1966 (CCF/CHI).
7 George Kennan to Shepard Stone, 9 November 1967 (CCF/CHI).
8 Andrew Kopkind, 'CIA: The Great Corrupter', *New Statesman*, 24 February 1967.
9 Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', *New York Review of Books*, 20 April 1967. Epstein's point about second-class passengers travelling first-class had earlier been made by Conor Cruise O'Brien, who argued that the success of operations like *Encounter* lay in attracting writers of high principle to provide a kind of cover for 'writers of moderate talents and adequate ambition' who were, in effect, a Trojan horse, engaged in 'sustained and consistent political activity in the interests . . . of the power structure in Washington'. Conor Cruise O'Brien, 'Politics and the Writer', 19 May 1966, printed in Donald H. Akenson (ed.), *Conor: A Biography of Conor Cruise O'Brien.*
10 Dwight Macdonald to Michael Josselson, 30 March 1967 (CCF/CHI).

11 Richard Elman, interview, New York, June 1994.
12 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
13 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
14 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
15 'Statement on the CIA', *Partisan Review*, vol.34/3, Summer 1967.
16 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
17 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 27 July 1942 (MS/COL).
18 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
19 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
20 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
21 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
22 Edward Shils to Michael Josselson, 11 November 1975 (MJ/HRC).
23 Edward Shils to Michael Josselson, 11 December 1975 (MJ/HRC)
24 Sidney Hook to Michael Josselson, 23 September 1973 and 2 November 1972 (MJ/HRC).
25 Edward Shils to Michael Josselson, 10 February 1976 (MJ/HRC).
26 George Kennan to Nicolas Nabokov, 19 June 1959, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy*.
27 George Kennan, *Around the Cragged Hill: A Personal and Political Philosophy* (New York: Norton, 1993).
28 Harold Rosenberg, 'The Cold War', in *Discovering the Present: Three Decades in Art, Culture and Politics* (Chicago: University of Chicago Press, 1973).
29 Richard Elman, *The Aesthetics of the CIA* (unpublished manuscript).
30 Ibid.
31 Primo Levi, *The Drowned and the Saved* (London: Michael Joseph, 1988).
32 Aldous Huxley, *Eyeless in Gaza* (London: Chatto & Windus, 1936).

Epilogue

1 Stephen Spender to Nicolas Nabokov, 26 August 1970 (NN/HRC).
2 Isaiah Berlin to Nicolas Nabokov, 18 December 1972, 21 December 1976 (NN/HRC).
3 Stephen Spender, *Journals*.
4 Andrew Porter, *The New Yorker*, 17 February 1973.
5 David Chavchavadze, *Crowns and Trenchcoats: A Russian Prince in the CIA* (New York: Atlantic International, 1990).
6 John Hunt, interview, Uzés, July 1997.
7 John Hunt to Michael Josselson, undated, 1969 (MJ/HRC).
8 Arthur Koestler, 'A Guide to Political Neuroses', *Encounter*, November 1953.
9 Irving Kristol, quoted in Hugh Wilford, *The New York Intellectuals*.
10 Irving Kristol, *Neo-Conservatism: The Autobiography of an Idea, Selected Essays 1949–1995* (New York: The Free Press, 1995).
11 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
12 Neil Berry, 'Encounter', *London Magazine*, February–March 1995.
13 Ferdinand Mount, quoted in ibid.

14 Frank Platt to Michael Josselson, 13 October 1976 (MJ/HRC).
15 Melvin Lasky, interview, London, July 1994.
16 Bernard Levin, *The Times*, 15 October 1992.
17 Ibid.
18 George Urban, *Radio Free Europe.*
19 Ibid.
20 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
21 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
22 Frank Platt to Michael Josselson, 11 November 1976 (MJ/HRC).
23 Frank Platt to Michael Josselson, 15 December 1977 (MJ/HRC).
24 Godfrey Hodgson, 'Superspook', *Sunday Times Magazine*, 15 June 1975.
25 Unidentifiable clipping, 23 February 1983 (MJ/HRC).
26 Michael Hofmann, *Guardian*, 23 January 1998.
27 William Buckley, quoted in Gore Vidal, *Palimpsest.*
28 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA?', *Saturday Review*, 5 April 1975.
29 Ibid.
30 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
31 Mary McCarthy came to much the same conclusion about Nicola Chiaromonte. On 22 May 1969 she wrote: 'It may be that he's been deeply scarred or crippled, poor man, by the CIA experience and that whatever he writes or thinks is in some way a *justification* of it, over and over.' Chiaromonte died in a lift after giving a broadcast on Italian radio on 18 January 1972.
32 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 18 June 1968, in Carol Brightman (ed.), *Between Friends.*
33 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
34 Natasha Spender, telephone interview, Maussane, August 1997.
35 Melvin Lasky to Sidney Hook, quoted in Peter Coleman, *The Liberal Conspiracy.*
36 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
37 Ibid.
38 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
39 Edgar Applewhite, quoted by Richard Elman, interview, New York, June 1994.
40 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
41 Joseph Alsop to Isaiah Berlin, quoted in Robert Merry, *Taking on the World.*
42 Doug Henwood, 'Spooks in Blue', *Grand Street*, vol.7/3, Spring 1998.

ببليوجرافيا مختارة

Abel, Lionel, *The Intellectual Follies: A Memoir of the Literary Venture in New York and Paris* (New York: Norton, 1984)

Acheson, Dean, *Present at the Creation* (New York: Norton, 1969)

Agee, Philip, and Wolf, Louis, *Dirty Work: The CIA in Western Europe* (New York: Dorset Press, 1978)

Alsop, Susan Mary, *To Marietta from Paris, 1945–1960* (New York: Doubleday, 1975)

Barrett, Edward, *Truth is our Weapon* (NewYork: Funk & Wagnalls, 1953)

Beevor, Antony, and Cooper, Artemis, *Paris After the Liberation, 1944–1949* (London: Hamish Hamilton, 1994)

Bell, Daniel, *The End of Ideology: The Exhaustion of Political Ideas in the Fifties* (New York: The Free Press, 1960)

Bellow, Saul, *Humboldt's Gift* (New York: Viking, 1975)

Bernstein, Barton J. (ed.), *Toward a New Past: Dissenting Essays in American History* (New York: Knopf, 1967)

Bissell, Richard, *Reflections of a Cold Warrior: From Yalta to the Bay of Pigs* (New York: Yale University Press, 1996)

Bradlee, Ben, *A Good Life: Newspapering and Other Adventures* (London: Simon & Schuster, 1995)

Brands, H. W., *The Devil We Knew: America and the Cold War* (Oxford: Oxford University Press, 1993)

Brightman, Carol, *Writing Dangerously: Mary McCarthy and Her World* (New York: Lime Tree, 1993)

Brightman, Carol, (ed.), *Between Friends: The Correspondence of Hannah Arendt and Mary McCarthy, 1949–1975* (London: Secker & Warburg, 1995)

Broadwater, Jeff, *Eisenhower and the Anti-Communist Crusade* (Carolina: University of North Carolina Press, 1992)
Cesarani, David, *Arthur Koestler: The Homeless Mind* (London: William Heinemann, 1998)
Chambers, Whittaker, *Witness* (Chicago: Regnery, 1952)
Chiaromonte, Nicola, *The Worm of Consciousness and Other Essays* (New York: Harcourt, 1976)
Church, Senator Frank, (chairman), *Final Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities* (Washington: United States Government Printing Office, 1976)
Cline, Ray, *Secrets, Spies and Scholars* (Washington: Acropolis, 1976)
Cockburn, Alexander, *Corruptions of Empire* (London: Verso, 1987)
Cohn, Roy, *McCarthy* (New York: New American Library, 1968)
Colby, William, *Honorable Men: My Life in the CIA* (New York: Simon & Schuster, 1978)
Coleman, Peter, *The Liberal Conspiracy: The Congress for Cultural Freedom and the Struggle for the Mind of Postwar Europe* (New York: The Free Press, 1989)
Cook, Blanche Wiesen, *The Declassjfied Eisenhower: A Divided Legacy of Peace and Political Warfare* (New York: Doubleday, 1981)
Corson, William, *The Armies of Ignorance: The Rise of the American Intelligence Empire* (New York: Dial Press, 1997)
Crockatt, Richard, *The Fifty Years War: The United States and the Soviet Union in World Politics, 1941–1991* (London: Routledge, 1995)
Crossman, Richard (ed.), *The God That Failed: Six Studies in Communism* (London: Hamish Hamilton, 1950)
Diggins, John Patrick, *Up From Communism: Conservative Odysseys in American Intellectual History* (New York: Harper & Row, 1975)
Fromkin, David, *In the Time of the Americans* (New York: Vintage, 1995)
Goodman, Celia (ed.), *Living with Koestler: Mamaine Koestler's Letters, 1945–1951* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1985)
Green, Fitzhugh, *American Propaganda Abroad* (New York: Hippocrene, 1988)
Gremion, Pierre, *L'Intelligence et L'Anticommunisme: Le Congrès pour la liberté de la culture à Paris, 1950–1975* (Paris: Fayard, 1995)
Grose, Peter, *Gentleman Spy: The Life of Allen Dulles* (London: André Deutsch, 1995)
Guilbaut, Serge, *How New York Stole the Idea of Modern Art: Abstract Expressionism, Freedom and the Cold War* (Chicago: University of Chicago Press, 1983)
Hamilton, Iain, *Koestler: A Biography* (London: Secker & Warburg, 1982)
Hamilton, Ian, *Robert Lowell: A Biography* (New York: Random House, 1982)
Hersh, Burton, *The Old Boys: The American Elite and the Origins of the CIA* (New York: Scribner's, 1992)

Hixson, Walter L., *George F. Kennan: Cold War Iconoclast* (New York: Columbia University Press, 1989)
Hixson, Walter L., *Parting the Curtain: Propaganda, Culture and the Cold War, 1945–1961* (New York: Macmillan, 1997)
Hofstadter, Richard, *The Paranoid Style in American Politics and Other Essays* (New York: Knopf, 1965)
Hook, Sidney, *Out of Step: An Unquiet Life in the Twentieth Century* (New York: Harper & Row, 1987)
Howe, Irving, *A Margin of Hope: An Intellectual Autobiography* (London: Secker & Warburg, 1983)
Hunt, E. Howard, *Undercover: Memoirs of an American Secret Agent* (California: Berkeley Publishing Corporation, 1974)
Kahn, E. J., *Jock: The Life And Times of John Hay Whitney* (New York: Doubleday, 1981)
Keller, William H., *The Liberals and J. Edgar Hoover: The Rise and Fall of a Domestic Intelligence State* (New Jersey: Princeton University Press, 1989)
Kennan, George F., *Around the Cragged Hill: A Personal and Political Philosophy* (New York: Norton, 1993)
Kermode, Frank, *Not Entitled: A Memoir* (London: Harper Collins, 1996)
Kirkpatrick, Lyman, *The Real CIA* (New York: Macmillan, 1968)
Kissinger, Henry, *The White House Years* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1979)
Kobler, John, *Henry Luce: His Time, Life and Fortune* (London: Macdonald, 1968)
Koestler, Arthur, *The Stranger on the Square* (London: Hutchinson, 1984)
Kristol, Irving, *Neo-Conservatism: The Autobiography of an Idea, Selected Essays, 1949–1995* (New York: The Free Press, 1995)
Larson, Deborah, *The Origins of Containment: A Psychological Explanation* (New Jersey: Princeton University Press, 1985)
Lasch, Christopher, *The Agony of the American Left* (New York: Vintage, 1969)
Littleton, Taylor D., and Sykes, Maltby, *Advancing American Art: Painting, Politics and Cultural Confrontation* (Alabama: University of Alabama Press, 1989)
Lottman, Herbert, *The Left Bank: Writers, Artists, and Politics from the Popular Front to the Cold War* (Boston: Houghton Mifflin, 1982)
Lynes, Russell, *Good Old Modern: An Intimate Portrait of the Museum of Modern Art* (New York: Atheneum, 1973)
McAuliffe, Mary S., *Crisis on the Left: Cold War Politics and American Liberals* (Amherst: University of Massachusetts Press, 1978)
Mailer, Norman, *Armies of the Night* (New York: New American Library, 1968)
Mailer, Norman, *Harlot's Ghost* (London: Michael Joseph, 1991)
Malraux, André, *Anti-Memoirs* (New York: Random House, 1968)
Mangold, Tom, *Cold Warrior: James Jesus Angleton, The CIA's Master Spy Hunter* (New York: Simon & Schuster, 1991)

Mayne, Richard, *Postwar: The Dawn of Today's Europe* (London: Thames & Hudson, 1983)
Merry, Robert W., *Taking on the World: Joseph and Stewart Alsop, Guardians of the American Century* (New York: Viking Penguin, 1996)
Meyer, Cord, *Facing Reality: From World Federalism to the CIA* (Maryland: University Press of America, 1980)
Michaud, Yves (ed.), *Voire, Ne Pas Voire, Faux Voire* (Nimes: Editions Jacqueline Chambon, 1993)
Miller, Arthur, *Timebends: A Life* (London: Methuen, 1987)
Miscamble, Wilson D., *George F. Kennan and the Making of American Foreign Policy* (New Jersey: Princeton University Press, 1992)
Muggeridge, Malcolm, *Chronicles of Wasted Time: The Infernal Grove* (London: Collins, 1973)
Muggeridge, Malcolm, *Like It Was* (London: Collins, 1981)
Nabokov, Nicolas, *Old Friends and New Music* (London: Hamish Hamilton, 1951)
Nabokov, Nicolas, *Bagázh: Memoirs of a Russian Cosmopolitan* (London: Secker & Warburg, 1975)
O'Toole, G. J. A., *Honorable Treachery: A History of U. S. Intelligence, Espionage, and Covert Action from the American Revolution to the CIA* (New York: Atlantic Monthly Press, 1991)
Pells, Richard H., *Not Like Us: How Europeans Have Loved, Hated, and Transformed American Culture Since World War II* (New York: Basic Books, 1997)
Philby, Kim, *My Silent War* (New York: Grove Press, 1968)
Phillips, William, *A Partisan View: Five Decades of the Literary Life* (New York: Stein, 1983)
Podhoretz, Norman, *Making It* (London: Jonathan Cape, 1968)
Podhoretz, Norman, *The Bloody Crossroads: Where Literature and Politics Meet* (New York: Simon & Schuster, 1986)
Ranelagh, John, *The Agency: The Rise and Decline of the CIA* (New York: Simon & Schuster, 1987)
Reich, Carey, *The Life of Nelson Rockefeller, 1908–1958* (New York: Doubleday, 1997)
Riebling, Mark, *Wedge: The Secret War Between the FBI and CIA* (New York: Knopf, 1994)
Robins, Natalie, *Alien Ink: The FBI's War on Freedom of Expression* (New York: William Morrow, 1992)
Ross, Andrew, *No Respect: Intellectuals and Popular Culture* (London: Routledge, 1989)
Ross, Thomas B., and Wise, David, *The Espionage Establishment* (New York: Random House, 1967)
Salisbury, Harrison E., *Without Fear or Favor: The New York Times and its Times* (New York: Ballantine, 1980)
Schlesinger, Arthur M. Jr., *The Vital Center: A Fighting Faith* (Cambridge: Riverside Press, 1949)

Schlesinger, Arthur M. Jr., *A Thousand Days: John F. Kennedy in the White House* (London: André Deutsch, 1965)
Silone, Ignazio, *Emergency Exit* (London: Gollancz, 1969)
Sinfield, Alan, *Literature, Politics and Culture in Postwar Britain* (London: Athlone Press, 1997)
Smith, R. Harris, *OSS: The Secret History of America's First Central Intelligence Agency* (Los Angeles: University of California Press, 1972)
Sonnenberg, Ben, *Lost Property: Confessions of a Bad Boy* (London: Faber & Faber, 1991)
Spender, Stephen, *Engaged in Writing* (New York: Farrar Straus, 1958)
Spender, Stephen, (ed. John Goldsmith) *Journals, 1939–1983* (London: Faber & Faber, 1985)
Steinfels, Peter, *The Neoconservatives: The Men Who Are Changing American Politics* (New York: Simon & Schuster, 1979)
Stone I. F., (ed. Neil Middleton) *The 'I. F. Stone's Weekly' Reader* (New York: Random House, 1973)
Thomas, Evan, *The Very Best Men: The Early Years of the CIA* (New York: Touchstone, 1996)
Truman, Harry S., *Memoirs: Year of Decisions* (New York: Doubleday, 1955)
Urban, George, *Radio Free Europe and the Pursuit of Democracy: My War Within the Cold War* (New York: Yale University Press, 1997)
Vansittart, Peter, *In the Fifties* (London: John Murray, 1995)
Vidal, Gore, *Palimpsest* (London: André Deutsch, 1995)
Walker, Martin, *The Cold War and the Making of the Modern World* (London: Fourth Estate, 1993)
Wallock, Leonard (ed.), *New York, 1940–1965* (New York: Rizzoli, 1988)
Warner, Michael (ed.), *Cold War Records: The CIA under Harry Truman* (Washington: Center for the Study of Intelligence, CIA, 1994)
Whitfield, Stephen J., *The Culture of the Cold War* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991)
Wilford, Hugh, *The New York Intellectuals* (Manchester: Manchester University Press, 1995)
Winks, Robin, *Cloak and Gown: Scholars in the Secret War, 1939–1961* (New York: William Morrow, 1987)
Woods, Randall B., *Fulbright: A Biography* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995)
Woodhouse, Christopher Montague, *Something Ventured* (London: Granada, 1982)
Wreszin, Michael, *A Rebel in Defense of Tradition: The Life and Politics of Dwight Macdonald* (New York: Basic Books, 1994)
Young, Kenneth (ed.), *The Diaries of Robert Bruce Lockhart, 1939–1965* (London: Macmillan, 1980)

المؤلفة :

فرانسيس ستونر سوندرز
Frances Stoner Saunders

بريطانية من مواليد ١٩٦٦ وتعيش في "لندن" . باحثة وكاتبة قصة ومخرجة أفلام تسجيلية . درست الأدب الإنجليزي في أكسفورد وتخرجت في عام ١٩٨٧ ، بعد عامين في "روما" عادت إلى انجلترا وتنقلت في وظائف مختلفة قبل أن تصبح مخرجة أفلام تسجيلية لشركات سينمائية مستقلة تعمل لحساب القناة الرابعة وتلفزيون الـ "BBC" . في عام ١٩٩٣ قرأت "فرانسيس" مقالاً يزعم أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت وراء نجاح "مدرسة نيويورك" في الفن ، وقضت عاماً في بحث وتتبع القصة الكاملة . أثمر البحث برنامجا تلفزيونيا بعنوان "الأيدي الخفية : الفن والمخابرات المركزية" عرضته القناة الرابعة وكان مادة أولية لكتابها الأول .

بعد ثلاث سنوات ، وبعد توفر مادة أرشيفية ثرية وبعد لقاءات عدة مع مسئولين وعملاء سابقين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية تجمعت لديها مادة هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

من أشهر قصصها القصيرة "أشياء كبيرة" التي نشرتها مجلة "كتابات جديدة" - ٧ - وهي عاكفة الآن على كتابة عمل يتناول شخصيات أساسية على هامش التاريخ من بينهم سيدة حاولت اغتيال "موسوليني" .

كتاب "سوندرز" : "الحرب الثقافية الباردة" صدرت طبعته الأولى في بريطانيا عام ١٩٩٩ بعنوان : "من الذي دفع للزمار ؟" قبل أن تصدر طبعته الأمريكية عام ٢٠٠٠

(المترجم)

المترجم :

طلعت الشايب

كاتب ومترجم مصرى من مواليد ١٩٤٢ - حاصل على ليسانس فى الأدب الإنجليزى والتربية عام ١٩٦٢ - يترجم من وإلى العربية والإنجليزية والروسية - عمل بالتدريس والترجمة والصحافة الثقافية فى : مصر ، والكويت ، وقطر من ١٩٦٢ - ١٩٩٢ ، عضو اتحاد الكتاب ولجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ومجلس تحرير مجلة "أدب ونقد" ورئيس تحرير سلسلة «آفاق عالمية» التى تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة .

من ترجماته المنشورة :

دراسات :	حدود حرية التعبير	تأليف : مارينا ستاغ ١٩٩٥
	المثقفون	تأليف : پول چونسون ١٩٩٧
	صدام الحضارات	تأليف : صمويل هنتنجتون ١٩٩٨
	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	تأليف : آرثر هيرمان ٢٠٠٠
روايات :	البطء	تأليف : ميلان كونديرا ١٩٩٦
	الملاك الصامت	تأليف : هينرش بول ١٩٩٧
	فتاة عادية	تأليف : آرثر ميللر ١٩٩٧
	عاريا أمام الآلهة	تأليف : شيف كومار ١٩٩٨
	الحرير	تأليف : اليساندرو باريكو ١٩٩٨
	الحمامة	تأليف : پاتريك زوسكيند ١٩٩٩
	اتبعى قلبك	تأليف : سوزانا تامارو ٢٠٠٠
	الخوف من المرايا	تأليف : طارق على ٢٠٠٠
	بقايا اليوم	تأليف : كازو إيشيجورو ٢٠٠٠
شعر :	أصوات الضمير	مختارات لشعراء من العالم ١٩٩٩
قصص قصيرة :	أنا القمر	مختارات من الخرافة الصينية ١٩٩٩

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامــــــل

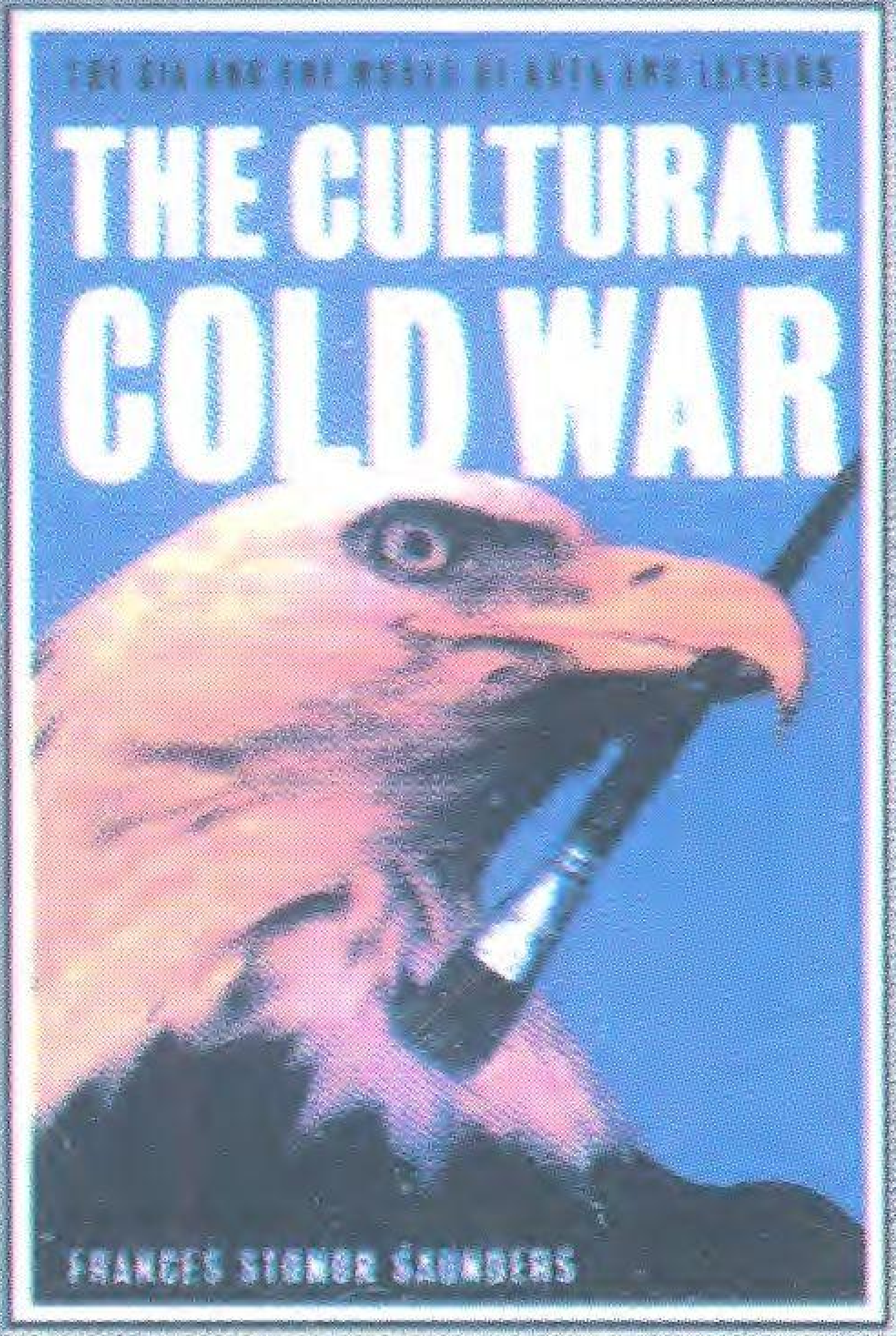

على مدى أكثر من عشرين عاما كانت وكالة المخابرات الأمريكية تنظم وتدير جبهة ثقافية عريضة فى معركة ضارية بدعوى حرية التعبير، وبتعريفها للحرب الباردة بأنها معركة من أجل "الاستيلاء على عقول البشر". وبعد أن سكت هدير المدافع وأزيز الطائرات ودوى القصف أخرجت الترسانة أثقالها الثقافية: الصحف والمجلات والإذاعات والمؤتمرات ومعارض الفن التشكيلى والمهرجانات الفنية والمنح والجوائز... إلخ، وتكونت شبكة محكمة من البشر الذين يعملون بالتوازى مع الـ **CIA** لتمحو من الأذهان فكرة أن "أمريكا صحراء ثقافية" وتزرع فيها فكرة جديدة مؤداها أن العالم فى حاجة إلى سلام أمريكى "**pax Americana**" وإلى عصر تنوير جديد، وأن ذلك كله سيكون اسمه "القرن الأمريكى".

راديكاليون سابقون ومثقفون يساريون من الذين تحطم إيمانهم بالماركسية والشيوعية. ومؤسسات وهمية وتمويل سرى ضخم وحملة إقناع هائلة فى حرب دعاية ضاربة تخطط لها وتديرها "منظمة الحرية الثقافية – **Congress for Cultural Freedom**" التى كانت بمثابة وزارة غير رسمية للثقافة الأمريكية، أو لتكون "الزمار" الذى تدفع له الـ **CIA** ثمن ما تطلبه منه من "ألحان".

هنا تضىء الباحثة البريطانية الشابة ف.س. سوندرز (**26** سنة) جانبا مظلما فى تاريخ أمريكا الثقافى معتمدة على عدد كبير من المقابلات الشخصية، وفحص عدد أكبر من الوثائق الرسمية التى أفرج عنها مؤخرًا.. وهنا تظهر أسماء عدد كبير من أبرز مفكرى وفنانى المرحلة: أشعيا برلين وكليمنت جرينبيرج وسيدنى هوك وآرثر كويستلر وإيرفنج كريستول وروبرت لويل وهنرى لوس وأندريه مالرو وماري مكارثى ورينولد نيبور وجورج أورويل وجاكسون بولوك وبرتراند راسل ... جر الابن وستيفن سبندر... وغيرهم.

وبينما بعضهم تم استخدامه دون أن يدرى، كان ... علم واستعداد للتعاون!...
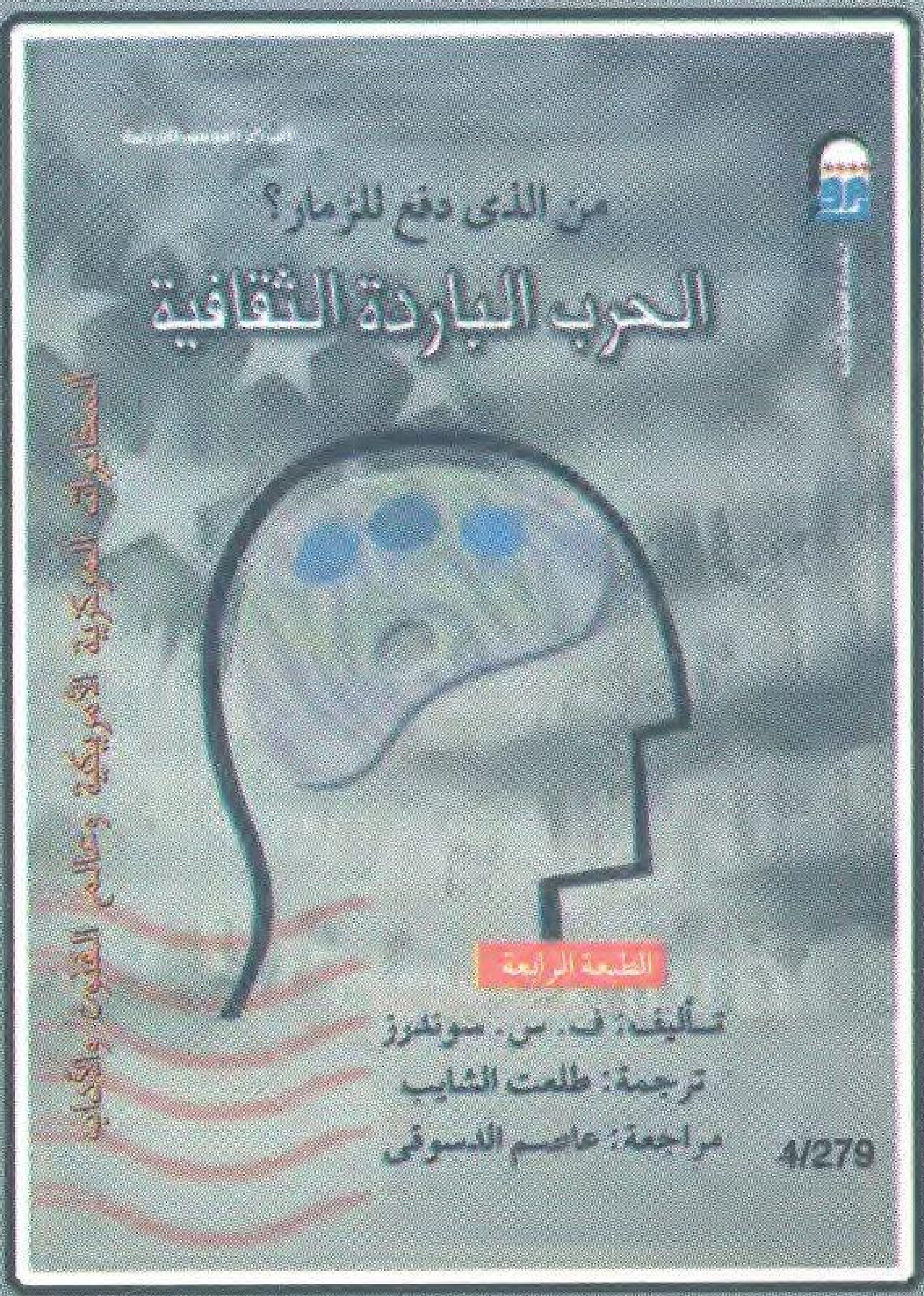
إنها القصة كاملة للدور الذى قامت به الـ **CIA** فى ... ية، الأمر الذى يجعل من هذا الكتاب "عملا مهما من أعمال ... كما وصفه المفكر "إدوارد سعيد".